

بَيْتُ الْقُرْآنِ

الْمُسْتَعْمَلِ

الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ

فِي تَبْيَانِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

لِلْإِمَامِ الْعَلَمَةِ الشَّيْخِ الْمُفَسِّرِ

نُورِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حُضَيْرِ الْقُرْمِيِّ الشَّافِعِيِّ الْكَارِزِيِّ

الْمُتَوَفَّى سِنَةَ ٩٢٣ هـ

بِحَقْنِ دَرَسَاتِهِ

الْأَسْتَاذِ الشَّرِيفِ

أَبِي الْحَسَنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الشَّيْبَانِيِّ

بِإِذْنِ الْمَدِينَةِ الْعِلْمِيَّةِ
الْقَاهِرَةِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وهو حسبي^(١)

قال المولى الإمام أحمد العمري الشافعي الكازروني^(٢) - تغمده الله برحمته -
أمين^(٣).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من الجنة والناس أجمعين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أشعر^(٤) في تبيان^(٥) الفرقان^(٦) المبين:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ① أَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ② الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ③ لِعَموم خلقه ④ الرَّحِيمِ ⑤﴾
لخصوص^(٧) المؤمنين^(٨) ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ⑥﴾ حين يدين العابدين والمعاندين.
يا من تلك صفات ذاته العظيم الشأن^(٩)، كَيْفَ يُعْبَدُ غَيْرَكَ أَوْ يَسْتَعَانُ ⑦ إِيَّاكَ نَعْبُدُ
وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ⑧ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ⑨ الموصول إلى أعلى^(١٠) مقامات المقربين

(١) كذا في نسخة (د) وهي ليست في (ح).

(٢) وفي (ن): قال الشيخ الإمام العلامة المولى أحمد بن محمد بن خضر المدعو بـ«نور الدين» العمري الشافعي الكازروني - رحمه الله -.

(٣) كذا في (د) وهي ليست في (ح).

(٤) أشعر: أبدأ، والشروع في الشيء - البدء به والمشي فيه.

(٥) تبيان: تفسير وتوضيح.

(٦) في (د) القرآن.

(٧) في (د) بخصوص.

(٨) بنى المصنف - رحمه الله - هذا على أصل أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى.

(٩) في (د): الشأن العظيم.

(١٠) في (ن): أعلا.

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ من النبيين والصدّيقين^(١) لا سيما سيد الأولين والآخرين محمد المصطفى الأمين، المؤيد بالقرآن المعجزة المستمرة في كل حين، وآله وصحبه الهادين المهديين، عليه وعليهم أفضل صلواتك وتسليماتك أبد الأبدين ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ بسوء صنيعهم العاصين ﴿وَلَا﴾ الزائعين بسوء عقيدتهم ﴿الضَّالِّينَ﴾^(٢) آمين.

أما بعد:

فيا أيها الطالب لتفسير القرآن الكريم، ثبتك الله على الصراط المستقيم دونك^(٣) تفسيراً يسيراً وجيزاً في العبارة وسيطاً، في التبيان بسيطاً^(٤) في الفوائد كشافاً لمعالم دقائق القرآن، متضمناً لزهاء^(٥) عشرين ألفاً من فرائد الفوائد، متجنباً عن الإطناب^(٦) والزوائد، مكتفياً في الغالب على وجه مقترن [١/ظ] بالتصحيح، معتمداً على حديث حسن أو صحيح^(٧)، أو على كلام الأكثرين من أهل الترجيح، هذا مع فوائد زوائد، كخفايا وجوه ربط الآي^(٨)، ونحو ذلك في حواشيه مما يرفع عن خبيّة غواشيه، مسمى بـ«الصراط المستقيم في تبيان القرآن الكريم» وسماه بعض الأبرار بـ«طوالع الأنوار»،

(١) كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء / ٦٩).

(٢) الصواب أن المراد بـ«الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ». اليهود و«الضَّالِّينَ» النصارى.

(٣) «دونك» اسم فعل أمر بمعنى «خذ» والكاف فيه عند البعض كالكاف في ذلك. وهي في الأصل من الظروف، وقد جعل هنا اسماً للفعل؛ لأن الظروف تنوب مناب أفعال وتغني عنها، فجعلت من أسماءها. قراضة الذهب ص ١٤٣.

(٤) بسيطاً - يعني: مبسوطاً، فاعيل بمعنى مفعول - يعني أن فوائده كثيرة على وجازة ألفاظه.

(٥) قرابة.

(٦) الإطناب: التطويل.

(٧) كذا قال - رحمه الله - وفيه أيضاً ما دون ذلك كما سأبيته في موضعه بإذن الله - تعالى.

(٨) يعني وجوه المناسبة بين الآيات والسور، وهو فن جليل من علوم القرآن، ألف فيه الإمام البقاعي كتاباً كاملاً متضمناً لتفسير القرآن الكريم سماه «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» طبع في عشرين مجلدة - وللسيوطي كتاب صغير في ذلك - مطبوع.

ولعمري إنه لعجالة^(١) نافعة، وعلالة رائعة^(٢)، تروي غليل^(٣) طالبي التفسير بأوجز بيان، لا سيما^(٤) لمن يُريدُ تلاوة القرآن، متأملاً في المعاني ولا أقول ذلك تبجحاً^(٥)، بل تنصّحاً ولكن السهو والنسيان من لوازم الإنسان^(٦)، فإن رأيت خللاً^(٧) فتعاون على البر وسدّه^(٨)، بل في عداد كتب القوم لا تعدّه إذ فرق بين القائل والمتقول^(٩)، والأكحل والمتكحل، ولولا توالي الإلهام في بيت الله الحرام بالتصدي لهذا المقام، لَمَا كَانَ لي إليه إقدام؛ لِقَلَّةِ البُضَاعَةِ، وقصور الباع في تلك الصنّاعة، وترك المطالعة للاشتغال بضروريات الطاعة.

وأنا العبد المفتقر نزيل بلد الله الأمين أحمد بن محمد بن خضر المدعوب «نور الدين العمري الشافعي الكازروني، أغرقه الله - تعالى - في تيار^(١٠) بحار عطائه، وَمَنْ أَمَّنَ بَدْعَائِهِ متقرب به إلى مالك الملك والملكوت متضرع إليه بالرغبت^(١١)

(١) العجالة: المختصر.

(٢) العلالة- بضم العين المهملة-: الشربة من الماء.

(٣) الغليل: العطش.

(٤) «لا سيما» كلمة «لا» لنفي الجنس، و«السيء»: المثل أصله سوى و«السيو» بكسر السين وسكون الواو أو الياء فجعلت الواو ياء، لسبق أحدهما ساكنة ثم أدغمت فصارت «سيء» وهي مبنية على الفتح منصوبة المحل على أنها اسم «لا» عند الجمهور، وما يجوز أن تكون زائدة. * قراضة الذهب ص ٢٤٦، ٢٤٧.

(٥) تبجحاً: فخراً.

(٦) كما قيل:

وما سمى الإنسان إلا لنسيه *** ولا القلب إلا أنه يتقلب

(٧) الخلل: العيب.

(٨) كما قيل:

إن تجد عيباً فسد الخللاً *** جل من لا عيب فيه وعلا

(٩) في (د): القائل والمتقول.

(١٠) التيار: الموج، وقيل: شدة الجريان، وهو فيعال أصله: تيوار فاجتمعت الواو والياء فأدغم بعد القلب، وبعضهم يجعله من «تير» فهو فعال. * المصباح المنير (١/٩٧/نور).

(١١) شدة الرغبة.

والرهبوت^(١)، سائلًا منه أن ينفعني به والطالين، وصَلَّى اللهُ وَسَلَّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ.



[وَلِنَبْدَأُ الْكِتَابَ بِمَقْدَمَةٍ يَنْتَفِعُ بِهَا الطَّلَابُ] (١)

❀ مقدمة ❀

يَنْبَغِي لِلشَّارِعِ فِي كُلِّ عِلْمٍ قَبْلَ الشَّرُوعِ فِيهِ مَعْرِفَةٌ مَا هَيْتُهُ وَمَوْضُوعُهُ لِيَكُونَ عَلَى بَصِيرَةٍ، وَالغَرَضُ مِنْهُ؛ لئَلَّا يُعَدَّ سَعْيُهُ عَبَثًا (٢)، وَدَلِيلُهُ وَاسْتِمْدَادُهُ؛ لِيَعِينَهُ عَلَى تَحْصِيلِهِ - فَنَقُولُ:

أَصْلُ التَّفْسِيرِ: الكَشْفُ وَالإِبَانَةُ (٣)، وَأَصْلُ التَّأْوِيلِ: الرَّجُوعُ وَالکَشْفُ (٤) وَعِلْمُ التَّفْسِيرِ: عِلْمٌ يُبْحَثُ فِيهِ عَنِ أَحْوَالِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، مِنْ حَيْثُ دَلَّالَتُهُ عَلَى مَرَادِهِ بِحَسَبِ الطَّاقَةِ الْبَشَرِيَّةِ، ثُمَّ (٥) هُوَ قِسْمَانِ:

* تَفْسِيرٌ - وَهُوَ مَا لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِالتَّنْقُلِ، كَأَسْبَابِ النُّزُولِ.

* وَتَأْوِيلٌ - وَهُوَ مَا يُمْكِنُ إِدْرَاكُهُ بِالْقَوَاعِدِ الْعَرَبِيَّةِ فَهوَ (٦) مِمَّا يَتَعَلَقُ بِالدَّرَايَةِ.

وَالسَّرُّ فِي جَوَازِ التَّأْوِيلِ بِالرَّأْيِ بِشَرْطِهِ دُونَ التَّفْسِيرِ: أَنَّ التَّفْسِيرَ كَشْهَادَةٌ عَلَى اللَّهِ وَقَطْعٌ بِأَنَّهُ عَنِ هَذَا اللفظِ هَذَا الْمَعْنَى، فَلَا يَجُوزُ إِلَّا بِتَوْقِيفٍ، وَلِذَا جُزِمَ الْحَاكِمُ (٧) بِأَنَّ تَفْسِيرَ الصَّحَابِيِّ مَطْلَقًا فِي حُكْمِ الْمَرْفُوعِ (٨)، وَالتَّأْوِيلُ: تَرْجِيحٌ لِأَحَدِ الْمُحْتَمَلَاتِ بِلَا قَطْعٍ فَاعْتَفَرَ.

(١) كَذَا فِي (ن)، وَفِي (د): وَقَدَّمْتُ الْكِتَابَ... إلخ.

(٢) فِي (د) عَتَا.

(٣) وَاسْتِقْفَاهُ مِنْ «الْفَسْرِ» بِفَتْحِ الْفَاءِ وَسُكُونِ السَّيْنِ الْمَهْمَلَةِ، وَهُوَ إِظْهَارُ الْمَعْنَى الْمَعْقُولِ.

* الْكَلِيَّاتِ (٣/٣٣)، التَّوْقِيفُ (٥٥٧).

(٤) التَّأْوِيلُ: رَدُّ الشَّيْءِ إِلَى الْغَايَةِ.

(٥) كَذَا فِي (د)، وَ(ن).

(٦) فِي (د): مِمَّا.

(٧) هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَاكِمِ النِّسَابُورِيِّ صَاحِبِ الْمُسْتَدْرَكِ الْمَتُوفِي سَنَةِ ٤٠٥ هـ.

(٨) مَعْرِفَةُ عُلُومِ الْحَدِيثِ - لِلْحَاكِمِ (١٤٩) - ذَكَرَ النَّوْعَ الْخَامِسَ.

- قُلْتُ: وَهَذَا لَيْسَ عَلَى إِطْلَاقِهِ، وَقَدْ عَلَّطَ الْمُحَدِّثُونَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَاكِمَ فِي ذَلِكَ.

* وَانظُرْ: فَتْحَ الْمَغِيثِ (١/١٤٣)، تَدْرِيبَ الرَّوَايِ (١/١٩٣).

* تنبيهه :

وردت^(١) أخبار كثيرة في وعيد من فسره برأيه، واستدلَّ بِهَا جَمَاعَةٌ عَلَى تحريم التَّكَلُّمِ بغير المسموع، وإطلاق ذلك^(٢) باطل؛ إذ مَا سُمِعَ مِنَ النَّبِيِّ - ﷺ - إلا في بعض الآيات، والصحابة ومن بعدهم اختلفوا اختلافاً كثيراً لا يمكن جمعه ولا سماعه منه^(٣) - ﷺ - والأخبار والآثار تدل على اتساع معانيه، فالنهي إما عن تفسيره من غير علم^(٤) أو تأويله على وَفْق مَا لِلْمُؤَوَّلِ مِنْ رَأْيٍ فَاسِدٍ^(٥) أو صحيح مع علمه بأنه ليس بمراد كتأويل: ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [طه: ٢٤] بمجاهدة النفس^(٦)، أو عن التسارع إلى الباطن قبل إحكام الظاهر، أو عن التفسير في محلِّ التأويل^(٧)، وقد جعل الله القرآن أصلاً لكل ما يُحْتَاجُ إليه، وَلَيْسَ كُلُّهُ مَنْصُوصًا فَلَا بَدَّ مِنَ الْإِسْتِخْرَاجِ بِالرَّأْيِ بِالْعَرَضِ عَلَى الْأَصُولِ وَاللَّهِ - تَعَالَى - أَعْلَمُ.

(١) في (ن)، (د): ورد أخبار وآثار.

(٢) كذا في (د)، و(ن).

(٣) بل هذا ممكن ولذا قسم العلماء التفسير إلى تفسير بالمأثور وبالرأى.... إلخ.

(٤) وهو الراجح. وفي (ن): علمه.

(٥) وردت أحاديث عن النبي - ﷺ - في ذلك، ومنها:

* «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار». رواه الترمذي (٥/٢٩٥٠)، وأحمد (١/٢٣٣)، والنسائي (٥/٨٠٨٤) والطبراني في المعجم الكبير (١٢/١٢٣٩٢)، والبغوي في شرح السنة (١/١١٧). وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٧٣٧)، والمشكاة (٢٣٤).

* «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ». رواه أبو داود (٣/٣٦٥٢)، والترمذي (٥/٢٩٥٢)، والنسائي (٥/٨٠٨٦)، والبغوي (١/١٢٠). وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٧٣٦)، والمشكاة (٢٣٥).

قلت: لكن يدخل التحريم في عموم آية: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

قال الصديق - ﷺ -: «أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله برأى».

أخرجه الطبري (١/٧٨)، وابن عبد البر في الجامع (٢/٦٤) إلى غير ذلك من الآثار والأخبار.

(٦) وهذا من التفاسير المنحرفة للقرآن الكريم.

(٧) التفسير في العرف: كشف معاني القرآن وبيان المراد، والمراد من معاني القرآن أعم، سواء كانت معاني لغوية أو شرعية.

وأما التأويل: فهو صرف اللفظ إلى بعض الوجوه؛ ليكون ذلك موافقاً للأصول.

التيسير في قواعد علم التفسير - للكافيحي (١٢٤، ١٢٥)، البرهان (٢/١٤٩)، الإبتقان (٤/١٦٨).

* موضوع علم التفسير *

وموضوعه: القرآن من الحيثية^(١) المذكورة، والقرآن^(٢): الكلام العربي المنزل على محمد - ﷺ - المتحدى به بأقصر سورة منه، المنقول تواتراً^(٣).

* ودليله: الكتاب والسنة، ولفظ العرب العرباء.

* واستمداده: من علمي أصول الدين والفقهاء.

* والغرض منه: معرفة الأحكام الشرعية العلمية والعملية.

ثم لما أمرنا بالاستعاذة قبل القراءة بدأنا بتفسيرها، وهي طلب الصيانة من الله عن الآفات بإفاضة الخيرات: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ﴾ أي: ألتجئ إليه ﴿من﴾ شر ﴿الشَّيْطَانِ﴾ أي: متمرد الجن فقط، أو الإنس أيضاً، من شطن، أي: بُعد؛ لبعده عن الرحمة أو الصلاح، أو شاط^(٤) أي: بطل، والأول أظهر؛ لاستعمال نحو الشيطنة.

والجنُّ: أجسامٌ عاقلة خفية، تغلب^(٥) عليها النارية أو الهوائية، وهي إما مشرقة سعيدة، وهم صالحوهم، أو كدرة شقية^(٦) وهم الشياطين^(٧) وحذف الشر؛ لأن الحيثية ملحوظة، والشيطان من هذه الحيثية شر، ولامه للجنس أو للعهد؛ لأنَّ كلَّ المعاصي بأمره.

﴿الرَّجِيمِ﴾ أي: المرجوم المطرود، أو المشتم^(٨)، أو الراجم للناس بالوسوسة^(٩).

(١) قال الكافجي: وإنما قيده بهذه الحيثية؛ ليكون ممتازاً عن موضوع العلم الآخر، فإن الكتاب داخل - إن لم يقيد بها - تحت موضوع علم الأصول من حيث إنه يستفاد منه الأحكام إجمالاً.
* التيسير (١٥٧، ١٥٨).

(٢) القرآن لغة: وزنة «فعلان» كالرجحان والغفران، وهو في اللغة: الجمع، قال الجوهري: تقول: قرأت الشيء قرأتاً، إذا جمعته وضممت بعضه إلى بعض، وقال أبو عبيدة: سمي القرآن قرأتاً؛ لأنه يجمع السور ويضمها وكذا يشتمل على الشرائع والحكم وعلى العلوم الكثيرة، وعلى أنواع البلاغة، وعلى غير ذلك، وقيل: إنه مأخوذ من قرنت الشيء بالشيء. * التيسير (١٦٠)، الإتيان (١٤٦/١).

(٣) التيسير (١٦١)، بصائر ذوي التمييز (١/٨٤).

(٤) أي احترق.

(٥) في (د): يغلب.

(٦) في (ن): والمشرق السعيد منها: صالحوها. والكدر الشقي منها: الشياطين.

(٧) في (د): المشرق: السعيد منها صالحوها، والمكدر: الشقي منها الشياطين.

(٨) في (د): المشتموم.

(٩) أو المرجوم حقيقة كما في مناسك الحج.

سورة فاتحة الكتاب

❀ تعريفُ السورة ❀

«سورة» سُورَةُ الْقُرْآنِ: الطائفة المترجمة منه ^(١)، فخرج نَحْو آية الكُرْسِيِّ؛ لأنه مجرد إضافة ما وصل إلى حَدِّ التَّسْمِيَةِ، وَقَيْدَ بَعْضُ بأنَّ السورة أقلها ثلاث آيات، وهو للتوضيح للطائفة لليبين خروج نحو آية الكرسي؛ إذ لَوْ كَانَ قَيْدًا؛ لَمَا صَدَقَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ السُّورِ، وَلَوْ عُرِّفَتْ بِ«طائفةٍ مترجمة منه تتضمن ثلاث آيات؛ لاستغينا عن ذلك التكلف» - والله أعلم.

❀ تعريف الآية ❀

والآية: طائفة [ظ٢] من كلمات القرآن متميزة بِفَضْلٍ تُسَمَّى الفاصلة. «فاتحة» فاتحة الشيء أَوْلُهُ، مصدرٌ بمعنى المفعول، أو صِفَةٌ جُعِلَتْ اسْمًا لَهَا، والتاء للنقل كالذبيحة.

«الكتاب» هو القرآن، يطلق على مجموع ما في الْمُصْحَفِ، وعلى القدر المشترك بينه وبين أجزاءه، ففاتحة الكتاب أول أجزاءه أو أول أفرادها، وصارت بالغلبة علمًا جنسيًا لهذه السورة، لا شخصيًا؛ لأنها من الأعراض التي لا تتشخصُ إِلَّا بِتَشْخُصٍ محالها إلا عند من قال: هي اسم ما كُتِبَ أَوَّلًا فِي اللَّوْحِ. ومقرؤها أتنا مثله، لا عينه.

❀ أسماءُ الفاتحة ❀

ولها أسماءٌ أُخْرُ، «كالفاتحة» إِنْ قُلْنَا لَا مَهَا لَازِمَةٌ لَا بَدَلَ عَنِ الْإِضَافَةِ، «وَأُمُّ الْكِتَابِ» لاشتمالها على أصول مقاصده الثلاثة: الثناء على الله، والتعبُّد، والوعدُّ والوعيد، وسورة الأساس، والكنز، والنور، والوافية، والشفافية، والواقية والكافية، والشفاء، والرقية، والحمد، والمناجاة، والتفويض والسبع المثاني؛ لتكرر قراءتها في

(١) السورة من القرآن القطعة المفتحة بالبسملة المختمة بخاتمتها، سميت بذلك؛ لأنها محيطة إحاطة السور بالمدينة. وقيل: سميت بذلك؛ لرفعها. والسورة: المنزلة الرفيعة. ❀ عمدة الحفاظ (٢/٢٣٢).

الصلاة إلا نادراً كركعة واحدة نافلة، أو لنزولها في الحَرَمَيْنِ، وسورة الصلوات،
والصلاة لحديث: «قَسَمْتُ الصَّلَاةَ»^(١).

* وهي مكية أو مدنية. أو نزلت مرتين، أو نصفها بها ونصفها^(٢) بها والأصحُّ أنَّ
المكية ما نزلت^(٣) قبل الهجرة، والمدنية ما [نزلت]^(٤) بعدها: ولو بمكة.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿بِسْمِ﴾ الباء للاستعانة أو المصاحبة^(٥)، ففحواه متبركاً أو مستعيناً، باسم الله
أقرأ أو أبتدى، والأول^(٦) من التقديرين أولى؛ إذ في التبرك تعظيم ليس في جعله آلة غير
مقصودة بالذات، وفي ﴿أَقْرَأُ﴾^(٧)، رعاية لمقتضى المقام^(٨) وعموم للجميع ولا
يختص بالابتداء وتأخير التقدير للاختصاص وتقديم الباء والاسم لا يقدح في الابتداء
باسم الله، إذ المراد ما صدقَ عَلَيْهِ اسم الله، والباء آلة وبهذا بان تَرْجِيحُ ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ على
«بالله» مع قطع النظر عن الفرق بين اليمين واليمين، وأنَّ التَّيْمُنَ باسمه - تعالى - لا
بذاته، ثم^(٩) التبرك بالألفاظ إجراؤها على اللسان وإِحْصَاؤُهَا معانيها بالبال وبالمعاني
بالعكس.

(١) يشير إلى حديث أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تبارك وتعالى: قسمت الصلاة
بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها لعبدي ونصفها لي...» الحديث. رواه أحمد (٢/٢٤١، ٤٥٧، ٤٧٨)،
ومسلم (٣٩٥) وأبو داود (٨٢١)، والنسائي (٢/١٣٥، ١٣٦).

(٢) قال قتادة: هي مكية، قال ابن حجر في الفتح (٨/١٥٩): وهو قول الجمهور، خلافاً لمجاهد قال
الحسين بن الفضل: هذه هفوة من مجاهد؛ لأن العلماء على خلاف قوله.
* وانظر: النكت والعيون - للماوردي (١/٤٥).

(٣) في (ن): نزل.

(٤) مني للتوضيح.

(٥) انظر: رسالة البسملة - للعلامة الخادمي - ص ٨، ٩.

(٦) في (ن): والأولان.

(٧) يعني في سورة العلق ﴿أَقْرَأُ بِأَسْمِ رَبِّي﴾.

(٨) يعني ولم يقل: باسم ربك أقرأ.

(٩) في (ن): والتبرك.

﴿الله﴾ أي: الذات المُستَجَمع لجميع صفات الكمال، عربيٌّ مرتجل جامد^(١)، وعند الزمخشري أنه اسم جنس صار عَلَمًا من آله بمعنى: تَحَيَّرَ أو غيره^(٢).

﴿الزَّكِيَّاتِ﴾: المتفضل بإرادة الخير لكل الخلق.

﴿الْخَيْرِ﴾: مُرِيدُهُ للمؤمنين، وأصل الرحمة: رِقَّةٌ قَلْبٍ تَقْتَضِي التَّفَضُّلَ، وإطلاقها على الله - تعالى - باعتبار الغاية كمنظائرها من الصفات و«الرحمن»؛ لزيادة بنائه^(٣) أبلغ من الرحيم [و٣] إما كَمَا بِشُمُولِ الرحمة للدارين، أو بكثرة المرحومين، وإما كيفاً، بجلالته ورقتها وإرادته - تعالى - الْخَيْرَ لذَاتِهِ والشر لخيري في ضمنه، وَقَدَّمَ «الرَّحْمَنَ» والقياس الترقّي؛ لزيادة شبهه بالله اختصاصاً^(٤).

* **مسألة:** التسمية آية من الفاتحة^(٥) عند أكثر العلماء، خلافاً لأبي حنيفة^(٦) ومالك، كما ثبت في الحديث، ويكتفى بالأحاديث في وجوب العملي ورواية الصحيحين عن أنس - أنه - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وأبا^(٧) بكر وعمر كانوا يستفتحون القرآن بالحمد لله رب العالمين^(٨) لا تَنْهَضُ حُجَّةً عَلَى الشافعي، إذ معناه الابتداء بهذه السورة وهذه الكلمات اسمها، وروي عن أنس ثلاث روايات أُخِرَ تعارضها^(٩).

وروى البيهقي^(١٠) الجهر بها عنه - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وعن عُمَرَ وابن عمر وابن عباس وابن

(١) وقيل: هو مشتق. وانظر: رسالة البسملة للخادمي (١٧) ومقدمات مصنفات العصور المتأخرة.

(٢) الكشاف (٦/١) قال: وصيغة هذا الاسم وصيغة قولهم: آله، إذا تحير، ومن أخواته: دله وعله، ينظمهما معنى التحير والدهشة وذلك أن الأوهام تحير في معرفة المعبود وتدهش الفطن.

(٣) لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى.

(٤) لأنه لا يطلق إلا على الله - تعالى.

(٥) انظر في هذه المسألة: الإنصاف - لابن عبد البر (٥)، ومسألة التسمية - لابن طاهر المقدسي (٣)، والبسملة لأبي شامة المقدسي (١٨) ومختصره للذهبي (١١).

(٦) في (د): للحنفية.

(٧) كذا، وهو جائز.

(٨) رواه البخاري (٧٤٣)، ومسلم (٣٩٩/٥٢).

(٩) الصحيح الإسرار بالبسملة في افتتاح قراءة الفاتحة والجهر بها منسوخ - والله أعلم.

(١٠) سنن البيهقي (٤٢/٢) و (٤٩/٢). وانظر خلافيات البيهقي - لابن فرح (٥٣/٢).

الزبير، وتواتر ذلك عن علي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - طول عمره، وأيضاً رواية الجهر ثبوتية فيُقَدَّمُ^(١) رواية. ﴿الْحَمْدُ﴾: أي: كُلُّ أفراده أو ماهيته وحقيقته، وهو^(٢) لغة: الوَصْفُ عَلَى الجميل الاختياري هو أو أثره تعظيماً^(٣).

وعرفاً: فعل يُنْبِئُ^(٤) عن تعظيم المنعم؛ لإنعامه، [وأما الحمد العرفي والشكر العرفي^(٥): صرف العبد جميع ما أنعم الله عليه فيما أعطاه لأجله كما فَصَّلَهُ الشارح^(٦)] ^(٧).

وإصطلاحاً: إظهارُ الصِّفَاتِ الكمالية قولاً أو فعلاً أو حالاً، [منه: حمده - تعالى - ذاته بإيجاد كل موجود]^(٨).

﴿لِلَّهِ﴾ أي: مختص^(٩) به، أَمَّا عَلَى الأول؛ فلأنه لا اختيار لغيره - تعالى - وَأَمَّا عَلَى الأخيرين فلاستناد كل الممكنات إليه - تعالى - ابتداءً، إذ المذام^(١٠) لا ترجع إليه، إذ لا ذم في الإفاضة بل في الاتصاف بالمذموم، على أنه إنما خلقه لخير في ضمنه كما مر.

﴿رَبِّ﴾ [أصله^(١١) بمعنى التريبة و]^(١٢) هو لغة: تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً أطلق عليه - تعالى - للمبالغة.

(١) يعني العمل بها.

(٢) أي: الحمد.

(٣) المفردات (١٨٦)، والكليات (٢/١٩٨)، والتوقيف (٢٩٥) والتعريفات (٩٨) وتعريفات ابن الكمال (٨٣).

(٤) يشعر.

(٥) الكليات (٣/٧٤)، التوقيف (٤٣٥).

(٦) وأما الشكر اللغوي فهو الوصف بالجميل على جهة التعظيم على النعمة من اللسان والجنان والأركان. * التوقيف (٤٣٥).

(٧) ساقطة من (ح) وأثبتها من (د).

(٨) ساقطة من (ح) وأثبتها من (د)، و(ن).

(٩) فاللام أفادت الاختصاص.

(١٠) جمع: مذمة.

(١١) ولا يقال مطلقاً إلا للباري - تعالى -.

(١٢) ساقطة من (ح) وأثبتها من (د). * عمدة الحفاظ (٢/٦٠/ريب).

﴿الْقَلَمِيتِ﴾ جمع عالم^(١)، وَهُوَ كُلُّ مَا يَعْلَمُ بِهِ الصَّانِعُ، وَهُوَ كُلُّ مَا سِوَاهُ، وَأَفَادَ بِجَمْعِهِ شُمُولَهُ لِكُلِّ جِنْسٍ تَحْتَهُ، وَبِاللَّامِ اسْتِغْرَاقَهُ لِكُلِّ جِنْسٍ، وَأَفْرَادَهُ، أَوِ الْمُرَادَ الْإِنْسَانَ؛ لِأَنَّهُ عَالَمٌ أَصْغَرُ^(٢) بَلْ أَعْظَمُ فَإِنَّهُ مَخْتَصِرُ الْحَضْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ وَجُودًا وَحَيَاةً وَعِلْمًا وَقُدْرَةً وَإِرَادَةً وَسَمْعًا وَبَصْرًا وَكَلَامًا، وَمُخْتَصِرُ الْعَالَمِ فَإِنَّهُ فِي الطَّبَائِعِ كَالْعُنَاصِرِ وَبِالْتَّرَكِيبِ كَالْمِعَادِنِ وَبِالْغِذَاءِ وَالتَّوْلِيدِ كَالنَّبَاتِ وَبِالْحَسِّ وَالتَّوَهُمِ وَالتَّخِيلِ وَالتَّلَذُّذِ وَالتَّأَلُّمِ كَالْحَيَوَانَ، وَبِالْجِرَاءَةِ كَالسَّبْعِ وَبِالْمَكْرِ كَالشَّيْطَانِ وَبِالْمَعْرِفَةِ كَالْمَلِكِ وَبِاجْتِمَاعِ الْحَكْمِ فِيهِ كَاللَّوْحِ وَبِشَبُوتِ صُورِ الْأَشْيَاءِ فِي الْقُلُوبِ بِكَلِّيَاتِهِ كَالْقَلَمِ الْأَعْلَى وَلِهَذَا سَوَّى بَيْنَهُمَا فِي آيَةِ: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾.

وإنما جمع العقلاء تغليباً لهم [٣ظ] أو لأنهم المقصودون وترتب الحمد عليه ظاهر ولو على إيجاد الشر؛ لتضمنه الخير كما مر^(٣).

﴿الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ﴾ تَأَكِيدُ لِاسْتِحْقَاقِهِ الْحَمْدَ، أَوِ الْأَوَّلَ لِتَسْكِينِ هَيْئَةِ اسْمِ اللَّهِ، وَالثَّانِي لِرَجِيَّةِ بِالْمَخُوفِينَ يَوْمَ الدِّينِ، هَذَا إِذَا وَجِبَتِ التَّسْمِيَةُ كَمَا مَرَّ.

﴿مَلِكٍ﴾ مِنَ الْمَلِكِ - بِالْكَسْرِ^(٤) - الْمَتَّصِرُ فِي الْأَعْيَانِ الْمَمْلُوكَةِ وَ«مَلِكٍ» مِنَ الْمُلْكِ - بِالضَّمِّ^(٥): الْمَتَّصِرُ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ فِي كُلِّ الْمَأْمُورِينَ، وَالثَّانِي الْمَخْتَارُ^(٦)؛ لِتُؤَافِقُ الْفَاتِحَةَ الْخَاتِمَةَ وَلِلزُّومِ التَّكْرَارِ بِ«مَالِكٍ» لِأَنَّ الرَّبَّ بِمَعْنَاهُ، وَلِأَنَّهُ أَعْمُ حَيَاةٍ

(١) بفتح اللام وهو لغة: ما يعلم به الشيء. وعرفاً: كل ما سوى الله من الموجودات.

* التعريفات (١٤٩)، التوقيف (٤٩٦).

(٢) يشير إلى قول المتكلمين: العالم عالمان: كبير، وهو الفلك وما حواه من جوهر وعرض، وصغير وهو الإنسان؛ لأنه مخلوق على هيئة العالم، وأوجد الله فيه كل ما أوجده في العالم الكبير. * التوقيف (٤٩٦).

(٣) سبق بيانه.

(٤) الملك - بكسر الميم - في اصطلاح المتكلمين: حالة تعرض للشيء بسبب ما يحيط به وينتقل بانتقاله كالتمميم والتقميص، فإن كلا منهما حالة لشيء بسبب إحاطة العمامة برأسه والقميص ببدنه وفي اصطلاح الفقهاء: اتصال شرعي بين الإنسان وبين شيء يكون مطلقاً لتصرفه وعاجزاً عن تصرف غيره فيه. * التوقيف (٦٧٤، ٦٧٥).

(٥) الملك - بالضم -: التصرف بالأمر والنهي في الأمور، وذلك يختص بسياسة الناطقين. * التوقيف (٦٧٥).

(٦) يعني: بضم الميم.

وأقدر، لا لأنه قراءة أهل الحرمين^(١) وهم أعرف بلغتهم؛ لأن السبعة كلها متواترة وهم ما قرؤوا إلا ما سمعوا.

إِلَّا أَنْ يُقَالَ: كل الروايات وصلت إليهم وهم ما اختاروا للرواية إلا ما كان أفصح^(٢) - والله أعلم.
﴿يَوْمَ﴾ أَي: وَقْتُ.

﴿الْيَوْمِ﴾ أَي: الجزاء، أي: هو مالكة مستمرًّا، ولا يرد عدم استمرار يوم الدين؛ لأنه مالك الأشياء أزلًّا وأبدًا، ولا يتغير بوجودها إلا تعلق ملكه. والإضافة لتعظيم المضاف إليه أو المضاف، ولظهور تفردة بنفوذ الأمر فيه، وأثر الأسماء الخمسة^(*)؛ لأن العبادة تقتضي الإلهية^(٣) والاستعانة للربوبية، والاستهداء للرحمانية، والاستغاثة للرحيمية والإنعام للمالكية عند الاستعانة كالغضب عند الإخلال بها، ثُمَّ لَمَّا تَمَيَّزَ عنده هذه الصفات فكأنه صار مُشَاهِدًا، وقال: يَا مَنْ هَذِهِ صِفَاتِهِ:

﴿يَاكَ تَعَبَّدُ﴾ أَي: نَحْضُكَ بالعبادة أَي: أقصى غاية التذلل تعظيمًا وبوسيلتها.
﴿وَيَاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أَي: نَحْضُكَ^(٤) بطلب المعونة في أداء العبادات أو كل المهمات، ويبين الأول أو الفرد الأعظم من الثاني في قوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

(١) قال الإمام الواحدي: ويقرأ هذا الحرف بوجهين «مالك» و «ملك».

فمن قرأ «ملك» قال: الملك أشمل وأتم؛ لأنه يكون مالك ولا ملك له، ولا يكون ملك إلا وله ملك، فكل ملك مالك، وليس كل مالك ملكا ويقوى هذه القراءة قوله - تعالى -: ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ (طه/ ١١٤)، وقوله: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ (الحشر/ ٢٣)، وقوله: ﴿لَيْمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ (غافر/ ١٦)، ولم يقل المالك. ومن قرأ «مالك» فلائنه أجمع وأوسع؛ لأنه يقال: مالك الطير والدواب والوحوش وكل شيء، ولا يقال: ملك كل شيء، إنما يقال: ملك الناس، ولا يكون مالك الشيء إلا وهو يملكه، وقد يكون ملك الشيء وهو لا يملكه كقولهم: ملك العرب والعجم.

الوسيط (١/ ٦٧)، النكت والعيون - للماوردي (١/ ٥٥)، السبعة - لابن مجاهد (١٠٤).

(*) يعني: «الله، رب، الرحمن، الرحيم، مالك».

(٢) القراءات أكثر من سبعة.

(٣) كذا في (د)، و(ن).

(٤) يعني قدم المفعول ﴿يَاكَ﴾ على الفعل ﴿تَعَبَّدُ﴾؛ لإفادة الاختصاص.

الغير المعوج^(١)، أي: الإسلام^(٢)، أي: ثبتنا عليه، أو زدنا الهداية، والهداية^(٣): دلالة بلطف^(٤)، وتستعمل في الشر تهكُّماً^(٥)، وأجناسها خمسة مترتبة: وهي إضافة قُوَى يتمكَّن بها من الاهتداء، ونصب الدلائل وإرسال الرسل والكشف والتوفيق، والأخير هو الممنوع عن نحو الظالمين أينما وقع في القرآن. ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: النبيين وأقرانهم، والإنعام: إيصال النعمة^(٦) إلى أولي النطق، والنعمة: ما يستلذ به دنيوية أو أخروية، والدنيوية مَوْهِيَةٌ وكسبية، والمَوْهِيَّة: روحانية وجسمانية والكسبية: تركية النفس أو تزيين البدن [٤] والأخروية رضوانه - تعالى - والمراد هو وما يكون وصلة إليه^(٧).

﴿عَبْرَ الْمَعْصُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ بإرادة انتقامهم كاليهود أو الفسَّاق.

والغضب: ثوران النفس لإرادة الانتقام فالمراد غايته.

﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ المائلين عن الحق كالنصارى أو الكفرة.

* وَالضَّالُّونَ: سُلُوكٌ طَرِيقٌ لَا تُوصِّلُ إِلَى الْمَطْلُوبِ^(٨)، وهو كثير، والصواب

واحد، إذ الصواب من الشيء يجري مجرى القُرطاس من المرمى.

ويستحب لقارئها بعد سكتة قول: «آمين» أي: استجب أو^(٩) افعَل.

(١) أو هو الطريق الواضح ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾ (الأعراف / ٨٦).

* النكت والعيون (٥٨ / ١).

(٢) أو هو القرآن أو الطريق الهادي إلى دين الله - تعالى - أو هو رسول الله - ﷺ - وأخبار أهل بيته وأصحابه قال ابن كثير (٢٨ / ١): وكل هذه الأقوال صحيحة وهي متلازمة فكل من اتبع النبي - ﷺ - واقتدى باللذيين من بعده - أبي بكر وعمر فقد اتبع الحق، ومن اتبع الحق فقد اتبع الإسلام ومن اتبع الإسلام فقد اتبع القرآن، وهو كتاب الله وحبله المتين وصراطه المستقيم، فكلها صحيحة يصدق بعضها بعضاً والله الحمد.

(٣) الوسيط (٦٨ / ١).

(٤) إلى ما يوصل إلى المطلوب - التعريفات (٢٧٧)، المفردات (٧٨٤)، الكليات (٣٨٥ / ١).

(٥) كقوله - تعالى -: ﴿فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْحَنِيمِ﴾.

(٦) في (ن): النعماء.

(٧) في (د)، و(ن).

(٨) أو هو فقد ما يوصل إلى المطلوب.

وقال الراغب: الضلال: العدول عن الطريق المستقيم ويضاده الهداية ويقال: الضلال لكل عدول عن

المنهج عمداً أو سهواً قليلاً أو كثيراً. * التوقيف (٤٧٤).

(٩) فهو اسم فعل أمر.

سورة البقرة^(١) - مدنية^(٢)

لما ختم السورة التي هي أم القرآن المشتملة على مطالبه^(٣) مُجْمَلًا، أخذ في تفصيلها مبينًا أن ذلك الكتاب الذي عرفته مجملًا لا ريب فيه أصلًا^(٤) فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿الْم﴾ هذا وأمثاله سرٌّ بين الله وبين حبيبه، أو استأثره الله بعلمه، وتكليفنا بالتكلم بما لا نفهمه كتكليفنا بعمل لا نعرف حكمته اختيارًا لانقيادنا.

* وعن ابن عباس - رضي الله عنه - أنها إشارة إلى: أنا الله أعلم^(٥).

وهكذا قالوا في ﴿الْمص﴾ أنا الله أعلم وأفصل و﴿الآر﴾ أنا الله أرى، و﴿المر﴾ أنا الله أعلم وأرى، و﴿كهيعص﴾ كاف هادٍ رحيمٌ عليهم صادقٌ وطه طاهرٌ هادٍ، و﴿طس﴾ طوله^(٦) وسناؤه^(٧) وملكه و﴿ص﴾ صمد، و﴿حم﴾ حكيم ملك، و﴿حمر﴾ عسق حلمه مجده، علمه، سناؤه وقدرته و﴿ق﴾ قدير، و﴿الآر﴾ و﴿حم﴾

(١) في هامش (د): سورة البقرة مدنية آياتها مائتان وثمانون وست آيات، وعند البصريين سبع غير آية:

﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ﴾ ثم نزلت الأنفال كلماتها (٦١٣١) وحروفها (٢٥٥٠٠).

وقد درج المؤلف - رحمه الله - على هذا النهج، إلا في النصف الأخير.

وانظر: عدد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه - لأبي القاسم ابن عبد الكافي ص ١٩٥.

(٢) باتفاق ونزلت بعد سورة النحل ونزل بعدها سورة آل عمران.

* فضائل القرآن - لابن الضريس (٣٤)، الناسخ والمنسوخ - للنحاس (٣١٦/٢)، البيان - للداني

(١٣٦)، تفسير ابن كثير (٣٧/١).

(٣) يعني على مطالب القرآن.

(٤) هذا من علم المناسبات بين السور، وقد التزم المصنف - رحمه الله - هذا المنهج في كتابه هذا كله.

* وانظر: نظم الدرر - للبقاعي (٨٦/١).

(٥) تفسير الواحدي (٧٦/١) وهو الوسيط، تفسير ابن عباس (٩) والأثر: رواه ابن أبي حاتم في تفسيره

(٢٧/١)، وابن جرير في تفسيره (٨٨/١)، وسنده ضعيف جدًا.

* وانظر الوجيز - للواحدي (٩٠/١)، البحر المحيط (٣٤/١)، تفسير الفخر الرازي (٦/٢).

(٦) نعمته.

(٧) نوره وعلوه.

و﴿ت﴾ إشارة إلى الرحمن^(١).

ولعلهم عنوا به أنها منبع الأسماء ومبادئ الخطاب، ومثلوها بأمثلة حسنة.

[وكذا ورد عنهم غير هذا أيضاً]^(٢).

* ومن عجائب ما رُوِيَ فِيهَا أَنَّهَا كُلُّهَا نِصْفَ الْحُرُوفِ الْمَعْجَمَةِ^(٣) مُشْتَمَلًا عَلَى أَنْصَافِ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْحُرُوفِ^(٤)، وما لم يكن له نصف صحيح أتى بالنصف الأقل منهما فيما هو قليل الاستعمال وبالأكثر منهما فيما هو كثير الاستعمال كما بُيِّنَ فِي الْمَطُولَاتِ^(٥).

[وَنَبَّهَ بِذِكْرِهَا مَفْرَدَةً^(٦) وَثَنَائِيَّةً^(٧) وَثَلَاثِيَّةً^(٨) وَرَبَاعِيَّةً^(٩) وَخَمَاسِيَّةً^(١٠) عَلَى أَنْ أَصُولَ الْكِتَابِ كَأَصُولِ كَلَامِهِمْ كَذَلِكَ^(١١)، وبذكر ثلاث مفردات في ثلاثِ صُورٍ عَلَى وُجُودِهَا فِي الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ لِلْكَلِمَةِ، وَيُذَكَّرُ أَرْبَعِ ثَنَائِيَّاتٍ عَلَى كَوْنِهَا أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ بِحَذْفِ الْحَرْفِ، وَبِهِ فِي الْفِعْلِ، وَبِهِ وَبِدُونِهِ فِي الْأَسْمِ وَبِتَخْصِيصِهَا بِتَسْعِ صُورٍ عَلَى وَقُوعِهَا فِي أَقْسَامِ الْكَلِمَةِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ كَمَنْ، إِنْ، ذُو^(١٢)،

(١) لا يعلم معاني هذه الحروف إلا الله - تعالى - وهذه الحروف سر الله - تعالى - في القرآن.

* الوسيط (٧٥ / ١) أقول: ومن فسرها فقد جازف.

(٢) ما بين المعكوفتين من (د)، و(ن).

(٣) النكت والعيون - للماوردي (٦٤ / ١).

(٤) وحروف المعجم كلها (٢٨) حرفاً ونصفها (١٤) وهذا صحيح، فمجموع الحروف المقطعة في القرآن في قولك: «نص حكيم قاطع له سر»: (١٤).

(٥) أنوار التنزيل للعلامة البيضاوي (٦).

(٦) يعني كما في (صر، ق، ن).

(٧) كما في (حم).

(٨) كما في (الر، ألم).

(٩) كما في (المصر، المص).

(١٠) كما في (كهيعص، حمعسق).

(١١) قال البيضاوي في أنوار التنزيل (٦): إيداناً بأن المتحدى به مركب من كلماتهم التي أصولها كلمات مفردة مركبة من حرفين فصاعداً إلى الخمسة... إلخ.

قلت - أبو الحسن -: وهذا تمحل لا دليل عليه - والله المستعان.

(١٢) في الأسماء.

وقل، بع^(١)، وإن، من، مذ الجارة^(٢)، وبذكر ثلاث ثلاثيات على وقوعها في الأقسام الثلاثة، وتخصيصها بثلاث عشرة سورة على^(٣) أن أصول أبنية الثلاثي ثلاثة عشر، عشرة للاسم، وثلاث للفعل، وبذكر رباعيين وخماسيين على أن لكل منهما أصلاً^(٤) وملحقاً^(٥) - والله أعلم^(٦).

﴿ذَلِكَ﴾ هذا ﴿اتَّكَبَ﴾ القرآن المكتوب، ويجوز اتحاد المشار إليه وبه، إذا لوحظ ضمناً مثل ذلك، وقد مر له معنى آخر أي: في بيان ربط السورتين منه ﴿لَارِيَبَ﴾ أي: لا شك ﴿يَدِ﴾ أي: في أنه من الله لو تأمل فيه عاقل ﴿هُدًى﴾ دلالة عظيمة إلى الحق ﴿تَشْتَقِينَ﴾ الصائرين إلى التقوى، وهي: فرط الصيانة، وشرعاً: وقاية النفس عما يضرها في الآخرة^(٧).

ومراتبها ثلاث: التوقي عن العذاب المخلد، ثمَّ عَنْ كُلِّ مَأْثَمٍ ثمَّ عما يشغل السر عن الحق.

ومن الأولى: ﴿كَلِمَةَ الْفَوَى﴾ ومن الثانية: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى...﴾ الآية ومن الثالثة: ﴿حَقَّ تَقَاتِلُهُ﴾.

وَحَصَّهِمْ؛ لأنهم المتفعون به، بل غيرهم يَضِلُّ به [٤ظ] كغذاء صالح يزيد صحة الصحيح وسُقْم السقيم، كما أفادته آية^(٨): ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾.

(١) في الأفعال.

(٢) في الحروف.

(٣) في البيضاوي (٦): تبيينها على أن أصول الأبنية المستعملة ثلاثة عشر، عشرة للأسماء وثلاثة للأفعال ورباعيتين وخماسيتين.

(٤) كجعفر وسفرجل.

(٥) كقرود وجحافل. وفي (ن): مخلصاً.

(٦) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح) وهو في (د).

(٧) التقوى: تجنب القبيح خوفاً من الله، وأصلها: الوقاية.

وهي أيضاً: التحرز بطاعة الله عن عقوبته، وهو صيانة النفس عما تستحق به العقوبة.

* تعريفات الجرجاني (٦٨)، الكلبيات (٨٠/٢)، التوقيف (١٩٩).

(٨) كذا في (د)، و(ن).

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ الغائب عن الحواس إجمالاً.

«تنبه»: الإيمان: التصديق بما علم ضرورة أنه من دينه - ﷺ - إجمالاً فيما علم إجمالاً، وتفصيلاً فيما علم تفصيلاً.

وعند المحدثين والسلف: اعتقاد بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان^(١). فالإخلاق بالاعتقاد نفاق وبالإقرار كفر وبالعقل فسق.

* [والعمل ليس جزءاً من حقيقته^(٢) حتى يلزم من عدمه عدمه كما هو مذهب المعتزلة من إثبات المنزلة بين المنزلتين لمرتكب كبيرة، ومذهب الخوارج من إثبات الكفر لمن أذنب بل هو جزءٌ عرفي له كالظفر والشعر واليد ليزيد وكالأغصان للشجرة والإيمان هو القدر المشترك بينه وبين التصديق، وبينه وبين الأعمال، فيطلق على التصديق وعلى المجموع حقيقة كإطلاق الشجر على ساق أو على مجموع الساق والأغصان والشعب والأوراق، فما بقي الساق لا يقال بانعدامه، وسيأتي تحقيق الإسلام في الحجرات - والله أعلم]^(٣).

﴿وَيُؤْمِنُونَ الصَّلَاةَ﴾ يعدلون أركانها^(٤) أو يواظبون عليها^(٥) ﴿وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ أي: في الخير، خصّ الثلاث لمزيد فضلهم ومنع بـ ﴿مِنْ﴾ عن السرف^(٦). والرزق: ما يسوقه الله إلى الحيوان مما يتتفع^(٧) به، وهو أربعة: مضمون كالغذاء، ومقسوم في اللوح. ومملوك، وموعد بشرط التقوى، ويجب التوكل في الأول^(٨).

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ عبّر بالماضي، تغليبا للموجود ﴿وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ من

(١) وهو الصحيح.

(٢) بل الإيمان قول وعمل، واعتقاد.

(٣) ما بين المعكوفتين من (د)، و(ن).

(٤) ويحفظونها من أن يقع زيغ في أفعالها، ومن: أقام العود إذا قومه. * البيضاوي (٨).

(٥) من قامت السوق إذا نفقت وأقمتها إذا جعلتها نافقة. * البيضاوي (٨).

(٦) وهو مجاوزة الحد في النفقة.

(٧) التوقيف (٣٦٢)، التعريفات - للجرجاني (١١٥)، الكلبيات (٢/٣٨٠).

(٨) بل في كل الأمور.

الكتب، والإيمان بهما جُمْلَةً فَرَضُ عَيْنٍ، وبالأول تفصيلاً. مِنْ حَيْثُ إِنَّا مُتَعَبِدُونَ بتفاصيله فرض كفاية.

* تنبيه:

الإنزال: النقل^(١) من أعلى إلى أسفل، وهو في المعاني يتوسط الذوات الحاملة لها ونزول القرآن بحفظ الملك إياه من اللوح إلى السماء الدنيا ثم أمره السَّفَرَةَ بانتساخه ثم تنزيله بحسب المصالح - كذا قاله الأكثرون.

وفي ابتداء الوحي، هل هو بنقل ملك آخر إلى جبريل أنه مأمور بالإنزال أو بخلق علم ضروري في جبريل^(٢) به؟ خلاف، واعلم أنهم اختلفوا في خلقه؛ لتعارض قياسين هما: كلام الله صفة وكل ما هو صفة قديم، فهو قديم، وكلام الله مؤلف من حروف متعاقبة في الوجود، وَكُلُّ مَا هُوَ كَذَلِكَ حَادِثٌ فَهُوَ حَادِثٌ، والحق الأول؛ لحديث: «القرآن كلام الله غير مخلوق»^(٣) وكيفية، ولأن مبدأ الكلام فينا صفة يتمكن بها من نظم الكلمات على وجه ينطبق على المقصود، وهي ضد الخرس وغير العلم، فإننا نعلم كلاماً هو لغيرنا وكلام كل أحد ما رتبته في خياله، وكلماته - تعالى - ما رتبته في علمه الأزلي بصفته الأزلية التي هي مبدأ تأليفها وترتيبها، وهذه الصفة قديمة، وكذا المرتب بحسب وجوده العلمي ولا تعاقب فيه فلا حدوث^(٤)، وإنما تعاقبه بحسب

(١) أو الإهواء بالأمر من علو إلى سفلى.

* الكليات (١/٣٢٨)، المفردات (٧٤٤)، التوقيف (٩٨)، تعريفات ابن الكمال (٢٥).

(٢) هذه من ترهات علم الكلام التي يجب تركها والقرآن كلام الله ألقاه إلى جبريل فعلمه جبريل لنبينا - ﷺ - : ﴿ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ ﴿١٣٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾.

(٣) لا يصح في هذا الباب شيء - رواه الخطيب في تاريخه (٢/٣٨٩)، وابن عدي في الكامل (١/٢٠١)، وابن الجوزي في الموضوعات (١/١٠٦، ١٠٩). وانظر: اللألى المصنوعة (١/٤، ١٠)، تنزيه الشريعة المرفوعة (١/١٣٤، ١٣٦)، الفوائد المجموعة (٣١٣) ترتيب الموضوعات للذهبي (٢).

(٤) القرآن كلام الله تعالى، وليس بمخلوق والله تعالى يتكلم، قال تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ وقال: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾ وقال: ﴿ إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي ﴾ فلا حاجة إلى التلسف لإثبات صفات الله فالفلسفة ضلال وخزي وهزيمة.

وجوده الخارجي، وهو^(١) بحسبه كلام لفظي فإنكار كون ما بين الدفتين كلام الله، كإنكار شعر الفلاني كلامه، إذ مَعْنَى كَوْنِهِ [هـ] كلامه - تعالى - أنه ذلك الكلام موجوداً بالوجود اللفظي، تأمل هذا التحقيق تخرج من كل مضيق والله - تعالى - أعلم. ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ إيقاناً ينبغي، واليقين^(٢): إيقان العلم^(٣) بنفي الشبهة عنه استدلالاً، فلا يوصف به علمه - تعالى - ﴿أُولَئِكَ﴾ الْمَوْصُوفُونَ مستقرون. ﴿عَلَىٰ هُدًى﴾ هدية من إله عظيم عظيمة ممنوحة ﴿مِن دَيْهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الكاملون في الفلاح أي: الظفر على المطالب^(٤) ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ كأبي لهب وأضرابه^(٥)، والكُفْرُ: إنكار ما عَلِمَ صَرُورَةً أنه من دين محمد - ﷺ - أو فعل يدل عليه [والكفر^(٦) عَدَمُ الإيمان عما من شأنه الإيمان، والكافر إن أظهر الإيمان فمناق، أو سبقه إيمان فمرتد، وإن آل مُعْتَقَدُهُ إِلَى تَعَدُّدِ الْأَلْهَةِ فَمُشْرِكٌ، أو يَدِينُ بَكِتَابِ سَمَاوِي فَكِتَابِي، أو اعتقد إسناد الحوادث إلى الزَّمان فدهري، أو نفى الصَّانع فمعطل، أو أبطن عقائد هي كفر وفاقاً

(١) في (ن): وهذا بحسب كلام.

(٢) غلب على المؤلف - رحمه الله - التعريفات على طريقة المتكلمين وقد تأثر في ذلك بشيخه الجلال الدواني المتوفي سنة ٩١١هـ.

(٣) في (ن): إتقان العلم. واليقين لغة: العلم الذي لا شك معه واصطلاحاً: اعتقاد الشيء بأنه كذا مع اعتقاد أنه لا يمكن إلا كذا مطابقاً للواقع غير ممكن الزوال.

* التعريفات - للجرجاني (٢٨٠)، المفردات (٨٤٨)، الكلبيات (٨٩/١)، التوقيف (٧٥٠).

(٤) الفلاح: الظفر وإدراك البغية، وذلك ضربان: دنوي وآخروي، فالدنيوي: الظفر بالسعادة التي تطيب بها حياتها، والآخروي على أربعة أشياء: بقاء بلا فناء، وعز بلا ذل، وغنى بلا فقر، وعلم بلا جهل. * الكلبيات (٣٥٦/١)، والتوقيف (٥٦٣).

(٥) كذا قال المؤلف - رحمه الله - وعن الضحاك قال: نزلت في أبي جهل، وخمسة من أهل بيته، وقال الكلبي: يعني اليهود. * تفسير الطبري (٢٥١/١)، أسباب النزول للواحدى (١٣)، الوسيط - له

(٨٣/١)، العجائب - لابن حجر (٢٢٩/١، ٢٣٢)، غرائب القرآن (١٤١/١)

وقال الماوردي في النكت والعيون (٧٢/١): واختلف فيمن أريد بذلك، على ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهم اليهود الذين حول المدينة - وبه قال ابن عباس، وكان يسميهم بأعيانهم.

والثاني: أنهم مشركو أهل الكتاب كلهم - وهو اختيار الطبري.

والثالث: أنها نزلت في قادة الأحزاب - وبه قال الربيع بن أنس.

(٦) في (ن): فالكفر.

فرنديق - والله أعلم] ^(١) ﴿سَوَاءٌ﴾ مستو ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي: أنذرتهم ﴿أَي: إِنْذَارِكْ﴾ ﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ أي: عدم إندارك، فالهمزة و ﴿أَمْ﴾ لمجرد الاستواء بلا استفهام يؤكدان معناه ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ تأكيد للجملة، [وَدَلَّتْ عَلَى جَوَازِ التَّكْلِيفِ بِمَا لَا يَطَاقُ إِذْ لَوْ آمَنُوا لَزِمَ الكَذِبَ، وَالتَّكْلِيفَ بِالمَمْتَنَعِ لِذَاتِهِ جَائِزٌ عَقْلًا غَيْرِ وَاقِعٍ لِلاِسْتِقْرَاءِ ^(٢)، وَأما الممتنع لغيره كما علم الله - تعالى - عدم وقوعه أو أخبر أو أراد فواقع كالمخبر عنه في الآية، وحينئذ علم أن] ^(٣) حِكْمَةُ الإِنْذَارِ إِقَامَةُ الحِجَّةِ وَعَمُومُ الإِرْسَالِ وَإِثَابَةُ الرِّسُولِ، وَلِذَا لَمْ يَقُلْ: سَوَاءٌ عَلَيْكَ ﴿خَتَمَ اللهُ﴾ اسْتَوْثِقَ بِضَرْبِ الخَاتَمِ ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ فَلَا يَعْرِفُونَ الحَقَّ، ﴿وَعَلَى﴾ مواضع ﴿سَمِعِهِمْ﴾ فَلَا يَسْمَعُونَهُ ﴿وَعَلَى أَبْصَرِهِمْ غِشَاةٌ﴾ غطاء عظيم، فَلَا يَبْصُرُونَهُ اسْتِعَارَةٌ عَنِ إِحْدَاثِ مَا يَمْرُنُهُمْ عَلَى حُبِّ الكُفْرِ، وَوَحْدِ السَّمْعِ لِوَحْدَةِ المَسْمُوعِ وَهُوَ الصَّوْتُ دُونَهُمَا، أَوْ لِلْمَصْدَرِيَّةِ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ﴾ هُوَ إِصْطِلَ الأَلَمَ إِلَى حَيِّ هَوَانَا ﴿عَظِيمٌ﴾ صَدَّ الحَقِيرَ ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ مَبْتَدَأٌ، أَي: بَعْضُهُمْ ^(٤) وَهُم جَمَاعَةٌ حَيوانِ ذِي فِكرٍ وَرَوِيَّةٍ ﴿مَنْ يَقُولُ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ مِنَ الحِشْرِ إِلَى مَا لَا يَنْتَهِي ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ حَقِيقَةٌ، دَلَّ عَلَى كُفْرٍ مِنْ ^(٥) خَالَفَ قَلْبُهُ لِسَانَهُ ﴿يُخَدِّعُونَ اللهُ وَالَّذِينَ ءَأَمَنُوا﴾ بِإِظْهَارِ الإِيمَانِ وَإِبْطَانِ الكُفْرِ، وَالخَدْعُ ^(٦): إِيهَامُكَ خِلَافَ مَا تَخْفِيهِ مِنَ الشَّرِّ، وَهُوَ مَعَ اللهُ مُحَالٌّ، فَالمَرَادُ: مُخَادَعَةٌ خَلِيقَتَهُ ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾ ذَوَاتِهِمْ، أَي: ضَرَّرَ خَدْعُهُمْ يَحِيقُ بِهِمْ ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ لَا يَحْسُونَهُ؛ لَغْفَلَتِهِمْ ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ كَالنَّفَاقِ، وَالمَرَضُ: مَا يَعْضُضُ لِلبَدَنِ فَيُخْرِجُهُ عَنِ عَدَالَتِهِ، وَهُوَ مَجَازٌ فِي الأَعْرَاضِ

(١) ما بين المعكوفتين من (د)، و(ن).

(٢) قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾، وقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَتْهَا﴾.

(٣) ساقط من (ح) وهو في (د)، و(ن).

(٤) الناس: لفظ وضع للجمع كالقوم والرهط والجيش، وواحدة: إنسان لا من لفظه.

* الوسيط - للواحد (١/٨٦).

(٥) في (ن): ما خالف.

(٦) الخدع: إظهار خير يتوسل به إلى إبطان شر يؤول إليه أمر ذلك الخير المظهر، وقيل: هو إنزال الغير

عما هو بصدده بأمر يبدیه علی خلاف ما یخفیہ. * المفردات (٢٠٦)، والتوقيف (٣٠٩).

النفسانية الْمُخِلَّةَ بِكَمَالِهَا وَالْآيَةَ تَحْتَمِلُهُمَا^(١) ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ كلما نزلت آية ﴿أَزْدَادُوا كُفْرًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: مؤلم، اسم مفعول أسند مبالغة ﴿يَمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ بكذبهم أو تكذبيهم الرسل، دل على حُرْمَةِ كُلِّ كَذِبٍ، وَهُوَ الْخَبْرُ عَنِ الشَّيْءِ عَلَى خِلَافِ مَا هُوَ بِهِ، وَحَدِيثُ: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَذَبٌ»^(٢) بمعنى التعريض، وهو أن يشير بالكلام إلى جانب ويريد منه جانباً آخر ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بنحو^(٣) الكفر وإفشاء سر المسلمين في الكفار ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ نداري المؤمنين والكفار إصلاحاً بينهما، والفساد: الخروج عن الاعتدال^(٤)، والصلاح ضده، ويعمان كُلُّ ضَرْبٍ وَنَفْعٌ ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ الصَّحَابَةُ، دَلَّ عَلَى قَبُولِ تَوْبَةِ الزَّنَدِيقِ، وَهُوَ مُطَهِّرُ الْإِسْلَامِ مَبْطِنُ الْكُفْرِ ﴿قَالُوا أَتُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ﴾ أي: الناس، وَالسَّفَهَاءُ: خِيفَةُ الرَّأْيِ^(٦)، وَيُقَابِلُهُ الْحِلْمُ ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ خَصَّةٌ بِالْعِلْمِ؛ لِاحْتِيَاجِ الْفَرْقِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ إِلَى مَزِيدٍ نَظَرَ بِخِلَافِ قَبْحِ النِّفَاقِ فَإِنَّهُ يُعْرَفُ بِأَدْنَى شَعُورٍ ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا انفردوا﴾ إِلَى ﴿مَعَ شَيْطَانِيهِمْ﴾. مِنْ أَصْحَابِهِمْ ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ فِي الدِّينِ ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ لَا عِبُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ، وَالْجَمَلَتَانِ قِصَّةٌ وَاحِدَةٌ لِبَيَانِ نِفَاقِهِمْ فَلَا تَكَرَّرَ ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ أَرَادَ غَايَتَهُ كَمَا مَرَّ أَوْ جَزَاءَهُ^(٧)، وَأَشَارَ

(١) يعني الأمراض العضوية، والنفسانية.

(٢) حديث «إن إبراهيم كذب» يريد حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «لم يكذب إبراهيم قط إلا ثلاثاً.... الحديث». رواه البخاري في صحيحه (٣٣٥٧) و (٣٣٥٨) كتاب الأنبياء - باب قول الله تعالى: ﴿وَأَتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ و (٥٠٨٤) كتاب النكاح - باب: اتخاذ السراري، ومسلم في صحيحه (٢٣٧١) كتاب الفضائل - باب: من فضائل إبراهيم الخليل - ﷺ - .

(٣) في (ن): بنحوى.

(٤) قليلاً كان الخروج أو كثيراً.

* الكلبيات (٣/٣٤٨)، المفردات (٥٧١)، معجم التوقيف - للمناوي (٥٥٥).

(٥) هو خفة النفس لتقصان العقل وهو خفة تعرض للإنسان من الفرح والغضب فتحمله على العمل بخلاف طور العقل وموجب العقل. * المفردات (٤٠٧)، التعريفات (١٢٥).

(٦) يعنى من باب المقابلة. * عمدة الحفاظ (٤/٢٥٠).

بالمضارع إلى تجدده، ومنه: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾^(١) في كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ ﴿وَيَذَكَّرُهُمْ﴾ يزيدهم ويقويهم ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ غلوهم في الكفر ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يتحيرون، العمه: عدم الدراية بسلوك الطريق^(٢)، والمعتزلة [بمنعهم إسناد القبيح إليه - تعالى -] ^(٣) يؤلون الآية [ونظائرها بمجازات بعيدة، جاهلين بأن لا قبيح بالنسبة إليه - تعالى - فلا يتصور في أفعاله ظلم^(٤) إذ له التصرف في ملكه كيف يشاء، وإنما يوصف به وبأمثاله أفعالنا باعتبار كسبنا وقيامها^(٥) بنا فقط - كما سيأتي - ولا يجوز صرف الكلام عن ظاهره إلا ببرهان يمنعه كما بين في موضعه - والله أعلم].

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ الفطري أي: اختاروها عليه، وأصله^(٦) بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الأعيان، ثم استعير للإعراض عمًا في يده محصلًا به غيره، ثم استعمل لما مرّ اتساعًا ﴿فَمَا رِيحَتْ بِمَدَرَتْهُمْ﴾ ما ربحوا فيها ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ إلى طرفها، إذ أضاعوا رأس مالهم ﴿مَثَلُهُمْ﴾ أي: عجيب حال المنافقين حين أظهروا الإسلام، وأصل المثل: النضير^(٧) ثم قيل للقول الفاشي الممثل مضربه بمورده، ثم استعير لكل حال غريب ذي شأن ﴿كَمَثَلِ﴾ الفوج^(٨) ﴿الَّذِي أَسْتَوَقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾ النار ﴿مَا حَوْلَهُ﴾. وأمنوا من الخوف ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ المقصود بالإيقاد،

(١) في (ن): إلى آخره.

(٢) عمدة الحفاظ (٣/١٢٦).

(٣) ساقطة من (ج) وهي في (د).

(٤) الله خالق الخير والشر، لكن من باب الأدب مع الله - تعالى - أن لا ننسب الشر إليه، فلا ندعوا إلا بأسمائه الحسنی، كما قال النبي - ﷺ -: «الخير كله بيدك والشر ليس إليك».

(٥) ساقطة من (ج) وهي في (د)، و(ن).

(٦) يعني: الشراء.

(٧) المثل: هو القول السائر وفق الحال التي ضرب لها، ولا بد فيه من غرابة. * العمدة (٤/٦٨).

(٨) الفوج - بفتح الفاء وسكون الواو -: الجماعة من الناس وغيرهم، فهو اسم جمع كقوم ورهط، ويجمع على أفواج. * عمدة الحفاظ (٣/٢٥٥).

فبقوا في ظلمة وخوف، وهذا مثل كفرهم بعد الإسلام وعدل عن ضوئهم^(١)؛ لئلا يحتمل بقاء قليل من النور [وأيضاً إذا عدم الأصل عدم الفرع والتحقيق أن الضوء فرع من النور يُطْلَقُ على الشُعاع المُنبَسِّطِ، والنور يطلق على ما للشيء في نفسه كالقائم بنفس الشمس، فالضوء^(٢) - مع فرعيته أبلغ؛ لأنه إنما يبصر بدخليته ولا يكفى فيه النور، إذ النور القائم بالشيء إنما يبصر به نفسه فقط وأما رؤية ما سواه فتوسط الضوء الفاض منه - والله أعلم]^(٣) ﴿وَتَرَكَّهُمْ فِي ظُلْمَةٍ﴾ ظلمات الكفر والمعاصي والقبر أو القيامة أو ظلمة شديدة كأنها ظلمات^(٤) ﴿لَا يَبْصُرُونَ﴾ هم ﴿صُمُّ﴾ عن قبول الحق ﴿بِكُمْ﴾ عن قوله ﴿عُمِّي﴾ عن إبطاره^(٥) لدهشة الظلمة ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ إلى الهدى المبيح، فحالهم كما ذكر ﴿أَوْ كَصَيْبٍ﴾ سحاب مطر أو سحاب ﴿وَمِنْ﴾ جوانب ﴿السَّمَاءِ﴾، هذا من إجراء التمثيل بإزاء القرآن^(٦) ﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ﴾ من تكاثف الغمام

(١) يعني لم يقل: بضوئهم، قال السمين الحلبي في عمدة الحفاظ (٤/ ٢٣١): ولم يقل بضائهم؛ فلم ينف عنهم ما هو أقوى، وجوابه: أنه لا يلزم من نفي الأخص نفي الأعم، إذ لو نفى عنهم الضوء؛ لجاز أن يتوهم بقاء نور، فإذا نفى عنهم النور الذي هو أعم، لزم منه نفي الضوء الذي هو أخص.

(٢) النور في الأصل هو الضوء المنتشر الذي يعين على الإبصار.

(٣) ساقطة من (ح) وهي في (د)، و(ن).

(٤) النكت والعيون - للماوردي (١/ ٨٠).

(٥) تفسير الوسيط (١/ ٩٤).

(٦) قال الماوردي - رحمه الله تعالى -: وفي تشبيه المثل في هذه الآية أقاويل:

أحدها: أنه مثل للقرآن، شبه المطر المنزل من السماء بالقرآن، وما فيه من الظلمات بما في القرآن من الابتلاء، وما فيه من الرعد بما في القرآن من الزجر، وما فيه من البرق بما في القرآن من البيان، وما فيه من الصواعق بما في القرآن من الوعيد الآجل والدعاء إلى الجهاد في العاجل - وهذا المعنى عن ابن عباس.

والثاني: أنه مثل، لما يخافونه من وعيد الآخرة لشكهم في دينهم، وما فيه من البرق بما في إظهار الإسلام من حقن دمائهم ومناكحهم وموارثهم، وما فيه من الصواعق بما في الإسلام من الزواج بالعقاب في العاجل والآجل.

والثالث: أنه ضرب الصيب مثلاً بظاهر إيمان المنافق، ومثل ما فيه من الظلمات بصلابته، وما فيه من البرق بنور إيمانه، وما فيه من الصواعق بهلاك نفاقه. * النكت والعيون (١/ ٨٢، ٨٣).

والمطر [و٦] والليل، وهذا بإزاء شبه المبطلين ﴿وَرَعَدٌ﴾ صَوْتُ مَلِكِ السَّحَابِ^(١) وهذا بإزاء وعيدات القرآن ﴿وَرَقٌّ﴾ نار تطير من فيه عند غضبه، هذا بإزاء ما وُعدَ في القرآن ﴿يَجْعَلُونَ أَصْنَعَهُمْ﴾ أناملهم ﴿فِيءِ آذَانِهِمْ مِّنْ﴾ أَجَلٍ ﴿الصَّوْعِقِ﴾. [جمع: صاعقة وهي]^(٢) شدة صوت الرعد ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ هذا بإزاء تصاممهم من الوعيدات، وهذا من التمثيل المفرد، وهو أن تأخذ أشياء فرادى تُشَبِّهُهَا بِأَمْثَالِهَا [ويمكن جعله تمثيلاً مؤلفاً فهو تشبيه كيفية منتزعة من مجموع تضامات أجزاءه حَتَّى صَارَ شَيْئًا وَاحِدًا بِأُخْرَى مِثْلَهَا كَقَوْلِهِ - تعالى -: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ خُمِلُوا الثَّورَةَ... الْآيَةَ﴾^(٣) ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ لا يفوتونه كالمحاط لا يفوت المحيط^(٤) ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ﴾ يأخذ بسرعة ﴿أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَّشْوَاهَ﴾ أي: في ضوئه، هذا بإزاء اهتزازهم بما ظهر لهم من غنيمة تطمح إليها أبصارهم ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ وقفوا، هذا بإزاء توقفهم عند عروض بلاء وأتى بـ«كلما» مع أضواء وبـ«إذا» مع أظلم؛ لِحَرَصِهِمْ عَلَى الْمَشْيِ ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾ بقصيف الرعد ﴿وَأَبْصَرَهُمْ﴾ بوميض البرق لشدتهما، ولكن المانع عدم مَشِيَّتِهِ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي شي ﴿قَدِيرٌ﴾ ومنه أفعال العباد، والقدير: الْفَعَّالُ لِمَا يَشَاءُ [والمقتدر يقاربه إذا استعمل فيه - تعالى - والمستعمل فينا بمعنى المكتسب للقدرة]^(٥)، والقادر: الذي إن شاء فعلاً فعله، وإلا فلا^(٦)، والقدرة: التمكن من إيجاد الشيء^(٧) [وأصل الشيء: مصدر شاء يشاء، وهنا بمعنى مَشَى، كما أنه

(١) رواه الترمذي في جامعه (٥/٣٤٨ / ٣٣٨٠) وأحمد (٢٤٨٣) وسنده ضعيف، إلا أنه ورد موقوفاً عن عدة.

* وانظر: الهيئة السنية - للجلال السيوطي (٤٨/ بتحقيق).

(٢) ساقطة من (ح) وهي في (د)، و(ن).

(٣) ساقطة من (ح) وهي في (د).

(٤) تفسير الطبري (١/٣٥٦)، تفسير الوسيط (١/٩٦).

(٥) ساقطة من (ح) وهي من (د)، و(ن).

(٦) قال الإمام ابن الأثير في النهاية (٤/٢٢): في أسماء الله تعالى: (القادر، والمقتدر، والقدير) فالقادر:

اسم الفاعل من قدر يقدر، والقدير: فعيل منه وهو للمبالغة، والمقتدر: مفتعل من اقتدر، وهو أبلغ.

(٧) لسان العرب (٥/٣٥٤٦).

بمعنى شائي في آية: ﴿قُلْ أُمِّي شَيْءٌ أَكْبَرُ﴾ [الأنعام: ١٩] فيختص بالوجود فيهما، والمعتزلة لما عرفوه^(١) بما صحَّ أن يُوجَدَ وَمَا صحَّ أن يعلم ويخبر عنه، خصَّصوه بالمؤمنين^(٢) ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ يشمل الموجودين ومن سيوجد، ولا يمنعه ورود أنه أينما^(٣) وقع فمكي كما أن ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ مدني ﴿اعْبُدُوا﴾ عمَّ المؤمن والكافر والمنافق؛ لأن زيادة العبادة عبادة، فاشترك الكل فيها ﴿رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ ما تقدمكم ذاتاً أو زماناً ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي: اعبدوه راجين دخولكم في المتقين الفائزين بكمال الفلاح أو «لعل» بمعنى كي، علة لخلق، دلت الآية على أنا لا نستحق عبادته ثواباً، فإنه جعلها شكراً لنعمة، هو ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ بساطاً بإخراج بعضها عن الماء، هذا لا ينافي كَرِيَّتِهَا الحسية^(٤).

﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ قُبَّةٌ ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ﴾ جانب ﴿السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ بيان لقوله ﴿رِزْقًا﴾ مرزوقا ﴿لَكُمْ﴾ أو تبعيضية وهو حال ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ أمثالاً في عبادتكم إياها ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنها لا تماثله بوجه ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا﴾ القرآن ﴿عَلَى عَبْدِنَا﴾ محمد - ﷺ -^(٥) ﴿فَأْتُوا﴾ أمر تعجيز ﴿سُورَةٍ﴾ وقد مر معنى السورة، بمقدارها كائنة ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ مثل ما نزلنا في البلاغة والإخبار عن الغيب ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾ أعوانكم في اختراعها ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ غيره وَأَصْلُ «دُون» أقرب مكان، ثم استعير للرتب، ثم استعمل اتساعاً في كُلِّ تَجَاوَزَ حَدًّا إِلَى حَدٍّ ﴿إِنْ كُنْتُمْ﴾ [٦ظ] صَادِقِينَ ﴿أَنَّهُ كَلَامَ بَشَرٍ﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا ﴿أَتَى بِ«إِنْ» الشَّكِّيَّةِ تَهَكُّمًا أَوْ عَلَى زَعْمِهِمْ وَلِذَا نَفَاهَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ أَبَدًا^(٦) لِلْإِعْجَازِ^(٧) وعبر بالفعل عن الإتيان من المكيف

(١) في هامش (ب): لعله: خصَّوه.

(٢) ساقطة من (ح) وهي في (د).

(٣) يعني قوله: «يا أيها الناس» ا.هـ.

(٤) فالأرض شبه كروية.

(٥) النكت والعيون - للمارودي (١/ ٨٤)، روح المعاني (١/ ١٩٨).

(٦) نفي التأييد.

(٧) في هامش (ن): لإعجازه.

إيجازًا ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا﴾ ما توقد به ﴿النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ أصنامكم التي تزعمونها شفعاء، أو الكبريت^(١) نزل لازم الجزاء منزلته تقريرًا للمكنى عنه، وتهويلًا لشأن العناد وتصريحًا بالوعيد مع الإيجاز، وإثما عرفها^(٢) ونكرها^(٣) في التحريم لتأخير نزول ذلك ﴿أُعِدَّتْ﴾ النَّارُ ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ دل على أنها مخلوقة^(٤) ﴿وَيَسِّرْ﴾ أي: أخبر خبرًا سارًا، فإنه يظهر السرور في البشارة ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ بلا ريباء، بشرط الموت عليه، بدليل: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ﴾ ﴿أَنَّ﴾ بأن ﴿لَهُمْ جَنَّتْ﴾ هي سبع، أعلاها الفردوس، ثم عدن، ثم النعيم، ثم دار الخلد، ثم جنة المأوى، ثم دار السلام، ثم عليون ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾ تحت غرفها وأشجارها ﴿الْأَنْهَارُ﴾ أي: ماؤها بلا محدود

(١) الدر المنثور (١/٣٦)، معاني القرآن - للزجاج (١/٦٧)، فتح القدير - للشوكاني (١/٥٣).

(٢) يعني: هنا.

(٣) يعني في قوله: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾.

(٤) انظر: صفة النار - للمقدسي.

وقال ابن عادل الحنبلي: هذه الآيات صريحة في أن الجنة والنار مخلوقتان؛ لأنه - تعالى - قال في صفة النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة/٢٤)، وقال في صفة الجنة في آية أخرى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران/١٣٣)، وهذا إخبار عن وقوع هذا الملك وحصوله قال الشيخ مرعي الكرمي: وإلى القول بأنهما مخلوقتان ذهب جمهور الأمة.

وذهبت طائفة من المعتزلة والخوارج إلى أنهما لم تخلقا بعد، وبه قال منذر بن سعيد البلوطي واحتجوا بقول امرأة فرعون: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ (التحریم/١١)، وبما جاء في الأحاديث الصحيحة: من عمل كذا غرس له في الجنة كذا.

قالوا: لو كانت الجنة مخلوقة لم يكن للدعاء في استئناف الغرس والبناء فائدة.

وأجيب بأنه لا مانع من أن يحدث الله في الجنة أشياء ينعم بها على عباده شيئًا بعد شيء وحالًا بعد حال، فيحدث فيها ما شاء من البنيان والغرس، كما أن الأرض مخلوقة، ثم يحدث الله - تعالى - فيها ما يشاء من بنيان وغيره.

* والدليل على وجود الجنة الآن ما مر، وقوله تعالى: ﴿يَتَذَكَّرُ أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ (البقرة/٣٥)، وقوله تعالى: ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ (النجم/١٥).

وقوله - ﷺ - في حديث الترمذي وصححه: «لما خلق الله الجنة والنار، أرسل جبريل - عليه السلام - إلى الجنة فقال: انظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها... الحديث».

قال: وقد أطال العلامة ابن القيم الكلام على ذلك في أول كتابه «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح: فراجعه.

* الكلمات البينات - للكرمي (٤٨، ٤٩/ ضمن لقاء العشر الأواخر - دار البشائر الإسلامية).

﴿كَلَّمَآ رَزَقُوا مِنهَا﴾ أي: الجنات ﴿مِنْ ثَمَرَةٍ﴾ ابتداءً ببيان، والثاني متعلقه ﴿رَزَقَا﴾ أي: مرزوقاً ﴿قَالُوا هَذَا﴾ مثل ﴿الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ في الدنيا، وإنما جعلت من جنس ثمرة الدنيا صورة؛ لتميل النفس إليها أول ما رأت للإلف، أو في الجنة، كما في الحديث^(١) وحينئذ ف«كلما» عرّفني أكثرني فلا يُشكّل بالكرة الأولى ﴿وَأَتُوا بِهِمْ مَسْنِيَهَا﴾ في الصورة التي هي مناط الاسم^(٢) ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ عما يُسْتَفْذَرُ وَيُدْمَمُ خَلْقًا وَخُلُقًا، ولا يرد^(٣) أنه أي: فائدة فيهما مع غنائنا عن التغذية وحفظ الفرج ونحوه؟ لأنّ مطاعم الجنّة وَمَنَّا كَحِجَّهَا لا تشارك نظائرها الدنيوية في تمام حقيقتها، بل إنّما تسمّى بأسمائها استعارة ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ دائمون؛ لأنه - تعالى - يعيد أبدانهم على كيفية تصون^(٤) من الاستحالة^(٥)، وأصله ثبات مديد دام أم لا، ولذا يوصف بالأبدية.

ولما قالوا: كيف يضرب الله الأمثال بالصَّيْبِ والمُسْتَوْفِدِ والعَنْكَبُوتِ نزل^(٦): ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾^(٧) أي: لا يترك ترك المستحي، إذ الحياء: انقباض النفس من القبيح مخافة الذم، وهو - تعالى - مُنَزَّه عنه، وَأَصْلُهُ التَّهَيُّبُ، وآثره على الترك مبالغة أو مماثلة لكلام الكفرة ﴿أَنْ يَضْرِبَ﴾ يبين ﴿مَثَلًا﴾ شبهًا ﴿مَا﴾ أي: شبه، وضرب المثل: اعتماله من ضرب الخاتم ﴿بِعَوْضَةٍ﴾ صغير البق ﴿فَمَا قَوْفَهَا﴾ صغراً أو كبيراً

(١) تفسير الطبري (١/١٣٣).

قوله تعالى: ﴿قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ يعني: في الدنيا - قاله ابن مسعود وابن عباس - أيضًا وقناة ومجاهد وابن زيد، أي: قالوا: هذا الذي رزقنا من ثمرات الجنة مثل الذي كنا رزقناه من ثمار الدنيا، أي: في الصورة والاسم. * الكلمات البينات - للكرمي (٦٠).

(٢) تفسير ابن كثير (١/٦٣)، تفسير الطبري (١/١٣٣، ١٣٤)، الدر المنثور (١/٨٣).

(٣) يعني: لا يرد على الذهن والفكر هذا السؤال.

(٤) كذا - والمراد تحفظ وتصان.

(٥) التحول والتغير.

(٦) عن قتادة قال: لما ذكر الله - تبارك وتعالى - العنكبوت والذباب، قال المشركون: ما بال العنكبوت والذباب يذكران؟ فأنزل الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا قَوْفَهَا - الآية.

رواه عبد الرزاق في تفسيره (١/٤١)، وابن أبي حاتم (١/٩٣/٢٧٤)، وابن جرير (١/١٣٨) ورجاله ثقات لكنه مرسل.

(٧) في هامش (ن): نصف الحزب.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ المثلث ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا آتَىٰ شَيْءٍ﴾ ﴿أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ [٧٧] ﴿وَحَالٌ أَوْ تَمْيِيزٌ، وَآثَرُهُ﴾ (١) ﴿عَلَىٰ: فلا يعلمون؛ بيانا لكمال جهلهم كناية، والإرادة نزوع النفس وميلها إلى فعل بحيث يحملها عليه، أو قوة هي مبدأ النزوع، وإرادة الله - تعالى - ترجيح أحد مقدوريه على الآخر في الإيقاع، أو معنى يوجب هذا الترجيح ﴿يُضِلُّ بِهِ﴾ بالمثلث ﴿كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ وكثرتهما بالنسبة إلى أنفسهما، إذ المهديون قليلون ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ الخارجين عن الإيمان، والفاستق شُرْعًا: الخارج عن أمر الله بارتكابه الكبيرة (٢)، وله ثلاث درجات:

* الأولى: التغابي بأن يرتكبها أحيانًا مستقبحًا إياها.

* الثاني: الانهماك فيها بلا مبالاة بها.

* الثالث: الجحود بأن يرتكبها مستصوبا إياها فهو كافرٌ خارجٌ عن الإيمان، كما

نحن فيه، وعند المعتزلة: مرتكب الكبيرة لا كافر ولا مؤمن (٣)؛ لأن الإيمان عندهم عبارة عن الأمور الثلاثة كما مر، والكفر تكذيب الحق، والنصوص تُرَدُّهُمْ ﴿الَّذِينَ يَنْفُضُونَ﴾ يبطلون وأصله (٤) فسخ طاقات الحبل ﴿عَهْدَ اللَّهِ﴾ في قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ (٥) ﴿مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ أي: توكيده بإرسال الرسل مع الكتب المذكورة

(١) يعني: قال ﴿فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ﴾ ولم يقل: فلا يعلمون.

(٢) التوقيف (٥٥٧)، الكليات (٣/٣٤٨)، المفردات (٥٧٢).

(٣) يعني في منزلة بين المنزلتين، وهذا فاسد وضعًا واعتبارًا.

وانظر في الرد على المعتزلة: منهاج السنة النبوية - لشيخ الإسلام ابن تيمية.

(٤) يعني: النقض.

(٥) سورة الأعراف (١٧٢) وقال الواحدي - رحمه الله تعالى -:

وذكر المفسرون في العهد المذكور في هذه الآية قولين:

أحدهما: ما أخذه على النبيين ومن اتبعهم، أن لا يكفروا بالنبي - ﷺ - وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ

اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَآءَآتِيَتْكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ (آل عمران / ٨١).

والثاني: أن يكون عهد الله الذي أخذه من بنى آدم يوم الميثاق حين قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾

(الأعراف / ١٧٢). * الوسيط (١/١١٠)، البحر المحيط (١/١٢٧).

﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ من الأرحام ونحوها مِمَّا هُوَ وَصَلَةٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَ اللَّهِ
﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بِالْمَعْصِيَةِ ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ وَالْخَاسِرُ مَنْ خَسِرَ أَحَدَ
ثَلَاثَةَ: الْمَالِ وَالْبَدَنَ وَالْعَقْلَ وَهُمْ مِنَ الثَّلَاثِ.

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا﴾ بِإِلَاحِيَاةٍ، أَي: تَرَابَا، أَوْ نُظْفَا
﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ بِإِلَاحِيَاةٍ، أَوْ تَرَاخٍ ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عِنْدَ انْقِضَاءِ آجَالِكُمْ؛ لِتَصَلُّوا إِلَى الْحَيَاةِ
الْأَبَدِيَّةِ ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ عِنْدَ نَفْخِ الصُّورِ، وَأَمَّا حَيَاةُ الْقَبْرِ فَغَيْرُ مُسْتَقَرَّةٍ^(١) ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ﴾ بَعْدَ الْحَشْرِ، جَعَلَ تَمَكُّنَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ بِالْحَشْرِ كَعَلْمِهِمْ بِهِ، وَحَقِيقَةُ الْحَيَاةِ
فِيْنَا الْقُوَّةُ الْحَسَّاسَةُ، أَوْ مَا يَقْتَضِيهَا مِنَ الْقُوَّةِ التَّابِعَةِ لِلْإِعْتِدَالِ النُّوعِيِّ، وَفِيهِ -تَعَالَى-
صِحَّةُ اتِّصَافِهِ بِالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ اللَّازِمِينَ لِهَذِهِ الْقُوَّةِ فِيْنَا.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ﴾ لِاتِّفَاعِكُمْ فِي دُنْيَاكُمْ بِوَسْطِ^(٢) أَوْ غَيْرِهِ، وَفِي دِينِكُمْ
اسْتِدْلَالًا ﴿مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ وَلَوْ سَمَاءٌ وَنَحْوَهُ، فَالْأَصْلُ فِي كُلِّهِ الْإِبَاحَةُ وَمَا يَعْمُ
كُلَّ مَا فِيهَا لِأَنْفُسِهَا إِلَّا إِذَا أُرِيدَ بِهَا جِهَةُ السُّفْلِ ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى﴾ قَصْدَ بِإِرَادَتِهِ^(٣) ﴿إِلَى
السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ﴾ عَدَلَهُنَّ بِإِلَاحِيَاةٍ، جَمَعَ؛ لِأَنَّهَا فِي مَعْنَى الْجَمْعِ^(٤) أَوْ جَمَعَ سَمَاءَ [ظ] أَوْ
مَبْهَمٍ يَفْسِرُهُ ﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ فَخَلَقَ السَّمَاءَ بَعْدَ خَلْقِ الْأَرْضِ وَمَا فِيهَا وَدَحُو
الْأَرْضِ، أَي: بِسَطِّهَا بَعْدَهُ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ.

فَلَا يَرُدُّ اسْتِشْكَالَ كَثِيرٍ مِنَ الْمَفْسِّرِينَ بِأَنَّ هَذَا وَمَا فِي «حَمِّ» السُّجْدَةِ^(٥) مِنْ قَوْلِهِ:

(١) لَا أُدْرِي مَا مَرَادُهُ بِهَذَا؟

وَقَدْ تَظَاهَرَتِ الْأَدَلَّةُ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ عَلَى أَنَّ حَيَاةَ الْقَبْرِ حَيَاةٌ كَامِلَةٌ مَحْسُوسَةٌ إِمَّا نَعِيمٌ أَوْ عَذَابٌ أَهْ.

(٢) كَذَا. وَلَعَلَّهَا: بِوَسْطِ، أَي: سَبَبٍ وَوِاسِطَةٍ.

(٣) وَهَذَا مَعْنَى الْإِسْتَوَاءِ فِي اللَّغَةِ. * وَانظُرْ: مَعَانِيَ الْقُرْآنِ - لِلْفَرَاءِ (١/٢٥).

(٤) فِي هَامِشِ (ن): وَالسَّمَاءُ تَكُونُ جَمْعًا لِسَمَاوَةٍ فِي قَوْلِ الْأَخْفَشِ، وَسَمَاءٌ فِي قَوْلِ الزَّجَاجِ، وَجَمَعَ الْجَمْعُ:

سَمَاوَاتٍ، أَوْ: سَمَاءَاتٍ، فَجَاءَ: «سَوَّاهُنَّ» إِمَّا عَلَى أَنَّ السَّمَاءَ جَمْعٌ، وَإِمَّا عَلَى أَنَّهَا مُفْرَدٌ اسْمُ جِنْسٍ وَقَدْ

تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى السَّمَاءِ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ ابْنُ عَادِلٍ.

(٥) يَعْنِي «فَصَلَّتْ».

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾^(١) ينافي ما في النازعات^(٢)، إذ فيها ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾^(٣). فأولوه تارة بأن ثم هنا للتراخي الرتبي لا الزماني، وتارة بأن «بعد» ليس ظرفاً «لدحاهها»^(٤)، وأن نصب الأرض بفعل دلَّ عليه: ﴿أَنْتُمْ أَشْدُّ﴾؛ لأن خلق ما في الأرض كالجبال والأنهار ونحوها ليس بدحوٍ ولا يستلزمه، فيمكن خلقها قبل دحوها وقبل السماء، وأما دحوها فبعد السماء؛ ليوافق تفسير أكابر الصحابة، والله - تعالى - أعلم.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٥) و﴿اذكُرْ﴾ إذ قَالَ رَبُّكَ ﴿تَعْلِيمًا لِلْمَشَاوِرَةِ وَتَعْظِيمًا لِآدَمَ وَبَيَانًا؛ لِأَنَّ الْحِكْمَةَ تَقْتَضِي إِجَادَ مَا يَغْلِبُ خَيْرُهُ شَرُّهُ﴾ ﴿لِلْمَلَائِكَةِ﴾ جمع ملائكة الذي مخففه ملك، والراجع أنه من الملك لا من الألوكة بمعنى الرسالة^(٥)، والمراد مُطْلَقُهُمْ، أَوْ مَلَائِكَةُ الْأَرْضِ.

والمَلَكُ: جسم لطيف قادر على التشكل بأشكال مختلفة^(٦) [وعند الحكماء^(٧) جَوَاهِرٌ مُجَرَّدَةٌ مخالفة للنفوس الناطقة حقيقة]، قيل: فمنهم المقربون المستغرقون في معرفة الحق، ومنهم السَّمَاوِيُّونَ من يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، ومنهم الأرضيون من يدبر أمر الأرض ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ من الله؛ لينفذ أحكامه امتحاناً لهم وتهديداً، لا عجزاً.

والخليفة: مَنْ يَخْلَفُ وَيَتَوَبُّ غَيْرَهُ، كما أن الخالفة من يستخلفه الرئيس على أهله أو من الجن أو أراد آدم وذريته يخلف بعضهم بعضاً ﴿قَالُوا﴾ استكشافاً^(٨) ﴿أَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ إنما عرفوه بإعلام الله، أو تلقياً مِنَ اللَّوْحِ

(١) سورة فصلت (١٠).

(٢) يعني في سورة النازعات.

(٣) سورة النازعات (٣٠).

(٤) في (ن): لدحيها.

(٥) الوسيط - للواحد (١١٢/١، ١١٣)، التبيان (٤٦/١).

(٦) الملائكة مخلوقة من نور كما ثبت في صحيح مسلم.

(٧) يعني: الفلاسفة قبهم الله.

(٨) النكت والعيون - للماوردي (٩٦/١).

أو قياسًا لأحد الثقلين على الآخر.

وَالسَّفْكَ وَالسَّبْكَ وَالسَّفْحُ وَالسَّنُّ وَالسَّنُّ أَنْوَاعٌ مِنَ الصَّبِّ ﴿وَمَنْ﴾ بِإِزَاءِ هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ ﴿سُيْحٌ﴾ ﴿نُبَعْدُكَ﴾^(١) عَنْ كُلِّ نَقْصٍ مَلْتَبِسِينَ ﴿بِمَحْمَدِكَ﴾ تَدَارَكُوا بِهِ مَا أَوْهَمَ إِسْنَادَهُمُ التَّسْبِيحَ إِلَى أَنْفُسِهِمْ ﴿وَنُقَدِّسُ﴾ نَظَرَ نَفُوسَنَا عَنِ الْمَعَاصِي ﴿لَكَ﴾ أَوْ نَقْدَسُكَ عَنِ النِّقْصِ، فَنَحْنُ أَحَقُّ ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ مِنَ الْمَصَالِحِ، ثُمَّ خَلَقَهَا^(٢) مِنْ أَدِيمِ الْأَرْضِ أَي: وَجْهَهَا^(٣).

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ﴾ بِخَلْقِ عِلْمٍ ضَرُورِيٍّ فِيهِ، أَوْ أَلْقَاهُ فِي رُوعِهِ.

والتعليم: فعل يترتب عليه العلم غالبًا ﴿الْأَسْمَاءُ﴾ لَفْظًا وَمَعْنَى وَحَقِيقَةً [و٨] مَفْرَدًا وَمُرَكَّبًا كَأَصُولِ الْعُلُومِ، فَإِنَّ الْأَسْمَاءَ بِاعْتِبَارِ الْأَشْتِقَاقِ عِلْمٌ لِلشَّيْءِ وَدَلِيلُهُ الَّذِي يَرْفَعُهُ إِلَى الذَّهْنِ ﴿كُلَّهَا﴾ حَتَّى الْقِصَّةِ وَالْقِصَّةِ^(٤) بِجَمِيعِ اللُّغَاتِ^(٥)، فَعَرَفَ جَمِيعَهَا، فَلَمَّا تَفَرَّقَ أَوْلَادُهُ تَكَلَّمَتْ كُلُّ قَوْمٍ بِلِسَانِ أَحِبُّوهُ وَتَنَاسَوْا غَيْرَهُ، وَلَا يَرِدُ أَنَا نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ زَمَانٍ بَنُوهُ يَضَعُونَ أَسْمَاءً لِمَعَانٍ، لِإِمْكَانِ أَنَّهُ عِلْمُهَا آدَمَ ثُمَّ ظَهَرَ فِي بَعْضِ الْأَزْمَنَةِ مِنْ بَعْضِ أَهْلِهِ.

أَفْهَمَتِ الْآيَةَ أَنَّ تَعْلَمَ اللُّغَةَ خَيْرٌ مِنَ التَّخْلِيقِ لِلْعِبَادَةِ، وَأَنَّ اللُّغَاتِ تَوْقِيفِيَّةٌ^(٦)، وَأَنَّ

(١) أي: ننزهك.

(٢) يعني: آدم.

(٣) لحديث أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله - ﷺ -: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةِ قَبْضِهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الْأَرْضِ، جَاءَ مِنْهُمْ الْأَحْمَرُ وَالْأَسْوَدُ وَالْأَبْيَضُ وَالسَّهْلُ وَالْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٦٩٣)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٩٤٨)، وَأَحْمَدُ (٤٠٠/٤، ٤٠٦).

(٤) رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٤٨٢/١، ٤٨٥). وَانظُرْ: تَفْسِيرُ ابْنِ عَبَّاسٍ (٧)، وَتَفْسِيرُ مُجَاهِدٍ (٧٣)، مَعَانِي الْقُرْآنِ لِلزَّجَّاجِ (٧٨/١)، الدَّرُ الْمُنْتَوَّرُ (٤٩/١).

(٥) تَفْسِيرُ الْوَسِيطِ (١١٦/١).

(٦) يعني: بوحى من الله وتعليم منه وهذا هو المذهب الصحيح من مذاهب للعلماء.

انظُرْ فِي ذَلِكَ بِالتَّفْصِيلِ: الصَّاحِبِيُّ - لَابِنِ فَارَسٍ (٦)، مَقْدَمَةُ تَاجِ الْعُرُوسِ (٥/١)، فَيْضُ نَشْرِ الْإِنْشِرَاحِ - لَابِنِ الطَّيِّبِ الْفَاسِي (١/٢٤٤، ٢٤٥)، الْمَحْصُولُ - لِلْفَخْرِ الرَّازِيِّ (١/٢٤٣، ٢٦٠)، الْمَنْخُولُ - لِلغَزَالِيِّ (٧٠)، الْخِصَائِصُ - لَابِنِ جَنِيِّ (١/٤٠، ٤١).

علوم الملك وكماله يقبل الزيادة، وأن آدم أفضل منهم ولو من وجه ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ أي: مسمياتها ﴿عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ﴾ تَبَكُّيْتُمْ لَهُمْ ^(١) ﴿أَنْبِئُونِي﴾ النبأ: خبر ذو فائدة عظيمة حصل علمًا أو غلبة ظن ﴿بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنكم أحقّاء بالخلافة المفهوم ضمناً، فلا يرد أن الصدق ليس في الاستخبار ﴿قَالُوا﴾ معتردين ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تنزيها لك أن يخفى عليك شيء، وسَيَّبِينَ في الإسراء ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ فيه تعريض بأنك علمته وما علمتنا ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ﴾ لا يخفى عليك شيء ﴿الْحَكِيمُ﴾ المحكم لمبدعاته ﴿قَالَ﴾ بعد عجزهم ﴿يَقَادِمُ أَنْبِيئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ فقال: أنت جبريل، وأنت ميكائيل حتى وصل الغراب وذكر حكمته التي خُلِقَ لَهَا ﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ﴾ توبيخاً أو تقريراً ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنْني أَعْلَمُ غَيْبَ﴾ ما غاب في ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ عن الخلق ﴿وَأَعْلَمُ مَا بُدُونَ﴾ تُظْهِرُ وَهُوَ بِالسُّنْتِكُمْ نحو: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ إلى آخره ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ تسرونه من أنكم أحق بالخلافة استفدنا أن تعلم اللغة خير من التخلي للعبادة، وأن اللغة، وأن اللغة توقيفية، وأن علوم المَلَكِ وكماله يقبل الزيادة وأن آدم أفضل منهم ولو من وجه ^(٢) ﴿وَوَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾ وأصل السجدة تدل مع اطمئنان، وشرعاً: وضع الجبهة عبادة وهو المراد ﴿لَادِمَ﴾ أي: إليه كالقبلة تعظيماً له وطاعة لله - عز وجل ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ اسم أعجمي أو عربي من الإبل، وعن ابن عباس - رضي الله عنه - هو من الملائكة يتوالدون ويسمون الجن، وعن الحسن أنه أبو الجن، قيل: معنى قوله - تعالى - ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ إنه كان منهم فعلاً، ومن الملائكة نوعاً ^(٣) ﴿أَبْنَى وَأَسْتَكْبَرُ﴾ طلب التكبر وهو أن ترى نفسك خيراً من آخره، آخره لفظاً لتأخره ظهوراً ﴿وَكَانَ﴾ في عِلْمِ اللَّهِ - تعالى - [٨ظ] أو صار ﴿مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ أفادت الآية استقباح التكبر والخوض في سره - تعالى - وأن الأمر ^(٤) للوجوب ﴿وَقُلْنَا﴾ بعد

(١) كذا.

(٢) سبق ذكر ذلك.

(٣) لا، بل إبليس - عليه اللعنة - من الجن وليس من الملائكة في شيء، لا نوعاً ولا جنساً اهـ.

(٤) يعني: الأمر بالسجود.

سجودهم ﴿يَتَادَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ التي على الكرسي، ولا يرد أنها لا تكليف فيها ولا خروج عنها؛ لأنهما ممتنعان لمن دخلها جزاء ﴿وَكَلَّا مِنْهَا﴾ أَكَلًا ﴿رَعْدًا﴾ ووسعًا بلا حجر ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ من الجنة ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ لأكلها، ونهى عن قربها مبالغة في تحريمها، وهي الكرم^(١) عند أكثر أصحابه، والحنطة عند اليهود^(٢) ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الواضعين للشيء في غير موضعه ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ أصدر زلتهما أي: بَعَدَهُمَا ﴿الشَّيْطَانُ عَنَّا﴾ عن الشجرة أو الجنة، بقوله: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ﴾^(٣) مقالاً أو وسوسة، قيل: إن الحية جعلته بين نايبين من أنبيائها^(٤) فأدخلته بعدما طرد منها فكلَّمَهُمَا من فيها، ولذا أمرنا بقتلها مطلقاً^(٥).

﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقَلْنَا اهْبِطُوا﴾ انزلوا إلى الأرض، خاطبهما مع الأولاد، أو مع الشيطان ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ متعادين، أي: بين أولاديهما، أو بينهم وبين الشيطان

(١) تفسير الطبري (١/٥١٧، ٥١٨)، المحرر الوجيز - لابن عطية (١/٢٥٢)، الجامع - للقرطبي (١/٢٠٩).

(٢) ابن عطية (١/١٨٤، ١٨٥) ترويح أولي الدمائه - للأدكاوي (١/٦٢).

(٣) سورة طه (١٢٠).

(٤) هذا ونحوه من الإسرائيليات - تفسير الطبري (١/٥٢٥، ٥٢٧، ٥٣٠)، الدر المنثور (١/٥٣).

(٥) أحاديث قتل الحية والثعبان كثيرة، منها:

* «اقتلوا الحية والعقرب، وإن كنتم في الصلاة».

رواه الطبراني في الكبير (١٠/١٠٣٥٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/١١٥١).

* «اقتلوا الأسودين في الصلاة: الحية والعقرب».

رواه أبو داود (١/٩٢١)، والترمذي (٢/٣٩٠) والحاكم (١/٢٥٦).

وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/١١٤٧)، المشكاة (١٠٠٤).

* «اقتلوا الحيات كلهن، فمن خاف نأرهن فليس منا».

رواه أبو داود (٤/٥٢٤٩)، والنسائي (١١٦٤٣)، والطبراني في الكبير (٢/٢٣٩٦).

وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/١١٤٩)، والمشكاة (٤١٤٠).

* «اقتلوا إذا الطفيتين والأبتر، فإنهما يطمسان البصر ويسقطان الجبل».

رواه البخاري (٦/٣٢٩٧)، ومسلم (٤/١٢٨، ١٢٩) وأبو داود (٤/٥٢٥٤)، والترمذي

(٤/١٤٨٣)، وابن ماجه (٢/٣٥٣٥)، وأحمد (٣/٤٥٢).

﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ موضع قرار ﴿وَمَتَعٌ﴾ تمتع ﴿إِلَى حِينٍ﴾ إلى حين الموت أو القيامة، ولا يعتقد أن آدم اتبع إبليس فيه بل أخطأ في التأويل بعد وسوسته كحمل النهي على التنزيه أو اللام على العهد لا للجنس، ويمكن كونه قبل ثبوته على أنه فعل ناسياً واعلم أنه خلق للأرض، ولو لم يعص لخرج على غير تلك الحالة ﴿فَلَقَى﴾ تلقى ﴿آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ هي: ربنا ظلمنا [أنفسنا^(١)] فدعا بها ﴿فَنَابَ﴾ رجع ﴿عَلَيْهِ﴾ بالرحمة ﴿إِنَّهُ هُوَ النَّوَّابُ﴾ كثير قبول التوبة أو الرجاء على عباده بالرحمة، وأصل التوبة الرجوع، وهي في العبد الرجوع عن المعصية وفيه - تعالى -^(٢) الرجوع عن العقوبة إلى المغفرة ﴿الرَّحِيمِ﴾ المبالغ في الرحمة ﴿فَلَمَّا أَهْبَطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ كثره تأكيداً، أو الثاني إلى مقام التكليف إذ الهبوط يقال لنقصان المنزلة أيضاً، ودل عليه^(٣) ﴿فَأَمَّا﴾ ما صلة، أي: إن ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ نبي ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾ أي: ما جاء به ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي: عند الفرع الأكبر ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما فاتهم من الدنيا، والخوف: غم على متوقع، والحزن غم على واقع، وأما الخوف المثبت لهم ففي الدنيا ﴿وَالَّذِينَ﴾ قسيم لمن تبع ﴿كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ المنزلة ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٤) ينجى إسرئيل. [٩٠] «إسراء» معناه: عبء وصفوة، «إيل» معناه: الله^(٤)، أي: أولاد يعقوب، هيجهم باسم أبيهم ﴿أَذْكُرُوا﴾ ولا تنسوا ﴿نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ كفلق البحر وغيره^(٥)، ونعمة الآباء نعمة الأبناء ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ بالطاعة أو اتباع محمد - ﷺ [أوفى بعهديكم﴾ بالثواب والعفو.

والوفاء: مراعاة العهد، والغدر: تضييعه، كالإنجاز والإخلاف للوعد ﴿وَيَأْتِي فَاَرْهَبُونَ﴾ لا غير، أكد المخصص بتكرير المفعول والفاء الجزائية، والرهب: خوف مع تحرز ﴿وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ﴾ القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ التوراة والإنجيل ﴿وَلَا

(١) سورة الأعراف (٢٣). وفي (ن): إلى آخره.

(٢) يعني في حق الله تعالى.

(٣) في (د)، و(ن): ويؤيده.

(٤) النكت والعيون - للماوردي (١/١١٠).

(٥) الوسيط - للواحد (١/١٢٧).

تَكُونُوا أَوْلَىٰ ﴿ فَوْجٌ كَافِرٌ بِهِ ﴾ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا ﴾ بِالْإِيمَانِ ﴿ بِمَا بَيْتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ الدُّنْيَا ﴿ وَإِنِّي فَأَقْفُونَ ﴾ كَمَا مَرَّ لَا فَوَاتِ الرِّيَاسَةَ ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا ﴾ لَا تَخْلَطُوا ﴿ الْحَقَّ بِالْبَطْلِ ﴾ بِزِيَادَةِ مَا شِئْتُمْ فِي التَّوْرَةِ ﴿ وَ ﴾ لَا ﴿ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ ﴾ نَعْتٌ مُحَمَّدٍ فِيهَا ﴿ وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أَنَّهُ حَقٌّ ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ صَلَاةَ الْمُسْلِمِينَ ﴿ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ ﴾ زَكَاتِهِمْ ﴿ وَأَذْكُرُوا مَعَ الزَّكَاةِ ﴾ الْمَصْلِيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا رُكُوعَ فِي صَلَاةِ الْيَهُودِ^(١) وَهَذَا مَنَعَ لَهُمْ عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ فَلَا يَدُلُّ عَلَىٰ وَجُوبِ الْجَمَاعَةِ^(٢) ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ ﴾ كَاتِبَاعِ التَّوْرَةِ الَّتِي فِيهَا وَجُوبُ اتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ [وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ فِي التَّزَامِ الْبَرِّ ﴿ وَأَنْتُمْ نَسِّتُمْ أَنْ تَقْرَأُوا أَوْ تَتَّبِعُوا ﴾ الْكِتَابَ ﴾ التَّوْرَةَ النَّاهِيَةَ عَنِ ذَلِكَ ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ قُبْحَهُ، وَأَصْلُ الْعَقْلِ الْحَبْسِ، سُمِّيَ بِهِ الْإِدْرَاكُ الْإِنْسَانِي؛ لِأَنَّهُ يَحْبِسُهُ عَمَّا يَقْبَحُ، ثُمَّ الْقُوَّةُ الَّتِي بِهَا النَّفْسُ تَدْرِكُ ذَلِكَ، وَفِي الْآيَةِ حَثُّ الْوَاعِظِ عَلَى الْإِتْعَازِ، لِأَنَّ مَنَعَ الْفَاسِقَ مِنَ الْوَعِظِ ﴿ وَأَسْتَعِينُوا ﴾ فِيمَا شَقَّ عَلَيْكُمْ ﴿ بِالصَّبْرِ ﴾ هُوَ حَبْسُ النَّفْسِ عَلَىٰ مُقْتَضَى الْعَقْلِ وَالشَّرْعِ، وَيُسَمَّى فِي الْمَصِيبَةِ صَبْرًا، وَعَنِ الْمُشْتَهَى عَنَاءً، وَفِي الْحَرْبِ شَجَاعَةً، وَفِي النَّوَائِبِ رَحْبَ الصَّدْرِ، وَفِي إِسْمَاكِ الْكَلَامِ كِتْمَانًا، وَالْمَرَادُ هُنَا الصُّومُ ﴿ وَالصَّلَاةَ ﴾ النَّاهِيَةَ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴿ وَإِنَّهَا ﴾ الْإِسْتِعَانَةُ بِهِمَا ﴿ لِكَبِيرَةٍ ﴾ ثَقِيلَةٍ ﴿ لِأَعْلَى الْخَنَثِيِّينَ ﴾ السَّاكِنِينَ إِلَى الطَّاعَةِ ﴿ الَّذِينَ يُظُنُّونَ ﴾ يَتَيَقِنُونَ^(٣) ﴿ أَنْتُمْ مُلْقَوُا ﴾ ثَوَابَ ﴿ رَبِّهِمْ ﴾ عَلَى الصَّبْرِ عَلَى تَكَالِيفِهِ ﴿ وَأَنْتُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ بِالْبَعْثِ ﴿ يَبْنِي إِسْرَاءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ ﴾ يَعْنِي إِيَّاكُمْ قَبْلَ تَحْرِيفِهِمْ ﴿ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [٩٠] عَالَمِي زَمَانِكُمْ، فَلَا يَنَافِي ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾^(٤) وَافْهَمِ تَفْضِيلَ الْبَشَرِ عَلَى الْمَلِكِ^(٥) ﴿ وَأَتَّقُوا يَوْمًا ﴾ أَي: فَضَائِحِهِ ﴿ لَا تَجْرِي ﴾ لَا تَقْضِي فِيهِ ﴿ نَفْسٌ ﴾ صَالِحَةٌ ﴿ عَنِ نَفْسٍ ﴾ عَاصِيَةٍ ﴿ شَيْئًا ﴾ مِنَ الْحَقُوقِ ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا ﴾ مِنَ الصَّالِحَةِ ﴿ شَفَعَةٌ ﴾ فِي الْعَاصِيَةِ ﴿ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا ﴾ مِنَ الْعَاصِيَةِ

(١) الدر المنثور (١/٦٤)، فتح القدير (١/٧٧، ٧٩)، الوسيط (١/١٢٩)، التسهيل - لابن جزي (٤٩).

(٢) اختلف الفقهاء في وجوب صلاة الجماعة أو أنها سنة فقط. * انظر: السيل الجرار للشوكاني (١/٨٩).

(٣) عمدة الحفاظ - للحلبي (٣/١٤)، الأشباه والنظائر (٢٠١).

(٤) سورة آل عمران (١١٠) يعني في حق المسلمين.

(٥) هذا من الكلام المنهي عنه، ولم يتعبنا الله بشيء من ذلك اهـ.

﴿عَدْلٌ﴾ فداء^(١) أو بدل ﴿وَلَا هُمْ﴾ النفس بتأويل الأشخاص ﴿يُنصَرُونَ﴾ يُمنَعُونَ من العذاب، لا كزعمهم نحن أبناء الأنبياء فيشفعون لنا، استدل بها المعتزلة على نفي الشفاعة لأهل الكبائر، ويردهم تواتر أحاديث الشفاعة^(٢) وأنها نزلت ردًّا لزعم اليهود، ﴿وَوَ﴾ اذكروا ﴿إِذْ مَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ اسم ملك العمالقة أو لاد عمليق بن لاو ذبن سام كقول: كسرى وقيصر لملكي الفرس والروم [وفرعون موسى: مُصْعَب^(٣) بن ريان من بقايا عاد، وفرعون يوسف: رِيَّان، وبينهما أكثر من أربعمئة سنة، وسيأتي تحقيقه في المؤمن^(٤)] ﴿يَسْؤُمُونَكُمْ﴾ يبغونكم أو يرسلون عليكم أو يكلفونكم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أفضعه أو يصرفونكم فيه مرّة هكذا ومرّة هكذا كالسائمة في البرية مِنْ سائمة الإبل في المرعى ﴿يُدَّيْحُونَ﴾ بيان لـ ﴿يَسْؤُمُونَكُمْ﴾ إلى آخره^(٥) ﴿أَبْنَاءَ كُمْ وَيَسْتَحْيُونَ﴾ يتركون أحياء ﴿نِسَاءَ كُمْ﴾ لسماعه أنه سيولد^(٦) منهم من يذهب بملكك ﴿وَفِي ذَلِكُمْ﴾ الإنجاء أو صنيعهم ﴿بَلَاءٌ﴾ نعمة أو محنة ﴿مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا ﴿فصلنا مُلتبسًا﴾ بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَجْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ ﴿شخصه، أو وفاقًا لما سبق﴾ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴿غرقهم﴾ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَى ﴿بمعنى وَعَدْنَا أو للمشاركة؛ لأن موسى واعدته المجيء وهو - تعالى - واعدته إعطاء التوراة بَعْدَ انقضاء ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾

(١) قال الواحدي: والمراد بـ «العدل» في هذه الآية: الفداء، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَدَّلَ كَلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا﴾ (الأنعام / ٧٠) أي: إن تفد كل فداء، وسمي الفداء عدلًا؛ لأنه يعادل المفدى ويمائله.
* الوسيط (١/ ١٣٤).

(٢) بل للبيهقي مصنف فيها.

(٣) كذا، وفي التعريف والإعلام - للسهيلى (٢٤): الوليد بن مصعب يكنى أبا مرة وهو من بنى عمليق بن لاوي بن آدم بن سام بن نوح وكل من ولي القبط ومصر فهو فرعون.
انظر: تفسير القرطبي (١/ ٣٨٣)، المعارف - لابن قتيبة (٤٣)، تاريخ الطبري (١/ ٣٨٦)، المحبر - لابن حبيب (٤٦٦، ٤٦٧)، زاد المسير (١/ ٧٨)، مروج الذهب (١/ ٤٠١)، ترويح أولي الدماء (١/ ٦٤، ٦٥).

(٤) ساقطة من (ح) وأثبتها من (د)، و(ن)، وفي «المؤمن»: سورة غافر.

(٥) في (ن): إلخ.

(٦) في (ن): سيلد!!.

ذا القعدة وعشر ذي الحجة^(١)؛ لإعطاء التوراة، خصَّ الليالي بالذكر^(٢)؛ لأنَّ غُرَرَ^(٣) الشهر بالليالي والعرب في أغلب تواريخها لا تذكر إلا الليل، وأيضًا: الليل أصل، وأيضًا كان الصوم عندهم بالليل ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ إِلَهًا ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد مضيه ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا ﴿مَحَوْنَا الْجَرِيمَةَ﴾ عَنْكُمْ ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ الاتخاذ ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ لتشكروا ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَالْفُرْقَانَ﴾ فَرَّقَ الْبَحْرَ، أو عطف تفسير، أي: الفارق بين الحق والباطل^(٤) ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ بِسْمِ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ عابدي العجل ﴿يَقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾ معبودًا ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ﴾ خالقكم عن عبادة مخلوقكم وأصل تركيب «ب. ر ي» لخلوص شيء عن غيره تقضيًا أو إنشاء ﴿فَأَقْبَلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: من لقيتم تمامًا لتوبتكم فأصابتهم سحابة سوداء لثلا ينظر بعضهم بعضًا فيرحمه فقتل سبعون ألفًا ثم غفر للقاتل والمقتول^(٥) ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ﴾ من العصيان؛ لأنه طُهْرَةٌ مِنَ الشَّرِكِ ﴿فَنَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قبل توبتكم ﴿إِنَّهُ هُوَ النَّوَابُ﴾ يكثر قبول التوبة كما مرَّ ﴿الرَّحِيمُ﴾ للتائبين ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ﴾ حين [١٠] اختار موسى سبعين لأخذ التوراة، لا للاعتذار من عبادة العجل كما اشتهر ﴿يَمُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ﴾ نصدق ﴿لَكَ﴾ بأن ما نسمع هو كلام الله ﴿حَقٌّ﴾ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴿عَيَانًا﴾ فَآخَذَتْكُمْ الصَّعِقَةُ ﴿النَّارُ أَوِ الصَّيْحَةُ أَوِ الْمَوْتُ﴾^(٦) ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ ما أصابكم ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ بالصاعقة يومًا وليلة ﴿لَعَلَّكُمْ

(١) وهو قول أبي العالية الرياحي - تفسير الماوردي (١/ ١٢٠).

(٢) في (ن): ذكر اللَّيْل.

(٣) أوائل.

(٤) الوسيط (١/ ١٣٨، ١٣٩) وقال ابن عباس: أراد بالفرقان: النصر على الأعداء؛ لأن الله - تعالى - نصر موسى وقومه على عدوهم، وسمى نصره فرقانا؛ لأن في ذلك فرقا بين الحق والباطل.

* تفسير عباس (٩)، غرائب القرآن للنيسابوري (١/ ٢٨٧)، فتح القدير (١/ ٨٥).

(٥) الدر المنثور (١/ ٦٩، ٧٠)، النكت والعيون (١/ ١٢٢، ١٢٣).

(٦) الصحيح أنه الموت. وانظر: الطبري (٢/ ٨٧)، البحر المحيط (١/ ٢١٠)، الدر المنثور (١/ ٧٠)،

تفسير الفخر الرازي (٣/ ٨٤).

تَشْكُرُونَ ﴿ نعمة البعث، ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ ﴿ في التيه لحفظكم من الشمس (١) ﴿ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ ﴿ الترنجبين (٢) من الفجر إلى طلوع الشمس كالثلج ﴿ وَالسَّلْوى ﴿ نوع من السمان (٣)، قائلين: ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ ﴿ مستلذات ﴿ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴿ ولا تدخروا، فادخروا فقطع عنهم ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا ﴿ بالكفران ﴿ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿ بكفران ذلك وغيره من النعم كنزول عمود من السماء في الليل لإضاءةهم وعدم توسخ ثيابهم ونقائنها وغير ذلك ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ﴿ بعد التيه (٤) ﴿ ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ ﴿ أريحا (٥) أو بيت المقدس، وهم ما دخلوه إلا زمان يُوسَع ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً ﴿ واسعاً ﴿ وَادْخُلُوا الْبَابَ ﴿ باب القرية، أو قبة كانوا يُصَلُّونَ إليها ﴿ سَجَّداً ﴿ مُنْحِنِينَ تواضعاً، أو ساجدين شكراً ﴿ وَقُولُوا ﴿ مسألتنا ﴿ حِطَّةٌ ﴿ لخطيئنا، أو حط حطة ﴿ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ ﴿ هذا لعصاتهم ﴿ وَسَتَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿ ثواباً ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴿ بما أمروا به من الاستغفار ﴿ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴿ من طلب مشتبهاتهم أو قالوا: حِطَّةٌ استهزاء ودخلوا ماشين على أستاذهم (٦) رافعي رؤوسهم عنادا ﴿ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا ﴿

(١) في هامش (ن): بلغ.

(٢) الوسيط (١/١٤٢) وهو نوع من العسل يقال له: «ترنجبين» بفتح التاء الفوقية المثناة والراء المهملة وسكون النون الفوقية الموحدة بعدها جيم معجمة مفتوحة ثم باء مكسورة ثم ياء ساكنة تحتية مثناة آخرها نون: معرب «ترنكبين» وهذه الكلمة فارسية معناها: عسل الندى.

* قصد السبيل - للمحبي (١/٣٣٤)، تذكرة داود (١/٨٤).

قلت: وهو المعروف بـ «سُكَّرِ النبات» الآن، إلا أنهم يقلدونه صناعة، وأما الطبيعي منه فيوجد على الأشجار، ويكثر بالعراق وأفغانستان.

(٣) هو السمان المعروف. * البحر المحيط (١/٢١٤)، فتح القدير (١/٨٨).

(٤) في أرض سيناء.

(٥) تفسير ابن عباس (٩)، تفسير الطبري (٢/١٠٣)، الوسيط (١/١٤٣)، تفسير ابن كثير (١/٩٨)، البحر المحيط (١/٢٢٠).

وأريحا: مدينة عربية في قضاء القدس تقع على مسافة (٣٧) كيلاً شمال شرقي القدس وتنخفض (٢٧٦) متراً عن سطح البحر. * معجم بلدان فلسطين (١١١).

(٦) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله: «حطة» قال: «بدلوا فقالوا: حبة» رواه البخاري (٣٤٠٣) وعن أبي هريرة قال: قيل لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجداً، وقولوا: حطة. فدخلوا الباب يزحفون على أستاههم، وبدلوا فقالوا: حنطة؛ حبة في شعرة» رواه النسائي (١٠٩٢٢/١٠) وسنده صحيح موقوفاً.

أي: عذابا هو طاعونهم من الرجز^(١)، داء يصيب الإبل ﴿مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ فمات به في ساعة سبعون ألفا^(٢).

﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى﴾^(٣) إنما ترك الترتيب بينه وبين قصة دخول القرية لتعديد ما وجد منهم وألا يكون قصة واحدة ﴿مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ فأجبنا دُعَاءَهُ لَهُمْ ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ حَجَرٌ طَوْرِيٌّ خَفِيفٌ مُرَبَّعٌ كَانُوا يَحْمِلُونَهُ مَعَهُمْ، أَوْ كَانَ فِي مَخْلَاتِهِ^(٤) ﴿فَأَنْفَجَرْتُمْ﴾ بضربة بعد أنبجاسها^(٥) أي: ترشحها ﴿مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ كل عين لسبط، وكانوا ستمائة ألف، وسعة العسكر اثنا عشر ميلا ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ سبَطٌ ﴿مَشْرَبَهُمْ﴾ عينهم، قائلين لهم: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا﴾ لا تبادوا في الإفساد ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ حال كونكم ﴿مُفْسِدِينَ﴾ فالنهي عن التماذي فيه، أو من قبيل ﴿لَا تَأْكُلُوا أَرْبَابًا أَصْعَفًا﴾^(٦) أو احترز عما [١٠] ظاهره فساد وباطنه صلاح كخرق خَضِرِ السَّفِينَةِ ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَجِدٍ﴾ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى، والوحدة لاستمراره على حالة واحدة، أو لأكلهم إياهما مخلوطين ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا﴾ ما لا ساق له من الخضراوات ﴿وَفَشَاهُا وَفُؤْمَهَا﴾ الحنطة أو

(١) كما في الحديث: «الطاعون بقية رجز أو عذاب أرسل على طائفة من بنى إسرائيل» رواه البخاري (٣٤٧٣/٦)، ومسلم (٢٢١٨/٤)، والترمذي (١٠٦٤/٣).

الرجز - أصلاً -: تقارب خطو البعير واضطرابه؛ لضعف فيه ومنه سمي بحر الرجز في الشعر؛ لتقارب أجزائه في التقطيع. * عمدة الحفاظ (٧١/٢).

(٢) هذا قول الضحاک - رواه الطبري (١١٧/٢) ولا يصح.

وانظر: الوسيط (١٤٥/١)، تفسير الرازي (٩٠/٣)، البحر المحيط (٢٢٥/١)، غرائب القرآن (٢٩٤/١، ٢٩٥)، تفسير القرطبي (٤١١/١).

(٣) في هامش (ن): نصف الحزب.

(٤) الوسيط (١٤٥/١).

(٥) لقوله في سورة الأعراف: ﴿فَأَنْبَجَسَتْ﴾ (الأعراف/١٦٠) والأنبجاس: قريب من الانفجار.

* عمدة الحفاظ (١٦٠/٢).

(٦) سورة آل عمران (١٣٠).

الثوم^(١) أو كُلُّ حَبِّ يَخْبِزُ ﴿وَعَدَسِيهَا وَبَصَلِيهَا﴾ كانوا فلاحين معتادين^(٢) بها ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ ﴿طَعْمًا وَنَفْعًا﴾ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ﴿فِيهِمَا، وَاَعْلَمُ أَنَّ الْخَيْرَ الْمَطْلُوقَ هُوَ النَّافِعُ الْحَسَنُ الْمَسْتَلْدُ، وَضَدُهُ الشَّرُّ الْمَطْلُوقُ، وَالْخَيْرُ الْمَقِيدُ الْمَتَصِفُ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُمَا فَيُمْكِنُ اتِّصَافُهُ بِالشَّرِّ الْمَقِيدِ ﴿أَهْيَطُوا مِصْرًا﴾ مِنَ الْأَمْصَارِ^(٣) أَوْ مِصْرَ^(٤) فِرْعَوْنَ، وَالْمِصْرُ: الْبَلَدُ الْعَظِيمُ^(٥)، وَأَصْلُهُ الْمَمْصُورُ، أَيُّ: الْمَضْمُومُ بِالْحُدُودِ ﴿فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ﴾ الْهَوَانُ كَالْقَبَةِ^(٦) الْمَحِيطَةُ ﴿وَالْمَسْكَنَةُ﴾ وَلَوْ كَانُوا كَثِيرِي الْمَالِ ﴿وَبَاءٌ وَرَجَعُوا أَوْ صَارُوا أَحْقَاءَ﴾ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ ﴿الصَّرْبُ مَعَ الْبُوءِ﴾ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴿الْمَنْزِلَةُ﴾ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّيْنَ ﴿كَيْحِي﴾^(٧) ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ عِنْدَهُمْ، أَوْ قِيدَهُ تَشْنِيعًا عَلَى أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ حَقًّا كَقِصَّةِ إِسْمَاعِيلَ ﴿ذَلِكَ﴾ الْكُفْرَ وَالْقَتْلَ ﴿بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ أَيُّ: جَرَّهُمُ الْعَصِيَانَ وَالْإِعْتِدَاءَ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ إِلَيْهِمَا، أَوْ الْبَاءَ بِمَعْنَى مَعَ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ حَقِيقَةً أَوْ لِسَانًا ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ وَأَدْخَلُوا فِي الْيَهُودِيَّةِ، وَيَهُودٌ؛ إِمَّا مِنْ هَادٍ، أَيُّ: تَابَ أَوْ لِلنَّسْبَةِ إِلَى جَدِّهِمْ يَهُودًا ﴿وَالنَّصْرَانِيَّ﴾ جَمَعَ نَصْرَانِيَّ أُمَّةَ عِيسَى^(٨) سُمُّوا بِهِ؛ لِنَصْرَتِهِمُ الْمَسِيحَ^(٩)

(١) وذلك صريح في قراءة ابن مسعود. * النكت والعيون (١/١٢٩).

(٢) يعني يفطرون بها، وفي (ن): مُعْتَادِينَ، أَيُّ: عَادَتِهِمْ أَكْلَهَا.

(٣) وذلك؛ لأن مصر ممنوعة من الصرف؛ للعلمية والعجمة.

(٤) هذا على قراءة الحسن والأعمش وابن مسعود وأبي وطلحة وأبان بن تغلب وابن عباس — بعدم الصرف — اتحاف فضلاء البشر (١٣٧)، والبحر المحيط (١/٢٣٤)، المحتسب (١/١٢٣).

وقال الواحدي: ويجوز أن يكون أراد «مصر» بعينها، وصرفها؛ لخفتها وقلة حروفها مثل: جمل، ودعد، وهند. * الوسيط (١٤٧١).

قال السمين: وليس بصحيح؛ لأنه أعجمي. * عمدة الحفاظ (٤/٩٥).

(٥) المصر: اسم كل بلد مَمْصُور أَيُّ: مَحْدُودٌ، وَيُقَالُ: مِصْرَتُ مِصْرًا، أَيُّ: بَنِيَّتُهُ وَالْمِصْرُ: الْحَدُّ.

* عمدة الحفاظ (٤/٩٥).

(٦) يعني: كما تضرب القبة.

(٧) وزكريا وشعيا. * الكامل (١/٢٥٥)، الوسيط (١/١٤٨).

(٨) بَلْ عِيسَى مِنْهُمْ بُرِّئُ، وَهُمْ أُمَّةُ الْكُفْرِ وَالْوَثْنِيَّةِ.

(٩) قلت: وهذا من أبعد المعاني لغة وواقعا:

أو لنزولهم معه في قرية نصران أو ناصرة^(١)، ﴿وَالصَّاعِيَّاتِ﴾ الخارجين من الدين، وهم بين اليهود والنصارى والمجوس بلا دين، يُعْظَمُونَ الكواكب، وخص الأربعة؛ لشهرتهم ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ منهم قلباً ولساناً ﴿بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ بلا رياء ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ كما مرَّ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ باتباع التوراة، ﴿وَقَدْ رَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ﴾ ظلله جبريل فوقهم حين أبوا حتى قبلوا^(٢)، والظاهر أنه إجماع، فاستحقاقهم الثواب باستدامته، وقيل: بالعمل به، قائلين: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ بجد ﴿وَأَذْكُرُوا﴾ ولا تنسوا ﴿مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ لكي تتقوا ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ بنقض الميثاق ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [١١] ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾ بتوفيق التوراة ﴿لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ المغبونين ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾ حال ﴿الَّذِينَ أَعَدُّوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ من سبت أي: عَظَّمَ السبت، إذ نهوا عن الصيد فيه تعظيماً له ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً﴾ أمر تكويني^(٣) ﴿خَاسِعِينَ﴾ مطرودين ذليلين، نودوا بذلك فصاروا كذلك، روي أن شبانهم صاروا قرده وشيوخهم خنازير^(٤) ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ المسخة ﴿نَكَالًا﴾ عبرة مانعة من ارتكاب مثله ﴿لَمَّا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ لمعاصريهم ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ من بعدهم ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿وَوَاقِعًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ لما وُجِدَ فِيهِمْ قَتِيل قتلته بنو أخيه طمعاً في ماله، ثُمَّ جَاءُوا يُطَالِبُونَ بِدَمِهِ^(٥): ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾

= أما اللغة فلو كانوا نصرهه. لقليل: ناصرون أو ناصرين، وأما الواقع فلا يعلم أمة خذلت نبيها كخذلان النصارى لعيسى وأمه.

(١) هذا هو الصحيح والناصرة: مدينة في فلسطين تقوم فوق رقعة متوسطة الارتفاع داخل الجليل الأدنى وترتفع (٤٠٠) متر عن سطح البحر و (٣٠٠) متر عن مستوى سهل مرج ابن عامر، وأصل النصارى فيها من لبنان. * معجم بلدان فلسطين (٧٠٢).

(٢) تفسير الطبري (١٥٦، ١٥٧)، تفسير ابن كثير (١٠٥/١)، الدر المشور (١٠٤/٣)، فتح القدير (٩٥/١).

(٣) أي: كونوا بتكويننا إياكم وتغييرنا خلقكم. * الوسيط - للواحد (١٥٢/١).

(٤) الوسيط (١٥٢/١) هامش.

(٥) في (ن): واذكُرُوا.

(٦) تفسير الطبري (١٨٣، ١٨٨)، الوسيط (١٥٤/١)، أحكام القرآن - لابن العربي (٢٢، ٢٣)، البحر المحيط (٢٤٩/١).

فتضربوه ببعضها ليحيا ويخبر بقاتله ﴿قَالُوا أَنْخَذْنَا هُرُورًا﴾ مهزواً بنا، وهو المرح ﴿قَالَ﴾ ردأ لهم على طريقة البرهان: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ حاصل الهزؤ هنا جهل وهو منتف عني ﴿قَالُوا أَدْعُ لِنَارِكَ يَبِّينَ لَنَا مَا هِيَ﴾ ما صفتها مجاز عن أي شيء وحقيقة عند السكاكي^(١) ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِصٌ﴾ هرمة ﴿وَلَا يَكُرُّ﴾ شابة قبل الفحل، وتركيب بكر للأولية^(٢) ﴿عَوَانٌ﴾ وسط ﴿بَيْنَكَ ذَلِكَ﴾ المذكور من الفارض والبكر إنما نكره نعتاً لاحتمال كونه عجلاً أو جنياً ﴿فَأَفْعَلُوا مَا تَأْمُرُونَ﴾^(٣) قالوا ادع لنا نارِكَ يَبِّينَ لَنَا مَا لَوْ نُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقْعَ لَوْ نُهَا﴾ خالص الصفرة غاية، وإسناده إلى لونها مجازاً ﴿تَسْتُرُ﴾ تُعْجِبُ ﴿التَّنْظِيرِينَ﴾ وأصل السرور لذة في القلب عند حُصُولِ نفع أو توقعه وهو والحبور والفرح متقاربة، إلا أن الأولين محمودان ونهي عن الثالث^(٤)؛ لأنه فيما يورث بطراً^(٥) ﴿قَالُوا أَدْعُ لِنَارِكَ يَبِّينَ لَنَا مَا هِيَ﴾ أسائمة أم^(٥) عاملة ﴿إِنَّ الْبَقْرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ إليها دل على انفكاك

(١) مفتاح العلوم - للسكاكي (ص ١٩٥ / علم البيان).

والسكاكي هو الإمام العلامة اللغوي سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكس الخوارزمي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ. * الجواهر المضوية (٢٢٥).

(٢) يعني: أصل وضعها في اللغة.

قال السمين الحلبي: البكرة هي أصل كل ما يتصرف منها، والبكرة: هي أول النهار، وقد اشتق منها لفظ الفعل.

فقيل: بكر فلان في حاجته أي: خرج بكرة، والبكورة: الخروج بكرة، والبكور - بالفتح - المبالغ في البكور، ولتقدمها على سائر أوقات النهار استعمل منها كل متعجل. * عمدة الحفاظ (١ / ٢٢٠).

(٣) يعني: في أمور الدنيا كقوله - تعالى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ أما في أمور الخير والآخرة ونصرة الدين فهذا مأذون فيه، كما في قوله - تعالى -: ﴿فَإِذْ لَكَ فَلَاحُورٌ﴾ (يونس: ٥٨) وقرأ أبي: (فافر حوا)، وقرأ ابن عامر وأبورجاء وقتادة ورويس: (فلتفر حوا)، ومثله: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَقْرَعُ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٤) يَنْصُرُ اللَّهُ﴾ (الروم: ٤، ٥)؛ لأنه نصره لدين الله، وذلك أن الروم غلبت الفرس، والروم أهل كتاب في الجملة، والفرس عبدة نار لا كتاب لهم، فهم أبعد من المؤمنين. * عمدة الحفاظ (٣ / ٢١٠، ٢١١).

(٤) البطر - بفتح الباء الموحدة والطاء المهملة: أن يطغى أي: يتكبر عند الحق فلا يقبله، وقال الهروي:

البطر: الطغيان عند النعمة. * عمدة الحفاظ (١ / ٢٠٠).

(٥) في (د): أو.

الأمر عن الإرادة إذ شرطت بعد الأمر، وعند المعتزلة والكرامية على حدوث الإرادة، إذ معناه إن حدث بمشيئة، ورد بأن التعليق باعتبار التعلق (١) ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ مُدَلَّلَةٌ لِلْعَمَلِ ثَبِيرٌ﴾ ﴿تَقَلَّبَ الْأَرْضَ﴾ للزراعة ﴿وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةً﴾ عن العمل أو العيب ﴿لَا شِيَةَ﴾ لا علامة من لون آخر ﴿فِيهَا قَالُوا لَأَن جِئْتِ بِالْحَقِّ﴾ بحقيقة وصفها، فحصلوها ﴿فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ لكثرة مراجعتهم أو خوف التغيير أو لأنهم وجدوها بعد أربعين سنة (٢) ﴿وَإِذ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ آخر أول القصة (٣) تقديمًا لذكر مساوئهم [١١ظ] أو تعديدا لها أو لأنهم أمروا بالذبح قبل القتل ﴿فَأَذَرْتُمْ﴾ تدافعتم أو اختلفتم (٤) ﴿فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مُّظْهِرٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ من أمر القاتل ﴿فَقَلْنَا أَضْرِبُوهُ﴾ القتل ﴿بِبَعْضِهَا﴾ أي: البقرة (٥) ليحيا، فضربوه بلسانها فحيا وأخبر ومات بلا مهلة ﴿كَذَلِكَ﴾ الإحياء به ﴿يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ دلائل قدرته ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أن من قدر عليه قدر على الحشر وإنما لم يحيه - الله ابتداء بلا شرط؛ لما فيه من التقرب وأداء الواجب ونفع اليتيم وبيان بركة التوكل والشفقة على الأولاد واستحباب القربة للطالب والمغالاة بثمنها وغير ذلك من الحكم (٦) ﴿ثُمَّ قَسَتْ﴾ غلظت ولم تعتبر ﴿قُلُوبِكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ المذكور من الآيات ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾ صلابة ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ «أو» للتخيير أو للتديد، أي: من عرف حالها شَبَّهَهَا بِالْحِجَارَةِ

(١) تفسير البيضاوي (١٥).

(٢) هذا بعيد بعد الأرض عن جو السماء، والراجع أنهم من تشديدهم على أنفسهم وتعنتهم شدد الله عليهم فحيرهم وأضلهم - والعياذ بالله.

(٣) يشير الكازروني - طيب الله ثراه - إلى أن الواو في «وإذ» عطف على قوله - تعالى -: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ﴾، ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ يَمُوسَى﴾ والذكر مضمرة ها هنا، كأنه قال: واذكروا إذ قتلتم نفسا، وأضاف القتل إليهم - وإن كان القاتل واحدا، على ما جرى من عادة العرب أنهم يضيفون فعل البعض إلى جماعة القبيلة، يقولون: فعلتم كذا، وإن كان بعضهم فعل ذلك، وهذه الآية هي أول القصة، ولكنها مؤخره في الكلام، ومعناه التقديم. * تفسير الوسيط (١٥٧/١) بتصرف.

(٤) في (ع): واختلفتم.

(٥) أي: ببعض البقرة.

(٦) تفسير البيضاوي (١٥).

أوبه، وسياقي بيانه في قوله - تعالى -: ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾^(١) ثم علَّل الأشدية بقوله: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ وهذا دون الأول، إذ التفجر التفتح بكثرة فلا تكرر.

﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهِيْطُ﴾ من رأس الجبال^(٢) ﴿مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ انقيادا وهي^(٣) متعلق الأفعال السابقة ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيْلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ .

﴿أَفَنظَمُونَ﴾^(٤) أيها المؤمنون ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ اليهود ﴿لَكُمْ﴾ لدعوتكم ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيْقٌ مِنْهُمْ﴾ من أسلافهم ﴿يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ هم السبعون المختارون للميقات^(٥) ﴿ثُمَّ يُخَرِّفُونَهُ﴾ بعد رجوعهم ﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ فهموه ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ عقابه، فكيف بهؤلاء ﴿وَإِذَا لَقُوا﴾ منافقوهم ﴿الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ بأنكم على الحق ﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا﴾ مع ﴿بَعْضٍ قَالُوا﴾ كُفَّارهم لِمُنَافِقِيهِمْ: ﴿أَتَحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ في التوراة^(٦) من صفة نبيهم ﴿لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ فيقولوا: أكفرتم بما علمتم صدقه ﴿أَفَلَا نَعْقِلُونَ﴾ أليس لكم عقل، ومثل هذه الهمزة للتوبيخ، والجملة معطوفة على جملة: ﴿أَفَنظَمُونَ﴾ وهي لِصِدَارَتِهَا قُدِّمَتْ، وكذا في الواو وثُمَّ، وقيل عطف على محذوف بعد الهمزة فتقديره: أتقولونه فلا تعقلون ﴿أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فالحجَّة على التقديرين قائمة عليهم ﴿وَمَنْهُمْ﴾ من اليهود ﴿أُمِّيُونَ﴾ مَنْ لَا يَكْتُبُ وَلَا يَقْرَأُ ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا﴾ لكن يعلمون ﴿أَمَانِي﴾ أكاذيب سمعوها من كبرائهم^(٧)، وأصل الأمانة ما يقدره الإنسان في نفسه ﴿وَإِنَّهُمْ

(١) سورة النحل (٧٧). وفي (ع): بل هو أقرب!!!

(٢) في (ع): الجبل.

(٣) يعني شبه الجملة «من خشية الله».

(٤) في هامش (ن): حُزِبَ.

(٥) النكت والعيون - للماوردي (١/١٤٧).

(٦) ومعنى: «فتح الله» أي: بما علمكم الله أو بما قضاه الله. * النكت والعيون (١/١٤٩).

(٧) وهو اختيار الفراء في معاني القرآن (١/٤٩، ٥٠). * وانظر الوسيط (١/١٦٢).

إِلَّا قَوْمٌ يَظُنُّونَ ﴿ يَعْتَقِدُونَ بِلَا عِلْمٍ ﴾ فَوَيْلٌ ﴿ هَلَاكٌ، أَوْ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ ﴾ (١) ﴿ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ أَحْبَارُهُمْ [١٢] والكاتبون من تأويلات زائغة، لإشارات التوراة إلى بعثة محمد - ﷺ - وأكد بالأيدي؛ ليفيد مباشرة بأنفسهم ﴿ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْشْتَروا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ هو رياستهم وانتفاعهم من سفلتهم ﴿ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ من سفلتهم أو من المعاصي ﴿ وَقَالُوا ﴾ اليهود ﴿ لَنْ تَمَسَّنَا الْكَاذِبُ ﴾ الْمَسُّ: اتَّصَلَ الشَّيْءُ بِالْبَشَرَةِ بَحِثٍ تَتَأَثَّرُ الْحَاسَةُ بِهِ (٢)، وَاللَّمْسُ كَالطَّلَبِ (٣) لَهُ ﴿ إِلَّا أَنْتُمْ مَعْدُودَةٌ ﴾ سَبْعَةٌ (٤)، أَوْ أَرْبَعِينَ (٥) ﴿ قُلْ ﴾ يَا مُحَمَّدٌ ﴿ اتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا ﴾ بِذَلِكَ ﴿ فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ﴾ أَمْ نَقُولُونَ ﴿ تَفْسُرُونَ ﴾ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿ ٨٠ ﴾ بَلَى ﴿ أَثْبَتَ مِنْفِيهِمْ ﴾ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً ﴿ وَالْكَسْبُ: اسْتِجْلَابُ النِّفْعِ، عَلَقَهُ (٦) بِالسَّيِّئَةِ (٧) تَهَكُّمًا ﴿ وَأَخْطَطْتُ بِهِ خَطِيئَتَهُ ﴾ فَلَا يَبْقَى لَهُ حَسَنَةٌ، وَهُوَ الْكَافِرُ؛ لِأَنَّهُ إِنْ صَدَقَ قَلْبُهُ مَا يَحْرِكُ لِسَانَهُ لَمْ تُحِطْ بِهِ الْخَطِيئَةُ، وَالْفَرْقُ أَنَّ السَّيِّئَةَ قَدْ تَقَالُ فِيمَا يَقْصَدُ بِالذَّاتِ وَالْخَطِيئَةُ تَغْلِبُ فِيمَا يَقْصَدُ بِالْعَرَضِ ﴿ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٨١) ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ﴿ وَ ﴾ اذْكُرُوا ﴿ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ فِي التَّوْرَةِ قَائِلِينَ لَهُمْ: ﴿ لَا تَعْبُدُونَ ﴾ بِمَعْنَى

(١) عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفًا قبل أن يبلغ قعره» رواه الترمذي (٥/٣٨٣/٣٤٣٥/الرسالة)، وأحمد (٣/٧٥) وأبو يعلى (١٣٨٣)، وابن حبان (١٦/٥٠٨/٧٤٦٧/إحسان) وسنده ضعيف، إلا أن له شواهد.

(٢) بقصد وبغير قصد.

(٣) يعني لا بد فيه من القصد.

(٤) رواه ابن هشام في السيرة (٢/١٨٥)، ومن طريقه ابن أبي حاتم في التفسير (١/٢٤٧، ٢٤٨/٨١٨)، وابن جرير في الجامع (١/٣٠٣)، والواحدي (١٦)، والضياء في المختارة (١٠/٣٥٤، ٣٥٥/٣٨٠) وسنده ضعيف.

(٥) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/٢٤٨/٨٢٠)، وابن جرير في الجامع (١/٣٠٢) وسنده ضعيف جدًا.

(٦) في (ن): عَلَّقَ.

(٧) في (س): بِالنَّسِيئَةِ.

النهي ﴿إِلَّا لِلَّهِ وَبِأَوْلَادِهِ﴾ تحسنون ﴿إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى﴾ القرابة ﴿وَأَلْتَمَعَى
وَأَلْمَسَكِينَ﴾ فاقد ما يكفيه، وأصله من أسكنه الخلة ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ﴾ قولاً
﴿حُسْنًا﴾ ذا حسن كالأمر بالمعروف ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾
المفروضتين في دينكم ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أَعْرَضْتُمْ عَنِ الْمِيثَاقِ ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ
مُعْرِضُونَ﴾ عادتكم الإعراض عن الوفاء ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ في التوراة ﴿لَا تَسْفِكُونَ
دِمَاءَ كُفٍّ﴾ لَا يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَإِنَّهُمْ كَأَنْفُسِكُمْ لَا تَصَالَهُمْ دِينًا وَرَحِمًا ﴿وَلَا تَخْرُجُونَ
أَنْفُسَكُمْ مِّنْ دِينِكُمْ﴾ بِإِجْلَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ قَبِلْتُمُوهُ ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾
على أنفسكم بذلك ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ﴾ بعد ذلك يا ﴿هَؤُلَاءِ﴾ الناقضون ﴿تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ
وَتَخْرُجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّنْ دِينِهِمْ تَطَّهَّرُونَ﴾ تتعاونون ﴿عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ﴾ بالمعصية
﴿وَالْعُدْوَانَ﴾ الظلم ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أَسْرَى تَفْدُوهُمْ^(١) وَهُوَ الشَّانُ﴾ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ
إِخْرَاجُهُمْ أَفْتُوْمُونَ بَعْضُ الْكُتُبِ ﴿بِالْفِدَاءِ﴾ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ بِالْقَتْلِ وَالْمُظَاهَرَةِ
وَالِإِخْرَاجِ ﴿فَمَا جَرَأَهُمْ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ﴾ هَوَانٌ وَعَذَابٌ ﴿فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا﴾ كخزي [١٢ظ] قريظة بالسبي والقتل، وبنو^(٢) النضير بالجلاء والجزية ﴿وَيَوْمَ
الْقَيْمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٨٥) أَوْلَيْتِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا
بِالْآخِرَةِ فَلَا يَحْفَفُ﴾ لَا يَنْقُصُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿يُمنَعُونَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ أَتْبَعْنَاهُ إِيَّاهُمْ ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ
مَرْيَمَ﴾ الْمُعْجِزَاتِ ﴿الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ﴾ قُوِيْنَاهُ ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ بروح مقدس، هو اسمٌ كَانَ
يُحْيِي بِهِ الْمَوْتَى، أَوْ جَبْرِيْلُ إِذْ كَانَ يَسِيرُ مَعَهُ حَيْثُ سَارَ، أَوْ الْقُدُسُ وَالْقُدُوسُ وَاحِدٌ،
أَيُّ: رُوحِ اللَّهِ ﴿أَمْ﴾ كَفَرْتُمْ ﴿فَكَلَّمْنَا﴾ مَرَّبِيَانُ نَظِيرُهُ ﴿جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى﴾ لَا تُحِبُّهُ
﴿أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ﴾ كَعِيسَى وَمُحَمَّدٌ [ﷺ] ﴿وَفَرِيقًا نَّقَلْتُمْ﴾ كَزَكَرِيَّا
وَيَحْيَى، وَالْمُضَارِعَ لِحِكَايَةِ الْمَاضِي، أَوْ لِمَحَاوَلَتِهِمْ قَتْلَ مُحَمَّدٍ - ﷺ ﴿وَقَالُوا أَأَلْقُونَا
عُلْفًا﴾ مُغْشَاةً بَغْلَافٍ خَلَقِي يَمْنَعُهَا عَنْ فَهْمِ مَا جِئَتْ بِهِ ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ فقلوبهم

(١) في هامش (ن): قرأ حفص: (تفادوهم) وكتبها في المتن: (تفدوهم).

(٢) كذا.

ملعوناً بسببه ﴿فَقَلِيلًا مَّا﴾ إيماناً قليلاً ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ وهو إيمانهم ببعض الكتاب، أو أرادَ عدمَ إيمانهم ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ القرآن أي: ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ التوراة، وجواب «لِمَا» محذوف، دَلَّ عليه «لِما» الثانية ﴿وَكَانُوا﴾ اليهود ﴿مِن قَبْلُ﴾ يَسْتَفْتِحُونَ ﴿يَسْتَنْصِرُونَ﴾ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿بِقَوْلِهِمْ﴾: اللهم أيدنا بنبيِّ آخِرِ الزمان المنعوت في التوراة^(١) ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ حَسَدًا ﴿فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٨٨﴾ يَسْمَا أَشْتَرُوا ﴿بَاعُوا﴾ بِهِيَ أَنفُسَهُمْ ﴿فِي أَنَّهُمْ بَاعُوا ثَوَابَهَا بِالْكَفْرِ أَوْ اشْتَرَوْهَا حَقِيقَةً عَلَى زَعْمِهِمْ﴾ ﴿أَنْ يَكْفُرُوا﴾ مَخْصُوصٌ بِالذَّمِّ^(٢) ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعِيًّا﴾ حَسَدًا عَلَى ﴿أَنْ يُنَزَلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ الكتاب والنبوة ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ فَبَاءٌ ﴿وَرَجَعُوا﴾ بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ ﴿بَكَفْرِهِمْ بِمُحَمَّدٍ - ﷺ -﴾ بعد كفرهم بـ عيسى - ﷺ - ﴿وَاللَّكْفِيرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ لَكِنَّ عَذَابَ الْعِصَاةِ لِلتَّطْهِيرِ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ لليهود ﴿ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ القرآن ﴿قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾ التوراة ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ بما سواه ﴿وَهُوَ﴾ ما سواه ﴿الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ التوراة فالكفر به^(٣) كفر بها^(٤) ﴿قُلْ﴾ إِنْ صَدَقْتُمْ ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ﴾ جاء بالمضارع^(٥) للزوم الصفة لهم و﴿مِن قَبْلُ﴾ متعلق بمضمون ﴿فَلِمَ﴾ الذي هو البحث عن علة الشيء فكانه قيل: أخبروني من قبل ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بالتوراة [١٣ و] الناهية عنه وفعل آبائهم كفعالهم؛ لِرِضَاهُمْ بِهِ.

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الْمُعْجَزَاتِ الْوَاضِحَاتِ ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾

(١) سيرة أبي هشام (٢/١٩٨، ١٩٩)، تفسير ابن أبي حاتم (١/٢٧٦/٩١١)، جامع البيان (١/٣٢٥)، دلائل النبوة - لأبي نعيم (٤٤).

(٢) والفعل: «بِئْسَ».

(٣) بالقرآن.

(٤) بالتوراة.

(٥) والمراد: لم قتلتم؛ لأنه كالصفة اللازمة لهم، كقولك للكذاب: لم تكذب؟ وأنت تريد: لم كذبت؟ ولأن قرينة الحال تصرف اللفظ إلى الماضي وإن كانت الصيغة للاستقبال.

* وضع البرهان (١/١٥٢).

إِلَهَا ﴿ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ ﴿ مِنْ بَعْدِ ذَهَابِهِ ﴾ ﴿ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴾ عادتكم الظلم ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ﴾ ﴿ قَالَتَيْنِ: ﴿ حُدُّوْا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ﴾ ﴿ بِجِدِّ ﴿ وَأَسْمَعُوا ﴾ ﴿ أَطِيعُوا ﴾ ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا ﴾ ﴿ بِالْأَذَانِ ﴾ ﴿ وَعَصَيْنَا ﴾ بِالْقُلُوبِ، واعترفوا بالقبول ولم يفعلوا ﴿ وَأَشْرَبُوا ﴾ أعمق أبدانهم حتى دخل ﴿ فِي قُلُوبِهِمُ الْعُجْلَ ﴾ أي: حبه كدخول الصبغ الثوب ﴿ بِكُفْرِهِمْ ﴾ المبطون ﴿ قُلْ بِسْمَايَا مُرْكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ ﴾ بالتوراة من عبادة العجل وتكذيب مُحَمَّدٍ - ﷺ - ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ فَبِسْمَا ^(١) أَمْرِكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ ﴾ ﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ ﴿ فِي عِلْمِهِ ﴾ ﴿ خَالِصَةً ﴾ ﴿ خَاصَّةً بِكُمْ ﴾ ﴿ مِنْ دُونِ النَّاسِ ﴾ ﴿ الْبَاقِينَ ﴾ ﴿ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ ﴾ ادعوا به على الكاذب منا ومنكم أي: باهلوا ^(٢) ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ولو تمنوا لما بقي أحد منهم ^(٣) ﴿ وَكُنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴾ ﴿ يَمَّا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ من الذنوب عبَّر بها ^(٤) عن النفس؛ لأنها آلة أغلب صنائعها ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ ﴿ وَلَنَجْذِئَهُمْ أَخْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوْهِ ﴾ متطاولة ﴿ وَ ﴾ أحرص ﴿ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ ﴿ خَصَّهُمْ ﴾؛ لأنكارهم البعث ﴿ يَوْمَ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعْمَرُ ﴾ ﴿ لَوْ: لِلتَّمَنَّى ﴾ أي: أن يعمر، وحاصله يقول: ليتني أُعْمَرُ ﴿ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ ﴾ أحدهم ﴿ بِمُرْجَرِيهِ ﴾ ﴿ بِمُبْعَدِ نَفْسِهِ ﴾ ﴿ مِنْ أَلْعَابِ أَنْ يُعْمَرَ ﴾ تعميره ﴿ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ ﴾ ﴿ «جِبْرِيلُ» معناه: عَبْدُ «إِيل» معناه: الله، فما له إنصاف ^(٥) ﴿ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ ﴾ ﴿ الْقُرْآنَ ﴾ ﴿ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ ﴾ ﴿ بِأَمْرِ ﴾ ﴿ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ من الكتب ﴿ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ وَعَذَابًا

(١) في هامش (ن): بلغ مقابلة.

(٢) من المباهلة وهي الملاعنة ومنه قوله - تعالى -: ﴿ ثُمَّ نَبَّهَلْ ﴾.

(٣) قال الواحدي - رحمه الله -: وفي هذه الآية أبين دلالة على صدق نبينا محمد - ﷺ -؛ لأنه أخبر عن الله أنهم لا يتمنون الموت - ثم لم يرد - مع حرصهم على تكذيبهم - أن أحدا أتاه وقال: يا محمد! أنا أشتهي الموت وأتمناه؛ لأنهم علموا أنهم لو تهنوا لم يبق منهم صغير ولا كبير إلا مات، فكان إحجامهم عن ذكر الموت دليلا على عنادهم الحق وتكذيب من يعرفون صدقه. * والوسيط (١/١٧٧).

وانظر: معاني القرآن - للزجاج (١/١٥٢)، تفسير الطبري (٢/٣٦١)، الدر المنثور (١/٨٩).

(٤) باليدين.

(٥) كذا - والمعنى: إن من عادى جبريل لم يُنصَف في المعاداة.

وشدة على الكافرين ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجَزِيلٍ وَمِيكَدَلٍ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ ﴿١﴾ أي: له، وضع المظهر مكان المضمَر تسجيلاً على كفرهم، وقس عليه نظائره.

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿٢﴾ الفسق إذا استعمل في نوع من المعاصي دل على أعظمه ﴿أ﴾ كفروا بآياتنا ﴿وَكَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ﴾ ﴿٣﴾ طَرَحَهُ مَنْسِيًّا ﴿فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلَّ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٤﴾ رَدُّ لِسْوَهُمْ أَنَّ الْفَرِيقَ هُمُ الْأَقْلُونَ ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ بَدَّ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أَوْثُوا الْكُتُبَ كِتَابَ [١٣] ظ] اللَّهِ ﴿التوراة﴾ ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ ﴿٥﴾ أي: أعرضوا بجحدِهِم ما فيها من صفة محمد - ﷺ - ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٦﴾ ما فيها ﴿وَاتَّبَعُوا﴾ ﴿عطف على «نبذ»﴾ ﴿مَاتَلَوْا الشَّيَاطِينَ﴾ ﴿٧﴾ حكاية عن الماضي ﴿عَلَىٰ مَلِكٍ﴾ ﴿عَهْدٍ﴾ ﴿سُلَيْمَانَ﴾ ﴿٨﴾ أي: كتاب سحر كتبه الشياطين ودفنوه تحت كُرْسِيِّه واستخرجوه بعد موته، وقالوا: هو ملك بهذا السحر لا نبوته، فتعلموه ودفنوا نبوته ﴿وَمَا كَفَرَ﴾ ﴿٩﴾ ما سحر ﴿سُلَيْمَانُ﴾ ﴿١٠﴾ عبر عنه بالكفر لغلظه ^(١) ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ ﴿١١﴾ بما دفنوه وقالوه ^(٢).

* تنبيه:

السحر ^(٣): إتيان نفس شريرة بخارق عن مزاولة محرم، فإذا اقترن بكفر فكفر، وإلا فكبيرة ^(٤) عند الشافعي وكفر عند غيره، وتعلمه إذا لم يكن

(١) قال الماوردي: وهم ما نسبوه إلى الكفر، ولكنهم نسبوه إلى السحر، لكن لما كان السحر كفرا صاروا بمنزلة من نسبوه إلى الكفر. * النكت والعيون (١/١٦٤).

(٢) الوسيط - للواحد (١/١٨٣).

(٣) المفردات (٣٣١)، الكليات (٥/٣) التوقيف (٣٩٩).

(٤) الذخائر - للسفاريني (١٥٣) وتعلم السحر وتعليمه حرام، قال القرطبي (٢/٣٠، ٣١):

قوله - تعالى -: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ ﴿١﴾ تبرئة من الله لسليمان، ولم يتقدم في الآية أن أحدا نسبوه إلى الكفر، ولكن اليهود نسبته إلى السحر، ولما كان السحر كفرا صار بمنزلة من نسبة إلى السحر، ثم قال: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ﴾ ﴿٢﴾ فأثبت كفرهم بتعليم السحر. اهـ.

وقال ابن العربي في أحكام القرآن (١/٤٤): وما كفر سليمان قط ولا سحر، ولكن الشياطين كفروا

لِدَبِّ^(١) السحرة عند فُشُوهِ^(٢) حَرَامٍ عند الأكثرين.

وعِنْدَ الإمام^(٣) أنواعه ثمانية:

الأول: سحر الكلدانيين عبدة الكواكب^(٤).

الثاني: سحر ذوي الأفهام^(٥) والنفوس القوية.

الثالث: الاستعانة بالأرواح الأرضية.

الرابع: التخيلات والأخذ بالعيون.

الخامس: أعمال عجيبة ظاهرة من تركيب آلات مركبة كَفَارِسٍ في يده بُوق كل

ساعة يضر به بلا مس^(٦) أحد.

السادس: الاستعانة بخَوَاصِّ الأدوية^(٧).

السابع: تعليق القلب، كأن هدده بأني أفعل بك كذا وكذا بالاسم الأعظم، فإذا

سمعه تعلق قلبه به فتضعف قوته الحساسة فيتمكن من أن يفعل به ما يريد.

الثامن: السعي بالنميمة ونحوه.

والمعتزلة أنكروا كُلَّ ذَلِكَ إِلَّا التخيلى والنميمة^(٨)، والتحقيق أن الأعمال

== بسحرم وأتهم يعلمونه الناس، ومعتقد الكفر كافر، وقائله كافر، ومعلمه كافر اهـ.

وبهذا يعلم فساد القول بتعلمه، قلت: لعل الرازي - رحمه الله - يقصد بالإباحة معرفته لا تعلمه،

وفرق بينهما.

(١) دَفَعُ شَرَّهُمْ، والمسألة خلافية والراجحُ فيها جواز تعلُّمه لمن يأمنُ الفتنة لمعرفة الشرِّ لا للشرِّ، وإنما

للوفاية منه.

(٢) انتشاره.

(٣) الرازي، ونقله عنه ابن حجر الهيتمي في الزواجر (٢/١٦٤).

(٤) الذين يعتقدون بالوهية الأفلاك وأنها واجبة الوجود وأنها فاعلة، لها قوة نافذة غالبية في هذا العالم.

(٥) كذا في المخطوط وهو الصحيح، وفي الزواجر (٢/١٦٤): الأوهام.

(٦) هذا هو علم الآلات «ميكانيكا» وقد برع فيه المسلمون، وساق العلامة أحمد تيمور باشا نماذج

عديدة عليه في كتابه «خيال الظل والتمثيل عند العرب». * وانظر: قطرات الدمع فيما ورد في الشمع -

للحافظ ابن طولون (١٢/ بتحقيقي).

(٧) مفردة أو مركبة.

(٨) ليست في (ن)، وهي في (ح)، و(س)، و(ع)، و(د).

العجبية مِمَّا يُعْمَلُ بِالْآلَاتِ وَالْأَدْوِيَةِ كَأَعْمَالِ أَصْحَابِ الْحِيلِ وَأَصْحَابِ خَفَةِ الْيَدِ غَيْرِ مَذْمُومٍ^(١)، وتسميته سحراً تَجَوُّزًا، وَقَدْ بَانَ لَكَ بِهَذَا وَبِالتَّعْرِيفِ خُرُوجُ كَثِيرٍ مِنَ الْأَقْسَامِ الَّتِي ذَكَرَهَا الْإِمَامُ، وَمِنْهَا: الشُّعُودَةُ^(٢) وَهِيَ إِظْهَارُ عَمَلٍ شَيْءٍ تَشْتَغَلُ بِهِ أَذْهَانُ النَّاطِرِينَ وَأَعْيُنُهُمْ بِعَمَلِ شَيْءٍ آخَرَ عَلَى سَبِيلِ السَّرْعَةِ لِيُخْفِيَ الْأَمْرَ عَلَى النَّاطِرِ.

ثم اعلم أن المعجزة خرق عادة من نفس خيرة داعية إلى الخير مقرونًا بالتحدي على وفقه تتعذر معارضته، فخرج بالخيرة الداعية إلى الخير خوارق المسألة والساحر، وبالاتقان الكرامة والإرهاص^(٣) وبالوفاق خارقٌ يَشْهَدُ عَلَى خِلَافِ دَعْوَاهِ، كَمَنْ يَقُولُ: علامة نبوتِي: نطق هذا الحائط، فنطق بأنه كذاب وبتعذر المعارضة ما يعمل بخواص الأشياء.

ثُمَّ كَرَامَةُ الْوَلِيِّ، وَهُوَ الْمَقْبَلُ عَلَى اللَّهِ بِكُلِّ حَالٍ: هِيَ خَرَقُ عَادَةٍ مِنْ مَلْتَزِمٍ لِمَتَابَعَةِ نَبِيِّهِ بِلَا دَعْوَى النُّبُوَّةِ، فَخَرَجَ بِالتَّزَامِ الْاسْتِدْرَاجِ^(٤)، وَمُؤَكَّدِ تَكْذِيبِ الْكُذَّابِ كَمَرَضٍ مِنْ دَعَا بِعَافِيَتِهِ وَيُسَمَّى إِهَانَةً، وَكَذَا مَا وَقَعَ تَخْلِيصًا لِلْمُؤْمِنِينَ وَيُسَمَّى: مَعُونَةَ اللَّهِ أَعْلَمُ.

﴿وَيَعْلَمُونَهُمْ﴾ مَأْنَزَلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ ﴿أَيُّ: أُلْهِمًا بِهِ مِنَ السِّحْرِ وَمَعْرِفَةِ فُسَادِهِ﴾، ﴿بِبَابِلَ﴾: مَوْضِعٌ بِالْكُوفَةِ^(٥)، ﴿هَرُوتَ وَمَرْوَتَ﴾: بَيَانٌ لِلْمَلَكَيْنِ^(٦)، وَهُمَا كَانَا

(١) لكن خفة اليد إن اقترنت بحرام كسرقة وأكل أموال الناس بالباطل فحرام اهـ.

(٢) التضليل وهي الشعبة.

(٣) ما يظهر للنبي قبل النبوة كإظلال الغمام ونحوه اهـ.

(٤) ما يظهر على يد الكاذب.

(٥) بابل: مدينة أثرية بالعراق وتعرف الآن ببابل القديمة. * تقويم البلدان (٣٠٢)، المسالك والممالك -

للبيكري (١/٤٤٠)، معجم ما استعجم (١/٢١٨)، الأماكن - للحازمي (٢/٨٧٢)، معجم البلدان

(١/٣٠٩)، والكوفة: مدينة بالعراق على ذراع من الفرات خارج.

(٦) أقول: هذان ليسا ملكين؛ لأن الله عصم الملائكة عن المعصية، والظاهر أنهما رجلان صالحان شهما

بالملكين أو هما ملكين - بكسر اللام - وقد قرأ بها ابن عباس والضحاك وابن أبيزي وأبو الأسود

الدؤلي والحسن البصري وابن مزاحم. * البحر المحيط (١/٣٢٩)، تفسير الطبري (٢/٤٣٥).

قلت: ولإمام العلامة الفقيه البارع الولي عبد الغني النابلسي - رحمه الله ورضي عنه - كتاب ماتع

من أعبد الملائكة، رَكَّبَ اللهُ تَعَالَى فِيهِمَا الشَّهْوَةَ بَعْدَمَا طَعَنَ الْمَلَائِكَةَ فِينَا لِيُظْهِرَ عِزْرَنَا فَعَصِيًّا فَخِيْرَهُمَا بَيْنَ عِذَابِي الدَّارَيْنِ، فَاخْتَارَا عَذَابَ الدُّنْيَا، فَعَذَّبَهُمَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ^(١)، وَيَمْتَحِنُ بِهِمَا عِبَادَهُ^(٢)، وَنَزَلَهُ عَلَيْهِمَا لِأَيِّنَ فِي حُرْمَتِهِ؛ لِأَنََّّهُمَا يَعْلَمَانِهِ لِيَجْتَنِبُوهُ، كَمَا لَوْ سُئِلْتَ: مَا الزُّنَا؟ لَوْجِبَ بَيَانُهُ لِيُعْرَفَ فَيَجْتَنِبَ عَنْهُ، ﴿وَمَا يَعْلَمَانِ﴾: الْمَلِكَانَ ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾، أَحَدًا ﴿حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾، اخْتِبَارًا لَكُمْ ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾: بِتَعْلَمُهُ، كَأَنَّهُ كَانَ فِي هَذَا النَّوْعِ مِنَ السَّحْرِ كُفْرًا، ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا﴾: أَيُّ: سَحْرًا، ﴿يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾: خَصَّهُ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُ أَقْبَحُ أَنْوَاعِهِ^(٣)، ﴿وَمَا هُمْ بِضَاكِرِينَ بِهِ﴾: بِالسَّحْرِ ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾، أَحَدًا، ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بِأَمْرِهِ، ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾: لِأَنَّهُمْ يَتَعَلَّمُونَهُ لِلْعَمَلِ، ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾ السَّحْرَ بِدِينِ اللَّهِ بِاخْتِيَارِهِ عَلَيْهِ، ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ نَصِيبٌ خَيْرٍ، ﴿وَلَيْسَ مَا

= سماه «برهان الثبوت في تبرئة هاروت وماروت» طبع في (٣٧٦/ص) بدار البشائر الإسلامية المحروسة - بتحقيق الدكتور / عمر أحمد زكريا - وفقه الله.

وقال شيخ مصنفنا العلامة جلال الدين الدواني - بتشديد الواو المفتوحة - : وما اشتهر من قصة هاروت وماروت ليس مقبولاً عند الأكثر من المحققين بل ذكر (شيخ الإسلام) ابن تيمية أن السبب في إنزالهما أن السحر قد نفث في ذلك الزمان، واشتغل به الناس واستنبطوا أموراً غريبه منه وكثر دعوى النبوة، فبعث الله - تعالى - هذين الملكين ليعلمان الناس أبواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة السحرة الكفرة. * شرح رسالة العضد الإيجي (٢٦/أ - الظاهرية) نقلاً عن هامش برهان الثبوت.

(١) قال السيوطي في كتاب «الجبائك في أخبار الملائك». قال القرافي: ومن اعتقد في هاروت وماروت أنهما بأرض الهند يعذبان على خطيئتهما مع الزهرة فهو كافر، بل هم - يعني الملائكة - رسل الله وخاصته يجب تعظيمهم وتوقيرهم وتنزيههم عن كل ما يخل بتعظيم قدرهم، ومن لم يفعل ذلك وجب إراقه دمه. الجبائك (٢٥٤).

(٢) قال ابن كثير - رحمه الله - في البداية والنهاية (٣٧/١):

وأما ما يذكره كثير من المفسرين في قصة هاروت وماروت من أن الزهرة... إلخ فهذا أظنه من وضع الإسرائيليين، وإن كان قد أخرجه كعب الأخبار وتلقاه عن طائفة من السلف على سبيل الحكاية والتحديث عن بني إسرائيل ومن خرافاتهم التي لا يعول عليها - والله أعلم.

وقال في تفسير القرآن العظيم (٢٢٢/١): وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى النبي - ﷺ - الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى.

(٣) وهو سحر الفرقة بين الزوجين - والعياذ بالله -.

شَكَرُوا ﴿ بَاعُوا ^(١)، ﴿بِهِمْ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ نَزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْزَلَةٌ مِنْ جِهَلِهِمْ لَعَدَمِ عِلْمِهِمْ بِهِ، أَوْ الْمَثَبِ الْغَرِيزِيِّ ^(٢)، وَالْمَنْفِي الْمَكْتَسَبِ ^(٣)، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا﴾ بِمُحَمَّدٍ - ﷺ - ﴿وَأَتَقَوْا﴾ بِتَرْكِ الْمَعَاصِي، جَوَابُهُ: لِأَثْبَاتِهِمْ يَدُلُّ عَلَيْهِ: ﴿لَمْ تُؤْتُوا﴾ لَشَيْءٍ مِنَ الثَّوَابِ، ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ لَهُمْ، هَذَا مِنْ قَبِيلِ: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ إِذْ خَبَرُوا مُسْتَقَرًّا﴾ ^(٤)، أَوْ خَاطَبَهُمْ عَلَى اعْتِقَادِهِمْ، ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ^(٥) يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا ﴿لِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ﴾، ﴿رَاعِنَا﴾ رَاقِبِنَا وَتَأْنِ بِنَا لِنَفْهِمْ، لِأَنَّ لَهُ مَعْنَى قَبِيحًا بُلْغَةً الْيَهُودُ يَضْحَكُونَ بِهِ فِيمَا بَيْنَهُمْ ^(٥)، أَوْ لِأَنَّ الْمَفَاعَلَةَ لِلْمَشَارَكَةِ، ﴿وَقُولُوا أَنْظِرْنَا﴾ انظُرْ إِلَيْنَا، ﴿وَأَسْمَعُوا﴾: النَّصِيحَ قَبُولًا، ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾ السَّابِقِينَ رَسَلْنَا، ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ مَا يُؤَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: حَسَدًا ﴿وَاللَّهُ يُخَنِّصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾: وَلَهُ مَصَالِحٌ فِي حَرَمَانٍ بَعْضُ، ﴿مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ﴾: نَبِيْنِ انْتِهَاءِ حُكْمِهَا وَالتَّعْبُدِ بِقِرَاءَتِهَا أَوْ كِلَيْهِمَا، وَأَصْلُهُ إِزَالَةُ الصُّورَةِ عَنْ شَيْءٍ وَإِثْبَاتُهَا فِي غَيْرِهِ ^(٦)، ﴿أَوْ نُنسِئَهَا﴾: نَمَحُّهَا عَنِ الْقُلُوبِ سِوَاءِ كَانَتْ أَمْرًا أَوْ نَهْيًا أَوْ خَبْرًا، وَلَا يُعْتَبَرُ فِيهِ إِزَالَةُ الْحُكْمِ وَلَا إِزَالَةُ مَعْنَى لَفْظِ الْخَبَرِ، وَلِذَا وَرَدَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَنْسُونَ سُورَةَ كِبْرَاءَةٍ وَمِنْ

(١) وَمِنْهُ: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخِيسٍ﴾ (يوسف/ ٢٠) وَقَوْلُهُ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْغَبَاتِ اللَّهِ﴾ (البقرة/ ٢٠٧) أَي: يَبِيعُهَا. * عمدة الحفاظ (٢/ ٢٦٨).

(٢) الْفِطْرِيِّ.

(٣) الْمُتَعَلِّمِ.

(٤) سُورَةُ الْفِرْقَانِ (٢٤).

(٥) مَعَانِي الْقُرْآنِ - لِلزَّجَاجِ (١/ ١٦٥)، الدَّرُ الْمَثُورِ (١/ ١٠٣، ١٠٤)، وَالْوَسِيطِ (١/ ١٨٧)، فَتْحُ الْقَدِيرِ (١/ ١٢٥).

(٦) النَّسْخُ فِي اللُّغَةِ اسْمٌ مَشْتَرِكٌ بَيْنَ مَعْنِيَيْنِ:

أَحَدُهُمَا - النُّقْلُ؛ كَقَوْلِكَ: نَسَخْتُ الْكِتَابَ، إِذَا نَقَلْتَهُ مَا فِيهِ قَالَ اللَّهُ: ﴿إِنَّا كُنَّا سَنَنْسِئُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الجاثية/ ٢٩) وَالْمَعْنَى الثَّانِي: إِزَالَةُ كَقَوْلِهِمْ: نَسَخْتُ الشَّمْسَ الظِّلَّ وَنَسَخْتُ الرِّيحَ الْآثَارَ، وَهَذَا هُوَ الْمَعْنَى الْمُرَادُ مِنَ النَّسْخِ. * الْمَحْصُولُ (٣/ ٢٧٩)، الْإِحْكَامُ لِلْأَمْدِيِّ (٢/ ٣/ ١١٢)، شَرْحُ مُخْتَصَرِ الرُّوْضَةِ - لِلطُّوفِيِّ (٢/ ٢٥٢)، الْبَحْرُ الْمَحِيطُ (٤/ ٦٣).

آياتها: «لو كان لابن آدم الآية^(١)»: ﴿ثَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا﴾ أنفع للعباد، ﴿أَوْ مِثْلَهَا﴾: نفعاً، ولا دلالة في الآية على مَنْع النَّسْخِ بلا بَدَلٍ، أو بِيَدَلٍ أثقل، ولا مَنْعُ نَسْخِ الْكِتَابِ بِالسُّنَّةِ^(٢)، إذْ قَدْ يَكُونُ الْأَوْلَانُ أَصْلَحَ وَالسُّنَّةُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى^(٣)، ولا على حدوث القرآن لأنهما من عَوَارِضِ الْأُمُورِ المتعلقة بالمعنى القائم بالذات القديم، وقراءة: (ننسخ) من النسخ: أي: نأمر بنسخها، وقراءة: (ننساها)^(٤): أي نؤخرها، ﴿أَلَمْ تَعَلَّمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: ومنه النسخ والإساءة، ﴿أَلَمْ تَعَلَّمْ﴾: خَصَّهُ بِالْخِطَابِ؛ لمزيد معارفه، ﴿أَنْتَ اللَّهُ لَهُ مُلْكٌ﴾: فيفعل فيهما ما يشاء، ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يلي أمركم، ﴿وَلَا نَصِيرٌ﴾: الفرق بينهما جواز بعد الناصر وعجز الولي، ﴿أَمْ﴾: بل، ﴿تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ﴾: محمداً ﷺ، ﴿كَمَا سَأَلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾: إذ قالت اليهود: اتنا بكتاب نقرأه ونصدقك^(٥)، ﴿وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءً﴾: مستقيم، ﴿السَّبِيلِ ۝ ١٠٨﴾ وَكَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ أَن يُرَدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا﴾: للحسد، تمنوا ﴿مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ لا من قبل التدين، ﴿مَنْ بَعْدَ مَا نَبَيْنَا لَهُمُ الْحَقَّ﴾: في التوراة، ﴿فَاعْفُوا﴾: عن مجازاتهم، ﴿وَأَصْفَحُوا﴾: أعرضوا عنهم

(١) رواه مسلم في صحيحه (١٠٥٠) كتاب الزكاة - باب: لو أن لابن آدم واديين لا بتغى ثالثاً، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٧٥/٥)، والبيهقي في دلائل النبوة (١٥٦/٧)، وهذا هو الضرب الأول، وهو: أن تنسخ الآية وترفع ولا يعرف لها ناسخ من الكتاب، وذلك لا يعرف إلا من طريق الأخبار، كما روي أن سورة الأحزاب كانت تعدل سورة البقرة.

الثاني: أن تنسخ الآية، ويعرف ناسخها. * المصنفى بأكف أهل الرسوخ (٣٦)، تيسير البيان (١١٧/١).

(٢) نسخ القرآن بالسنة واقع جائز كنسخ خمس رضعات بعشر رضعات ومنعه قوم آخرون.

وانظر: للمع للشيرازي (١٢٩)، المحصول للرازي (٣٤٧/٣)، الإحكام - للأمدى (١٦٥/٣/٢).

(٣) لقوله - تعالى -: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾، وقوله: ﴿وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى﴾.

(٤) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وأبي بن كعب والنخعي وعاصم الجحدري.

* إتحاف فضلاء البشر (١٤٥)، البحر المحيط (٣٤٣/١).

(٥) تفسير الطبري (٤٩٠/٢، ٤٩١) والبحر (٣٤٥/١، ٣٤٦)، الوسيط (١٩٠/١)، الدر المنثور

(١٠٧/١)، تفسير ابن كثير (١٥٢/١)، فتح القدير (١٢٨/١)، غرائب القرآن (٣٦٤/١).

﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ في قتالهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ نَجِدُوهُ﴾ أي: ثوابه: ﴿عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: لا يضيع أعمالكم، ﴿وَقَالُوا﴾: أهل الكتاب، فيه لَفٌّ^(١) بين كلامي الفريقين، ﴿أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا﴾: أصله يهودًا أو جمع هائد^(٢) هذا مقالة اليهود، ﴿أَوْ﴾: لن يدخل الجنة إلا من كان ﴿نَصْرَانِيًّا﴾: هذا مقالتهم، ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾: جمع أمانية، أفعولة من التمني، ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾: على اختصاصكم بالجنة، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿١٣١﴾ بَلَى ﴿إثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة، ﴿مَنْ أَسْلَمَ﴾: أخلص، ﴿وَجَهَّهُ﴾: نفسه: أي: دينه، ﴿لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: متبع أمر الله ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: كما مر، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَانِيَّةُ عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَانِيَّةُ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾: له أصل، ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾: الذي فيه تصديق من كفروا به، ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: كآبائهم، ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاغْنُ اللَّهُ بِتَحْكُمِ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: بمجازاتهم، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ، وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾: بالهدم كما عمله النصارى ببيت المقدس، أو بالتعطيل، كصدّ المشركين المؤمنين من مكة، وحكمه يُعْمُ كل مسجد، ونفي الأظلمية هنا كنظائره مبالغة شائعة في كلام البلغاء، كآفتى إلا علي^(٣)، فلا ينافي نظائره ولا يضر أظلميه نحو المشرك، ولو سلم عدم المبالغة فغاياته أنه عام خصص، ﴿أُولَئِكَ﴾: المانعون، ﴿مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾: أي: لا تمكنوهم من دخولها إلا تحت هدنة، هذا فيه بشارة بنصرنا، وجوز أبو حنيفة دخولهم مطلقاً، ومنعه مالك من الحرم؛ آية: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾^(٤)، وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾: قتل وسبي، ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٣٢﴾ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾: فإن منعتم

(١) جمع وترتيب.

(٢) الوسيط - للواحد (١/١٩٢).

(٣) لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي.

(٤) سورة التوبة (٢٨).

من المسجد الحرام أو الأقصى ﴿فَأَيْنَمَا تُؤَلُّوْا﴾ شطر القبلة، ﴿فَتَمَّ وَجْهَهُ اللَّهُ﴾ جهته التي أمر بها، ﴿إِنَّكَ اللَّهُ وَاسِعٌ﴾: محيط بالخلق رحمة، ﴿عَلَيْهِمْ﴾: بالأعمال، وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنها نزلت في صلاة المسافر^(١)، ﴿وَقَالُوا﴾: اليهود في عزير، والنصارى في المسيح، والمشركون في الملك^(٢)، ﴿اتَّخَذَ﴾: صنع، ﴿اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ﴾ تنزيها له عن ذلك، ﴿بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾: خلقا ومُلْكًا، ومنهم الثلاثة، ﴿كُلُّ لَهُ قٰلِنُونَ﴾: منقادون، ﴿بَدِيْعٌ﴾: مُبْدِعٌ ﴿السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾: مخترعهما بلا مادة ولا مُدَّة^(٣)، واعلم أن هذا ليس فعيلًا بمعنى مُفْعِل، ولا صفة مضافة إلى الفاعل، بل مسند إلى ضمير الجلالة، وهذا أبلغ من المبدع؛ لأنه صفة يستحقها في غير حال الفعل على معنى القدرة على الإبداع، ﴿وَإِذَا قَضَىٰ﴾: أراد، ﴿أَمْرًا﴾، شيئًا، ﴿فَأَيْنَمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ﴾: احدث، ﴿فَيَكُوْنُ﴾: فيحدث، ولا قول^(٤) بل هو تمثيل لسرعة حصول ما تعلق به إرادته بلا مهلة، وأصل القضاء: إتمام الشيء قولًا أو فعلًا، فأطلق على تعلق إرادته تعالى بوجود شيء من حيث إنه يُوجِبُهُ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: المشركون أو اليهود، ﴿لَوْلَا﴾: هَلَّا، ﴿يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾: عيانًا، ﴿أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾: كتفجير الأنهار، لا يُقَالُ: هَلَّا أجابهم ليؤمنوا، لأنه ليس للحكيم فعل ما يُتَنَافَى مُقتضى حكمته بطلب جاهل أو شبهته، وقد أزاحها بغير ذلك، ﴿كَذٰلِكَ قَالَ﴾: الكفار، ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾: نحو: أرنا الله إلى آخره، ﴿تَشَبَّهتْ فُلُوْبُهُمْ﴾ عنادًا، ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُوْنَ﴾ يطلبون اليقين، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾: ملتبسًا، ﴿بِالْحَقِّ بَشِيرًا﴾: بالعفو،

(١) عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: كان رسول الله - صلی الله علیه وسلم - يصلي وهو مقبل من مكة إلى المدينة على راحلته حيث كان وجهه، قال: وفيه نزلت: ﴿فَأَيْنَمَا تُؤَلُّوْا فَمَّ وَجْهَهُ اللَّهُ﴾ رواه مسلم (٤٨٦/١/٧٠٠).

(٢) بفتح الميم واللام يعني الملائكة، قال الواحدي في أسباب النزول (٢٤): نزلت في اليهود حيث قالوا: ﴿عَزَّيْرُ ابْنِ اللَّهِ﴾ (التوبة/٣٠) وفي نصاري نجران حيث قالوا: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ (التوبة/٣٠)، وفي مشركي العرب قالوا: الملائكة بنات الله.

(٣) كذا.

(٤) بل هو قول، والله يتكلم - سبحانه - بحرف و صوت.

﴿وَنذِيرًا﴾: بالقهر، ﴿وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾: لِمَ لَمْ تُؤْمِنُوا، ونهى عن سؤاله عن حالهم لفظاً عنها^(١)، ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَبْعَ مِلَّتَهُمْ﴾: الملة ما شرعه الله تعالى لعباده ليتوصلوا به إلى جواره^(٢)، وإطلاقها على الباطل للتضاد، ﴿قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ ﴿الَّذِي﴾ بَعَثَنِي بِهِ ﴿هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾: الباطلة، ﴿بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾: يدفع عذابه عنك، ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾: أي: مؤمنوهم، ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾: بلا تحريف وكتمان، ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾: بكتابهم أو القرآن، ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١١١﴾﴾: يَبَىٰ إِسْرَاءَ يَلْ أَدْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾: عالمي زمانكم، ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْرَىٰ﴾: لا تقضي، ﴿نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا﴾ النفس الثانية، ﴿شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُصْرُونَ﴾: اذكُر، ﴿إِذْ أُبْتَلَىٰ﴾: عامل معاملة المختبر ﴿إِبْرَهِيمَ رَبُّهُ﴾: إذ لما كان في الحاضر الأوامر في مسألة على الاختبار خاطبنا بما نتفاهم وأصل الابتلاء: التكليف بأمر شاق، ﴿يَكَلِّمَتِ﴾: أي: بشرائع، إذ هي قد تقال على المعاني، أو عشر خصال، خمس في الرأس: القُصُّ^(٣) والمُضْمِضَةُ والاستنشاق والسواك والفرق، وخمس في باقي الجسد: القَلْمُ^(٤)، ونفث الإبط، وحلق العانة، والختان، والاستنجاء بالماء، أو مناسك الحج^(٥).

أو الخصال الثلاثين^(٦)، عشر في «التائبون»^(٧) إلى آخره، وعشر في ﴿إِنَّ

(١) في (ن): والنهي عن سؤاله لفظاً عنها.

(٢) هذا تعريف الراغب في مفرداته (٧١٦)، والفرق بينها وبين الدين أن الملة لا تضاف إلا للنبي الذي تسند إليه، ولا تكاد توجد مضافة إلى الله ولا إلى أحاد الأمة، ولا تستعمل إلا في جملة الشرائع دون آحادها. * التوقيف (٦٧٤)، تعريفات الجرجاني (١١١).

(٣) يعني قص الشارب.

(٤) يعني تقليم الأظفار.

(٥) رواه الحاكم في مستدرکه (٢/٢٦٦) موقوفا على ابن عباس. * وانظر: تفسير الطبري (٩/٣)، غرائب القرآن (١/٣٧٩)، فتح القدير (١/١٣٩)، أحكام القرآن لابن العربي (١/٣٦، ٣٧).

(٦) وهو مروى عن ابن عباس - رضي الله عنه - أيضاً.

(٧) سورة التوبة (١١٢).

الْمُسْلِمِينَ ﴿١﴾، إلى آخره ومنها: الخشوع المطلق، وعشر في: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (٢)، ومنها: خشوع الصلاة، وتُفَسِّرُ السَّيَاحَةُ (٣) بطلب العلم لا الصوم لثلاث يتكرر، ﴿فَأْتَمَّهُنَّ﴾: أَدَاهُنَّ تامة، ﴿قَالَ﴾: له ربه، ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾: إلى يوم القيامة قال، ﴿وَجَعَلْنَا مِنْكُمْ لِقَابَ إِبْرَاهِيمَ﴾: بعض، ﴿ذُرِّيَّتِي﴾: نسلي، ﴿إِمَامًا﴾: هذا كعطف تلقين، وهي (٤) من الذَّرِّ: التفريق، أو الذرء: الخلق، ﴿قَالَ﴾: الله، ﴿لَا يُتَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾: أشار إلى أن فيهم من لا يصلح لها، ودلَّ على عِصْمَةِ الأنبياء من الكبائر قبل البعثة وأن الفاسق لا يصلح للإمامة، ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ﴾: الكعبة، ﴿مَثَابَةً﴾: مرجعاً مرة بعد أخرى أو موضع ثواب، ﴿لِلنَّاسِ وَأَمْنَا﴾: للخائف، أو من عذاب الآخرة، وعند أبي حنيفة: موضع لا يؤخذ الجاني الملتجئ إليه حتى يخرج (٥)، فثوبوا إليه، ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾: الْحَجَرُ الْمَعْرُوفُ (٦)، قيل: هو المسجد الحرام، إذ كُلُّ الْحَرَمِ (مُصَلًى)، فتسن الصلاة خلفه تبركاً اتباعاً، وبالماضي عطف على ﴿جَعَلْنَا﴾، أي: جعل الناس الكعبة قبله، ﴿وَرَعَاهُنَّ﴾: أَمَرْنَا ﴿إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ﴾: بَأَن، ﴿ظَهَرَا بَيْتِي﴾: مما لا يليق به، ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾: حَوْلَهُ أَوِ الْغُرَبَاءِ، ﴿وَالْعَاكِفِينَ﴾: الْجَالِسِينَ فِيهِ، ﴿وَالرُّكَّعِ اشْجُودِ﴾: المصلين فيه، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا﴾: الْمَكَانَ ﴿بَلَدًا آمِنًا﴾، ذا أمن، نَكَرْهُنَا وَعَرَفَ فِي إِبْرَاهِيمَ (٧)، مع أنها مكية، وهذه مدنية؛ لوقوع هذا حال كونه مكاناً قفراً، وذلك حال كونه بلداً، ﴿وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾: لترفههم، ﴿مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

(١) سورة الأحزاب (٣٥).

(٢) سورة المؤمنون (١-١١)، وفي سورة ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾: من ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ (٣٣) الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿ (٢٣) إلى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَاطُونَ﴾ (٣٤).

(٣) في قوله: ﴿التَّنْبِيْهُنَّ﴾.

(٤) يعني الذرية.

(٥) تفسير الوسيط للواحدي (١/٢٠٤)، الفخر الرازي (٤/٤٧) معاني القرآن - للزجاج (١/١٨٦)، وللغراء (١/٧٧).

(٦) الذي كان يقوم عليه إبراهيم - عليه السلام - لبناء البيت.

(٧) في قوله - تعالى -: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾.

الْآخِرِ قَالَ: ﴿وَأَرْزُقْ مَنْ كَفَرَ﴾: عَطَفَ عَلَى ﴿مَنْ آمَنَ﴾ عَطَفَ تَلْقِينِ، ﴿فَأَمَّتْهُ، قَلِيلًا﴾: هُوَ دُنْيَاهُ الدُّنْيَا بِاعْتِبَارِ الْقَلَّةِ، ﴿ثُمَّ أَصْطَرَّهُ﴾: أَلْجَأَهُ، ﴿إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾: هِيَ ^(١) ﴿وَأِذْ﴾ كَانَ، ﴿يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمَ الْقَوَاعِدَ﴾: الْأَسَاسَ ﴿مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ كَانَ يَنَاوِلُهُ الْحِجْرَ قَائِلِينَ: ﴿رَبَّنَا نَقْبَلْ مِنَّا﴾ بِنَاتِنَا ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾ لِدَعَاتِنَا ﴿الْعَلِيمُ﴾: بِنَاتِنَا، ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ﴾: مُتَقَادِينَ ﴿لَكَ﴾، الْمُرَادُ: الزِّيَادَةَ، ﴿و﴾: اجْعَلْ، ﴿مِن دُرِّيَّتِنَا أُمَّةً﴾: جَمَاعَةً، ﴿مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا﴾: عَلَّمْنَا، ﴿مَنَاسِكَا﴾: مُتَعَبِّدَاتِنَا فِي الْحَجِّ، ﴿وَتُبِّ عَلَيْنَا﴾: مِنْ تَقْصِيرَاتِنَا أَوْ كَمَا سَيَأْتِي فِي: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ﴾ ^(٢) ﴿إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾، كَمَا مَرَّ، ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ﴾: فِي الْأُمَّةِ، ﴿رُسُلًا مِّنْهُمْ﴾: وَلَمْ يُبْعَثْ مِنْ ذَرِيَّتِهِمَا إِلَّا نَبِيْنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾: الْقُرْآنَ ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ بِهِ، ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: عَنِ الْفُسُوقِ.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ الْغَالِبُ، ﴿الْحَكِيمُ﴾. وَاضِعَ الْأَشْيَاءِ فِي مَوَاضِعِهَا، ﴿وَمَنْ﴾: أَي: لَا، ﴿يَرْعُبْ عَنِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾: فَسَّرْتُ مَرَّةً وَهِيَ ^(٣) أَصْلُ الشَّرْعِ بِاعْتِبَارِ إِمْلَاءِ النَّبِيِّ إِيَّاهُ عَلَى أُمَّتِهِ، وَالِدِينَ يِرَادُفُهَا صِدْقًا بِاعْتِبَارِ قَبُولِ الْمَأْمُورِينَ، وَالشَّرِيعَةَ أَحْكَامَ جُزْئِيَّةً يَتَهَذَّبُ بِهَا الْمَأْمُورُونَ مَعَاشًا أَوْ مَعَادًا، مَنْصُوصَةً مِنَ الشَّارِعِ أَوْ رَاجِعَةً إِلَيْهَا، ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ﴾: أَذَلَّ أَوْ جَهَلَ وَأَهْلَكَ ﴿نَفْسَهُ﴾، أَوْ يُمَكِّنُ نَزْعَ الْخَافِضِ ^(٤)، ﴿وَلَقَدْ أَصْطَفَيْتَهُ﴾: اخْتَرْتَهُ ﴿فِي الدُّنْيَا﴾، ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾: الْكَامِلِينَ فِي الصَّلَاحِ (و)، اذْكَرَ، ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ﴾ فَوَضَّ أَمْرَكَ إِلَى اللَّهِ، ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ﴾: فَوَضَّتُ أَمْرِي، ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: إِلَيْهِ، ﴿وَوَصَّى بِهَا﴾ بِالْمِلَّةِ، وَالتَّوْصِيَةُ: التَّقَدُّمُ إِلَى الْغَيْرِ بِمَا يَعْمَلُ بِهِ مَقْتَرِنًا

(١) المخصوص بالذم.

(٢) سورة التوبة (١١٧).

(٣) يعني الملة.

(٤) يعني نصب «نفسه» بنزع الخافض، وقدره البيضاوي: في نفسه - أنوار التنزيل (٢٧/ بهامش المصحف) وقد نقله عن الأحفش الأوسط في معاني القرآن (١/ ٣٣٧، ٣٣٨).

* وانظر: الوسيط - للواصي (٢١٣٨)، معاني الزجاج (١/ ١٩٠)، فتح القدير (١/ ١٤٤).

بصلاح ﴿إِزْهَعُ بِنِيهِ﴾: إسماعيل وإسحاق ومدين ومدان^(١)، ﴿وَيَعْقُوبُ﴾ بنيه الاثنى عشر، قائلين: ﴿يَبْنِي إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُونَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾: أي: داوموا على الإسلام إلى الموت، ﴿أَمْ﴾: بل ﴿كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾: حاضرين، ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ﴾: ردُّ لِقول اليهود: أنت تعلم أن يعقوب أوصى بنيه باليهودية عند الموت، ﴿إِذْ﴾: بدل من ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ عَابَاكَ إِزْهَعُ وَإِسْمَاعِيلَ﴾: ذكره للتغليب، ﴿وَإِسْحَاقَ إِلَهًا﴾: أبدله من إلهك نفياً لتوهم ينشأ من تكرير المضاف لتعذر العطف على خالص^(٢) المجرور، ﴿وَإِجْدَا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(٣) تلك: إبراهيم ويعقوب وبنوهمما، ﴿أُمَّةٌ﴾: جماعة، ﴿قَدْ خَلَتْ﴾: مضت، ﴿لَهُمَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ﴾: يا يهود ﴿مَا كَسَبْتُمْ﴾: فلا يفيدكم الانتساب إليهم، في الحديث: «يا بني هاشم لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم»^(٣)، ﴿وَلَا تُشْتَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: من السيئات كما لا تثابون بحسناتهم ﴿وَقَالُوا﴾: أهل الكتاب للمؤمنين، وفيه لف لكلام الفريقين، أو قول اليهود: ﴿كُونُوا هُودًا﴾: جمع هائد ﴿أَوْ نَصْرَى﴾: قائلة للنصارى، ﴿يَهْتَدُوا قُلْ بَلْ نَتَّبِعُ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ مائلاً عن الباطل، حال من بعد المضاف أو المضاف إليه، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: تعريض للمخاطبين ﴿قُولُوا﴾: أيها المؤمنون، ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾: القرآن وما أنزل من الوحي، ﴿إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾: أولاد يعقوب وفيهم الأنبياء، ﴿وَمَا أَوْقَىٰ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أَوْقَىٰ النَّبِيُّونَ﴾: كلهم، ﴿مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾: في نبوتهم، بخلاف اليهود، ﴿وَقُولُوا﴾: نحن لله ﴿مُسْلِمُونَ﴾: مُتقَادُونَ، ﴿فَإِن ءَامَنُوا﴾: أهل الكتاب، ﴿بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ﴾: من باب التعجيز نحو: ﴿فَأَتُوا سُورَةَ مِن مِّثْلِهِ﴾ أو المثل، أو الباء صلة ﴿فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِن لَّوَلُوا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾: خلاف، ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾: السين للتحقيق وإن تأخر، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾: الزموا، ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾: فطرته التي فطر الناس عليها

(١) تفسير البيضاوي (٢٧).

(٢) من (ح): فقط.

(٣) انظر: استجلاب ارتقاء الغرف - للسخاوي (٢/٦٤٤) ط / البشائر الإسلامية.

من بداية^(١) العقول أو معرفة حسن العدالة وطلب الحق، وقيل: هي التطهير، عبر بها عنه مشاكلة وهي التعبير عن الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته قالا أو حالا، فإن النَّصَارَى يغمسون أولادهم في ماءٍ أَصْفَرَ زاعمين أنهم يتنصرون^(٢) به، ﴿وَمَنْ﴾: أي: لا أحد، ﴿أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً﴾: فطرة، ﴿و﴾: قولوا: ﴿تَحْنُ لَهُ عِيدُونَ﴾^(٣) قُلْ ﴿لأهل الكتاب: ﴿اتَّحَاجُّونَنَا﴾ تجادلوننا في دين ﴿اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْنَا﴾: فكل منا يُجْزَى بعمله، ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾: في الإيمان دونكم، ﴿أَمْ﴾: بَلْ ﴿تَقُولُونَ إِنَّا نَزَّهَعَهُ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا﴾: عِنْدَ الْيَهُودِ ﴿أَوْ نَصْرَى﴾: عِنْدَ النَّصَارَى ﴿قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ إِذْ قَالَ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾^(٤)، ﴿وَمَنْ﴾: لا أحد، ﴿أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾: أي: شهادة الله لهؤلاء، إذ في التوراة أنهم ما كانوا منهما فَكْتَمُوهُ، ﴿وَمَا اللَّهُ بِعَاقِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٥) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُنْشَئُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: كرر تأكيدًا وزجرًا لكثرة المتكلمين بصلاح آبائهم، ﴿سَيَقُولُ﴾^(٦) أتى بالسين مع مُضِيَّهِ لاستمرارهم، ﴿السَّهَاءَ﴾: الجهال من الناس اليهود^(٥) أو مُشْرِكُو مَكَّةَ، ﴿مَا﴾: أيُّ شَيْءٍ؟ ﴿وَلَهُمْ﴾، صَرَفَهُمْ ﴿عَنْ قُلُوبِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾: أي: الصَّخْرَةَ، وَأَصْلُ الْقِبْلَةِ حَالٌ عَلَيْهَا الْإِنْسَانُ مِنَ الْإِسْتِقْبَالِ، وَعُرْفًا: مَكَانٌ يُتَوَجَّهُ نَحْوَهُ لِلصَّلَاةِ، ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾: لا يَخْتَصُّ بِهِ مَكَانٌ دُونَ مَكَانٍ، وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ: الْإِتِّمَارُ، ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ، ﴿وَكَذَلِكَ﴾: كَمَا هَدَيْنَاكُمْ إِلَيْهِ، ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾: عُدُولًا، وَأَصْلُهُ^(٦): مَكَانٌ يَسْتَوِي إِلَيْهِ الْمَسَاحَةُ مِنَ الْجَوَانِبِ ثُمَّ اسْتَعِيرَ لِلخِصَالِ الْمَحْمُودَةِ ثُمَّ أَطْلَقَ عَلَى الْمُتَصِفِ بِهَا، وَالآيَةُ دَلَّتْ عَلَى أَنَّ الْإِجْمَاعَ

(١) كذا.

(٢) وكذلك الروافض يغمسون أولادهم في ماءٍ يقال له: «الكر».

(٣) سورة آل عمران (٦٧).

(٤) في هامش (ن): الجزء (٢).

(٥) وهو صحيح إذ لا أسفه من اليهود ولا أغبى منهم إلا الروافض.

* الوسيط (١/٢٢٤)، الجامع للطبري (٣/١٣٠)، تفسير ابن كثير (١/٢٨٩).

(٦) الوسط.

حُجَّةٌ^(١)، ﴿لَنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾: في تبليغ جميع الرسل، ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾: فَيَزِيكِيكُمْ، عُدِّي^(٢) بعلَى؛ لتَضْمُنْ معنى الرقبة^(٣)، ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ﴾: أول المفعولين^(٤) وثانيهما: الجهة، ﴿الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾: أو لا بمكة، إذ قبل الهجرة كان يُصَلَّى إليها، وبعدها إلى الصخرة، أو كان خاطرك مائلاً إليها، وهي الكعبة، ولذا كان يجعلها بينه وبين الصخرة قبل الهجرة على رواية ابن عباس^(٥) ﷺ، ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾: علم ظهور عند تحويلها، ﴿مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ﴾: متميزاً، ﴿مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾: يرتد، وقد ارتد به كثير^(٦)، ﴿وَإِنْ﴾ إنه ﴿كَانَتْ﴾ التولية^(٧)، ﴿لَكَبِيرَةً﴾: ثقيلة، ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى﴾: هَدَاهُمْ (الله)، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾: بالقبلة الأولى، أو صلاتكم إليها، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ﴾: شديد الرحمة، ﴿رَحِيمٌ﴾: أخره للفاصلة، ﴿قَدْ﴾ استعيرت للكثرة^(٨)، أي: رُبَّمَا، ﴿نَزَى تَقَلُّبٌ﴾: تَرُدُّدٌ، ﴿وَجِهَكَ﴾: في جهة، ﴿السَّمَاءِ﴾: انتظاراً للوحي بتغيير^(٩) القبلة إلى الكعبة، وَعَدًّا^(١٠) لا هَوَى، ﴿فَلَنُؤَيِّنَنَّكَ﴾: نصيرنك والياء، ﴿قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾: أي: رِضًا حُبَّ طبعي لا انقيادي، ﴿قَوْلٍ﴾: اصرف، ﴿وَجِهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: الْمُحَرَّمِ فِيهِ الْقِتَالُ ونحوه، وإنما ذكره دون الكعبة؛ لنزولها بالمدينة والبعيد يلزمه مراعاة جهة فيها العين، أعنى تقَعُ الكعبة بين خَطَّيْنِ خَارِجِيْنِ عن دماغه مارين على عينيه كَسَاقِي مِثْلَتْ.

(١) أنوار التنزيل - للبيضاوي (٢٩، ٣٠).

(٢) يعني الفعل «يكون».

(٣) المراقبة والتولي.

(٤) لأن «جَعَلَ» ينصب مفعولين.

(٥) الوسيط (١/٢٢٦).

(٦) ليس صحيحاً والذين ارتدوا قوم قليل، قال الماوردي: لأن القبلة لما حولت ارتد من المسلمين قوم

ونافق قوم. * النكت والعيون (١/٢٠٠).

(٧) في (ع): التوراة!!.

(٨) بل هي هنا للتحقيق.

(٩) في (ع): بتغيير.

(١٠) كذا.

* **تنبيه:** اعلم أن طلب العين عند المشاهدة مُجمَعٌ عليه، وأما في الاجتهاد عند غيبتها فمختلف فيه، فعن أبي حنيفة وأحمد رضي الله عنهما أن المطلوب بالاجتهاد: الجهة، وعن مالك: الكعبة قبله أهل المسجد، والمسجد قبله مكة، وهي قبله الحرم، وهو قبله الدنيا، واختلف فهُمُ أَصْحَابُ الشَّافِعِيِّ رضي الله عنه عن نصوصه في أن المطلوب به العين أو الجهة وظاهر عبارة الإمام وما أخذنا من مشايخنا: أن تولية الوجه شطر الشيء تَوَجِيهها إلى نَحْوِ عَيْنِهِ إِنْ شَاهَدَهَا، وإلى جهةٍ يرى أن العين فيها إن غابت، فالمطلوب بالاجتهاد وحينئذ عنده: الجهة، كسائر الأئمة إلا أنه قال: التوجه إلى العين في الغائب بالتوجه إلى الجهة التي فيها العين والله أعلم.

﴿وَيَحِثُّ﴾: أين، ﴿مَا كُنْتُمْ﴾: من الأمكنة، ﴿فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ سَطْرَةً﴾: في الصلاة.

* تنبيه:

استدلَّ بِهِ مَنْ مَنَعَ المكتوبة في الكعبة، وهو دليل من جَوَزَهَا^(١)، تقرير الأول: أن من صلى الفرض داخلها يكون مستقبلاً لبعضها غير مستقبل لبعضها فلا يكون مستقبلاً لكلها، فلا تصحُّ صَلَاتُهُ، وتقرير الثاني: أنَّ حَيْثُمَا إِمَّا صِيغَةٌ عَمُومٌ فَتَتَنَاوَلُ مِنْ كَانَ داخلها فهو مأمور بالتوجه إليها فيها، فإذا أتى به بما أمكنه خرج عن العهدة أو غير عموم، فلا يكون متناولاً لهذه المسألة، فلا يصح استدلالكم به هنا، ويرد على الأول صحَّةُ الصلَاةِ عِنْدَ الكعبة خارجها، وعلى الثاني: إمكان كونه أمراً بالخروج لوجوب مقدمة الواجب والله تعالى أعلم.

* [آخر]^(٢): الكعبة هي الأجسام المخصوصة من السطح والحيطان والقرار، والقبلة هي الخلاء الذي فيه تلك الأجسام، فلو انهدمت تصحُّ صلاة من توجه إلى عَرَصَتِهَا^(٣) من خارجها، وأما مَنْ داخلها فمُخْتَلَفٌ فِيهِ، والله سبحانه أعلم.

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾: التوراة، ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾: التحويل، ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾:

(١) الصحيح جواز الصلاة فيها؛ لوروده في صحيح الحديث. اهـ.

(٢) يعني: تنبيه آخر.

(٣) ساحتها ومكانها.

إذ في كتبهم أنه يصلي إلى القبلتين، ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾: من كتمانها، ﴿وَلَيْنَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ﴾: دالة على أن الكعبة قبله، ﴿مَا تَعْبُوا قِبْلَتَكَ﴾: حسدا، ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ﴾: الصخرة لليهود، ومطلع الشمس للنصارى، ووحدها لاتحادهما بطلاننا، ﴿وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾: كما مر، ﴿وَلَيْنَ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾: في مداراتهم، ﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾: بالوحي، ﴿إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظُّلُمَاتِ﴾: مثلهم هذا تخويف لنا، ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾: مُحَمَّدًا - ﷺ -، ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾: بلا التباس، ﴿وَإِنْ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾: نعتُهُ، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: من كتبهم، ﴿الْحَقُّ﴾: الذي يكتُمون كائنٌ، ﴿مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ﴾: أنت مع أمتك، ﴿مِنَ الْمُكْفُرِينَ﴾: الشاكين فيما أخبرناك، ﴿وَلِكُلِّ﴾: من أهل الكتاب، ﴿وَجْهَةٌ﴾: قبله، ﴿هُوَ مَوْبِأٌ﴾: وجهه، ولكل عمل ذنوبي يصل به إلى الله تعالى إن راعى شرائطه، ﴿فَاسْتَبِقُوا﴾: بادروا، ﴿الْحَيَاتِ﴾: باتباع أوامر الله عز وجل، ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا﴾: أنتم وأهل الكتاب، ﴿يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ﴾: بقبض أرواحكم أو حشركم، ﴿جَمِيعًا﴾: إذ، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٤٨) ﴿وَمِنْ حَيْثُ﴾: أى مكان، ﴿خَرَجْتَ﴾: للسفر، ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: في الصلاة، ﴿وَإِنَّهُ﴾: المأمور به، ﴿لَلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١٤٩) ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾: كرره دفعا لتوهم مظنة النسخ، ولترتب كل واحد على علة، فالأول: لإرضاء الرسول، والثاني: لأن لكل ذي شرع قبله، والثالث: ﴿لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾: أحد منهم، ﴿عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾: مستمسك من أن النبي المنعوت قبلته الكعبة، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾: من الناس، كمشركي مكة، إذ قالوا: سيرجع إلى ديننا كما رجع إلى قبلتنا^(١) والمراد نفي الحجة، ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾: الظالمين، ﴿وَإَخْشَوْنِي وَلَا تَمَنَّوْا﴾: عطف على لئلا، ﴿نِعْمَتِي﴾: تكميل الشريعة، وفي الحديث: «تمام النعمة دخول الجنة»^(٢)، ﴿عَلَيْكُمْ وَعَلَيْكُمْ

(١) الوسيط (١/ ٢٣٢).

(٢) حديث: «تمام النعمة دخول الجنة، والقور من النار» رواه أحمد (٥/ ٢٣١)، والبخاري في الأدب المفرد (٧٢٥)، والترمذي في جامعه (٥/ ٣٥٢٧)، والطبراني في الكبير (٢٠/ ٩٨)، وضعفه الألباني في ضعيف

تَهْتَدُونَ ﴿: إِلَى الصَّوَابِ، ﴿كَمَا﴾ متعلق لأتم، ﴿أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ ﴿: مِنْ ذِمَائِمِ الْأَخْلَاقِ، ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ ﴿: الْقُرْآنَ، ﴿وَالْحِكْمَةَ ﴿: السُّنَّةُ (١)، ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿: بِأَفْكَارِكُمْ، ﴿فَاذْكُرُونِي ﴿: بِالطَّاعَةِ أَوْ فِي الرِّخَاءِ، ﴿أَذْكُرْكُمْ ﴿: بِالْمَغْفِرَةِ، أَوْ فِي الشَّدَةِ وَالذِّكْرِ، يُقَالُ لِهَيْئَةٍ فِي النَّفْسِ بِهَا يَتِمَّكَّنُ (٢) أَنْ يَحْفَظَ مَا عَرَفَنَاهُ، وَلِحُضُورِ الشَّيْءِ الْقَلْبَ أَوْ الْقَوْلَ، وَالْأَوَّلُ: كَالْحَفْظِ إِلَّا فِي اعْتِبَارِ الِاسْتِحْضَارِ وَالِاحْتِرَازِ، ﴿وَأَشْكُرُوا لِي ﴿: بِطَاعَتِي، ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿: بِمَعْصِيَتِي، وَعَلَى هَذَا لَا يَغْنِي ذِكْرُ أَحَدِهِمَا عَنِ الْآخَرِ، أَوْ الثَّانِي: أَمْرٌ بِالثَّبَاتِ عَلَى الشُّكْرِ أَمْرًا بِذِكْرِهِ، وَأَمْرٌ بِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ بِذِكْرِ نِعْمَةِ لِفَضْلِ مَعَارِفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَلَمْ يَقُلْ: وَاشْكُرُونِي لِقُصُورِنَا عَنِ إِدْرَاكِهِ، ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا ﴿: عَلَى طَلْبِ الْآخِرَةِ (٣)، ﴿بِالصَّبْرِ ﴿: عَلَى الطَّاعَةِ وَعَنْ حُضُوظِ النَّفْسِ، وَهُوَ الْجِهَادُ الْأَكْبَرُ (٤)، ﴿وَالصَّلَاةَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿: بِالإِعَانَةِ أَفْهَمُ أَنَّهُ مَعَ الْمُصَلِّينَ مِنْ بَابِ أَوْلَى، ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿: كَشُهَدَاءِ بَدْرِهِمْ، ﴿ءَمُوتُوا بَلَّ ﴿: هُمْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ، ﴿وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿: مَا حَالَهُمْ؛ لِأَنَّ حَيَاتِهِمْ لَيْسَتْ مِنْ جِنْسِ مَا يَحْسُ بِهِ مِنَ الْحَيَوَانِ بَلْ إِنَّمَا يَدْرِكُ بِالعَقْلِ بَلْ بِالوَحْيِ، وَالصَّحِيحُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُلَطِّفُ بَعْدَ المَوْتِ أَوْ القَتْلِ مَا تَقُومُ بِهِ البِنْيَةُ الْحَيَوَانِيَّةُ فَيَجْعَلُهُ بِحَيْثُ يَشَاءُ مِنْ عَلِيِّينَ أَوْ سَجِينِ، وَسَيَأْتِي مُزِيدٌ بَيَانٌ فِي آلِ عِمْرَانَ.

﴿ وَنَبِّئُونَكُمْ ﴿: لِنَصِيحَتِكُمْ أَصَابَةَ مِنْ يَخْتَبِرُكُمْ، ﴿بِشَيْءٍ ﴿: قَلِيلٍ، ﴿مِنَ الخَوْفِ ﴿: مِنْ

=====

= الجامع (٢٤٨١)، والضعيفة (٣٤١٦).

(١) النكت والعيون (٢٠٨/١).

(٢) الذُّكْرُ: يَرَادُ بِهِ هَيْئَةُ النَّفْسِ بِهَا يُمْكِنُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَحْفَظَ مَا يَقْتَنِيهِ مِنَ المَعْرِفَةِ، وَهُوَ كَالْحَفْظِ.

* المفردات (٢٥٩)، الكليات (٣٥١/٢).

(٣) بَلَّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

(٤) يَشِيرُ إِلَى حَدِيثٍ: «رَجَعْنَا مِنَ الْجِهَادِ الْأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ، جِهَادِ النَّفْسِ» قَالَ السِّيُوطِيُّ فِي الدَّرَرِ الْمُنْتَشِرَةِ (١٢٤): قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجْرٍ فِي «تَسْدِيدِ الْقَوْسِ» هُوَ مَشْهُورٌ عَلَى الْأَلْسِنَةِ، وَهُوَ مِنْ كَلَامِ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ أَبِي عِبْلَةَ فِي «الْكُنَى» لِلنَّسَائِيِّ - انْتَهَى. وَلَهُ لَفْظٌ آخَرٌ: «قَدِمْتُمْ» عِنْدَ الخَطِيبِ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ.

العدو، وإنما قلَّله بالنظر إلى ما وقاهم عنه، ﴿وَالْجُوعُ﴾: كالحقط، ﴿وَنَقَصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ﴾: بالموت والمرض والشيب، ﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾: بالجوائح^(١)، ﴿وَكَثِيرٍ﴾: يا محمد، ﴿الضَّالِّينَ﴾: منهم، ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا﴾: باللسان والقلب: ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾: عبيداً أو ملكاً، ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾: فيجازينا، ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ﴾: مَغْفِرَةٌ كَثِيرَةٌ^(٣)، ﴿مَنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةً﴾: إحسان، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾: إلى الصَّوَابِ، ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ﴾: جبلين بمكة كان عليهما صنمان: إساف ونائلة، وتحرَّج المسلمون السعي بين كلِّ منهما لتشبههم بالجاهلية^(٤)، ﴿مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾: أعلام مناسكه، ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ﴾: أصل الحج: القصد، والاعتماد: الزيارة، فغلبا شراً على قصد البيت وزيارته المخصوصين، ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾: إثم، ﴿عَلَيْهِ﴾: في، ﴿أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا﴾: دَلَّ على الجواز الداخل في معنى الوجوب؛ فإنَّ معناه: عدم الحرمة والكراهة، وأما وجوبه فيثبَّت بالسنة، ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ حَيْرًا﴾: فعل طاعة أو زاد على فرضه، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ﴾: يجازي عمَلَهُ^(٥) الخير، ﴿عَلِيمٌ﴾: بأحواله، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾: أي: اليهود، ﴿مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكُتُبِ﴾: التوراة، ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾: أي: مَنْ يتأتَّى منه اللَّعْنُ حتى الكافرين، فإنهم يوم القيامة يلعن بعضهم بعضاً، واللَّعْنُ: الطَّرْدُ سَخَطًا وهو من الله تعالى، في العقبي العقوبة، وفي الدنيا: الانقطاع عن قبول فيضِهِ، ومن غير الله: دُعَاءٌ على غيره، ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾: عن الكتمان، ﴿وَأَصْلَحُوا﴾: ما أفسدوا، ﴿وَبَيَّنُّوا﴾: ما كتموا، ﴿فَأُولَئِكَ أَثُوبٌ عَلَيْهِمْ﴾: أقبل توبتهم، ﴿وَإِنَّا لَتَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾: كَمَا مَرَّ، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ

(١) جمع جائحة وهي المصيبة المهلكة للزرع تجتاحه.

(٢) ورد بلفظ: «كل شيء ساء المؤمن فهو مصيبة» رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٢/٤٠٧/٣٥٤)،

وسنده ضعيف.

(٣) بل الصلاة من الله ذكره لعبده وثناؤه عليه.

(٤) رواه الطبراني في الأوسط (٥/٤٨/٤٦٣٨) وسنده ضعيف.

(٥) في (ع): عملة.

لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿: حتى أهل دينهم كما مر، ﴿خَلِدِينَ فِيهَا﴾: في اللعنة، ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: ولَمَّا قَالَتْ قُرَيْشٌ: يَا مُحَمَّدُ! صِفْ لَنَا رَبَّنَا نَزَلَ ﴿١﴾، ﴿وَاللَّهُ كَرِيمٌ إِنَّهُ وَاحِدٌ﴾: كرَّر الإله لبيان اعتبار الوحدة في الألوهية، ثم رفع توهم أن في الوجود إله سواه بقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾: ثم قالوا: إن صدقت فأتنا بآية، فنزل: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ﴾ جمع؛ لاختلاف طبقاتها طبعا ﴿وَالْأَرْضِ وَأَخْتَلَفِ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾: نُورًا وظلمةً ونحوهما أو تعاقبهما، ﴿وَالْفُكَّ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا﴾: بالذي، ﴿يَنْفَعُ النَّاسَ﴾: في نحو تجاراتهم، وقدم الفلك على الرياح والسحاب؛ لأن المقصود ذكر منفعة البحر وهو منشؤها غالبًا، ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْيَبَ بِهِ الْأَرْضَ﴾: بالنبات، ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ﴾: فرق ﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ﴾: في مهابتها كالشمال^(٢) وغيره، وأحوالها كالعاصفة وغيرها، ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسْحَرِ﴾: المُذَلَّل لأمر الله، مشتق من السَّحِبِ؛ لجرَّ بعضه بعضًا^(٣)، ﴿بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَبْتِغِي﴾: لوحده وقدرته، ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يستعملون العقل فيما خلق له، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا﴾: كالأصنام والأحبار، والند: المثل في الجوهر، ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾: يُعَظِّمُونَهُمْ، ﴿كُحُبِ اللَّهِ﴾: كتعظيمه أي: كحُبِّهم لله، فإنَّ المشرك يعرفه ويشرك به، أو كحُبِّ المؤمن لله، أو كحبه الواجب عليهم، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾: لأن الكفرة عند البلاء يعرضون عنها، والمحبة من الحب: استعير لِحَبَّة القلب، واشتق منه الحبُّ؛ لرُسُوخه فيها، وهي عرفًا: إرادتك ما تظنه خيرا، وهي إمَّا لِلذَّة ومنه: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ﴾^(٤) وأما للنفع، ومنه ﴿وَأُخْرَى يُحِبُّونَهَا﴾^(٥) وأما للفضل كما نحن فيه، ومحبة الله تعالى العبد: إرادة إكرامه وتوفيقه لطاعته، ﴿وَلَوْ تَرَى﴾: يَعْلَمُ، ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: أي: هؤلاء، ﴿إِذْ يَرُونَ﴾: يعاينون، ﴿الْعَذَابَ﴾: في القيامة، ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا

(١) الوسيط - للواحد (١/٢٤٥).

(٢) بفتح الشين المشددة: ريحٌ تقابل الجنوب، ويقال لها أيضًا: «شمال» بوزن جعفر.

(٣) لأن الهواء يسحب.

(٤) الإنسان.

(٥) الصف.

وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١﴾: أي: لرأوا أو رأيت أمراً فظيماً، ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ المتبوعون ﴿وَمِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأُوا الْعَذَابَ وَتَقَطَعَتْ بِهِمْ﴾: بكفرهم، ﴿الْأَسْبَابُ﴾: الوصل التي كانت بينهم من الاتباع وغيره، وأصلها: الحبل الذي يرتقي بها الشجر، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ﴾: للتمنى كما مرَّ ﴿أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾: رجعة إلى الدنيا، ﴿فَنَتَّبِعَ مِنْهُمْ﴾: من المتبوعين، ﴿كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا﴾: في الآخرة، ﴿كَذَلِكَ﴾: الإراء الفظيع، ﴿رَبِّهِمْ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسْرَتٍ﴾: ندامات، ﴿عَلَيْهِمْ﴾: لا يرون إلا الحسرات مكان الأعمال، ﴿وَمَا هُمْ بِخَازِحِينَ مِنَ النَّارِ﴾: أصلاً، عدل عن: ما يخرجون إقناطاً عن الخلاص، ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوًا وَمَا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا﴾: ما يستطيه الشرع^(١)، ﴿طَيِّبًا﴾: ما تستطيه الشهوة المستقيمة بخلاف نحو الأكل على الشبع، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ﴾: سُبُل، ﴿الشَّيْطَانِ﴾: لا تعدوا به في التحليل والتحریم، ولا تحرموا على أنفسكم رفيع الأطعمة والملابس، ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: ظاهرُ العداوة عند ذوي البصيرة، ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ﴾: استعير الأمر لبعثه لكم على الشر تسفيهاً لرأيهم، ﴿بِالسُّوءِ﴾: ما استقبحة العقل أو معصية لا حد فيها^(٢)، ﴿وَالْفَحْشَاءِ﴾: ما استقبحة الشرع أو ما فيه حد، ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾: كالإشراك وتحريم الحلال، وعكسه، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَنبَغُ مَا أَفْعَيْنَا﴾: وَجَدْنَا، ﴿عَلَيْهِ آيَاتٌ نَا﴾: (أ) تتبعونهم ﴿وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ لَيَقْتُلُونَ سَيِّئًا﴾: بتحصيل العلوم المكتسبة، ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾: بالاقتداء بمن يعقله، دلّت على منع القادر على الاجتهاد عن التقليد، مثلك ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِصَوْتٍ﴾: بما: بحيوان، ﴿لَا يَسْمَعُ﴾: يفهم، ﴿إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾: من الداعي بلا فهم معناه، ﴿صُمٌّ﴾: عن سماع الحق، رُفِعَ ذَمًّا ﴿بِكُمْ﴾: عن قوله، ﴿عُمِّي﴾: عن رؤية مسلكه، ﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾: شبههم بالحيوان ثم بالمجانين، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوًا مِنْ طَيِّبَاتٍ﴾: مُسْتَلذَّاتٍ أو حلالات، ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾: أمر إباحة^(٣) وقد يجب كما في

(١) الوسيط (١/٢٥٢).

(٢) معالم التنزيل (١/١٣٨)، البحر المحيط (١/٤٨٠)، غرائب القرآن (٢/١٠٧)، فتح القدير

(١/١٦٧)، الوسيط (١/٢٥٣).

(٣) الوسيط (١/٢٥٥)، جامع البيان (٣/٣١٧)، البحر المحيط (١/٤٧٨)، الدر المشور (١/١٦٨).

المخمصة، وقد يُندبُ كموافقة الضَّيْفِ ﴿وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ﴾: على إحلاله، ﴿إِنْ كُنْتُمْ
إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾: ثم بيَّن ما حرم بقوله، ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾: مَمَاتٌ بلا ذكاة
شرعية^(١)، ﴿وَالدَّمَ﴾: المسفوح، ﴿وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ﴾: اكتفى بمعظم أجزاءه عن أكله^(٢)،
﴿وَمَا أَهْلًا﴾: رُفِعَ الصَّوْتُ، ﴿بِهِ﴾: عند ذبحه، ﴿لِغَيْرِ اللَّهِ﴾: كالصَّغْمِ، ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾:
إلى أكل شيءٍ منها، ﴿غَيْرِ بَاطِلٍ﴾: ومن البغي بغيه على الإمام وأخذه من مضطر مثله،
وأكله للذة أو شهوة، ﴿وَلَا عَادٍ﴾: عاص في أسباب اضطارره كسفره أو مُتَعَدِّ سَدَّ رَمَقِهِ،
﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾: في تناوله فعلة الإباحة للمضطر الضرورة مع الطاعة، والمراد: قصر
الحُرْمَةِ على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقاً ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٣) ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا
أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾: كرؤساء اليهود، ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: ما يأخذون من
سفلتهم، ﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ﴾: مِلَّتْهَا، ﴿إِلَّا النَّارَ﴾: الرُّشَا^(٤) تصير في أجوافهم
نارًا، لكن لا يُحْسِنُونَ بها قبل الموت، ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: بما يسرُّهم،
﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾: يطهرهم من الأدناس، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: كما مر، ﴿أُولَئِكَ
الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾: في الدنيا، ﴿وَالْعَذَابُ بِالْمَعْفِرَةِ﴾: في الآخرة، ﴿فَمَا
أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾: تعجب من جرائتهم على عمل يُدْخِلُهَا، ﴿ذَلِكَ﴾: العذاب، ﴿بِأَنَّ
اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ﴾: بإيمانهم ببعضه دون بعض وغير
ذلك، ﴿لَبِئْسَ شِقَاقٍ﴾: خلاف، ﴿بَعِيدٍ﴾: عن الحقِّ، ولَمَّا أكثر أهل الكتاب الجدل في أمر
القبلة نزل^(٤)، ﴿لَيْسَ الْبِرُّ﴾: مُنْحَصِرًا في، ﴿أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ﴾: في صلاتِكُمْ، ﴿فَبَلَ
الْمَشْرِقِ﴾: لِلنَّصَارَى، ﴿وَالْمَغْرِبِ﴾: لليهود بحسب أفق مكة، ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾: بِرٌّ، ﴿مَنْ
ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: فلا يفترى عليه، حاصله أمر الصلاة بعد الإيمان،
﴿وَالْمَلَأَتْكُمْ﴾: فلا يعادي أحدهم، ﴿وَالْكِتَابِ﴾: فلا يحرفه، ﴿وَالنَّبِيِّنَ﴾: فلا يفرق
بينهم، ﴿وَعَاتَى أَمْوَالِ عَلَى﴾: مع، ﴿حُبِّهِ﴾: المال أو الإيتاء أو على حُبِّ الله، ﴿ذَوَى

(١) يعني: حنط أنفه.

(٢) خص اللحم؛ لأنه المقصود بالأكل.

(٣) جمع رشوة.

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٥٦/٢) وسنده ضعيف.

أَفْرَبَ ﴿: قرابته، ﴿وَأَلْتَمَعْتُمُ وَالْمَسْكِينِ ﴿: مر بيانه، ﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ ﴿: مسافر انقطع عنه ما يوصله إلى مسكنه، والضيف إذ السبيل^(١) يأتي به، ﴿وَالسَّائِلِينَ ﴿: المضطرين إلى السؤال، ﴿وفي ﴿: فك ﴿الرِقَابِ ﴿: كالمكاتب والأسير، وإذا نزل بمسلم حاجة وجب بعد أداء الزكاة صرف المال إليها بالإجماع، ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ ﴿: الواجبة، والأول كان لبيان مصارفها أو في المندوبة، ﴿وَأَلْمُؤُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ﴿: غَيْرَ الْأَسْلُوبِ؛ لأن الأول لبيان ما لا يستفاد إلا من الشرع، والثاني: لما يقتضيه العقل ﴿وَالصَّابِرِينَ ﴿: نصب مدحا^(٢) لمزيد شرف الصبر، ﴿فِي الْبَأْسَاءِ ﴿: الفقر ﴿وَالضَّرَّاءِ ﴿: المصائب والسقم، ﴿وَحِينَ الْبَأْسِ ﴿: قتال الكفار: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ﴿: في إيمانهم، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿ الآية جامعة لمجامع الكمالات الإنسانية، وهي: صحَّة الاعتقاد، وحسنُ المُعَاشِرَةِ، وتهذيب النفس، واعلم أنه سأل أبو ذرٍّ - رضي الله عنه - النبي - صلى الله عليه وسلم - عن البر فتلا عليه الآية^(٣)، وسأله عنه وإبصته^(٤) فقال: «ما اطمأنَّ إليه القَلْبُ واطمأنَّتْ إليه النفس^(٥)»، لأنَّ الأوَّل سأل عن ذات البر، والثاني عن تحريه.

ولمَّا تقاتل حَيَّانٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَحَلَفَ أَحَدُهُمَا بِأَنْ يَقْتُلَ بَعْدَهُمُ الْحُرَّ، وَبِأَمْرِهِمْ^(٦) الرَّجُلَ، وَبِوَأَحَدِهِمُ الْاِثْنَيْنِ، ثُمَّ تَرَفَعَا إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، نَزَلَ^(٧): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَالْحُرُّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى ﴿: لا تدل^(٨) على أن

(١) الطريق.

(٢) وإن كان معطوفاً على مرفوع، قال الخليل: المدح والذم ينصبان على معنى: أعني.

* الوسيط للواحد (١/٢٦٢).

(٣) رواه الحاكم (٢/٢٧٢)، والطبراني في الكبير (٨/١٣٨)، والواحد في الوسيط (١/٢٦٤).

(٤) يعني ابن معبد الجهني - رضي الله عنه -.

(٥) رواه أحمد في مسنده (٤/١٩٤) وسنده صحيح.

(٦) في (ع): وبمراهم.

(٧) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/٢٩٣، ٢٩٤، ١٥٧٦)، وبنحوه: الطبري في جامع البيان (٢/٦٢)

وإسناده ضعيف.

(٨) في (د): لا يدل.

لا يقتل الحر بالعبد، والذكر بالأنثى، ولا على عكسه، إذ المفهوم إنما يعتبر حيث لا يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص الحكم، وإنما منع مالك والشافعي رضي الله تعالى عنهما - قتل الحر بالعبد لحديث علي، وعمل الشيخين - رضي الله عنهم، قياساً على الأطراف، وأما منع قتل المسلم بالذمي فلحديث علي - رضي الله تعالى عنه - والآية لا تنسخها: «النفس بالنفس» إلى آخره، لأنه حكاية ما في التوراة^(١)، ﴿فَمَنْ﴾: بقاتل، ﴿عَفَى لَهُ مِنْ﴾: دم، ﴿أَخِيهِ﴾: المقتول، ﴿شَيْءٍ﴾: من العفو، كَأَنْ عَفَى عَنْ بَعْضِ الْقِصَاصِ أَوْ عَفَى بَعْضَ الْوَرِثَةِ، والمراد هنا: العفو على الدية، والراجح في مذهب الشافعي أن الواجب القصاص، والدية بدل عنه، ﴿فَأَتْبَاعُ﴾: أي: فعلى العافي اتباع في طلب الدية، ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: وعلى المعفو عنه ﴿وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾: بلا مطل، ﴿ذَلِكَ﴾: التجويز لأخذ الدية، ﴿تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ مِّنْ أَعْمَدَائِكُمْ﴾: بالقتل، ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾: العفو، ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: في الدارين، ﴿وَلَكُمْ﴾: في حكم، ﴿الْقِصَاصِ حَيَوَةٌ﴾: عظيمة، لأنه رادع عن القتل، فوجب لحياة نفسين وجعل الشيء محلَّ ضده نهاية الفصاحة والبلاغة، وقيل: كانت العرب تمتنع من تسليم القاتل إلى الولي مخافة قلة عددهم فأشار إلى أن دَفَعَهُ يكثر عددهم كما ترى في قلة العباسية، وكثرة العلوية، ولذا قِيلَ: السَّيْفُ مَنْمَأَةٌ^(٢)، ﴿يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ عن القتل ﴿كُتِبَ﴾: فِرَاصٌ، ﴿عَلَيْكُمْ إِذَا حَصَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ﴾: أي: أسبابه، ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾: مالاً أو مالاً كثيراً، نَبَّهَ بِتَسْمِيَّتِهِ خَيْرًا أَنْ الْوَصِيَّةُ تُسْتَحَبُّ فِي مَالِ طَيْبٍ، ﴿الْوَصِيَّةُ﴾: الإيصال، ﴿لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾: عَطْفٌ؛ لأن القرب الإدلاء بواسطة فهما لا يتصفان به، ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: بالعدل بلا ترجيح غني، وتجاوز ثلث، حَقَّ ذَلِكَ ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾: هذا كان في صدر الإسلام، فَنَسِخَ بِآيَةِ الْمَوَارِيثِ، بدليل حديث: «إِنَّ اللَّهَ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ أَلَّا لَا

(١) مسند الشافعي (١٩٩)، معاني القرآن - للزجاج (١/٢٣٤)، تفسير ابن كثير (١/٢٢٠)، فتح القدير

(١/١٧٧).

(٢) ينمى ولا يفنى.

وَصِيَّةٌ لِّوَارِثٍ^(١)، ﴿فَمَنْ بَدَلَهُ﴾: الإيضاء، ﴿بَعْدَ مَا سَمِعَهُ﴾: من الميت، ﴿فَإِنَّمَا أَتَمَّهُ﴾: إثم التبديل، ﴿عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: وصيتكم وتبديلكم، ﴿فَمَنْ حَافٍ﴾: علم، ﴿مِنْ مُوصٍ جَنَفًا﴾: ميلاً عن الحق خطأ كترجيح غني، ﴿أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾: بين الورثة والموصى له، ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾: فيه، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ^(٢)﴾: يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ: فرض ﴿عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ﴾: صَوْمُ رَمَضَانَ^(٣) أو ثلاثة من كل شهر، أو عاشوراء، ثم نُسِخًا^(٤) بِرَمَضَانَ، ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: من لدن نوح والمراد: التشبيه في أصل الصوم لا كفيته، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: المعاصي، فإنه يُضَيِّقُ مجاري الشيطان، صَوْمُوا، ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾: قلائل أو مؤقنات بعدد معلوم، ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾: بخلاف من أحدث سفره في أثنائه، ﴿فَعِدَّةٌ﴾: فعليه صَوْمٌ عِدَّةٌ مَا أَفْطَرَ، ﴿مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾: للصحة والإقامة، قيل: أي يصوم طاقته أي: جهده كالهرم، ﴿فِدْيَةٌ﴾: إن أفطروا، ﴿طَعَامٌ مَسْكِينٍ﴾: مَدُّ طَعَامٍ، وعند فقهاء العراق نصفُ صَاعٍ بَرًّا وَصَاعٌ مِنْ غَيْرِهِ، فخيروا بين الصوم والإطعام، ثم نسخ على القول الأول^(٥)، ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾: بإطعام أكثر منه، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَأَنْ تَصُومُوا﴾: أيها المطيقون، ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾: منها، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: فضائله، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾: علم مُرَكَّبٌ مبتدأ، وحيثُ وَرَدَ رمضان^(٦) فيحذف المضاف كالربيعين، سمي به لارتماضهم فيه بحرّ الجوع والعطش^(٦)، وأما تسمية شوال به لشول أرباب اللقاح فيه، وذي القعدة لعودهم فيه عن الحرب، وذي الحجة: للحج فيه، والمُحَرَّم

(١) رواه أحمد (٤/١٨٦، ١٨٧) والطبراني (١١/٢١٣) وعبد الرزاق (٧٢٧٧) وابن أبي

شيبه (١١/١٤٩) وسنده جيد.

(٢) قال الواحدي في الوسيط (١/٢٧٢): بإجماع المفسرين.

(٣) الوسيط (١/٢٧٢).

(٤) الوسيط (١/٢٧٤).

(٥) في هامش (ع): وهو سيّد الشهور.

(٦) الزاهر (٢/٣٦٨).

لتحريم القتل فيه، وصفر لخلو مكة^(١) فيه عن أهلها للقتال فيه، والربيعين لارتباع الناس فيهما أي: إقامتهم، والجُمادين: لجمود الماء فيهما، ورجب: لترجيبيهم إياه، أي: تعظيمهم، وشعبان: لتشعب القبائل فيه، والشهر لأنهم ينظرون إلى الهلال في شهرونه^(٢)، والخبر^(٣)، ﴿الَّذِي أَنْزَلَ فِيهِ﴾: في شأنه أو في ليلة قدره، أو الرابع والعشرين منه^(٤)، ﴿الْقُرْآنُ﴾: جملة إلى السماء الدنيا، ثم نزل مُنَجَّمًا^(٥)، بل نزلت صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ في أوله، والتوراة لسادسه والإنجيل لثالث عشره^(٦)، ﴿هُدًى﴾: هاديًا، ﴿لِنَكَّاسٍ﴾: بإعجازه، ﴿وَأَيَاتٍ﴾: ﴿بَيِّنَاتٍ مِّنَ﴾: جملة، ﴿الْهُدَى﴾: إلى الأحكام الحقة، وعلى هذا فليست نكرة أعيدت معرفة كهو عالم، ومن مُتبحِّرِي العلماء، ﴿وَالْقُرْآنِ﴾: بين الحق والباطل، ﴿فَمَن شَهِدَ﴾: حَضَرَ، ﴿مِنكُمُ الشَّهْرَ﴾: أي: فيه، ﴿فَلْيَصُصْهُ﴾: لم يقل فيه ليدل على استيعاب اليوم ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا﴾: بحيث يشقُّ عليه الصَّوم، ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾: هذا نسخ للأول لإخراجه المقيم، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾: فأباح الفطر فيهما، ﴿وَشَرَعَ تِلْكَ الْآحْكَامَ﴾، ﴿وَلِكُمُومُوا الْعِدَّةَ﴾: عدد أيام الشهر بقضاء ما أفطرتم، ﴿وَلِتُكَبِّرُوا﴾: لتعظموا، ﴿اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتِكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: هذا علة للترخيص وما قبله علة للقضاء، وما قبله للأمر بالمراعاة للعدد.

* وَلَمَّا قِيلَ: أَقْرِبْ رَبَّنَا فنناجيه أم بعيد^(٧) نزل^(١) ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي

(١) وغيرها.

(٢) انظر: تثقيف الألسنة بتعريف الأزمنة - للإمام الشبلي الحنفي (٣٦/ بتحقيقي).

(٣) يعني خبر المبتدأ.

(٤) لحديث: «وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان». رواه البيهقي (١٨٨/٩)، وأحمد

(١٠٧/٤)، والطبري (٤٤٦/٣)، والطبراني في الكبير (١٨٥/٢٢) وحسنه الألباني في صحيح الجامع

(١٤٩٧/١)، والصحيحة (١٥٧٥).

(٥) مُفْرَقًا.

(٦) هو جزء من الحديث السابق، وأوله: «أنزلت صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَأَنْزَلَتْ

التوراة لست مضت من رمضان... إلخ».

(٧) أي: فنناديه.

فَإِنِّي ﴿﴾: فقل: إني، ﴿قَرِيبٌ﴾: مُطَّلَعٌ عَلَيْكُمْ، ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا فَلَيْسَتْ جِيبُوا لِي﴾: إذا دعوتهم إلى طاعتي بالجوارح، ﴿وَلْيُؤْمِنُوا﴾: وليثبتوا على إيمانهم، ﴿بِي﴾: بالقلب، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾: يهتدون، فمن استجابه في أوامره أجابه في مسأله إما بتعجيل دعوته، أو ادخارها في الآخرة، أو دفع (٢) سوء مثلها عنه، كما في الحديث (٣) وآثره علي: «فَلْيُجِيبُوا» وإن اتَّحَدَ معنَى، إشارة إلى أن تحري إجابهه بقدر وسعهم يرضيه، ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةٌ اللَّيْلِ وَالصَّيَاحِ الرَّفْتُ﴾: الجماع، كَنَى عَنْهُ هُنَا بِالرَّفْتِ الدَّالُّ عَلَى معنَى القبح بخلاف غيره من المواضع استقباحاً لارتكابهم له قبل الإباحة، ﴿إِنِّي نَسَايَكُمُ هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ﴾: كالفراش، ﴿وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ﴾: كاللِّحَافِ، تمثيل لصعوبة اجتنابهن وشدة ملاستهن، أو لستر أحدهما الآخر عن الفجور، ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ﴾: تَظْلُمُونَ، ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾: إِذْ فَعَلَهُ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فاعتذر فأحلله الله تعالى (٤)، ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ﴾: الخيانة، ﴿فَأَلْفَنَ﴾: إِذْ أَحَلَّ لَكُمْ، ﴿بَشِرُوهُنَّ﴾: جامعوهن، وأصلها (٥): إِصْاقُ الْبَشْرَةِ بِالْبَشْرَةِ، ﴿وَابْتَغُوا﴾: اطلبوا، ﴿مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾: من الولد أو ليلة القدر، ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾: جميع الليل، ﴿حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضَ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾: بيان للخيط الأبيض، أي: يتبين بياض الصُّبْحِ

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/٣١٤/١٦٦٧)، وابن حبان في الثقات (٨/٤٣٦)، وابن جرير

الطبري في تفسيره (٢/٩٢) وسنده ضعيف.

(٢) في (ع): رفع.

(٣) يشير إلى حديث أبي سعيد الخدري - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم أو قطيعة رحم، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته، وأما أن يؤخرها له في الآخرة، وأما أن يكشف عنه من السوء مثلها» قالوا: إذن نكث، قال: «الله أكثر».

رواه الحاكم (١٨١٦)، وأحمد (٣/١٨)، والبخاري في الأدب المفرد (٧١٠) وسنده صحيح.

(٤) رواه أحمد (٥/٢٤٦، ٢٤٧)، وأبو داود (٥٠٧)، والطبري في تفسيره (٢/٧٦، ٧٧)، والطبري في

الكبير (٢٠/٢٧٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/٣١٥/١٦٧٣)، والحاكم (٢/٢٧٤)، والبيهقي

(٤/٢٠) وسنده حسن.

(٥) المباشرة.

الصادق من سواد الليل، دَلَّ عَلَى صِحَّةِ صَوْمِ الْمَصْبِحِ جُنْبًا^(١)، ﴿ثُمَّ أَتَوْا الصِّيَامَ إِلَى آيِلٍ﴾: بإخراج الليل، نفى صوم الوصال، وأما حرمة عدم تحلل الإفطار بين يومين فبالسنة، ﴿وَلَا تَبْشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَنْكُمْنَ فِي الْمَسْجِدِ﴾: كانوا يعتكفون فيخرجون ويجامعون فيرجعون، فنهوا^(٢)، ﴿تِلْكَ﴾: الأحكام، ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾: بين الحق والباطل، ﴿فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾: مَجَازٌ عَنْ اعْتِدَائِهَا مَبَالِغَةً: أي: لا تَتَجَاوَزُوا مِنَ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ، فلا يرد، أن أكثرها إباحة فلم لا يتجاوز عنهما، ﴿كَذَلِكَ﴾: التبيين، ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾^(٣) وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ: بالحرام ﴿وَلَا تَذُلُّوا بِهَا﴾: أي: تلقوا حكومتها، ﴿إِلَى الْحُكَّامِ﴾: ولا تتواصلوا بها إِلَيْهِمْ، ﴿لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا﴾: طائفة، ﴿مِنَ أَمْوَالِ النَّاسِ﴾: مُلْتَبِسِينَ، ﴿بِالْإِثْمِ﴾: كاليمين الكاذبة، ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أنكم مبطلون.

ولما سألوا عن حكمة زيادة الهلال ثم نقصانه وعن فائدة دخول المُحْرَمِينَ^(٤) من ظهور بيوتهم نزلت^(٥)، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْفَائِدَةِ﴾: فائدة، ﴿الْأَهْلِ﴾: كيف تبدوا دقيقة ثم تزيد، ﴿فُلْ هِيَ﴾: فائدتها الظاهرة، ﴿مَوَاقِيْتُ﴾: جمع ميقات ما يعلم به الوقت، وهو الزمان المفروض لأمر، والزمان: مدة مقسومة، والمدة: جمع امتداد، حركة الفلك، ﴿لِلنَّاسِ وَالْحَيِّجِّ وَلَيْسَ الرِّبَّانُ تَأْتُوا الْبُيُوتَ﴾: في الإحرام، ﴿مِنَ ظُهُورِهَا﴾: إذ كانوا يتقبون فيها فيدخلون ويخرجون من النقب، ﴿وَلَكِنَّ الرِّبَّانَ مِنَ النَّقَبِ﴾: المحارم، ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾: في الإحرام، إذ ليس تركها براءً، ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾:

(١) لحديث عائشة وأم سلمة زوجي النبي - ﷺ - أنهما قالتا: «إن كان رسول الله - ﷺ - ليصبح جنبًا - من غير احتلام - في رمضان، ثم يصوم ذلك اليوم» رواه البخاري (٤/ ١٨١، ١٨٢)، وأبو داود (٢/ ٣١٢/ ٢٣٨٨).

- قال الخطابي: وقد أجمع عامة العلماء على أنه إذا أصبح جنبًا في شهر رمضان، فإنه يتم صومه ويجزئه غير أن إبراهيم النخعي فرق بين الفرض والتطوع - معالم السنن (٢/ ١١٥).

(٢) الوسيط (١/ ٢٨٨)، معاني القرآن للزجاج (١/ ٢٤٤)، الدر المنثور (١/ ٢٠١)، تفسير ابن كثير (١/ ٢٢٤)، فتح القدير (١/ ١٨٧، ١٨٨).

(٣) يعني: الملتبسين بالإحرام بالحج.

(٤) رواه البخاري (٣/ ٦٢١/ ١٨٠٣)، ومسلم (٤/ ٢٣١٩/ ٢٣).

راجين الفلاح، ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ﴾ يصدونكم عن الحج هذا في العام القابل للحديبية، ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾: بابتداء القتال، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾: المتجاوزين حده، نسخت بآية القتال، ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَفَنُوهُمْ﴾: وجدتموهم ولو في الحرم، وأصل الثقف: الحدق في إدراك الشيء^(١)، ﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾: مكة فأخرجهم يوم الفتح، ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾: كتركهم في الحرم، وإخراجكم منه، ﴿أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾: قتلكم إياهم في الحرم، ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: الحرم، ﴿حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ﴾: ابتداء، ﴿فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكٰفِرِينَ﴾: الآية محكمة^(٢) عند الأكثرين، فلا يجوز الابتداء بالقتال في الحرم، ﴿فَإِنْ أَنْهَوْا﴾: عن الكفر، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾: لهم، ﴿رَحِيمٌ﴾: بهم، ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾: شرك، ﴿وَيَكُونَ لِلدِّينِ﴾: خالصاً، ﴿لِلَّهِ فَإِنْ أَنْهَوْا﴾: عن الشرك، ﴿فَلَا عُدْوَانَ﴾: ظلم أي: جزاؤه ﴿إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾: سماه ظلمًا للمشاكله^(٣)، ﴿الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾: الذي أنتم تدخلون فيه مكة قهرًا، ﴿بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾: الذي منعوكم فيه دخولها عام الحديبية، أي: هتكة بهتكة، ﴿وَالْحُرْمَتُ﴾: كل حرمة، وهي ما يجب المحافظة عليه يجري فيه، ﴿وَقِصَاصٌ مِّنْ أَعْدَائِكُمْ﴾: بصدكم، ﴿فَاعْتَدُوا وَعَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾: وادخلوها عنوة، ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾: فيما لا يرخص لكم، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾: بالرعاية، ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: كالحج والجهاد، ﴿وَلَا تُنْفِقُوا﴾: أنفسكم، ﴿بِأَيْدِيكُمْ﴾: بعدم الإنفاق فيها، أو أيديكم بمعنى: أنفسكم، والباء صلة، ﴿وَأَحْسِنُوا﴾: إلى المحاوِينِج، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١١٥) ﴿وَأْتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ﴾: اتوا بهما تامي المناسك، ﴿لِلَّهِ﴾: ظاهره وجوبهما؛ لأنه أمر باتمامهما مطلقًا بلا تقييد بالشروع، فيكون واجبًا، لأن مقدمة الواجب واجب، على أنه قُرئ: ﴿وَأَقِيمُوا الْحَجَّ﴾^(٤)، ﴿فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ﴾: مُنِعْتُمْ بَعْدُو، والإحصار مخصوص بالعدو عند الشافعي ومالك، وبه فسره ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما -،

(١) ومنه قيل للفاهم الذكي: مثقف - الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي (٢/٣٥١)، فتح القدير (١٩٠/١)، الوسيط (١/٢٩٢).

(٢) في (ع): مُحَكَّمٌ عِنْدَ الْأَكْثَرِينَ.

(٣) كقوله تعالى: ﴿وَحَزْرًا وَسَبْتَةً سَبْتَةً مِّثْلَهَا﴾ (الشورى/٤٠)، تفسير الوسيط (١/٢٩٢).

(٤) قرأ علقمة وعبد الله بن مسعود: «وأقيموا». البحر المحيط (٢/٧٢)، تفسير الطبري (٤/٧)، الجامع

لأحكام القرآن (٢/٣٦٩)، الكشاف (١/١١٩)، تفسير الفخر الرازي (٢/١٥٥).

فليس^(١) بمذهبه حتى يكون تقليدًا له^(٢)، ويُدلُّ عليه: ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾، ونزولها في الحديدية^(٣) ويشمل المرض ونحوه عند الحنفية لحديث: «من كُسِرَ أو عَرَجَ فقد حلَّ وعليه الحج من قابل»^(٤)، وهذا وإن رواه الترمذي فقد ضعفه، ويدفعه حديث ضباعة المروي في «الصحيحين» وغيرهما، ﴿فَ﴾: عَلَيْكُمْ، ﴿مَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾: جمع هدية، وهي شاة، ﴿وَلَا تَحْلِفُوا رُءُوسَكُمْ﴾: أي: لا تحلّلوا، ﴿حَتَّىٰ بَلَغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾: مكان حلِّ ذبحه، وهو محلّ الحبس عند الشافعي، والحرم عند أبي حنيفة، أي: حتى تذبحوه، ﴿فَن كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا﴾: يحتاج إلى الحلّق، ﴿أَوْ يَبِغُ أَذَىٰ مِنْ رَأْسِهِ﴾: كجرحٍ وقمّل، ﴿فَفِدْيَةٌ﴾: فعلية إن حلّق، ﴿مِنْ صِيَامٍ﴾: ثلاثة أيام، ﴿أَوْ صَدَقَةٍ﴾: بفرق وهو ثلاثة أصع على ستة مساكين، ﴿أَوْ شُكٍّ﴾: ذبح شاة أو ما فوقها، وكذا في الاستمتاع ولو بلا عذر، ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾: من الخوف وتمكنتم من المأتمى إلى مكة، ﴿فَمَنْ تَمَنَعَ﴾: بالتقرب إلى الله تعالى، ﴿بِالْعُمْرَةِ﴾: في أشهر الحج إلى أن وصل، ﴿إِلَى الْحَجِّ﴾: فحج بعد تحلله من العمرة، ﴿فَ﴾: عليه، ﴿مَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾: هو دم جبران عند الشافعي فلا يأكل منه، ونُسكٍ عند أبي حنيفة كالأضحية، ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾: الهدى، ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي﴾: أثناء، ﴿الْحَجِّ﴾: قبل التحلل ويستحب أن يحرم قبل السابع، ﴿وَسَبْعَةٌ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾: إلى أهليكم بعد الوصول، وعند أبي حنيفة بمعنى: فراغه عنه، ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ﴾: فذلّكة^(٥) لرفع توهم أن الواو بمعنى «أو» أو للإباحة، أو السبعة للكثرة، أو كقوله تعالى: ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾، ﴿كَامِلَةٌ﴾: تأكيدٌ للاهتمام أو للتنبيه على عدم نقصها من المبدل عنه، أو على أنها أول عدد كامل كما في كتب الحساب، ﴿ذَلِكَ﴾ الحُكْمُ ﴿لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ﴾: مجاز عن نفسه، ﴿حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: هو من بينه وبين

(١) كلمة «ليس» سقطت من (ن)، و(س)، وهي في (ع)، و(د)، و(ح).

(٢) تفسير القرطبي (٢/٢٧٢)، الوسيط (١/٢٩٧).

(٣) رواه البخاري (٤/١٦/١٨١٥، ١٨١٦)، ومسلم (١٢٠١).

(٤) عن عكرمة قال: سمعت الحجاج بن عمرو الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «من كسر أو عرج فقد حل، وعليه الحج من قابل».

قال عكرمة: فسألت ابن عباس وأبا هريرة عن ذلك، فقالا: صدق. رواه أبو داود (١٨٦٢)، وابن ماجه

(٣٠٧٧)، والترمذي (٩٥٨، ٩٥٩) وأحمد (١٥٧٣١) وسنده صحيح.

(٥) الفذلّكة: الاختصار والخلاصة. اهـ.

الحرم مسافة القصر، فإن كان أقل فهو المقيم أو كالمقيم، وغير المتوطن على قول المحققين من الشافعية كالموطن، وألحق القارن بالمتع، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: في مخالفته، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: لمخالفته، ﴿الْحَجَّ﴾: وقته، ﴿أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ﴾: شوال، وذو القعدة، وعشر ليالي ذي الحجة عند الشافعي^(١)، ومع يوم النحر عند أبي حنيفة، ومع بقية ذي الحجة عند مالك، ومبنى الخلاف على أن المراد وقت إحرامه وأعماله ومناسكه، أو ما لا يحسن فيه غيره من المناسك، فإن مالكا كره العمرة في بقيتها وجعل بعض الشهر شهرا تجوزا، ﴿فَمَنْ فَرَضَ﴾: على نفسه، ﴿فِيهِ هَذَا الْحَجَّ﴾: بأن أحرم به، ﴿فَلَا رَفَثَ﴾: جماع ومقدماته، ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾: معاصي، ﴿وَلَا جِدَالَ﴾: مخاصمة، ﴿فِي﴾: أيام، ﴿الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ﴾: فلا يضيعه، ﴿وَتَكَرَّوْا دُؤَا﴾: لمعادكم أو للحج، لا كبعض اليمانيين يحججون بلا زاد مظهرين^(٢) التوكل، ثم يسألون الناس إلحافا^(٣)، ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ النَّقِيُّ﴾ ومنه الكف عن السؤال، والزاد: فضل الطعام الزائد عما يكتفى به الوقت، ﴿وَأَتَقُونَ﴾: فقط، ﴿يَتَأُولِي الْأَلْبَابِ﴾: العقول السليمة، فإن ذلك مقتضاها، ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾: إثم في، ﴿أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا﴾: رزقا، ﴿مَنْ رَبِّكُمْ﴾: بنحو التجارة والإجارة في الحج، ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ﴾: انصرفتم ﴿مِنْ عَرَفَاتٍ﴾: جمع سمي به الجبل المعروف لتعارف الناس، أو آدم وحواء فيه، ويوم عرفة مؤلّد لا عربي، قيل: الآية دلّت على وجوب الوقوف بها، ﴿فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾: بالدعاء والتلبية، وهو جبل معروف^(٤) سُمّي به؛ لأنه معلّم العبادة، وبالحرّام لحرّمته، فهمّ منه، أن الذكر فيما يليه أفضل، ﴿وَأَذْكُرُوهُ كَمَا﴾: لما، ﴿هَدَانَكُمْ﴾: إلى ذلك، أفاد بتكرار

(١) تفسير الطبري (٤/ ١١٥)، تفسير ابن كثير (١/ ٢٣٦)، معاني القرآن للفراء (١/ ١١٩)، أحكام القرآن - لابن العربي (١/ ١٣١).

(٢) في (ن): أو مظهرين.

(٣) عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - قال: كان أهل اليمن يحججون ولا يتزوّدون، ويقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا مكة، سألوها الناس، فأنزل الله - تعالى - : ﴿وَتَكَرَّوْا دُؤَا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ النَّقِيُّ﴾ رواه البخاري (٣/ ٣٨٤/ ١٥٢٣)، وعبد الرزاق في تفسيره (١/ ٧٧).

(٤) المشعر الحرام: المزدلفة، سميت مشعرا؛ لأنه معلّم للحج والصلاة والمقام والمبيت به والدعاء عنده من سنن الحج. * الوسيط (١/ ٣٠٤).

الأمر الحثّ على إكثاره، ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ﴾: قبل هدايته، ﴿لِمَنِ الضَّالِّينَ﴾: الجاهلين، ﴿ثُمَّ﴾: لتفاوت ما بين الإفاضتين، وقيل: فيه تقديم وتأخير تقديرًا، ﴿أَفِيضُوا﴾: انصرفوا، ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾: أي: من عرفه إذ كان^(١) قريش لا يتجاوزون الحرم قائلين: نحن أهل الله لا نخرج من حرمه، ثم يفيضون منه^(٢)، ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٣) فَإِذَا قُضِيَتْمْ: فأتمتم، ﴿مَتَسِكِّكُمْ﴾: عبادات حجكم، وأصلها: أخذ النفس ببلوغ غاية العبادة، ﴿فَأَذْكُرُوا اللَّهَ﴾: ذكرًا، ﴿كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾: إذ كانوا في الجاهلية يذكرون مفاخر آباءهم بمنى، ﴿أَوْ﴾: بل، ﴿أَشَدَّ﴾: منه، ﴿ذَكَرًا فَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آئِنَا﴾: اجعل عطاءنا، ﴿فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾: نصيب صالح أو طلبه، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آئِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾: يشمل كل خيرها، ﴿وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ﴾: كذلك، ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾: بالعفو، وَمَنْ خَصَّصَ هَذِهِ^(٣) الثلاثة بالمرأة الصالحة والحوار والمرأة السوء ونحوها فعلى سبيل المثال، ﴿أُولَئِكَ﴾: الفريق الثاني، ﴿لَهُمْ نَصِيبٌ﴾: ﴿وَمِمَّا﴾ من أجل ﴿مَا كَسَبُوا﴾، أو الفريقان لهما نصيب، بالدعاء من الدنيا والدارين، ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾: فيحاسبكم مع كثرتكم في لمحّة، ﴿وَأَذْكُرُوا﴾: كبروا، ﴿اللَّهُ﴾: بعد الصَّلوات وعلى الأضاحي وعند الجمرات، ﴿فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾: هي أيام التشريق لقلتها بالنسبة إلى المعلومات العشر، ﴿فَمَنْ نَعَجَلْ﴾: بالنفر، ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾: بعد رميه، ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرْ﴾: بالنفر إلى الثالث، ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾: في تأخره، كان في الجاهلية بعضهم يؤثم المعجل، وبعضهم يؤثم المؤخر، فرد عليهما^(٤) إذ معناه: لا إثم على المتأخر في ترك الأخذ بالرخصة، مع «أن الله تعالى يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخْصَتُهُ كَمَا

(١) كذا- والمراد قوم، ويجوز: كانت.

(٢) عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كانت قريش تقف بالمزدلفة، ويسمون الحمس، وسائر العرب تقف بعرفة، فأمر الله نبيه أن يقف بعرفة، ثم يدفع منها؛ فأنزل الله: «ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس» الآية أخرجه الترمذي (٨٨٤)، والنسائي في المجتبى (٢٥٥/٥)، والطبري في التفسير (١٧١/٢) وسنده صحيح.

(٣) ليست في (ن).

(٤) الوسيط - للواحد (٣٠٩/١)، الجامع - للطبري (١٣/٣)، الوجيز - للواحد (٥٣/١).

تَوَقَّى عِزَائِمَهُ^(١)، وعدم الإثم، ﴿لَمَنْ أَتَقَى﴾: في حَجِّهِ، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: للجزاء، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ﴾: يعظم في نفسك، ﴿قَوْلُهُ﴾: والتعجب: حيرة تَعْتَرِضُ الإنسان لجهله بسبب المتعجب منه^(٢)، وهو أمر إضافي، ﴿في﴾: أمور، ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾: يحلف أن قلبه يوافق لسانه، ﴿وَهُوَ الَّذِي﴾: أشد، ﴿الْخِصَامِ﴾: الخصومة، أو جمع خَصْم هو: أخنس بن شَرِيْق^(٣) المنافق الحلو الكلام، ﴿وَإِذَا تَوَلَّى﴾: انصرف عنك، ﴿سَعَى﴾: أسرع، ﴿فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾: بكل ما يقدر، ﴿وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾: فإنه أحرق زرع المسلمين وعقر مواشيهم، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ﴾: لا يرتضي، ﴿الْفُسَادَ﴾: لا يقال كيف لا يرتضيه، وهو يفسد بعض الأشياء؛ لأن الإفساد إخراج الشيء عن حالة محمودة لا لغرض صحيح، وهو تعالى منزه عن ذلك، ولا يرتضيه، وما نراه فسادًا فبالإضافة إلينا، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ﴾: حملته، ﴿الْعِزَّةُ﴾: الكِبْرُ، ﴿بِالْإِثْمِ﴾: على الإثم، ﴿فَحَسْبُهُ﴾: كفته، ﴿جَهَنَّمَ﴾ و﴿اللَّهُ﴾، ﴿لَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾: المقرُّ جَهَنَّمَ، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي﴾: يبيع، ﴿نَفْسَهُ﴾: بالجهاد، ﴿أَبْتِعَاءً﴾: طلب، ﴿مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾: كَصُهَيْب^(٤)، عُدَّبا ليرتد فأعطى جميع أمواله وأتى المدينة، ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾^(٥) يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ﴾: الانقياد لله، ﴿كَكَافَّةٍ﴾: في جميع شرائعه، أو بكلِّيَّتكم، من كَفَفْت أَي: جَمَعْت، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ﴾ آثارِ ﴿الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(٦) فَإِنْ زَلَلْتُمْ﴾: عدلتم عن الدخول، ﴿وَمَنْ بَدَّ مَا جَاءَكُمْ أَلْبَيْتُكُمْ﴾: على أنه حق، ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غالب، ﴿حَكِيمٌ﴾: لا ينتقم ظلماً، وفي العلم بهما انزجار

(١) رواه أحمد في مسنده (١٠٨/٢)، والبيهقي في سننه (٥٤١٥/٣)، والطبراني في الكبير (١١/١١٨٨٠، ١١٨٨١) و صححه الألباني في صحيح الجامع (١/١٨٨٥)، والإرواء (٥٦٤).

(٢) التعريفات - للجرجاني (٦٥)، أساس البلاغة (٤٠٩)، الكليات (١/٢٤٢، ٢٤٣)، التوقيف (١٨٤).

(٣) الوسيط (١/٣١٠)، تفسير الفخر (١٩٧/٥)، أحكام القرآن - لابن العربي (١/١٤٣)، الوجيز للواحدي (١/٥٣)، تفسير الطبري (٤/٢٢٩، ٢٣٠)، معاني القرآن - للزجاج (١/٢٦٧).

(٤) رواه ابن سعد في الطبقات (٣/٢٢٨)، والحرث ابن أبي أسامة في مسنده (٢/٦٩٣، ٦٩٤/٦٧٩ بغية)، ومن طريقه أبو نعيم في الحلية (١/١٥١، ١٥٢)، وابن عساكر (٢٦/١٥٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/٣٦٨، ٣٦٩/١٩٣٩) وسنده ضعيف.

عنها، ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾: ما ينظر الزَّالُونَ ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾: بكيفية لا يعلمها إلا (١) هو، أو عذابه (٢)، ﴿فِي ظُلُلٍ﴾: جَمْعُ ظُلَّةٍ، ما أظلك، ﴿مِنَ الْعَمَامِ﴾: الذي هو مظنة الرَّحْمَةِ، فالعذاب منه أقطع، ﴿و﴾ تأتيمهم، ﴿الْمَلَائِكَةُ وَوُضِعَ الْأَمْرُ﴾: من حسابهم وجزائهم، ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ﴾ تصير، ﴿الْأُمُورُ﴾: فيجازي الكل، ﴿سَلِّ﴾: يا محمد تقرِّعًا، ﴿بِئْسَ إِسْرَاءٌ لَكُمْ ءَاتَيْنَهُمْ مِنَ آيَمٍ يَبِينَةً﴾: ظاهرة في الكتب على تصديق محمد - ﷺ -، ﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ﴾: آتته بتحريفها، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ﴾: أي: عرفها أو تمكن من معرفتها، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: له، ﴿زُنْ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾: حَتَّى أَعْرَضُوا عَنِ الْآخِرَةِ، والتزيين: تحسين محسوس لا معقول، ﴿وَيَسْحَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: من فقرائهم كبلال وعمار بتركهم الدنيا، ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا﴾: أي: هم، ﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: بلا استحقاق، فكثرة الرِّزْق لا تدلُّ على القربة، ﴿كَانَ النَّاسُ﴾: بين آدم ونوح عشرين قرنًا (٣)، ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: مُتَّفِقِينَ عَلَى الْحَقِّ، ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ﴾: بعد اختلافهم، ﴿النَّبِيِّنَّ مُبَشِّرِينَ﴾: لِلْمُطِيعِ، ﴿وَمُنذِرِينَ﴾: لِلْعَاصِي، ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمْ﴾: يعني: جنسهم إذ أكثرهم كانوا آخِذِينَ بَكِتَابٍ مِنْ سَبْقِهِمْ، ﴿الْكِتَابَ﴾: مُلْتَبَسًا، ﴿بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ﴾: الْكِتَابَ، ﴿بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ﴾: فِي الْكِتَابِ، ﴿إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾: الْكِتَابَ، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَعِيًّا﴾: لِلْحَسَدِ وَالظُّلْمِ، ﴿بَيْنَهُمْ﴾: فَكَفَرَ بَعْضُهُمْ بِكِتَابِ بَعْضٍ، ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: مَعْرِفَةَ، ﴿مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾: بِإِرَادَتِهِ، ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: ثُمَّ شَجَّعَ الْمُؤْمِنِينَ الْخَارِجِينَ عَنْ أَمْوَالِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿أَمْ﴾: بَلْ، ﴿حَسِبْتُمْ﴾: أَي: مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تَحْسَبُوا، ﴿أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا﴾: أَصْلُهُ: لَمْ وَ«مَا» صَلَاةٌ، ﴿يَأْتِيَكُمْ مَثَلٌ﴾: عَجِيبٌ حَالٌ، ﴿الَّذِينَ خَلَوْا﴾: مَضُوا، ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلُّوا﴾: أَرَعَجُوا شَدِيدًا بِالْبَيِّنَاتِ، ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ﴾: اسْتِبْطَاءٌ لَهُ، فَقِيلَ لَهُمْ: ﴿إِلَّا إِنْ نَصَرَ اللَّهُ قَرْبًا﴾: فَاصْبِرُوا كَمَا صَبَرُوا تَظْفَرُوا، ﴿يَسْتَلُونَكَ﴾: السَّائِلُ: عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ

(١) وهو الصحيح الموافق لما عليه سلف الأمة.

(٢) من التأويل المذموم.

(٣) الله أعلم بذلك.

الأنصاري^(١)، ﴿مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾: تَطَوُّعًا سَأَلُوا عَنِ النَّفَقَةِ^(٢) فَأَمَرَهُ بِالْجَوَابِ بِمَا هُوَ أَهْمٌ، وَهُوَ الْمَصْرَفُ، وَلَا يَلْزَمُ الْمَطَابَقَةَ فِي نَحْوِ سَوْأَلِ مَسْتَعْلِجٍ مِنْ مَعَالِجٍ، وَيَلْزَمُ فِي سَوْأَلِ جَدَلٍ فَقَالَ: ﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾: مَالٌ، ﴿فَلْيَلْزَمُوا الَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَالرِّبَا وَالسَّبِيلِ﴾ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلَيْهِمْ: ﴿فِي جَازِيكُمْ﴾: كَتَبَ عَلَيْكُمْ الْقِتَالَ وَهُوَ كَرَهُ: ﴿مَكْرُوهٌ شَاقٌّ﴾: لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ: ﴿وَهُوَ كُلُّ مَا أَمَرْتُمْ بِهِ﴾: وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ: ﴿وَهُوَ كُلُّ مَا نَهَيْتُمْ عَنْهُ﴾: وَاللَّهُ يَعْلَمُ: ﴿الْخَيْرِ﴾: وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣١٦﴾ يَسْأَلُونَكَ: ﴿حِينَ^(٣) قَاتَلَ سَرِيَّةَ الْمُسْلِمِينَ الْمُشْرِكِينَ فِي رَجَبٍ عَلَى أَنَّهُ مِنْ جُمَادَى^(٤)﴾، وَالسَّائِلُ الْمُؤْمِنُونَ كِبَاقِي الْمَسَائِلِ الْخَمْسَةِ، ﴿عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾: الْإِبْدَالُ لِبَيَانِ أَنَّ السَّوْأَلَ لِأَجْلِ تَعْظِيمِ الشَّهْرِ، ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ﴾: ذَنْبٌ ﴿كَبِيرٌ﴾ الْأَصْحَحُ أَنَّهُ غَيْرُ مَنْسُوخٍ، وَلَا يَدُلُّ عَلَى حُرْمَةِ الْقِتَالِ فِيهِ مطلقًا، وَيؤَيِّدُهُ إِعَادَةُ قِتَالِ مَنْكَرًا، وَعِنْدَ الْأَكْثَرِينَ: نُسِخَتْ بِقَوْلِهِ: ﴿فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾^(٥)، ﴿وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ﴾، ﴿و﴾: صَدُّ عَنْ، ﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجِ أَهْلِهِ﴾: الْمُؤْمِنِينَ، ﴿وَمَنْ أَكْبَرَ عِنْدَ اللَّهِ﴾: وَزَرًا مِنْ قِتَالِ السَّرِيَّةِ، ﴿وَالْفِتْنَةِ﴾: الشَّرْكَ، ﴿أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ﴾: الْمُشْرِكُونَ، ﴿يُقْتَلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطَعُوا﴾: أَتَى بِإِنْ لِلْفَرْضِ وَالِاسْتِبْعَادِ، ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾: إِلَى دِينِهِمْ، ﴿فِيمَتٌ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ﴾: بَطَلَتْ، ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾: النَّافِعَةُ، ﴿فِي الدُّنْيَا﴾: مِنْ أَحْكَامِ الْإِسْلَامِ، ﴿وَالْآخِرَةِ﴾: بِسُقُوطِ الثَّوَابِ قَيْدٌ وَهُوَ كَافِرٌ: حُجَّةُ الشَّافِعِيِّ: فَلَا بَدَّ مِنْ مَوْتِهِ عَلَى الْكُفْرِ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ﴾ إِلَى آخِرِهِ، مَحْمُولٌ عَلَى الْقَيْدِ، ﴿وَأُولَئِكَ

(١) أسباب النزول - للواحدى (٤٠)، الوسيط - له (٣١٨/١)، زاد المسير - لابن الجوزي (١/٢٣٣).

(٢) في (ن): المنفق.

(٣) في هامش (ن): بلغ مُقَابَلَةً.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/٣٨٤/٢٠٢٢)، والطبري في تفسيره (٢/٢٠٤، ٢٠٧)، والنسائي

(٥/٢٤٩/٨٨٠٣)، وأبو يعلى (٣/١٠٢/١٥٣٤)، والطبراني في الكبير (٢/١٦٢/١٦٧٠)، والبيهقي

في سننه (٩/١١، ١٢)، والطحاوي في مشكل الآثار (١٢/٣٨٤، ٣٨٧/٤٨٨٠، ٤٨٨١) وسنده

صحيح.

(٥) سورة التوبة.

أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ ﴿٣٨﴾ يَسْتَحِقُونَ أَنْ يَرْجُوا، ﴿رَحِمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾: السائل: عمر مع جمع (١)، ﴿عَنِ﴾: شرب، ﴿الْحَمْرِ﴾: هي عصير العنب والتمر إذا اشتد وغلا، ﴿وَلِ﴾: لعب، ﴿الْمَيْسِرِ﴾ القمار، ﴿قُلْ فِيهِمَا إِتْمَ كَبِيرٌ﴾: كالمخاصمة والزور، ﴿وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾: كالقوة وكسب المال (٢)، ﴿وَإِثْمُهُمَا﴾: مفاسدهما، ﴿أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ﴾: السائل: عمر المذكور، ﴿مَاذَا﴾: أي: مقدار ما يُنْفِقُونَ ﴿: على المذكورين أولاً، ﴿قُلْ﴾: أنفقوا، ﴿الْعَفْوِ﴾: الفاضل عن الحاجة وهو ضد الجهد بالفتح: المشقة، ﴿كَذَٰلِكَ﴾: التبيين، ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾: كَلَّهَا، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي﴾ أُمُورِ ﴿الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾: وتأخذون بالأصلح لكم، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ آيَاتِنَا﴾: بعدما اعتزلوهم بنزول ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ﴾، ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ﴾: في مداخلتهم، ﴿حَيْرٌ﴾: من مجانبتهم، ﴿وَإِنْ تَحَايَطُواهُمْ﴾: تخلطون طعامكم بطعامهم، ﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾: أي: فهم إخوانكم، فلا بأس، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾: فيجازيهما، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَيْنَاكُمْ﴾: لكلفكم مشقة المجانبة مطلقاً، والعنت: المشقة (٣)، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غالب، ﴿حَكِيمٌ﴾: فيما يفعل، ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ﴾: عبدة الأوثان، ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنَ﴾: شملت الكتابيات، وخصت بقوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ﴾ (٤) إلى آخره، ﴿وَلَا أُمَّةٌ مَوْمِنَةٌ حَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ﴾: حُرَّة، ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾: لمالها وجمالها، ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ﴾: المؤمنات، ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ حَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ﴾: حُرٌّ، ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ﴾: المشركون، ﴿يَدْعُونَ إِلَىٰ﴾: موجبات، ﴿النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ﴾: موجبات، ﴿الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾: بتيسيره، ﴿وَيُبَيِّنُ ءَايَاتِهِ لِّلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: قبح

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٣٦٧٠)، والبيهقي (٢٨٥/٨)، والترمذي (٣٠٤٩)، والنسائي (٢٨٦/٨)، (٢٨٧)، وأحمد (٥٣/١)، والواحدي في أسباب النزول (١٣٨، ١٣٩)، وابن أبي شيبة (١١٢/٧/١٣٨٢٤)، والحاكم في مستدركه (١٤٣/٤) والبيهقي في معرفة السنن والآثار (٥١٩٣/٤٣٠/٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٨٨/٢، ٣٨٩/٢٠٤٤) و (٥٣٥١/٩٥٨/٣) وسنده صحيح.

(٢) لَمَّا حَرَمَهُمَا اللَّهُ سَلَبَ مِنْهُمَا الْمَنْفَعَةَ تَمَامًا.

(٣) وَأَصْلُهُ: الْكَسْرُ بَعْدَ الْعَجْرِ.

(٤) سُورَةُ النِّسَاءِ.

المنهي عنه، وحسن المدعو إليه، ﴿وَسَّكُونُكَ﴾: السائل: أبو الدحداح مع جمع عن أحكام^(١) ﴿الْمَحِيضِ﴾: الحيض؛ إذ كانوا لا يؤاكلوهن ولا يساكنوهن^(٢) حينئذ ترك الواو في الأسئلة الثلاثة الأولى؛ لأنهم سألوها في أوقات متفرقة، وأتى بالواو في البواقي إشارة إلى أنهم سألوها في وقت واحد عرفاً، كشهركذا، ﴿قُلْ هُوَ أَذَى﴾: كناية عن مستقذر، ﴿فَاعْتَرَلُوا﴾: اجتنبوا، ﴿النِّسَاءِ﴾: مجامعتهن، ﴿فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ﴾: بالجماع، ﴿حَتَّى يَظْهَرْنَ﴾: بالاعتسال أو التيمم، وعند أبي حنيفة - رحمه الله^(٣) - بدونه إن طهرن لأكثر الحيض، وتأتي قراءة: ﴿يُظْهَرْنَ﴾^(٤) بالتشديد، وفق له: ﴿فَإِذَا نَظْهَرْنَ فَأَتُوهُنَّ﴾: بالجماع، ﴿مِنْ حَيْثُ﴾: من مأتى، ﴿أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾: وهو القبل، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾: من الأقدار، ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ﴾: موضع حرث، ﴿لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ﴾: جامعوهن، ﴿أَنَّى﴾: من أي: جهة، ﴿شِئْتُمْ﴾: بعد ملاحظة موضع الحرث، لا كما قال اليهود: الجماع في القبل مدبرة يسخط الله، ويجعل الولد أحول^(٥)، ﴿وَقَدِمُوا لِأَنفُسِكُمْ﴾: ثواب امتثال أمر الله، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: في معاصيه، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوَةٌ﴾: يوم القيامة، ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: الذين اتقوه، ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً﴾: مانعاً وحاجزاً، ﴿لِأَيْمَانِكُمْ﴾: أي: الأمور المحلوف عليها، ﴿أَنْ تَبْرُوا﴾: بيان للإيمان، ﴿وَتَتَّقُوا وَتُضْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾: كحلف الصديق أن لا ينفق على مسطح^(٦) لافترائه^(٧) على عائشة رضي الله عنها، والآية نزلت فيه، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾: لأيمانكم، ﴿عَلِيمٌ﴾:

(١) أنوار التنزيل - للبيضاوي (٤٨).

(٢) في (ن): لا يؤاكلوهن، ولا يساكنوهن.

(٣) في (ن): رضي الله عنه.

(٤) وهي قراءة حمزة والكسائي وعاصم الجحدري وخلف والفضل وشعبة.

* إتحاف فضلاء البشر (١٥٧)، السبعة (١٨٢)، غيث النفع (١٦١)، الكشاف (١/١٣٤).

(٥) عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: كانت اليهود تقول: إذا أتى الرجل امرأته من دبرها في قبلها؛ كان الولد أحول؛ فنزلت: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾... الآية» رواه البخاري في صحيحه (٨/١٨٩/٤٥٢٨) ومسلم (١٤٣٥).

(٦) ابن أئانة رضي الله عنه.

(٧) كذا- والذي افتري على أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - هو ابن سلول - لعنه الله - فلو قال المؤلف: كان من الخائضين، أو: من الذين خاضوا في الإفك، لكان أولى.

بمقاصدكم، ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ﴾: بعقوبة ولا كفارة، ﴿وَاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾: هو ما يجري على اللسان بلا قصد، كلا والله، وعند الحنفيين: هو حلف الرجل بناء على ظنه الكاذب^(١)، ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: أي: تَعَمَّدْتُمُ الْكُذْبَ فِيهِ، ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾: لا يعجلكم بالعقوبة في الكذب، ﴿لِلَّذِينَ يُولُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾: يحلفون أن لا يُجَامِعُوهُنَّ، ﴿تَرِيضٌ﴾: انتظار، أو مقلوب تَصَبَّرُ، ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾: فلا يطالبون فيها بوطء، ولا طلاق، ﴿فَإِنْ فَآؤُوا﴾: رجعوا بالحنث، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾: لهم إثم الحنث، ﴿رَجِيمٌ﴾: ﴿وَ﴾ لكن تجب الكفارة، ﴿إِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾: وطلقوا، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾: لطلاقهم، ﴿عَلِيمٌ﴾: بفعلهم، ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ﴾: المدخول بهن من حرائر ذوات الأقرء، ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾: ليحملنها على الانتظار، إنما قيد بها لأن أنفسهن طوامح إلى الرجال، ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾: أطهار مُحْتَوِشَةٌ^(٢) بالدم، وعدة الأمة قُرْآنٌ لِلسُّنَّةِ، وأتى بجمع الكثرة؛ لأنها حكم جميع المُطَلِّقات، أو على تقدير ثلاثة من القروء وهو جمع قلة، في أنفسهن؛ تنبيهاً على أنه ينبغي قلة وقوعه، وهو عندنا بمعنى الطهر، وعند أبي حنيفة بمعنى الحيض.

* تنبيه: اعلم أن حديث: «طَلَّاقُ الْأُمَّةِ تَطْلِيْقَتَانِ، وَعَدَّتْهَا حَيْضَتَانِ^(٣)»، وحديث: «دَعِيَ الصَّلَاةَ أَيَّامَ أَقْرَانِكَ^(٤)»، ليسا في الأصول^(٥) ومع ثبوتهما لا يقاومان قوله تعالى: ﴿فَطَلَّقُوهُنَّ إِعْدَتِهِنَّ﴾^(٦). ورواية «الصحيحين» والموطأ وسنن أبي داود والترمذي والنسائي والدارمي وابن ماجه في قصة ابن عمر - رضي الله عنهما - : «مُرَّةٌ فَلْيُرَاجِعْهَا ثُمَّ لِيَمْسِكْهَا حَتَّى تَطْهُرَ، ثُمَّ تَحِيضُ، ثُمَّ تَطْهُرَ، ثُمَّ إِنْ شَاءَ أَمْسَكَ بَعْدُ وَإِنْ شَاءَ طَلَّقَ قَبْلَ أَنْ يَمْسَ،

(١) انظر: معطية الأمان - لابن العماد الحنبلي (٦٤).

(٢) مقترنة.

(٣) رواه أبو داود (٢/٢١٨٩)، الترمذي (٣/١١٨٢)، وابن ماجه (١/٢٠٨٠)، والحاكم (٢/٢٠٥) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٦٥٠)، والإرواء (٢٠٦٦، ٢١٢١).

(٤) رواه البغوي في شرح السنة (٩/٢٠٧)، والدارقطني في سنته (١/٢١٢) وسنده ضعيف.

(٥) لم أعرف مراد المصنف بهذه الكلمة، ولعله يعني: ليسا في الصحيحين.

(٦) سورة الطلاق (١).

فتلك العدة التي أمر الله أن يُطَلَّقَ لَهَا النِّسَاءُ^(١)، ورواية مالك عن عائشة رضي الله عنها - : «أتدرون ما الأقرء؟ هي الأطهار^(٢)»، غاية الأمر أنهما يدلان على استعماله بمعنى الحيض، ولا نزاع فيه، والله تعالى أعلم، ﴿وَلَا يَحِلُّ لهنَّ أَنْ يَكْتُمَنَّ مَا خَلَقَ اللهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾: من حَمَلٍ أو حَيْضٍ اسْتِعْجَالًا، فأفهم أن قولها فيه مقبول، ﴿إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: ليس للشرط بل للتغليظ، ﴿وَيُؤْمَلْنَ﴾: جَمْعُ البَعْلِ: الزوج، وأصله: نخل يشرب بعروقه، والبعلةُ الزوجة، ﴿أَحَقُّ بِرَهْنٍ﴾: إلى النكاح، ﴿فِي ذَلِكَ﴾: الزمان، وهو العدة، وهذا قبل نزول: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ﴾^(٣)، ﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾: بالرجعة، لا إضرارًا، وهذا تحريض لا شرط، ﴿وَهُنَّ﴾: على الرجال من الحق، ﴿مِثْلَ الَّذِي﴾: لهم، ﴿عَلَيْهِنَّ﴾: في الوجوب لا في الجنس، ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: في الشرع من نحو حسن العشرة، ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيَّهِنَّ دَرَجَةٌ﴾: فضل لما ساقوه من المهر والإنفاق، وأصلها^(٤): المنزلة باعتبار الصعود، كما أن الدرّكة المنزلة باعتبار النزول، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٥) الطَّلَاقُ: الرجعي، ﴿مَرَّتَانٍ﴾: اثنتان، وقيل: تطليقة بعد تطليقة، وكذا قيل بتحريم الجمع، وبعد ذلك، ﴿فَأَمْسَاكُ﴾: مراجعة، ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾: غير منكر شرعًا، وسئل عليه الصلاة والسلام «أين الثالثة؟» فقال^(٥): ﴿أَوْتَرِيحٌ﴾: أي: طلقة ثالثة، ﴿بِإِحْسَنِ﴾: لا كما كان

(١) عن مالك عن نافع عن ابن عمر أنه طلق امرأته وهي حائض في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل عمر بن الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مره فليراجعها، ثم ليركها حتى تطهر، ثم تحيض، ثم تطهر، ثم إن شاء أمسك بعد، وإن شاء طلق قبل أن يمس، فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء» رواه البخاري (٣٤٥/٩، ٣٤٦/٣، ٥٢٥١)، ومسلم (١٠٩٣/٢)، وأبو داود (٣٦٣/٢).

(٢) عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها انتقلت حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق حين دخلت في الدم من الحيضة الثالثة.

قال ابن شهاب: فذكر ذلك لعمرة بنت عبد الرحمن فقالت: صدق عروة وقد جادلها في ذلك ناس وقالوا: إن الله - تبارك وتعالى - يقول في كتابه: ﴿ثَلَاثَةٌ قُرُوءٌ﴾ فقالت عائشة: صدقتم؛ تدرون ما الأقرء؟ إنما الأقرء الأطهار. رواه مالك في الموطأ (٤٥٥/ كتاب الطلاق) (٢١) باب: ما جاء في الأقرء وعدة الطلاق وطلاق الحائض.

(٣) سورة البقرة.

(٤) الدرجة.

(٥) رواه الطبري في تفسيره (٥٤٥/٤)، وعبد الرزاق في المصنف (٣٠١/٣)، والبيهقي (٣٤٠/٧) وسنده

في الجاهلية الطلاق غير محصور في عدد، وهو أعم من المعروف، إذ قد لا ينكر ولا يستحسن، ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾: أيها الولاة أسند إليهم، لأنهم الأمرون عند الترافع، ﴿أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾: الصِّدَاقُ^(١)، ﴿شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا﴾: الزوجان، ﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾: من مواجب الزوجية، ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾: أيها الولاة، ﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾: على الزوجين، ﴿فِي مَا أَفْتَدَتْ بِهِ﴾: نفسها، أي: لا حرج في أخذه وإعطائها، فعرف جواز الخُلْعِ في حال اتفاقهما بطريق الأولى، ﴿تِلْكَ﴾: الأحكام، ﴿حُدُودَ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٢) فَإِنْ طَلَّقَهَا: بعد المرتين، هو تفسير التسريح بإحسان، ونبه بتوسيط ذكر الخلع بينهما، على أن الطلاق إما مجاز أو بعوض، وأن الرجعة لا تمكن إلا قبل الثالث، ﴿فَلَا يَحِلُّ لَهُمْ مِنْ بَعْدُ﴾: بعد الثالثة، ﴿حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾: يطؤها في نكاح صحيح، وحكمته: الردع عن التسريح إلى الطلاق، وأما لعن المُحَلَّل والمُحَلَّلَ له، فحيث نكح بشرط أن لا نكاح بعد الوطء ونحو ذلك، ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾: الثاني، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾: بنكاح جديد صحيح جائز، ﴿إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾: في الزوجية، ﴿وَتِلْكَ﴾: الأحكام، ﴿حُدُودَ اللَّهِ يَبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: يفهمون، ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَنْ أَجَلُهُنَّ﴾: انقضاء عدتهن، والأجل: قُرْبُ الْمُدَّةِ، أو ممتهاها، والمراد الثاني، ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: بالرجعة بلا إضرارٍ، ﴿أَوْ سَرِحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: بتركهن لتتقضي عدتهن بلا تطويل، عَلَّقَهُ هُنَا بِالْمَعْرُوفِ؛ تَبْيَهًا عَلَى أَنْكُمْ إِنْ لَمْ تَحْسِنُوا فَرَاعُوا فِيهِ الْمَعْرُوفَ، ﴿وَلَا تُسَيِّئُوا لَهُنَّ﴾: تراجعوهنَّ، ﴿ضَرَارًا﴾: لإضرارهن، ﴿لِيُعْتَدُوا﴾: لتظلموهن بالتطويل أو الإلجاء إلى الافتداء، ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ، وَلَا تَنْخِذُوا بِآيَاتِ اللَّهِ هُرُوفًا﴾: بأن تطلقوا أو تعتقوا أو تنكحوا أو تراجعوا، ثم تقولوا: كُنَّا لَا عَيْبِينَ، ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: بالإسلام، ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾: القرآن، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: السنة^(٢)، ﴿يَعِظُكُمْ بِهِ﴾: بما أنزل، فاشكروها بالعمل به، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٣) وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَنْ أَجَلُهُنَّ: ﴿

= ضعيف.

(١) في (ن): الصدقات.

(٢) أو مواظ القرآن - الوسيط (١/٣٣٨).

انْقَضَتْ عِدَّتُهُنَّ، ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾: لَا تُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ أَيُّهَا الْأَوْلِيَاءُ، دَلَّتْ عَلَى مَنَعِ تَزْوِيجِهِنَّ أَنْفُسَهُنَّ، وَإِلَّا فَلَا مَعْنَى لِعَضْلِ الْوَالِيِّ، وَإِسْنَادُ النِّكَاحِ إِلَيْهِنَّ فَلتَوْقُفُهُ عَلَى إِذْنِهِنَّ، ﴿أَنْ يَنْكِحَنَّ﴾: الَّذِينَ كَانُوا، ﴿أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضُوا﴾: الْخُطَّابُ وَالنِّسَاءُ، ﴿بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾: شَرْعًا وَمَرْوَةً وَمُودَةً، دَلَّتْ عَلَى جَوَازِ الْعَضْلِ عَنِ التَّزْوِيجِ مِنْ غَيْرِ كِفْوٍ، ﴿ذَلِكَ﴾: الْمَنْزِلُ، ذَلِكَ هُنَا لِمَجْرَدِ الْفَرْقِ بَيْنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ فَلَا تَجْمَعُ، ﴿يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ﴾: تَرَكَ الْعَضْلُ ذَلِكُمْ هُنَا لِلْخُطَّابِ فِي تَجْمَعِ، ﴿أَزْكَى﴾: أَنْفَعُ، ﴿لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾: مِنْ دَنَسِ الْإِثْمِ، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾: ذَلِكَ، ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: لِقُصُورِ عِلْمِكُمْ، ﴿وَالْوَالِدَاتُ﴾: وَلَوْ مُطْلَقَاتٍ، ﴿رُضِعْنَ﴾: لِيَرْضَعْنَ، ﴿أَوَّلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾: تَحْدِيدًا، وَهُوَ إِذَا أَكَدَهُ لِأَنَّهُ يَتَسَامَحُ فِيهِ، أَمْرٌ نَدَبٌ أَوْ جَوَابٌ إِذَا لَمْ يَرْتَضِعِ الصَّبِيُّ إِلَّا مِنْ أُمِّهِ، أَوْ لَمْ يُوْجَدْ لَهُ ظَنْرٌ^(١)، أَوْ عَجَزَ الْوَالِدُ عَنِ اسْتِئْجَارِ ذَلِكَ، ﴿لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُمَّ الرِّضَاعَةَ﴾: فَهُمَا أَقْصَى مُدَّتِهَا، وَيَجُوزُ النِّقْصُ، ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾: أَيُّ: لِلْوَالِدِ، أَشَارَ بِتَغْيِيرِ الْعِبَارَةِ إِلَى عِلَّةِ الْحُكْمِ، وَأَنَّ الْوَلَدَ لِلْوَالِدِ، ﴿رِزْقُهُنَّ﴾: نَفَقَةُ أُمِّهِ الْمَطْلُوقَةِ مَدَّةَ الْإِرْضَاعِ، ﴿وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾: بِقَدْرِ وَسَعِهِ، وَجَوَّزَ الشَّافِعِيُّ اسْتِئْجَارَ الْأُمِّ، وَعَنْ أَبِي حَنِيفَةَ: مَنَعَهُ مَا دَامَتْ زَوْجَتُهُ أَوْ فِي عِدَّتِهِ، ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا أَوْسَعَهَا لَا نُضَاكَرَ﴾: مَبْنِيًّا لِلْفَاعِلِ، فَاعِلُهُ، ﴿وَالِدَةٌ يُؤَلِّدُهَا﴾: بِأَنَّ تَدْفِعُهُ عَنِ نَفْسِهَا، قَدَمَهَا لِفَرْطِ شَفَقَتِهَا، ﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ يُؤَلِّدُهَا﴾: بِأَنَّ يَنْزِعُهُ عَنِ أُمِّهِ إِضْرَارًا لَهَا، وَمَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ بِتَعَاكُسِ الْمَعْنِيِّينَ، وَوَالِدَةُ مَفْعُولُهُ وَأَضَافَهُ إِلَيْهَا، وَإِلَيْهِ اسْتِعْطَافًا لَهَا عَلَيْهِ، ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ﴾: وَارِثُ الْأَبِّ إِذَا مَاتَ، وَهُوَ الْوَلَدُ نَفْسَهُ، ﴿مِثْلُ ذَلِكَ﴾: فَتَوَخَّذْ مَوْئُنَ مَرْضِعَتِهِ مِنْ مَالِهِ إِنْ كَانَ، وَإِلَّا فَتَجْبِرِ الْأُمَّ عَلَى إِرْضَاعِهِ مَجَانًّا، ﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾: الْأَبْوَانُ، ﴿فِضَالًا﴾: فَطَامًا صَادِرًا، ﴿عَنْ تَرَاضٍ مَبْنِيًّا وَتَشَاوُرٍ﴾: بَيْنَهُمَا، قَبْلَ الْحَوْلَيْنِ^(٢) وَالْمَشُورَةَ اسْتِخْرَاجَ الرَّأْيِ^(٣)، ﴿فَلَا جُنَاحَ

(١) الظنر: المرضع.

(٢) والمعنى: أنهما إن تشاورا وتراضيا على الفطام قبل الحولين فلا بأس إذا كان الولد قويًا.

* الوسيط (١/٣٤٢).

(٣) معنى التشاور: استخراج الرأي وكذلك المشورة ومنه يقال: شرت العسل، إذا استخراجته.

* البحر المحيط (٢/٢٠٦، ٢٠٧).

عَلَيْهِمَا ﴿: فلا يستقل أحدهما به، ﴿وَلِإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا﴾: المراضع، ﴿أَوْلَادَكُمْ﴾: أي: لأولادكم، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: دَلَّ على أنه يجوز للزوج، وكذا منعه الزوجة عن إرضاعه، ﴿مَاءَ أَيْتَمٍ﴾: أردتم إيتاءه من أجورهما، ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: شرعاً من أجورهما، وبالقصر، من أتى إليه إحساناً إذا فعله، وتقييد نفي الجُنَاح بالتسليم إرشاداً إلى الأولى، لا شَرَطَ لِلجَوَازِ، ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ﴾: في حدوده، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤَقِّنُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ﴾: يَتْرُكُونَ، ﴿أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ﴾: بعدهم، ﴿بِأَنْفُسِهِنَّ﴾: ليحملنها على الانتظار، ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾: سِرُّهُ أَنَّ الجِنين غالباً يتحرك لثلاثة إن كان ذكراً، ولأربعة إن كان أنثى^(١)، فاعتبر أقصى الأجلين، وزيادة العشر للاستظهار، وأما الحَامِلُ والأمة فعدتهما الوضع، ونصف الحرة، وترك التاء لحذف المعدود أو باعتبار الليالي، ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: انقضت عدتهن، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: أيها الأولياء في ترك كَفِّهِنَّ، ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾: من تَزْيِينِ حَرْمٍ في العِدَّةِ، ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: غير منكر شرعاً، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: فيجازيكم، ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ﴾: والتعريض: ذكر المقصود بلفظه الحقيقي أو المجازي أو الكِنائِي ليدل على شيء آخر غير مذكور، والكناية: ذكر المقصود بلفظه الحقيقي لم يوضع له، واستعمل في الموضوع له لا على وجه القصد إليه، بل ليتنقل منه، وبينهما عموم من وجه، ﴿مِنْ خِطْبَةٍ﴾: هي عُرْفًا: طلبُ، ﴿النِّسَاءِ﴾: أي: المعتدات للوفاء، وبضم الخاء: الموعظة، وأصلها: الحالة التي عليها الخاطب، مثال التعريض: إنك جميلة، وغرضي أن أتزوج، ﴿أَوْ أَكَنَنْتُمْ﴾: أضمرتم، ﴿فِي أَنْفُسِكُمْ﴾: بلا تعريض، ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾: ولا تصبرون عنهن، فأباح التعريض فاذا ذكروهن، ﴿وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾: نكاحاً أو جماعاً، ﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾: حاصله: لا تواعدوهن إلا مواعدة معروفة، وهي التَّعْرِيفُ لا التصريح، ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ﴾: أي: عَقْدَ عَقْدَةٍ، ﴿النِّكَاحِ﴾: وهي ما يتوقف عليه صحته، ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾: أي: ينتهي ما كتب وأوجب من العدة، فالنكاح فيها لا يَصِحُّ إجماعاً، وذكر العزم مبالغة في النهي

(١) وهذا صحيح، وقيدته بالغالب؛ ليخرج ما سواه.

عن العقد، واعلم أن مراتب دواعينا إلى الفعل^(١) سِتُّ: السَّانِحُ ثم الخاطر ثم التفكير فيه، ثم الإرادة، ثم الهمة، ثم العزم، فالعزم على الأمر هو العقد على إمضاءه، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾: ولا تعزموا، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ﴾: لمن عزم ولم يفعل، ﴿حَلِيمٌ﴾: لا يعجل بالعقوبة، ﴿لَا جُنَاحَ﴾: أي: لا تبعة من مهر بدليل قوله بعد: ﴿فِيْصِفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾، ﴿عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ﴾: تجامعوهن، ﴿أَوْ﴾: إلا أن ﴿تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾: مهراً إذ لومس، أو فرض لزم الكل أو النصف، والفرض: تسمية المهر، ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾: حيث لا مس، ولا تسمية جبراً لإيحاء الطلاق، وتقدير المتعة إلى رأي الحاكم، كما يشعر به، ﴿عَلَى الْمُؤْسِيعِ﴾: الغني، ﴿قَدَرُهُ﴾: وَعَلَى الْمُقْتَرِ الْفَقِيرِ ﴿قَدَرُهُ﴾: ما يليق به، ﴿مَتَّعًا﴾: تمتيعاً، ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: شرعاً، حق ذلك، ﴿حَقًّا﴾: واجباً، ﴿عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾: أي: عليكم، وسماهم به للمشاركة ترغيباً، وألحق الشافعي الممسوسة المفروضة وغيرها بها في أحد قوليهِ قياساً، وهو مقدم على المفهوم، ﴿وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فِئْصَفُ﴾: فلهنَّ نصف، ﴿مَا فَرَضْتُمْ﴾: ولا متعة حينئذ، ﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ﴾: المطلقات، ﴿أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ الرِّكَاحِ﴾: أي: الزوج يعطيها كل المهر، سمي عفواً للمشاكله، أو من عفوت بمعنى وفّرت^(٢)، ﴿وَأَنْ تَعْفُوا﴾: أيها الرجال، ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾: أي: يتفضل بعضكم على بعض، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: لا يضيع تفضلكم، ﴿حَفِظُوا﴾: ذاوموا، ﴿عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾: الخمس، ﴿وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى﴾: بينهما أو الفضلى، والأصح أنها العصر، للحديث^(٣)، ﴿وَقَوْمُوا﴾: في الصلاة، ﴿لِلَّهِ قَنِينٌ﴾: خاشعين أو ساكنين، وأصله: القيام خاضعاً، وعن ابن المسيب: «هو قنوت الصبح^(٤)»، ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾: من نحو عدو، ﴿فَرِحَالًا﴾: فصلوا راجلين، دَلَّ عَلَى

(١) في (ن): للفعل.

(٢) كقوله - تعالى -: ﴿حَتَّىٰ عَفَا﴾ (الأعراف: ٩٥) أي: كثروا وكثرت أموالهم.

* عمدة الحفاظ (٣/٩٩).

(٣) يشير إلى حديث: «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر» رواه مسلم في صحيحه (١/٤٣٧)

(٢٠٥/٦٢٧).

(٤) أنوار التنزيل - للبيضاوي (٥٤).

وجوب الصلاة حال المُسَافِة كما قاله الشافعي، ﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾: راكبين وإن لم يمكن الوقوف والاستقبال، ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾: زال خوفكم، ﴿فَأَذْكُرُوا اللَّهَ﴾: فصلوا، ﴿ك﴾: مثل، ﴿مَا عَلَّمَكُم﴾، وهو صلاة الأمان، ﴿مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (٣١) ﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنكُم وَيَدْرُونَ أَرْوَاجًا﴾: كتب عليهم، أو فليوصوا، ﴿وَصِيَّةً لِّأَرْوَاجِهِمْ﴾: لنسائهم، ﴿مَتَلَعًا﴾: أي: بتمتع، ﴿إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ﴾: غير مخرجات، أي: يجب عليه أن يوصي بأن تمتع زوجته حولا وينفق عليها غير مخرجة من مسكنها، ثم نُسخت المدة بأربعة أشهر وعشرا، والنفقة بالإرث عند الأكثرين، والسكنى ثابتة بعد عند الشافعي خلافاً لأبي حنيفة، ﴿فَإِنْ خَرَجَ﴾: عن المسكن قبل الحول، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: يا ورثة الميت بقطع النفقة أو السكنى، ﴿فِي مَا فَعَلْتُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾: من ترك الحداد، ﴿مِن مَّعْرُوفٍ﴾: مشروع معتاد، فخيرت بين ملازمته وأخذ النفقة والخروج وتركها إذا لم تكن ملازمة للحداد، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾: ينتقم ممن يخالفه، ﴿حَكِيمٌ﴾: فيما أمر.

ولما نزل في المتعة، ﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ قال رجل: إن شئت أحسنت وإلا فلا، نَزَلَتْ^(١)، ﴿وَلَمَّا طَلَّقَتِ مَتْعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾: الشرك، ﴿كَذَلِكَ﴾: التبيين، ﴿بَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (١٤) ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: استفهام تعجب وتقدير، أي: حمل على الإقرار بما بعده، ﴿إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾: أهل دَاوْرْدَانَ^(٢)، ﴿وَهُمْ أَلُوفٌ﴾: سبعون ألفا أو متألفون، ﴿حَدَرَ الْمَوْتَ﴾: الطاعون، ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ﴾: في الطريق، ﴿مُوتُوا﴾: أي: أماتهم دفعة، ﴿ثُمَّ أَخِيَهُمْ﴾: بعد تفرق أوصالهم حين مر عليهم حزيل: فقال: بأمر الله. قوموا، فقاموا قائلين: سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت^(٣)، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا

(١) الوسيط - للواحيدي (١/٣٥٤)، تفسير ابن كثير (١/٣٥٥) عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو متروك.

(٢) قبل واسط بالعراق.

* أنوار التنزيل - للبيضاوي (٥٤) وقال ياقوت الحموي: بفتح الواو وسكون الراء وآخره.

نون: من نواحي واسط بينهما فرسخ - معجم البلدان (٢/٤٣٤).

(٣) الدر المنثور - للسيوطي (١/٣١٤)، الوسيط (١/٣٥٥).

يَشْكُرُونَ ﴿: مشغولون عما خلقوا له، ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ ﴿: قول المتخلفين، ﴿عَلِيمٌ ﴿: بضمائرهم، ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا ﴿: هو مثل لتقديم عمل لطلب ثوابه، ﴿حَسَنًا ﴿: ببذل النفس والمال، ﴿فِيضِدْعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقِضُ ﴿: يمسك الرزق عن بعض، ﴿وَيَبْضِطُ ﴿: على الآخر، ﴿وَاللَّيْتَهُ تَرْجِعُونَ ﴿: فيجازيكم، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَآئِكَةِ ﴿: جماعة شريفة أو مجتمعة للتشاور، ﴿مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَدِيدٍ ﴿: وفاة، ﴿مُوسَىٰ إِذْ قَالَ لِلَّهِ رَبِّي آلَهُمْ ﴿: يوشع^(١)، ﴿أَبْعَثْ لَنَا مَلَكًا ﴿: للقتال، ﴿ثُمَّ قَاتَلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ ﴿: نبيهم، ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ ﴿: أي: أتوقع، وعسى في القرآن أينما وقع في القرآن مفردا للخبر وجمعا للاستفهام، ﴿إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ﴿: لجنبكم، ﴿قَالُوا وَمَا ﴿: أي غرض، ﴿لَنَا ﴿: في، ﴿أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأَبْنَاءِنَا ﴿: لأن قوم جالوت أخذوا بلادهم وسبوا أولادهم، ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا ﴿: عن الحرب، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ﴿: ثلاثمائة وثلاثة عشر عدة أهل بدر^(٢)، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿: فيجازيهم، ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلَكًا ﴿: أميرًا، ﴿قَالُوا ﴿: نعمتًا، ﴿أَنْتَ ﴿: كيف، ﴿يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ ﴿: الإمارة، ﴿عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ ﴿: لأنه ليس من أسباط يهوذا والملك فيهم، ونحن منهم وكان فقيرا سقاء أو دباغا، ﴿وَلَمْ يُوْتِ سَكَّةَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ ﴿: وقوام الملك به، ﴿قَالَ ﴿: نبيهم ردا عليهم بأربعة أجوبة: أحدها: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ ﴿: الثاني: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ ﴿: ﴿و﴿ قوة في، ﴿الجسيم ﴿: وهما عماد الملك، الثالث: ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ ﴿: أي: السلطنة، ﴿مَنْ يَشَاءُ ﴿: ولا يسأل عما يفعل، الرابع: ﴿وَاللَّهُ وَسِعَ ﴿: يوسع على الفقير، ﴿عَلِيمٌ ﴿: بمن يليق بالملك، ﴿و﴿: لما طلبوا دليل اصطفائه، ﴿قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ ﴿:

(١) وقيل: هو أشمويل - فتح القدير (١/ ٢٦٤) الوسيط (١/ ٣٥٦).

(٢) لحديث: «أنتم اليوم على عدة أصحاب طالوت حين عبروا النهر وما جاز معه إلا مؤمن» رواه البخاري

(٤/ ٣) كتاب المغازي باب: عدة أصحاب بدر، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٣٦)، وأحمد في مسنده

(٤/ ٢٩٠).

صُنْدُوقٌ مِنْ خَشَبِ الشَّمْشَادِ^(١) مُمَّوَه^(٢) بِالذَّهَبِ، وَهُوَ ثَلَاثَةُ أذْرُعٍ فِي ذِرَاعَيْنِ، فِيهِ صُورُ الْأَنْبِيَاءِ، أَخَذَتْهُ الْعِمَالِقَةُ مِنْهُمْ^(٣)، ﴿فِيهِ﴾: فِي التَّابُوتِ، ﴿سَكِينَةٌ﴾: اطمئنان، ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾: كَانَ فِيهِ أَشْيَاءٌ يَتِيمَنُ بِهَا فِي الْخُطُوبِ^(٤) وَالْحُرُوبِ، وَفِي تَعْيِينِهَا خِلَافٌ، ﴿وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى﴾: عَصَاهُ وَرُضَاصُ الْأَوْحِ التَّوَارَةِ^(٥)، ﴿وَأَلْ هَكَرُونَ﴾: ثِيَابُهُ، فَالْأَلُّ مُقْحَمٌ^(٦)، أَوْ أَبْنَاؤُهُمَا الْأَنْبِيَاءُ، ﴿تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾: فِي الْهَوَاءِ فَنظَرُوا إِلَيْهِ حِينَ وَضَعَتْهُ^(٧) بَيْنَ يَدَيْ طَالُوتَ، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: أَي: رَجُوعِ التَّابُوتِ، ﴿لَايَةً لَكُمْ﴾: فِي اصْطِفَائِهِ، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٨) فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ: عَنِ بَلَدِهِ لِقِتَالِ الْعِمَالِقَةِ، وَكَانُوا ثَمَانِينَ أَلْفًا، وَكَانَ [ثُمَّ] حَرًّا عَظِيمًا، ﴿قَالَ﴾: لَهُمْ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَثِقْ بِهِمْ^(٩)، ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ﴾: مَعَامِلَكُمْ عَمَلٍ مُخْتَبَرٍ، ﴿بِنَهْرٍ﴾: بَيْنَ الْأُرْدُنِ وَفِلَسْطِينَ^(٩)، ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ﴾: مِنَ النَّهْرِ، ﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾: فَلَا يَصْحَبُنِي وَلَا يُؤَاقِفُ^(١٠) الْعَدُوَّ، ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ﴾: يَذْقَهُ، ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا﴾: اسْتِثْنَاءٌ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ شَرِبَ﴾، ﴿مَنْ أَغْتَرَفَ غُرْفَةً﴾: بِالْفَتْحِ لِلْمَرَّةِ، وَبِالضَّمِّ: مَا اغْتَرَفَ، ﴿بِيَدِيهِ﴾: وَاكْتَفَى بِهَا، ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ﴾: بِأَفْوَاهِهِمْ كَالْبَهَائِمِ، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْهُمْ﴾: فَمَنْ اغْتَرَفَ رُوي^(١١) وَكَفَّتْ

(١) نَوْعٌ مِنَ الْخَشَبِ.

(٢) مَطْلِيٌّ.

(٣) دَارَتْ خِرَافَاتٌ كَثِيرَةٌ وَأَسَاطِيرٌ طَامَةٌ حَوْلَ هَذَا التَّابُوتِ وَمَا حَوَاهُ، وَكُلُّ مَا وَرَدَ فِيهِ هُوَ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ الَّتِي لَا تَسْمَنُ وَلَا تَغْنَى مِنْ جَوْعٍ، بَلْ خَرَجَ عَلَيْنَا فِي عَصْرِنَا هَذَا مِنْ يَدْعِي الْعَثُورِ عَلَى هَذَا التَّابُوتِ وَأَنَّهُ يَحُوزُهُ وَيَمْلِكُهُ... وَالْأَمْرُ لِلَّهِ.

(٤) الْمَعَارِكُ وَالْأَحْدَاثُ الْكَبِيرَةُ.

(٥) الْوَسِيطُ - لِلْوَاحِدِ (٣٥٨/١)، مَعَانِي الْقُرْآنِ - لِلزَّجَاجِ (٣٢٥/١)، الدَّرُ الْمُنْتَوِرُ (٣١٤/١)، تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ (٣٠١/١)، فَتْحُ الْقَدِيرِ (٢٦٥/١)، تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ (٣٣١/٥). وَالرُّضَاصُ: مَا تَكَسَّرَ مِنَ الْأَلْوِاحِ.

(٦) زَائِدٌ.

(٧) يَعْنِي الْمَلَائِكَةَ.

(٨) كَذَا فِي نَسْخَةِ (د)، وَ(ن).

(٩) الْوَسِيطُ - لِلْوَاحِدِ (٣٥٩/١).

(١٠) يَقِفُ أَمَامَهُ لِلْقِتَالِ.

(١١) شَبَعٌ.

لِإِدَاوَتِهِ مَعْجِزَةً، وَمَنْ شَرِبَ فِيهِ لَمْ يَرَوْا وَاشْتَدَّ عَطَشُهُ، وَاسْوَدَّتْ شَفْتُهُ، وَالْمَغْتَرِفُونَ ثَلَاثُمِائَةٍ وَبُضْعَةٌ عَشْرٌ، ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ﴾: النهر، ﴿هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾: القليل، ﴿قَالُوا﴾: الشَّارِبُونَ لِلْمَغْتَرِفِينَ، ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾: لكثرتهم، ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾: يعلمون، ﴿أَنَّهُمْ مُلْقُوا لِلَّهِ﴾: بالموت وهم القليلون، ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ﴾: فرقة، ﴿قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ﴾: بأمر، ﴿اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾: بالعناية، ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا﴾: ظهوروا، ﴿لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾: وكانوا تسعين ألفاً أو أكثر، ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ﴾: اصب، ﴿عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾: بتقوية قلوبنا، ﴿وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (٢٥) ﴿فَهَزَمُوهُمْ﴾: كسروهم (١)، ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: بنصره، ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾: بثلاثة أحجار في مخلاته قد تكلمت معه في الطريق: إنك تقتل جالوت بنا، ووعدته طالوت أنه إن قتل جالوت يزوج (٢) ابنته منه، ويشركه في ملكه فوقى وأعطاه (٣)، ﴿وَأَتَاكَ اللَّهُ الْمَلِكَ﴾: مُلْكُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: النبوة، ﴿وَعَلَّمَهُ مَا يَشَاءُ﴾: كمنطق الطير والداوب والسردي (٤)، ﴿وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمُ بِبَعْضٍ﴾: كهذا الدفع، ﴿لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾: بالكفار، فيه تنبيه على فضيلة الملك، ﴿وَلَا كُنَّ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٢٥١) ﴿تِلْكَ﴾: الأحاديث، ﴿ءَايَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾: بالوجه المطابق، ﴿وَإِنَّكَ﴾: يا محمد، ﴿لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾: لما أخبرت بها بلا تعرف، ﴿تِلْكَ أَرْسُلُ﴾ (٥): المعلومة لك، أو كلهم ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾: بمنقبة لا في الرسالة، ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾: موسى في الطور، ومحمد في المعراج حين كان قاب قوسين أو أدنى، ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾: كمحمد المبعوث إلى الكافة عليهم الصلاة والسلام، ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ

(١) يقال: هزمت العظم القصبه هزما: إذا كسرته. * الوسيط - للواحد (١/٣٦١).

(٢) في (ن)، و(ع): يزوجه.

(٣) تفسير الطبري (٥/٣٧٢)، البحر المحيط (٢/٢٦٩)، الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي (٣/٢٥٨).

(٤) السرد: نسج الدروع والسلاسل، وهو في الأصل: نسج ما يحسن ويغلظ فقوله: ﴿وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ﴾

(سبأ: ١١) أي: ضيق نسيجها حتى لا يعلق بعضها من بعض، ويقال للحلق: سرد، ومعنى التقدير فيها:

أن لا تجعل المسامير دقاقا فتغلق ولا غلاظا فتقصم. * عمدة الحفاظ (٢/١٨٨).

(٥) في هامش (ن): الجزء (٣).

مَرِيَمَ ﴿: المعجزات، ﴿الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدَنَّهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾: كما مر، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: الرسل، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾: كَفَرِقَ النَّصَارَى تَحَارَبُوا^(١)، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا﴾: كَرَّرَهُ تَأْكِيدًا، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾: يُوفِقُ بَعْضًا وَيُخْذِلُ بَعْضًا، ﴿يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾: من الزكاة المفروضة، ﴿مَنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِي يَوْمَ لَا يَبِيعُ فِيهِ﴾: فتحصلون فداكم، ﴿وَلَا حُلَّةٌ﴾: محبة^(٢)، بل الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو، ﴿وَلَا شَفَعَةٌ﴾: إِلَّا لِمَنْ أَدْنَى لَهُ الرَّحْمَنُ، ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾: التاركون للزكاة وضعهم^(٣) موضعهم تغليظًا، ﴿هُمُ الظَّالِمُونَ﴾: أنفسهم، والحصر لإفادة تناهي ظلمهم، ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ﴾: مستحق للعبادة، ﴿إِلَّا هُوَ﴾: ولو قدر موجودٌ أو ممكنٌ لما تمَّ التوجيه^(٤)، ﴿أَلْحَى﴾: بنفسه فلا يموت أبدًا، وهو الذي يصح أن يعلم ويقدر، فهما واجبان له؛ لتنزهه عن القوة والإمكان لا ستلزامه الاحتياج، ﴿الْقِيَوْمُ﴾: دائم القيام بتدبير الخلق فيعول من قام به حفظه، ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ﴾: فتورٌ يتقدم النوم، ﴿وَلَا نَوْمٌ﴾: رتبهما بترتيب وجودهما، وهو^(٥) حالة تعرض بسبب استرخاء أعضاء الدماغ من رطوبات الأبخرة المتصاعدة فتمنع الحواس الظاهرة عن الإحساس رأسًا، ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: داخلا في حقيهما أو خارجا، فيبين أنهما وما فيهما له بوجه أبلغ من التصريح به، ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾: فضلا عن أن يعاوقه عنادًا، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: ما يدركونه أو ما قبلهم، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: ما لا يدركونه أو ما بعدهم، والضمير لما فيها باعتبار العقلاء، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾: معلوماته، ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾: أن يعلموا، ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾: علمه^(٦) أو كرسيه المشهور^(١) أو سلطانه، وأصله ما يُقعد عليه، ولا يفضل

(١) كما قال الله في سورة الصف: ﴿فَأَمَّت طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرْتَ طَائِفَةٌ﴾ الآية.

(٢) سقطت من (ن)، وهي في باقي النسخ.

(٣) من هنا لآخر العبارة في (ع) مؤخره.

(٤) قال الواحدي في الوسيط (١/٣٦٦): وقوله: «اللهم» رفع بالابتداء، وما بعده خبر. هـ أقول: وللكوراني

رسالة مطبوعة في «إعراب لا إله إلا الله» فصل فيها القول تفصيلاً شافياً.

(٥) يعني النوم.

(٦) تأويل الكرسيّ بالعلم مما لا دليل عليه، فليحذر من ذلك. وإثبات الكرسيّ مما قامت عليه الأدلة،

عن مقعد القاعد، ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا يُتَوَدُّهُ﴾: يثقله، ﴿حَفِظُهَا وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾: المتعالي عن الأنداد، ﴿الْعَظِيمُ﴾: المُستحقُّرُّ دونه كل شيء، ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَبَيَّنَ الرُّشْدُ﴾: الإيمان، ﴿مِنَ الْغَيِّ﴾: الكفر بالآيات الواضحة، والعاقل لا يختار الشقاوة على السعادة بعد تبيينهما^(٢)، وأصل الغي بمعنى الجهل، إلا أن الجهل في الاعتقاد، وهو في الأعمال، ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾: كل ما يصدُّ عن عبادة الله، أو الشيطان، فَعُلُوتٌ من الطُّغيان، ﴿وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ﴾: الحبل، ﴿الْوُثْقَى﴾: المحكم، ﴿لَا أَنْفِصَامَ﴾: انقطاع، ﴿لَمَّا وَالَّهِ سَمِيعٌ﴾: للأقوال، ﴿عَلِيمٌ﴾: بالنيات، ﴿اللَّهُ وَبِيُّ﴾: مُتَوَلِّ أمور، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمُ﴾: على سبيل الاستمرار، ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾: الجهالات، ﴿إِلَى النُّورِ﴾: الهدى، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ﴾: الفطري وإيمانهم بمحمد عليه الصلاة والسلام قبل بعثته، ﴿إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾: فساد الاستعداد، أو كفرهم به بعد بعثته، ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٣) أَلَمْ تَرَ: للتعجب، ﴿إِلَى الَّذِي حَاجَّ﴾: جادل، ﴿إِزْهَعَمَ فِي رَبِّهِ أَنْ﴾: لأن، ﴿ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾: حمله بطر ملكه أربعمائة سنة عليها، وهم كانوا يسمون ملكهم الرب والإله، ﴿إِذْ قَالَ إِزْهَعُمُ﴾: حين سأله دليل وجود ربه، ﴿رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ﴾: الذي حَاجَّ، ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾: بالعفو عن القتل وبالقتل، فلما بان أنه فهم وقصد التدليس على قومه، ﴿قَالَ إِزْهَعُمُ﴾: عادلاً إلى أمر يفهمه كلُّ أحد: إن صدقت في قدرتك، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ﴾ قَسْرًا ﴿فَأْتِيهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾: مع أن ذلك حركتها طبعاً فهو أهون، فلا يرد أنه كان يلزمه إزالة شبهته دفْعاً لوهم الإفحام، وقيل: قال له: إحياء الله برد الروح، فقال نمرود: هل عايته؟ فعدل إلى ذلك بها؛ لأنهم كانوا منجمين، ﴿فَبُهِتَ﴾: صار مَبْهُوتًا، وَأُخْرِسَ، ﴿الَّذِي كَفَرُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: لحجة الاحتجاج، ﴿أَوْ كَالَّذِي﴾: أي: أو رأيت مثل الذي، حَصَّهُ بالتشبيه لكثرة منكري البعث أو الكاف

= وهي على ظاهرها نبتتها ولا نلعب كلعب الزائغين الحائرين عن الجادة - والله أعلم.

(١) تفسير الطبري (٣٩٩/٥)، تفسير ابن كثير (٣٠٩/١). والكرسيُّ موضع القدمين، وهو أصغر من العرش، وهو كالمرقاة إليه - كما ورد عن السلف الكرام.

(٢) في (ن): تبيينها.

صلة، أي: ألم تر إلى الذي، ﴿مَرَّ﴾: هو عَزِيرٌ^(١) أو خَضِرٌ، ﴿عَلَى قَرْيَةٍ﴾: بيت المقدس^(٢) حين خربه بخت نصر، ﴿وَهِيَ حَاوِيَةٌ﴾: ساقطة، ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾: سقوفها أو خالية مع سلامة سقوفها، ﴿قَالَ﴾: مُسْتَعْظِمًا لرؤية كيفية إعادته، ﴿أَنَّى﴾: كيف، ﴿يُحْيِي﴾: أهل، ﴿هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: موت أهلها مع تَمَزُّقِهِمْ، ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ﴾: فلبث ميتا، ﴿مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾: بالإحياء، ﴿قَالَ﴾ الله له: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا﴾: شَاكًا، ﴿لَبِثْتُ﴾: في الموت، ﴿يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا﴾ بَلْ لَبِثْنَا مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ﴾: التين أو العنب، ﴿وَشِرَابِكِ﴾: العصير أو العنب كانا معه حِينَ مَاتَ، ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾: يتغير، وأصل التسنُّه: تَكَرُّجٌ^(٣) يعلو الحُبْزَ ونحوه بِمُضَى الزمان، ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾: وتفتت عظامه لتزداد بصيرتك، ﴿وَلِنَجْعَلِكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾: كان أسود الشعر ابن أربعين سنة، وبنو بنيه شبيبا، وعُمِّرَ البلد بعد موته بسبعين سنة، ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ﴾: من الحمار، أو من نفسه إذ أحيأ عينه أولاً، ﴿كَيْفَ نُنشِرُهَا﴾: نحيها أو نرفعها فتركبها، ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾: ما أشكل وصار علمه الغيبي عينا، ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: فأتى على حماره^(٤) وقال: أنا عزير فكذبوه، فقرأ التوراة من الحفظ فعرفوه به وقالوا: هو ابن الله، ﴿و﴾: اذكر، ﴿إِذْ قَالَ لِزَوْجِهِ﴾: حين رأي جيفة استهلكت^(٥) في الرياح فأحبب معاينة إحيائها؛ ليتقوى اليقين بالمشاهدة، أو لما مر في قصة نَمْرُودَ، ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾: فالسؤال عن الكيفية يقتضى تيقن الإحياء، ﴿قَالَ﴾: تقريراً، (أ) تسأله، ﴿وَلَمْ تُؤْمِنْ﴾: وحديث: «أَنَا أَحَقُّ بِالشك منه»^(٦): للتواضع، أي: أنا دونه ولا أشك فكيف به، ﴿قَالَ بَلَى﴾: آمنت، ﴿وَلَكِن﴾: سألت، ﴿لِيُطْمِئِنَّ قَلْبِي﴾: عيانا كما اطمأن برهانا، ﴿قَالَ﴾

(١) وهو الصحيح.

(٢) غرر التبيان - لابن جماعة (٢٢١)، معالم التنزيل (٢٣١/١).

(٣) هو العفن الأخضر الذي يكون على الخبز، وكرج الشيء إذا فسد - اللسان (١٤٠/٢).

(٤) يعني راكباً عليه.

(٥) الوسيط (٣٧٤/١).

(٦) يشير المصنف - رحمه الله - إلى حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «نحن أحق بالشك من

إبراهيم، إذ قال: رب أرني كيف تحيي الموتى قال: أو لم تؤمن... الحديث» رواه البخاري (٣٣٧٢)

و(٤٥٣٧) وأحمد (٣٢٦/٢)، ومسلم (١٥١) (٢٣٨).

فَحَدَّ أَزْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ ﴿١﴾: هي طاووس ونسر، أو غراب وديك وحمامة، خَصَّ الطير؛ لأنه أقرب إلى الإنسان، وأجمع لخواص الحيوان، ﴿فَصْرَهُنَّ﴾: أملهنَّ، ﴿إِلَيْكَ﴾: لثلا يلتبس عليك بعد الإحياء، أو بمعنى قطعهن إليك^(١) متعلقُ خُذْ، ﴿ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ﴾: من الجبال المعاينة لك، ﴿جُزْءًا﴾: بعدما قطعتهنَّ وخلطت لحمهن ودمهن وريشهن، ﴿ثُمَّ أَدْعُهُنَّ﴾: قل: تعالين، ﴿يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا﴾: سريعا، ﴿وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: لا يعجزه شيء، ﴿حَكِيمٌ﴾: في تدبيره ففعل ذلك، وأمسك رءوسهنَّ في يده، فدعاهن فالتأمت أجزاء كل واحد إلا الرءوس، ثم دعا فالتأمت بالرءوس.

واعلم أن طلب إبراهيم إراءة الإحياء كذلك، وإحياء عيسى الموتى كثيرا الثبَّت به رسالته وخلقه الطير وإحياءه يدلُّ على أنه - تعالى - منع بعض الرسل وإن كان فاضلا من الآيات ما أعطاه بعضا وإن كان مفضولا.

﴿مَثَلُ﴾: نفقة، ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾: من ساق واحد، ﴿فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ﴾: أكثر من ذلك، ﴿لِمَن يَشَاءُ﴾: على حسب إخلاصه وتعبه، ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾: بفضله، ﴿عَلِيمٌ﴾: بأعمالكم ونياتكم، ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: هو كل ما يتوصل به إلى الله، كعثمان رضي الله عنه، جهز جيش العسرة^(٢) بألف بغير^(٣) بأقتابها^(٤) وأحلاسها^(٥)، ﴿ثُمَّ لَا يُمْتِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا﴾: هو أن يعتد بإحسانه على من أحسن إليه، وهو من الكبائر، وأما اسمه تعالى المنان فبمعنى المعطي وإسناده إلى نفسه في قوله: «بل الله يُمْنٌ عليكم» في توفيق الإيمان، والمذموم:

(١) معاني القرآن - للزجاج (١/٣٤٣، ٣٤٤)، فتح الباري (٨/١٦١)، الدر المنثور (١/٣٣٦)، الوسيط (١/٣٧٥).

(٢) في غزوة تبوك.

(٣) الصحيح: ثلاثمائة بغير = رواه الحاكم في المستدرک (٣/١٠٢) وصححه ووافقه الذهبي وتصديق في هذه الغزوة أيضًا بألف دينار وعندما نثرها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم أخذ يقبلها ويقول مرارا: «ما ضرب ابن عفان ما عمل بعد اليوم» رواه الترمذي (٣/٢٠٩ / ٢٩٢٠، ٣٩٦٧ / صحيح سنن الترمذي)، والحاكم (١٠٢/٣) وصححه ووافقه الذهبي.

(٤) الأفتاب - جمع قتب وهو الرحل.

(٥) والأحلاس - جمع حلس، وهو كل ما يوضع على ظهر الدابة أو البعير تحت الرحل أو السرج.

الْمَنْ فِي الْمَالِ، عَلَى أَنْ كَثِيرًا مِنْ صِفَاتِهِ تَعَالَى مَدْحٌ فِيهِ، وَذِمٌّ فِينَا كَالْمُتَكَبِّرِ، ﴿وَلَا أَدَى﴾: هُوَ التَّطَاوُلُ عَلَيْهِ بِسَبَبِ مَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ، ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: بِلَا مَنَّةٍ، ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: كَمَا مَرَّ، ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾: رَدٌّ حَسَنٌ، ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾: تَجَاوُزُ عَنِ الْإِحْاحِ السَّائِلِ، ﴿خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَدَى﴾ وَاللَّهُ عَنِّي: عَنِ إِتْفَاقِكُمْ، ﴿حَلِيمٌ﴾: لَا يَعْجَلُ عَقُوبَتِكُمْ، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطَلُونَ﴾: ثَوَابٌ، ﴿صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنْ وَالْأَذَى﴾: ﴿كَ﴾: إِبْطَالُ الْمُنَافِقِ، ﴿الَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ﴾: مُرَاتِيًا لَهُمْ لَطَلْبِ الْمَدْحَةِ وَالشَّهْرَةِ، ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ﴾: أَي: الْمُرَاتِي، ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانَ﴾: حَجَرٌ أَمْلَسُ، ﴿عَلَيْهِ تَرَابٌ﴾: يَرَى أَرْضًا طَيِّبَةً لِلزَّرْعِ فِيهَا بِإِزَاءِ عَمَلِهِ، ﴿فَأَصَابَهُ وَابِلٌ﴾: مَطَرٌ عَظِيمٌ الْقَطْرُ، هَذَا بِإِزَاءِ الْغِنَى، ﴿فَتَرَكَهُ صَدَدًا﴾: أَمْلَسُ بِلَا تَرَابٍ، ﴿لَا يَقْدِرُونَ﴾: جَمْعٌ بِمَعْنَى الَّذِي، ﴿عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا﴾: لَا يَنْتَفِعُونَ بِهِ، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾: إِيمَاءٌ إِلَى أَنَّ الرِّيَاءَ صِفَتُهُمْ فَاحْذَرُوا، ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءً﴾: طَلْبُ، ﴿مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيْتًا﴾: تَصَدِيقًا، ﴿مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾: بِأَنَّ اللَّهَ سَيَجْزِيهِمْ عَلَيْهِ، أَفْهَمُ أَنَّ حِكْمَةَ الْإِنْفَاقِ لِلْمُنْفِقِ تَرْكِيَّةٌ نَفْسَهُ عَنِ الْبَخْلِ وَحُبِّ الْمَالِ، ﴿كَمَثَلِ جَنَّتِمَ﴾: بَسْتَانٌ، ﴿بِرَبْوَةٍ﴾: بِمَوْضِعٍ مَرْتَفِعٍ، ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾: مَطَرٌ شَدِيدٌ، ﴿فَقَاتَتْ﴾: أَعْطَتْ، ﴿أَكْلَهَا﴾: ثَمَرَتَهَا، ﴿ضِعْفَيْنِ﴾: مَثَلِينَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْبَسَاتِينِ، أَوْ الْمَرَادِ الْكَثْرَةَ، كَلْبِيك^(١)، ﴿فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾: فَيُصِيبُهَا مَطَرٌ صَغِيرٌ الْقَطْرُ، فَبَسْتَانُهُمْ يَنْتَفِعُ، قَلَّ مَاؤُهُ أَوْ كَثُرَ، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: فَلَا تَرَاءُوا، ﴿أَيُّدُ أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾: خَصَّصَهُمَا قَبْلَ التَّعْمِيمِ لِشَرْفِهِمَا، ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَكَ﴾: قَدِ، ﴿أَصَابَهُ الْكِبْرُ﴾: الشَّيْخُوخَةُ وَالْفَقْرُ فِيهَا أَصْعَبُ^(٢)، ﴿وَلَهُ دُرِّيَةٌ ضُعْفَاءٌ﴾: صَغَارٌ وَنِسْوَانٌ، ﴿فَأَصَابَهَا﴾: الْجَنَّةُ، ﴿وَإِعْصَارٌ﴾: رِيحٌ عَاصِفٌ يَنْعَكِسُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ كَالْعَمُودِ، ﴿فِيهِ نَارٌ فَالْحَرَّتْ﴾: الْجَنَّةُ فَهَذَا مِثْلُ مَنْ يَعْمَلُ حَسَنَةً

(١) لبيك: تلبية بعد تلبية.

(٢) نعوذ بالله من الفقر على كل حال، لكن الفقر مع الشيخوخة أصعب ولذا كان النبي ﷺ يدعو «اللهم

اجعل أوسع رزقك علي عند كبر سني وانقطاع عمري» رواه الحاكم في مستدرکه (٥٤٢/١) وحسنه

الألباني في صحيح الجامع (١٢٥٥/١) والصحيحة (١٥٣٩).

رياء، إذ بعد الموت يحتاج إليها ولا يجد ثمرتها، ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (٣٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا: ﴿تَصَدَّقُوا﴾، ﴿مِنْ طَيِّبَاتِ﴾: حيار، ﴿مَا كَسَبْتُمْ وَ﴾: من طيبات، ﴿مَا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾: من النبات والمعادن^(١)، ويمكن أن يفهم من قوله: ﴿لَكُمْ﴾، عدم وجوب الزكاة فيما للحيوانات والمعادن، ﴿وَلَا تَيْمَمُوا﴾: تقصدوا، ﴿الْحَيْثَ﴾: الرديء، ﴿مِنْهُ﴾: من الخبيث، كحشف التمر، ﴿تُنْفِقُونَ وَاسْتَمْتُمْ بِأَخْذِهِ إِلَّا أَنْ تُعْضُوا﴾: تتسامحوا، ﴿فِيهِ﴾: بنقص الثمر، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَنِّي﴾: عن إنفاقكم فأمركم به لنفعكم، ﴿حَكِيمٌ﴾: بما يأتيه، ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾: بالإنفاق، والوعْدُ قد يكون للشرِّ إذا ذكر، وإلا فللخير، وأما الإيعاد فللشر، ﴿وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾: البخل، ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُمُ﴾: بالإنفاق، ﴿مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾: فضله، ﴿عَلِيمٌ﴾: بأعمالكم، ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ﴾: العلم، والعمل به، ﴿مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾: إذ فيها خير الدارين، وبها تميز وساوس الشيطان عن إلهامات الرحمن، ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾: يتعظ، ﴿إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾: العقول السليمة، ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ﴾: من أي أنواعها، ﴿أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ﴾: كذلك، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾: فيجازيكم، ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾: في ترك الإنفاق والوفاء بالنذر، ﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾: يمنعونهم من العقاب، ﴿إِنْ تَبَدُّوا﴾: تظهروا، ﴿الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾: فنعم شيئاً إبدأؤها ﴿وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُوتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهِيَ﴾: فإخفاؤها ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾: هذا في التطوع، لمن لم يعرف بالمال، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: «السر في التطوع أفضل بسبعين ضعفاً والعلانية في الفريضة أفضل بخمس وعشرين»^(٢)، ﴿وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ مِنْ﴾: بعض، ﴿سَيِّئَاتِكُمْ﴾: أو شيئاً هو سيئاتكم أو من صلة، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٣٧) ﴿لَيْسَ﴾: لا يجب ﴿عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾: جعلهم مهديين^(٣)، ما عليك إلا الرشاد^(١)، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا

(١) سقطت كلمة «المعادن» من النسخة (ن)، و(ع).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٨٣/٥) وسنده ضعيف. * وانظر: الوسيط (٣٨٥/١)، تفسير ابن كثير

(٣٢٣/١)، فتح القدير (٢٩٢/١)، غرائب القرآن (٦٧/٣).

(٣) وهي هداية التوفيق.

مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُفْسِدُوا كَيْدَكُمْ ﴿١﴾: ثوابه، ﴿و﴾ الحال أنه، ﴿مَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ﴾: طلب رضا ﴿وَجْهَ اللَّهِ﴾: ذاته، أي: ما تنفقون حينئذ فهو لكم، ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾: ولو على كافر، ﴿يُؤَفِّ إِلَيْكُمْ﴾: ثوابه، ﴿وَأَنْتُمْ لَا تظْلُمُونَ﴾: بنقص ثوابه، وبعد نزوله كانوا يتصدقون على الكافر أيضًا^(٢)، ولكن هذا في غير صدقة الفَرَضِ والصدقات أولى، ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا﴾: حَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ، ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: الجهاد أو الطاعة أو العلم، ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا﴾: ذهابًا^(٣)، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: للكسب لاشتغالهم بها، ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ﴾: بحالهم، ﴿أَغْنِيَاءَ مِنْ﴾: أجل، ﴿التَّعَفُّفِ﴾: عن السؤال، ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَتِهِمْ﴾: من الضَّعْفِ^(٤) وأثر الجهد، والخطاب للرسول أو لكل أحد، ﴿لَا يَسْتَأْذِنُ النَّاسَ﴾: عند ضرورتهم، ﴿إِلْحَاكًا﴾: إلحاحًا، والظاهر نفي السؤال والإلحاف نحو: ﴿لَا ذُلٌّ لُتَيْزُ الْأَرْضِ﴾ فلا ينافي مفهومه تعرفهم بسيماهم والإلحاف أن يلازم المسئول حتى يعطيه، لكن في الحديث: «من سأل وله أربعون درهما فقد ألحف»^(٥)، ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٣٧﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾: كالصديق، تصدق بأربعين دينارًا عشرة عشرة كذلك أو علي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - تصدق بأربعة دراهم واحدا كذلك ولم يملك غيره، وفي كيفيتها تأمل، وسوق الآية يدلُّ على أن عشرين بالليل بالصفتين، وعشرين بالنهار بالصفتين فيهما والله تعالى أعلم، والمعنى يَعْمُونَ أحوالهم بالخير، ﴿فَلَهُمْ

(١) وهي هداية الدلالة.

(٢) عن عبد الله بن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: كانوا يكرهون أن يرضخوا - يعطوا - لأنسابهم من المشركين، فسألوا، فرضخ لهم، فنزلت هذه الآية ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾... الآية» رواه النسائي (٣٠٥/٦)، ٣٠٦/٣٠٦، والطبراني في الكبير (١٢/٤٣/١٢٤٥٣)، والضياء في المختارة (٧٦/١٠)، ٧٧/٦٨، وابن المنذر في تفسيره (١/٣٩/١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/٥٣٧/٢٨٥٢)، والبخاري في مسنده (٣/٤٢/٢١٩٣/كشاف الأستار) وابن جرير في تفسيره (٣/٦٣)، والحاكم في مستدرکه (٢/٢٨٥)، و (٤/١٥٦، ١٥٧)، والبيهقي في سننه الكبرى (٤/١٩١) وسنده صحيح.

(٣) وهو الجهاد.

(٤) في (ع): الضيق.

(٥) رواه البيهقي في سننه الكبرى (٧/٢٤)، والطبراني في الكبير (٣/١٥٩)، وأبو نعيم في الحلية (١/١٦١) وسنده صحيح.

أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١﴾: في القيامة، ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ﴾: يأخذون، ﴿الرِّبَا﴾: هو الزيادة في المعاملة بالنقود والمطعومات قدرا أو أجلا، وعبر عن أنواع الانتفاع بالأكل لأنه معظمها ﴿لَا يَقُومُونَ﴾: من قبورهم، ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ﴾: كقيام، ﴿الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ﴾: يضربه ويصرعه، ﴿الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾: الجنون، فلا يستطيعون القيام كالمصروع لثقل ما في بطونهم من الربا، والخبط ضرب على غير اتساق، ﴿ذَلِكَ﴾: العقاب، ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾: في الحل، أصله: إنما الربا مثل البيع فعكس مبالغة، ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾: فقياسهم باطل ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى﴾: فاتعظ، ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾: من الربا في الجاهلية لا يسترد منه، ﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾: يحكم بينهم، ﴿وَمَنْ عَادَ﴾: إلى تحليله، ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: لكفرهم به، أو من عاد إلى أكله، والخلود بمعنى طول المكث، ﴿يَمْحَقُ﴾: يذهب، ﴿اللَّهُ﴾: بركة، ﴿الرِّبَا وَيُرِي﴾: ينمى، ﴿الصَّدَقَاتُ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾: مُصِرٌّ على تحليل الحرام، ﴿أَثِيمٍ﴾: بارتكابه، ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا﴾: اتركوا، ﴿مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾: عند أصحابه، ولا تأخذوه، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾: ولم تذروه، ﴿فَأَذِنُوا﴾: فاعلموا أو فاعلموا الناس، ﴿يَحْرِبُ﴾: عظيم، ﴿مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: فيجب على الإمام مقاتلتهم بعد الاستتابة إلى أن يرجعوا ﴿وَإِنْ تُبْتُمْ﴾: عن تحليله وأخذه، ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ﴾: بأخذ الزيادة، ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾: بالمطل والنقصان، مفهومه إن لم يتوبوا من تحليله فليس لهم لارتدادهم بل هي فيء، ﴿وَإِنْ كَانَتْ﴾ وقع غريم، ﴿ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ﴾: فعليكم إنظاره، ﴿إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾: يسارة فلا تطالبوه بالقضاء أو الربا، ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا﴾: بإبراء كُله أو بعضه^(١)، ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾: من أخذه، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: فضل الصدقة والتصدق، ولو تطوعا أفضل من إنظاره، وإن كان فرضا، لأنه تطوع مُحَصِّلٌ للمقصود من الفرض^(٢) مع زيادة، ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾: القيامة،

(١) وهو ما يسمى بـ«وضع الديون».

(٢) في (ن): الغرض.

﴿ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ﴾: جزاء، ﴿مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: بنقص ثواب.
 هذه آخر آية نزلت، وعاش عليه الصلاة والسلام بعدها إحدى وعشرين يوماً^(١).
 ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ﴾: تعاملتم ﴿بِدِينٍ﴾ كالسَّلَم، وفائدة ذكره إخراج
 معنى المجازاة، وتمييز بينهما الدين بفتح الدال، وكسرها، ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: معين
 بنحو الأيام لا بمثل الحصاد فإنه ليس فيه تسمية، ﴿فَأَكْتُمُوهُ﴾: أمر إرشاد،
 ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ﴾: موصوف، ﴿بِالْعَدْلِ﴾: لا يزيد ولا ينقص فلا بد من كونه
 فقيها ديناً، ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ﴾: من، ﴿أَنْ يَكْتُبَ كَذِبًا﴾: مثل، ﴿مَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾: من كتب
 الوثائق، ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾: ذلك كذلك، ﴿وَلْيُمْلِلِ﴾: وليكن المملي، ﴿الَّذِي﴾: وجب،
 ﴿عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾: ليكون إقراراً عند الكاتب، ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَخْشَ﴾: لا ينقص مما
 في ذمته، ﴿مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا﴾: مَحْجُورًا عليه بنحو تذيير، ﴿أَوْ
 ضَعِيفًا﴾: مختل العقل بنحو صبي، ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ﴾: لنحو خرس أو جهل
 باللغة، ﴿فَلْيُمْلِلْ وَيُئْتِهِ﴾: كوكيل أو قيم أو مترجم.

﴿بِالْعَدْلِ﴾ بالصدق، دل على جريان النيابة في الإقرار إذا تعاطاه قيم أو وكيل.
 ﴿وَاسْتَشْهِدُوا﴾: اطلبوا الشهادة على الدين، ﴿شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾: المسلمین
 الأحرار، وعن أبي حنيفة جواز شهادة الكفار بعضهم على بعض، ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ
 فَرَجُلٌ﴾: فالمستشهد رجل، ﴿وَأَمْرًا تَكَانٍ﴾: في الماليات للسنة، وعن أبي حنيفة
 جوازها فيما عدا الحدود والقصاص، ﴿وَمَنْ رَضِيَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾: لعلمكم بعد التهم
 لأجل، ﴿أَنْ تَضِلَّ﴾: تنسى، ﴿إِحْدَاهُمَا﴾: الشهادة، ﴿فَتَذَكَّرَ أَحَدُهُمَا الْأُخْرَى﴾:
 والعلة التذكير، والضلال سببه فنزله منزلته، ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾: إلى أدائها أو
 تحملها، ﴿وَلَا تَسْمَعُوا﴾: لا تملأوا لكثرة المداينة من، ﴿أَنْ تَكْتُمُوهُ﴾: الحق، ﴿صَغِيرًا﴾:

(١) كذا، والمروي عن ابن عباس - رضي الله عنه - أنه ﷺ مكث بعدها سبع ليال.

وقال ابن جريج: وعاش رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية تسع ليال وقال سعيد بن جبیر ومقاتل:
 سبع ليال. * النكت والعيون (١/٣٥٤)، تفسير الطبري (٦/٤١)، تفسير ابن كثير (١/١٣٣)،
 الوسيط (١/٤٠٠).

قليلاً كان، ﴿أَوْ كَبِيرًا﴾: كثيرا، ﴿إِلَىٰ أَجَلِهِ﴾: وقت حُلُولِهِ^(١) الذي أقر به المديون، ﴿ذَلِكُمْ﴾: الكتاب، ﴿أَفْسَطُ﴾: أعدل، القسطُ بالفتح: الجور، وبالكسر: العدل، ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ﴾: أثبت، ﴿لِلشَّهَدَةِ﴾: أي: لإقامتها، ﴿وَأَدْفَقُ﴾: أقرب إلى، ﴿إِلَّا أَنْ تَرْتَابُوا﴾: تشكوا في جنس الدين وصفاته، فعند الشك ترجعوا إلى كتابتكم، ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونُ﴾: المعاملة، ﴿تِجْرَةً﴾: مبايعة، ﴿حَاضِرَةً﴾: حالة، ﴿تُذِيرُونَهَا﴾: تعاطونها، ﴿بَيْنَكُمْ﴾: يدا بيد، ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾: في، ﴿إِلَّا أَنْ تَكْتُمُوهَا﴾: لبعدها عن التنازع والنسيان، ﴿وَأَشْهَدُوا﴾: ندبا^(٢)، ﴿إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾: ولو مُعَجَّلًا، ﴿وَلَا يُضَارَّ﴾: بالبناء للفاعل، ﴿كَاتِبٌ﴾: بنحو ترك الإجابة والتحريف، ﴿وَلَا شَهِيدٌ﴾: بنحوهما وبالبناء للمفعول كَمَنْعِ جُعِلَ^(٣) فيهما^(٤)، وأكثر الأوامر التي في هذا للاستحباب عند الأكثر، ﴿وَإِنْ تَفْعَلُوا﴾: المـضارة، ﴿فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ﴾: في مخالفتـه، ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾: أحكامه، ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٥) ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنُمْ مَقْبُوضَةً﴾: استوثقوا بها بدل الكتابة، وبينت السنة جوازه في الحضر، ومع وجود الكاتب، وأفاد بمقبوضه اشتراط القبض فيه، خلافًا لمالك، ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾: فلم يأخذ الرهن، ﴿فَلْيُمِدَّ الَّذِي أُوْتِيَ مِنْ أَمْنَتِهِ﴾: سُمِّي الدين أمانة؛ لاثمـانه عليه بترك الارتهان مثل العين باليد، ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾: في الخيانة، ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾: أُسِنِدَ إِلَيْهِ؛ لأن الكتمان معصية القلب، وإسنادُ الفعل إلى جارحة عمله^(٥) أبلغ، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾^(٦) ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: مُلْكًا وَخَلْقًا، ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾: بالقول أو العمل، ومنه أداء الشهادة، ﴿أَوْ تَخْفَوْهُ﴾: ككتمان الشهادة، ﴿يُحَاسِبْكُمْ﴾: يؤاخذكم، ﴿بِهِ اللَّهُ فَيَعْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾: تصريح بنفي وجوب التعذيب، ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

(١) في (ن): حلول.

(٢) تفسير الطبري (٦/٨٣)، الوسيط - للواحي (١/٤٠٦).

(٣) الجُعَلُ: الأجر وكل ما يُعطى.

(٤) يعني في الكتابة والشهادة.

(٥) في (ن): تعلمه.

قَدِيرٌ ﴿١﴾: ومنه الإخفاء والمحاسبة، وبنزولها غَمَّتِ الصَّحَابَةُ وَقَالُوا: قلوبنا ليست بأيدينا، فأمرهم النبي - ﷺ - أن قولوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، فقالوها، فنزلت (١) ﴿ءَأَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾: مدحه بالإيمان وأفرده بيانا لمزيد شرف الإيمان، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ﴾: من الرسول والمؤمنين، ﴿ءَأَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّتِهِ﴾: ﴿و﴾: جنس، ﴿كُتِبَهِ وَرُسُلِهِ﴾: قائلين: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾: في الإيمان بهم، ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا﴾: قول الله، ﴿وَأَطَعْنَا﴾: أمره نسأل، ﴿عُفْرَانِكَ﴾: يا، ﴿رَبَّنَا﴾: في التقصيرات، ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾: أي: أقررنا بالبعث فلما فعلوه نزل: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾: مَا تَسَعُهُ قَدْرَتَهَا لَا نَحْوَ حَدِيثِ النَّفْسِ، دل على عدم وقوع التكليف بالمحال لا على امتناعه، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾: من خير، أي: أصابت، ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾: من شرٍّ، أي: تصرفت في تحصيله فإنَّ النفس لفرط ميلها إلى الشر أجد في تحصيله، كذا قيل، ولا يناسبه: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً﴾ ونحوه، ﴿وَمَنْ يَتَرَفَّ﴾ أي: يكتسب ﴿حَسَنَةً﴾، وقيل: يستفاد أن من اللام وعلى ولا يناسبه ﴿وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾، و﴿عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ﴾ إلا أن يقال: هما يقتضيان ذلك عند الإطلاق بلا ذكر الحسنة والسيئة، ثم بهذه الآية نسخت المحاسبة كما رواه الأكثرون، وأما على رواية عائشة - رضي الله تعالى عنها - أنه عليه الصلاة والسلام فسر المحاسبة هنا بمعاتبته الله العبد بابتلائه بليات الدنيا كالحُمَى وغيرها كفارة، فتَوَوَّلُ المحاسبة بأنها مؤاخذه في الدنيا أو نحو ذلك وأعلم أن المعاتبته الدنيوية بخَطرات النفس لا تنافي قولنا: لا مؤاخذه عليها إلا أن تصير عزيمة؛ لأن المراد هنا المعاتبته الأخروية، يا، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾: أتينا بخطأ، يقال: خَطَأَ خَطَأً: تَعَمَّدَ الإِثْمَ، وأخطأ لم يتعمد، وصَحَّحَ أَنَا لَا نُوَاخِذُ بِهِمَا وَأَنَّهُ قَدْ أُجِيبَ (٢)، فيكون دعاؤنا الآن لثلاث يخرجنا من أمة حبيبه عليه الصلاة والسلام، ثم الخطأ إما فعل ما لا يحسن إرادته وفعله، أو وقوع ما لا يجوز فعله مع

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/١١٥، ١١٦/١٢٥).

(٢) رواه مسلم (١/٦٥)، والترمذي (٤/٢٨٩، ٢٩٠/٣٠٧٦) والطبري (٦/١٤٤)، وأبو نعيم في الحلية (٧/١٠٤).

إرادة خلافه أو عكسه، والمراد هنا الثاني، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا﴾: ثقلا من التكاليف الشاقة وإن أطقناه، ﴿كُ﴾: مثل، ﴿مَا حَمَلْتُهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾: كبنِي إسرائيل، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾: من البلاء أو التكاليف، ﴿وَأَعْفُ عَنَّا﴾: بإزالة الذنب، ﴿وَأَغْفِرْ لَنَا﴾: بستره وإظهار الإحسان، ﴿وَأَرْحَمْنَا﴾: بإفاضة الإحسان، فالثاني أبلغ من الأول، والثالث من الثاني، ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾: سَيِّدُنَا ﴿فَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾: في مُسْلِمٍ^(١) وغيره يقول الله تبارك وتعالى في آخر كل دعوة من هذه الدعوات: فعلت، ونعم، والحمد لله مولِي النعم.



«سورة آل عمران»^(١) مائتا آية^(٢) مدنية

لما مدح الرسول والمؤمنين بإيمانهم بما أنزل إليه، ومدحهم بدعواتهم المتفرغة عليه: كرر النص على حقية المنزل إليه لمزيد تثبيتهم ونفي الارتياب وليناسب فاتحة السور السابقة في نفي الريب عن الكتاب فقال: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾: فُسِّرَ مرة، وفتح الميم وصلًا؛ لأن الهمزة سقطت درجًا، فحركت الميم بالفتح للتفخيم، وقيل: فتحت لتدل على أن همزتها كالنائب لسقوطها تخفيفًا، كواحد، اثنان، ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾: فَيَعُولُ^(٣) من قام، وَهَمَّا^(٤) من الاسم الأعظم^(٥)، ﴿نَزَّلَ﴾: أي مُنَجَّمًا، ﴿عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾: القرآن، أو صيغة مبالغة لتأييد حكمه بخلاف غيره ملتبسًا، ﴿بِالْحَقِّ﴾: بالصدق، ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: من الكتاب أنه من عند الله، أو أنها من عنده، ﴿وَأَنْزَلَ﴾:

(١) في هامش نسخة (د): سورة آل عمران - مدنية - مائتا آية بالاتفاق، ثم نزلت الأحزاب كلماتها (٣٤٨٠) حروفها (١٤٥٢٥).

(٢) من (س).

(٣) يعني كلمة «قيوم» على هذا الوزن.

(٤) أي: الحي القيوم.

(٥) أصح ما ورد في اسم الله الأعظم:

* «اللهم إني أسألك بأنني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد». رواه أبو داود (٩٨٥) والترمذي (٣٤٧٥) وسنده صحيح.

* «اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان، بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم». رواه أبو داود (١٤٩٥)، والترمذي (٣٥٤٤)، وابن حبان (٢٣٨٢) وسنده حسن.

* «اسم الله الأعظم الذي إذ ادعى به أجاب، في ثلاث سور من القرآن: في البقرة وآل عمران وطه». رواه ابن ماجه (٢٨٥٦/٢)، والطبراني في الكبير (٧٩٢٥/٨)، والحاكم (٥٠٥/١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٧٩/١)، والصحيحة (٧٤٦).

* «اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿وَاللَّهُمَّ إِنَّكَ اللَّهُ وَجِدُّ لَأ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ وفاتحة آل عمران ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾. رواه أحمد (٤٦١/٦)، وأبو داود (١٤٩٦/٢)، والترمذي (٣٤٧٨/٥)، وابن ماجه (٢٨٥٥/٢). وحسنه العلامة الرباني محمد ناصر الدين الألباني في صحيح الجامع (٩٨٠/١)، والمشكاة (٢٢٩١)، وصحيح أبي داود (١٣٤٣).

أي: دفعة، ﴿التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ﴾ قبل تنزيله، ﴿هُدًى﴾: هاديين، ﴿لِلنَّاسِ﴾: عامًا، فنكون متعبدين بشرع من قبلنا^(١) أو ممن تبعهما، ﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾: الكتب السماوية الفارقة بين الحق والباطل أو المعجزات، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ غالب ﴿ذُو أَنْقَامٍ﴾: ممن عاداه، والنقمة عقوبة المجرم، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾: ذكرهما لأن الحس لا يتجاوزهما، وقدم الأرض ترفيًّا من الأدنى، وهذا كالدليل على حياته، ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾: من الهيئات ولو بلا أب كعيسى، والمُصَوِّر لا يكون أبًا للمصور، هذا كالدليل على قيوميته، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ﴾: في ملكه، ﴿الْحَكِيمُ﴾: في صنعه، ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾: القرآن، ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾: واضحات الدلالة، ﴿هُنَّ﴾: كل واحدة منهن، ﴿أُمُّ الْكِتَابِ﴾: أصله الذي يرد إليه غيره، ﴿و﴾: آيات، ﴿أَخْرَجْتُمُشْتَبِهَاتٌ﴾: محتملات لا يتضح مقصود إلا بالفحص والنظر، وحكمة البعث على النظر لئلا يهمل العقل، ولينال به الثواب، وأيضًا الجمع بين قسمي كلام العرب، أعني ما يفهم معناه سريعًا ولا يحتمل غير ظاهره، وضد ذلك كالكتابة والإشارة ليتحدى بنوعي الكلام.

* تنبيه: اعلم أن الكلام في أقسام ما يطلقون عليه المحكم والمتشابه مشكل، فلا بد من إيراد جملة تكشف ذلك، وهي: أن المتشابه إما لذاته أو لعارضه، والأول إما في اللفظ المفرد لغرابته نحو: «وَأَبًا»^(٢) أو لمشاركته كيد الله، أو في المركب لاختصاره، ك﴿وَسَكَلَ الْقَرِيَةَ﴾، أو إطنابه، نحو: كمثلُه أو إغلاقه كآية: ﴿فَإِنْ عُرِّثَ﴾ وأما في المعنى لدقته كأوصافه تعالى، وكالقيامة أو لترك الترتيب ظاهرًا كآية، ﴿وَلَوْ لَا رِجَالٌ﴾، وأما في اللفظ والمعنى، وأقسامه مركبة كما مر، وأما للعارض فمن جهة الكمية كالعموم والخصوص أو الكيفية كالوجوب والندب أو الزمان كالناسخ، أو المكان كمحل النزول، أو الإضافة، وهي شروط تصح ويفسد العقد بها، وأما عند الأصوليين: فاللفظ الدال على معنى إن لم يحتمل غيره فنص، وإن احتمل مع

(١) إِذَا وَافَقَ شَرْعَنَا.

(٢) يعني في قوله: ﴿وَفَكَهَةً وَأَبًا﴾ (عبس / ٣١).

التساوي فمجمل، أو مع رجحان، فالراجح ظاهر، والمرجوح مؤول والمشارك بين النص والظاهر، وهو واضح الدلالة محكم، والمشارك بين المجمل، والمؤول وهو غير متضح الدلالة متشابه، فالمحكم والمتشابه يشملان أقسام اللفظ ثم لا ينافي ذلك ﴿كُنْبًا مُتَشَبِهًا﴾، و﴿كُنْبٌ أُحْكِمَتْ﴾ إذ معناه يشبه بعضه بعضًا حكمًا وبلاغة، وكتاب حفظت آياته من الفساد لفظًا ومعنى، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾: عدول عن الحق كالمبتدعة، ﴿فَيَتَّبِعُونَ﴾: يتعلقون بظاهر، ﴿مَا تَشَبَهَ مِنْهُ﴾: لينزلوه على مقاصدهم الفاسدة، ويتركون المحكم، ﴿ابْتِغَاءً﴾: طلب، ﴿الْفِتْنَةَ﴾: كإضلال الناس، ﴿وَابْتِغَاءً تَأْوِيلَهُ﴾: على ما يشتهونه، قرأ عليه الصلاة والسلام هذه الآية، وقال لعائشة - رضي الله تعالى عنها -: «إذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم»^(١)، وفي الحديث: «ما أخاف على أمتي إلا ثلاث خلال - وذكر منها -: أن يفتح لهم الكتاب فيأخذه المؤمن يتنغي تأويله»^(٢)، وليس يعلم، أي: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾: حقيقته، ﴿إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ﴾: المتثبتون، ﴿فِي الْعِلْمِ﴾: قال ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما -: «أنا منهم»^(٣) وأكثر السلف يقفون على: ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾، ويفسرون المتشابه بما لا يطلع عليه إلا الله، ﴿يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ﴾: بالمتشابه، وإن لم نعلم معناه، ﴿كُلُّ﴾: منهما، ﴿مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ﴾: يتعظ بالقرآن، ﴿إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾: ذوي العقول السليمة من الراسخين، ويقولون، ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ﴾: لا تمل عن الحق، ﴿قُلُوبَنَا﴾: إلى تأويل لا ترتضيه، ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾: إلى الحق، ﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾: ثبتنا، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ أَرْوَاهُ﴾: لكل سؤال، ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ﴾: في يوم، ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: في وقوعه، ﴿إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ﴾: أفاد بتلوين تغيير الخطاب أشعر بأن الإلهية تنافيه، واستدل به الوعديه^(٤)، وردوا بأن وعيد الفساق مشروط بعدم العفو كما هو مشروط

(١) رواه البخاري (٤٢/٦)، والبغوي في شرح السنة (٢٢١/١)، وفي تفسيره (٣٣١/١).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٣٣٢/٣) بلفظ: «لا أخاف على أمتي إلا ثلاثا».

(٣) النكت والعيون (٣٧٢/١).

(٤) الوعديّة: هي الفرق التي تؤمن بالوعيد في حق العصاة ولكنها تجحد الوعد بالمغفرة والرحمة للمؤمنين كالخوارج والمعتزلة.

بعدم التوبة وفاقاً، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ﴾: تجزي وتكفي، ﴿عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾: عذابه، ﴿شَيْئًا﴾: من العذاب، من أغنى عنه إذا ناب، أو من الغنى، من: أغن عني وجهك أي: بعده، ﴿وَأُولَئِكَ هُمْ وَفُودٌ﴾: حطب، ﴿النَّارِ﴾: دأبهم، ﴿كَدَابٍ﴾: كشان، ﴿إِلَّا فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: هو أنهم، ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝۱۱﴾ قل: يا محمد، ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: من اليهود، ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾: في الدنيا، ﴿وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيُسَاقِدُونَ فِيهَا﴾: هي، ﴿قَدَّكَانَ لَكُمْ﴾: أيها الكفار، ﴿آيَةٌ﴾: دليل على غلبة المؤمنين، ﴿فِي فِتْنَتَيْنِ الْفِتْنَةَ﴾: يوم بدر، ﴿فِتْنَةٌ تَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ﴾: فيه، ﴿كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ﴾: أي: الكافرون المسلمين، ﴿مِثْلِيهِمْ﴾: مثلي الكافرين، وهم^(١) زهاء^(٢) ألف ليرغبوا^(٣) أو المسلمون^(٤) أنفسهم وهم ثلاثمائة وبضعة عشر مثلي الكافرين أو مثلي أنفسهم ليرغبوا إذا كانوا أكثر من ثلاثة أمثالهم، وهذا في آخر قتالهم، أما حين قتالهم فكل منهما قتل الآخر؛ ليقدموا، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾^(٥) إلى آخره، ﴿رَأَىٰ أَلْعَيْنَ﴾: رؤية ظاهرة معانية، ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: التقليل والتكثير، ﴿لَعِبْرَةً﴾: عظة، ﴿لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾: البصائر، ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ﴾: ابتلاء، ﴿حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾: المشتهيات، والشهوة: نزوع النفس إلى ما تريده، وهي إما كاذبة، ومنها: ﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ أو صادقة، ومنها: ﴿مَا نَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ﴾، أو تحتملها كما نحن فيه، ﴿مِنَ النَّسَاوِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ﴾: الأموال الكثيرة، ﴿الْمَقَنَطَرِ﴾: تأكيد مشتق من المؤكد، كبدرة مبدرة، ﴿مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ﴾: عطف على النساء، ﴿الْمُسَوَّمَةِ﴾: المعلمة أو الراعية أو النجبية، ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾: الإبل والبقر والغنم، ﴿وَالْحَرْثِ ذَلِكَ﴾: المذكور، ﴿مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: الفانية، ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْرُ

(١) أي الكفار.

(٢) قرابة.

(٣) يعني في القتال.

(٤) يعني: يرى المسلمون أنفسهم.

(٥) سورة الأنفال.

الْمَقَابِ ﴿: المرجع، فيه حثُّ على استبداله بالشهوات، ﴿قُلْ أَوْبَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ﴾: المزين، ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾: المعاصي، ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾: تحت أشجارها، ﴿الَّذِينَ هُمْ فِيهَا مُطَهَّرُونَ﴾: من كل دنس، ﴿وَرِضْوَانٌ مِنْ اللَّهِ﴾: فلا يسخط عليهم أبدا، به على نعمة بأن أدناها متاع الدنيا، وأوسطها الجنة، وأعلىها رضوانه، ﴿وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ﴾: فيثيبهم بمقدار أعمالهم، هم، ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَاكُمْ فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (١٦) ﴿الصَّكْبِينَ﴾: على مخالفة الهوى واتباع الشرع، ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾: قولاً، ﴿وَالْقَانِتِينَ﴾: الخاضعين المطيعين، ﴿وَالْمُنْفِقِينَ﴾: في البر، ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾: وهي الثلث الأخير من الليل، وهو وقت الإجابة، ﴿شَهِدَ﴾ بَيْنَ ﴿اللَّهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ﴾: مستحق للعبادة، ﴿إِلَّا هُوَ﴾: بإنزال ما نطق به، ونصب دلائله، ﴿وَالْمَلَكِيَّةَ﴾: بالإقرار به، ﴿وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾: بالإقرار به والاحتجاج عليه، شبهه في الكشف بشهادة الشاهد، واعلم أن البيان والإقرار من أفراد معنى مجازي، هو كالكشف المشبه بالشهادة فلا يلزم الجمع بين معنيين مجازيين، ﴿قَائِمًا﴾: حال من الله أو هو، ﴿بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل في قسمه وحكمه أو مقيما للعدل فيهما، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: تأكيد أو الأول وصف، والثاني تعليم، ﴿الْعَزِيزُ﴾: بقدرته، ﴿الْحَكِيمُ﴾: في أفعاله، ﴿إِنَّ الَّذِينَ﴾: المرضي، ﴿عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ﴾: اتباع محمد عليه الصلاة والسلام فلا يقبل غيره، ويفتح إنَّ بدل من أنه، ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ﴾: في حَقِّة الإسلام، ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْعِلْمُ﴾: تحقيقه، ﴿بَغْيًا﴾: حسدا، ﴿يَبْتَغُونَهُ﴾: لا لشبهة، ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعٌ الْحِسَابِ﴾: لمجازاته، ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾: جادلوك بعد إقامة الحجة، ﴿فَقُلْ﴾: معرضا عنهم، ﴿أَسَأَلْتُ﴾: أخلصت، ﴿وَجْهِي﴾: نفسي، عبر به عنها؛ لأنه أشرف الأعضاء الظاهرة، لأنه مظهر القوى والحواس، ﴿لِلَّهِ﴾: لا أشرك به غيره، ﴿و﴾: مع ﴿مِنْ أَتَّبَعِينَ﴾ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ﴿: مشركي العرب، ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾: بعد وضوح الحجة أم لا؟ استفهام تعبير بالمعاندة والبلادة، ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَكَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: أعرضوا، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ﴾: لا هدايتهم، ﴿وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ﴾: فيجازيهم، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: كاليهود، ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾: عندهم كاليهود قتلوا أربعين نبياً

في ساعة^(١)، ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل، ﴿مِنَ النَّاسِ﴾: إذ قتلوا مائة وسبعين عالمًا حين منعوهم عن قتل أنبيائهم، وهم أسلاف هؤلاء المفتخرين بهم، فهم مثلهم ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتِ﴾: بطلت، ﴿أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾: فلا تُحَقَّنْ دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، ﴿وَالْآخِرَةَ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾: لدفع عذابهم، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا﴾: حظًا، ﴿مِنَ الْكُتُبِ﴾: التوراة، ﴿يُذْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ﴾: التوراة، ﴿لِيَحْكُمَ﴾: الكتاب، ﴿بَيْنَهُمْ﴾: في رَجْمِ الْمُحْصَنِ حين حكم به النبي ﷺ - فستروا آية الرجم منها، وكشفها ابنُ سَلامٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فغضبوا، ﴿ثُمَّ﴾: للاستبعاد، ﴿يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾: عادتهم الإعراض عن الحق، ﴿ذَلِكَ﴾: التولي، ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾: قلائل، كما مر فيتسهلون عذاب الله، ﴿وَعَرَّهْمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: من نحو: لن تمسنا إلى آخره، ﴿فَكَيْفَ﴾: يصنعون، ﴿إِذَا جَمَعْتَهُمْ لِيَوْمٍ﴾: في يوم، ﴿لَأَرِيَبَ فِيهِ﴾: فُسْرَمَرَّةً، ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾: جزاء ﴿مَا كَسَبَتْ﴾: دل على أن العبادة لا تحبط، وأن المؤمن لا يخلد في النار؛ لأن توفية إيمانه ليست فيها، ولا قبل فهي بعد ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: بتنقيص ثواب ﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾: يا الله، أو يا الله أُمَّنَا^(٢) بخير، أي: اقصدنا يا ﴿مَلِكَ الْمَلِكِ﴾: المتصرف فيما يمكن التصرف فيه ﴿تُوْتِي الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ﴾: كمحمدٍ وصحبه ﴿وَتَنْزِعَ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾: كاليهود والفرس، أو المَلِكُ النبوة، ونزعها: نقلها، ﴿وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾: خصه بالذكر أدبًا، أو: لأنه المقضي بالذات، أو لأنه في مقام الشكر ثم نَبَّه على أنهما^(٣) بقدرته بقوله، ﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿تُولِجُ﴾: تَدْخُلُ ﴿الْأَيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي الْإَيْلِ﴾: بزيادة أحدهما ونقص الآخر، أو بالتعقيب، ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمَاتِ﴾: كالنطفة، ﴿وَتُخْرِجُ الْمَمَاتِ﴾: مِنَ الْحَيِّ: ﴿

(١) يشير إلى ما ورد: «قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيًا من أول النهار في ساعة واحدة.. إلخ» رواه الطبري (٢٨٥/٦، ٢٨٦) وسنده ضعيف.

(٢) أي: اقصدنا فالميم عوض عن بياء النداء. التبيان - للعكبري (١/٢٥٠)، فتح القدير (١/٣٢٩)، والخلاصة - لابن مالك (٥٠) وشروحها.

(٣) يعني الخير والشر.

أو المسلم من الكافر وعكسه، ﴿وَتَرْتُزُقُ مِنْ تَشَاءَ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: بلا ضيق، إذ المحسوب يقال للقليل، ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾: أحياء مطلقاً؛ لثلاثاً يحبوا إلا في الله، ﴿مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: إشارة إلى أنهم الحقيقين بالمحبة، ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾: الاتخاذ، ﴿فَلَيْسَ مِنْكَ﴾: ولاية، ﴿اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾: لأن محبتي المتعاضدين لا تجتمعان، ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا﴾ تخافوا ﴿مِنْهُمْ تُقَنَّةً﴾: مخافة فحينئذٍ إظهار موالاتهم جائز، ﴿وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾: عن عقابه، ﴿وَالِىَ اللَّهُ الْمَصِيرُ﴾: فاحذروه، ﴿قُلْ إِنْ تُحْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾: من محبتهم، ﴿أَوْ تُبْدُوهُ يَعْصَمُ اللَّهُ﴾: فيجازيكم، ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: ومنه عقوبتكم، اذكر ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ﴾: جزاء ﴿مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُخَضَّرًا﴾ جزاء ﴿مَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ﴾: تتمنى النفس ﴿لَوْ﴾: للتمنى كما مر، ﴿أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ﴾: أي: ذلك اليوم، ﴿أَمَدًا﴾: مسافة، ﴿بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾: كرهه تأكيداً، ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعَبَادِ﴾: ولذا يُحذِّركم إصلاحاً لكم ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾: المحبَّة: ميل النفس إلى شيء لكمال أدركت فيه بحيث يحملها على ما يقرب إليه، والعبد إذا علم أن الكمال الحقيقي ليس إلا لله لا يحب إلا إياه فيتبع أوامره، ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾: بالرضا عنكم، وأبن المحببة من المحبوبة ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: عن الطاعة، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾: أي: لا يحبهم ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى﴾: بالرسالة ﴿آدَمَ وَنُوحًا﴾: أول مبعوث إلى عبدة الأوثان^(١)، ﴿وَأَلِ إِبْرَاهِيمَ﴾: خاتمهم حبيب الله عليه الصلاة والسلام ﴿وَأَلِ عِمْرَانَ﴾: هو أبو مريم أو موسى^(٢)، وبينهما ألف وثمانمائة سنة ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾: ومنهم الملك، حال كون الآلئين، ﴿ذُرِّيَّةٌ﴾: متشعبة، ﴿بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾: الذرية: الولد من الدر أو الدرء، يقع على الواحد والجمع، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾: لأقوالكم، ﴿عَلِيمٌ﴾: بأعمالكم، فيصطفي مستقيم القول والعمل، اذكر ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾: حنة أم مريم^(٣)، ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ

(١) لحديث: «أول نبي أرسل نوح» رواه ابن عساکر (١٧/٣٢٦/٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/٢٥٨٥)، والصحيحة (١٢٨٩).

(٢) قال الواحدي في الوسيط (١/٤٣٠): وإنما خص هؤلاء بالذكر؛ لأن الأنبياء بأسرهم من نسلهم.

(٣) تفسير الطبري (٦/٣٢٨)، تفسير ابن كثير (١/٣٥٩)، البداية والنهاية (٢/٥٦)، فتح القدير

لَكَ مَا فِي بَطْنِي ﴿: فَلَأَسْتَحْدِمُهُ﴾، ﴿مُحْرَرًا﴾: مخلصًا لعبادتك، ﴿فَتَقَبَّلَ مِنِّي﴾: ما نذرت، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾ لدعائي ﴿أَعْلِيمُ﴾: بنيتي، وكان هذا النذر مشروعًا لهم في الذكر، ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾: الأنثى أي ما في بطنها، ﴿قَالَتْ﴾: تَحْسُرًا وَعُذْرًا، ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهِ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾: أي: وضَعته^(١)، عسى أن يكون فيه سر، وبالغيبة^(٢) قول الله تعظيمًا ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾: فيما نذرت من خدمة بيت المقدس، وعكس في التشبيه مبالغة كالقمر كوجهه^(٣)، أو هو تعظيمٌ من الله لمريم، أي: ليس الذكر المطلوب كهذه الأنثى؛ لأنها وابنها آية للعالمين، ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾: تفاعولًا، معناه: عابدة، ﴿وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلَكَ﴾: بحفظك، ﴿وَدُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾: المطرود، فما مَسَّهَا الشيطان ولا ابنها، ﴿فَتَقَبَّلَهَا﴾: استقبلها وأخذها، ﴿رَبُّهَا يَقْبُولُ حَسَنٍ﴾: وهو إقامتها مقام الذكر في سدنته ﴿وَأَنْبَتَهَا﴾ رَبَّاهَا، فنبت ﴿نَبَاتًا حَسَنًا﴾: بشكل حسن، ومعرفة تامة بالله، وكان نمو يومها كسنه، ﴿وَوَكَّلَهَا﴾: قام بأمرها ﴿زَكْرِيَّا﴾: زوج خالتها، ﴿كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾: الغرفة^(٤) المبنية لها في المسجد، سُمِّيَ بِهِ^(٥) لعلوه، أو كونه محل محاربة الشيطان ﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾: فاكهة الصيف في الشتاء وعكسه ونحوه، ﴿قَالَ يَمْرُؤُا أَنَّىٰ﴾: من أين، ﴿لَكَ هَذَا قَالَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾: فتكلمت صغيرة كعيسى^(٦)، ولم تَرْضَع ثَدْيًا، بل كان ينزل عليها رزقها من الجنة، دلت الآية على جواز كرامة الأولياء^(٧)، ولو كانت معجزة لزكريا لما اشتبهت عليه، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُرِزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ

= (١/ ٣٣٤).

(١) هذا على قراءة: (وَضَعْتُ) بِضَمِّ تَاءِ الْفَاعِلِ.

(٢) بسكون التاء وفتح العين المهملة.

(٣) وقولك: البدر كعائشة.

(٤) الوسيط (١/ ٤٣٢).

(٥) يعني المحراب.

(٦) انظر: الميثاق والعهد لمن تكلم في المهدي - للعلامة البرماوي (٤٩/ بتحقيقي)، وهو شرح أبيات

الجلال السيوطي:

تَكَلَّمَ فِي الْمَهْدِ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ *** وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَالْخَلِيلُ وَمَرْيَمُ

... إلخ.

(٧) كما قال تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يعني الكرامة.

حَسَابٍ ﴿: بلا ضيق عليه، ﴿هُنَالِكَ﴾: حيث دَلَّتْ رُؤْيَةَ كَرَامَةِ مَرْيَمَ ﴿دَعَا زَكْرِيَّا رَبَّهُ﴾: طمع في ولد من عاقر ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾: كهبتك لِحَنَّةِ الْعَجُوزِ الْعَاقِرِ ﴿إِنَّكَ سَمِيعٌ﴾ مُجِيبٌ ﴿الدُّعَاءِ﴾ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَكَةُ ﴿: أي: جنسها، إذ ناداه جبريل، ﴿وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَحْرَابِ أَنْ﴾: بأن، ﴿اللَّهُ يَبْشُرُكَ بِبَحْيٍ﴾: من صُلبك، ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾: أي: عيسى، سمي بها لإيجاده بكلمة: كُنْ، كالبديعات التي هي عالم الأمر، وكان يسجد له في بطن أمه، وآمن به وله ثلاث سنين، ﴿وَسَيِّدًا﴾: متبوعًا لقومه، وأصله متولي السواد أي: الجماعة أو فائقًا مبالغًا في حبس نفسه من الشهوات أو الذنوب، ﴿وَحْضُورًا﴾: ممنوعًا لا يأتي النساء، ﴿وَنِيَّاتٍ﴾: الأنبياء، ﴿الْفَصْلِحِينَ﴾: الذين لم يأتوا كبيرة ولا صغيرة، وكان ابن خالة عيسى رُوي أنه لم يعمل خطيئة ولم يهَمَّ بها، ﴿قَالَ﴾: تعجبًا بأشياء أو سؤالًا عن ردهما إلى الشباب والولودية^(١)، ﴿رَبِّ أُنَى﴾ كيف ﴿يَكُونُ لِي عُلْمٌ﴾ ﴿وَلَدٌ﴾ ﴿وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَأَمْرًا قِي عَاقِرٌ﴾: لا تلد، كان عمره مائة وعشرين، وعمرها ثمانية وتسعين، ﴿قَالَ﴾: الملك، ﴿كَذَلِكَ﴾: الأمر من خَلْقِ غُلَامٍ مِنْكُمْ مَا يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾: لا يعجزه عنه شيء، ولإظهار هذه القدرة العظيمة ألهم السؤال ليجاب بها، ولما تَأَقَّتْ نَفْسُهُ إِلَى شَرْعَةِ الْبَشَرِيَّةِ، ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ أي: علامة على حَمَلِ امْرَأَتِي، ﴿قَالَ﴾: الله، ﴿ءَايَتُكَ إِلَّا تَكَلَّمَ النَّاسُ﴾: أي: تمتنع من كلامهم بخلاف ذكر الله - تعالى -، ﴿ثَلَاثَةَ آيَاتٍ﴾: أي: لباليها، ﴿إِلَّا رَمْرًا﴾: إشارة ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ﴾: صَلِّ، ﴿كَثِيرًا﴾: أصله كونه للتأسيس فيفهم أنه لا يفيد التكرار، ﴿وَسَمِعَ بِالْعَشِيِّ﴾: أواخر النهار، ﴿وَالْإِبْكَرِ﴾: وأوائله، ﴿و﴾: اذكر، ﴿إِذْ قَالَتْ الْمَلَكَةُ﴾: أي: جبريل، ﴿يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾: اختارك، ﴿وَوَهَبَكِ﴾: من مَسِيَسِ الرِّجَالِ^(٢)، ﴿وَأَصْطَفَاكِ﴾: أَخْرَا ﴿عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾: بالكرامات إرهابًا لنبوة عيسى، أي: أهل زمانك، ﴿يَمْرَيْمُ أَفْتِي لِرَبِّكِ﴾: أطيعيه، ﴿وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي﴾: رتبهما بترتيب صلاتهم، ﴿مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾: أي: صَلِّ مَعَ الْمُصَلِّينَ الْجَمَاعَةَ^(٣)، ﴿ذَلِكَ﴾:

(١) الإنجاب.

(٢) الوسيط (١/٤٣٥)، البحر المحيط (٢/٤٥٥)، الدر المنثور (٢/٢٤).

(٣) ولم يقل مع الراكعات؛ لأن الراكعين أعم؛ لوقوعه على الرجال والنساء إذا اجتمعوا. الوسيط

المذكور من أمر زكريا ومريم، ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْعَالَمِينَ﴾: أخبار ما غاب عنك، ﴿تُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾
 يامحمد ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَهُمْ﴾: النحاسية التي كانوا يكتبون بها التوراة في
 نهر الأردن أو يلقونها في الماء يقرعون ليظهر لهم، ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ﴾ يُرَبِّي ﴿مَرِيْمَ﴾:
 طففا قلم زكريا فكفلها، وإخباري بذلك ليس إلا بالوحي نوحيه إليك، ﴿وَمَا كُنْتَ
 لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾: في كفالتها، إذ أمهما لما جاءت بها إلى سدنة بيت المقدس وهم
 أبناء هارون تنا فسوا في كفالتها، فتعرف ذلك فتخبر به وإنما عرفته من جهة الوحي
 ﴿و﴾ اذكر، ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ﴾ أي: جبريل، ﴿يَنْمِرِيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾: بولد وجوده،
 ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾: لا كالأولاد، ﴿أَسْمُهُ الْمَسِيْحُ﴾: معرب مَشِيْحًا^(١)، أي: المبارك، أو مُسِيْحَ
 بالبركة، أو ما مسح ذا عاهة إلا برأ، ﴿عِيسَى﴾: معرب أَيْشوع، ﴿ابْنُ مَرْيَمَ﴾: قَدَمَ اللُّقْبِ
 على الاسم تعظيماً، ونسبه إليها مع علمها به إعلاماً بأنه لا ينسب إلى غيرها وتبنيها
 على أنها تلده بلا أب، إذ عادة الرجال نسبتهم إلى آبائهم، ﴿وَجِيهَا﴾: عظيما قدره ذا
 جاه، ﴿فِي الدُّنْيَا﴾: بالنبوة، ﴿وَالْآخِرَةِ﴾: بالشفاعة والدرجات العلى، ﴿و﴾: كائنا، ﴿مَنْ
 الْمُقَرَّبِينَ﴾ عِنْدَ اللَّهِ ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ﴾: حال كونه، ﴿فِي الْمَهْدِ﴾: أصل المهد ما يمهّد
 للصبى من مضجعه، أي: طفلاً قبل وقت الكلام، ﴿وَكَهَلًا﴾: بعد نزوله، إذ رُفِعَ
 وهو شاب بشاراً لها بطول عمره، وإن وُلِدَ لثمانية أشهر، وقيل: ذلك لا يبقى^(٢)، وبان
 كلامه في الصغر كما في الكبر، ﴿وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾: الكاملين في الصلاح، ﴿قَالَتْ﴾:
 تَعَجَّبًا أو كَمَا مَرَّ، ﴿رَبِّ أَنْ يَكُونَ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسْسَنِي بَشْرٌ﴾: كانت محررة والمحرر لا
 يتزوج أبداً ولا يزوج ولا غيره، ﴿قَالَ﴾: الأمر، ﴿كَذَلِكَ﴾: من خلق ولد منك بلا
 أب، ﴿اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾: خَصَّه بالخلق بخلاف ما مر لغربته؛ لأنه اختراع بلا مادة، ﴿إِذَا
 قَضَىٰ أَمْرًا﴾ أراد خلقه ﴿فَأِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ أي: فهو يكون، ﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾ بالنون والياء^(٣)

 = (٤٣٦/١).

(١) الزاهر (١/٤٩٣، ٤٩٤) الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي (٤/٨٩)، البحر المحيط (٢/٤٦٠)، فتح

القدير (١/٣٤١)، الوسيط (١/٤٣٨).

(٢) يعني المولود لثمانية أشهر قلما يعيش.

(٣) قرئ: (ونعلمه) بالنون، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي.

﴿الْكِتَابَ﴾: جنسه أو الخطّ، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: جنسه أو العلم والعمل به، ﴿وَالْتَّوْرَةَ
وَالْإِنْجِيلَ﴾: وكان يحفظهما^(١)، ﴿و﴾: نجعله، ﴿رَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: في الصبا أو بعد
البلوغ فنفع جبريل في جيب درعها فحملت وكان من أمرها ما ذكر في سورة مريم
فلما بعثه الله إلى بني إسرائيل قال لهم: إني رسول الله إليكم، ﴿أَنِّي﴾ أي: بأني ﴿قَدْ
جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ﴾ علامة ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾: هي، ﴿أَنِّي﴾ وفي قراءة بالكسر استثنافاً^(٢)
﴿أَخْلَقُ﴾: أصور، ﴿لَكُمْ مِّنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾: مثل صورته، والكاف اسم
مفعول ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾: الضمير للكاف، ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا﴾: وفي قراءة: (طائراً)^(٣)، ﴿بِإِذْنِ
اللَّهِ﴾: بإرادته فخلق لهم الخفاش؛ لأنه أكمل الطير خلقاً فكان يطير وهم ينظرون فإذا
غاب عن أعينهم سقط ميتاً، ﴿وَأُبْرِيئُ﴾ أشفي ﴿الْأَكْمَةَ﴾: الذي وُلِدَ أعمى،
﴿وَالْأَبْرَصَ﴾ وخَصًّا لأنهما داءا إعياء، وكان بعثه في زمن الطبِّ، فأبرأ في يوم خمسين
الفا بالدعاء بشرط الإيمان ﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: كرره لنفى توهم الإلهية فيه، فأحيا
عازر صديقاً له، وابن العجوز، وابنة العاشر، فعاشوا ووُلِدَ لهم، وسام بن نوح ومات
في الحال ﴿وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ﴾: الآن، ﴿وَمَا تَدْخُرُونَ﴾ تخبئون ﴿فِي بُيُوتِكُمْ﴾: ممّا
لم أعانيه، فكان يُخبرُ الشخصَ بما أكلَ وبما يأكل بعدُ، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَةً
لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾: مُؤفّقين للإيمان، ﴿و﴾: جئتكم، ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْ﴾ قبلي
﴿مِنَ التَّوْرَةِ﴾: ﴿و﴾: جئتكم، ﴿لَأَجَلٍ لَّكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾: فيها، فأحل
لهم من السمك والطيور ما لا صيصية^(٤) له وقيل: أحل الجميع فبعض بمعنى: كُل
﴿وَجِئْتُكُمْ﴾: من بعد كما ذكرت لكم والأول لتمهيد الحجة، ﴿بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾:
على صدقي، ﴿فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾: فيما أمركم من توحيد الله وطاعته، ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي

== * إتحاق فضلاء البشر (١٧٤)، البحر المحيط (٤٦٣/٢).

(١) وإذا نزل قبل قيام الساعة يتعلم القرآن.

(٢) البحر المحيط (٤٦٥/٢) وهي قراءة نافع وأبي جعفر - السبعة (٢٠٦).

(٣) وهي قراءة نافع ويعقوب ويزيد بن القعقاع.

* البحر المحيط (٤٦٦/٢)، السبعة (٢٠٦)، غيث النفع (١٧٦).

(٤) هي الشوكة كالتي في رجل الديك. * الكشف - للزمخشري (١/٣٦٥).

وَرَبِّكُمْ ﴿ المأمور كرهه تأكيداً وليبنى عليه ﴿ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا ﴾ أي: الذي أمركم به، ﴿ صِرَاطٌ ﴾ طريق ﴿ مُسْتَقِيمٌ ﴾: فكذبوه ولم يؤمنوا به، ﴿ فَلَمَّا أَحْسَنَ عِيسَىٰ مِنْهُمْ الْكُفْرَ ﴾ وأرادوا قتله ﴿ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي ﴾: أعواني ذاهباً، ﴿ إِلَى اللَّهِ ﴾: لأنصر دينه، ﴿ قَالَ الْخَوَارِثُونَ ﴾: أعوان دينه وهم أصفياء عيسى أول من آمن به وكانوا اثني عشر من الحور^(١) وهو البياض الخالص وقيل: كانوا قَصَّارِينَ يُحَوِّرُونَ الثياب أي: يبيضونها، ﴿ فَخَنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ﴾: أي: بأي دينه ﴿ ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ ﴾: يا عيسى، ﴿ يَا نَا مُسْلِمُونَ ﴾ ﴿ رَبَّنَا ءَأَمَّنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ ﴾ من الإنجيل ﴿ وَأَتَّبَعْنَا الرَّسُولَ ﴾ عيسى ﴿ فَأَكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾: بوحدانيتك أو أمة محمد عليه الصلاة والسلام فإنهم يشهدون على الناس لك بالوحدانية ولرسولك بالصدق، قال - تعالى -: ﴿ وَمَكْرُؤًا ﴾: أي: كفار بني إسرائيل بعيسى إذ وكلوا به من يقتله غيلة، ﴿ وَمَكْرَ اللَّهِ ﴾: بهم بإلقاء^(٢) شبهه على من أراد قتله، فقتلوه ورُفِعَ عيسى، ﴿ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ ﴾: أعلمهم^(٣) به، والمكر: حيلة تجلب بها غيرك إلى مفسدة ظاهراً، وإسناده إلى الله تعالى للازدواج أو المقابلة، اذكسر، ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾: إشارة قابضك^(٤)، أي: بالنوم؛ لأنه رفعه نائماً، أرسل الله - سبحانه - ليلة القدر بيت المقدس فتعلق به، وله ثلاث وثلاثون سنة وعاشت مريم بعده ست سنين، وفي مسلم^(٥) أنه ينزل ويمكث سبع سنين، وفي الطيالسي^(٦): أربعين سنة، ويمكن الجمع بأن المراد مجموع لبثه قبل الرفع وبعده أو قابضك وإفياً كامل الأعضاء. ﴿ وَرَأَفُكَ إِلَيَّ ﴾: أي: إلى محل كرامتي والإضافة للتفخيم، نحو: ﴿ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي ﴾ وعلى ما مر لا يرد أن رفعه قبل توفيه، على أن الواو لا تقتضي الترتيب، ﴿ وَمُطَهَّرُكَ مِنْ ﴾:

(١) يعني اشتقاق كلمة الخواريث.

(٢) في (ن): بأن ألقى شبه عيسى.

(٣) في (ن): أقدرهم.

(٤) في هامش (ن): بلغ مقابلة.

(٥) رواه مسلم في صحيحه (٤/٢٢٥٨/٢٩٤٠).

(٦) مسند الطيالسي (٢٣١/٢٥٤١).

سوء جوار، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: بنبتك غيرة وهم اليهود، ﴿وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾: أي: الفريقين، ﴿فَأَحْكُمْ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾: من أمر الدين، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذِبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا﴾: بالسبي والقتل والجلاء، ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾: وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾: بلا نقص، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾: فكيف ينقصه، ﴿ذَلِكَ﴾: المحكي، ﴿نَتَلُوهُ عَلَيْكَ﴾: حال كونه، ﴿مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾: المشتمل على الحكم، ﴿إِنَّمِثَلْ عَيْسَى﴾: شأنه الغريب، ﴿عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾: في خلقه بلا أب، ﴿خَلَقَهُ﴾: أي: قاله^(١)، ﴿مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ﴾: بشرًا، ﴿فَيَكُونُ﴾: أي: أحياء، فعلى هذا لا يرد أن كن أمر بالتخليق، فيجب تقديمه على الخلق وعلى هذا يكون الضمير راجعًا إلى آدم باعتبار المأل، وعلى الثاني معناه: صيره خلقًا سويًا، ثم يخبر أي خلقته بأن قلت له: ﴿كُنْ﴾ لا لتراخي هذا الخبر عن ذلك الخبر، وقد يقال: «ثم» لتراخي الخبر، وهنا شبه الغريب بالأغرب؛ لأن فاقد الأبوين أغرب من فاقد الأب هو، ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ﴾: يا محمد أنت مع أمتك، ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: الشاكين، ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ﴾: في عيسى، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾: بأنه عبد الله ورسوله، ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾: ضمَّ الأبناء والنساء مع أن نفسه تكفي ليستأصل الخصم إن تمت المباهلة، وقدمهما لأنهما أعز الأهل، وربما فداهم الرجل بنفسه في الحرب، ﴿ثُمَّ نَبِّئَهُمْ﴾: نتضرع أو نتلاعن من البهلة أي: اللعنة، ﴿فَنَجْعَلُ﴾: فنقل، ﴿لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾: منا ومنكم، ثم جمع عليًا وفاطمة والحسن والحسين عليهم الصلاة والسلام، ودعا وفد نجران إلى المباهلة فأبوا خوفًا، وقبلوا الخراج^(٢).

(١) ولم يقل: «خَلَقَهُمَا» للتفاوت والاختلاف ما بين الخلقين.

(٢) تمامه فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إن العذاب قد تدلى على أهل نجران، ولو تلاعنوا المسخو قرودة وخنازير...» الحديث رواه الحاكم (٢/٥٩٤)، وأبو نعيم في الدلائل (٢/٢٩٨) والطبري في تفسيره (٦/٤٧٨، ٤٨٢).

* **تنبيه:** وقع البحث عند شيخنا العلامة الدواني^(١) - قدس الله سره - في جواز المباهلة بعد النبي ﷺ فكتب رسالة في شروطها المستنبطة من الكتاب والسنة والآثار، وكلام الأئمة، وحاصل كلامه فيها: أنها لا تجوز إلا في أمر مهم شرعاً^(٢) ووقع فيه اشتباه وعناد لا يتيسر دفعهما إلا بالمباهلة، فيشترط كونها بعد إقامة الحجة والسعي في إزالة الشبهة، وتقديم النصح والإنذار، وعدم نفعهما^(٣)، ومساسس الضرورة^(٤) إليها، والله تعالى أعلم.

﴿إِنَّ هَذَا﴾: الخبر من عيسى وأمه، ﴿لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾: دون زعمهم، ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾: ردُّ لتثليثهم، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: فلا إله غيره، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: عما أوحينا ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾: أي: بهم ﴿قُلْ يَتَّهَلَّ أَلْكُتُبِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾: مستوية، ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾: لا يختلف فيه كتاب ولا رسول وهي: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾: في استحقاق العبادة، ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: كاتخاذ اليهود عزيراً^(٥)، والنصارى عيسى وإطاعة الأحرار والرهبان في إحداث التحريم والتحليل ومعنى ﴿دُونِ﴾ سيأتي وهو في المائدة، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: عن إجابتها، ﴿فَقُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾: مؤحدون دونكم ﴿يَتَّهَلَّ أَلْكُتُبِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾: فترعمون يهوديته ونصرانته، ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾: بألف سنة وألفي سنة، ومنهما أخذتا، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: فتدعون محالاً، ﴿هَتَّانِمْ هَتْوَلَاءَ﴾: الحمقى وحمقتكم لأنكم، ﴿حَجَجْتُمْ﴾: جادلتم عناداً، ﴿فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾: من دين إبراهيم مما وجدتموه في كتابكم من نبوة محمد - ﷺ - ﴿فَلِمَ تُحَاجُّونَ

(١) الإمام العلامة المحقق جلال الدين محمد بن أسعد الدواني الصديقي الشافعي الكازروني المتوفى سنة ٩١٨ هـ. * الضوء اللامع (٧/١٣٣)، شذرات الذهب (٨/١٦٠)، البدر الطالع (٢/١٣٠).

(٢) كما باهل الحافظ ابن حجر العسقلاني رجلاً على ضلال ابن عربي صاحب الفصوص. وانظر: القول المنبئ للحافظ السخاوي (ص ٥١٣/ بتحقيقي)، وجمان الدرر عن ترجمة ابن حجر للبصروي (ص ٣٠٦/ بتحقيقي).

(٣) يعني: عدم نفع النصح والإنذار.

(٤) في (ن): ضرورة.

(٥) في (ن): عزير.

فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴿١﴾: من دين إبراهيم، إذ لم يذكر في كتابكم، والجاهل بالشيء لا يبحث عنه إلا استفهاماً، حاصله: أن الرجل قد يجادل فيما لا يعلمه عناداً لكنه لا يبحث فيما لا يعلم إلا استفهاماً وطلباً للحق، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾: شأنه، ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً ﴿٢﴾: مائلاً إلى الحق، ﴿مُسْلِمًا﴾: مُنْقَادًا لله، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: وأنتم تشركون عزيزاً والمسيح والصنم، ﴿إِنَّكَ أَوْلَىٰ﴾: أقرب ﴿النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ﴾ في الحديث: «الْكُلُّ نَبِيٌّ وَوَلَاةٌ مِنَ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ وَلِيَّيَ مِنْهُمْ أَبِي وَخَلِيلُ رَبِّي»^(١) ثم قرأ الآية ﴿لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾: من أمته، ﴿وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾: وروي أن أصول دينهما واحدة واختلاف فروعهما قليل جداً، ﴿وَاللَّهُ وَئِي﴾: ناصر، ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾: وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ: أن، ﴿يُضِلُّوكُمْ﴾: كدعوتهم حذيفة وعماراً ومعاذاً إلى اليهودية^(٢)، ﴿وَمَا يُضِلُّوكَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾: باكتساب الإثم، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: اختصاصهم بالضلال، ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: في التوراة والإنجيل من نبوة محمد عليه الصلاة والسلام، ﴿وَأَنْتُمْ شَاهِدُونَ﴾: صدقها، ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لِمَ تَلْسُونَهُ﴾: تخلطون، ﴿الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ﴾: بالتحريف، ﴿وَتَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ﴾: نعت محمد عليه الصلاة والسلام^(٣)، ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: حقيقته ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾: لبعضهم ﴿آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾: أي: القرآن، ﴿وَجَهَّ النَّهَارِ﴾: أوله، ﴿وَصَلُّوا الصُّبْحَ مَعَهُمْ﴾: وَأَكْفُرُوا: أو صَلُّوا إِلَى الكعبة أول النهار وإلى الصخرة، ﴿ءَاخِرُهُ لَعَلَّهُمْ﴾: أي: المؤمنين، ﴿يَرْجِعُونَ﴾: عن الإسلام ظناً أنكم رجعتم بخلاف ظهر لكم ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا﴾: تُصَدِّقُوا ﴿إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾: اليهودي ﴿قُلْ﴾: يا محمد: ﴿إِنَّ الْهُدَىٰ﴾: هو ﴿هُدَى اللَّهِ﴾: فلا ينجع مكركم، وقولكم، هذا الخوف، ﴿أَنْ يُؤْفِقَ أَحَدٌ

(١) رواه أحمد في مسنده (٤٠٨٨/٤٢٩/١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٦٥٦/٦٧٤/٢)، والترمذي في جامعه (٢٩٩٥)، والطبري في تفسيره (٧٢١٧)، والحاكم في مستدركه (٥٥٣/٢)، والبزار في مسنده (١٩٧٣، ١٩٨١)، وابن أبي شيبة في مسنده (٢٩٤) والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٠٠٩)، والشاشي في مسنده (٤٠٦)، وسعيد بن منصور في تفسيره (٥٠١/٥٠١) وسنده منقطع ورجاله ثقات.

(٢) في (ن): إليهم.

(٣) في (ن): ﷺ.

مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ ﴿: من العلم، ﴿أَوْ﴾: بمعنى و ﴿بِعَاجُزٍ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾: بأنكم كفرت بما علمتم، يعني: الحسد حملكم على ذلك ﴿قُلْ إِنْ الْفَضْلُ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعُ﴾ فضله ﴿عَلِيمٌ﴾: بكل شيء، ﴿يَخْتَصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾: بحكمه، ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ * وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ ﴿: أي: في ألف ومائتي أوقية ذهب^(١)، والأوقية^(٢) كانت أربعين درهماً، واليوم عشرة دراهم، وخمسة أسباع درهم، وهي إستار^(٣) وثلاثا إستار، ﴿يُودُّهُ=إِلَيْكَ﴾: كابن سلام^(٤)، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُودُّهُ=إِلَيْكَ﴾: كفنحاص بن عازوراء^(٥)، ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ﴾: يا صاحب الحق، ﴿عَلَيْهِ قَائِمًا﴾: إلا مدة دوامك قائماً على رأسه بالتقاضي، ﴿ذَلِكَ﴾: الخيانة^(٦)، ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي شَأْنِ الْعَرَبِ﴾ ﴿إِلَّا مِثْرَانِ سَبِيلٌ﴾: دَمَّ فِي كُلِّ أَمْوَالِهِمْ إِذْ أَحَلَّهَا اللَّهُ لَنَا، ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾: بادعائهم ذلك، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: افتراءهم، ﴿بَلَى﴾: عليهم فيهم سبيل، ﴿مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ﴾: تعالى في التوراة بالإيمان بمحمد ﷺ، ﴿وَأَتَقَى﴾: المخالفة، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ * إِنْ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ ﴿: يستبدلون، ﴿بِعَهْدِ اللَّهِ﴾: من الإيمان بالرسول، ﴿وَأَيَّمَنِهِمْ﴾: لِيُوضِرَّهُمْ^(٧) الله ليؤمنن به ولينصرنه، ﴿ثَمناً قَلِيلاً﴾: كرشوة لتحريف التوراة، ﴿أُولَئِكَ لَا خَلْقَ﴾: نصيب، ﴿لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾: بما يسرهم، كناية^(٨) عن غضبه، ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾: نظر رحمة، ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾: لا يثني عليهم، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ * وَإِنَّ مِنْهُمْ ﴿: من أهل الكتاب، ﴿لَفَرِيقًا يَلُؤُنَ﴾: يميلون، ﴿الَّذِينَ هُمْ بِالْكِتَابِ﴾ * من المنزل إلى المحرف ﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾ المحرف أيها المؤمنون

(١) والقنطار عند الجمهور (١٤٢,٨ / كيلوجرام).

(٢) والأوقية عند الجمهور (١١٩) جرام.

(٣) الإستار كلمة فارسية معربة بمعنى «أربعة»؛ لأنه أربعة مثاقيل ونصف، ويجمع على أساتير وهو عند

الجمهور (١٩,٣٣٧٥) جراماً. * المكاييل والموازين الشرعية - د/ علي جمعة.

(٤) الوسيط (١ / ٤٥١).

(٥) الوسيط (١ / ٤٥١).

(٦) الفعل وهو الخيانة والاستحلال.

(٧) يعني: حلفهم.

(٨) الوسيط (١ / ٤٥٣).

﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ من التوراة ﴿وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ﴾: نازل، ﴿مِنَ عِنْدِ اللَّهِ﴾: لا يفهم أن لا يكون فعلنا فعل الله كما زعم المعتزلة إذ لا يلزم من نفي الأخص كونه كتاباً بأنه لا من الله نفي الأعم كونه فعل الله - تعالى - ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: كذبهم ونزلت^(١) حين قالت اليهود^(٢): يا محمد! تريد أن نعبدك كما عبدت النصراني عيسى صلوات الله عليه وسلامه؟! ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾: كعيسى، ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: أي: هذا الإيتاء والقول لا يجتمعان، ﴿وَلَكِنْ﴾: يقول: ﴿كُونُوا رَبَّنَا نَعْبُدُ﴾: منسوب إلى الرب^(٣)، أي: الكاملين في العلم والعمل، كاللحياني لعظيم اللحية، ﴿بِمَا كُتِبَ﴾: بسبب كيونكم، ﴿تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ بتدارسكم، ﴿وَلَا﴾: أن، ﴿يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾: ﴿و﴾: اذكر، ﴿إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا﴾: بالفتح لام الابتداء، أي: للذي، وبالكسر^(٤) متعلق أخذ، وما صدرية، ﴿ءَاتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾: أي: رسول كان، أو محمد عليه الصلاة والسلام، والله ﴿لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾: فكان الأمم به أولى، ﴿قَالَ﴾: تعالى: ﴿ءَأَقْرَرْتُمْ بِالْإِيمَانِ وَالنَّصْرِ﴾: وأخذتم على ذلكم إصري: ﴿عَهْدِي الْمَوْكَدِ﴾: ﴿قَالُوا أَقْرَرْنَا﴾: وأخذناه، ﴿قَالَ﴾: الله، ﴿فَأَشْهَدُوا﴾: بعضكم على بعض ﴿وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾: على إقراركم وتشاهدكم، ﴿فَمَنْ تَوَلَّى﴾: أعرض، ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾: الميثاق، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾: الخارجون عن الإيمان يقولون ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ﴾: انقصاد ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا﴾: كالمسلمين اختياراً ﴿وَكَرْهًا﴾: كالكفرة تسخيراً وحين البأس، ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾: فكيف تبغون غير دينه، ﴿قُلْ ءَأَمْنَا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾: أذن - ﷺ - في تعظيم نفسه في التكلم أو هو منزل على أمته أيضاً بتوسطه ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ

(١) رواه ابن جرير في تفسيره (٣/ ٢٣٢)، والبيهقي في الدلائل (٥/ ٣٨٤) وسنده ضعيف.

(٢) انظر إلى قحة اليهود وسوء أدهم - عليهم لعائن الله وخلقهم آمين.

(٣) الذي هو بمعنى التربية. * الوسيط (١/ ٤٥٦).

(٤) قرأ حمزة (لما) بكسر اللام. * الحجة - لأبي زرعة (١٦٨، ١٦٩)، السبعة (٢١٣)، النشر (٢/ ٢٤١).

وَأَسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴿١﴾: من الوحي، ﴿وَالْأَسْبَاطُ﴾: بطون بني إسرائيل المتشعبة، ﴿وَمَا أَوْقَىٰ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفْرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾: بالتصديق، ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾: منقادون، ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ﴾: الانقياد لله، ﴿وِينَا﴾: شريعة، ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾: لا يدل على اتحاد الإيمان والإسلام، إذ الإيمان ليس بدين، والتحقيق: أن الإسلام يجيء بمعنى مجموع الأعمال، فيدخل فيها التصديق ووردا في الحديث مترادفين، وفي القرآن متباينين والله تعالى أعلم، يعني أنه نفى كل دين مغاير للإسلام لا قبول ما يغيره والإيمان ليس بدين^(١)، ﴿وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَيْرِينَ﴾: بإبطال الهداية الفطرية، ﴿كَيْفَ﴾: للاستبعاد، ﴿يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾: أي: إن آمنوا، ﴿وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ﴾: بأن^(٢)، وخروج الإقرار باللسان عن حقيقة الإيمان، ﴿وَجَاءَهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾: البراهين بصدق محمد عليه الصلاة والسلام ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: بوضع الكفر موضع الإيمان، ﴿أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنَّنَّ عَلَيْهِمْ لعنةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾: أفهم عدم جواز اللعن على غيرهم، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: في اللعنة أو العقوبة المفهومة، ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: يُمَهَّلُونَ، ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: الارتداد كحارث بن سويد^(٣)

(١) الإسلام لغة: الانقياد والإذعان، وأما في الشريعة فلا إطلاقه حالتان:

الأولى: أن يُطلق على الأفراد غير مقترن بذكر الإيمان، فهو حينئذ يراد به الدين كله أصوله وفروعه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾.

الحالة الثانية: أن يُطلق مقترناً بالاعتقاد فهو حينئذ يراد به الأعمال والأقوال الظاهرة كقوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا قُلُوبُنَا لَمْ نُوْمِنُوا وَلَكِنْ قُلُوبُنَا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾.. والإيمان لغة: التصديق، قال إخوة يوسف لأبيهم: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾ وأما في الشريعة- فلا إطلاقه حالتان:

الأولى: أن يُطلق على الأفراد غير مقترن بذكر الإسلام فحينئذ يراد به الدين كله، كقوله- عز وجل -: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وقوله: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

الثانية: أن يُطلق مقترناً بالاعتقاد فهو حينئذ يراد به الأعمال والأقوال الظاهرة كقوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا قُلُوبُنَا لَمْ نُوْمِنُوا وَلَكِنْ قُلُوبُنَا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾. * معارج القبول (١/٥٩٦).

(٢) يعني: وشهدوا بأن.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٣٢٤٢)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٢/٦٤٢، ٦٤٣/١٧١٨)، وابن أبي

حين ندم على رده، ﴿وَأَصْلَحُوا﴾: دخلوا في الصلاح، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾: بهم، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ نَقْبَلَ تَوْبَتَهُمْ﴾: حين الاحتضار، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ عن الرحمة ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا﴾: ممَّا أنفقوا، ﴿وَلَوْ أَفْتَدَى بِهِ﴾: من عذاب الآخرة أي: ولو كان على وجه الافتداء الذي لا مِنَّةَ فيه فلا يقبل منهم، أو لا يقبل منه ولو افتدى بمثله معه، ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾: في رفع العذاب.

﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ﴾^(١): حقيقة البر، أو بر الله، وهو رحمته، ﴿حَتَّى تُنْفِقُوا مِنْ﴾ بعض ﴿مَا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ﴾ محبوبٍ أو غيره ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾: فيجازيكم، ﴿كُلِّ الطَّعَامِ﴾: المباح لإبراهيم لا لحم الخنزير، ﴿كَانَ حِلًّا لِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ﴾: يعقوبُ ﴿عَلَى نَفْسِهِ﴾: بنذره ذلك، لو برئ من عرق النساء، وهو لحم الإبل ولبنه^(٢) ردّ لليهود حيث قالوا: إنهما كانا حرامين على إبراهيم، فكيف يحللوها؟ روي أنه كان به عِرْقُ النَّسَاءِ^(٣) فنذر أنه إن شفاه الله - تعالى - ترك أحب الطعام والشراب إليه، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ﴾: وذلك بعد إبراهيم، ﴿قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: في حرمة لحم الإبل ولبنه على الأنبياء كلهم، ﴿فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾: بحرمتها على الأنبياء، ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: العلم، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾: قُلْ صَدَقَ اللَّهُ ﴿وَهَذَا تَعْرِيفٌ بِكَذِبِهِمْ﴾ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا: مائلاً عن الباطل، وهي مِلَّتُنَا، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: تعريض بشرك اليهود، ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ﴾: أُظْهِرَ وَوُضِعَ لعبادة الله على وجه الماء قبل خلق الأرض بألفي^(٤) عام أو بعدها قبل آدم، ﴿لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾: لغةً في مكة^(٥) فإنها تكسرُ أعناقَ الجبابرة حال كونه، ﴿مُبَارَكًا﴾: كثير

= شبيهة في المصنف (١٤/٤٠٠/١٨٦٢٥) وسنده ضعيف.

(١) في هامش (ن): الجزء (٤).

(٢) تفسير الطبري (٧/٩، ١١)، تفسير الوسيط (١/٤٦٤)، أسباب النزول - للواحدى (٨٤)، البحر المحيط (٢/٣).

(٣) بفتح النون المشددة، وهو وجعٌ في جانب الورك، سُمِّيَ بذلك؛ لأنَّ أُمَّه ينسي صاحبه كُلَّ شَيْءٍ.

(٤) تفسير الطبري (٧/٢٠)، الوسيط (١/٤٦٥)، الدر المنثور (١/١٢٧، ١٢٨).

(٥) ولها أسماء أخر منها: أم القرى، والحاطمة، ونساسة... إلخ وجمعها في مؤلف السَّجَاعِي وغيره.

الخير، ﴿وَهَدَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾ لأنه معبدهم وقبلتهم، ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾: كتخالط الصيود^(١) والسباع في الحرم، وقهر كل جبار قصده بسوء وظهور الخصب في البلاد الموازية له كركن ظهر فيه^(٢) والغيث، وانمحاء الجمار، ومنها ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾: الحجر الذي قام عليه لبناء الكعبة، وغاص قدماه فيه، ﴿وَ﴾ منها أن، ﴿مَنْ دَخَلَهُ﴾: مُعْظَمًا له، ﴿كَانَ آمِنًا﴾: أي: يأمن من دخله من القتل، أو من عذاب القيامة وفي الحديث: «من مات في أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنًا»^(٣)، ولما ذكر آيتين دنيوية وأخروية اكتفى عن البواقي بما هو، أهم أعني: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ﴾: كأسلوب حديث: «وجعلت قرة عيني في الصلاة»^(٤)، ﴿حُجُّ الْبَيْتِ﴾: هو قصده للزيارة على الوجه المخصوص، ﴿مَنْ﴾: بدل من الناس، ﴿اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ﴾ إلى البيت أو الحرم ﴿سَبِيلًا﴾: يأتي، والاستطاعة فسرها النبي عليه الصلاة والسلام بالزاد والراحلة^(٥)، وهو يؤيد قول الشافعي أَنَّهُمَا بِالْمَالِ، ولذا يستنيب الزَّيْمُ^(٦) الواجد أجره النائب، وعن مالك أنها بالبدن، وعن الحنفية أنها بهما^(٧)، ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾: بوجوبه كاليهود ووضعه موضع: لم يحج؛ تغليظًا على تاركه، بل ورد كفره إن استطاع، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي عَنِ الْعَالَمِينَ﴾: به، ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: الدالة على صدق محمد ووجوب الحج وغيره، ﴿وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾:

(١) معاني القرآن - للزجاج (١/٤٥٥)، البحر المحيط (٣/٧)، تفسير ابن كثير (١/٣٨٤)، فتح القدير (١/٣٦٢).

(٢) كذا في جميع النسخ.

(٣) رواه الفاكهي في أخبار مكة (٣/٦٨، ٦٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٨/٩٥، ٩٦)، وابن الجوزي في مثير العزم الساكن (٢/٣١٠، ٤٨٤، ٤٨٥)، وفي الموضوعات (٢/٢١٨) وسنده ضعيف.

(٤) رواه أحمد (٣/١٢٨)، والنسائي (٧/٣٩٥٠)، والحاكم (٢/١٦٠)، والبيهقي (٧/٧٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/٣١٢٤)، والروض (٥٣).

(٥) رواه الحاكم في مستدرکه (١/٤٤٢) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ورواه البيهقي في سننه (٤/٢٣٠)، وضعفه الألباني في إرواء الغليل (٤/١٦٠/٩٨٨).

(٦) من به مرض مزمن.

(٧) انظر: المبسوط (١/١٥٣)، البنائة (٣/٤٣٣)، حاشية ابن عابدين (٢/١٩٤)، شرح العمدة (١/٤٠، ٢٤١)، الإنصاف (٣/٤٢١)، (٦/٤٦)، بداية المجتهد (١/٣٠٩)، مغنى المحتاج (١/٤٦٨) كشف

القناع (٣/٤٥٥)، الشرح الصغير (٢/١٥)، المهذب (١/١٩٦، ١٩٧).

من التحريف، ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾: دينه، ﴿مَنْ ءَامَنَ تَبِعُونَهَا﴾: طالبين لها، ﴿عَوَجًا﴾: اعوجاجًا بتليساتكم وتحريفاتكم، والعوج بالكسر: في القول والعمل والأرض، وبالفتح في نحو الحيطان والسواري، ﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾: أنها سبيل الله، ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ يَتَّيْمًا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ: يصدوكم، ﴿بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ﴾ وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله: القرآن وغيره، ﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾: محمد عليه الصلاة والسلام، ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ﴾: يتمسك، ﴿بِاللَّهِ﴾: أي: بدينه، ﴿فَقَدْ هَدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: غير مُعوج، ﴿يَتَّيْمًا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾: في الحديث أنه طاعة بلا عصيان^(١)، وشكر بلا كفران، وذكر بلا نسيان ونُسخت بآية: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾^(٢) خلافًا لبعض السلف^(٣)، ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ﴾: دُومُوا على الإسلام حتى تموتوا عليه، ﴿وَاعْتَصِمُوا﴾: استمسكوا، ﴿بِحَبْلِ اللَّهِ﴾: القرآن، استعارة من حيث إن التمسك به ينجي من الردي كما أن التمسك بالحبل يسلم من التردى ﴿جَمِيعًا﴾: مجتمعين عليه، ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾: كأهل الكتاب، ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: منها الإسلام، ﴿إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءُ﴾: أراد عداوة الأوس مع الخزرج في الجاهلية مائة وعشرين سنة^(٤)، ﴿فَالَفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾: بالإسلام، ﴿فَأَصْبَحْتُمْ﴾: صرتم، ﴿بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾: مُتَحَابِّينَ، ﴿وَكُنْتُمْ﴾: في الجاهلية، ﴿عَلَىٰ شَفَاةٍ﴾: طرف، في الحديث: ﴿لَا تَنْظُرُوا إِلَىٰ صَوْمِ الرَّجُلِ وَصَلَاتِهِ، وَلَكِنِ إِلَىٰ وَرَعِهِ إِذَا أَشْفَىٰ عَلَىٰ الذَّنْبِ﴾^(٥) أي: أشرف، ﴿حُقُورًا مِّنَ النَّارِ﴾: أي: مشرفين على الوقوع في جهنم، ﴿فَأَنْفَذَكُمْ﴾: أنجاكم بالإسلام، ﴿مِنْهَا﴾: من شفاها، وتأيينه باعتبار المضاف إليه، ﴿كَذَلِكَ﴾: التبيين، ﴿يَسِّرُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: لتدوموا على الهداية، ﴿وَلَتَكُنَّ

(١) قال ابن مسعود: ﴿حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر رواه الحاكم (٢/٢٩٤)، والطبراني في الكبير (٩/٩٣)، والطبري (٧/٦٥) وسنده صحيح.

(٢) سورة التغابن (١٦).

(٣) الناسخ والمنسوخ - لأبي القاسم ابن سلامة (١٠٦، ١٠٨) تفسير ابن كثير (١/٣٨٨).

(٤) تفسير الطبري (٣/٧٧، ٧٨)، الوسيط (١/٤٧٤)، الدر المنثور (٢/٦١).

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الورع (١٧٧) وسنده ضعيف.

مِنْكُمْ ﴿: أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، ﴿أُمَّةٌ ﴿: جَمَاعَةٌ، ﴿يَدْعُونَ ﴿: النَّاسَ، ﴿إِلَى الْخَيْرِ ﴿: الدُّنْيَوِي وَالْآخِرَوِي دَل بـ«مَن» عَلَى فَرْضِيَةِ الْكِفَايَةِ أَوْ تَبْيِينِيَةِ فَيَكُونُ الْمَعْنَى وَجُوبُهُ عَلَى الْكُلِّ وَلَوْ عَلَى مَرْتَكَبٍ مُنْكَرٍ، ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴿: وَهُوَ يَكُونُ وَاجِبًا وَمَنْدُوبًا لَكِن عَلَى حَسَبِ مَا يَأْمُرُ بِهِ، ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴿: هُوَ وَاجِبٌ كُلُّهُ إِذْ كُلُّ مَا أَنْكَرَهُ الشَّرْعُ حَرَامٌ، وَالْمَكْرُوهُ غَيْرُ مُنْكَرٍ، وَخَصَّصَ بَعْدَهَا عَمَمٌ إِيْذَانًا بِفَضْلِهِ، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿: الْمَخْصُوصُونَ بِكَمَالِ النِّجَاةِ، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴿: مِنْ الْأُمَّةِ السَّالِفَةِ، ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ ﴿: لِأَهْلِ الْحَقِّ عَنِ ذَلِكَ، ﴿وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴿: كَالْمَبْتَدِعَةِ مِنْ نَحْوِ الْخَوَارِجِ وَيُؤَسِّمُ أَهْلَ الْحَقِّ بِيَاضِ الْوَجْهِ وَالصَّحِيفَةَ وَإِشْرَاقَ الْبَشِيرَةِ وَسَعَى النُّورِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيَمِينِهِ، وَالْمَبْطُلُونَ بِضَدِّ ذَلِكَ لِأَهْلِ الْبَاطِلِ كِنَايَتَانِ (١) عَنِ ظُهُورِ الْبَهْجَةِ وَالكَآبَةِ وَنَحْوَهُمَا، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ أَسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ ﴿: يُقَالُ لَهُمْ تَوْبِيخًا، ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا ﴿: أَمْرٌ إِهَانِيٌّ، دَلَّتِ الْأَحَادِيثُ عَلَى أَنَّهُمُ الْمَبْتَدِعَةُ كَالْخَوَارِجِ الْمُرْتَدِينَ (٢)، ﴿الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿: بِكُفْرِكُمْ، ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَبِنِي رَحْمَةِ اللَّهِ ﴿: جَنَّتْ، وَأَفَادَ بِتَغْيِيرِ الْأَسْلُوبِ، وَلَفْظِ الرَّحْمَةِ أَنَّ دُخُولَ الْجَنَّةِ لَيْسَ إِلَّا بِرَحْمَتِهِ، ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ ﴿: مُلْتَبَسَةٌ، ﴿بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا ﴿: حَقِيرًا، ﴿لِلْعَالَمِينَ ﴿: لِاسْتِحَالَتِهِ، إِذْ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ شَيْءٌ، أَوْ يَمْنَعُ عَنْهُ فَيُظْلَمُ بِنَقْصِهِ أَوْ فَعْلِهِ، ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿: فَيَجَازِي ﴿كُنْتُمْ ﴿: فِي عِلْمِ اللَّهِ أَوْ: وَجِدْتُمْ، فَعَلَى الثَّانِي «كَانَ» تَامَّةً، ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ ﴿: أُظْهِرَتْ، ﴿لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴿: دَلَّتْ عَلَى أَنَّ الْإِجْمَاعَ حُجَّةٌ لِاسْتِغْرَاقِ اللَّامِينَ، فَلَوْ أَجْمَعُوا عَلَى بَاطِلٍ كَانُوا عَلَى خِلَافِهِ، ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴿: أَيُّ: تَعْمَلُونَ وَكَذَلِكَ إِيمَانًا بِهِ فَلَا يَرُدُّ أَنَّ حَقَّ الْإِيمَانِ التَّقْدِيمُ كَمَا فِي آيَةِ أُخْرَى، ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ ﴿: بِمُحَمَّدٍ، ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴿: مِنَ الْإِيمَانِ بِمُوسَى وَعِيسَى فَقَطْ، ﴿مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ ﴿: كَابِنِ سَلَامٍ، ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْفَلْسُفُونَ ﴿: الْمَتَمَرِدُونَ فِي

(١) بل حقيقتان - والله أعلم.

(٢) فعن أبي أمامة عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ قال: هم الخوارج. رواه الترمذي (٤/٢٩٤/٤٠٨٦) وأحمد (٥/٢٦٢)، والطبراني في الكبير (٨/٣٢٥).

الكفر، ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى﴾: ضراً يسيراً كقطعن، ﴿وَأَنْ يَفْتَلُوكُمْ يُولُوكُمْ أَلَذَّ بَارًا﴾: ينهزمون، ﴿ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ: كضرب قبة كما مر، ﴿أَنْ مَاتُوا قَتْلًا﴾: وجدوا دائماً، ﴿إِلَّا﴾: حال كونهم معتصمين، ﴿يَحْبِلُ﴾: بدمه، ﴿مَنْ اللَّهُ وَحْبَلٍ﴾: أمان وعهد، ﴿مَنْ النَّاسِ﴾: المسلمين، أي: هم أذلاء دائماً، إلا في هذه الحالة، ﴿وَبَاءً وَ﴾: رجعوا، ﴿بِعَضْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾: الجزية والفقر، ﴿ذَلِكَ﴾: الضرب والبوء، ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾: عندهم، ﴿ذَلِكَ﴾: الكفر والقتل، ﴿بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾: فُسِّرَ مَرَّةً، ولما قال^(١): ﴿مَنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ﴾ حينئذ قال: ﴿لَيْسُوا﴾: أهل الكتاب، ﴿سَوَاءٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾: مستقيمة عادلة، مسلموهم^(٢)، من أقمْتُ العود فقام، ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ﴾: القرآن، ﴿ءَاتَاءَ﴾: ساعات، ﴿الَيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾: يصلون العشاء والتهجد، فإن أهل الكتاب لا يصلونهما، ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: بلا إلحاد في صفاتهما ﴿وَبِأَمْرَاتٍ بِالْمَعْرُوفِ وَيَتَحَرَّوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾: بخلاف اليهود في الكل، ﴿وَأُولَئِكَ﴾: الموصوفون، ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾: ممن صلحت أحوالهم عند الله، ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوا﴾: بنقص ثواب، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُعْنِي ﴿تُدْفَعُ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِّنَ﴾: عذاب، ﴿اللَّهِ شِقَاً﴾ كما مر ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ: الكفرة [من] القرب^(٣) وغيرها، ﴿فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: في طاعة، ﴿كَمَثَلِ﴾: مهلك، ﴿رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾: برد وأصله: صوت ريح باردة من الصرير برد شديد محرق، ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾: بالمعاصي، ﴿فَأَهْلَكْتُهُ﴾: أي: الريح الحارث، فلا ينتفعون بإنفاقهم في القيامة كما لا ينتفعون بزرعهم عند الاحتياج، أو من التشبيه المركب، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾: لم يفعل بهم ما ليسوا أهلاً له، ﴿وَلَكِنَّ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: بارتكاب موجبات العقوبة، ثم حذرنا عن مكرهم بقوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً﴾: هي خاصة الرجل والمطلع على

(١) من (ع) لوضوحها فيها، وسقطت من (ن)، وهي محرفة في (س).

(٢) يعني: هم مسلموهم.

(٣) جمع قُرْبَةٍ وهي الطاعة والصدقة.

أسراره، ﴿مِنْ دُونِكُمْ﴾: دون المسلمين، ﴿لَا يَأْتُونَكُمُ﴾: لا يقصرون لكم، ﴿خَبَالًا﴾: فسادًا، ﴿وَدُوًّا مَاعِنْتُمْ﴾ أي: عنتكم، أي: شدة ضرركم ﴿قَدْ بَدَتْ﴾: ظهرت، ﴿الْبَغْضَاءَ﴾: شدة العداوة، ﴿مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾: في كلامهم، ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾: مما بدا، ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾: الدالة على وجوب الإخلاص، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾: ما بُيِّنَ لكم، ﴿هَٰئِذَا تُمْرَبُونَ﴾: المخاطبون في موالاتهم، ﴿مُحِبُّوهُمْ وَلَا يُحِبُّونَهُمْ وَتُوْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾: وهم لا يؤمنون بكتابكم فهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم، ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا﴾: نفاقًا، ﴿وَإِذَا خَلَوْا﴾: بعضهم من بعض، ﴿عَصُوا عَلَيْكُمُ الْأَنْبِيَاءَ مِنْ﴾: أجل، ﴿الْغَيْظِ﴾: حيث لم يجدوا إلى دفعكم سبيلًا، ﴿قُلْ﴾: يا محمد، ﴿مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾: دعاء بتضاعف غيظهم إلى موتهم بتضاعف قوة الإسلام، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ﴾: بما في، ﴿الْصُّدُورِ﴾: من الغيظ وغيره فيجازي، ﴿إِنْ تَمَسَّكْتُمْ﴾: تصبكم أذنى إصابة، ﴿حَسَنَةً﴾: خير، ﴿سَوُّهُمْ﴾: تحزنهم، ﴿وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾: ضرر، ﴿يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصِيرُوا﴾: على أذاهم، ﴿وَتَتَّقُوا﴾: المعاصي، ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾: بكسر الضاد^(١) من ضاره يضيره ﴿كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾: والكيد: احتيالك لتوقع غيرك في مكروهه، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾: علمه فيجازي، ﴿و﴾: اذكر، ﴿إِذْ غَدَوْتَ مِنْ﴾: حجرة، ﴿أَهْلِكَ﴾: عائشة رضي^(٢) الله عنها، ﴿تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾: تهيب لهم، ﴿مَقْلَعِدٍ﴾: أماكن، ﴿لِلْقِتَالِ﴾: في غزوة أحد، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾: لأقوالكم، ﴿عَلِيمٌ﴾: بضمائركم فيجازيكم، ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ﴾: بنو حارثة وبنو أسد^(٣)، ﴿أَنْ تَفْشَلَا﴾: تجبنا وتنصرفا، ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾: ناصرهما، فكيف تَفْشَلَانِ، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾: لا على العَدَدِ، ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ﴾ ماءً بين الحرَمين، كان لرجل اسمه بدر [فسمي به]، ﴿وَأَنْتُمْ

(١) قرأ المطوعي: (يضركم) بكسر الضاد المعجمة، وهي قراءة ابن كثير ونافع ويعقوب.

* إتحاف فضلاء البشر (١٧٨).

(٢) تفسير الطبري (٧/ ١٦٠)، والوسيط (١/ ٤٨٥)، فتح القدير (١/ ٣٧٧).

(٣) وقيل: بنى سلمة وبنى حارثة. * الوسيط (١/ ٤٨٦)، وهو الصحيح رواه البخاري (٦/ ٧٧).

وانظر: غرر التبيان - لابن جماعة (٢٢٨).

أَذَلَّةٌ ﴿: عَدَدًا وَعُدَدًا، أثره على ذلائل (١) لِيُفْهَمَ قَلْتَهُمْ (٢)، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: تنعمون وضع الشكر موضع الإنعام؛ لأنه سببه، أو راجين دخولكم في الشاكرين، ﴿إِذْ﴾: ظرف لنصركم، ﴿تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ﴾: لنصركم، ﴿بَلَى﴾: يكفيكم، ثم وعد الزيادة بقوله: ﴿إِنْ تَصْبِرُوا﴾ على العدو ﴿وَتَتَّقُوا﴾: مخالفتي، ﴿وَيَأْتُواكُمْ﴾: الكفار، ﴿مِنْ قَوَرِهِمْ﴾ من ساعتهم ﴿هَذَا يُمِدُّكُمْ رَبُّكُمْ﴾: أي: سريعاً أو من غضبهم بلا تأخر، ﴿بِخَمْسَةِ آفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾: مرسلين أو معلمين بالعمائم البيض والأصواف البيض أو الخضر (٣) في نواصي الخيل.

واعلم أنه تعالى أمدهم في بدر أولاً بألف للقتال مثل عدد الكفار، فقال: ﴿أَنَّى مُمِدُّكُمْ بِالْأَفِّ﴾ ثم بألفين آخرين، ثم ألفين آخرين للشوكة كما يشعر به ﴿مُرْدِفِينَ﴾ فلا تنافي هنا ولا ينافي ذلك: ﴿أَنَّى مُمِدُّكُمْ بِالْأَفِّ﴾، أو: «إذ» بدل من: ﴿إِذْ عُدَّوَتْ﴾، فهو في أحد ونزلوا، ولم يقاتلوا لعدم الصبر والتقوى المشروطين كذا عن مجاهد (٤)، ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾: أي: الإمداد، ﴿إِلَّا بُشْرَى﴾: بشارة، ﴿لَكُمْ﴾: بالنصر وبأنكم على الحق، ﴿وَلِنَظْمِينَ﴾ لتسكن ﴿قُلُوبِكُمْ بِهِ. وَمَا لِنَنْصُرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ﴾ الغالب ﴿الْحَكِيمِ﴾: في أفعاله، ونصركم ﴿لِيَقْطَعَ﴾: لينقص، ﴿طَرَفًا﴾: جانباً، ﴿مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: بالقتل والسبي والفرار ﴿أَوْ يَكْتُمُهُمْ﴾: يخزيهم، وأو للتنويح، ﴿فَيَنْقَلِبُوا﴾: يرجعوا، ﴿خَائِبِينَ﴾: منقطعى الآمال، ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾: من إصلاحهم وعقابهم، ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ عطف على ﴿يَكْتُمُهُمْ﴾ وما قبله اعتراض أو بمعنى «إلا» أن

(١) جمع ذليل أيضاً.

(٢) لأنه جمع قلة.

(٣) انظر: بيان ألوان ألويته ﷺ للإمام الغنيمي (٢٢/ بتحقيقي).

(٤) الصحيح أن الملائكة قاتلت وقتلت الكفار ببدر فروى مسلم في صحيحه (٣/ ١٣٨٤، ١٣٨٥/ ١٧٦٣): «بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في إثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم، فنظر إلى المشرك أمامه، فخر مستلقياً، فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط، فأحضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ - فقال: صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة فقول مجاهد ضعيف.

﴿أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾: فيستحقوا العذاب، ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: فله الأمر، ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: فلا تدع عليهم، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾: هذا توبيخ لا تقييد أو بيان بحسب الواقعة، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾: بالذات^(١)، وللعاصين بالعرض خلافاً للمعتزلة، قال أبو حنيفة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : هي أخوف^(٢) آية لآكلية لوضعهم موضعهم تغليظاً، ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ﴿وَسَارِعُوا﴾: بادروا وورد أن العجلة من الشيطان إلا في خمسة مواضع: التوبة من الذنب، وقضاء الدين الحال، وتزويج البكر البالغة، ودفن الميت، وإكرام الضيف إذا نزل، ﴿إِلَى﴾: موجبات، ﴿مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾: أي: كسبع سموات وأرضين لو وصل بعضها ببعض بحيث تَصِيرُ سَطْحًا^(٣) من أجزاء لا تتجزأ، فكيف بطولها كذا قاله ابن عباس^(٤) وأراد المبالغة في سعتها أو العرض: الشمس^(٥) أو السعة ولا يرد أنها كيف سعتها مثلها، وهي في السماء؛ لأنها في الكرسي والسماوات في جنبه كحلقة في فلاة^(٦)، وسقفه عرش الرحمن^(٧)، وسئل - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : فأين النار حينئذ؟ فقال - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - :

(١) في هامش (ن): بلغ مقابلة.

(٢) الكشف - للزمخشري (٤١٤/١) وفيه: كان أبو حنيفة رحمه الله يقول: هي أخوف آية في القرآن.

(٣) الكشف (٤١٥/١)، البيضاوي (٨٩).

(٤) الجامع - للقرطبي (٢٠٤/٤)، البحر المحيط (٥٨/٣)، الوسيط (٤٩٢/١).

(٥) كذا في (ح).

(٦) عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله: أي آية أعظم؟ قال: «آية الكرسي، ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة».

رواه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/٢٩٩/٨٦١)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/٥٧٠/٢٠٦)، وأبو نعيم في الحلية (١/١٦٨) وابن عدي في الكامل (٧/٢٦٩٩) وسنده ضعيف.

(٧) يشير إلى حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «من ءامن بالله ورسوله وأقام الصلاة، وصام رمضان، كان حقاً على الله أن يدخله الجنة هاجر أو جلس في أرضه التي ولد فيها.

قالوا: يا رسول الله! أو لا نبشر الناس بذلك؟ قال: إن في الجنة مائة درجة أعدتها الله للمجاهدين في سبيله، بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم فاسألوه الفردوس فإنه * أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة».

رواه البخاري (١٣/٤٠٤/٧٤٢٣)، وأحمد (٢/٣٣٥)، وابن أبي عاصم في كتاب الجهاد

«سبحان الله إنه إذا جاء النهار فأين الليل؟»^(١)، فاطلع - ﷺ - به الخاصة على ما بينه بقوله: «ما لا عين رأت ولا أذن سمعت»^(٢) وعن ابن عباس: «إن لله عوالم هذا أحدها»^(٣)، «أَعَدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ»: بالذات ولغيرهم بالتبع، كما قال: «أَعَدَّ الْقَصْرَ لِلسُّلْطَانِ، وَدَلَّتْ عَلَى أَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ»، «الَّذِينَ يُفْقُونَ فِي حَالِ السَّرَّاءِ»: اليسر، «وَالصَّرَّاءِ»: العسر، «وَالكُظْمِينَ الْغَيْظَ»: الممسكين عليه من كظمت القربة إذا ملأتها وسددت رأسها، وفي الحديث: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى إِنْفَاذِهِ مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ أَمْنًا وَإِيمَانًا»^(٤) الكافين عن إمضاءه مع القدرة، «وَالْعَافِينَ»: التاركين العقوبة، «عَنِ النَّاسِ»: المستحق عليهم، «وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ»: أي: يحبهم، «وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً»: قبيحة بالغة في القبح، «أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ»: بما دونها، «ذَكَرُوا اللَّهَ»: أي: وعيده، «فَأَسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ»: أي: لا، «يَعْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا»: في الحديث: «مَا أَصَرَ مَنْ اسْتَغْفَرَ وَإِنْ عَادَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً»^(٥)، «وَهُمْ يَعْلَمُونَ»: أنها معصية، «أُولَئِكَ»: جزاء الذين، «جَرَّأَهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ»: المغفرة والجنات، أفاد بتنكير جنات: أن ما لهم أذونٌ مما للمتقين، كما أفاده بوصفهم بالإحسان، ووصف هؤلاء بالعمل، «قَدْ خَلَتْ»: مَضَتْ «مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ»: وقائع سنَّها الله تعالى في الأمم الماضية، «فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ»: حقيقة لتعتبروا بآثار هلاكهم أو مجاز عن إجماله الخاطِر، «فَانظُرُوا»: لها بالعين أو بالبصيرة، «كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ»: واعتبروا،

= (٢/٥٤٤/٢١٢)، وابن منده في الإيمان (١/٢٨٤/١٣٦)، وابن حبان (١٠/٤١٧).

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢١٢٦) وسنده ضعيف.

(٢) قال الله تعالى: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» رواه

أحمد (٢/٤٦٦)، والبخاري (٦/٣٢٤٤)، ومسلم (٤/٢٨٢٤)، والترمذي (٥/٣١٩٧)

(٣) تفسير ابن كثير (١/١٠٢).

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب (١٢/١٩)، وبنحوه أبو داود في سننه (٤٧٧٨)، والطبراني في الأوسط

(٦٠٢٣) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٨٢٣)، والضعيفة.

(٥) أخرجه أبو داود في سننه (٢/١٥١٤)، والترمذي (٥/٣٥٥٩)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع

(٥٠٠٤) والمشكاة (٢٣٤٠)، وضعيف أبي داود (٢٦٧)

﴿ هَذَا ﴾: الخلو المذكور ﴿ بَيِّنٌ لِلنَّاسِ ﴾: عامة، ﴿ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ وَلَا تَهِنُوا ﴾: لا تضعفوا عن الحرب، ﴿ وَلَا تَحْزَنُوا ﴾: على مغلوبيتكم في أحدٍ ﴿ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ ﴾: الغالبون في الدارين، ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾: فإن الإيمان يقتضي الشجاعة بالوثوق بالله، ﴿ إِنْ يَمَسُّكُمْ فَرَحٌ ﴾: يوم أحد، وهو بالفتح جرح، وبالضم ألم^(١)، ﴿ فَقَدَمَسَ الْقَوْمَ ﴾: المشركين، ﴿ فَفَرَّحَ مِثْلَهُ ﴾: في بدر وهم لم يجنبوا، فإنهم أحق به، ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ ﴾: أيام الدنيا، ﴿ نُدَّاءُ لَهَا ﴾: نصرها في تحقيق الحجة وتشديدها لا لأنه - تعالى - لا ينصره وإنما لم يكن أبداً للمؤمنين؛ لأنه أدعى إلى احتقار الدنيا، ﴿ بَيِّنٌ لِلنَّاسِ ﴾: مرّة لهؤلاء ومرّة لهؤلاء لمصالح لا تحصى، ﴿ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ ﴾: علم ظهور، أو القصد في أمثاله ونقائضه إثبات معلومه ونفيه بطريق البرهان، ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذُ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ﴾: أي: ليلزمكم بالشهادة في سبيله، ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾: فتغليبهم ليس لمحبتهم بل لامتحانهم، ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ﴾: ليخلص ويصفي، ﴿ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾: من الذنوب بمغلوبيتهم، ﴿ وَيَمْحَقَ ﴾: يهلك، ﴿ الْكٰفِرِينَ ﴾: بغالبيتهم، فإنهم إذا ظفروا بغوا، وهو سبب هلاكهم، والمحقق: النقص قليلاً قليلاً، ﴿ أَمْرٌ ﴾ بل ﴿ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ ﴾: علم ظهور، ﴿ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ ﴾: أي: ولم يجاهدوا، ﴿ وَيَعْلَمَ ﴾: نُصِبَ بواو الصرف عن العطف، ﴿ الصَّابِرِينَ ﴾: على القتال، أي: لا تدخلونها، والحال أنكم لم تجاهدوا ولم تصبروا، ﴿ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ ﴾: الشهادة، ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْفَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ نَظُرُونَ ﴾: ذلك حين قتل إخوانكم، فأنتم تمنيتم غلبة الكفار بتمني الشهادة لما شاع يوم أحد أن محمداً قتل وقال المنافقون للمؤمنين: الحقوا بدينكم الأول، نزلت^(٢): ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ ﴾: مضت، ﴿ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾: بالقتل أو الموت، ﴿ أَفَأَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَنْفَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ﴾: إلى دين آبائكم.

(١) قرأها حمزة والكسائي وعاصم وخلف والأعمش وشعبة بضم القاف. - إتحاف فضلاء البشر (١٧٩)،

البحر المحيط (٦٢/٣)، السبعة (٢١٦)، معاني القرآن للفراء (١/٢٣٤)، قال السمين: قرئ بفتح القاف وضمها، فقييل: المفتوح مصدر، والمضموم ألم الجراحات، وقال آخرون: المفتوح الأثر من الجراحة من شيء يصبه من خارج والمضموم أثرها من داخل كالبثرة. * عمدة الحفاظ (٢٩٢/٣).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٧٤/٤، ٧٥) بإسناد ضعيف جداً.

واعلم أن القتل إزالة الروح عن الجسد كالموت، لكن إذا اعتبر بفعل متولي ذلك، يقال: قتل أو بفوت الحياة، يقال: مات، ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾: بل يضر نفسه، ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾: على نعمة الإسلام، ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: فلا أثر للجبن والشجاعة فقد كتب ذلك، ﴿كَذَبْنَا مُؤَجَّلًا﴾: مؤقتًا، ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾: بعمله، ﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾: إن أردنا، وفيه تعريض لمن سبقتهم الغنائم يوم أحد، ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ﴾: كمن ثبت وحارب، ﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾: من ثوابها، ﴿وَسَيَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾: نعمة الله، ﴿وَكَايُنْ﴾: كم، ﴿مَنْ نَبِيٍّ قَتَلَ مَعْمُورِيَّوْنَ﴾: ربايون كما مر، أو عابدون لربهم جماعات منسوب إلى ربه أي: الجماعة، ﴿كَبِيرٌ فَمَا وَهَنُوا﴾ افتروا خوفًا ﴿لَمَّا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: من قتلهم أو قتل نبيهم، ﴿وَمَا ضَعُفُوا﴾: عن العدو، ﴿وَمَا اسْتَكَاثُوا﴾: ما خضعوا للعدو، والاستكاثنة الخضوع عن ذل، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ: مع ثبوتهم، ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا آعِفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَكُنْتِ أَقْدَامَنَا﴾: في الحروب، ﴿وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ فَكَانَتْ لَهُمْ ثَوَابُ الدُّنْيَا: بالنصر والغنيمة، ﴿وَحُسْنِ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا: إذ قالوا يوم أحد: ارجعوا إلى دين آبائكم، ﴿يُرْدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾: إلى الشرك، ﴿فَتَنَقَّلُوا خَسِرِينَ﴾: في الدارين، ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾: ناصركم، ﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾: فلا تستنصروا من غيره، ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾: حين أرادوا في رجوعهم من أحد إلى مكة الكَرَّ إلى المسلمين لاستئصالهم والسين للتأكيد لنزولها بعده، ﴿بِمَا أَشْرَكُوا﴾: بسبب إشراكهم، ﴿يَا اللَّهُ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ﴾: أي: بإشراكه، ﴿سُلْطَنًا﴾: حُجَّةً، المُراد: عدمه، مثل: لا تُفزع الأرنب أهوالها^(١). ﴿وَمَا وَهُمْ النَّكَارُ وَيَسَّ مَتَوَى الظَّالِمِينَ﴾: أي: مثواهم،

(١) كذا - وقد اكتفى بصدر البيت، مع أن الشاهد في عجزه الذي لم يذكره، وهو:

* ولا ترى الضب بها ينحجر *

والبيت من السريع، وهو لابن أحمر، والشاهد فيه: النفي المطلق لوجود شيء فيها.
ديوان ابن أحمر (٦٧)، أمالي المرتضى (١/٢٢٩)، خزنة الأدب (١٠/١٩٢) و (١١/٣١٣)،
الخصائص (٣/١٦٥، ٣٢١)، الكشاف للزمخشري (١/٤٢٦).

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾: بالنصر بشرط الصَّبْرِ والتَّقْوَى ﴿إِذْ تَحْسُونَهُمْ﴾: تقتلونهم فإنهم قتلوا اثنين وعشرين من الكفار أول الأمر من أحسَّهُ أي: أبطل حسه، ﴿بِإِذْنِهِ﴾: بأمره، ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾: جبنتم، ﴿وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾: حين اختلف الرماة في ترك المركز للغنيمة بعد انهزام المشركين، ﴿وَعَصَيْتُمْ﴾: الرسول بترك المركز ﴿وَمِن بَعْدِ مَا أَرْنَكُمُ﴾ الله ﴿مَا تَحْبُبُونَ﴾: من الغنيمة، وجواب إذ مقدر أي: منعكم نصره، ﴿مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ اللَّذِيكَا﴾: كتارك المركز للغنيمة، ﴿وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾: كمن ثبت فيه، وقاتل، ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمُ﴾: رَدَّكُمْ، ﴿عَنَّهُمْ﴾: بالهزيمة، ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾: ليمتحن ثباتكم، ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾: مخالفة الرسول في ترك المركز ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ واذكروا ﴿إِذْ تَصْعَدُونَ﴾: تبعدون في الهزيمة، ﴿وَلَا تَكُونُوا﴾: لا تنتظرون من لوى، إذا كَرَّ عطف، ﴿عَلَىٰ أَحَدٍ﴾: لأحد منكم، ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَانِكُمْ﴾: جماعتكم المتأخرين، يقول: ﴿إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ﴾^(١) فأنا رسول الله، مَن مَكَثَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، ﴿فَأَثْبِكُمُ﴾: جازاكم الله على قراركم، ﴿عَمَّا﴾: بما نيل منكم، متصلاً ﴿بِعَمْرٍ﴾ هو إفشاء قتل محمد ﷺ، أو بسبب غم أذقتموه عليه الصلاة والسلام بمخالفتكم له، لتعودوا على الصبر في الشدائد، وإليه أشار بقوله: ﴿لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾: من نحو الغنيمة ﴿وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾: من نحو القتل، وحاصله التحريض على الصبر، ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ ﴿بَعْدَ ارْتِحَالِ الْكُفَّارِ﴾: أَمْنَةً: أَمْنًا، ﴿نُعَاسًا﴾: بدل اشتمال منها، إذ نعس عليه الصلاة والسلام مع المؤمنين حينئذٍ، رُوِيَ أَنَّ النعاسَ فِي الصَّلَاةِ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَفِي الْقِتَالِ [أَمْنَةً] مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، قَالَه ابْنُ مَسْعُودٍ^(٢)، ﴿يَعْتَشَى﴾: النعاسُ ﴿طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ﴾: هم المؤمنون، ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾: هم المنافقون، ﴿يَطْمَنُونَ بِاللَّهِ عَيْرَ﴾: الظن، ﴿الْحَقِّ ظَنَّ﴾: أهل، ﴿الْجَاهِلِيَّةِ﴾: وهم أنهم ﴿يَقُولُونَ﴾ إنكاراً: ﴿هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ﴾: مما أمر الله ووعد من النصر ﴿مِنَ

(١) رواه أحمد (٣/٣٧٦)، والطبري في تفسيره (٧/٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/١٣٠) سورة الأنفال.

شَيْءٍ ﴿: نصيب، ﴿قُلْ﴾: يا محمد، ﴿إِنَّ الْأَمْرَ﴾: النصره الحقيقية، ﴿كَلِمَةُ اللَّهِ يُخْفُونَ فِي﴾
 أَنفُسِهِمْ ﴿: من النفاق، ﴿مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ﴾: في خلواتهم، ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ﴾
 شَيْءٌ ﴿: كما زعم محمد أن الله ينصر أوليائه ﴿مَا قَاتَلْنَا﴾: ما قُتِلَ مِنَّا، ﴿هَدَهْنَا قُلُوبُنَا فِي﴾
 بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ﴿: لخرج، ﴿الَّذِينَ كُتِبَ﴾: قدر، ﴿عَلَيْهِمْ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾: مصارعهم
 بلا اختيارهم، فبرزوا لنفاذ قضاء الله بفعله ذلك، ﴿وَلِيَبْتَلِيَ﴾: ليمتحان، ﴿اللَّهُ مَا فِي﴾
 صُدُورِكُمْ ﴿: سرائركم، ﴿وَلِيَمِخَّصَ﴾: يكشف ويميز، ﴿مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾
 بِذَاتِ ﴿: بما في ﴿الْصُّدُورِ﴾: وإنما يتبلي ليظهر للناس، ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَفَىٰ﴾
 الْجَمْعَانَ ﴿: في أحد، ﴿إِنَّمَا أَسْرَلْتَهُمْ﴾: حملهم على الزلّة^(١)، ﴿الْشَّيْطَانُ بَعْضُ﴾
 بِشُؤْمٍ بَعْضٍ، ﴿مَا كَسَبُوا﴾: من الذنوب، كترك المركز، ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ﴾: ذلك، ﴿عَنْهُمْ﴾
 إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿: لا يعاجل بالعقوبة، ﴿يَتْلُوهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّكِفُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا﴾
 لِإِخْوَانِهِمْ ﴿: لأجل أصحابهم، ﴿إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾: سافروا لغرض فماتوا سفرا،
 ﴿أَوْ كَانُوا غُرَىٰ﴾: فقتلوا، جمع غاز، ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قَاتَلُوا﴾: لا تقولوا ذلك،
 وقد مضى بيان الموت والقتل أيضا، ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ﴾: القول، ﴿حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾:
 خاصة دون قلوبكم، ﴿وَاللَّهُ يُمْحِي وَيُمِيتُ﴾: لا الإقامة والسفر ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: من
 موافقتهم ﴿بَصِيرٌ﴾ ﴿وَلَكِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ﴾: في سبيله، ﴿لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ﴾
 حَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿: مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا، ﴿وَلَكِنْ مِتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لِإِلَىٰ اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾: لا إلى غيره
 فيجازيكم، ﴿فِيمَا رَحِمْتُمْ﴾: فاصلة للتأكيد، أي: بسبب رحمة عظيمة، ﴿مِنَ اللَّهِ لَئِنْ﴾
 سَهَلْتُمْ أَخْلَاقَكُمْ، ﴿لَهُمْ وَلَوْ كُنْتُمْ قَطًّا﴾: سيء الخلق، ﴿غَلِيظٌ﴾: قاسي، ﴿الْقَلْبِ﴾
 لَا تَنْفَضُوا ﴿: لتفرقوا، ﴿مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾: فيما لك عفو، ﴿وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾: فيما لله،
 ﴿وَسَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾: الذي ليس فيه وحي ممَّا يصحُّ أن يشاور فيه ليصير سنة،
 ولتطيب قلوبهم، ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾: عليه بعد الشورى، ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾: فيه، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ﴾
 الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿: فينصركم، ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ﴾: كما في أحد، ﴿فَمَنْ

ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ. ﴿١﴾ بعد خذلانه، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿وَمَا كَانَ﴾: ما صح، ﴿لِنَبِيِّ أَنْ يُغَلَّ﴾: يخون، ومجهولاً^(١): أي: ينسب إلى الخيانة أو يخان، ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ﴾: حاملاً له على عنقه، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى﴾^(٢) أي: عن أموالكم وأولادكم ومعبودكم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ﴾: جزاء، ﴿مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: في العقاب، ﴿أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَنَا﴾: بطاعته، ﴿كَمَنْ بَاءَ﴾: رجع، ﴿وَسَخَطِ مِنَ اللَّهِ﴾: بمخالفته، ﴿وَمَا أُوْنَهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾: هي، والفرق بينه وبين المرجع أنه يجب أن يخالف الحال الأولى دون المرجع، ﴿هُمَّ﴾: من اتبع، ﴿دَرَجَاتٍ﴾ أي: ذُوراً درجات، ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾: فيجازيهم به، ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ﴾: جنس، ﴿أَنْفُسِهِمْ﴾: لا ملكاً^(٣)، ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾: القرآن، ﴿وَيُرَكِّبُهُمْ﴾: يطهرهم من دنس الشرك، ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾: القرآن، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: السنة، ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ﴾: قبل نبوته ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾: ظاهر ﴿أَمْ﴾: فعلتُم كذا، ﴿وَلَمَّا أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ﴾: يوم أحد بقتل سبعين، والحال أنكم، ﴿قَدْ أَصَابَكُمْ﴾: نلتُم، ﴿مَثَلِيهَا﴾: يوم بدر بقتل سبعين وأُسْر سبعين^(٤) وجواب لما، ﴿قُلْتُمْ أَنِّي﴾: كيف أصابنا، ﴿هَذَا﴾: الكسر، وقد وعدنا بالنصر، ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾: بترك المركز وأخذ الفداء، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: ومنه النصر والكسر، ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّنْقِ الْجَمْعَانِ﴾: المسلمون والمشركون في أحد، ﴿فِي إِذْنِ اللَّهِ﴾: بقبضائه، ﴿وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: عطف على بإذن ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾: علم ظهور^(٥) ﴿وَالَّذِينَ﴾: قيل لهم: وهم ابن أبي وصحبه حين انصرفوا

(١) قرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وابن مسعود والحسن: (يُغَلَّ) بضم الياء وفتح الغين المعجمة وتشديد اللام.

* إتحاف فضلاء البشر (١٨١) السبعة (٢١٨)، غيث النفع (١٨٥)، الكشاف (١/٢٢٧).

(٢) سورة الأنعام.

(٣) بفتح الميم واللام.

(٤) الوسيط (١/٥١٧)، معالم التنزيل (١/٤٤٣)، فتح القدير (١/٣٩٧).

(٥) أي: ليظهر إيمان المؤمنين بثبوتهم على ما نالهم ويظهر نفاق المنافقين بفشلهم وقلة صبرهم على ما

في طريق أحد^(١)، ﴿تَعَالَوْا قَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ أَدْعُوا﴾: العدو بتكثير السواد ﴿قَالُوا﴾: استهزاء: ﴿لَوْ نَعَلُمْ﴾: نُحْسِنُ، ﴿قِتَالًا لَا تَبْعَنَكُمْ﴾ إلى التهلكة ﴿هُمْ لِلْكَفْرِ﴾: أي: إليه، ﴿يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيْمَانِ﴾: أي: إليه يعني قربهم إلى الكفر يومئذ يزيد على قربهم من الإيمان، ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾: من كلمة الإيمان، وكلمة: ﴿لَوْ نَعَلُمْ﴾ إلى آخره، والإضافة للتأكيد أو للتصوير؛ إذ القول قد يكون نفسيًا، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾: هم، ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾: لأجل أصحابهم المقتولين في أحد، ﴿وَ﴾: قد ﴿فَعَدُوا﴾ عن الحرب: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾: في الانصراف، ﴿مَا قُتِلُوا قُلٌّ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: أنكم تقدرين على دفع القتل المقدر، أفهم أن القتل والموت شيان، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا﴾: بيدر وأحد، ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ﴾: هم، ﴿أَحْيَاءُ﴾ حياة روحانية عند الأكثر^(٢) ومع بقاء الجسد عند بعض، وقالت المعتزلة: المراد حياة القيامة، وصيغة الحال لتحققها ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: ذُوو قُرْبَةٍ مِنْهُ وَمَضَى بِيَانِهِ فِي الْبَقْرَةِ، ولما أراد معاوية [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] إجراء العين عند قبور شهداء أحد، أخرجهم أهلهم من قبورهم، وكانوا رطابًا، فأصابَت الْمَسْحَاةُ^(٣) أَصْبَعًا وَاحِدًا مِنْهُمْ فَانْقَطَرَتْ دَمًا، ﴿بُرُزْقُونَ﴾: في دار الكرامة، ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾: ذَلَّ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ غَيْرَ هَذَا الْهَيْكَلِ بَلْ هُوَ جَوْهَرٌ مَدْرُكٌ مَلْتَمِذٌ مُتَأَمِّلٌ بِذَاتِهِ، وَفِي الْحَدِيثِ: «أَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضِرَ تَرْدُ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ وَتَأْكُلُ مِنْ ثَمَارِهَا وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلٍ مَعْلُوقَةٍ إِلَى ظِلِّ الْعَرْشِ»^(٤)، أي: أرواحهم على نفوسهم التي بها تُدْرِكُ وَتُمَيِّزُ، تحلُّ في أبدانها، فتتعم في الجنة، أو تمثل طيورًا خضر والمراد أنها تكتسب زيادة كمال، وهذا يلائم القناديل المذكورة، وسموا شهداء؛ لِحُضُورِ أَرْوَاحِهِمُ الْآنَ بِدَارِ السَّلَامِ، وَأَمَّا

= ينزل بهم. * الوسيط (١/٥١٨).

(١) تفسير الطبري (٧/٣٧٨، ٣٧٩)، الدر المنثور (٢/٩٤).

(٢) الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله أرواحهم في أجواف طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت رواه مسلم في صحيحه (٢/١٥٠)، والترمذي في جامعه (٤/٢٩٨) وعبد الرزاق (٥/٢٦٣).

(٣) هي المجرفة التي يحفر بها ويسوى بها التراب وهي المعروفة الآن بالكوريك.

(٤) انظر: الحديث السابق.

أرواح غيرهم وإنما يحضرون القيامة، أو لأن الله تعالى شهد لهم^(١) حضور بالجنة، وقد مرَّ البحث في البقرة روي أنه يؤتى الشهيد بكتاب فيه: يقدم عليك فلان يوم كذا وفلان يوم كذا فيستبشر به قاله السدي، ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ﴾: يسرون بالشهادة، ﴿يَالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾: زماناً أو رتبة ﴿أَمْ﴾ أن، ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: أي، ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾: بعدم الخوف والحزن على من خلفهم، ﴿بِنِعْمَةِ﴾: ثواب، ﴿مِنَ اللَّهِ وَفَضْلِ﴾: زيادة عليه، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴿: بخروجهم إلى حمراء الأسد^(٢) لما سمعوا كَرَّ الكُفَّارِ إليهم بعد رجوعهم من أحد لاستئصالهم، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾: الجرح في أحد، ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ﴾: بطاعة الرسول، ﴿وَأَتَّقُوا﴾: مخالفته، ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ ﴿: رسول المشركين نعيم بن مسعود^(٣) مع أتباعه من المنافقين، ﴿إِنَّ النَّاسَ﴾: المشركين^(٤)، ﴿قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾: بخروجهم من مكة إليكم، ﴿فَأَخْشَوْهُمْ فَرَادَهُمْ﴾: هذا القول، ﴿لِيَمْنَنَا﴾ بثبوت توبتهم ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا﴾: محسبنا أي: كافينا، ﴿اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾: هو، ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾: الأجر وسلامة البدن، ﴿وَفَضْلٍ﴾: ربح، أي: من تجارة كسوق بدر، ﴿لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ﴾: كجرح، ﴿وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾: بطاعة رسوله، ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾: على مطيعيه، ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ﴾: القائل، أي: نعيم، ﴿الشَّيْطَانُ مَخَوفٌ﴾: أي: يخيفكم من، ﴿أَوْلِيَاءَهُ﴾: من قعد عن الخروج مع الرسول، أو يخوفكم أولياء وهم أبو سفيان^(٥) وصحبه، ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُواكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ وَلَا يَحْزَنُكَ ﴿: المنافقون، ﴿الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي﴾ نُصْرَةِ ﴿الْكَافِرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَصُرُوا اللَّهَ﴾ دِينَهُ ﴿شَيْئاً﴾: من الضرر، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطَاءً فِي الْآخِرَةِ﴾: من الثواب، ﴿وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ

(١) في (ن): بهم.

(٢) المغازي (٣/٤٥، ٤٧)، جامع البيان (٤/١١٩)، دلائل النبوة - للبيهقي (٣/٣١٥، ٣١٧).

وحمراء الأسد: موضع على ثمانية أميال من المدينة عن يسار الطريق إذا أردت ذا الحليفة.

(٣) قبل أن يسلم - زاد المسير - لابن الجوزي (١/٥٠٤، ٥٠٥)، غرر التبيان - لابن جماعة (٢٣٢).

(٤) الوسيط (١/٥٢٣).

(٥) أسلم - ﷺ - يوم الفتح، وحسن إسلامه.

بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوهُ اللَّهُ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾: تعميم للكفرة بعد تخصيص المنافقين،
 ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُطَمِّئُ لَهُمْ﴾: بدل من المفعول الأول واقتصر على مفعول
 واحد؛ لأن التعميل على البدل، وهو ينوب عن المفعولين والإملاء: الإمهال وإطالة
 العمر، ﴿خَيْرٌ لِّأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّئُ لَهُمْ﴾: نُمَلِّهِمْ، ﴿لِيَزِدَّادُوا إِسْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ﴿مَا كَانَ
 اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾: يا معشر المؤمنين والمنافقين من الالتباس
 والاختلاط، ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَيْبَةَ﴾: المنافق، ﴿مِنَ الطَّيِّبِ﴾: المؤمن المخلص بالوحي أو
 التكليف، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾: فتعرفوا الفريقين لما فيه من رفع المحنة،
 ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِيٰ مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾: فيخبره ببعضه ﴿فَقَامُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾: مخلصين،
 ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا وَتَنَقَّوْا﴾: المعاصي، ﴿فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾: بخل، ﴿الَّذِينَ
 يَبْخُلُونَ بِمَاءِ أَنفُسِهِمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ﴾: بخلهم، ﴿خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ سَرُّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا
 بِهِ﴾: ولم يؤدوا زكاته ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: فيجعل ماله حية يطوق في عنقه وينهشه من
 فرقه إلى قدمه^(١)، ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: حين يفني جميع الملاك، ﴿وَاللَّهُ بِمَا
 تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: فيجازيكم، ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا﴾ لأبي بكر حين بلغهم أمر
 الرسول بأن يقرضوا الله قرضًا حسنًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَعِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾: فيقرض متاعه - قاله
 فنحاص بن عازوراء وقومه^(٢)، ﴿سَتَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾: في صحائف الكتبة، أو مجاز^(٣)
 عن عدم النسيان، ﴿وَقَتَّلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ﴾: عندهم، فإن رضاهم بفعل آباءهم
 كفعلهم كما مر، ﴿وَنَقُولُ﴾: لهم، ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾: المحرق مُبالغة كما مر
 في أليم، والدُّوق: إدراك الطُّعوم، وأُطلق اتساعًا على إدراك سائر المحسوسات
 والحالات، ﴿ذَلِكَ﴾: العذاب، ﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ﴾: مجاز عن الأنفس، لأن أكثر

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/٢٤٤)، والترمذي في جامعه (٥٠٠٠)، وأحمد (١/٣٧٧)، والنسائي (١١/٥).

(٢) تفسير الطبري (٤/١٢٩)، الدر المنثور (٢/٣٩٦).

(٣) لا مجال له هنا - والله المستعان.

أعمالها بهم^(١)، ﴿وَأَنَّ﴾: بأن، ﴿اللَّهُ لَيْسَ بِظَلَّامٍ﴾: بكثيره لقوله، ﴿لَلْعَبِيدِ﴾: توزيعاً، فالمبالغة في الكم، ولذا قال: عالم الغيب، وعلام الغيوب، ومحلقيين رؤوسكم، أو لأن أدنى ظلم من العظيم، فالمبالغة في الكيف، أو لأن صفاته تعالى في الرتبة العليا، ودل بالعطف على أن سببته مقيدة بانضمامه إليه، إذ لولاه لأمكن أن يُعذبهم بلا ذنب، لا أن لا يعذبهم بذنوبهم، إذ ترك عذاب المسيء ليس بظلم شرعاً ولا عقلاً، حتى ينتهض سبباً للتعذيب، وليس في القرآن نص على أن الإحسان مع المسيء في القيامة من الله ظلم كما قاله بعض، وكون العدل يقتضي إثابة المحسن، ومعاقبة المسيء لا يستلزمه لأن الإحسان مع المسيء تفضل، وهو فوق العدل، وأنه أفاد أن التخصيص بالذكر لا يدل على نفي ما عداه، ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا﴾: أوصانا، ﴿أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾: أي: من تصدق من أمته بصدقة متقبلة تنزل نار من السماء فتأكلها، أي: تحيله إلى طبعها بالإحتراق، ﴿قُلْ﴾: يا محمد إلزاماً لهم: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بالمعجزات الظاهرات، ﴿وَالَّذِي قُلْتُمْ﴾: من النار، ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: في اتباع من جاء بها، ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾: فليس ببدع، ﴿فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءَ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ من المعجزات ﴿وَالزُّبُرِ﴾: جمع زبور هو: ما نزل عليهم باعتبار جمعه للشرائع والأحكام، ﴿الْمُنِيرِ﴾: المضيء، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ﴾: تعطون تامة، ﴿أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحِرَ﴾ بعد ﴿عَنِ النَّارِ وَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾: ظفر ببغيته، أفهم إمكان الدخول في غيرها، كالأعراف، ﴿وَمَا الْحَيَوةُ﴾ العيش في ﴿الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْغُرُورِ﴾: الغرور تحتمل الأفراد والجمع، متاعٌ يُدلسُ به على المُستَمام^(٢) فيغتر ويشتره، وهذا الغير أهل الآخرة، إذ هي لهم ﴿مَتَاعٌ﴾ بلاغ، أي: كفاية، والله ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾: لتختبرن، ﴿فِي أَمْوَالِكُمْ﴾: بالإنفاق، ﴿وَأَنفُسِكُمْ﴾: بالأمراض والحقوق، ﴿وَلتَسْمَعُنَّ مِّن

(١) يعني: بالأيدي.

(٢) الذي يُسَاوِمُ فِي السَّلْعَةِ.

الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَى كَثِيرًا ﴿١﴾: من الهجاء وغيره، ﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا﴾: عليه ﴿وَتَتَّقُوا﴾: الله، ﴿فَإِنَّ ذَلِكَ﴾ كُلاًّ منهما ﴿مِنْ عَذَابٍ﴾: أي: معزومات، ﴿الْأُمُورِ﴾: أي: واجباتها ومقطوعاتها، وأصله ثبات الرأي على الشيء نحو إمضائه، ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ من العلماء بلسان أنبيائهم، والله، ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ﴾: أي: كل الكتاب ^(١) الآن، ﴿لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾: في الاستقبال، ﴿فَتَبَدُّوهُ﴾: الميثاق، ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ أي: ما التفتوا إليه، ﴿وَأَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: من حطام الدنيا، ﴿فَيْتَسَّ مَا يَشْتَرُونَ﴾ أي: يختارون لأنفسهم، ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا﴾: فعلوا، كتدليس اليهود في أحكام التوراة، ﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾: من نحو إظهار الحق، ﴿فَلَا تَحْسَبْتَهُمْ﴾: تأكيد، ﴿بِمَفَازَةٍ﴾: بمنجاة، أي: فائزين بنجاة، ﴿مِنْ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: عن ابن عباس: أنه مخصوص باليهود ^(٢)، أي: في فعلهم المذكور، ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: وعجائبهما، أي: كما مر، ﴿وَأَخْتِلَافِ الْآيَاتِ وَالنَّهَارِ﴾: طولاً وقصرًا، وتخصيص الليلية لشمولها أنواع التغير، أي: في الذات كالليل والنهار، وفي الجزء كصور العناصر، وفي الخارج كأوضاع الفلك، وهو الجزء الخارج، وهو مناط الاستدلال ^(٣)، ﴿لَا يَتَّبِعُ﴾: دلائل، ﴿لَا أُولَى الْأَلْبَابِ﴾: على وجوده ووحدته، وعلمه وقدرته تعالى في الحديث: «ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها» ^(٤)، ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ﴾: يُصَلُّونَ، ﴿قِيَمًا﴾: قائمين، ﴿وَقُعُودًا﴾: قاعدين إن لم يقدرُوا، ﴿وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾: إن لم يقدرُوا قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا، المراد ذكره دائمًا، ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ

(١) يعني حالاً؛ لأن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز.

(٢) رواه الحاكم في المستدرک (٢/ ٢٩٩) وصححه.

(٣) أنوار التنزيل - للبيضاوي (٩٩) بهامش المصحف.

(٤) في الحديث: فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله! لم تبكي وقد غفر الله لك ما

تقدم وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً! لقد نزلت علي الليلة آية، ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية كلها. رواه ابن حبان في صحيحه (٢/ ٣٨٦، ٣٨٧/ ٦٢٠) (٧)

كتاب الرقائق، (٢) باب التوبة - وسنده صحيح.

فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ: مستدلين قائلين: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا﴾: عبثًا، بل لحكم^(١)، ﴿سُبْحَانَكَ﴾: تنزيهًا لك من العبث، ﴿فَقِنَا﴾: أشار بالفاء إلى أن علمنا به حملنا على الاستعادة، ﴿عَذَابَ النَّارِ﴾ ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلُ النَّارَ﴾: للخلود، ﴿فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ﴾: أهنته غاية، وأما إدخال المؤمن فلتطهير، وأفهم أن العذاب الروحاني أضعف، والخزبي: لحوق انكسار إما من نفسك، وهو الحياء المفرط، أو من غيرك وهو نوع من الاستحقاق والآية تحتملها، ولا يلزم منه ومن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾^(٢) ألا يدخل مؤمن في النار؛ لأنه من الخزاية، وهي النكال والفضيحة، وكل من يدخل النار يهان، ولا يلزم أن يعطف الذين على النبي ويمكن أن قوله: ﴿وَالَّذِينَ﴾ ابتداء كلام، ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾: يخلصونهم، ولا يلزم منه نفي الشفاعة كما للمعتزلة، لأنها طلب دفع على سبيل التخضع، والأول دفع بقهر ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾: محمدًا^(٣) أو القرآن^(٤)، ﴿يُنَادِي لِلإِيمَنِ أَنْ﴾ أي: بأن، ﴿ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾: وهو بمجرد الفضل، ﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾: وهو محوها بالحسنات أو الأول في الكبائر، والثاني في الصغائر، تكرار، ﴿وَتَوَقَّنَا﴾: محشورين، ﴿مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ ﴿رَبَّنَا وَءَاثِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى﴾: السنة، ﴿رُسُلِكَ﴾: من الفضل والدعاء بما هو كائن للتخضع، وهو استعجال للنصر الموعود، وهو غير مؤقت، ﴿وَلَا تُخْزِنَا﴾: تفضحنًا، ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ﴾ بإثابة المؤمن ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ﴾ استجاب: يعدى باللام وبنفسه ﴿رَبُّهُمْ أَنِّي﴾ باني ﴿لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾: الذكر من الأنثى وعكسه، لاتحادهما دينًا، فهما شيئان في الوعد، ثم فصل العمل بقوله: ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقُتِلُوا وَقُتِلُوا﴾: في الجهاد، ﴿لَا تُكْفِرَنَّ﴾: لأمحون، ﴿عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دُخِلَتْ لَهُمْ جَنَّتِ بَحْرِي

(١) جمع حكمة.

(٢) سورة التحريم.

(٣) من قول ابن عباس والأكثرين. * الوسيط (١/٥٣٤).

(٤) وهو قول محمد بن كعب القرظي. * الوسيط (١/٥٣٤).

من تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ ﴿١﴾: يثابون، ﴿تَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿٢﴾: على الطاعة، ﴿لَا يَغْرُبُكَ﴾ أيها السَّمَاعُ ﴿تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَدِ ﴿٣﴾: من تَبَسُّطِهِمْ فِي مَكَاسِبِهِمْ أَيُّهَا السَّمَاعُ، أي: لا تنظر إلى سعتهم يا محمد على عدم الاغترار، أي: لا تنظر إلى سعتهم، هو ﴿مَتَّعٌ قَلِيلٌ﴾: لقلته مدته، ﴿ثُمَّ مَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْأَهَادُ ﴿٤﴾: المقر هي، ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ هُمْ جَنَّتْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَمِنُ عِنْدَ اللَّهِ ﴿٥﴾: هو ما يُعَدُّ لِلنَّازِلِ قَبْلَ ضِيَاغَتِهِ فَكَيْفَ بِهَا، ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلَّازِرِينَ ﴿٦﴾: مما يتقلبون فيه، ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ ﴿٧﴾: القرآن، ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ ﴿٨﴾: ابن سلام وصحبه^(١)، أو النجاشي وصحبه^(٢)، ﴿خَشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَيْدَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴿٩﴾: مثل المحرفين منهم، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٠﴾: فيسرع في الجزاء الموعود، ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا ﴿١١﴾: على الطَّاعَةِ وَالشَّدَائِدِ، ﴿وَاصْبِرُوا ﴿١٢﴾: غالبوا أعداءه في الصبر على شدة الحرب، ﴿وَرَابِطُوا ﴿١٣﴾: أنفسكم على الطاعة في دوام الذكر، أو خيولكم وأبدانكم في الثغور، ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ ﴿١٤﴾: بالتبري عما سواه، ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿١٥﴾: بنيل المقامات الثلاث الشريفة، وهي الصبر على مشاق الطاعة، والطريقة، وهي مصابرة النفس في رفض العادات والحقيقة^(٣)، وهي مرابطة السير على جناب الحق لترصد الواردات.

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٤٦/٤) وسنده ضعيف جدا.

(٢) عن أنس - رضي الله عنه - قال: لما جاء نعي النجاشي؛ قال رسول الله ﷺ: «صلوا عليه»، قالوا: يا رسول الله! نصلى على عبد حبشي؟! فأنزله الله - عز وجل - ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ...﴾ الآية.
رواه النسائي في تفسيره (١٠٨/٣٥٦/١)، والطبراني في الأوسط (٥١٤٧/٢٢٣/٥)، والضياء في المختارة (٢٠٣٩/٦٣/٦)، والبزار (٨٣٢/٣٩٢/١) (والواحد في أسباب النزول (٩٣، ٩٤)، والوسيط (٥٣٦/١) وسنده صحيح.

(٣) هذا كلام الصوفية، ونحوه عن داود بن صالح قال: قال لي أبو سلمة بن عبد الرحمن: يا ابن أخي! هل تدري في أي شيء نزلت هذه الآية: ﴿أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ﴿١١﴾؟ قال: لا، قلت: يا ابن أخي! أنه لم يكن في زمان النبي ﷺ غزو يرباط فيه، ولكن انتظار الصلاة بعد الصلاة.
* رواه ابن المبارك في الزهد (٣٨٩/٣٦٣/١)، والطبري في تفسيره (١٤٨/٤)، والحاكم (٣٠١/٢)، والبيهقي في الشعب (٢٦٣٨/١٨٢/٦) وسنده ضعيف.

سورة النساء (١) مدنية (٢)

لَمَّا أَمَرْنَا بِالْتَّقْوَى لِنَسْلِكَ فِي سَلَكِ الْمَفْلُحِينَ، كَرَّرَ الْأَمْرَ بِهَا بِأَبْلَغِ الْوَجْهِ فَقَالَ، ﴿يَسِّرَ اللَّهُ الرِّعْمَانَ الرَّجِيمِ﴾ ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَقُوا رَبَّكُمْ﴾: أي: عقابه، ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ﴾: آدم، ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا﴾: من ضلع منه، ﴿زَوْجَهَا﴾: حواء، ﴿وَبَتَّ مِنْهَا رَجُلًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾: كثيرة، فيه تنبيه على أكثرتهم لحكمة ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ﴾: يتساءل بعضكم [بعضًا] (٣) بقضاء حوائجه به بقولكم: أسألك بالله وبالرحم ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾: لا تقطعوها، وبالجر (٤): أي: وبالإرحام بقولكم: أسألك بالله وبالرحم، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾: حافظًا مُطَّلِعًا، ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَى﴾: إذا بلغوا، ﴿أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا﴾: تستبدلوا، ﴿الْحَيْثُ﴾: الحرام من أموالهم لجودته، ﴿بِالطَّيِّبِ﴾: الحلال من أموالكم لردائه، ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ﴾: مُنْضَمَّةً، ﴿إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾: بلا تمييز بينهما، فالقيد للتشنيع، ﴿إِنَّهُ﴾: الأكل، ﴿كَانَ حُوبًا﴾: إثمًا، ﴿كَبِيرًا﴾: وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُفْسِدُوا﴾: تعدلوا، ﴿فِي الْيَتَامَى﴾: يتامي النساء إذا تزوجتم بهن، إذ كانوا يتزوجون كثيرهن لمالهن وجمالهن، ﴿فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ غيرهن أو طاب بمعنى أدرك، وبلغ، مِنْ: طابت الثمرة: أدركت، أي: فانكحوا البالغة وغيرهن، ونبه «بما» على قلة عقلهن مع إرادة الصفة، أي: انكحوا الطيبة، ﴿مَتَى﴾: ثنتين ثنتين، ﴿وَوَلَدَتْ﴾: ثلاثًا ثلاثًا، ﴿وَرُزِعَ﴾: أربعًا أربعًا، أي: انكحوا ما شئتم من هذا العدد المذكور متفقين ومختلفين فيه، ودل على معنى التسع؛ لأنه

(١) في هامش نسخة (د): سورة النساء مدنية وهي مائة وست وسبعون آية وعند البصريين خمس ثم

نزلت: إذا زلزلت. كلماتها (٣٧٤٥) وحروفها (١٦٠٣٠).

* وانظر: عدد سور القرآن - لأبي القاسم ابن عبد الكافي (٢١٣) وفيه (٣٧٤٥) كلمة، البصائر

(١/١٦٩)، القول الوجيز (١٨١)، البيان - للداني (١٤٦).

(٢) في هامش (ن): بلغ مُقَابِلَةً.

(٣) كذا- ويحتمل أن تكون العبارة أيضًا: يتساءل بعضكم بعضًا حوائجَهُ بِهِ.

(٤) الحجة- لابن خالويه (١١٨، ١١٩)، السبعة (٢٢٦)، النشر (٢/٢٤٧)، البحر المحيط (٣/١٥٧، ١٥٩).

حيثلذ: تُسَاع، نعم لو قال: ثنتين وثلاثا وأربعا؛ لكان جائزًا، ومثل ذلك ممنوع في القرآن؛ لأن العدول من عدد إلى أجزائه إما لغرض كاختلاف الحكم في: «ثلاثة أيام في الحج» إلى آخره، أو لنحو استدراك عن نسيان، وهو محال، ولو أتى بأو لذهب تجويز الاختلاف، ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْلُوا﴾: بين هذه الأربعة، ﴿فَوَاحِدَةً﴾: فاختاروا واحدة، ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: من السراري، فهم من تسويتيهما أن لا قسم معهن، ﴿ذَلِكَ﴾: الاختيار، ﴿أَذَقْ﴾ أقرب إلى ﴿أَلَّا تَعْلُوا﴾: تجوروا.

* **تنبية:** فسره الإمام الشافعي^(١) رضي الله تعالى عنه بأن لا تكثر عيالكم، وشنع عليه بعض الناقصين^(٢) بأنه اشتبه عليه تعيلوا^(٣) بتعولوا، ورد بأنه كنى بكثرة المؤمن عن كثرة العيال من يعول عياله أي: يموئهم، على أن التفسير مروى عن زيد بن أسلم التابعي، وعال بمعنى كثر عياله، منقول عن الكسائي والأصمعي وابن الأعرابي، ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ﴾ أيها الأزواج أو الأولياء ﴿صَدُقْتِهِنَّ﴾: مهورهن، ﴿نِحْلَةً﴾: إيتاء بطيب نفس، ﴿فَإِنْ طَبِنَ﴾: وهبن بطيب النفس، ﴿لَكُمْ﴾: متجاوزات، ﴿عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ﴾: من الصداق، ﴿فَسَا﴾: تمييز أي: وهبة عن طيب النفس وحثهن بمن على تقليل الموهوب، ﴿فَكُلُوهُ هِنَآءَ مَرِيَّتَا﴾: سائغًا بلا غصٍّ، مجازٌ عن حلال بلا تبعة لهما وما يلتذ^(٤) به وما يحمد عاقبته، ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ﴾: أي: الجاهلين بمواضع الحق يعني النساء والصبيان، ﴿أَمْوَالِكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾: تقومون وتنتعشون بها لئلا تنظروا إلى ما في أيديهم، ﴿وَأَرْزُقُوهُمْ﴾: اجعلوا لهم رزقًا، ﴿فِيهَا وَأَكْسُوهُمْ﴾: فيها، ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّرُوفًا﴾: بعدة جميلة، وهم اليتامي، والإضافة باعتبار التصرف، ورزقهم فيها بالتجارة، والمعروف عدتهم بتسليمها بعد الرشد، ﴿وَابْتَلُوا﴾: اختبروا، ﴿الَّذِينَ﴾: قبل البلوغ، ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾: أي: وقته، ﴿فَإِنِ عَانَسْتُمْ﴾: أبصرتهم بعد البلوغ، ﴿مِّنْهُمْ

(١) الكشاف (١/٤٦٨)، أنوار التنزيل (١٠٢).

(٢) كذا، وفي (ع)، و(س): وشنع عليه جهلة حمقى... إلخ.

(٣) قرأ طلحة: (تعيلوا) بفتح التاء المثناة الفوقية. * البحر المحيط (٣/١٦٥).

وقرأ طاووس: (تعيلوا) بضم التاء المثناة الفوقية. * البحر المحيط (٣/١٦٦).

(٤) في (ن): يستلذ.

رُشْدًا ﴿: أَدْنَىٰ صِلَاحِ دِينَا وَدُنْيَا، ﴿فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا﴾: تنفوها، ﴿إِسْرَافًا وَبِدَارًا﴾: مسرفين ومبادرين مخافة ﴿أَنْ يَكْبُرُوا﴾: فينزعوها عنكم ﴿وَمَنْ كَانَ﴾: من أوليائهم، ﴿غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾: من أكل ماله، ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾: أجرة مثل سعيه، ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾: بعد رشدهم ﴿فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ﴾: بقبضهم أمر إرشاد وظاهره: عدم تصديق القيم^(١) إلا بينة، ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَٰسِبًا﴾: محاسبًا، فاعدلوا، ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾: أي: المتوارثون بالقرابة، ﴿وَاللِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾: بدل مما ترك، وذكره تأكيدًا ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾: مقطوعا لهم فلا يسقط بإسقاطهم ﴿و﴾ سببه في قوله: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ الآية، ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾: قسمة الميراث، ﴿أُولُو الْقَرْبَىٰ﴾: ممن لا يرث، ﴿وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾: قبل القسمة، أمر ندب للبالغ، ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾: بلين لهم، ودعاء، ﴿وَلْيَخْشَ﴾: الأوصياء ﴿الَّذِينَ تَوَرَّكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ضَعْفًا حَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَسْتَقُوا اللَّهَ﴾: في اليتامى، فليفعلوا بهم ما يحبون أن يفعل بذرياتهم بعد موتهم، ﴿وَلْيَقُولُوا﴾: لليتامى، ﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾: صوابًا بشفقة ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾ ظالمين ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ﴾: ملؤها، ﴿نَارًا﴾: ما يجر إليها في البعث، ﴿وَسَيَصْلَوْنَ﴾: يدخلون، ﴿سَعِيرًا﴾: نارًا عظيمة، ﴿يُوصِيكُمُ﴾: يأمركم، ﴿اللَّهُ فِي﴾: ميراث، ﴿أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ﴾: منهم، ﴿مِثْلَ حَظِّ الْأُنثِيَّاتِ فَإِنْ كُنَّ﴾: المولودات، ﴿فِسَاءً﴾: خلصًا، ﴿فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾: وثنان كذلك خلافًا لابن عباس^(٢)، فهما عنده كينت؛ لأن الذكر مثل الأنثيين لو معه أنثى، وهو الثلثان، ولأنهما أمس رَحْمًا من الأختين ولهما الثلثان أو فوق صلة^(٣)، ﴿وَإِنْ كَانَتْ﴾: المولودة، ﴿وَّاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾: أفهم أن لابن منفرد كله؛ لأن للذكر مثل حظ الأنثيين، ﴿وَلِلأَبْوَيْهِ﴾: أي: المييت، ﴿لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ﴾: للميت، ﴿وَلَدٌ﴾: ولا يرد أن له مع البنت الثلث لأنها وردت في ذوي الفروض، ويأخذ

(١) القائم علي المال.

(٢) الوسيط (٢/١٩)، فتح القدير (١/٤٣١، ٤٣٢)، تفسير الخازن (١/٤٩٠).

(٣) زائدة.

الأب ما بقي من ذوي الفروض العصبية، ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ﴾: فقط، ﴿فَلِأُمَّهِ الْثُلُثُ﴾: والباقي للأب بالتعصيب لقوله: وورثه أبواه، ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾: أي: اثنين وفوقهما، ونقل الزجاج^(١) عن جميع أهل اللغة أنهما جماعة، وكذا عن سيبويه وشمولها للأختين فأكثر بالقياس والإجماع، أو من باب التغليب، ﴿فَلِأُمَّهِ السُّدُسُ﴾: والباقي للأب، فعند ابن عباس: للإخوة السدس الذين حجبوا عنه الأم، لأن المال كان لهما عند عدمهم وبعد وجودهم حجبها الله تعالى بهم^(٢)، وهذا يستلزم إرثهم، وحقته أن من لا يرث لا يحجب استقراء، وهذه الأنصباء ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾: قدمها على الدين بعد تقدمه في الأداء لندرتها أو الاغترابها هنا، ودل بأو على تساويهما في التقدم على القسمة، ﴿ءَابَاؤَكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمُ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾: فاتبعوا تخصيصي فإني أعلم به، يوصيكم الله وصية، ﴿فَرِيضَةٌ مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾: بالمصالح، ﴿حَكِيمًا﴾: فيما قضى ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ﴾: وكذا ولد ابن سفل، ﴿فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ﴾: للزوجات، ﴿الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ﴾: كما مر، ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾: ولا فرق بين واحدة وأكثر، ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ﴾: منه ﴿كَلَلَةً﴾: خبر كان، أي: بلا ولد ووالد، وأصلها: مصدر بمعنى الكلال، استعيرت لقراية غير بعضية أو في ذي كلاله، ﴿أَوْ﴾: كان، ﴿أَمْرًا وَلَهُ﴾: للرجل، ويعلم منه حكم المرأة، ﴿أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾: من الأم بالإجماع، وقد قرئ كذلك^(٣)، ﴿فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا﴾: الإخوة والأخوات، ﴿أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾: يسوي بين الذكر والأنثى، لإدلائهم بمحض الأنوثة، ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾: أيضًا ﴿غَيْرُ مُضَارٍّ وَصِيَّةٍ مِنَ اللَّهِ﴾: لورثته

(١) معاني القرآن (٢/١٨، ١٩).

(٢) الوسيط (٢/٢٠، ٢١)، تفسير ابن كثير (١/٤٥٦)، فتح القدير (١/٤٣٣).

(٣) قرأ أبي: (وله أخ أو أخت من الأم). * البحر المحيط (٣/١٩٠)، الكشاف (١/٢٥٥).

وقرأ سعد بن أبي وقاص: (وله أخ أو أخت من أم). * البحر المحيط (٣/١٩٠)، الكشاف (١/٢٥٥).

والموصي له بحرمان أو بنقص من حصته، وهذا قيد لكل ما مضى، ووصية مفعول مضار، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بالمضار، ﴿حَلِيمٌ﴾: لا يعاجل بعقوبته، ﴿تِلْكَ﴾: الأحكام، ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾: شرائعه، ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾﴾ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ: يتجاوز، ﴿حُدُودَهُ﴾: أفرد هنا وجمع قبل اللفظ والمعنى وإشارة إلى قلة العصاة اعتبارا وقدرًا ومعنى الخلود المكث الطويل كما مرّ والمعصية بجحد أحكامه فيها ﴿يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾: دلت الأحاديث الصحيحة على أن الحيف في الوصية يورث سوء العاقبة^(١)، ﴿وَأَلَّتِي يَأْتِيَنَّ﴾: يفعلن، ﴿الْفَحِشَةَ﴾: الزنا^(٢)، وعن مجاهد أنها في زنا السحاقات^(٣)، ﴿مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ﴾: بما فعلن، ﴿أَرْبَعَةً مِنْكُمْ﴾: من رجال المسلمين، ﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾: احبسوهن، ﴿فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَقَّهِنَّ الْمَوْتُ﴾: أي: ملائكته^(٤)، ﴿أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾: حدًا معينًا، ونسخ هذا على الأكثر^(٥) بقوله: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾، ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا﴾: يفعلان الفاحشة، ﴿وَمِنْكُمْ فَكَادُوا هُمَا﴾: بالشتم والتعير والضرب بالنعال، ونسخ هذا بالحدّ المعين، وعن مجاهد أنها في اللواط، و حكمها عند الشافعي: أن لا يرجم المفعول المحصن، بل يجلد ويغرب، ﴿فَإِنْ تَابَا﴾: منها، ﴿وَأَصْلَحَا﴾: العمل، ﴿فَاعْرِضْهُمَا لِي فَاغْلِبْهُمَا﴾: عن أذاهما ولا تعير وهما، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ

(١) الحيف في الوصية والظلم فيها حرام، للآية: ﴿غَيْرَ مُضَارٍّ﴾ (النساء/ ١١).

أما الحديث الذي يشير إليه المؤلف: «إن الرجل ليعمل أو المرأة بطاعة الله ستين سنة، ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار» قال الرواي: وقرأ علي أبو هريرة من هاهنا ﴿مَنْ بَعْدَ وَصِيَّتِهِ يُؤْصَى بِهَا أَوْ دِينٍ غَيْرَ مُضَارٍّ﴾ حتى بلغ ﴿وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

رواه ابن ماجه (٢٧٠٤)، والترمذي (٢٢٥٠) وسنده ضعيف.

(٢) الوسيط (٢/ ٢٥).

(٣) الكشاف (١/ ٤٨٨). والسحاقات، جمع سحاقة، وهي السحاقية التي تأتي النساء - والعياذ بالله.

(٤) يعني كما قال تعالى: ﴿تَوَقَّتْهُ رُسُلُنَا﴾.

(٥) بل بالسنة بقوله ﷺ: «خذوا عني خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلا، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم» رواه مسلم (٤٨/ ٢)، وأبو داود (٤٤١٥).

تَوَابًا رَحِيمًا ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ ﴾: ليس قبولها محتومًا، ﴿ عَلَى اللَّهِ ﴾: بمقتضى وعده إلا، ﴿ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ الشُّرُوءَ بِجَهَالَةٍ ﴾: ومن عصى عمدًا أو خطأ فهو: بجهالة بإجماع الصحابة، أي: هو مسلوب كمال العلم بسوء عاقبة عمله بسبب غلبة الهوى والشيطان، ﴿ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ ﴾: زمان، ﴿ قَرِيبٍ ﴾: قبل معاينة الموت، ﴿ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا ﴾: بنياتكم، ﴿ حَكِيمًا ﴾ في أفعاله، ﴿ وَكَانَتِ التَّوْبَةُ ﴾: مقبولة، ﴿ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ﴾: من الفسقة، وقيل: المنافقين، ﴿ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْفَنِّ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾: ثم يتوبون في الآخرة، ﴿ وَأُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ ﴾: أعدنا لهم، ﴿ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ ﴾: نفسهن كالمال، كما في الجاهلية، ﴿ كَرِهًا ﴾: مكرهات وهذا خارج مخرج الغالب لا للتقييد، ﴿ وَلَا تَعْضَلُوهُنَّ ﴾: لا تضجروهن ولا تضيقوا عليهن بالقهر والضرب إذا كرهتم صحبتهن، ﴿ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَآءِ آتَيْتُمُوهُنَّ ﴾: من المهر وغيره، أي: ليفتدين ببعض حقوقهن، ﴿ إِلَّا ﴾: وقت، ﴿ أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ ﴾: الزنا^(١)، وقال ابن عباس وأكثر السلف: إنه بكسر الياء ظاهر في استرجاع الصداق، ويفتحها بمعنى مبينة، أي: الزنا فحينئذٍ لكم ضجرهن ليختلعن، وعن ابن عباس وأكثر السلف أن له ارتجاع الصداق حينئذٍ ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾: بجميل قول وفعل، ﴿ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ ﴾: ﴿ فَ ﴾ اصبروا، ﴿ عَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾: كولد صالح، ﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَاتٍ زَوْجٍ ﴾: طلاق امرأة وتزوج أخرى، ﴿ وَءَاتَيْتُمْ ﴾: أعطيتم ولو بالالتزام بلا أداء، ﴿ إِحْدَثُنَّ قِنْطَارًا ﴾: مالا كثيرًا وتريدون طلاقها، ﴿ فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ ﴾: من القنطار، ﴿ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَ بِهِ تَنَازًا ﴾: باهتين لها بنسبتها إلى الزنا لتفتدى أو ظلمًا، ﴿ وَإِنَّمَا مُبِينًا ﴾: ظاهرًا، والبهتان الكذب بهت المكذوب عليه، وقد يستعمل في الفعل الباطل، ﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَ بِهِ ﴾: شيئًا منه، ﴿ وَقَدْ أَفْضَى ﴾: وصل، ﴿ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ﴾: بالوطة، ﴿ وَأَخَذَتْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾: بالعقد وأحكامه، ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾: كعملكم

(١) الوسيط (٢/٢٩)، تفسير الطبري (٨/١١٥، ١١٦)، معاني القرآن - للزجاج (٢/٣٠)، تفسير ابن كثير

في الجاهلية، ﴿إِلَّا﴾: لكن، ﴿مَا قَدَّ سَلَفٌ﴾: في الجاهلية مغفور وقيل: ﴿إِلَّا﴾ بمعنى «بعد» نحو: ﴿إِلَّا الْمَوْتَةَ﴾، ﴿إِنْتَهُ﴾: نكاحهن، ﴿كَانَ﴾: للماضي المتميز، ﴿فَنَحِشَةً وَمَقْتًا﴾: بغضا شديداً من الله، ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾: هو، ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ﴾: نكاحا، ﴿أُمَّهَاتِكُمْ﴾: من ولدتكم أو من ولدتها وإن علت، ﴿وَبَنَاتِكُمْ﴾: من ولدتموها، أو من ولدها وإن سفلت، ﴿وَأَخَوَاتِكُمْ﴾: من الأوجه الثلاثة، ﴿وَعَمَّتِكُمْ﴾: كل أنثى ولدها من ولد ذكر، أو ولدكم وإن بعدت، ﴿وَوَحَلَاتِكُمْ﴾: كل أنثى ولدها من ولد أنثى ولدتكم وإن بعدت، ﴿وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ﴾: وإن بعدتا، ﴿وَأُمَّهَاتِكُمْ الَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾: قبل الحولين خمس رضعات، ﴿وَأَخَوَاتِكُمْ مِنَ الرِّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتِكُمْ﴾: بنات الزوجة، ﴿الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾: في بيتكم وتربيتكم، وهذا خارج مخرج الغالب، وتصوير لما ينفر لا قيد عند الجمهور إلا علياً - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فعنده قيد، ﴿مَنْ نِسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾: معهن الخلوة، كناية عن الجماع، ولا يجوز كون الموصول الثاني صفة للنسائين لاختلاف عامليهما، أعنى «اللام» و«مِنْ»، ولا تعلق من بالأمهات أيضاً، إذ يلزم حملها على الابتداء والبيان معاً، ولو جعلت للاتصال فيرده الحديث، وقول الجمهور إلا علياً - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فإنه يقيد تحريمهما بالدخول، ﴿فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: في نكاحهن، ذكره مع فهمه مما مر لثلاثيته أن قيد الدخول خارج مخرج الغالب كما في تقييد الحجور، ﴿وَوَحَلَاتِكُمْ﴾: زوجات، ﴿أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾: أخرج المتبني لا الرضاعي، وحكم الرضاعي في الكل حديث: «يَحْرُمُ مِنَ الرِّضَاعِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ»^(١)، ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾: في النكاح وملك اليمين، ﴿إِلَّا﴾: لكن، ﴿مَا قَدَّ سَلَفٌ﴾: منكم في الجاهلية مغفور، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾: لكم، ﴿رَحِيمًا﴾: بكم، ﴿و﴾: حرمت عليكم، ﴿الْمُحْصَنَاتُ﴾^(٢): ذات الأزواج، ﴿وَمِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: بالسبي، فتحل بعد الاستبراء، ولو سبي معها زوجها

(١) رواه البخاري (٢٦٤٦/٥)، ومسلم (٩/٢)، وأبو داود (٢/٢٠٥٥)، والنسائي (٦/٣٣٠٣)، وأحمد (٤٤/٦).

(٢) في هامش (ن): الجزء (٥).

خلافاً لأبي حنيفة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لإطلاق الأثر والحديث ^(١) وعند بعض السلف: البيع كالسبي، والحديث لا يساعده، كتب ذلك، **﴿ كَتَبَ اللَّهُ ﴾**: أي: فرضه، **﴿ عَلَيَّكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ ﴾**: إلا ما خصته السنة، **﴿ أَنْ ﴾**: لأن، **﴿ تَبَتَّغُوا ﴾**: تطلبوا، **﴿ بِأَمْوَالِكُمْ ﴾**: نكاحاً وسراحاً لكونكم، **﴿ مُحْصِنِينَ ﴾**: عفيفين، **﴿ غَيْرَ مُسْفِحِينَ ﴾**: زنائين، **﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ ﴾**: من جماع ولو مرة، **﴿ فَأَتَوْهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾**: مهورهن إيتاء، **﴿ وَرِيضَةً ﴾**: مفروضاً قيل: الآية في المتعة أي: النكاح المؤقت، ثم نسخت يوم خيبر ^(٢) مؤبداً، **﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ ﴾**: من نقص أو زيادة في المهر، وعلى الثاني: أي: مرید مال مع وصال مدة، أو فراق بلا شيء، **﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا ﴾**: بالمصالح، **﴿ حَكِيمًا ﴾**: في حكمه، **﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا ﴾**: غنى **﴿ أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ ﴾**: الحرائر، **﴿ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾**: ذكرها لبيان الأولى عند الأكثر، وحمل أبو حنيفة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، الطول على ملك فراشهن، **﴿ فَمِنْ ﴾**: فلينكح مما، **﴿ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ نَفْسَاتِكُمْ ﴾**: إمائكم، **﴿ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾**: اللاتي لغيركم، **﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ ﴾**: فافتقروا بظاهر إيمانهن، **﴿ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾**: أتم وأرقاؤكم نسباً ودينياً، فلا تستنكفوا عنها، **﴿ فَأَنْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ ﴾**: مالكيهن، هذا لا يدل على أن لهن مباشرة، لأن عدم الاعتبار لا يوجب الإشعار، على أن المباشر قد يكون غير الآذن، **﴿ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾**: مهورهن، بإذن أهلهن أو المضاف محذوف، أي: آتوا مال الكهن، وعند مالك: المهر لهن، **﴿ بِالْمَعْرُوفِ ﴾**: بلا مظل ونحوه، **﴿ مُحْصَنَاتٍ ﴾**: عفائف، **﴿ غَيْرَ مُسْفِحَاتٍ ﴾**: مجاهرات بالزنا **﴿ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ﴾**: أحباب يزنون

(١) حديث أبي سعيد الخدري قال: لما سبي رسول الله ﷺ أهل أوطاس، قلنا: يا رسول الله! كيف نفع على نساء قد عرفنا انسابهن وأزواجهن فأنزل الله هذه الآية: **﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ ﴾** رواه مسلم (١/١٦٨، ١٦٩) كتاب الرضاع - باب: جواز وطء المسيبة بعد الاستبراء، والترمذي (٢/٣٠٠/١٢٤١) وحديث: «ألا لا توطأ حامل حتى تضع ولا حائل حتى تحيض حيضة» رواه الترمذي (٣/٦٣)، وأبو داود (٢/٢٤٨/٢١٥٧) والحاكم (٢/١٩٥).

(٢) فالمتعة مما تكرر نسخه، كما قال القائل:

وأربع تكرر النسخ لها *** جاءت بها عن النبي آثار
فقبلة ومتعة وخمرة *** كذا وضوء مما تمس النار

بِهِنَّ سِرًّا، جمع خدن، أي: صديق ﴿فَإِذَا أَحْصَيْنَ﴾: تزوجن ﴿فَإِنْ آتَيْتَ بِفَحِشَةٍ﴾: بزنا، ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ﴾: الحرائر الأبقار، ﴿مِنْ الْعَذَابِ﴾: الحد، وهو خمسون جلدة وتعريب نصف سنة، ولا رجم؛ لأنه لا يُنصَفُ، ﴿ذَلِكَ﴾: نكاح الأمة، ﴿لَمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ﴾: المشقة، أي: الوقوع في الزنا، وعن الحسن أنها الفسق، وأصلها^(١): انكسار العظم بعد الجبر^(٢)، ﴿مِنْكُمْ وَأَنْ نَصَبِرُوا﴾: عنه مع العفاف، ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾: في الحديث: «الحرائر صلاح البيت والإماء هلاكه»^(٣)، وأيضًا: «من أراد أن يلقي الله طاهرًا مطهرًا فليتزوج بالحرائر»^(٤)، ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ﴾: لمن يصبر، ﴿رَحِيمٌ﴾ به ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ﴾: اللام صلة للتأكيد، ﴿لَكُمْ﴾: ما خفي من الشرائع، ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: من الأنبياء، ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾: يقبل توبتكم، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمصالحكم ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما قدر ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ تأكيد ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾: الفجَّار، ﴿أَنْ تَمِيلُوا﴾: عن الحق، ﴿مَيْلًا عَظِيمًا﴾: إلى الشهوات وفاقًا لهم، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾: في شرائعه، ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾: في الصبر عن الشهوات وعلى مشاق الطاعات فيناسبه التخفيف، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾: بالحرام كالسرقة، وكالصرف^(٥) في الزنا، ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ تَكُونُوا﴾: كونها، ﴿تَحْكِرَةً﴾: صادرة، ﴿عَنْ تَرَاوِعٍ مِنْكُمْ﴾: غير منهي عنه، وإنما خصَّها؛ لأن معظم التصرفات بها، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾: بارتكاب المحرمات، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾: نهاكم عن المضار رحمة، ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾: من المحرمات ﴿عُدُونَا﴾: على الغير، ﴿ووظلمًا﴾: على نفسه لا جهلاً ونسياناً، وسفهاً، وعلى هذا لا

(١) أصل كلمة العنت.

(٢) عنت الدابة تعنت عنوتاً وعتتاً: إذا حدث في قواعها كسر بعد جبر لا يمكنها معه الجري.

* عمدة الحفاظ (١٢٩/٣).

(٣) رواه الديلمي في الفردوس (٢/٢٦٤٢) وقال الألباني في ضعيف الجامع (٢٧٧٧) والضعيفة

(٣٥٢٢): موضوع.

(٤) رواه ابن ماجه في سننه (١/١٨٦٢)، وابن عدي في الكامل (٣/٣١١)، وضعفه الألباني في ضعيف

الجامع (٥٣٨٨)، والضعيفة (١٤١٧).

(٥) إنفاق المال.

يرد أنه كيف قَدَّمَ الْأَخْصَّ عَلَى الْأَعْمِ، إذ التجاوز عن العدل جَوْرٌ ثم طغيان، ثم تعد، والكل ظلم، ﴿فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ﴾: ندخله، ﴿نَارًا﴾: عظيمة، ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾: إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ: الأقرب أنها^(١) ما ورد فيه حَدٌّ أَوْ وَعِيدٌ شديد، كاللَّعْنِ، ﴿نُكْفِرُ﴾: نمح، ﴿عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾: صغائركم، ﴿وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا﴾: الجنة، وأما محو الكبائر ففي المشيئة، ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾: في الحظوظ الدنيوية، أو من قولكم نرجوا أن نكون في الثواب مع النساء كما في الميراث، وقولهن في الوزر كذلك، ونحن أحوج إلى تضعيف الحسنة لضعفنا^(٢)، ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا لَهُمْ مِنَ الْجِهَادِ وَمِنَ الْوَالِدِ وَالْوَالِدَاتِ وَمِمَّا كَسَبُوا﴾: من الجهاد وغيره، ﴿وَاللِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبْنَ﴾: من طاعة البعل ونحوها فاطلبوا الفضل بالعمل لا بالتمني، ﴿وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾: من مطالب الدارين، لا ما للناس، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ يَكُلِّ شَيْءٍ عَلَيْهِمًا﴾: فلا يعطي إلا المستحق، ﴿وَلِكُلِّ لِكُلِّ مِيتٍ﴾: جَعَلْنَا مَوَالِيَّ: ورثة، (من) صلة ﴿وَمِمَّا تَرَكَ﴾:، وبيان الموالي، ﴿الْوَالِدَانَ وَالْأَقْرَبُونَ﴾: فلا يدخل الأولاد، ﴿وَالَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانَكُمْ﴾: لعهودهم، أي: مولى الموالاة، وهو الحليف، ﴿فَعَاثُوهُمْ تَصَدِيقًا﴾: السُّدُس، ونسخت بقوله: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ﴾^(٤) الآية، وعن أبي حنيفة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: لو أسلم كافر بيد مسلم وتعاقدا على أن يتوارثا توارثا، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾: فخافوه، ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾: قيام الولاية على الرعايا، ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾: لكمال العقل والدين وغيره، ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾: من النفقة وغيرها، ﴿فَأَلْصَقَ لِحْتُ قَتِينَتُ﴾: قائمات بحقوق أزواجهن،

(١) يعني الكبائر.

(٢) عن أم سلمة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -: أنها قالت: يغزو الرجال ولا يغزو النساء، وإنما لنا نصف الميراث؛ فأنزل الله: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، قال مجاهد: فأنزل فيها: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ وكانت أم سلمة أول ظعينة قدمت المدينة مهاجرة رواه سعيد بن منصور (٤/١٢٣٦/١٢٤/٦٢٤)، والبيهقي في المعرفة (٦/٥٠/٥٣٠٨) وعبد الرزاق في تفسيره (١/١٥٦/١) والطبري في تفسيره (٥/٣١)، وأحمد (٦/٣٢٢) وسنده صحيح.

(٣) كتبها: «عاقدت» وكتب في الهامش: حَفْص: «عَقَدْتُ».

(٤) سورة الأحزاب (٦).

﴿حَفِظْتُ لِلْعَيْبِ﴾: بحفظ ماله ونفسهن في غيبته، ﴿بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾: لهن عليهم من المهر وغيره، ﴿وَأَلْنِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾: بغضهن بترفعهن عن مطاوعتكم، ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾: أولاً، ﴿وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَصَاحِجِ﴾: بترك المضاجعة والكلام والمجامعة ثانياً، ﴿وَأَضْرِبُوهُنَّ﴾: غير شديد بالتأويل^(١)، ثالثاً، وقيل: لا قصاص عليه فيما دون القتل، ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾: بالإيدان، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾: فهو أقدر عليكم منكم على من تحتكم فخافوه، ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾: أي: خلافهما، وأضاف تجوزاً، ﴿فَأَبْعَثُوا﴾: إن اشتبه عليكم حالهما أيها الحكام برضاهما، ﴿حَكْمًا مِّنْ أَهْلِيهِ وَحَكْمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾: يحكمان بينهما بالأصلح من الصلح والتفريق والأقارب أولى فيه، ﴿إِنْ يُرِيدَا﴾: الحكمان، ﴿إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾: بين الزوجين، فإن من أحسن نيته أصلح الله أميته، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾: بالظاهر والباطن، ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾: من الإشراف جلياً أو خفياً، ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾: أحسنوا، ﴿وَإِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾: الأقارب ﴿وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ﴾ والمسكين فاقد ما يكفيه وعياله ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾: الجامع بين الجوار والقرابة نسبا أو ديناً، ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾: الأجنبي نسباً أو ديناً، ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾: كالزوجة والرفيق، ﴿وَأَيْنِ السَّبِيلِ﴾: المسافر والضيف، ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: رقيقاً أو حيواناً، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا﴾: متكبراً، ويقال لمن يظن أن له بماله كرامة، ﴿فَخُورًا﴾: بحسب أو نسب على المسلمين، ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾: وفي الحديث: «لم يجتمع البخل والإيمان في قلب»^(٢)، ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾: بتخويفهم من الفقر، ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَاءِ آتَانَهُمْ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾: من الغنى والعلم وغيره شحاً، ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾: بنعمنا أي: لهم وقيل: أكثر البخلاء موتهم في حال سلب الإيمان، ﴿عَذَابًا مُّهِينًا﴾: والَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ﴾: لمراعاة،

(١) كذا.

(٢) يروى: «لا يجتمع الإيمان والبخل في قلب رجل مؤمن» رواه ابن عدي (١٩٦٦/٥) وسنده ضعيف وأصح منه عن أبي هريرة: «لا يجتمعان في قلب عبد: الإيمان والشح» رواه أحمد (٢/٢٥٦، ٤٤١)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٨١)، والنسائي (١٣/٦) وسنده صحيح.

﴿النَّاسِ﴾: لا لوجه الله، ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا﴾: مثلهم، ﴿فَسَاءَ قَرِينًا﴾: الشيطان، ﴿وَمَاذَا﴾: أي: ضرر، ﴿عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾: آخر الإيمان في الأول؛ لأنه للتعليل، وقدمه هنا؛ لأنه المقصود بالذات، على أنه لما أمر بالإنفاق نبه على أنه لا يعتد به إلا بعد الإيمان، ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾: إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ: أحداً، ﴿مُتَقَالٍ﴾: زنة، ﴿ذَرَقٍ﴾: جزء من أجزاء الهباء بتنقيص ثواب، أو مزيد عذاب، ﴿وَإِنْ نَكَ﴾: المثقال، أنث باعتبار المضاف إليه، أو باعتبار، ﴿حَسَنَةً يُضْعِفُهَا﴾: ثواباً، ﴿وَيُؤْتِ﴾: صاحبها، ﴿مِنْ لَدُنْهُ﴾: من عنده تفضلاً، ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾: كالجنة، ﴿فَكَيْفَ﴾: حال هؤلاء الكفرة، ﴿إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾: هو نبيهم يشهد بحالهم، ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾: يا محمد، ﴿عَلَى هَؤُلَاءِ﴾: الشهداء والمؤمنين والأمم، ﴿شَهِيدًا﴾: يَوْمَئِذٍ: إذا جئنا بهم، ﴿يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ﴾: أن ﴿تُسَوَّى بِهِمْ﴾: عليهم، ﴿الْأَرْضُ﴾: بأن يدفنوا كالموتى أي: لو يسوون بالأرض، بجعلهم تراباً، ﴿و﴾: الحال أنهم، ﴿لَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾: لشهادة جوارحهم عليهم بعد قولهم ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾^(١) ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا﴾: اجتنبوا، ﴿الزُّكُورَ﴾: نفسها أو مواضعها، ﴿وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾: بنحو نوم أو خمر من السكر^(٢)، وهو السَّدُّ؛ لسد بخار المعدة قوى الفكر، وليس هذا نهي السكران عن قربها حتى يكون نهيًا لمن لا يعقل، بل نهي عن سكر مانع عنها مثل: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٣)، وفيه تنبيه للمصلي على تجرده عما يليه، ﴿حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾: مسافرين عند فقد الماء، أي: بعد التيمم، وعلى تقدير مواضعها فمعناه: مجتازين فيها كما هو مذهب الشافعي^(٤) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ﴿حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾: من الجنابة دل على أن التيمم لا يرفع الحدث، ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ﴾: جنبًا مَرَضَى: بحيث يضركم استعمال الماء، ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾: طويل أو قصير، ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾:

(١) سورة الأنعام.

(٢) بفتح السين المهملة وسكون الكاف، وهو السَّدُّ والإغلاق. اهـ.

(٣) سورة آل عمران.

(٤) الوسيط (٢/٥٧).

المطمئن من الأرض، وهو كناية عن الحدث الأصغر، ﴿أَوْلَمَسْتُمْ﴾: مَسِئْتُمْ حقيقة^(١) جامعتم مجازاً، وكذا: لمستم، فحملها الشافعي على الحقيقة، وكذا عن المالكية والحنابلة، ولكن يشترطون كونها بشهوة، والحنفية على الجواز وكذا: لمستم ﴿الِنِسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً﴾: كناية عن عدم الممكن من استعماله، وإن وُجد حساً، وهو قيد للكل، واستغنى بتفصيل حال الجنب من المرض والسفر عن حال المحدث، ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾: اقصدوا، ﴿صَعِيدًا﴾: تراباً، ﴿طَبِيبًا﴾: طاهراً، ﴿فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾: إلى المرافق؛ لظاهر اللفظ وللحديث، وللقياس على الوضوء ويشترط تعلقه باليد لقوله في المائدة ﴿مِنَهُ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾: يسهل ويرخص، ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تنظر، ﴿إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا﴾: يسيراً، ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾: التواره^(٢)، ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾: بالهدى، ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضَلُّوا﴾: أيها المؤمنون، ﴿السَّبِيلَ﴾: الحق، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾: منكم، وقد أعلمكم فاحذروهم، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ﴾: الباء صلة، ﴿وَلِيًّا﴾: يلي أمركم، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾: لكم، ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾: قوم، ﴿يَحْرِفُونَ﴾: يميلون، ﴿الْكَلِمَ﴾: مفرد بمعنى الكلمات، ﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾: بإزالة بعض وإثبات غيره، أو بتأويلها بمشتهام كما مر، ﴿وَيَقُولُونَ﴾ قالاً^(٣) ﴿سَمِعْنَا﴾: قولك ﴿و﴾ حالاً ﴿عَصَيْنَا﴾: أمرك، ﴿وَأَسْمَعُ﴾: حال كونك ﴿غَيْرَ مُسْمِعٍ﴾: مكروها، أو لاسمعت، فهذان وجهان، ﴿وَرَدَعْنَا﴾: ارعنا سمعك مريدين الشتم كما مر، ﴿لِيَأْ﴾ فتلاً^(٤) ﴿بِالْسِّنِّهِمْ﴾: واللُّي: صرف الكلام إلى ما يشبه السب، ﴿وَطَعْنَا فِي الدِّينِ﴾: بتحقيقه - ﷺ -، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾: لا عصينا، ﴿وَأَسْمَعُ﴾: دون غير مسمع، ﴿وَأَنْظُرْنَا﴾: دون راعنا، ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ﴾: أعدل، وهذا من قبيل أصحاب الجنة، ﴿وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا﴾: إيماناً، ﴿قَلِيلًا﴾: ببعض كتابهم، أو إ قليلاً منهم كابن

(١) في (ع): أو جامعتم.

(٢) في هامش (ن): بلغ مقابله.

(٣) في (ن): مآلاً.

(٤) كذا، والمراد: قلباً.

سلام وأضرابه^(١)، ﴿يَتَأَيَّمُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا﴾: القرآن، ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا﴾: نمحو عينيها وأنفها، ﴿فَرَدُّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا﴾: فلهم عينان من القفا يمشون قهقري، قيل: سيقع لهم عند نزول عيسى، ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾: أي: الذين على طريق الالتفات، ﴿كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ النَّبِيِّ﴾: بمسخهم قرده وخنازير، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ﴾: ما أراد حصوله، ﴿مَفْعُولًا﴾: لا راد له، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾: مغفرته، وإن لم يتب^(٢)، وتقييد المعتزلة الموضوعين بالتوبة وعدمها تقييد بلا دليل على أن التعليق بالمشيئة ينافي وجوب التعذيب والغفران، وجعلهم يغفر عطفًا على المنفي من التحريف، ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ﴾: فعل، ﴿إِثْمًا عَظِيمًا﴾: ألم تر إلى الَّذِينَ يُزُكُّونَ أَنفُسَهُمْ﴾: بقولهم: نحن أبناء الله ونحوه، ومثلهم من يزكي نفسه بلا ضرورة شرعية بل في الحديث: «إن كان أحد مادحًا صاحبه لا محالة فليقل: أحسبه ولا أزكي على الله أحدًا»^(٣)، ﴿بَلِ اللَّهِ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾: فإنه العالم بالحقائق، ﴿وَلَا يُظَلِّمُونَ فِتْيَلًا﴾: قدر ما في شق نواة أو ما فتلت بين أصبعيك من الوسخ، ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾: في تزكية أنفسهم، ﴿وَكَفَىٰ بِهِ﴾: بالافتراء، ﴿إِثْمًا مُّبِينًا﴾: ظاهرًا، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا﴾: قليلاً، ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾: التوراة، ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّلُوتِ﴾: صنمين لقريش^(٤) سجدوا لهما، ليأتمنهم قريش في المخالفة، ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: حين سألوهم: أدينا خير أم دين محمد؟ ﴿هَتُّؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾: أولئك الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَنُجِدْ لَهُ نَصِيرًا﴾: يمنع عذابه، ﴿أَمْ﴾: بل، ﴿هَلُمَّ﴾: أي: مالهم، ﴿نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ﴾: إذ زعموا أنه سيصير الملك إلى اليهود، وإن ملكوا، ﴿فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ

(١) الوسيط (٢/٦١)، تفسير ابن كثير (١/١٢٣).

(٢) يعني يكون في المشيئة.

(٣) عن أبي بكره قال: مدح رجل رجلاً عند رسول الله ﷺ فقال النبي - ﷺ -: «ويحك! قطعت عنق صاحبك» مرارًا، ثم قال: «إن كان أحدكم مادحًا أخاه لا محالة، فليقل: أحسب فلانا، ولا أزكي على الله أحدًا» رواه أحمد (٥/٤١)، والبخاري في صحيحه (٦٠٦١)، وفي الأدب المفرد (٣٣٣) ومسلم (٣٠٠٠).

(٤) تفسير الطبري (٨/٤٦١)، تفسير الرازي (١٠/١٢٨)، ابن كثير (١/٥١٢)، الوسيط (٢/٦٦).

أَتَأْسَ نَقِيرًا ﴿١﴾: قدر نقرة في ظهر النواة ^(١) من سُحَّهِمْ فكيف بحال فقرهم، ﴿أَمْرٌ﴾: بل، ﴿يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾: محمداً وصحبه، ﴿عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾: من النبوة والنصرة، والحسد شر من البخل، ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ﴾: كداود وسليمان، ﴿الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾: النبوة، ﴿وَأَيَّتَنَّهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾: فلا يبعد أن يؤتى محمداً مثلهم، ﴿فَمِنْهُمْ﴾: من آل إبراهيم، ﴿مَنْ أَمَنَ بِهِ﴾: بإبراهيم، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ﴾: أعرض ﴿عَنْهُ﴾، مع أنه منهم، فكيف بنبي ليس إسرائيلياً، ﴿وَكَفَىٰ بِهِمْ سَعِيرًا﴾: ناراً مسعورة لعذابهم، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا﴾: ندخلهم، ﴿كُلَّمَا نَفِخَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾: أي: من مادتها، والصورة تتبدل في كل ساعة مائة وعشرين مرة ^(٢)، فلا يرد أنه كيف يعذب جلوداً لم تعص، ﴿لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾: غالباً، ﴿حَكِيمًا﴾: في معاقبته حكم، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَمْ يَكُنْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾: من كل دنس، ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾: للتأكيد أي: دائماً، وهذا مجاز كناية عن المستقر الطيب، إذ لا شمس ثمة، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾: عموماً قال ابن عباس ^(٣): هو في كُلِّ مؤتمن على كل شيء، وإن نزلت ^(٤) في رد مفتاح الكعبة إلى عثمان بن طلحة ابن عم شيبه الذين في نسله الحجابة الآن، لا عثمان ابن أبي طلحة، وأمانته سدانتهما ﴿وَإِذَا حَكَّمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا بِعِمَّا﴾: نعم شيئاً، ﴿يُعْظَمُ بِهِ﴾: إذ الله كان سميعاً: لأقوالكم، ﴿بَصِيرًا﴾: بأفعالكم، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ﴾: الحكام إذا أمروا بطاعة أو العلماء، ﴿مِنْكُمْ فَإِنْ نَزَعْتُمْ﴾: أنتم وأولو الأمر، ﴿فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ﴾: كتابه، ﴿وَالرَّسُولِ﴾: في حياته وسنته بعده، وهذا لا ينافي القياس؛ لأنه رد إليهما بالتمثيل والبناء عليهما، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ﴾: الرد، ﴿خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾: مآلاً، ﴿الَّتِي تَرَىٰ إِلَى الَّذِينَ

(١) معاني القرآن للفراء (١/٢٧٣)، الجامع لأحكام القرآن (٥/٢٩٤).

(٢) الكشاف (١/٥٢٢) هامش، وسنده ضعيف.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٨/٤٩٢، ٤٩٣).

(٤) تاريخ مكة - للأزرقي (١/١٠٣، ١١١)، الوسيط (٢/٧٠).

يَرْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنزَلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴿١﴾: هو منافق تخاصم مع يهودي (١)، ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾: معناه هنا: غير الله ورسوله إذ دعاه اليهودي إلى النبي - ﷺ - وهو دعاه إلى كعب بن الأشرف، فلما حكم عليه النبي ما رضي بحكمه وقال: نتحاكم إلى عمر، فتحاكما إليه وأخبراه بالقصة، فلما عرفها قتل المنافق فسمي فاروقاً (٢)، ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾: بالطاغوت، ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾: لا يمكنهم الرجوع فيه إلى الحق، ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ﴾: أبصرت، ﴿الْمُنَافِقِينَ يُصَدُّونَ﴾: يعرضون ﴿عَنْكَ صُدُودًا﴾: إغراضاً بالكلية ﴿فَكَيْفَ﴾: حالهم، ﴿إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ﴾: كقتل عمر ذلك المنافق، ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: من الإغراض عنك، ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ﴾: أي: قوم المنافق معتذرين أو طالبين بدمه، ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ﴾: ما، ﴿أَرَدْنَا﴾: بالتحاكم إلى عمر، ﴿إِلَّا وَآحِسْتْنَا﴾: الفصل بالوجه الأحسن، ﴿وَتَوْفِيقًا﴾: بين الخصمين لا مخالفتك، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾: من النفاق، ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ﴾: أي: عن عقابهم، ﴿وَعِظْهُمْ﴾: انصحهم، ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾: أي: سرّاً ﴿قَوْلًا بَلِيغًا﴾: مؤثراً، فإن نصح السرّ أنجح (٣)، وأصله: قولٌ يطابق مدلوله المقصود به، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾: لحكمه، ﴿بِإِذْنِ﴾: بأمر، ﴿اللَّهِ﴾: في طاعته، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: كالتحاكم إلى غيرك، ﴿جَاءَهُمْ﴾: تائبين، ﴿فَأَسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾: أظهره تعظيماً، ﴿لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾: فلا: صلة لتأكيد القسم، ﴿وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ﴾: اختلف، ﴿بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا﴾: ضيقاً، ﴿مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا﴾: ينقادوا لأمرك، ﴿سَلِيمًا﴾: ولو أننا كذبنا عليهم أن أقتلوا أنفسهم أو أخرجوا من دياركم: كبنى إسرائيل، ﴿مَا فَعَلُوهُ﴾: المكتوب، ﴿إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾: وهم المخلصون، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾: من

(١) رواه الطبري في تفسيره (٥/٩٦، ٩٧، ٩٨) والمروزي في الصلاة (٢/٦٥٨/٧١١) وسنده ضعيف.

(٢) رواه الثعلبي في تفسيره (٢/٤٩٧/٣٧٣) الفتح السماوي وهو موضوع.

* وانظر تخريج أحاديث الكشاف - للزيلعي (١/٣٣٠)، العجاب (٢/٩٠٣)، فتح الباري (٥/٣٨).

(٣) وكما قيل: النصيحة على الملائم فصيحه.

إطاعة محمّد عليه الصلاة والسلام، ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَبَيُّنًا﴾: لإيمانهم، ﴿وَإِذَا﴾: والله، ﴿لَا تَتَّبِعُهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ولهديتهم صراطاً مستقيماً: يصلون به إلى الفلاح، ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ﴾: أفاضل أصحاب الأنبياء، ﴿وَالشُّهَدَاءِ﴾: في سبيل الله، ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾: من غيرهم، ﴿وَحَسَنَ﴾: كُلُّ مَنْ ﴿أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾: هذا يقال للواحد والجمع كالصديق^(١)، ﴿ذَلِكَ﴾: المرافقة، ﴿الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾: بالمطيع، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾: آتته كالسلاح واحذروا من أعدائكم، ﴿فَأَنْفِرُوا﴾: اخرجوا إلى الجهاد، ﴿ثُبَاتٍ﴾: جماعات متفرقة، جمع ثبة، ﴿أَوْ أَنْفِرُوا جَمِيعًا﴾: مجتمعين، أي: بادروا كيف ما أمكن، ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لِيَبْغِثَنَّ﴾: ليتناقل عن الجهاد، أو يبطئ غيره، وهم المنافقون، ﴿فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ﴾: كقتل، ﴿قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾: حاضرًا، ﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ﴾: كغنيمة، ﴿لَيَقُولَنَّ كَأَنْ﴾: كأنه، ﴿لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾: بل لم تحبوا إلا المال، والجملة معترضة، أي: ليقولن، ﴿بَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾: نصيبًا وافراً من الغنيمة إن بطأ هؤلاء، ﴿فَلَيُقْتَلَنَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾: وهم المخلصون، ﴿وَمَنْ يُقْتَلَنَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾: رد لمن قال: قد أنعم الله عليّ - إلى آخره، ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: في سبيل الله، ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ﴾: الذين منعهم الكفار عن الهجرة، ﴿مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾: جمع وليد أو ولد شاركوهم في الدعاء ليستجاب ببركتهم، ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾: مكة، ﴿الظَّالِمِ أَهْلِهَا﴾: المشركون ﴿وَأَجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾: يلي أمرنا ﴿وَأَجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾: فأجيب بهجرة بعضهم وفتح مكة، واستعمال عتاب بن أسيد عليهم وحمایتهم لهم، ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾: الشيطان، ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ﴾ مكر ﴿الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾: بالنسبة إلى كيد الله، وأما عظم كيد النساء فبالنسبة إلينا إلى مكرنا، على أنه من كلام عزيز

(١) ليست في (د).

مصر^(١)، ﴿الَّذِينَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾: عن قتال مشركي مكة حين التمسوا قتالهم وكانوا ضعفاء^(٢)، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾: بالمدينة وهم أقوياء، ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ﴾: الكفار، ﴿وَخَشِيَ اللَّهُ﴾: أي: مثل خشيتهم لله، ﴿أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾: أي خشية أشدَّ من خشيته ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا﴾: هلاً، ﴿أَخَّرْنَا إِلَىٰ آجَلٍ قَرِيبٍ﴾: أي: الموت، ﴿فَلَمَنْعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾: من كلِّ الوجوه ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾: كما مرَّ، ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ﴾: حُصُونٍ، ﴿مُشِيدَةً﴾: مرفعة أو مبنية - بالشيد أي: الجصّ - مُحَكَّمَةٌ لأدرككم الموت، فلم يقول المنافقون في قتلى أحد: ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا﴾ إلى آخره^(٣) ﴿وَإِنْ تُصِيبْهُمْ﴾: المنافقين، ﴿حَسَنَةٌ﴾: نعمة، ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: بلاء، ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِّنْ عِنْدِكَ﴾: يا محمد تشاؤماً بك، ﴿قُلْ كُلٌّ﴾: من الحسنه والسيئة ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾: بإرادته وإيجاده، ﴿فَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾: كالبهائم، وهو القرآن، فإنهم لو تدبروا فيه لعلمو أن الكل من الله، ﴿مَا أَصَابَكَ﴾: يا إنسان، ﴿مِنْ حَسَنَةٍ﴾: نعمة، ﴿مِّنْ اللَّهِ﴾: تفضلاً، فإن جميع طاعتك لا تكافئ نعمة الوجود، قيل وإنما قال من الله، وفي الأول من عند الله؛ لأنه أعم من مرضية وغير مرضية، وهذا في مرضية فقط، ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ﴾: بلية، ﴿فَإِنَّ﴾: شؤم ذنب نفسك يوصله الله تعالى إليك بسببه مجازاة، فحاصله: إن نظرت إلى الفاعل الحقيقي فالكل منه، وإن نظرت إلى الأسباب فما هي إلا من شؤم، ﴿نَفْسِكَ﴾: لا من مُحَمَّدٍ، واعلم: أنها نزلت في قوم لينالوا غنى^(٤)، ثم لما نالهم مكروهٌ تطيروا بمحمد - ﷺ - ولما نالهم محبوبٌ نسبوه إلى الله تعالى^(٥)، فذلك الحسنه والسيئة ليسا بمعنى الطاعة والمعصية، ولذا لم يقل: ما عملت وما

(١) في نسخة (ن)، و (د): غير الله.

(٢) رواه النسائي (٢/٦، ٣/ مجتبى) والطبري في تفسيره (١٠٨/٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره

(٣/١٠٠٥/٥٦٣٠) وسنده حسن.

(٣) العجائب (٢/٩١٩) بإسناد واهٍ بل موضوع من خرافات الكلبي.

(٤) كذا في (ن)، وفي (د): غنى.

(٥) الوسيط (٢/٨٤).

فسرت به الآية، يظهر بطلان مذهب الجبرية المتعلقين بالآية الأولى، والقدرية المتعلقين بالثانية، وشبهة التناقض بينهما، وشبهة من يقول: الآية لا تدفع مقالتهن، فإنهم جعلوه - ﷺ - واسطة للشر لا مبدأً، والآية تثبت أنه تعالى مبدأً للكل، إذ الآية الثانية ترددهم، وقد بان أن لا حجة فيه للسنية^(١)، ولا للجبرية ولا للقدرية، ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ﴾: يا محمد، ﴿لِلنَّاسِ﴾: كلهم، ﴿رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾: على رسالتك، ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى﴾: عن طاعته، ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾: عن المعاصي، ﴿وَيَقُولُونَ﴾: المنافقون إذا أمرتهم بأمر: أمرنا ﴿طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَرُوا﴾: خَرَجُوا، ﴿مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ﴾: دَبَّرَ، ﴿طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾: من قولهم: طاعة أي: في تبييتهم وسرهم، يضمرون خلاف جهرهم، ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ﴾: في صحائفهم ﴿مَا يُبَيِّتُونَ﴾: يُدَبِّرُونَ ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾: المنتقم، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾: في كفاية شرهم، قيل: نسخت بآية القتال، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾: أي فيه، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ﴾: كما زعموا، ﴿لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾: على ما دل عليه الاستقراء، فلا يكون كله في طبقة البلاغة، وصادقًا في الإخبار عن الغيب، والحال أنه ليس فيه اختلاف قليل، ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ﴾: كفتح، ﴿أَوِ الْخَوْفِ﴾: كهزيمة، ﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾: أفشوه كما فعله بعض ضعفه المسلمين قبل أن يتكلم به النبي ودَّووا الرأي من صحبه مع ما فيه من المضارِّ ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾: أي: ذلك الخبر، ﴿إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ﴾: ذوي الرأي، ﴿مِنْهُمْ﴾: من أكابر الصحابة، وسكتوا عنه حتى يخبروا به ﴿لَعَلَّمَهُ﴾: الخبر أنه مما يذاع أم لا، وعلى أي وجه يذكر ﴿الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾: يستخرجون علمه ﴿مِنْهُمْ﴾: من جهة الرسول، وأولي الأمر، ﴿وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ﴾: بالهداية بالرسول، ﴿لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ﴾: والضلال، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: منكم ممَّن اهتدى بعقله الصَّائب كقَسِّ بن ساعدة قبل بعثة النبي - ﷺ - لا يقال مقتضاه عدم اتباع أكثر الناس للشيطان، والواقع خلافه، وفي الحديث: «الإسلام في الكفر كالشَّعْرَة البيضاء في الثَّوْر

(١) بل هي حجة لنا أهل السنة على الجبرية والقدرية في خلق أفعال العباد وللبخاري مصنف ماتع فيه والمؤلف أشعري المعتقد.

الأسود»^(١) لأن الخطاب للمؤمنين، ﴿فَقَنْدِلٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: ولو وحده، ﴿لَا تُكَلِّفُ﴾ فعلاً من الأفعال ﴿إِلَّا أَنْفَسَكَ﴾: أي: إلا فعلها، فجاهد وإن لم يساعدك أحد، وهذا ينافي بعثه لتكليف الناس؛ لأنه ما عنى به ذلك بل هو من قوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾^(٢) إلى آخره، ويؤيد ذلك: ﴿وَحَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: على القتال ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِيَ بَأْسَ﴾: شِدَّةَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: ووَفَى بِهِ فِي الْبَدْرِ الصَّغْرَى^(٣)، بإلقاء الرعب في قلوبهم، إذ عسى من الكريم موجب، ﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا﴾: صولة، ﴿وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾: عُقُوبَةً، ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً﴾: كجلب نفع مسلم، أو دفع ضرره أو دعاء بالخير له، ﴿يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾: وهو ثواب الشفاعة، وفي الحديث: «مَنْ دَعَا لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ اسْتَجِيبَ لَهُ، وَقَالَ لَهُ الْمَلَكُ: وَلَكَ مِثْلُ ذَلِكَ»^(٤)، ﴿وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً﴾: لا تجوز شرعاً، ﴿يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ﴾ نصيب؛ ﴿مِنْهَا﴾: من وزرها، قال في الحسنة: نَصِيبٌ، لإطلاقه على القليل والكثير، وفي السيئة: كِفْلٌ؛ لأنه إنما يقال في المثل وفي الردىء، وأما: «يؤتكم كفلين» فمعناه: كفلين من رحمته يكفلان لكم من العذاب، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا مِّنْ قَاتٍ﴾: قدر ﴿وَإِذَا حُيِّمْتُمْ﴾: سُلِّمَ عَلَيْكُمْ ﴿بِنَجِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنِ مِّنْهَا﴾: زيدوا عليها نحو: «ورحمة الله وبركاته»، ولا يزداد عليها اتباعاً، ولا ستجماعاً أقسام المطالب السلامة عن المضار، وحصول المنافع وثباتها، ﴿أَوْ رُدُّوهَا﴾: بلا زيادة وهو واجب على الكفاية حيث شرع السلام، وفُسِّرَتْ بِالْهَدْيَةِ^(٥) أَيْضًا، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾: يحاسب فيجازي، ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: والله، ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ ليحشرنكم ﴿إِلَى﴾: فِي، ﴿يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: فِي الْيَوْمِ أَوْ الْجَمْعِ، ﴿وَمَنْ﴾ لا ﴿أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾: إذ غيره يجوز عليه الكذب عقلاً، ﴿فَمَا لَكُمْ﴾: تفرقتم، ﴿فِي﴾ شَأْنِ الْمُتَنَفِّقِينَ: كابن أبي، ﴿فَتَتَّبِعِينَ﴾: فرقتين، فرقة على كفرهم

(١) رواه مسلم في صحيحه - بنحوه.

(٢) سورة المائدة.

(٣) كذا - والمراد: غزوة بدر الصغرى.

(٤) رواه مسلم (٤/ ٢٧٣٢)، وأبو داود في سننه (٢/ ١٥٣٤).

(٥) في (ن): الهداية، وهو خطأ.

وقتلهم وفرقة على إسلامهم، ﴿وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ﴾ رَدَّهُمْ إِلَى الْكُفْرِ ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾: من المعاصي، ﴿أَتْرِيدُونَ﴾: أيها المؤمنون، ﴿أَنْ تَهْدُوا﴾: تعدُّوا مُهْتَدِيًا، ﴿مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾: إلى الهدى، ﴿وَدُّوا﴾: هَوْلَاءُ، ﴿لَوْ﴾: أَنْ، ﴿تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ﴾: أنتم وهم، ﴿سَوَاءٌ﴾: في الكفر، ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يَهَاجَرُوا﴾: بأن يقاتلوا، ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: عن الهجرة وأظهروا الكفر، ﴿فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾: إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ: يلجؤون منهم، ﴿إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾: أي: عاهدوكم، فحينئذٍ حكمهم ﴿أَوْ﴾: الذين، ﴿جَاءَكُمْ﴾: قد، ﴿حَصْرَتْ﴾: ضاقت، ﴿صُدُّوهُمْ﴾: عن ﴿أَنْ يُقْبِلُوكُمْ أَوْ يُقْبِلُوا قَوْمَهُمْ﴾: كبنى هاشم خرجوا مع المشركين يوم بدر، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَاقَنَّاكُمْ﴾: لكن بلفظه ضيق صدورهم عنه وكفهم، ﴿فَإِنْ اعْتَرَفْتُمْ فَلَمَّ يُقْبِلُوكُمْ وَالْقَوَا إِلَيْكُمْ أَسْلَمَ﴾: الانقياد، ﴿فَأَجْعَلِ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾: في أخذهم وقتلهم، ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخِرِينَ﴾: من المنافقين، ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا قَوْلَنَا﴾: أي: يأمنوا قتلكم إياهم، وأخذكم أموالهم، ﴿وَيَأْمِنُوا قَوْلَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا﴾: دعوا وداعيتهم قومهم، ﴿إِلَى الْفِتْنَةِ﴾: الشرك، ﴿أَرْكَسُوا﴾: قلبوا، ﴿فِيهَا﴾: ومركسهم نفسهم وشيطانهم فلا تكرر، ﴿فَإِنْ لَمْ يَعْزِلُوكُمْ﴾: لم، ﴿يَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾: الانقياد، ﴿وَ﴾: لم، ﴿يَكْفُرُوا أَيْدِيَهُمْ﴾: عن قتالكم، ﴿فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ﴾: وجدتموهم، ﴿وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾: حُجَّةً واضحة في قتالهم لعداوتهم، ﴿وَمَا كَانَتْ﴾: مَا صَحَّ ﴿لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا﴾: قتلاً، ﴿خَطَاً﴾: ﴿إِلَّا﴾ بمعناها^(١) وقيل بمعنى: و((لا)) نحو: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾^(٢)، و﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾^(٣)، وأراد بالخطأ أعم من الخطأ المحض كما لم يقصد إلى الفعل أو إلى الشخص، ومن شبه العمد كقتله بما لم يقصد به القتل غالباً، ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ﴾: فعلية إعتاق، ﴿رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾: وأما في العمد فثبت بالسنة، ﴿وَدِيَّةٌ

(١) قال الواحدي في الوسيط (٢/٩٤): جميع أهل النحو والمعاني على أن هذا استثناء منقطع من الأول على معنى: ما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً ألبتة إلا أن يخطئ المؤمن فكفارة خطئه ما ذكر من بعد.

(٢) سورة النساء.

(٣) سورة العنكبوت.

مُسْلِمَةً ﴿: مُؤَدَاةٌ ﴿إِلَىٰ أَهْلِيهِ﴾: الورثة دائماً ﴿إِلَّا﴾: حين، ﴿أَنْ يَصَدَّقُوا﴾: بالعفو
 فحينئذٍ لادية، وعينت السنة قدرها ﴿فَإِنْ كَانَ﴾: المقتول ﴿مِنْ قَوْمٍ عَدُوِّكُمْ﴾: كُفَّارٌ
 ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾: بلا دية لعدم الوراثه بين المسلم والكافر،
 ﴿وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾: كالذمي والمعاهد، ﴿فَدِيَةٌ مُسْلِمَةٌ
 إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾: لعله فيما إذا كان المقتول معاهداً أو مسلماً وله
 وارثٌ مسلمٌ ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾: الرقبة وثمنها، ﴿فَصِيَامٌ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾: شرع
 ذلك ﴿تُوبَةٌ مِنَ اللَّهِ﴾: عليه ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾: بكم، ﴿حَكِيمًا﴾: فيما حكم
 عليكم ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَضَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾: أراد بالخلود: المَكْثُ الطويل تجوزاً، أو خصت الآية
 بعدم التوبة لقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ﴾^(١) إلى آخره ﴿وَيَعْفِرُ مَا دُونَ﴾^(٢) إلى آخره،
 ويؤيده أن نزولها في مقيس بن صبابه، وجد أخاه^(٣) قتيلاً في بني النجار فحكم النبي
 عليه الصلاة والسلام بديته، فلما أخذ قتل مسلماً ورجع إلى مكة مرتدًا^(٤)، أو معناه:
 أن هذا جزاؤه، لكن قد يكون له معارض من عمل يكون سبباً للعفو، كذا عن أبي
 هريرة - رضي الله عنه - مرفوعاً أو موقوفاً، ودلت الآيات والأحاديث على قبول توبته،
 ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ﴾ سافرتهم ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: للجهاد، ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾: اطلبوا
 بيان الأمر، ولا تعجلوا فيه ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ﴾: الانقياد أو حياكم
 بالسَّلام ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾: وإنما فعلته خوفاً ﴿تَبْتَغُونَ﴾: أي: مبتغين، ﴿عَرَضَ
 الْحَيَوةَ الدُّنْيَا﴾: حطامها، بأن تقتلوه وتأخذوا ماله، ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ﴾:
 يغنيكم بها عنه، ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾: لم يعلم منكم الإسلام إلا بعلامة،

(١) سورة طه.

(٢) سورة النساء.

(٣) هشام بن صبابه بن سيار بن عبد الله الكناني الليثي، قتل سنة ست في غزوة ذي قرد مسلماً.

وقال ابن منده: قتل في غزوة بني المصطلق. * أسد الغابة (٥/٤٠٠).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/١٠٣٧، ١٠٣٨/٥٨١٦) وسنده ضعيف ومقيس - بكسر الميم

وسكون القاف وفتح الباء.

﴿فَمَنْ بَلَغَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: بالاشتهار، ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾: تأكيداً، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾: عالماً بأغراضكم فاحتاطوا، ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ﴾: عن الحرب، ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾: بعدر، ﴿دَرَجَةً﴾: بدرجة عظيمة، ﴿وَكُلًّا﴾: منهما، ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَ﴾: الجنة والثواب، ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾: بلا عذر، ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾: دَرَجَتٍ مِّنْهُ: والمزية الدرجة؛ لكونهم بلا عذر بخلاف الأولين، ﴿وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾: بعد مساءتهم^(١)، ﴿رَحِيمًا﴾: لهم، ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمْ﴾: تتوفاهم، ﴿أَلَمْ تَلِكْ﴾: ملك الموت وأعوانه، نزلت فيمن قتلتهم الملائكة يوم بدر تكلموا بالإسلام وخرجوا مع المشركين تكثيراً لسوادهم، ﴿ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾: بترك الهجرة، ﴿قَالُوا﴾: الملائكة توبيخاً، ﴿فِيمَ﴾: في أي شيء، ﴿كُنْتُمْ﴾: من الدين حيث ما هاجرتم^(٢)، ﴿قَالُوا﴾: اعتذاراً، ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ﴾: عاجزين، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: عن الهجرة وإظهار الدين، ﴿قَالُوا﴾: تبكيتاً، ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا﴾: إلى جانب آخر يمكن فيه إظهار الدين، ﴿فَأُولَئِكَ مَاؤُنْهُمُ جَهَنَّمُ﴾: لإعانتهم الكفار، ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾: جهنم، ﴿إِلَّا﴾: لكن، ﴿الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ﴾: فيه تنبيه على أنه يجب على وليهم الهجرة بهم، ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾: أسباب السفر، ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾: لا يعرفون، ﴿سَبِيلًا﴾: إلى بلد الإسلام، ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾: نبه على خطر الهجرة، بحيث يحتاج المعذور إلى العفو، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا عَفُورًا﴾: ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مَرَعَمًا: تمتعاً يراغم به الأعداء، وتحولاً من أرض إلى أرض في الرغام، ﴿كثيراً وسعة﴾ في الرزق ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ﴾: في الطريق، ﴿فَقَدْ وَقَعَ﴾: ثبت، ﴿أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾: من حيث الوعد ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾: له، ﴿رَحِيمًا﴾: به يثبت بمجرد النية، ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: أي: سافرتم قدر أربعة بُرْدٍ^(٣)؛ للسنة^(١)،

(١) كذا في (ن)، و(د): بعد مساءتهم.

(٢) في (ن): هجرتهم.

(٣) البرد جمع برید، والبرید أربعة فراسخ والبرید عند الحنفية والمالكية: (٢٢٢٦٠) متراً وعند الشافعية والحنابلة: (٤٤٥٢٠) متراً. * المكاييل والموازين الشرعية - د/ علي جمعة محمد ص ٣٦، ٣٧.

وعند الحنفية ستة برد، ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾: حرج في، ﴿أَنْ نَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾: بتنصيف ركعات الرباعية، وظاهره الجواز خلافاً للحنفية، وصح أنه - ﷺ - أتمها^(٢) وأقر إتمام عائشة^(٣) - ﷺ -، وقول عمر - ﷺ -: «صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم»^(٤): فمعناه أنه كالتمام في الإجزاء، وقول عائشة - ﷺ -: «أول ما فرضت الصلاة ركعتين ركعتين فأقرت في السفر وزيدت في الحضر»^(٥) لا ينفي جواز الزيادة، ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ﴾: ينالكم بمكروه، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: شرط خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له كظائره، وقد نطق به أحاديث كثيرة أو: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ ابتداء كلام، وجوابه محذوف، نحو: فاحتاطوا، يدلُّ عليه، ﴿إِنَّ الْكُفْرَانَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ: حاضرًا، هذا جارٍ على عادة القرآن في الخطاب فلا مفهوم له، ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾: اجعلهم طائفتين، ﴿فَلَنَقُصَّ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ مَّعَكَ﴾: فصلَّ بهم، والأخرى تجاه العدو، ﴿وَلْيَأْخُذُوا﴾: المصلون أو الحارسون، ﴿وَأَسْلِحْتَهُمْ﴾: حزمًا، ﴿فَإِذَا سَجَدُوا﴾: أي: صلُّوا وأتموا الصلاة، ﴿فَلْيَكُونُوا﴾: المصلون، ﴿مِنْ وَرَائِكُمْ﴾: حارسين، ﴿وَلَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا﴾: المصلون أو الحارسون، ﴿حِذْرَهُمْ﴾: تحرزهم، وهذا استعارة عن الآلة وفيه مبالغة، ﴿وَأَسْلِحْتَهُمْ﴾: ولا يرد أنه جمع بين الحقيقة والمجاز في الأخذ، وظاهرها صلاة الإمام مرتين كصلاته - ﷺ - بطن النخل، وإن أريد أن يُصلي بكل ركعة في الثنائية، فيصلي بالأولى ركعة،

(١) رواه الدارقطني في سننه (٢٨٧/١)، والبيهقي (١٣٧/٣) وسنده ضعيف.

(٢) رواه الدارقطني (١٨٩/٢) كتاب الصوم - باب: القبلة للصائم - الحديث (٤٤).

(٣) رواه البيهقي في السنن الكبرى (١٤٣/٣).

(٤) عن كعب بن عجرة عن عمر قال: صلاة السفر ركعتان، وصلاة الجمعة ركعتان، والفطر والأضحى ركعتان، تمام غير قصر، على لسان محمد ﷺ. * أخرجه ابن ماجه (١٧٣/٢) (١٠٦٤/١)، والنسائي في سننه (٤٩٥/٤ كبرى)، وابن خزيمة (١٤٢٥)، والبيهقي (١٩٩/٣) وسنده صحيح.

وعن معاهد عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: فرض الله - تعالى - الصلاة على لسان نبيكم في الحضر أربعًا وفي السفر ركعتين، وفي الخوف ركعة. * أخرجه مسلم (٦٨٧).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٦٧/٧، ٢٦٨) كتاب مناقب الأنصار (٦٣) باب التاريخ (٤٨)، الحديث (٣٩٣٥).

وينتظرها قائماً ليمتوا منفردين ويذهبوا إلى العدو فيتم بالأخرى الثانية وينتظرهم قاعداً ليسلم بهم، كفعله - ﷺ - بذات الرقاع^(١)، وروي في كيفيةها ستة وجوه أو سبعة^(٢) بسطوها في الفقه، ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ﴾: عند صلاتكم بالقتال، ﴿مَيْلَةً وَجِدَةً﴾: مجتمعين، ﴿وَلَا جُنَاحَ﴾: لا وزر، ﴿عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أذىً مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ﴾: لثقلها، هذا يؤيد القول بوجوب حملها^(٣)، ﴿وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾: تيقظكم بكل حال، ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً﴾: غلبوا أو غلبوا، ﴿فَإِذَا قُضِيَتْهُمُ الصَّلَاةُ﴾: أردتم أدائها في اشتداد الخوف، ﴿فَادْكُرُوا اللَّهَ﴾: صلُّوا، ﴿قِيَمًا﴾: مُسَائِفِينَ، ﴿وَقُعُودًا﴾: مُرَامِينَ، ﴿وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾: مُتَخَنِينَ، أو: إذا أدبتم الصلاة فاذكروه في كل حال جبراً لتخفيفاتها، ﴿فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ﴾ [سكنت قلوبكم و] زال خوفكم، ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: عدلوا أركانها، وعند الحنفية: لا يصلي حتى يطمئن^(٤) ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ لِلدَّوَامِ﴾: عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا: ﴿مَفْرُوضًا﴾، ﴿مَوْفُوتًا﴾: مَحْدُودَ الْأَوْقَاتِ، ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾: لا تضعفوا، ﴿فِي آيَاتِهِ﴾: طلب قتال ﴿الْقَوْرِ﴾: الكفار، ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ﴾: بالجرح، ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ﴾: من الثواب والنصر لعدم اعتقادهم بالبعث، وما أنزل إليكم، ﴿مَا لَا يَرْجُونَ﴾: فلكم هذا المزيد، فكونوا أصبر، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾: بضمائرهم، ﴿حَكِيمًا﴾: فيما حكم، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾: القرآن ملتبساً، ﴿بِالْحَقِّ

(١) رواه البخاري (٣٩٠٠) كتاب المغازي - باب: غزوة ذات الرقاع، ومسلم (٨٤٢) كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب: صلاة الخوف.

(٢) قال الإمام ابن نور الدين الموزعي اليمني:

وقد صلاها النبي ﷺ بصفات مختلفة بحسب اختلاف المواطن والأحوال يبلغ مجموعها ستة عشر وجهاً - ثم ذكرها بالتفصيل. * تيسير البيان لأحكام القرآن - للموزعي (٣/١٦، ١٧).

(٣) اختلف أهل العلم في المجاهد: هل يجب عليه حمل السلاح حال الصلاة؟ فقال أبو حنيفة والشافعي في أحد قوليه: لا يجب.

* انظر: أحكام القرآن - للجصاص (٣/٢٤٦)، الأم (١/٢١٩)، الحاوي الكبير (٢/٤٦٨)، المغني (٢/١٣٧).

(٤) أحكام القرآن للجصاص (٣/٢٥٠)، المبسوط (١/١٤٤)، الكافي - لابن عبد البر (١/٣٤)،

المجموع - للنووي (٣/٢١)، المغني - لابن قدامة (١/٢٣٣).

لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْنَكَ ﴿١﴾: عَرَّفَكَ، ﴿اللَّهُ﴾: بالوحي، ﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ﴾: لأجلهم، كَطُعْمَةَ بِنِ أَيْرُقِ إِذْ سَرَقَ دِرْعَ جَارِهِ، وَأَوْدَعَهُ عِنْدَ يَهُودِيٍّ، ثُمَّ اتَّهَمَهُ بِهِ ^(١)، ﴿خَصِيمًا﴾: للبراء كهذا المتهم، ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾: من إرادة خصومة البريء، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا﴾: لمن استغفره ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ﴾: يخونون، ﴿أَنْفُسَهُمْ﴾: بالمعصية ويجعلونها خائنة كطعمة وعشيرته، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا﴾: كثير الخيانة، ﴿أَثِيمًا﴾: منهمكًا في الإثم كطعمة، ﴿يَسْتَخْفُونَ﴾: ذكر معاصيهم، ﴿مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾: والإخفاء عنه تركه، ﴿إِذْ يُبَيِّنُونَ﴾: يدبرون، ﴿مَا لَا يَرْضَى﴾: الله به، ﴿مِنَ الْقَوْلِ﴾: كرمي البريء، ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾: بالعلم فيجازيهم، ﴿هَاتِئِنَّمَا﴾ يا ﴿هَتُوْلَاءَ﴾: الحمقى، يعني يا قوم طعمة، ﴿جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ﴾: عن طعمة وعشيرته، ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: إذا أخذهم، ﴿أَمْ﴾: بل، ﴿مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾: وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا ﴿: مع غيره، ﴿أَوْ يَظْلِمَ نَفْسَهُ﴾: فقط، ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾: بالتوبة، ﴿يَجِدِ اللَّهَ عَفُورًا رَحِيمًا﴾: عن ابن مسعود أنها من أرجى الآيات.

لكن ما تاب طُعْمَةُ ثم ارتد ثم نقب حائطًا ليسرق فسقط عليه ومات، ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾: فلا يضر إلا نفسه، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾: بفعله، ﴿حَكِيمًا﴾: في مجازاته، ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً﴾: صغيرة، ﴿أَوْ إِثْمًا﴾: كبيرة، ﴿ثُمَّ يَرَوْهُ بِهِ﴾: بأحدهما ﴿بَرِيئًا﴾ كَمَا رَمَى طُعْمَةُ [زيدًا] ﴿فَقَدْ أَحْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ: قوم طعمة، ﴿أَنْ يُضِلُّوكَ﴾: عن القضاء بالحق، ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾: لأنك معصوم، وهم ارتكبوا، ﴿وَمَا يُضِرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ﴾: فإن الله يعصمك، ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾: القرآن، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: السنة، ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾: ومنه نبوتك، ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ﴾: هو سرٌّ بين اثنين ﴿إِلَّا﴾ استثناء منهم، أو إلا

(١) رواه الترمذي (٥/٢٤٤، ٢٤٦/٣٠٣٦) وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (٤/١٥/١٩٥٨)

والطبراني في الكبير (١٩/١٦، ١٥/١٨) وسنده حسن.

نجوى، ﴿مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾: هو ما يَسْتَحْسِنُهُ الشرع ولا ينكره العقل، ومنه الإعانة والصدقة والقرض، ﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾: الأمر، ﴿أَبْتِغَاءَ﴾: طلب، ﴿مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾: فكيف بفاعله، ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ﴾: يخالف، ﴿الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَى﴾: الحق بمعجزاته، ﴿وَتَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: كطعمة إذ هرب مرتدا بعد ما حكم عليه بقطع يده، ﴿تَوَلَّاهُ﴾: نجعله والياً ﴿مَا تَوَلَّى﴾: من الضلال أي: نخليه وما اختار، ﴿وَنُصَلِّهِ﴾: ندخله، ﴿جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾: هي، دلت على حرمة مخالفة الإجماع، وهذا إذا فسر سبيل المؤمنين بما هم عليه من الدين، وبسط بيانه في الأصول، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾: لمن لقيه مشركاً، ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾: ولو مظالم بأن ألقى في قلب مظلومه عفوه كما صح في الحديث، ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾: عن الحق، ﴿إِنْ﴾: ما، ﴿يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنثًا﴾: بزعمهم إذ كانوا يزينون أصنامهم، ويسمونها أنثى بني فلان، أو ضعافا عجزة، ومنه: سَيْفٌ أُنْثَى، ﴿وَإِنْ﴾: ما ﴿يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾: خارجاً بالكلية عن الطاعة، فإنهم أطاعوه بعبادتها ﴿لَعْنَةُ اللَّهِ﴾: بَعْدَهُ عن رحمته، (وقال) الشيطان نطقاً أو فعلاً ك:

* اَمْتَلَأَ الْحَوْضُ، وَقَالَ: قَطْنِي ^(١) *

والله، ﴿لَا تَخْذَنْ مِنْ عِبَادِكِ﴾: يا ضلالهم، ﴿نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾: مقطوعاً معيناً، قيل: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ^(٢)، ﴿وَلَا ضَلَّتْهُمْ﴾: عن الصواب، ﴿وَلَا أُمِّيَّتَهُمْ﴾:

(١) صدر بيت من الرجز وعجزه:

* مهلا رويداً قد ملأت بطني *

وهو بلا نسبة، ولا يعرف قائله، واستشهد به الكازروني على الكلام بلسان الحال.
* وانظر: إصلاح المنطق (٥٧، ٣٤٢)، الإنصاف (١٣٠)، أمالي المرتضى، تخليص الشواهد (١١١)، الخصائص (٢٣/١)، رصف المباني (٣٦٢)، سمط اللآلي (٤٧٥)، شرح الأشموني (٥٧/١)، شرح المفضل (٨٢/١)، (١٣١/٢)، (١٢٥/٣)، اللامات (١٤٠)، لسان العرب (٣٨٢/٧)، مجالس ثعلب (١٨٩)، المقاصد النحوية (٣٦١/١).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٦٩/٤/٥٩٨١) من كلام مقاتل - وهو متروك.

بأنواع الغرور، ﴿وَلَا مُرَدَّهُمْ﴾: بالتبتيك، ﴿فَلْيَبْتِكُنْ﴾: يَشُقُون، ﴿ءَاذَانَ
 الْأَنْفَعِ﴾: ويجعلون زكاتها حرامًا، ويسمونها بحائر^(١)، ﴿وَلَا مُرَدَّهُمْ﴾: بتغيير خلق الله،
 ﴿فَلْيَغْيِرْكَ خَلْقَ اللَّهِ﴾: صورة كالخصاء، والوشم، والوشر، أو صفة كتغيير الفطرة.
 واعلم أن كل ما جعله كاملاً بفطرته، فجعله ناقصًا بسوء تدبيره، فتغيير لخلقه
 وكذا كل ما خلقه لفضيلة فاستعمله في رذيلة^(٢) كالشهوة في اللواط^(٣)، وشفة اللحية^(٤)
 ونحوه، وعدوا منه تحليل الحرام، وتحريم الحلال، ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِمَّنْ
 دُونِ اللَّهِ﴾: بإطاعته، ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾: بتضييع رأس ماله الفطري،
 ﴿يَعِدُّهُمْ﴾: ولا يفسي، ﴿وَيُمَيِّنِيهِمْ﴾: ما لا يجدون، ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾:
 هو إيهام النفع فيما فيه الضرر، ﴿أُولَئِكَ مَاؤُنْهَمُ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾: معدلاً،
 ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
 فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا﴾: مصدران مؤكدان لنفسه ولغيره، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾:
 قولاً، ﴿لَيْسَ﴾: الثواب ﴿بِأَمَانِيكُمْ﴾: بتمنيكم أيها العرب ﴿وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ
 مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا﴾: ولم يتب عنه ﴿بُجْزِيهِ﴾: ولو بمصائب الدنيا كما في الحديث^(٥)
 ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾: يدفعان، ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ﴾: بعض،
 ﴿الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ﴾: ينقصون
 في أجرهم، ﴿بِقِيَرًا﴾: قدر نُفْرَة ظهر نواة التمر، ﴿وَمَنْ﴾ لا ﴿أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ
 وَجْهَهُ﴾: انقباد، ﴿لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: آت بالحسنات، ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾: في أصول

(١) جمع بحيرة وسيأتي معناها في سورة المائدة.

(٢) يعني وضع الشيء في غير موضعه.

(٣) هو إتيان الذكران - والعياذ بالله.

(٤) وهو حلقها وهذا حرم إجماعًا.

(٥) رواه عبد بن حميد (٧/المنتخب)، والترمذي (٥/٢٤٨/٣٠٣٩)، والمروزي في مسند أبي بكر (٥٧)،

(٢٠/٥٩)، وأبو يعلى في مسنده (١/٢٩، ٣٠/٢١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/١٠٧١/٥٩٩٤)

وسنده ضعيف لكن يشهد له ما في مسلم (٢/٤٨٢)، والترمذي (٤/٣١٤/٥٠٢٩)، والحميدي

الدين، ﴿حَنِيفًا﴾: مائلًا إلى الحق، ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾: صفيًا بكرامته ككرامة الخليل^(١) عند خليله فإن الخلة ود يتخلل ويخالط النفس، ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾: علمًا وقُدرة فيجازي الكل، ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي﴾: ميراث ﴿النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾: الإفتاء: تبيين المبهم، ﴿وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾: يفتيكم وهو آيات المواريث حال كون المتلّو ﴿في﴾: شأن، ﴿يَسْمَىٰ النِّسَاءَ الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾: في ميراثهن أو صداقهن، ﴿وَتَرَعَبْنَ﴾: في، ﴿أَن تَنكُحُوهُنَّ﴾: لمالهن وجمالهن، ولا تعطون صداقهن، ﴿و﴾: في، ﴿المُسْتَضْعَفِينَ﴾: الصغار ﴿مِنَ الْوَالِدَانِ﴾: إذ كانوا لا يورثونهم كالنساء، ﴿و﴾: في، ﴿أَن تَقُومُوا لِلنِّسَاءِ بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل، ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ حَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾: وإن امرأة خافت من بعلها نشوزًا: ترفعًا عن صحبتها كراهة، ﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾: كقلة مجالستها، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ﴾: الزوجين، ﴿أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾: بحطّ بعض المهر، أو القسم أو النفقة، ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾: من الفرقة أو من الخصومة لا بمعنى التفضيل، بل بمعنى أنه خير من الخيور كما أن الخصومة شر من الشرور إذ لا مُزكّ، ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ﴾: شدة البخل، أي: هي مطبوعة عليه، لا تغيب عنه، أو الخصومة، وهذا تمهيد عذر في مُمَاكستها وفي عدم مسامحته معها بنفسه إذا أحب غيرها، ﴿وَإِن تَحْسَبْتُنَّ فِي الْعَشْرَةِ﴾: وَتَتَّقُوا﴾: نقص الحق، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾: فيثيبكم، ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ﴾: إذ العدل: أن لا يكون ميلُ البتة، ولا بد من تفاوت في المحبة والشهوة والجماع، ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾: على العدل، ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾: إلى واحدة، ﴿فَتَذَرُوهَا﴾: الأخرى، ﴿كَالْمُعَلَّقَةِ﴾: التي ليست بذات بعل ولا مطلقة، ﴿وَإِن تُصْلِحُوا﴾: بالعدل، ﴿وَتَتَّقُوا﴾: الجور، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾: لما مضى من كل الميل أو بعضه، ﴿رَحِيمًا﴾: فلا يضيق عليكم وعلى الثاني، لا يقال هذا مغفرة لما لا يستطاع تركه؛ لأنه يمكنه الاحتراز عنه بترك تزوجه لعدة منهن، فهو كجناية السكران، ﴿وَإِن يَنْفَرَا﴾: بالطلاق، ﴿يَعْنِ اللَّهُ كِلَا﴾: منهما

(١) في (ن): خليل.

عن الآخر، ﴿مِنْ سَعَتِهِ﴾: فضله الواسع، من العجائب أن الغنى عُلِقَ بمقابلين: بالتفرق هنا، وبالنكاح في النور^(١)، ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا﴾: فضله، ﴿حَكِيمًا﴾: فيما حكم، ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: فله كمال السعة، ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: ووصينا، ﴿إِيَّاكُمْ أَنْ﴾ بأن، ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾: قائلين ﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: لا عليه كفركم ولا له شكركم، إنما وصاكم لصلاحيكم ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا﴾: عن خلقه، ﴿حَمِيدًا﴾: مستحقًا للحمد وإن كفرتموه ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: فله الغنى وله الحمد، ﴿وَكُنْ بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾: فتوكلوا عليه، ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾: من الناس مكانكم، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾: مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا: فلا يقتصرنَّ عليه، ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا﴾: للأقوال، ﴿بَصِيرًا﴾: بالأعمال فيجازي، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتُوبًا قَوْمِينَ﴾: دائمى القيام، ﴿بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل، ﴿شُهَدَاءَ﴾: خالصين، ﴿لِلَّهِ وَلَوْ عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ﴾: وهو الإقرار؛ لأن الشهادة بيان الحق، ﴿أَوْ﴾ على ﴿الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ﴾ المشهود عليه ﴿غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾: فيشهد عليه بلا رهبة ورحمة، ﴿فَاللَّهُ﴾: فشرعه، ﴿أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾: جنسي الغني والفقير من رهبتكم ورحمتكم، ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَىٰ﴾: كراهة، ﴿أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلُوتُوا﴾: ألسنتكم بتغيير الشهادة، ﴿أَوْ تَعْرِضُوا﴾: عن أدائها ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾: فيجازيكم، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا﴾: دُومُوا على إيمانكم، ﴿بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾: القرآن، ﴿و﴾: جنس، ﴿الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: أي: بشيء من ذلك، ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾: عن الحق، ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: كاليهود بموسى، ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾: كعبادتهم العجل، ﴿ثُمَّ ءَامَنُوا﴾: بعده، ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾: ككفرهم بعيسى، ﴿ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾: ككفرهم بمحمد - ﷺ -، ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾: إلى الحق، لأنه يستبعد منهم التوبة، لا لأنها لا تقبل منهم أو معناه: من تكرر منه الكفر والإيمان لا يغفر له، وعن علي: يقتل ولا تقبل توبته، ﴿بَشَرِ الْمُنَافِقِينَ إِنْ هُمْ عَدَابًا أَلِيمًا﴾ الَّذِينَ

(١) في قوله: ﴿إِنْ يَكُونُوا فَرَقَةً يُغْفِرُهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

يَنْخَذُونَ الْكٰفِرِينَ اَوْلِيَآءَ مِنْ دُوْنِ الْمُؤْمِنِيْنَ اَيَبْنَعُوْنَ عِنْدَهُمْ اَلْعِزَّةَ ﴿: الغلبة على المؤمنين، ﴿فَاِنَّ اَلْعِزَّةَ لِلّٰهِ جَمِيعًا﴾: لا يعز إلا من أعزه، ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَیْكُمْ فِی الْكِتٰبِ﴾: في سورة الأنعام: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ...﴾ الآية (أن) أنه، ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ آيٰتَ اللّٰهِ﴾: حال كونها، ﴿يُكْفِرْ بِهَا وَيُسْتَهْزِأْ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ﴾: مع من يكفر ويستهزئ، ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِی حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾: غير حديث الكفر والاستهزاء، ﴿إِن كُنتُمْ إِذًا مِّثْلَهُمْ﴾: لقد رتكم على الإعراض، ﴿إِنَّ اللّٰهَ جَامِعُ الْمُنٰفِقِيْنَ وَالْكَافِرِيْنَ فِی جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾: كاجتماعهم على الاستهزاء هنا، ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ﴾: ينتظرون وقوع أمر ﴿بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللّٰهِ فَآلُوا أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ﴾: فأعطونا الغنيمة، ﴿وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِيْنَ نَصِيبٌ﴾ من الظفر عليكم، غير الأسلوب تحقيرًا لهم ﴿قَالُوا﴾: للكافرين، ﴿أَلَمْ نَسْخَرِكُمْ﴾: نستول بالممكن من القتل والأسر، ﴿عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُمْ﴾: نحجبكم، ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ﴾: بتشييطهم عنكم، وعدم نصرتهم، ﴿فَاللّٰهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ﴾: ببواطنكم، ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللّٰهُ لِلْكَافِرِيْنَ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ سَبِيلًا﴾: بالحجة، أو ظهورًا كليًا في الدنيا، وفيه دليل فساد شراء الكافر المسلم، ودليل الحنفية على حصول البيئونة بنفس الارتداد، وردوا بأنه لا ينفي أن يكون إذا عاد قبل العدة، ﴿إِنَّ الْمُنٰفِقِيْنَ يُخٰدِعُونَ اللّٰهَ﴾: بزعمهم، ﴿وَهُوَ خٰدِعُهُمْ﴾: مجازيهم على خداعهم، ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلٰوةِ قَامُوا كُسٰلًا﴾: متشاكلين كالمكره، ﴿رِءَآءَ النَّاسِ﴾: ليحسبهم مخلصين، ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللّٰهَ﴾: مطلقًا، أو لا يصلون، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: بحضرة الناس ولو أخلصوا في القليل لكان كثيرًا، ﴿مُذَبِّدِيْنَ﴾: مترددين، ﴿بَيْنَ ذٰلِكَ﴾: بين الكفر والإيمان، ﴿لَا﴾: منضمين، ﴿إِلَّا هُنُوٰلَآءَ﴾: المؤمنين، ﴿وَلَا إِلَّا هُنُوٰلَآءَ﴾: الكافرين، ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللّٰهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾: إلى الهداية^(١)، ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكٰفِرِيْنَ اَوْلِيَآءَ مِنْ دُوْنِ الْمُؤْمِنِيْنَ﴾: كالمنافقين، ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا اللّٰهَ عَلَیْكُمْ سُلْطٰنًا﴾: حُجَّةً، ﴿مُبِينًا﴾: واضحًا على نفاقكم، ﴿إِنَّ الْمُنٰفِقِيْنَ فِی الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ﴾: الطبقة السابعة وهي توأبيت من حديد مقلقة في النار^(٢) أو بيوت مقلقة عليهم توقد من

(١) في (ح): إلا الهاوية.

(٢) تفسير الطبري (٣٣٩/٩)، فتح الباري (٢١٤/٨)، الوسيط (١٣٣/٢) تفسير ابن كثير (٥٧٠/١).

فوقهم، ﴿مِنَ النَّارِ﴾: لضمهم الاستهزاء أو الخديعة إلى الكفر وقد مر بيان الدرجة والدركة.

واعلم أن حديث: «ثلاث من كن فيه فهو منافق»^(١) ونحوه من باب التشبيه والتغليظ، ﴿وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾: يخرجهم منها، ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾: من النفاق، ﴿وَأَصْلَحُوا﴾: العمل، ﴿وَأَعْتَصَمُوا﴾: وثقوا، ﴿بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾: بلا رياء، ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: في الحشر، ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾: فيشاركونهم فيه، ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَائِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ﴾: نعمته، ﴿وَأَمَنْتُمْ﴾: فإنه الغني المطلق، وأما معاقبة الكافر فلأن إصراره كسوء مزاج يُؤدِّي إلى مرض، فإذا زال بالإيمان أمِنَ من تبعته، وعطف الخاص^(٢) على العام^(٣) اهتماماً، ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَاكِرًا﴾: لأعمالكم ولو قلَّت، ﴿عَلِيمًا﴾: بأحوالكم، ﴿لَا يَحِبُّ﴾^(٤) الله الجهر بالسوء من الأقول إلا: ﴿جَهْرًا﴾: من ظلم: بالدعاء على ظالمه وقيل: الجهر بالسوء دائماً مبعوض، فلا بمعنى: ((ولا)) كما مر في «إلا خطأ»، ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا﴾: لدعائه، ﴿عَلِيمًا﴾: بفعل الظالم، ﴿إِنْ بُدُوا خَيْرًا﴾: برأ، ﴿أَوْ تُحْفَوْهُ أَوْ تَفْعَوْهُ عَن سُوِّهِ﴾: من أخيكم، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾: على الانتقام، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾: بالإيمان به والكفر بهم ﴿وَيَقُولُونَ نُوْمِنُ بِبَعْضٍ مِنْهُمْ، وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ﴾: الكفر والإيمان، ﴿سَبِيلًا﴾: واسطة، ولا واسطة ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرُونَ﴾: الكاملون في الكفر ﴿حَقًّا﴾: ثابتاً بلا شك، ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾: في

(١) يشير إلى حديث: «ثلاث من كن فيه فهو منافق، وإن صام وصلى وحج واعتمر، وقال: إني مسلم: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان». رواه أحمد (٥٣٦/٢)، والبيهقي (٢٨٨/٦)، والخطيب (٤٣٧/١٣) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٥٥٤).

* قلت - أبو الحسن - : ولا أدري لماذا يلجأ الكازروني إلى الضعيف مع وجود أحاديث صحيحة كثيرة تدل على المراد.

(٢) الشكر.

(٣) الإيمان.

(٤) في هامش (ن): الجزء (٦).

الايمان به، ﴿أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾: لهم، ﴿رَجِيمًا﴾: بهم، ﴿يَسْأَلُكَ﴾: تعنتا، ﴿أَهْلَ الْكِنْبِ أَنْ تُنَزَلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا﴾: جملة بخط سماوي كالتوراة، ﴿وَمِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾: فلا عجب منهم، ﴿فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهُ جَهْرَةً﴾: عيانا، ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ﴾: نار من السماء، ﴿بِظُلْمِهِمْ﴾: وهو تعنتهم في السؤال، ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾: إلها، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾: المعجزات، ﴿فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ﴾: بقبول توبتهم، ﴿وَمَا آتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا﴾: تسلطا، ﴿مُتِينًا﴾: عليهم مع نهاية عنادهم، فيه بشارة بنصرة حبيبه عليه الصلاة والسلام، ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ﴾: حين أبوا قبول أحكام التوراة، ﴿بِمِيثَقِهِمْ﴾: بسبب ميثاقهم ليقبلوه، ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ﴾: ابتداء، ﴿أَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾: تواضعا كما مر ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا﴾: لا تظلموا باصطياد السمك ﴿فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَقًا غَلِيظًا﴾ على ذلك، ﴿فِيمَا نَقُضِهِمْ﴾: أي: فعلنا بهم ما فعلنا بنقضهم، ﴿بِمِيثَقِهِمْ وَكُفِّرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: المعجزات، ﴿وَقُلْنَا لَهُمُ الْآيَاتِ بِعَيْرِ حَقِّ﴾: عندهم، ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾: أوعية للعلم كما مر ومتعلق الباء فعلنا بهم ما فعلنا ﴿بَلْ طَعَّ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾: رد لما قالوا، ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾: منهم المذكور، ﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾: بعيسى عطف على نقضهم ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بِهَتْنًا عَظِيمًا﴾: الزنا، ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قُلْنَا لِلْمَسِيحِ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾: أي: بزعمه، أو وصفوه به استهزاء، أو وصفه تعالى تعظيما، ﴿وَمَا قَنَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾: وقع لهم التشبيه بين عيسى وشاب من أنصاره أو طيطانوس^(١) اليهودي الذي قصد قتله وذمهم به لتبججهم به، لا لقولهم هذا حسب حسابناهم، ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أَخْلَفُوا فِيهِ﴾: في عيسى، ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾: قال بعضهم: قتلناه، وقال آخر: بل وجهه وجهه، وبدنه غير بدنه، وآخر: هو ابن الله رفعه إليه، وآخر: صُلب النَّاسُوت^(٢)، ورفع اللاهوت^(٣) وغير ذلك أيضا، ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ﴾: هو هنا مجاز عن الشك فلا ينافي: ﴿لَفِي شَكٍّ﴾، أي: لكنهم يتبعون الظن، ﴿وَمَا قَنَلُوهُ﴾: قتلنا، ﴿بِقِيَمِنَا﴾: كما زعموا، أو حال مؤكدة للنفي، ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾: فإن السماء

(١) في (ن): طيطابوس.

(٢) الناس والبشر.

(٣) الإله.

محل ظهور سلطانه^(١)، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾: فيما دبر، ﴿وَإِنْ﴾: ما أحد، ﴿مَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَ بِهِ﴾: بعيسى، ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾: أي: الكتابي عند معاينة ملك الموت بأنه عبد الله ورسوله، فلم ينفعه أو أهل كتاب زمان نزوله يومئذ عند خروج الدجال فإنه يهلكه وتصير الملل واحدة وهي ملة الإسلام ويلبث أربعين سنة، ثم يموت ويصلي عليه المسلمون، وروي أنه يدفن بجنب عمر^(٢) - رضي الله عنه -، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾: بكفرهم أو إيمانهم به على الثاني، ﴿فِي ظُلْمٍ﴾: عظيم صدر، ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾: إشارة إلى قوله: «وعلى الذين هادوا» في الأنعام.

واعلم أن التحريم لأحد ثلاث: الأول^(٤): للجناية وهذا يُحرّمه الشرع والعقل، والثاني: لغلبة ضره على نفعه وإن ظن العقل خلافه: الثالث: لكسر شهوة بعض، وإن كان نافعا جدا، فيحرّمه الشرع على مَنْ يستحق كما نحن فيه، ﴿وَبَصَدَّهِمْ﴾: منعهم، ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: صدّا أو ناسا، ﴿كَثِيرًا﴾: وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه: في التوراة ﴿وَأَكَلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبِطْلِ﴾: كالرشوة، ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ﴾: دُونَ مَنْ آمَنَ، ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾: لئكن الراسخون: المتقنون، ﴿فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾: كلهم، ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾: القرآن ﴿وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾: نُصِبَ مَدْحًا^(٥)، لا كما يروى عن عائشة - رضي الله تعالى عنه -: «أنه ممّا أخطأ فيه الكتاب»، ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾: إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ: أولاد يعقوب، ﴿وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآدَمَ دَاوُدَ زُورًا﴾: كتابه، وبضم الزاي جمع

(١) هذا تأويل أشعري قبيح، والصواب الذي عليه الأمة سلفا وخلفا أن الله في السماء، والأدلة عليه عدد الرمل والحصى - والحمد لله.

(٢) في (ن)، و(ع)، و(د): أي: إلى محل ظهور سلطانه وهو السماء.

(٣) رواه ابن عساکر في تاريخ دمشق (٥٠/٣٦٦/١١٣٥١) وسنده ضعيف جدا.

(٤) في (ن): ١ وكذا ما بعده: ٢، ٣.

(٥) قوله: «والمقيمين» قال الواحدي في الوسيط (٢/١٣٩): نُصِبَ على المدح، والعرب تقول: جاءني قومك المطعمين في المحل والمغيثون في الشدائد، على معنى: اذكر المطعمين، وهم المغيثون، وكذلك هذه الآية هنا، معناها: اذكر المقيمين، وهم المؤتون الزكاة.

«زبر» بمعنى زبور، أي: آتيناها صُحُفًا مزبورة، وخصَّهم بالذكر؛ لمزيد شرفهم، ﴿و﴾: أرسلنا، ﴿رُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾: في السور المكية، ﴿وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾: وهو منتهى مراتب الوحي، أي: شأنك في الوحي كشأنهم إذا أعطيت كل ما أعطوا، فمعاندك كمعاندهم، أرسلنا ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ﴾: للمطيع، ﴿وَمُنذِرِينَ﴾: للعاصي، ﴿لَيْتَ لَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾: فيقولوا: ما أرسلت إلينا من ينبهنا، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾: فيما أراد، ﴿حَكِيمًا﴾: فيما دبر ولما نزل: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا﴾ إلى آخره، قالوا: ما نشهد لك، وهؤلاء المعاندون لا يشهدون، فنزل^(١): ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾: القرآن الدال على نبوتك، ﴿أَنْزَلَهُ﴾: ملتبسًا، ﴿بِعِلْمِهِ﴾: معلومه مما يحتاج إليه الناس في معاشهم ومعادهم، أو بعلمه بأنك أولى بإنزاله عليك، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾: أيضًا، ﴿يَشْهَدُونَ﴾: بنبوتك، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾: بنبوتك فإنه أقام الحجج الواضحة عليها ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾: عن الصواب، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا﴾: مطلقًا أو بكتمان نبوتك وماتوا عليه، دل^(٢) بقوله: ﴿ظَلَمُوا﴾ على أن الكافر مخاطب بالفروع^(٣)، ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ يَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا يَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾: أي: لا يدلهم إلا إليها، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ يتأيتها الناس قد جاءكم الرسول ﴿: محمد عليه الصلاة والسلام، ﴿بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا﴾: إيمانًا، ﴿خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: فهو غني عنكم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾: بأحوالكم، ﴿حَكِيمًا﴾: في أفعاله ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابِ﴾: النصرى أو مع اليهود، ﴿لَا تَعْلَمُوا﴾ لا تجاوزوا الحد ﴿فِي دِينِكُمْ﴾: في عيسى بلا إفراط ولا تفريط، كما مرَّ ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾: من التنزيه من نحو الولد، ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ﴾: أو جده بكلمة «كن» أو حجته، ﴿أَلْقِنَهَا﴾: الكلمة، ﴿إِلَى مَرْيَمَ﴾: وهو نفخ جبريل في جيب درعها بكلمته

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٢/٦) وسنده ضعيف.

(٢) في (ن): أفهم بقول.

(٣) في ذلك خلاف بين أهل الأصول.

حتى ولجت فرجها بمنزلة لقاح الأب الأم أو المراد: نفخ جبريل أو الروح الذي يحيى به الجسد، ﴿وَرُوحٌ﴾: صدر، ﴿مَنْهُ﴾: بلا مادة، ﴿فَأَمَّا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾: ﴿وَلَا تَقُولُوا﴾: ألهتنا، ﴿ثَلَاثَةً﴾: الله والمسيح ومريم أو الأقانيم الثلاثة، كما سيجيء، ﴿أَنْتَهُوْا﴾: عن التثليث يكن، ﴿خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحِدٌ سُبْحَانَهُ﴾: ﴿تَنْزِيهَا لَهُ عَنْ﴾: ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: ملكًا وخلقًا، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾: فهو غني عن ولد يكون وكيله ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ﴾: يأنف من نكفته: نحيته، ﴿الْمَسِيحُ﴾: من، ﴿أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾: مع أنه لا أب لهم ولا أم وقوتهم فوق البشر، فكيف بضعيف له أم، فلا يلزم تفضيلهم على الأنبياء، إذ أراد بالعطف المبالغة باعتبار القوة وعدم التولد لا العظمة، وأيضًا هي ردُّ على عبدة المسيح، والملك، وإن سلّمنا فلا يستلزم^(١) تفضيل أحد الجنسين على الآخر مطلقًا، ﴿وَمَنْ يَسْتَنْكِفَ عَنْ عِبَادَتِي﴾: وَيَسْتَكْبِرْ﴾: والاستنكاف فوق الاستكبار؛ لأنه هو مع أنفه، وهذا من اللفِّ التقديرى، أي: ومن يستنكف، ومن لا يستنكف، ﴿فَسِيحْهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾: للمجازاة، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: أي: لا يستنكفون، ﴿فِيؤَفِّيهِمْ أَجْرَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا﴾: عن عبادته ﴿وَأَسْتَكْبَرُوا﴾: عن الحور ﴿فَيَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكَ﴾: محمّد عليه الصلاة والسلام، ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾: القرآن، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ﴾: تمسكوا بالقرآن وتوكلوا على الله، ﴿فَسَيَدْخُلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ﴾: توجب النجاة، ﴿وَفَضْلٍ﴾: زائد على أعمالهم، ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى﴾: إلى الله، ﴿صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾: إلى العلم والعمل والجنة، ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾: في الكلالة، ﴿قُلْ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَلَةِ﴾: القراية الغير البعضية، ﴿إِنْ أَمَرُوا هَلْكَ﴾: مات، ﴿لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ﴾: ولا والد، ﴿وَلَهُ أُخْتٌ﴾: من الأبوين أو الأب، ومضى حكم الأمية، ﴿فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ﴾: المرء، ﴿بِرِثْهَا﴾: الأخت في عكسه، ﴿إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ﴾: ولا والد، ﴿فَإِنْ كَانَتْ

(١) في (ن): يلتزم.

أُنْتَتَيْنِ ﴿: فصاعدًا، ﴿فَلَهُمَا الثُّلَثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾: الأخ، ﴿وَلِإِن كَانُوا إِخْوَةً﴾: وأخوات، ﴿رَجَالًا
وِنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ﴾: الحق كراهة، ﴿أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: ومنه مصالحيكم في محياكم ومماتكم - والله أعلم بالصواب.



«سورة المائدة»: مدنية (١)

لَمَّا بَيَّنَّ لَنَا الْحَقَّ وَالضَّلَالَ، كراهة الضَّلَالِ أمرنا بوفاء عهوده، وهي اتباع ما بيَّن لنا في الحال والمآل فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾: بكل عُقُودكم مع أنفسكم وما بينكم وبين الله، وما بين الله وبينكم، سواء أوجبها الشرع في الكتاب والسنة والعقل كما ذكره الله مع معرفته فينا، وتتوصل إليه بالبدية أو بأدنى نظرٍ، كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾ (٢) إلى آخره، فذلك سنة، وكل إما يلزم ابتداء أو بالتزامنا، والثاني: إما واجب الوفاء أو مُسْتَحَبُّه، أو واجب الترك أو مُسْتَحَبُّه، فالملتزم أربعة وعشرون قسمًا، والوفاء والإيفاء: القيام بمقتضى العهد، ثم فَصَّلَ الْعُقُودَ بقوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةٌ﴾: هي كُلُّ حَيٍّ لَا يُمَيِّزُ، ﴿الْأَنْعَامِ﴾: إضافة بيانية كَتُوبِ حَزْرٍ، أي: الإبل والبقر والغنم، وألحق بها الظباء وبقر الوحش، ﴿الْأَمَائِتَيْنِ عَلَيْكُمْ﴾: تحريمه في آية: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ﴾ - الآية، حَالَ كُونِكُمْ ﴿غَيْرِ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾: جَمْعُ حَرَامٍ بمعنى مُحْرَمُونَ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾: من التحليل والتحريم، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُحِلُّوهُا شَعْبِيرٌ﴾: مناسك الحج، كالصَّيْدِ فِي الْإِحْرَامِ أو دينه، ﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾: بابتداء القتال فيه، وهذا منسوخ عند الأكثر، ﴿وَلَا الْهَدْيَ﴾: جمع هدية: ما أُهْدِيَ إِلَى الْكَعْبَةِ مِنَ النَّعْمِ، أي: لا تتعرَّضُوا لَهُ وَلَوْ غَيْرَ مُقَلَّدٍ ﴿وَلَا أَلْقَيْتَهُ﴾: الهدى ذوات القلائد، جمع قلادة ما يُقَلَّدُ بِهِ الْهَدْيُ مِنْ نَحْوِ نَخْلٍ أَوْ لِحَاءِ شَجَرٍ، ﴿وَلَا﴾: تحلوا، ﴿ءَامِينَ﴾: قاصدين، ﴿الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا﴾: رزقًا، ﴿وَمَنْ رَزَقَهُمْ﴾: بالتجارة، ﴿وَرِضْوَانًا﴾: بزعمهم، فدخل الكافر، ولكنه نسخ بـ ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ

(١) في هامش نسخة (د): سورة المائدة - مدنية، مائة وعشرون آية، وعند البصريين ثلاث وعشرون غير آية: «وعشرون غير آية: ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ﴾ ثم نزلت التوبة، كلماتها (٢٨٠٤)، حروفها (١١٩٣٠)، وفي هامش (ن): بلغ مقابلة.

وفي عدد سور القرآن (٢٢٠): أحد عشر ألفًا وسبعمائة وثلاثة وثلاثون حرفًا.

* وانظر: البصائر (١/١٧٨)، البيان (١٤٩)، القول الوجيز (١٨٥).

(٢) سورة الأعراف.

نَجَسٌ ﴿١﴾ إِلَى آخِرِهِ، ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾: إباحة، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ﴾: بغض، ﴿قَوْمٍ أَن﴾؛ لَأَن، ﴿صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: عام الحديبية، ﴿أَن تَعْتَدُوا﴾: بانتقام بصددهم عن العمرة، وهذا ثاني المفعولين، ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ﴾: ما أمرتم به، ﴿وَالنَّقْوَى﴾: عن المنهي، ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ﴾: المعصية، ﴿وَالْعُدْوَانَ﴾: الظلم، ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ: ما فَارَقَتِ الرُّوحَ بِلَا تَذَكِّيَةٍ (٢)، ﴿وَالذَّمُّ﴾: المسفوح، ﴿وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ﴾: رُفِعَ الصَّوْتُ، ﴿لِعَٰلِمِ اللَّهِ بِهٖ﴾ كما مرَّ، ﴿وَالْمُنْحَنِقَةَ﴾: ما مات بالخنق، ﴿وَالْمَوْقُوذَةَ﴾: ما مات بضرب مثل، ﴿وَالْمُرْدِيَّةُ﴾: ما مات بالتردي (٣)، ﴿وَالنَّطِيحَةَ﴾: ما مات بنطح الآخر، ﴿وَمَا أَكَلَ السَّعِيعُ﴾: منه فمات وإن كان جوارح الصيد، ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾: من الخمسة قبل موته بهذه الأسباب (٤)، وفيه حياة مستقرة، والذكاة قطع الحلقوم والمريء بمحدد وذكر الخمسة مع أنها ميتة لعد الكفرة ذلك ذكاة، ﴿وَ﴾ حُرِّمَ ﴿مَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾: أي: لها جمع نصاب، أَوْثَانٌ حَوْلَ الْكَعْبَةِ كانوا يذبحون لها تعظيمًا، فحرم وإن ذكر اسم الله عليه، ﴿وَ﴾ حرم، ﴿أَن تَسْتَفْسِحُوا﴾: تطلبوا معرفة ما قسم لكم من مقاصدكم، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: جمع زلم، سهامٌ كتب في بعضها: أمرني ربي، وفي بعضها: نهاني ربي، وبعضها غير مكتوب، فبمجيء الأمر فعلوا، وبالناهي تركوا، أو الغفل أعادوها ثانيًا، أو هو استقسام الجزور على الأنصبة المعلومة وذكر الاستقسام مع البواقي لارتكابهم كلها عند البيت، ﴿ذَلِكُمْ﴾: الاستقسام، ﴿فَسُقُوا﴾؛ لأنه وإن أشبه القرعة دخول في علم الغيب، وافترأ على الرب، إن أريد بربي الله وشركٌ إن أريد الصنم، وجهل بالثمن والمثمن على التفسير الثاني، ﴿الْيَوْمَ﴾: الأزمنة الحاضرة، ﴿يَسَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن﴾ إبطال، ﴿دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾: من غلبتهم عليكم، ﴿وَآخِشُونَ﴾: فقط، ﴿الْيَوْمَ﴾: يوم عرفة حجة الوداع،

(١) سورة التوبة.

(٢) ذبح.

(٣) من مكان عالٍ.

(٤) في نسخة (د): الأشياء.

﴿ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾: فما نزل (١) حلالاً وحرام بعده، ﴿ وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾: بإكمال الدين، ﴿ وَرَضِيْتُ ﴾: اخترت، ﴿ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾: من بين الأديان، وهذه الجملة منقطعة من الأوليين، ﴿ فَمَنْ أَضْطَرَّ ﴾: إلى تناول مُحْرَمٍ منها، ﴿ فِي مَخْصَصَةٍ ﴾: مجاعةٍ ﴿ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ ﴾: مائل، ﴿ لِإِثْمٍ ﴾: كأكلها مجاوزاً حد الرخصة، ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ ﴾: له، ﴿ رَحِيمٌ ﴾: به لا يؤاخذ به، ﴿ سَأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ ﴾: ما لم تستخبثه الطباع السليمة بشرط أن لا يدل نص ولا قياس على حرمة، ﴿ وَ ﴾: صيد، ﴿ مَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ ﴾: أي: كواسب الصيد من سباع وطيور حال كونكم ﴿ مُكَلِّبِينَ ﴾: معلمين إياها الصيد، والمكَلَّبُ: مؤدبها، كالمؤدب لمعلم الأدب؛ لأن كل سبع يسمى كلباً، وهي بمعنى مغربها وفي الحديث: «اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبًا مِنْ كِلَابِكَ» (٢)، ﴿ تَعْلُمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ ﴾: من الحيل، ﴿ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ ﴾: ما لم يأكلن منه وإن قتلنه، ﴿ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ ﴾: ندباً ﴿ عَلَيْهِ ﴾، أي: ما علمتم عند إرساله أو على أكله، ﴿ وَأَنْقُوا اللَّهَ ﴾: في محرّماته، ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾: فيؤاخذ بما جَلَّ ودَقَّ ﴿ أَيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامٌ ﴾: ذبائح ﴿ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾: اليهود والنصارى، ﴿ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامٌ كَمِ حِلِّ لَكُمْ ﴾: أي لكم أن تطعموهم ذبائحكم، ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ ﴾: الحرائر، ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ ﴾: الحرائر، ﴿ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ ﴾: مهورهن، تقييد الحل به لتأكيد وجوبها وبالإحصان للبعث على الأولى ﴿ مُحْصِنِينَ ﴾: أَعْقَاءَ بالنكاح، ﴿ غَيْرِ مُسْفَحِينَ ﴾: مُجَاهِرِينَ بِالزَّنا، ﴿ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ﴾: أصدقاء يزنون بهن جَمْعُ خَدْنٍ، ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ ﴾: بالشرع بإنكاره أو بمعنى يرتد عنه، ﴿ فَقَدْ حَبِطَ ﴾: ضَاعَ ﴿ عَمَلُهُ ﴾: إن مات عليه، ﴿ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴾: يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُتِلُوا ﴾: أردتم القيام، ﴿ إِلَى الصَّلَاةِ ﴾: أي: مُحَدِّثِينَ (٣) للحديث، ولمقابلته بقوله: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا ﴾، أو لقوله: ﴿ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ ﴾ «إلى آخره، وقيل هو أمر للمحدث وجوباً، وللمتطهر ندباً، وإعلام للنبي - ﷺ - ألا يترك كل الأعمال إن

(١) يعني: فلم ينزل.

(٢) رواه الحاكم في المستدرک (٥٣٩/٢) كتاب التفسير سورة أبي لهب - وسنده ضعيف جداً.

(٣) تفسير ابن كثير (٢٢/٢).

أحدث؛ لأنه - ﷺ - كان إذا أحدث امتنع من الأعمال كلها ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾: أي: أمرُوا الماء عليهما بلا ذلك، خلافًا لمالك، ﴿إِلَى﴾: أي: مع، ﴿الْمَرَافِقِ﴾: للحديث^(١)، ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾: الباء للإصاق يُقيد^(٢) للتبعيض، فإنها الفارق بين: مسحت المنديل، أي: كله، وبالمنديل أي: بعضه، ونقل ابن مالك عن أبي علي^(٣) في التذكرة: أنها تجيء بمعنى «من» للتبعيض، وبه أخذ أبو حنيفة^(٤) - ﷺ - إلا أنه لا يجعله للأقل^(٥)؛ لحصوله في ضمن الوجه، ويرده وجوب الترتيب، ﴿وَأَرْجَلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾: بالنصب واضح، وبالجر قيل بالجواز والواو تأباه^(٦)، وقال أبو زيد: المسح عند العرب: غسل ومسح فغاية الأمر أنها تصير بمنزلة المجمل وصِحَاحُ الأحاديث، بلغ التواتر في وجوب غسلها، فلا يرد إمكان حمل النَّصْبِ على العطف على محل الممسوح وبعطفها على الممسوح نبه على ترك السرف في الصب بكونه مظنه فهو ك:

* مَتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمَحًا^(٧) *

(١) رواه الدارقطني (٨٣/١) والبيهقي (٥٦/١). * وانظر: تيسير البيان (١٠٣/٣).

(٢) يعني: حرف الباء يُفيد... إلخ.

(٣) يعني الفارسي.

(٤) أحكام القرآن للجصاص (٣/٣٤٥)، المبسوط للسرخسي (١/٦٣).

(٥) في (ن): للأكمل.

(٦) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحزمة وأبو بكر وأنس وعكرمة وابن عباس والشعبي «وأرجلكم» بالخفض.

* البحر المحيط (٣/٤٣٧)، السبعة (٢٤٢)، غيث النفع (٢٠٠).

(٧) عجز بيت من مجزوء الكامل، وصدرة:

* يَا لَيْتَ زَوْجِكَ قَدْ غَدَا *

وقائله: عبد الله بن الزبيري، والشاهد فيه قوله: «ورمحا» حيث نصبه بعامل محذوف تقديره: حاملًا،

ويجوز تضمين «متقلِّدًا» معنى «حاملًا» حين ذلك يصح تسليطه على «رمحا».

انظر: الأشباه والنظائر (٢/١٠٨)، (٦/٢٣٨)، أمالي المرتضى (١/٥٤)، الأنصاف (٢/٦١٢)،

خزانة الأدب (٢/٢٣١)، (٣/١٤٢)، (٩/١٤٢)، الخصائص (٢/٤٣١)، شرح شواهد الإيضاح

(١٨٢)، شرح المفصل (٢/٥٠)، المقتضب (٢/٥١)، معاني الفراء (١/١٢١، ١٢٣)، الزاهر

(١/١٤٧)، مجاز القرآن (٢/٦٨)، معاني القرآن للزجاج (٢/١٦٨)، وللأخفش (٢/٤٦٦)، الكامل

لمبرد (١/٣٣٤، ٣٧١)، أحكام القرآن لابن العربي (٢/٥٧٨).

لأن الغسل والمسح متقاربان معنى وقرينة المجاز أن لا غاية للمسح، وله غاية، فمراده: اغسلوا غسلاً خفيفاً وقيل: معطوف على مسح الرأس لفظاً ومعنى، ثم نسخ بالسنة وتوسيط الرأس بين الأيدي والأرجل دليل لوجوب الترتيب والفاء والسنة لوجوب النية، ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾: فاغتسلوا، ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾: فُسِّرَ مَرَّةً، ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ﴾: كلها، ﴿وَأَيْدِيكُمْ﴾: أي: مع المرفقين بضربتين للسنة، وتفسير الآية مرَّ ﴿مِنْهُ﴾: أي: ببعضه، فلا يتيمم بصخر صلد، وفي كون من ابتدئية تعسّف، بينه في الكشف وغيره، وكونها سببية والضمير للحدث خلاف الظاهر على أن الفاء أفادتها، ولعل تكرار الآية لبيان هذا الشرط مع اتصال بيان أنواع الطهارة، ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾: ذلك، ﴿لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ حَرَجٍ﴾: ضيق، ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ﴾: ذلك، ﴿لِيُطَهِّرَكُمْ﴾: ظاهراً وباطناً، ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾: بيان مظهرهما، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: نعمته فيزيدها، ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: دينية، ودينيه، ﴿وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ﴾: بيعة الرضوان، ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾: في المنشط والمكروه، ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ﴾: في نقض عهده، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: خفياتها، ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ﴾: بالحق، ﴿لِلَّهِ﴾: لا رياء، ﴿شُهَدَاءَ يَأْتِسِرُ﴾: بالعدل، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: يكسبنكم، ﴿شَتَانُ﴾: بغض، ﴿قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ءَاعْدِلُوا﴾: ولو مع العدو، وهو العدل، ﴿هُوَ﴾ العدل، ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾: من قبيل ﴿أَصْحَابِ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ﴾ إلى ^(١) آخره، ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: فيجازيكم، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: ثم بين الموعود في قوله، ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ لو لهم سيئة ﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ والَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ﴾: قريش، ﴿أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾: بالقتل حين اشتغالكم بصلاة العصر، فجاء جبريل بصلاة الخوف، وأخبركم بمكروهم ^(٢)، ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ

(١) سورة الفرقان.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٩٣/٦) وسنده ضعيف.

وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا
مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِيًّا ﴿٢﴾: كفيلا من اثني عشر سبطاً بالوفاء على ما أمروا به من دخول
الشام ومحاربة الجبابرة، ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ﴿٣﴾: بالنصر والله ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمْ الصَّلَاةَ
وَأَتَيْتُمْ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمْهُمْ ﴿٤﴾: نصرتموهم، وأصله الرد فيستعمل في
الردع عن القبيح، ورد الأعداء، وهو النصرة، واستعماله في التأديب من باب: «انصر
أخاك ظالماً أو مظلوماً»^(١)، ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴿٥﴾: بالإففاق في البر،
﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴿٦﴾ فَمَنْ كَفَرَ
بَعْدَ ذَلِكَ ﴿٧﴾: الميثاق، ﴿مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٨﴾: طريق الحق، إنما خصه
مع أن قبله كذلك؛ لأنه أقبح ﴿فِيمَا نَقُضِهِمْ ﴿٩﴾ فبنقضهم ﴿مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ ﴿١٠﴾: أبعدناهم
عن رحمتنا، ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴿١١﴾: صلبة وقاسية مغشوشة، فإنها أصلب،
﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ ﴿١٢﴾: كلام الله، ﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴿١٣﴾: مريانه، ﴿وَنَسُوا حَظًّا ﴿١٤﴾: نصيباً
لهم، ﴿مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴿١٥﴾: من التوراة، فلم يعملوا بها، ﴿وَلَا تَزَالُ ﴿١٦﴾: يا محمد، ﴿تَطَّلِعُ عَلَى
خَائِنَةٍ ﴿١٧﴾: خيانة، ﴿مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾: كابن سلام وأضرابه^(٢)، ﴿وَمِنْهُمْ قَاعُفٌ عَنْهُمْ
وَأَصْفَحٌ ﴿١٩﴾: أعرض، ونسخ بالسيف^(٤)، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمِنَ الَّذِينَ
قَالُوا إِنَّا نَصْرَتُكَ ﴿٢١﴾: أي: زعموا نصرة دين الله وقيل هم من ناصرة الشام، ﴿أَخَذْنَا
مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا ﴿٢٢﴾: نصيباً وافراً، ﴿مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴿٢٣﴾: في الإنجيل من اتباع محمد
عليه الصلاة والسلام، ﴿فَأَغْرَيْنَا ﴿٢٤﴾: ألزمتنا، ﴿بَيْنَهُمْ ﴿٢٥﴾: بين فرقهم النسطورية واليعقوبية
والملكانية، ﴿الْعِدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ ﴿٢٦﴾: كمال العداوة، ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ
يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٢٧﴾: بما قطع جزاء، ﴿يَكْأَهْلَ الْكِتَابِ ﴿٢٨﴾:
الكتابيين، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا ﴿٢٩﴾: محمد عليه الصلاة والسلام، ﴿بَيِّنَاتٍ لَكُمْ

(١) رواه أحمد (٢٠١/٣)، والبخاري في صحيحه (٢٤٤٣/٥)، والترمذي في جامعه (٢٢٥٥/٤).

(٢) الوسيط (١٦٨/٢).

(٣) في (د)، و(ن): أحزابه.

(٤) يعني بأية السيف. * تفسير الطبري (١٠١/٦)، تفسير ابن كثير (٣٣/٢)، الناسخ والمنسوخ لابن

سلامة (١٥٠).

كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ ﴿: كآية الرجم، وبشارة عيسى بأحمد^(١)، ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾: من تحريفكم وخيانتكم مما أمر بالعفو عنه، فلا يرد أنه لم يجب عليه إظهار حق كتموه، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾: القرآن، ﴿وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ﴾: أي: من في علمه أنه يتبع، ﴿رِضْوَانُهُ﴾: بالإيمان، ﴿سُبُلَ السَّلْوِ﴾: النجاة^(٢)، ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾: الكفر، ﴿إِلَى النُّورِ﴾: الإيمان، ﴿بِإِذْنِهِ﴾: بإرادته، ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: يوصل إلى الله، ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا﴾: يعقوبية^(٣) النصراني، القائلون بالاتحاد، ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾: أو هم النصراني، مستدلين بصفاته من الإحياء والغيب على الإلهية، فهو مثل: الكريم زيد، ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنْ﴾: قدرة ﴿اللَّهِ شَيْئًا﴾ مجاز عن الرد كلا أملك رأس الدابة ﴿إِنِ ارَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴿: إذ كلهم سواء تحت قهره، وهذا ينافي الألوهية، ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا

(١) تفسير الطبري (١٠٣/٦)، لباب النقول (١٠٤).

(٢) قال ابن عباس: يريد: دين الإسلام دين الله. * الوسيط (١٦٩/٢).

(٣) ويقال لهم: البعاقبة وهم من كفره النصراني - لعنهم الله - وهي فرقة يعقوب السروجي ويسمى البرادعي!!!! ادعت أن المسيح أصاره الاتحاد طبيعة واحدة وأقنومًا واحدًا، من طبيعتين: لاهوتية وناسيوتية - ومشيئة واحدة «المونوفيزية» وأول من قال به أو طاخي «أوتيكيس» وهو رئيس دير بالقرب من القسطنطينية، وقد أنكر هذا القول فلافيان - بطريرك وأما البرادعي!!! فقد ظهر - لعنه الله - في القرن السادس الميلادي.

وقد أخذت بهذا المذهب ثلاث كنائس من الكنائس التي سمت نفسها الأرثوذكسية (OR-TODOXE). وهي كلمة يونانية معناها: الرأي الصحيح أو المستقيم، وقد استخدمت القساوسة اليونانية هذا الاصطلاح في القرن الرابع الميلادي، وهذه الكنائس هي:

١- الكنيسة الأرثوذكسية في مصر والحبشة.

٢- الكنيسة الأرثوذكسية السريانية «أسيا».

٣- الكنيسة الأرثوذكسية والأرمنية «أرمينيا».

وهم يزعمون أن مريم ولدت الرب - تعالى الله عن كفرهم - وأنه صلب متجسدًا ومسرومات ودفن ثم صعد إلى السماء.

* الخطط (٤٨٨/٢)، الأسفار المقدسة (١٣٢، ١٣٣)، موجز تاريخ المسيحية (٣١٨، ٣٢٣).

يَشَاءُ ﴿: بلا أصل، ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ﴿: ممكن، ﴿قَدِيرٌ ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ
أَبْتَنُوا اللَّهَ ﴿: كأبنائه في عطوفته علينا أو خواصه نحو: أبناء الدنيا، أو المراد عزيز
وعيسى، كقول أقارب الملك: نحن الملوك، ﴿وَأَحْبَبْتُوهُ قُلُوبًا فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ﴿: في
الدنيا بنحو المسخ وفي الآخرة بأشد منه ولو أيامًا معدودة بزعمهم، والوالد والحيب
لا يعذبان كذلك، ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ﴿: والقديم لا يلد مخلوقًا، ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ ﴿
كالمؤمن ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ﴿: كاليهود، فلا مزية لكم على أحد، ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿: فيجازي الكل، ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا ﴿:
محمد عليه الصلاة والسلام، ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ ﴿: الدين، ﴿عَلَى ﴿: حين، ﴿فَتَرَى ﴿: فتر
الشيء: سكنت حدته، وصار أقل مما كان عليه، ﴿مِنَ الرُّسُلِ ﴿: إذ بينه وبين عيسى،
ستمائة سنة، وفيها ثلاث أنبياء من بنى إسرائيل ونبى العرب، خالد بن سنان^(١) كراهة،
﴿أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ﴿: فلا عذر، ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴿: ومنه إرسال الرسل ترى أو على فترة، ﴿و ﴿: اذكروا، ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ
يَقَوْمِ أَدْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ ﴿: من وقت إبراهيم إلى عيسى أربعة
آلاف نبي^(٢)، ﴿وَجَعَلَكُمْ مَلُوكًا ﴿: ذوي الخدم بعدما كنتم مملوكين، ﴿وَأَتَّكُم مَّا لَمْ
يُوتَ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿: ممن تقدمكم من الفضائل، فإن دين كل نبي أكمل من قبله،
﴿يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ ﴿: بيت المقدس أو الشام، ﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ ﴿: في اللوح
أنها، ﴿لَكُمْ ﴿: إن آمنتم وأطعتم، فلا ينافيه: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴿^(٣) أو
بمعنى قسمة أو وهبة، إذ أربعين ظرف محرمة، ﴿وَلَا تَزِدُوا عَلَيَّ آذَانِكُمْ ﴿: خوفا من
الجبابرة، ﴿فَنَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿: ثواب الدارين، ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ﴿:
متغلبين لا نقاومهم، والجبار: مَنْ جَبَرَ النَّاسَ عَلَى مَا يُرِيدُهُ، ﴿وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّى
يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿ قَالَ رَجُلَانِ ﴿: يوشع ابن أخت موسى،

(١) هذا من كذب المؤرخين وخرافاتهم، فخالد بن سنان ليس نبياً، ويشبه أن يكون رجلاً صالحاً.

(٢) الله أعلم ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿.

(٣) سورة المائدة.

وكالب^(١) زوج أخت مريم^(٢)، ﴿مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾: الله، ﴿أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾: بالثبات والعصمة، وهما من النقباء المذكورة، ﴿أَدْخَلُوا عَلَيْهِمُ الْأَبَابَ﴾: من باب قريتهم، ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنتَبِهُوا﴾: لإنجاز وعد الله وضعف قلوبهم، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: به، ﴿قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلَا﴾: الجبارين^(٣)، ﴿إِنَّا هَهُنَا فَعِدْوَتٌ﴾ قال ﴿موسى حينئذ﴾ ﴿رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾: لأن مالك طاعته كماله، ولم يقيد بالرجلين لما رأي من تلون قومه، أو الأخ مؤاخيه دينا فيدخلان، ﴿فَأَفْرَقَ﴾: اقض، أو بعدد، ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ قال ﴿الله﴾: ﴿فَإِنهَا﴾: الأرض المقدسة، ﴿مَحْرَمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾: دخولها أبدا، ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾: ظرف لقوله: ﴿يَتِيهُوتُ﴾: يسIRON متحيرين، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: فأهل^(٤) التيه كلهم ماتوا فيه حتى موسى وهارون وإلا يوشع وكالب، ويوشع سار بأولادهم الذين ما بلغوا عشرين يومئذ، وفتحها بعد موت موسى بشهرين، وقيل: هو ظرف محرمة، ﴿فَلَا تَأْسَ﴾: لا تحزن، ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾: تسلية لموسى ﴿وَأَتْلُ﴾: يا محمد، ﴿عَلَيْهِمْ نَبَأُ أَبِي آدَمَ﴾: هابيل وقابيل^(٥) تلاوة ملتبسة، ﴿بِالْحَقِّ﴾: بالصدق، ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾: هو كل ما يتقرب به إلى الله، ﴿فَنَقَبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾: هابيل تقرب بكبش فأكلته النار، وهو الذي فدى به إسماعيل^(٦) وقيل: بحمل سمين، ﴿وَلَمْ يُقَبَّلْ مِنَ الْآخِرِ﴾: قابيل، تقرب بزرع، وهو أردأ قمحه، وسبب القربان: الاختلاف في تزوج توأمة هابيل، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن سببه: أنه لم يكن مسكين يقبل الصدقة، فقبلتها النار، فحسد أخاه، و ﴿قَالَ﴾: له، ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ قال ﴿هابيل﴾، ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾: فلم تقتلني لقبول قرباني، والله ﴿لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ

(١) هو ابن يوقنا.

(٢) غرر التبيان (٢٤٥)، تفسير القرطبي (١٢٧/٦).

(٣) في (ن): الجبارة، وفي باقي النسخ كما أثبت.

(٤) أرض التيه: ما بين أيلة والأرض المقدسة وهي ستة فراسخ.

* غرر التبيان (٢٤٥)، تفسير الطبري (١٨٣/٦)، القرطبي (١٣١/٦).

(٥) غرر التبيان (٢٤٥)، معالم التنزيل (٣٢/٢).

(٦) التعريف والإعلام (٣٣)، غرر التبيان (٢٤٥).

إِلَيْكَ لِأَقْنُكَ إِيَّيَ أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ: وكان هايل أقوى ومنعه الورع، ﴿إِيَّيَ أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ﴾: أن ترجع، ﴿يَاثِمِي﴾: كله أو ياثم قتلى، ﴿وَأَيْمُكَ﴾: الذي لم يتقبل قربانك به، ﴿فَتَكُونُ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ﴾: أراد إن كان ذلك واقعاً بيننا لا محالة، فأريد أن يكون لك لا لي، فليس من قبيل إرادة بغضه، وقيل: تقديره: لا تبوء، ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ فَطَوَعَتْ﴾: سهلت، ﴿لَهُ، نَفْسُهُ، قَتَلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ﴾: وهو ابن عشرين سنة^(١)، ﴿فَأَصْبَحَ﴾: فصار، ﴿مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾: فلما قتله ما درى ما يصنع به، ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا﴾: إلى غرابٍ مَيِّتٍ، ﴿يَبْحَثُ﴾: ينبش التراب، ﴿فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ﴾: الله أو الغراب، ﴿كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ﴾: جسد^(٢)، ﴿أَخِيهِ﴾: فإنه مما يستقبح في موته، ﴿قَالَ يَوَيْلَئِي﴾: يا هلاكي - تعالى - كلمة جَزَع، والألف بدل من ياء^(٣) المتكلم، ﴿أَعَجَزْتُ﴾ عن ﴿أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾: على فقد أخيه لا على قتله فلا يكون توبة على أنها لا تؤثر في حق العباد، واسود جسده، وتبرأ عنه أبواه، ﴿مِنْ أَجْلِ﴾: سبب، ﴿ذَلِكَ﴾: أي: قتله أخاه، ﴿كَتَبْنَا﴾: حكمتنا ﴿عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ﴾: قتل، ﴿نَفْسٍ أَوْ﴾: بغير، ﴿فَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾: كالشرك وقطع الطريق، ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾: لأنه سن القتل وجرى الناس عليه في الحديث: «على ابن آدم القاتل أولاً كفل من إثم كل قاتل»^(٤) أو معناه كل الناس خصومه إن لم يكن له ولي، ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾: تسبب إلى بقاء حياتها، ﴿فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾: لأنه سنة وأيضاً الناس كجسم واحد، فمؤذي البعض كمؤذي الكل، وصائته كصائته^(٥)، وكذا جاء في التفسير: إن المؤمنين خُصماء القاتل بغير حق، وأما قتل الكفرة فكقطع العضو الفاسد لإبقاء حياتها^(٦)، ﴿وَلَقَدْ جَاءَ تَهُمُّ﴾: بني

(١) كذا في جميع النسخ، واضطربت العبارة في (ن).

(٢) يعني: جيفته.

(٣) إذ الأصل: يا ويلتي، وفي (ن): ضمير المتكلم.

(٤) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تُقتل نفسٌ ظلماً، إلا كان على ابن آدم كِفْلٌ من دمه؛ لأنه

أول من سن القتل». رواه البخاري (٢٢٩/٢) و(١٨٦/٤)، ومسلم (٤١/٢).

(٥) في (د) وصيائته كصيائته.

(٦) يعني النفس.

إسرائيل، ﴿رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾: المعجزات، ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾: المجيء، ﴿فِي الْأَرْضِ لِمُسْرِفُونَ﴾: في القتل^(١) ونحوه، ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: أي: أولياءهما أو بمخالفة أمرهما بقطع الطريق ونحوه، ﴿وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾: للفساد، ﴿أَنْ يُقْتَلُوا﴾: بلا صلب إن أفردوا القتل، ﴿أَوْ يُصَلَّبُوا﴾: بعد القتل ثلاثاً إن قتلوا وأخذوا، كذا عند الشافعي، ﴿أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ﴾: اليميني، ﴿وَأَرْجُلُهُمْ﴾: اليسري كما بينه، ﴿مَنْ خَلَفَ﴾: إن أخذوا بلا قتل، ﴿أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾: إن أخافوا فقط، والنفي: أن يطلبوا فيحذوا أو يهربوا من دار الإسلام، وعند الحنفية هو الحبس، فأو للتفصيل لا للتخيير^(٢)، كذا فسره ابن عباس وغيره، ﴿ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ﴾: فضيحة، ﴿فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: إن كانوا مشركين، وإلا فعقاب الدنيا كفارة^(٣)، ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَنْ تَقْرَأُ عَلَيْهِمُ﴾: فإن كان مشركاً سقط عنه مطلقاً، وإن كان مسلماً سقط عنه حق الله فقط كما يفهمه: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَظِيمٌ رَّحِيمٌ﴾: فالقتل يسقط وجوبه لا جوازه قصاصاً، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾: القربة بطاعته^(٥)، ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: إن الذين كفروا لو أتت لهم مآ في الأرض جميعاً ومثله، معك، ليفتدوا: ليجعلوا كلاً منهما فدية لأنفسهم، ﴿بِهِ مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم، ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: فيه رد لمن يقول باعتيادهم على النار بعد مدة، ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾: أي: قدر ربع دينار، والسرقة: أخذ مال الغير من حرز مثله خفية بشروط معينة، ﴿فَأَقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾: أيماهما^(٦) من الرسغ، فإن عاد فرجله اليسرى من مفصل القدم ثم اليسرى

(١) في (ن): بالقتل.

(٢) الوسيط (٢/١٨١).

(٣) الوسيط (٢/١٨٢).

(٤) كذا في (ن)، و(د).

(٥) تفسير الطبري (٦/١٤٦)، الدر المنثور (٢/٢٨٠).

(٦) معاني القرآن - للزجاج (٢/١٨٩)، تفسير الرازي (١١/٢٢٧)، التبيان (١/٤٣٥)، الدر المنثور

(٢/٢٨٠)، معاني القرآن - للفراء (١/٣٠٦).

ثم رجليه اليمنى كله ثبت بالسنة^(١)، ﴿جَزَاءُ بِمَا كَسَبْنَا نَكَلًا﴾: عقوبة، ﴿مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾: في انتقامه، ﴿حَكِيمٌ﴾: في حكمه، ﴿فَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾: سرقته، ﴿وَأَصْلَحَ﴾: العمل، ﴿فَاتَى اللَّهُ يَتُوبَ عَلَيْهِ﴾: يقبل توبته، أي: في سقوط عذاب القيامة لا قطع اليد عند الأكثرين، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: أَلَمْ تَعْلَمْ: يا من له علم ﴿أَنَّ اللَّهَ لَهُ مَلَكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَعْفُو لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يتأيتها الرسول لا يحزنك الذين يسكرون في الكفر: لا تحزن بمسارعتهم إلى الكفر ﴿مِنَ﴾ المنافقين، ﴿الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا﴾: بك، ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ هم ﴿سَمِعُوا لِلْكَذِبِ﴾: من أخبارهم قبولاً، ﴿سَمِعُوا﴾: منك، ﴿لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾: تكبرا كقريظة سألوا حكم الرجم لأهل خيبر، ﴿يُحْرِفُونَ﴾: ينقلون، ﴿الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ﴾: أن وضعه الله في، ﴿مَوَاضِعِهِ﴾: كتبديلهم رجم الزاني بالجلد وتسويد الوجه^(٢)، ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا﴾: المحرف، ﴿فَاحْذَرُوا﴾: اقبلوه، ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ﴾: بل يفتي بخلافه كالرجم، ﴿فَاحْذَرُوا﴾: قبوله، ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾: عذابه أو ضلاله، ﴿فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ﴾: قدرة، ﴿اللَّهِ شَيْئًا﴾: في دفعها كما مر، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ﴾: من الشرك، فيه رد للمعتزلة^(٣)، ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾: فضيحة كهتك ستر المنافق وجزية اليهودي ﴿وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: سمعوا للكذب: مع علمهم بكذبه، ﴿أَكْفَلُونَ لِلشُّحْتِ﴾: الحرام المسحوت البركة، خص الأكل بالذكر لأنه معظم منافعه، ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾: أنت مخير، وقيل: نسخت بقوله: ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾، ﴿وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَكَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا﴾: نسخت بقوله: ﴿وَإِنْ أَحْكَم بَيْنَهُمْ﴾ إلى آخره، ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾: وكف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله: بالرجم، فهم لا يريدون بتحكيملك حكم الله،

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٧٢/٦)، شرح معاني الآثار (١٦١/٣)، الاستذكار (٥٤٦/٧)، الحاوي

الكبير (٣٢١/١٣)، الأم (١٥٠/٦)، الكافي - لابن عبد البر (٥٨١/١).

(٢) رواه مسلم (١٧٠٠)، وأحمد (٢٤٦/١)، والطبراني في الكبير (١٠٧٣٢/٣٠٢/١٠).

(٣) يعني لقول المعتزلة.

﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ﴾: عن حكمك بالرجم، ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: التحكيم، ﴿وَمَا أَوْلَيْتِكَ يَا الْمُؤْمِنِينَ﴾: لا بك ولا بكتابهم، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى﴾: إلى الحق، ﴿وَنُورٌ﴾: يكشف المبهمات، ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾: لا كاليهود فإنهم لم يسلموا وأنزلناها: ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا وَأَوْ﴾: يحكم بها، ﴿الرَّبَّانِيُّونَ﴾: الزهاد، ﴿وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾: أى: بسبب أمر الله هؤلاء الثلاثة بحفظ كتابه من التغيير، وأما القرآن فما وقع فيه تغيير إذ لم يكل حفظه إلى غيره، بل قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ (١) وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٢) ﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾: رقباء؛ لئلا يبدل، ﴿فَلَا تَخْشَوْا الْكَاسَ﴾: أيها اليهود في إظهار حكم الله كنعت محمد وآية الرجم، ﴿وَإِخْشَوْنَ وَلَا تَشْتَرُوا﴾: تستبدلوا، ﴿بِعَائِقِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: حطام الدنيا، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾: عنادا عمدا، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ وكتبنا عليهم: ﴿عَلَى الْيَهُودِ﴾، ﴿فِيهَا أَنْ النَّفْسَ﴾: مقتولة، ﴿بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنِ﴾: مفقوءة ﴿بِالْأَنْفِ وَالْأَنْفِ﴾: مجدوع، ﴿بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنِ﴾: مصلومة (٣)، ﴿بِالْأُذُنِ وَاللِّسَنِ﴾: مقلوعة (٤)، ﴿بِاللِّسَنِ وَالْجُرُوحِ قِصَاصٌ﴾: ذات قصاص، فيما يمكن الاقتصاص فيه، ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ﴾: بالقصاص بالعتو عنه، ﴿فَهُوَ﴾: التصدق، ﴿كَفَّارَةٌ لَهُ﴾: كل الدية لكل خطاياها، ونصفها لنصفها، وهكذا كما صحَّ في الحديث (٥)، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ وَقَفِينَا: اتبعناهم، ﴿عَلَى آثَرِهِمْ﴾: أي: النبيين، ﴿بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآيَاتِنَا الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾: كالتوراة، ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾: لا تخالفه إلا في قليل، ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ وَ﴾: آتيناه لهم أو قلنا لهم: ﴿لِيُحْكَمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ﴾: قبل نسخه، ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾: إليك، ﴿فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾: الخارجون عن طاعته، وصفهم بالكفر لإنكارهم (٦)

(١) في (د): إلى آخره.

(٢) سورة الحجر.

(٣) مقلوعة مستأصلة.

(٤) في (س): مقدعة!!

(٥) يشير إلى حديث: «من تصدق من جسده بشيء كفر الله عنه بقدر من ذنوبه» رواه أحمد (٥/٣٣٠).

(٦) في (د): لارتكابهم.

له، ثم بالظلم لحكمهم بخلافه ثم بالفسق لخروجهم عنه، ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾: القرآن ملتبسا، ﴿بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ﴾: جنس، ﴿الْكِتَابِ﴾: ﴿مُهِينًا﴾ رقيقا وشاهدا من هيمن عليه: شاهده وحفظه من الأمان كالمسيطر ﴿عَلَيْهِ﴾ على جنس الكتاب فما وافقه منها فحق، وغيره مُحَرَّفٌ، ﴿فَأَحْكُمْ بَيْنَهُمْ﴾: بين كل متحاكمين، ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ إليك ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ هُمْ﴾: بالانحراف، ﴿عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ﴾: لكل أمة، ﴿جَعَلْنَا مِنْكُمْ﴾: أيها الناس، ﴿شِرْعَةً﴾: سيلا، ﴿وَمِنْهَا جَا﴾ سنة أي: في الأحكام العملية، إذ لا خلاف في الأصول، فلا ينافي قوله: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ﴾^(١)، و﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾^(٢) إلى آخره؛ لأنه عنى به الأصول على أنه يجوز أن نتعبد بشرع من قبلنا بزيادة خصوصيات في ديننا^(٣)، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً﴾: جماعة، ﴿وَّاحِدَةً﴾: في الشريعة، ﴿وَلَكِنْ﴾: لم يشأ، ﴿لِيَبْتَلُوَكُمْ﴾: ليختبركم، ﴿فِي مَا آتَاكُمْ﴾: من الشرائع، فيتميز المطيع من العاصي، ﴿فَأَسْتَبِقُوا﴾: ابتدروا، ﴿الْحَيَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾: بثواب الصادق وعذاب الفاسق، ﴿و﴾: أنزلنا إليك: ﴿أَنْ أَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ بين أهل الكتاب حيث قالوا: اقض لنا على خصمنا لنؤمن بك والناس تتبعنا^(٤)، ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ إليك ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ هُمْ وَأَحْذَرُهُمْ﴾: مخافة، ﴿أَنْ يَفْتَنُوكَ﴾: يضلوك، ﴿عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: عمّا حكمت، ﴿فَاعَلِمْنَا أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُضِلُّوكَ﴾: بعقوبة الدنيا، كإجلاء بنى النضير وقتال قريظة، ﴿بِبَعْضِ﴾: بشؤم بعض ﴿ذُنُوبِهِمْ﴾: ومنها إعراضهم عن حكمك، ﴿وَإِنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾: خارجون عن طاعة الله، ﴿أَفْحَكُمُ﴾: الملة، ﴿الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾: يريدون، وهو اتباع الهوى، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾: اللام للبيان، نحو: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ أو للتخصيص؛ لأنهم المنتفعون به، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾: لا تعاشرؤهم كالأحباب، ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾: وكلهم يعادونكم، ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ يَكُنْ مِنَ الْفَاسِقِينَ﴾

(١) سورة الشورى.

(٢) سورة الأنعام.

(٣) في ذلك خلاف مسطور في كتب الأصوليين.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧٧/٦) وسنده ضعيف جدا؛ من أجل مقاتل.

مِنْهُمْ ﴿ يُحْشِرُ وَيُعَذِّبُ مَعَهُمْ وَإِنْ لَمْ يَكْفُرْ فِي الدُّنْيَا، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ :
 أَنفُسَهُمْ بِمَوَالِيهِمْ إِلَى طَرِيقِ النِّجَاةِ، ﴿ فَتَرَى ﴾ : يَا مُحَمَّد، ﴿ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ :
 شَكٌّ، ﴿ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ ﴾ : فِي مَحَبَّتِهِمْ، ﴿ يَقُولُونَ نَحْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ﴾ : مِنَ الدَّوَائِرِ بِأَنْ
 تَنْقَلِبَ الدَّوْلَةُ إِلَى الْكُفَّارِ، ﴿ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ ﴾ : لِلْمُسْلِمِينَ، ﴿ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ ﴾ :
 كَمَا جَاءَ بَعْضُهُمْ وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ، ﴿ فَيُضَيِّحُوهُمْ ﴾ : هَؤُلَاءِ، ﴿ عَلَيَّ مَا أَسْرَوُا فِي أَنفُسِهِمْ ﴾ : مِنَ
 النِّفَاقِ، ﴿ نَدِيمِينَ ﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴿ : بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ تَعَجُّبًا مِنْ كَذِبِهِمْ، ﴿ أَهْتَؤُلَاءِ الَّذِينَ
 أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ جَهْدِهِمْ أَنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ﴾ : ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿ حَيْطَتَ ﴾ : بَطَلْتَ،
 ﴿ أَعْمَلْتُمْ ﴾ : الْخَيْرِ، ﴿ فَأَصْبَحُوا خَيْرِينَ ﴾ يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ﴾ : وَقَدْ ارْتَدَّ
 ثَلَاثَ فُرُقٍ فِي آخِرِ عَهْدِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قَوْمَ الْعَنْسِيِّ (١) الْمُتَنَبِّئِيِّ، وَقَتْلَهُ
 فَيروز (٢)، وَقَوْمَ مَسِيلِمَةَ (٣)، وَقَتْلَهُمُ الصِّدِّيقِ، وَقَوْمَ طَلِيحَةَ (٤) الْمُتَنَبِّئِيِّ، وَفَرَّ مِنْ خَالِدِ
 ثُمَّ أَسْلَمَ، ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ ﴾ : أَبِي بَكْرٍ وَأَصْحَابِهِ (٥)، أَوْ الْفَرَسِ (٦) أَوْ الْأَشْعَرِيِّينَ (٧)،

(١) يعني الأسود - لعنه الله - .

(٢) يعني الديلمي .

(٣) الكذاب وقتله وحشي بن حرب - رضي الله عنه .

(٤) ابن خويلد - رضي الله عنه .

(٥) أخرجه الطبري (٦/ ٢٨٥) .

(٦) كذا، وهو يعني الفرس - بضم الفاء وسكون الراء المهملة - وهو يشير إلى ما ورد في تفسير ابن أبي

حاتم (٤/ ١١٦١/ ٦٥٣٩) عن أبي بكر بن عياش قال: أهل القادسية .

أقول: وهذا قول واه جدا، ولا دليل عليه؛ بل الصحيح خلافه، وهو أن الفتن والكفر والنفاق من فارس
 وإيران وما جاورها كالعراق .

وقد قال رضي الله عنه : «رأس الكفر نحو المشرق» رواه البخاري (٦/ ٣٢٠١) ومسلم (١/ ٨٥) وحال هؤلاء من
 الكفر والمكر والزندقة والرفض والكيد للإسلام وأهله معروف بين .

(٧) هذا هو التفسير الصحيح، فعن عياض الأشعري قال: لما نزلت: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ
 وَيُحِبُّونَهُ ﴾ ... الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «هم قوم هذا» وأشار إلى أبي موسى الأشعري .

رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٢/ ١٢٣/ ١٢٣١١)، وفي مسنده (٢/ ١٧٩/ ٦٦٤)، وابن سعد في
 الطبقات (٤/ ١٠٧)، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (٤/ ٤٦٠، ٤٦١/ ٤٦١)، والطبراني في
 الكبير (١٧/ ٣١٥/ ١٠١٥)، والطبراني في تفسيره (٦/ ١٨٣، ١٨٤) وسنده صحيح .

- وهذا هو اللائق بأهل اليمن، أهل الجهاد والنصر والنصرة والصبر، لا الفرس المنافقون - إلا من

﴿يُحِبُّهُمْ﴾: بتوفيقهم وتعظيمهم^(١)، ﴿وَيُحِبُّونَهُ﴾: بطاعته، وفسرت في: ﴿تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾، ﴿أَذَلَّةٍ﴾: خافضي أجنحتهم مع جلالته، ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْرَظَةٌ﴾: أشداء متغلبين، ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾: لصلابتهم في الدين، ﴿ذَلِكَ﴾: من الأوصاف، ﴿فَضَّلَ اللَّهُ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾: فضله، ﴿عَلِيمٌ﴾: بمستحقه، ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾: أي: أصالة، ﴿وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾: أي: تبعاء، ولذا لم يقل: أوليائكم، ﴿الَّذِينَ﴾: بدل، ﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾: كعلي - (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) -، إذ طرح خاتمه للسائل في الصلاة^(٢)، وليس المراد إمامته كما ظهر من سَوْقه بإزاء منع موالاته الكفار، والاتبان بالجمع، ودل على جواز الفعل القليل في الصلاة^(٣)، وأن صدقة التطوع زكاة، ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾: باتخاذهم أولياء، ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ﴾: أي: فهم، ﴿هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ بالحجة دائماً ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَلِعِبَاءَ مَنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ﴾: لا، ﴿الْكُفَّارِ أَوْلِيَاءَ وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾: بترك موالاتهم، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: وإذا ناديتم إلى الصَّلَاةِ اتَّخِذُواهَا﴾: الصلاة أو المناداة، ﴿هُزُوعًا وَلِعِبَاءَ﴾: فيه دليل لمشروعية الأذان ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾: إذ العقل يمنع الاستهزاء بمعقول مشروع، ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ لَكُمْ﴾: لا، ﴿تَقِيمُونَ﴾: تنكرون، ﴿مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا﴾: أي: إيماننا، ﴿بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ﴾: بأن، ﴿أَكْذَرَكُمْ فَسِقُونَ﴾: قُلْ هَلْ أَنْبَيْتُكُمْ بِشَرِّ مَنْ ذَلِكَ﴾: الإيمان المتقوم ﴿مَثُوبَةٌ﴾: جزاء، سَمَاءُ مَثُوبَةٌ تَهْكُمًا، ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾: دين، ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ﴾: بتحريفه، ﴿وَعَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ﴾ كَشَأْنِ أَهْلِ السَّبْتِ وَالْحُنَازِيرِ كَشَيْخِهِمْ ﴿وَ﴾: دين، ﴿عَبَدَ الطَّاغُوتِ﴾: أي: العجل، أو: عَبْدٌ كَخَدَمٍ^(٤) أي: جمع عابد فتقديره: ودين من عَبَدِ الطَّاغُوتِ، ﴿أَوْلِيَاكَ شَرٌّ مَكَانًا﴾: لأن مكانهم سقر، ﴿وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾: والمراد: التَّفْضِيلُ مُطْلَقًا كَمَا

= رحم الله - والله النصير.

- وقد وردت أحاديث كثيرة في فضائل أهل اليمن والأشعرين خاصة.

(١) هذا من تأويل الحُبِّ.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨٦/٦)، وابن أبي حاتم (٤/١١٦٢/٦٥٤٩) وابن مردويه (٢/٧٤/٧٤).

كثير) ولا يصح من وجه، وقد طار به الأرفاض كل مطارٍ، لكن للأسف بلا أجنحة.

(٣) وضابطه ألا يظن أنه في غير صلاة.

(٤) وقد قرئ: (وعُبد) بضم العين المهملة والباء الموحدة.

مَرَّ، ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ﴾: أي: هؤلاء الملعونون المعاصرون لكم، ﴿قَالُوا أَمَنَّا﴾: بدينكم، ﴿وَقَدْ دَخَلُوا﴾: إليكم ملتبسين، ﴿بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا﴾: ملتبسين، ﴿بِهِ﴾: أي: لم يتأثروا بما سمعوا، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾: من كفرهم، ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ﴾: الحرام، ﴿وَالْعُدْوَانَ﴾: الظلم، ﴿وَأَكْلِهِمُ السَّحْتَ﴾: الحرام، تخصيصه لخبثه، والله ﴿لَيْتَسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ لَوْلَا: في مثله للتخصيص وفي الماضي للتوبيخ، ﴿بَنِيهِمُ الرَّبِّيُّونَ﴾: زهادهم، ﴿وَالْأَحْبَارُ﴾: علماءهم، ﴿عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ﴾: الكذب ﴿وَأَكْلِهِمُ السَّحْتَ﴾: الحرام، والله ﴿لَيْتَسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾: من ترك النهي، والصنع أبلغ من العمل؛ لأنه^(١) عملٌ بعد تحر كثير في إجادته، ولذا^(٢) ذمَّ خواصَّهم، ولأن ترك الحسنة أقيح من مواجهة المعصية، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾: حين ضيق عليهم بتكذيبهم النبي، ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾: كناية عن البخل، ﴿عُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾: أي: هم البخلاء، أو دُعَا عليهم فيكون حقيقة من باب المشاكلة، وكلاهما واقع عليهم، ﴿وَلِيُنزِلُوا مَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾: بكمال الجود، ﴿يُفِيقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾: توسيعاً وتقديرًا، ﴿وَلِيُزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَّبِّكَ﴾: القرآن، ﴿مُطْعِنًا وَكُفْرًا﴾: وحيثُذ ففائدة إرساله إليهم إلزام الحجة، وتعميم رسالته وتعظيمها له، ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ﴾: بين طوائف اليهود، ﴿الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ﴾: مع المسلمين، ﴿أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾: بوقوع نزاع بينهم، ﴿وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾: للفساد، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ: مع تلك الجرائم، ﴿ءَامَنُوا﴾: بالقرآن، ﴿وَاتَّقَوْا﴾: المعاصي، ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾: الماضية، يفهم أن الإيمان بلا تقوى لا يكفي^(٣)، ويؤيده الحديث، ﴿وَلَا دَخَلْنَا لَهُمْ جَنَّتِ النَّعِيمِ﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ: بالعمل بهما بلا تحريف، ﴿وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ مِنَ رَّبِّهِمْ﴾: من كتب الأنبياء، ﴿لَا تَكُلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ﴾: من بركات السماء، ﴿وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾: من الثمار والزرع، والمراد كثرة السعة، وهذا في أهل الكتاب القائلين: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾، الذين ضيق الله عليهم عقوبة لهم، فلا يرد كون كثير من المتقين

(١) يعني: الصنع.

(٢) في (د): وكذا.

(٣) في (ن)، و(ع): لم يكفي.

العاملين في غاية الضيق، فالتوسيع والتضييق^(١) ليسا من باب الإكرام والإهانة، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ ﴿ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿كَلَّا﴾^(٢)، ﴿مَنْهُمْ﴾: بعضهم ﴿أُمَّةٌ﴾ جماعة، ﴿أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾: غير غالية ولا مقصرة كمؤمنهم^(٣)، ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ: ﴿كَلَّ﴾، ﴿مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾: ولو تعالت اليهود ولا تخف، ولعله فيما يتعلق بمصالح العباد دون بعض الأسرار الإلهية كما يفهم من الحديث، ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ﴾: بتبليغ الكل، ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾: كمُصَلِّ أضع رُكُنَ صَلَاتِهِ، ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ﴾: أي: يحفظ روحك، فلا يشكل بشخ رأسه - ﷺ -، على أنه قبل نزولها^(٤)، ﴿مِنَ النَّاسِ﴾: فلا تخف، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾: إلى ما يريدون بك ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾: دين يعبأ به ﴿حَتَّى تَقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَ﴾: جميع، ﴿مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: غير ما نسخ بلا تحريف وكتمان، ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ﴾: تحزن، ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾: فإنهم لا يستحقون العناية، ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: أظهروا الإيمان، ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ﴾: عبدة الملائكة كما مر، عطف على محل اسم إن، ﴿وَالنَّصْرَى مَنْ ءَامَرَ﴾: حقيقة، ﴿بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: عند الفرع الأكبر، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: على ما فات منهم في الدنيا، ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَلْ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا﴾: ليذكروهم ميثاقهم، ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ﴾: تشتهي^(٥)، ﴿أَنفُسَهُمْ فَرِيقًا﴾: من الرسل،

(١) في (ن): والضيق.

(٢) سورة الفجر.

(٣) في (د): كمؤيديهم.

(٤) أشد الناس بلاء الأنبياء، ومعنى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ﴾، أي: يمنعك من أن يقتلوك.

قلت - أبو الحسن -: ويقوي هذا ما ورد عن أم المؤمنين الصديقة عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يحرس، فنزلت: ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾... الآية فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة، فقال: «أيها الناس انصرفوا، فقد عصمني الله من الناس». أخرجه سعيد بن منصور (٤/١٥٠٣)، (٤/١٥٠٤/٧٦٨)، والترمذي (٥/٢٥١/٣٠٤٦)، والطبري في تفسيره (٤/١١٧٣/٦٦١٥)، والحاكم (٢/٣١٣)، والبيهقي في السنن (٩/٨)، والدلائل (٢/١٨٤) وسنده جيد.

(٥) فلم يكن عن حق أو تبصر أو حجة، بل كان الهوى هو قائدهم ودليلهم فحق عليهم أن يكونوا في جهنم الهاوية - والعباد بالله -.

﴿كَذَبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾: فسر مرة ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ﴾: لهم بصنيعهم هذا، ﴿فِتْنَةٌ﴾: بلاءٌ وعذابٌ، ﴿فَعَمُوا﴾: عن الهدى، ﴿وَصَمُّوا﴾: عن الحق، حين عبدوا العجل، ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: قبل توبتهم، ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا﴾: كَرَّةً أُخْرَى، ﴿كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾: بدل من الضمير، ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾: فيجازيهم، ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾: عيسى بن مريم، فُسِّرَ مرة^(١)، ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾: أي: أنا مثلكم، ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾: في عبادته، ﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾: بالكفر، ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾: هو والمسيح وأمه، وهم النسطورية والملكانية^(٢) منهم، القائلون بالأقانيم الثلاثة، الآب أي الذات، والابن أي الكلمة، وروح القدس أي: الحياة، ويقولون: الكل واحد كالشمس، تتناول القرص والشعاع

(١) وهو قول اليعاقبة - لعنهم الله -.

(٢) أما النسطورية، فهي نسبة إلى نسطوريوس الذي ولد بسوريا (٣٨٠م) وهلك (٤٥١م) وأصبح بطريركا على القسطنطينية (٢٤٤٨) لمدة أربع سنين، وأعلن مذهبه الذي تأثر فيه بأستاذه ثيودور المبوسستاني، هلك (٤٢٨م) بأن مريم أم المسيح الإنسان وليست والدة الإله، ومن أجله عقد مجمع (أفسوس) (٤٣١م) ووضع في هذا المجمع الكفري والمؤتمر الشركي مقدمة قانون الإيمان وأن مريم والدة الله - والعياذ بالله - وأن للمسيح طبيعتان لاهوتية وناسوتية في أقنوم واحد، وتقرر أيضًا خلع نسطور من الكنيسة ولعنه ونفيه إلى مصر.

* محاضرات في النصرانية (١٥٧، ١٥٩)، قصة الحضارة (١٠٠/٢، ١٠١).

وأما «الملكية» أو الملكانية، فهي نسبة إلى المذهب الذي اعتنقه ملوك الرومان النصراني، وهو أن للمسيح طبيعتين ومشيئتين في أقنوم واحد، وبدأ إقرار هذا المذهب في مجمع «نيقية» (٣٢٥م) بتأييد الملك قسطنطين لمذهب تعدد الآلهة واعتبار المسيح ابنا وإلهًا مستقلًا، ثم في مجمع القسطنطينية الأول (٣٨١م) تحددت هوية الثالوث النصراني بالآب والابن في المسيح طبيعتين - خلافًا لليعقوبية - ثم أضيف إلى هذا المذهب القول بأن المسيح له طبيعتان ومشيئتان في مجمع القسطنطينية الثالث (٦٨٠م) خلافًا للمارونية القائلين بأن المسيح له طبيعتان ومشيئة واحدة.

ثم كانت لهم مجامع أخرى وتخطبات أفضت (٨٦٩م) في مجمع القسطنطينية الرابع إلى انفصال الكنيسة الشرقية رئاسة ومذهبًا واسما عن الكنيسة الغربية (مذهب الملكية) حيث أصبحت الكنيسة الشرقية تسمى بكنيسة الروم الأرثوذكسية أو اليونانية، وأتباعها يعتقدون بأن الروح القدس منبثق عن الآب وحده وأكثرهم في الشرق باليونان وتركيا وروسيا وغيرها.

* موجز تاريخ المسيحية (٣١٣، ٣١٨)، الموسوعة الميسرة (٣٥٧).

والحرّ، ويجعلون الله تعالى أحد الأقانيم أي: أقنوم^(١) الآب، ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُهُ وَاحِدًا وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾: ﴿مِنْ﴾ بيانه، ﴿عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ أفلا يتوبون إلى الله: عن هذه المقالة، ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: يقبل التوبة من هذا الذنب العظيم، ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾: فهو مثلهم، ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾: صدقت بكلمات ربها، ﴿كَأَنَّا يَا كُلَّانِ أَلْطَعَامُ﴾: احتياجا، وهو ينافي الإلهية، ﴿انظُرْ كَيْفَ نُبِّئْتُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنَّى﴾: كيف، ﴿يُؤْفَكُونَ﴾: يصرفون عن الحق ﴿قُلْ أَعْبُدُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا﴾: يدفعه عنكم، ﴿وَلَا نَفَعًا﴾: يوصله إليكم، وتأخر الضر عن النفع ظاهر لكن في مثل هذا يقدم اهتماما إذ كانوا يشركون لتشفع^(٢) في دفع الضر، ﴿وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾: لأقوالكم، ﴿الْعَلِيمُ﴾: بعقائدكم، ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا﴾ لا تتجاوزوا عن الحدّ ﴿فِي دِينِكُمْ﴾ حال كون دينكم ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ﴾: قبل الإسلام، ﴿وَأَضَلُّوا﴾: خلقا، ﴿كَثِيرًا وَضَلُّوا﴾: بعده ﴿عَن سَوَاءٍ﴾: قصد، ﴿السَّبِيلِ﴾: أي: الإسلام، ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ﴾: في الزبور، أو بدعائه لاعتدائهم في السبت فمسخوا قرده، ﴿وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾: في الإنجيل، أو بدعائه لكفرهم بعد المائدة فمسخوا قرده وخنازير، ﴿ذَلِكَ﴾: اللعن، ﴿بِمَا عَصَوْا﴾: بعصيانهم، ﴿وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾: باعتدائهم، ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ﴾: لا ينهي بعضهم بعضا، ﴿عَن مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾: أرادوا فعله، والله، ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾: تركي: تبصر، ﴿كَثِيرًا مِنْهُمْ﴾: المنافقين، ﴿بَتَوْلَّوْنَ﴾: يوالون، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: المشركين بغضا لك، ﴿لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾: هو ﴿أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾: ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي: محمد عليه الصلاة والسلام، ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِ﴾: القرآن، ﴿مَا أَخَذُوا مِنْهُ﴾: المشركين، ﴿أَوْلِيَاءَ وَلَكِن كَثِيرًا مِنْهُمْ﴾: أي: ولكنهم أو ما لكثير المشركون، ﴿فَسِئَؤُهُمْ﴾: خارجون

(١) كلمة أقنوم كلمة يونانية معناها: الأصل أو الذات.

(٢) في (د): ليشفع.

عن دينهم، ﴿لَتَجِدَنَّ (١) أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾: اليهود أعدى، ولذا قدمهم، وفي الحديث: «ما خلا يهوديَّان بمسلم إلا هَمَّا بقتله» (٢)، ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا﴾: زعموا، ﴿إِنَّا نَصْرِي﴾: لدين الله، ﴿ذَلِكَ﴾: القرب، ﴿بِأَنَّ مِنْهُمْ قَتِيلِينَ﴾: علماء من القسِّ بالفتح: التبع، وبالكسر: رئيس النَّصاري، ﴿وَرُهْبَانًا﴾: عبادا، ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾: كاليهود، دل على أن التواضع، وترك الشهوة والعلم محمودة ولو من كافر، ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾: محمد - ﷺ - وهم وفد النجاشي، ﴿تَرَى﴾: تبصر، ﴿أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ﴾: تسيل، ﴿مِنَ الدَّمْعِ﴾: فيه مجاز (٣) للمبالغة، ﴿مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾: القرآن، ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا﴾: بذلك، ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾: بأنه حق، ﴿وَمَا﴾: أي: شيء يحصل، ﴿لَنَا لَا نُؤْمِنُ﴾ غير مؤمنين ﴿بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾: القرآن، ﴿وَمَا﴾: ما لنا لا، ﴿نَظْمَعُ أَنْ يَدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾: أمة محمد ﷺ، ﴿فَأَنبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا﴾: بقولهم: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا﴾ إلى آخره ﴿جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴿: ككفرة أهل الكتاب، ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْحَجِيمِ﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَبِيبَتِ ﴿: ما طاب، وَلَدَّ مِنْ ﴿مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَسْتَدُوا﴾: لا تظلموا أنفسكم في تحريم المباح كاللحم والدم والنساء، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ

(١) في هامش (ن): الجزء (٧).

(٢) رواه هذا اللفظ: الثعلبي في تفسيره (٢/٢١٤) وسنده ضعيف.

وبلفظ: «ما خلا يهودي»، بالافراد: ابن مردويه (٢/٨٥) تفسير ابن كثير، والخطيب (٨/٣١٦) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٠٦٢)، والضعيفة (٤٤٣٩).

* وقال الإمام العجلوني - رحمه الله - في كشف الخفاء (٢/٢٤٤):

وقد أطال الكلام عليه السخاوي في بعض الحوادث، فأقول: ويؤيد ذلك ما ذكره شيخنا المرحوم يونس المصري أنه كان يقرأ على يهودي يوما في المنطق، فقال له وقد انفرده به: لا تأتني إلا ومعك سكين أو نحوها؛ لأن اليهودي إذا خلا بمسلم ولم يكن معه سلاح، لزمه التعرض لقتله.

وقال النجم (الغزي): واشتهر في كلام الناس أنه ما خلا قط رافضى بسني إلا حدثته نفسه بقتله، وهي من الخصال التي شاركت الرافضة فيها اليهود.

* قلت - أبو الحسن -: وانظر: بذل المجهود فيما أشبهت فيه الرافضة اليهود - فهو مهم جدا.

(٣) الحمل على الحقيقة أولى من الحمل على المجاز - فاحذر التدليس.

الْمُعْتَدِينَ ﴿ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾: كما مرَّ ﴿ وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتَرَبَهُ مُؤْمِنُونَ ﴾ لا يُؤَاخِذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّعْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴿: هو ما سبق إليه اللسان بلا قصد، كلا والله، وبلى والله، كما صحَّ في الحديث^(١)، وعليه الشافعي^(٢) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمْ﴾: وثقتهم، ﴿الْأَيْمَانَ﴾: عليه بالنية إذا حثتكم، ﴿فَكَفَّرْتَهُ﴾: كفارة نكثه التي تدفع إثمها، ﴿إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ﴾: من لم يجد ما يكفيه، ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾: في بلدكم نوعا وقدرًا، وهو مد لكل مسكين^(٣) عند الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ونصف صاع عند الحنفيَّة، ﴿أَوْ كَسَوْتُهُمْ﴾: ما يقع عليه اسمها وهو ثوبٌ يغطي العورة ﴿أَوْ تَحْرِيرَ رَقَبَةٍ﴾: أي: مؤمنة، قياسًا^(٤) على القتل، والخصال تخيرية، والأولى الثالث ثم الثاني، ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾: واحدًا منها، ﴿فَصِيَامٌ﴾: فكفارته صيام، ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾: ولا تتابع عند الشافعي^(٥)، ﴿ذَلِكَ كَفْرَةٌ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾: وحثتكم، ﴿وَأَحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾: بأن لا تحلفوا، وعن الحنث إلَّا في ترك مندوب أو فعل مكروه للسنة، ﴿كَذَلِكَ﴾: البيان، ﴿بَيْنَ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: نعمه، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾: أنواع القمار، ﴿وَالْأَنْصَابُ﴾: حجارة كانوا يذبحون قرايبهم عندها تعظيمًا لها ﴿وَالْأَزْلَمُ﴾: فسرت مرَّة، والمرادُ تعاطيها ﴿بِرَجْسٍ﴾: هو النَّجَسُ إلَّا أنه غالبٌ في المُسْتَقْدِر طبعًا، والرجس عقلا وكذا فسر بالإثم والسخط، ﴿مَنْ عَمِلَ الشَّيْطَانَ﴾: لأنها مسببة تسويله^(٦)،

(١) سبق في سورة البقرة.

(٢) أحكام القرآن - لابن العربي (١٤٧/٢)، الجامع لأحكام القرآن (٢٦٦/٦).

(٣) قال: لأنه أقل ما وجد، كما في كفارة المفطر في شهر رمضان، وأخذ في تقديره بقول ابن عباس وزيد بن ثابت - رضي الله تعالى عنهم - * الحاوي الكبير (٣٠٠/١٥)، المغني (٢٧٤/٣)، المحلى - لابن حزم (٧٣/٨)، الاستذكار - لابن عبد البر (٢٠٠/٥).

(٤) وهو مذهب مالك والشافعي وأحمد.

* الأم (٦٥/٧)، بداية المجتهد (٨٣/٢)، المغني (١٨/٨)، الاستذكار (٣٤٤/٧) وجوز أبو حنيفة الرقبة الكافرة المبسوط (١٩٨/٣)، أحكام القرآن للجصاص (٣١٢/٥).

(٥) اختلف العلماء في وجوب التتابع: فأوجهه أبو حنيفة والشافعي في أحد قوليه، واستحبه مالك والشافعي في القول الآخر ولم يوجبه. * أحكام القرآن - للجصاص (١٢١/٤)، الهداية - للمرغيناني

(٧٤/٢)، الحاوي الكبير (٣٢٩/١٥)، الكافي - لابن قدامة (٣٨٦/٤)، الاستذكار (٣٥٠/٣).

(٦) في أنوار التنزيل (١٦١): لأنها مسبب عن تسويله.

﴿فَاجْتَبَوْهُ﴾: الرَّجْسُ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَقْلِحُونَ﴾: بالاجتناب، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾: خَصَّهُمَا^(١) بالإعادة لأنهما المقصود بالبيان^(٢)، إذ الخطابُ مع المؤمنين، وجمعهما معاً أولاً، تنبيهاً على شدة حرمتها، ﴿وَيَصُدَّكُمْ﴾: بالاشتغال بهما، ﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾ خصهما تعظيماً ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ﴾: مع علمكم بهذه المفساد أم لا ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا﴾: المخالفة، ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلِّغُ الْأَمِينُ﴾: وقد بلغ، ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ﴾: إثم، ﴿فِيمَا طَعَمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾: الحرام، ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: استمروا عليها، ﴿تُمْ اتَّقُوا﴾: ما حُرِّمَ بعدُ كالخمر، ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: استمروا على الإيمان، ﴿تُمْ اتَّقُوا﴾: استمروا على اتقاء المعاصي، ﴿وَأَحْسِنُوا﴾: العمل، «والإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه» إلى آخره^(٣)، وقيل: التكرار باعتبار الماضي والحال والاستقبال، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾: الموصوفين، ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُغْكُمْ﴾: ليختبرنكم، ﴿اللَّهُ بِشَيْءٍ﴾: حقير، ﴿مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ﴾: كصغار الصيد وفراخه ﴿وَرَمَاهُمْ﴾: ككباره، ﴿لِيَعْلَمَ﴾: أي: ليرى، ﴿اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾: ولم يره، ﴿فَمَنْ أَعَدَّكَ بِعَدَاةٍ﴾: الإعلام، ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾: محرمون، أو في الحرم، فالمدبوح كالميتة بالاتفاق لأنه ممنوع من الذبح لمعنى فيه كذبيحة المجوسي، ويجوز قتل ما لا يؤكل؛ لأن المراد بالصيد ما يؤكل، ولذا في الحديث: «خَمْسٌ يُقْتَلْنَ فِي الْحَلِّ وَالْحَرَمِ» إلى آخره^(٤): وقيس عليها كل مؤذ^(٥)، والمعين كالقاتل في الحرمة، ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمَّداً﴾: هذا القيد خارج مخرج الغالب لا الشرط، ليس للتقييد لتزولها فيمن تعمد، وهو أبو اليسر فلا مفهوم له، وقيل: ثبت في العمد، وفي الخطأ بالسنة، ﴿فَجَزَاءٌ﴾: أي: فواجبه جزاء، ﴿مِثْلُ مَا قَتَلَ﴾: خلقه

(١) يعني الخمر والميسر.

(٢) في (ن): بالذات. والمثبت من باقي النسخ.

(٣) «فإن لم تكن تراه فإنه يراك» رواه مسلم في صحيحه (٨/١)، وأبو داود في سننه (٤/٤٦٩٥)، والترمذي (٥/٢٦١٠)، وابن ماجه (١/٦٣).

(٤) رواه البخاري (٤/١٨٢٩)، ومسلم (٢/٧١)، الترمذي (٣/٨٣٧) والنسائي (٥/٢٨٨٧).

(٥) كالرتلاء والبراغيث والبق.... إلخ.

وهيئة عند مالك والشافعي، وبالإضافة لمثل مُقْحَم^(١)، ﴿مِنَ النَّعْرِ يَحْكُمُ بِهِ﴾: بالمثل، ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾: أيها المسلمون حال كون المحكوم به، ﴿هَدْيًا بَلِغٌ﴾: واصل حرم ﴿الْكَبَيْةِ﴾: بذبحه والتصدق به فيها، ﴿أَوْ كَفْرَةً﴾: هي، ﴿طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾: من غالب قوت البلد، يشترطه بقيمة الجزاء ويعطى كل مسكين مُدًّا، ﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ﴾: الإطعام، ﴿صِيَامًا﴾: فيصوم عن كل مُدٍّ يومًا، وأو للتخيير عند الأكثرين^(٢)، ﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ﴾: ثقل وسوء عاقبة، ﴿أَمْرِهِ﴾: قال ابن عباس: ما لا كفارة فيه فأمره أشد^(٣)، ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾: قبل التحريم، ﴿وَمَنْ عَادَ﴾: إلى مثله ﴿فَيَنْقِمُ﴾: فهو ينتقم، ﴿اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾: غالب، ﴿ذُو أَنْقَامٍ﴾: على المُصِرِّ بالمعاصي، ﴿أَحَلَّ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ﴾: ممَّا لا يعيش إلَّا في الماء كله، وعند الحنفية: السَّمْكُ فقط، وهذا في الإحرام وغيره، ﴿وَطَعَامُهُ﴾: ما تتزودون منه يابسًا مالحًا، أو ما لفظ ميتًا، ﴿مَتَاعًا﴾: تمتعًا^(٤)، ﴿لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾: المسافر ﴿وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ﴾: أي: الصيد فيه ولو إعانة، وهو صيد وحشيٍّ مأكول يعيش فيه، ﴿مَا ذُمَّ حُرْمًا وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ جعل الله الكعبة: سميت بها لتكعبها، أي: تربعها^(٥)، ﴿الْبَيْتِ الْحَرَامِ قِيَمًا﴾: ما يقوم به أمر الدين والدنيا من الأمن ونحوه، ﴿لِلنَّاسِ وَ﴾: جعل، ﴿الشَّهَرِ الْحَرَامِ﴾: قياما لهم؛ لما فيه الحج والأمن من القتال، ﴿وَأَلْهَدَى﴾: ما يهدى إلى الكعبة، ﴿وَالْقَلْبَيْدِ﴾: ذوات القلائد كما مرَّ، إذ كانوا يأمنون بها، ﴿ذَلِكَ﴾: الجعل، ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: إذ شرع الأحكام لدفع المضار قبل وقوعها، وجلب المنافع المترتبة عليه من دلائل كمال علم الشارع، ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

(١) يعني الذي قرأ بإضافة المصدر (جزاء) ل(مثل) فقد أقحم (مثل) كما في قولهم: مثلي لا يقول كذا، والمعنى: فعليه أن يجزي مثل ما قتل.

(٢) وبه قال الشافعي في الجديد ومالك وأبو حنيفة، وذهب ابن عباس وزفر والشافعي في القديم وأحمد إلى الترتيب؛ لما فيه من تقديم الأثقل فالأثقل كما ورد في حد المحاربة.

* الحاوي الكبير (٤/٢٩٩)، المبسوط (٤/٨٤)، بداية المجتهد (١/٢٦١)، المحلى (٧/٢٢١).

(٣) يعني شديد، أو مشدد فيه.

(٤) كذا في (د)، و(ن).

(٥) سميت الكعبة كعبة؛ لأنها مربعة، وكل بيت مربع فهو كعبة، وقيل: سميت كعبة؛ لارتفاعها، وكل ما ارتفع فهو كعبة، وفلان جالس في كعبته، أي: في غرفته وبيته، ومنه الكعاب والكاعب: من تكعب ثديها أي: ارتفعا في صدرها والجمع كواعب. * عمدة الحفاظ (٣/٤٠٢/كعب).

أَلْعُقَابِ ﴿: لِلْمُصْرِّ عَلَى هَتِكَ مَحَارِمِهِ، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: للمحافظ عليها
والنائبين، ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَّغُ﴾: وقد بلغ، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾: من
التصديق والتكذيب، ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَيْثُ﴾: الرديء كالحرام، ﴿وَالطَّيِّبُ﴾: الجيد
كالحلal، ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَيْثِ فَأَتَقُوا اللَّهَ﴾: في الخبيث، ﴿يَتَأُولِي﴾: ذوي،
﴿الْأَلْبَابِ﴾: العقول السليمة، ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾: ثم بين نوعا من الخبيث بقوله:
﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا﴾: محمداً عليه الصلاة والسلام، ﴿عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبَدَّ﴾:
تظهر، ﴿لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾: تغمكم، كما سأله ابن خُذَافَةَ: من أبي؟ فقال: «خُذَافَةَ»^(١)، وهو
يدعى لغيره^(٢).

وسأله^(٣) حين وجب الحج: أكل سنة^(٤)؟ وقد يكون السؤال واجباً وهو فيما
كلفناه، وقد يكون مندوباً وهو فيما يستحب^(٥) ﴿وَأَن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْءَانُ تُبَدَّ لَكُمْ
عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾: عن مسألتكم السالفة، ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾: لا يعاجل بالعقوبة، ﴿قَدْ
سَأَلَهَا﴾: سأل مثل الأشياء، فالمضاف محذوف، ﴿قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾: أنبياءهم، ﴿ثُمَّ
أَصْبَحُوا بِهَا﴾: بالأشياء، ﴿كُفِرَ بِهِ﴾: ثم بين نوعاً آخر من الخبيث وهو آخر الشرع
بقوله: ﴿مَا جَعَلَ﴾: شرع، ﴿اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ﴾: ناقة ولدت خمسة أبطن، فإن كان الخامس
ذكراً أكلوه وبحروا، أي: شقوا آذانها وحرموا ركوبها، وإن كانت أنثى يخرم آذانها

(١) عن عكرمة في قوله: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾ قال: ذاك يوم قام فيهم
النبي ﷺ فقال: «لا تسألوني عن شيء إلا أخبركم به» قال: فقام رجل، فكره المسلمون مقامه يومئذ،
فقال: يا رسول الله! من أبي؟ قال: «أبوك خُذَافَةَ»؛ قال: فنزلت هذه الآية.
* رواه الطبري في تفسيره (٥٢/٧) وسنده حسن.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦٨٨٢/١٢١٩/٤) وسنده ضعيف جدا.

(٣) يعني رجل آخر من الأعراب.

(٤) رواه الطبري (٥٣/٧) وابن حبان في صحيحه (٣٧٠٤/١٨/٩) وإحسان) وسنده صحيح.

(٥) يشير إلى حديث: «إن الله - عز وجل - فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدودا فلا تعتدوها، وحرّم
أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها».

* رواه الدارقطني (١٨٤/٤) والحاكم (١١٥/٤) وسنده لا بأس به.

دوامها^(١)، وحرموا ركوبها وحبها، ﴿وَلَا سَابِغَةً﴾: ناقة نذر صاحبها ألا يركبها، إن حصل مراده، ﴿وَلَا وَصِيلَةً﴾: أنثى البطن السابع إذا جاءت مع ذكر تركوها لآلهتهم، ولم يذبخوا الذكر أيضًا وقالوا: وصلت الأنثى أخاها، وإن كان ذكرًا فقط حيًا وميتًا أطعموه الرجال، وإن كان أنثى تركوها لآلهتهم، ﴿وَلَا حَامِرٍ﴾: فحل نتج من صُلبه عشرة أبطن لم يحملوا عليه؛ لأنه حمى ظهره، هذا تفسيرها المشهور، وقيل غير ذلك^(٢)، ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ﴾: في تحريمها، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾: فيقلدون رؤسائهم فيه، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَى اللَّهِ وَمَا نَزَلَ اللَّهُ وَإِلَىَّ﴾: اتباع، ﴿الرُّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا نَأْتِيهِمْ حَسِبْتُمْ أَن نَّهْبِئَهُمُ الْبَسْمَ﴾: فلا يصح التقليد إلا لمن علم أنه عالم مهتد، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ كَيْفٍ مُّكْرَمٍ﴾: يا صلاحها ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾: ضلال، ﴿مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾: بشرط أن تجربوا أنه لا ينفعهم نصحك كما صح في الحديث^(٣)، لأنه لما سئل - ﷺ - أجاب عن ذلك، ومعنى ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾: أهل دينكم، ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: فيما فرض عليكم، ﴿شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ﴾: خبر بمعنى الأمر، والإضافة إلى الظرف اتساعًا، ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ﴾: بدل من إذا، ﴿أَشْهَانٌ﴾: فاعل شهادة، ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾: من المسلمين، ﴿أَوْءَاخِرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾: كالنصارى^(٤)، ﴿إِن أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: أي: سافرتم يعني بشرط لإيضاء

(١) مدة دوامها أي: حياتها.

(٢) معاني القرآن - للزجاج (٢/٢٣٥)، تفسير ابن كثير (٢/١٠٨)، الوسيط (٢/٢٣٥)، أحكام القرآن - لابن العربي (٢/٧٠١).

(٣) يشير إلى حديث: «اتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، ورأيت الأمر لا يدان لك به، فعليك نفسك ودع أمر العوام»... الحديث. رواه الترمذي (٤/٣٢٣/٥٠٥١)، وأبو داود (٤/١٢٣/٤٣٤١) والحاكم (٤/٤٢٢) وصححه ووافقه الذهبي، والطبراني (٢٢/٢٢٠)، وأبو نعيم في الحلية (٢/٣٠)، والبغوي في شرح السنة (١٤/٣٤٧، ٣٤٨) وسنده صحيح.

(٤) من غير أهل ملتكم، قال الواحدي: في قول عامة المفسرين. * الوسيط (٢/٢٤١).

قال شريح: إذا كان الرجل بأرض غربة ولم يجد مسلما يشهده على وصيته فأشهد يهوديا أو نصرانيا أو

الكافر^(١) كونكم في السفر، ﴿فَأَصْبَبْتُمْ مُصِيبَةً أَلَمَوْتِ﴾: فإن ارتبتم، ﴿تَحْسِبُونَهُمَا﴾: توقفونهما، ﴿مَنْ بَعْدَ الصَّلَاةِ﴾: صلاة العصر^(٢)، ﴿فَيُقْسِمَانِ﴾ يحلفان ﴿بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ﴾: فيهما، ويقولان: ﴿لَا نَشْتَرِي بِهِ﴾: بالقسم أو بالله ﴿ثَمْنَا﴾: عرضاً من الدنيا، ﴿وَلَوْ كَانَ﴾: من يقسم له، ﴿ذَاقَيْنِ﴾: أي: قريننا حاصله نصدق ولو علينا، ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾: المأمورة، ﴿إِنَّا إِذَا﴾: إن كتمنا ﴿لَمِنَ الْأَثِيمِينَ﴾: فإن عُثِرَ: اطلع، ﴿عَلَىٰ أَنَّهُمَا أَسْتَحَقَّ﴾: اقتطعا، ﴿إِثْمًا﴾: يمينهما الكاذبة، ﴿فَفَاخَرَانِ يَوْمَانِ مَقَامَهُمَا﴾: مقام الشاهدين في توجه اليمين إليهما ﴿مِنَ الَّذِينَ أَسْتَحَقَّ﴾: مجهولاً أي: ارتكب الإثم، ﴿عَلَيْهِمْ﴾: أي: بالنسبة إليهم، وهم الورثة، ﴿الْأَوْلِيَّيْنَ﴾: بدل من الذين، وإما معروفنا أي: من الورثة الذين استحق عليهم الأوليان الأحقان بالشهادة لمعرفة لهما، وهما الآخران، ومفعوله محذوف، وهو التجرد للشهادة، واليمين، والمراد اثنان من أقارب

= أي كافر فشهادته جائزة.

وقال آخرون: لا تجوز شهادة أهل الذمة في شيء من أحكام المسلمين، ولا يقبل قولهم، ولا يثبت بشهادتهم حكم، وعليه الناس اليوم.

* معاني القرآن - للزجاج (٢/٢٣٧، ٢٣٨)، تفسير الطبري (٧/٦٨، ٦٩).

* قال الموزعي في تيسير البيان (٣/٢٢٢): إن هذه الآية استعصت على أهل العلم وصعبت عليهم، وذهبوا في تقرير أحكامها وتأويل ألفاظها كل مذهب، وربما أفردها بعضهم بالتصنيف، وما ذلك إلا لمخالفة ظاهرها القواعد المتقررة في الشريعة من ثلاثة أوجه:

- أحدها: قبول شهادة غير أهل ملتنا، والله - تعالى - يقول: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾.

- ثانياً: إيجاب اليمين على الشاهدين، والشاهد لا يمين عليه إجماعاً، سواء قامت ريبة أو لم تقم.

- ثالثاً: اشتراط اثنين في اليمين من الذين استحق عليهما عند الاطلاع على إثم الشاهدين واشتراط تعدد الحالف في الشريعة غير معهود، واشتراط تعدد الحالف في الشريعة غير معهود وأما تعدد الحلف، فهو معهود، كما في القسامة، وإيمان اللعان. اهـ.

قلت - أبو الحسن -: والحاصل قبول شهادة الذمي إذا كان وصياً، أما إذا كان غير وصى فلا تقبل شهادته. اهـ.

(١) كذا.

(٢) وهو قول عامة المفسرين وأهل الأديان يعظمون ذلك الوقت ويتجنبون فيه الأكاذيب والحلف الكاذب. * تفسير الطبري (٧/٧٢)، أحكام القرآن (٢/٧٢٤)، تفسير القرآن العظيم - لابن كثير

(٢/١١٢)، الوسيط (٢/٢٤١).

الورثة يقومان، ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾: على خيانة الشاهدين ويقولان: ﴿لَشَهَدْنَا﴾: يميننا ﴿أَحَقُّ﴾ بالاعتبار، ﴿مِنْ شَهَدْتَهُمَا وَمَا أَعْتَدْنَا﴾: ما تجاوزنا عن الحق، ﴿إِنَّا إِذَا﴾: إن اعتدنا ﴿لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ وتخصيص العدد؛ لخصوص الواقعة؛ لأنه يصح الإيضاء إلى واحد، والمستحقان المنزل فيهما: عمرو بن العاص والمطلب ابن أبي رفاعة السهميان، والميت بديل^(١) مولى عمرو بن العاص والوصيان المرتابان: تميم الداري وعدي بن زيد حين نصرانيتيهما في سفر الشام^(٢).

وعن عمر - رضي الله عنه - : هذه الآية أعضل ما في هذه السورة من الأحكام^(٣).

وأجمع المفسرون على أنها في غاية الصعوبة إعراباً ونظماً، وقد بان حلُّها.

* روي أن تميمًا وعديا في نصرانيتيهما كانا في سفر إلى الشام مع بديل، وكان مسلماً فمرض «بديل» فدوّن ما معه في صحيفة وطرحها في متاعه ولم يخبرهما به وأوصى إليهما أن يدفعا متاعه إلى أهله ومات ففتشاه وأخذوا منه إناءً من فضة فيه ثلاثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فأصاب أهله الصحيفة فطالبوهما بالإثناء فجحدا فترافعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ﴾ ... الآية فحلفهما - صلى الله عليه وسلم - بعد العصر عند المنبر وخلقى سبيلهما ثم وجد الإناء في أيديهما فقالا: اشتريناه منه ولكن لم يكن لنا عليه بينة فكرهنا أن نقر به فرفعهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم - فنزلت: ﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾ فقام عمرو والمطلب وحلفا^(٤) ﴿ذَلِكَ﴾: الحكم من رد اليمين، ﴿أَدْنَى﴾: أقرب إلى ﴿أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهَيْهَا﴾: كما في نفس الأمر ﴿أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَنُ﴾: إلى أولياء الميت، ﴿بَعْدَ أَيْمَنِهِمْ﴾: فيفتضحوا، حاصله ذلك أقرب إلى أحد الشئيين، إما: أداء الشهادة صدقاً أو الامتناع عن أدائها كذباً ﴿وَأَنْتَقُوا اللَّهَ وَأَسْمَعُوا﴾: سمع إجابة ﴿وَاللَّهُ لَا

(١) ابن أبي مارية الرومي.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه (٣٠٥٩) وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/١٢٣١)، والطبري في الكبير

(١٢٥٠٩)، والدارقطني (٤/١٦٨)، وأبو نعيم في المعرفة (٣/١٥١، ١٥٢، ١٢٢٢، ١٢٢٣) وسنده

باطل فيه الكلبي.

(٣) تيسير البيان (٣/٢٢٢).

(٤) سبق تخريجه وبيان بطلانه. اهـ.

يَهْدِي ﴿ إلى طريق الجنة ﴾ ﴿ الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾: الذين لا يسمعون، اذكر ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ ﴾: توبيخاً، ﴿ مَاذَا أُجِبْتُمْ ﴾: من الإقرار والإنكار، ﴿ قَالُوا ﴾: لدهشتهم من أهواله، ﴿ لَا عِلْمَ لَنَا ﴾: أي: لا نعلم باطن أمورهم التي يجازون عليها بقرينة، ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبِ ﴾: تعلم ما لا نعلم، ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ ﴾: قويتك، ﴿ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾: جبريل كما مر، ﴿ تَكَلَّمَ النَّاسُ ﴾: تدعوهم إلى الله، ﴿ فِي الْمَهْدِ ﴾ طفلاً ﴿ وَكَهَلًا ﴾: أي: بعد نزوله من السماء إذ رفع شاباً ﴿ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ ﴾: الخط، ﴿ وَالْحِكْمَةَ ﴾: العلم والعمل به ﴿ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ وَإِذْ تَخَلَّقُ ﴿: تُشَكِّلُ ^(١) ﴿ مِنْ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي ﴾: بأمرى، ﴿ فَتَنْفِخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا ﴾: يطير ﴿ بِإِذْنِي وَتَبْرِئُ الْأَكْمَامَ وَاللَّبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى ﴾: من قبورهم بإحيائهم ﴿ بِإِذْنِي ﴾: كما مر ﴿ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ ﴾: عن قتلك، ﴿ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾: المعجزات، ﴿ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ ﴾ ما ﴿ هَذَا إِلَّا إِسْحَرُؤُنَا ﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ ﴿: بلسانك، ﴿ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنْ ﴾ بأن ﴿ آمِنُوا بِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ ﴾: يا عيسى، ﴿ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾: منقادون، اذكر، ﴿ إِذْ قَالَ الْخَوَارِجُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ ﴾: يطيع ويوجب سؤالك، ﴿ رَبُّكَ ﴾: أو هو كقولك: أتستطيع أن تجيء معي مع علمك باستطاعته وبالخطاب، ونصب ربك ^(٢) أي: بسؤال ربك، ﴿ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً ﴾: خوانا ^(٣) فيه طعام، ﴿ مِنْ السَّمَاءِ قَالَ ﴾: عيسى ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ في سؤال الآية على هذه الكيفية، ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا ﴾: فلا نطلبها آية، ﴿ وَنَطْمِئِنَ قُلُوبُنَا ﴾: بزيادة علمنا، ﴿ وَتَعْلَمَ ﴾: نشاهد، ﴿ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَنَا ﴾: في وعدك عناية الله علينا، ﴿ وَتَكُونُ عَلَيْهَا ﴾: على تلك المائدة ﴿ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾: نشهد عند من لا يشهدا من بني إسرائيل، ﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ ﴾: يا ﴿ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا ﴾:

(١) في (د): الهيكل.

(٢) قرأ الكسائي وعلي ومعاذ وابن عباس وعائشة ومجاهد وابن جبير: (هل تستطيع ربك).

* البحر المحيط (٤ / ٥٤)، تفسير الطبري (١١ / ٢١٨).

(٣) الخوان: السفارة.

سرورا مجازا؛ لأنه سببه، ﴿لَا وُلِنَا﴾: مقدمينا، ﴿وَأَخْرِنَا﴾: متأخرينا ولما نزلت (١) يوم الأحد (٢) اتخذت عيدا، ﴿وَأَيَّةٌ مِّنَكَ﴾: على كمال قدرتك ونبوتي ﴿وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ﴾ قَالَ اللَّهُ: ﴿مَجِيئًا لَهُ: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ﴾: لَا أُعَذِّبُ بِهِ، ﴿أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾: عالمي زمانهم، والأصح أنها نزلت (٣) قيل كانت سُفْرَةً حمراء بين غمامتين فيها سمكة مشوية بلا فلوس (٤) وشوك وعند رأسها ملح، وعند ذنبها خل وحولها ألوان البقول سوى الكراث وخمسة أرغفة عليها الزيتون والعسل، والسمن والجبن والقديد فأكلوا ثم طلبوا آية أخرى في ذلك فقال: يا سَمَكَةُ احيى بإذن الله - تعالى - فاضطربت ثم قال: عودي كما كنت، فعادت مشوية، ثم طارت المائدة ولم يؤمنوا فمسخوا قردة وخنازير، قيل: ما مسخ أحد قبلهم خنازير، ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ﴾ لعيسى حين رُفِعَ أو في القيامة والماضي للتقريب، ﴿يَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ وَقَيْدٌ ﴿دُونِ﴾؛ لأن عبادته مع عبادة غيره كلا عبادة، أو ﴿دُونِ﴾ للقاصر عن الشيء إذ هم عبدهما وتوصلا بهما إلى عبادته فلا يرد أنهما اتخذا وهما إلهين لا دونه كسؤال الموودة: ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ (٥) تويخًا لهم، أو لإعلامهم كيلا يشفع لهم، ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ﴾: تنزيهاً (٦) لك من الشريك، ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا﴾ أي: قولاً، ﴿لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ، فَقَدْ عَلِمْتَهُ، تَعَلَّمَ مَا﴾: أخفيه، ﴿فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا﴾: تخفيه، ﴿فِي نَفْسِكَ﴾: مشاكلة، أو النفس الذات، لا الجوهر القائم بذاته المتعلق بالجسم تعلق التدبير (٧)، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾: أنكره بخمسة وجوه، خامسها: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ﴾ أي: في أمر التوحيد، ﴿إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾: إذ الأمر أعم مما للوجوب أو الإباحة ﴿إِنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي

(١) يعني المائدة.

(٢) معاني القرآن - للزجاج (٢/٢٤٣)، وللغزالي (١/٣٢٥، ٣٢٦).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/١١٤، ١١٥) تفسير الطبري (٧/٨٦)، معاني القرآن - للزجاج (٢/٢٤٣) الدر المنثور (٢/٣٤٦) فتح القدير (٢/٩٤).

(٤) قشر.

(٥) سورة التكويد.

(٦) في (د): ننزهك من الشرك، وفي (س): تنزيهك.

(٧) قلت: الأولى الإثبات ثم التفييض، وهو سبحانه كما وصف نفسه.

وَرَبِّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١﴾: مُشَاهِدًا لِأَحْوَالِهِمْ، ﴿مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾: أَخَذْتَنِي وَافِيًّا بِالرَّفْعِ إِلَى السَّمَاءِ، ﴿كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾: الْمُرَاقِبَ لِأَحْوَالِهِمْ، ﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: مُطَّلِعٌ، ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ﴾: تَسْخِيرًا وَقَهْرًا^(١)، وَلِلْمَالِكِ أَنْ يَتَصَرَّفَ فِي عِبِيدِهِ كَيْفَ يَشَاءُ، ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾: مَعَ كَفْرِهِمْ بِلَا عَجْزٍ وَلَا اسْتِقْبَاحٍ، ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾: الْغَالِبُ، ﴿الْحَكِيمُ﴾: فِي الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، دَلٌّ بِالترِيدِ وَالتَّعْلِيقِ بِأَنْ عَلَى جَوَازِ مَغْفِرَةِ الشَّرْكِ وَهِيَ غَيْرُ مَمْتَنَعَةٍ؛ لِأَنَّ عَدْمَهَا يَقْتَضِي الْوَعِيدَ ﴿قَالَ اللَّهُ﴾: مَجْبِيًا لَهُ فِي تَبْرِيهِ: ﴿هَذَا يَوْمٌ﴾ أَي: يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَبِالنَّصْبِ^(٢) ظَرْفَ لِقَالِ، ﴿يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ﴾: فِي الدُّنْيَا، مَقَالًا وَفِعَالًا بِتَرْكِ الرِّيَاءِ، ﴿صَدَقْتُهُمْ﴾: فَانْتَفَاعَهُمْ بِهِ فِي الدُّنْيَا كَمَا انْتَفَاعَ لِفَنَائِهَا، وَأَمَّا صَدَقَ إِبْلِيسَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ وَعَدَّكُمْ﴾ .. إِلَى آخِرِهِ^(٣) فَلَا يَنْفَعُ كَذْبَهُ فِي الدُّنْيَا الَّتِي هِيَ دَارُ الْعَمَلِ، ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾: هَذَا نَفْعُهُمْ، ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ: ﴿خَلَقْنَا وَمَلَكًا، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: غَلَبَ غَيْرَ الْعُقَلَاءِ فِيمَا فِيهِنَّ؛ تَنْبِيهًُا عَلَى قُصُورِهِمْ عَنِ رَتْبَةِ الرُّبُوبِيَّةِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ.



(١) طوعًا وكرها.

(٢) قرأ نافع وابن محيصن: (يَوْمٌ) بالنصب. * السبعة (٢٥٠)، غيث النفع (٢٠٥).

(٣) سورة إبراهيم.

«سورة الأنعام»: مكية^(١)

لَمَّا بَيَّنَّ أَنْ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ، أَخْبَرْنَا بِأَنَّهُ الْحَقِيقُ بِالْحَمْدِ عَلَى خَلْقِهِنَّ فَقَالَ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾: جمع السموات لاختلاف أشخاصها ذاتا وآثارا دون الأرض، وخصهما بالذكر لأنهما أعظم الخلق في الجِسِّ، ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾: عبّر بالجعل الذي فيه معنى التضمين أي: كونه محصلا من آخر كأنه في ضِمْنِهِ دون الخلق الذي فيه معنى التقدير بيانا لعدم قيامهما بأنفسهما ردًّا على الثنوية^(٢)، وجمعها لكثرة أسبابها كالليل والكسوف، ولكثرة الأجرام الحاملة لها، فإن كل جرم ذو ظل، وظله ظلمة، ولأن النور مصدر كما في المفصل، ولأن المراد بها^(٣): الضلال، وبه^(٤) الهدى، وهي كثيرة ﴿ثُمَّ﴾ للاستبعاد، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾: أي: به، ﴿يَعْدِلُونَ﴾: غيره في العبادة، ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾: ابتداء، ﴿مِنْ طِينٍ﴾: لأن النطفة من الغذاء وهو من الطين أو آدم منه، ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾: الموت، ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾: القيامة، أي: علمها، ﴿عِنْدَهُ. ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾: تشكون فيها، ﴿وَهُوَ اللَّهُ﴾: المستحق للعبادة، ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾: متعلق بالمعنى الوصفي الذي يتضمنه لفظ الله من صفات الكمال كهو حاتم في طيء، على تضمين معنى الجواد، ولا يتعلق بلفظه؛ لأنه اسم لا صفة، أو متعلق بقوله: ﴿يَعْلَمُ سِرُّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾: ذكره للمقابلة، ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾: من خيرٍ وشرٍّ ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾: الدالة على وحدانيته وصدق رسله، ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا﴾: عن التفكير فيها،

(١) في هامش نسخة (د): سورة الأنعام مكية مائة وخمس وستون آية وست عند البصريين إلا ثلاث:

﴿فَقُلْ تَعَالَوْا﴾ إلى آخر الثلاث، ثم الصافات. كلماتها (٣٠٥٣) وحروفها (١٢٤٢٢).

وانظر: عدد سور القرآن - لابن عبد الكافي (٢٢٨).

(٢) القائلين بالهين للعالم إله للنور: وإله للظلمة.

(٣) يعني: الظلمات.

(٤) يعني: النور.

﴿مُعْرِضِينَ﴾ ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾: القرآن، ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبُؤُهُ﴾: أخبار، ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾: أي: القرآن، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: علماء^(١)، ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾: أمة مقترنة في قدر مدة مائة سنة، ﴿مَكَانَهُمْ﴾: أعطيناهم ما تمكنوا به من نحو العمر والمال، ﴿فِي الْأَرْضِ مَا لَوْ نُمَكِّنُ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ﴾: المطر أو السحاب، ﴿عَلَيْهِمْ مَذْرَأًا﴾: كثير الصب، ﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ﴾: تحت غرفهم، ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِدُؤُوبِهِمْ﴾: بنحو القحط والصواعق، ﴿وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنَآءَ آخَرِينَ﴾: بدلًا منهم فليعتبروا، ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا﴾: مكتوبًا، ﴿فِي قِرْطَابٍ فَلَمَّسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾: وهو أبلغ في المعرفة من المعاينة، ﴿لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ﴾: ما، ﴿هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿وَقَالُوا لَوْلَا﴾: هلا، ﴿أَنْزِلَ عَلَيْنَا﴾: على محمد، ﴿مَلَكٌ﴾: يخبر بنبوته، ﴿وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا﴾: يروونه فكذبوه، ﴿لَقَضَى الْأَمْرُ﴾: لحق هلاكهم؛ لأن سنة الله جرت باستئصال من اقترح آية ثم لم يؤمن بعدها، ﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾: يمهلون، ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾: المرسل إلى محمد ﴿مَلَكًا﴾: يشهد على صدقه ﴿لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾: أي: في صورته؛ لأن البشر^(٢) غير الرسول لا يقدر على رؤية الملك في صورته، ونبينا - ﷺ - رآه كذلك مرتين^(٣) ﴿وَلَوْ﴾: لو جعلناه رجلاً، ﴿لَلْبَسْنَا﴾: لخلطنا، ﴿عَلَيْهِمْ﴾: فلا يدري أملك أم لا؟ ﴿مَا يَلْبِسُونَ﴾: يخلطون^(٤)، فينفون أنه ملك ويكذبونه، ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾: فاصبر مثلهم، ﴿فَحَقَّ﴾: أحاط، ﴿بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ﴾: من الرسل وبآل^(٥) ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿قُلْ﴾: لهم، ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾: فإنكم أميون ما جالستم العلماء، وبين في آل عمران، ﴿ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ﴾: مآل، ﴿الْمُكْذِبِينَ﴾:، فاعتبروا، والفرق بينه وبين: فانظروا أن السير فيه لأجل النظر وهنا أمر إباحة لنحو التجارة، ثم إيجاب للنظر، ثم لتفاوت الأمرين، أو الأولى

(١) فالرؤية علمية. قلت: ولا مانع أن تكون بصرية بالوقوف على آثار من تقدم.

(٢) يعني العادي.

(٣) سيأتي بيانه في سورة التكوير.

(٤) ولذا كان جبريل - عليه السلام - ينزل في صورة دحية بن خليفة - ﷺ - اهـ.

(٥) الوَبَالُ: السوء، والوَبِيلُ: اللوخيم.

للو جوب أيضاً، كتوضاً ثم صلى، وثم لتفاوت الواجبين، ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ﴾: خلقا ومُلْكًا، ﴿قُلْ لِلَّهِ﴾: فإنهم لا ينكرونه، ﴿كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾:
التزمها تفضلاً، ومنها الهداية إلى معرفته والإمهال على الكفر، ﴿لِيَجْمَعَكُمْ إِلَيْنَا﴾ في
﴿يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: فيجازيكم، ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: في ذلك اليوم، ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾:
بتضييعهم فطرتهم، ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وله، ﴿مَا سَكَنَ﴾: استقر، ﴿فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾: أي: ما
اشتملا عليه، يعني في كل الأزمنة، وقدم الليل؛ لأنه الأول، ومناسب لقوله تعالى:
﴿لَتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ فيكون من السكنى أو من السكون، واكتفى بأحد الضدين^(١)،
﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾: فلا يخفى عليه شيء ﴿قُلْ أَعْبُدُوا اللَّهَ أَلْتَّخِذُوا إِلَهًا﴾: معبوداً، ﴿فَاطِرِ﴾:
مبدع، ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُهُ وَلَا يُطْعَمُ﴾: أي: مُحتاج إليه غير محتاج، عبر
بالإطعام؛ لأن حاجتنا إليه أكثر، ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسَلَهُ﴾: وهو سابق
أُمَّة إسلاماً، ﴿وَ﴾: قيل لي: ﴿لَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: بمداهنتهم، ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ
عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: تعريض باستحقاقهم ﴿مَنْ يُصِرْ﴾: الله، أو يصرف
العذاب ﴿عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ﴾: الصِّرف، ﴿الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ وإن يمسسك الله
يُضِرِّ: كمرض قيل: الباء للتعديدية إلى المفعول الثاني وإن كانت التعديدية بالباء في
المتعدي قليلاً أي: يجعلك مأس الضر، وأصل المس تلاقي جسمين، ﴿فَلَا
كَاشِفَ﴾: مزيل، ﴿لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بُخَيْرٌ﴾: كصحة، ﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: ولا
راد لفضله، ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ﴾: الغالب المستعلي، ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ﴾: استعلاء يليق بجلاله
والقهر إما للغلبة، أو التذليل، وهذا من الأول، وكذا: ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾^(٢)،
ومن الثاني: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا نَقْهَرَ﴾^(٣)، ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾: في أفعاله، ﴿الْحَيُّ﴾: بخفياتنا،
﴿قُلْ أَيْ شَيْءٍ﴾: شهيداً، ﴿أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾: بنبوتي، ﴿قُلْ لِلَّهِ﴾: إذ لا جواب غيره، هو ﴿شَهِيدٌ

(١) إذ كان معلوماً كقوله تعالى: ﴿سَرَّيْلَ تَفِيكُمُ الْحَرَّ﴾ أي: والبرد. اهـ.

(٢) سورة الأعراف.

(٣) سورة الضحى.

بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴿١﴾: ولا تظن منه جواز نداء الله تعالى بـ (يا شبيء))؛ فإن صحة ندائه مخصوصة بما يدل على المدح والكمال^(١)، ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾: ناطقا بالحجج، ﴿لَا نَذِرُكُمْ بِهِ﴾: يا أهل مكة، ﴿وَ﴾: أنذر، ﴿مِن بَلْعٍ﴾: بلغة القرآن، ﴿إِنِّي لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ قُلْ لَا أَشْهَدُ﴾: به، ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾: به، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَلَيْسَ لَهُمُ الْكِتَابُ يَعْرِفُونَهُ﴾: بنعوته المذكورة في كتبهم، ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾: من الكفرة، ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: به، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾: بين^(٢) مرة، ﴿وَمِنَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: كالكفرة، ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾: كالقرآن والمعجزات، ﴿إِنَّهُ﴾: الشأن، ﴿لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾: فضلا عن^(٣) الأظلم، ﴿وَ﴾: اذكر، ﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾: العابد والمعبود، ﴿جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ﴾: توبيخا، ﴿لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنِّي سُرَّكَاؤُكُمْ﴾: ألهتكم، ﴿الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾: أنهم شركاء، ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ﴾: تخليصهم أنفسهم بزعمهم أي: عذرهم الذي يتخلصون به، ﴿وَلَا أَن قَالُوا﴾: يوم القيامة، ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾: وحينئذ يختم على أفواههم وتشهد جوارحهم ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا﴾: بنفي الشرك في الآخرة ﴿عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ﴾: غاب، ﴿عَنَّهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَرُونَ﴾: إلهيته، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾: إذا قرأت القرآن، ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾: أغطية كراهة، ﴿أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾: ثقلا وصمما عن قبوله، ﴿وَإِن يَرَوْا كَلَاءَ آيَةٍ﴾: معجزة، ﴿لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ﴾: أي: بلغ عنادهم إلى أنهم، ﴿إِذَا جَاءَهُمْ﴾: في حالة ﴿يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن﴾: ما^(٤)، ﴿هَذَا﴾: القرآن، ﴿إِلَّا أَسْطِيزُ﴾: أحاديث، ﴿الْأَوَّلِينَ﴾: أي: أباطيلهم، ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ﴾: الناس، ﴿عَنهُ﴾: عن الرسول، ﴿وَيَنْتَوُونَ﴾: يتباعدون، ﴿عَنهُ﴾: بعدا، ﴿وَإِن﴾: ما، ﴿يُهْدِكُونَ﴾: بذلك التباعد، ﴿إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: كالبهائم، ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ﴾: وعانوا أهوالها لرأيت أمرا فظيعا^(٥)،

(١) من (ح)، و(س)، و(ع). وسقطت من (ن).

(٢) في سورة البقرة أي: لا أحد أظلم، فالاستفهام بمعنى النفي.

(٣) كذا وفي البيضاوي: فضلا عن لا أحمد أظلم منه.

(٤) «فإن» بمعنى «ما» كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾. اهـ.

(٥) هذا جواب «لو».

﴿فَقَالُوا يَلْبَسْنَا نَرُدُّهُ﴾: إلى الدنيا، ﴿وَلَا نَكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: وينصب الفعلين بضمير أن بعد الواو ﴿بَلْ بَدَأْتُمُ مَا كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾: من قبائح أعمالهم، فتمنوا الإيمان ضجرا لا محبة، ﴿وَلَوْ رُدُّوْا﴾: إلى الدنيا، ﴿لَعَادُوا لِمَا نُهُوْا عَنْهُ﴾: من الكفر للحكم الأزلي به، ﴿وَلِيْنَهُمْ لَكٰذِبُوْنَ﴾: فيما وعدوا في ضمن تمنيههم ﴿وَقَالُوا إِن هِيَ﴾: ما الحياة ﴿الْأَحْيَانُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوْثِيْنَ﴾ ﴿وَلَوْ تَرَكْنَا إِذْ وَقَعْنَا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: كوقوف العبد الجاني بين يدي سيده، ﴿قَالَ﴾: الله، ﴿أَلَيْسَ هٰذَا﴾: البعث، ﴿بِالْحَقِّ قَالُوْا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُقُوْا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُوْنَ﴾ ﴿فَدَحَسِرَ الَّذِيْنَ كَذَبُوْا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾: البعث وما يتبعه، ﴿حَتَّى﴾: غاية تكذيبهم ﴿إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ﴾: أي: مقدمتها وهي الموت ﴿بَغْتَةً﴾: فجأة، ﴿قَالُوا يَحْسَرُنَا﴾: تعالي فهذا أوانك ﴿عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا﴾: تقصيرنا ﴿فِيهَا﴾: في الدنيا، ﴿وَهُمْ يَحْمِلُوْنَ أَوْزَارَهُمْ﴾: آثامهم ممثلة بأقبح صورة منتنة، ﴿عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾: ونسوقهم إلى النار، ﴿أَلَسَاءَ مَا يَرْزُقُوْنَ﴾: يحملون، ﴿وَمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ﴾: ما يشغلك عما ينفعك إلى ما لا ينفعك، ﴿وَلَهُوٌ﴾: صرف النفس من الجد إلى الهزل يعني لا تعقب نفعاً مثلهما، ﴿وَ﴾: الله، ﴿لِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِيْنَ يَنْقُوْنَ﴾: لدوام لذاتها، وأما خيريتها لنحو المجانين والصبيان فبالتابع ﴿أَفَلَا تَعْقِلُوْنَ﴾: أنه كذلك، ﴿قَدْ﴾: في مثل ذلك لمجرد التحقيق ﴿تَعْلَمُ إِنَّهُ يَخْرُجُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾: من التكذيب، ﴿فَأِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُوْنَكَ﴾: حقيقة ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِيْنَ﴾: أي: لكنهم، ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُوْنَ﴾: هو كقولك لعبدك: ما أهانوك بل أهانوني، ومنه: ﴿إِنَّ الَّذِيْنَ يَبَايِعُوْنَكَ﴾ (١)، ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنهَمْ نَصَرْنَا﴾: فاصبر حتى أتاك، ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾: مواعيده فلا تستعجل، وأما وعيده فيمكن تبديله بالعفو، ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ﴾: بعض، ﴿بِآيَاتِ الْمُرْسَلِيْنَ﴾: كيف صبروا، ﴿وَإِنْ كَانَ كِبُرٌ﴾: شق، ﴿عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾: عنك ﴿فَإِنْ أَسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِي﴾: تطلب، ﴿فَقَا﴾: منفذا، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: تنفذ فيه، ﴿أَوْ سُلَّمَا فِي السَّمَاءِ﴾: تصعد به إليها، ﴿فَتَأْتِيَهُمْ﴾: من أحدهما ﴿بِآيَاتِ﴾: تلجئهم إلى الإيمان فافعل، يعني: لا يغير حكمنا الأزلي فاصبر ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ

لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿١﴾: بالحرص على ما لم نرد، وإنما خاطب نوحاً بالين من هذا، وهو قوله: ﴿إِنِّي أَعْظَمُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (١) لوضوح عذره؛ لأنه وعده إنجاء أهله، ونبينا عليه الصلاة والسلام علم أن إيمانهم بمشيئة الله، ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ﴾ يجيب دعوتك، ﴿الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾: لا من ختم على سمعه، ﴿وَالْمَوْتَى﴾: مجاز عن الكفرة، ﴿بِعَتْمُهُمْ﴾: يجيبهم، ﴿اللَّهُ﴾: فيعلمهم حين لا ينفعهم، ﴿ثُمَّ إِلَهُرْجَمُونَ﴾: للجزاء، ﴿وَقَالُوا لَوْلَا﴾: هلاً، ﴿نُزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾: كملك يشهد له ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً﴾: وفق طلبهم، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أن إجابته تضرهم لعدم نفعهم ولا هلاكهم بعدها كما هو سنة الله، لا يقال: فلكل نبي أن يجيب كذلك فلا يحتاج إلى معجزة، لأن هذا الجواب بعد ثبوت نبوته بمعجزة، ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي﴾: جميع، ﴿الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ﴾ صنفان من جميع الطير ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾: فالوصفان لمزيد (٢) التعميم، أو لثلاث يتوهم المجاز أوقد يقال: الدابة لغير معناها الحقيقي، وقد يقال: للمسرع (٣) طير ﴿إِلَّا أُمَّمٌ أَمْثَالِكُمْ﴾ مقدره أرزاقها وآجالها وأحوالها فيقدر على: «أن تأتيهم بآية» وجمع الأمم حملاً لها على المعنى، ﴿مَا فَرَطْنَا﴾: قصرنا، ﴿فِي الْكِتَابِ﴾: اللوح المحفوظ ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾: إذ فيه كل ما يجري في العالم، ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾: فيجزون ويقتص للجماء من القرناء، كما في الحديث (٤).

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن موت البهائم حشرها (٥)، ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُورٌ﴾:

(١) سورة هود.

(٢) والإحاطة، كأنه قيل: وما من دابة فقط في جميع الأرضين السبع، وما من طائر قط في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه. * الكشاف (٢/٢١).

(٣) يعني الذي يجري بسرعة.

(٤) يشير إلى حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء نطحها». رواه أحمد (٢/٣٢٣، ٣٧٢، ٤١١)، والبخاري في الأدب المفرد (١٨٣)، ومسلم في صحيحه (٢٥٨٢)، والترمذي (٢٤٢٠) وابن حبان (١٦/٣٦٣/٧٣٦٣/إحسان) وهذا لفظه. والجماء: التي لا قرن لها، والقرناء: ذات القرون.

(٥) تفسير الطبري (٣/٤٣)، معالم التنزيل (٤/٤٥١).

عن سماع قبولها، ﴿وَبِكُمْ﴾: عن الحق، ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾: ظلمات الكفر والجهل والعدا، ﴿مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ﴾: إضلاله، ﴿يُضِلُّهُ﴾: فيميتته على الكفر، ﴿وَمَنْ يَشَأْ﴾: هدايته ﴿يَجْعَلُهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: فيميتته على الإسلام، ﴿قُلْ﴾: يا محمد، ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾: أبصروني وأعلموني وأخبروني، جعلوا طلب العلم والبصر موضع طلب الخبر؛ لا شتر اكهما في الطلب، ﴿إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ﴾: قبل موتكم، ﴿أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةُ﴾: وأهوالها، ﴿أَغْيَرَ اللَّهُ تَدْعُونَ﴾: في صرفه، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: في أن الأصنام آلهة، ﴿بَلْ آيَاتُهُ تَدْعُونَ﴾: تخصونه بالدعاء ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾: إلى كشفه وعذاب الساعة، ﴿إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُنْشِرُونَ﴾: فلا يذكرونه حينئذ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾: الرسل، ﴿إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾: فكذبوهم ﴿فَأَخَذْتَهُمْ بِالْأَسَاءِ﴾: بالشدّة كالقحط، ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾: كالأمراض ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْتَرِعُونَ﴾: إلى الله تائبين، ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾: أي: لم يتضرعوا مع وجبه ﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: مَا لَأَنْتَ ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: فأصروا عليه، ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾: من البأساء والضراء ولم يتعظوا به ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾: من مشترياتهم استدراجا ﴿حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾: وحسبوا أنهم على شيء، ﴿أَخَذْتَهُمْ بَغْتَةً﴾: فجأة ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾: آيسون^(١) من كل خير ﴿فَقَطَّعَ دَائِرَهُ﴾: آخره وأصل، ﴿الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: علمنا الحمد على تخليصنا من شوهمهم ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾: أخبروني ﴿إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ﴾: أصمكم وأعماكم ﴿وَخَنَّمْ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾: حتى لا تفهموا شيئا، ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾: بأحد منها أو بذكر المذكور، ﴿انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ﴾: نُوضِّحُ ونكرِّرُ ﴿الْآيَاتِ تُعْرَهُمْ يَصْدِفُونَ﴾: يُعرضون عنها ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾: أخبروني، ﴿إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً﴾: أي: على غفلة، ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾: مع تقدمه، ﴿هَلْ يَهْلِكُ﴾: [مَا يَهْلِكُ] به هلاك سخط، ﴿إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾: كما فعل في الأمم، فلا يرد أن غيرهم يهلكون ﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾: أي: لا نطلب منهم الآيات بعد وضوح دينهم بالمعجزات ﴿فَمَنْ

(١) الإبلاس: الحزن المعترض من شدة البأس، قال بعضهم: وإبليس مشتق منه، وقيل: الإبلاس التحير واليأس. * عمدة الحفاظ (١/٢٢٧).

ءَامَنَ وَأَصْلَحَ ﴿۱﴾: العمل ﴿فَلَاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: عند الفزع الأكبر ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: على ما فات من دنياهم ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا يَمْسُكُهُمُ﴾: بصيبيهم ﴿الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾: ولما كان من تكذيبهم قولهم: إن صدقت فوسّع لنا وأخبرنا عن المستقبل فيما نأكل، نزلت (١): ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾: لأوسع عليكم ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾: حتى أخبركم بمستقبل الأمور، ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾: فاقدر على ترك الأكل، وما قيد الثاني بالقول (٢)، لأن كثيرا من الناس يزعمونه فنفاه عن نفسه، ونفى زعم الآخرين، ﴿إِنَّ﴾ ما ﴿اتَّبَعُوا إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾: كالرسل قبلي، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ﴾: الضال، ﴿وَالْبَصِيرُ﴾: المهتدي، ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾: فتهتدون، ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ﴾: بالقرآن، ﴿الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾: هول ﴿أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: لا منكريه؛ فإنهم أشقياء لا ينتفعون به، ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيُّ﴾: يتولّى أمورهم، ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾: يشفعهم بدون إذنه، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: المعاصي ﴿وَلَا تَطْرُدُ﴾: لا تبعد عن مجلسك بسؤال عظماء قريش، فقراء المؤمنين، ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشَىٰ﴾: أي: دائماً، ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾: مخلصين لذاته، ﴿مَا﴾: أنزل، ﴿عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ﴾: حساب إيمانهم ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾: فيمكن أن يكون إيمانهم أعظم عند الله من إيمان من تطردهم ليؤمن، ﴿وَمَا﴾: أي: كما أنه ما، ﴿مِنْ حِسَابِكَ﴾: حساب إيمانك، ﴿عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾: والجملتان بمنزلة واحدة، عنى بها مؤدي: ﴿وَلَا يُزِرُّ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَىٰ﴾، فمعناه: لا تؤاخذ أنت ولا هم بحساب صاحبه فلم تكف الأولى، أي: لم تكف جملة ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾، ﴿فَتَطْرُدْهُمْ﴾: جواب النفي ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾: وكذلك: ﴿الْفِتْنِ﴾، ﴿فَتَنَّا﴾ ابتلينا ﴿بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ كالشريف الكافر بالوضع المؤمن، ﴿لَيَقُولُوا﴾: في فقراء المؤمنين: ﴿أَهْتُولَاءٍ مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾: أي: لو من لمن علينا، ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾: فيوفقههم لشكرهم، ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا﴾: الفقراء المنهي عن طردهم ﴿فَقُلْ﴾: منك، ﴿سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ﴾: أو بلغ سلامنا إليهم ﴿كُتِبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾:

(١) رواه الطبري في تفسيره (٧/١٢٧).

(٢) يعني: لم يقل: ولا أقول: أعلم الغيب.

التزمها، ﴿أَنَّهُ﴾ وبالفتح بدل من الرحمة ﴿مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ﴾: جاهلاً بمفاسدها، وقال الحسن: كل من عمل معصية فهو جاهل، ﴿ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ﴾: عمله، ﴿فَأَنَّهُ عَفُورٌ﴾: له، ﴿رَحِيمٌ﴾: به، ﴿وَكَذَلِكَ﴾: التبيين، ﴿نُفِصِلُ﴾: نُبَيِّنُ، ﴿الآيَاتِ﴾: نوضح الحق ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾: ليظهر، ﴿سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾: ويظهر منه سبيل المؤمنين، أو مثل: ﴿سَرِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾^(١) ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ﴾: عن، ﴿أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾: تعبدونهم، ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا اتَّبِعْ أَهْوَاءَ كُمْ﴾: تأكيد لقطع أطماعهم، وبيان لمبدأ ضلالهم، ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا﴾: إن فعلت ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾: مثلكم، ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: حُجَّةٍ واضحةٍ ﴿مِنْ﴾: جهة، ﴿رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ﴾: بالبينة باعتبار القرآن ﴿مَا عِنْدِي مَا اسْتَعْجَلُونَ بِهِ﴾: من العذاب، أي: قولهم: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا﴾^(٢) .. الآية، ﴿إِنْ﴾: ما، ﴿الْحُكْمُ﴾: الفصل بيننا بالعذاب، ﴿إِلَّا لِلَّهِ يَقُضُ﴾ يتبع أو يقول وقرئ: (يقض) ﴿الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِيلِينَ﴾: الفاضلين، ﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا اسْتَعْجَلُونَ بِهِ﴾: من العذاب، ﴿لَفُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾: بتعجيله، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾: بوقت عقابهم، ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ﴾: جمع مفتاح بفتح الميم، أي: مخازن، ﴿الغَيْبِ﴾: الغيب، أي: هو المنفرد بعلم المغيبات، أو هي الخمسة التي في آخر لقمان ﴿لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾: أي: كل شيء، ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾: لأنه يسقطها بإرادته، ﴿وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ﴾: بطنها، ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾: أي: كل شيء، ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾: اللوح المحفوظ وفي معنى الواو، وكذا كل أشبههما بعد استثناء بخلاف الاستثناء، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾: ينيمكم، ﴿بِالْأَيْلِ﴾: بقبض أنفسكم ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ﴾: كسبتم، ﴿بِالنَّهَارِ﴾: جرى في القيدان على الغالب ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ﴾: يوقظكم، ﴿فِيهِ﴾: في النهار، ﴿لِيُقْضَىٰ﴾: ليستوفى، ﴿أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾: مدة العمر المقدر، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾: بالموت، ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: بالجزاء، ﴿وَهُوَ أَقَاهِرُ﴾: الغالب، ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ﴾: فوقية تليق بجلاله

(١) سورة النحل.

(٢) سورة الأنفال.

﴿وَرِيسُلٌ عَلَيْكُمْ حَفَظَةٌ﴾: لأبدانكم، وهم المعقبات^(١) أو لأعمالكم^(٢) وهم الكرام الكاتبون، وحكمة إرسالهم أنا إذا عرفنا أن أعمالنا تكتب وتعرض علينا على رؤوس الأشهاد فهذا زجر لنا من أن يكون أمرنا بيننا وبين سيدنا الكريم معتمدين على لطفه^(٣)، ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾: مَلَكُ الْمَوْتِ وَأَعْوَانُهُ ﴿وَهُمْ﴾: كل المذكورين ﴿لَا يُفِرُّونَ﴾: لا يُقَصِّرُونَ فيما أمروا به ﴿ثُمَّ رُدُّوا﴾: العباد المفهوم من أحدكم، ﴿إِلَىٰ اللَّهِ مَوَلَّهُمْ﴾: متولي أمورهم، ﴿الْحَقِّ﴾: العَدْلُ، وأما قوله: ﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾^(٤) فبمعنى النَّاصِرِ فلا منافاة، ﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ﴾: يومئذ لا غيره ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾: يحاسبنا في قدر نصف نهار من أيام الدنيا كذا في الحديث^(٥)، ﴿قُلْ﴾: توبيخًا، ﴿مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتٍ﴾: شدائد، ﴿الْبَرِّ وَالْبَحْرِ نَدْعُونَهُ نَضْرَعًا﴾: إعلانًا ﴿وَحَقِيَّةً﴾: قائلين والله، ﴿لَئِنْ أَنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ﴾: الظلمات، ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾: قُلْ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا﴾: من الظلمات، ﴿وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُنْجُونَ﴾: ولا تشكرون ﴿قُلْ هُوَ﴾: وحده، ﴿الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾: كعذاب عادٍ أو الأُمراءِ السُّوءِ ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾: بنحو الحَسْفِ أو الخَدَمِ السُّوءِ، ﴿أَوْ يَلْسِكُمْ﴾: يخلطكم، ﴿شَيْعًا﴾: فرقا مختلفين متشايعين، ﴿وَيَذِيقُ بَعْضَكُمْ بَأْسَ شِدَّةٍ﴾: بتسليط بعضكم على بعض بالقتل ونحوه، ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نُصْرِفُ﴾: نوضِّح ونكرِّر ﴿الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾: يفهمون ﴿وَكَذَّبَ بِهِ﴾: بالقرآن الدال عليه الآيات، ﴿قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ﴾: الصدق، ﴿قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾: مُوَكَّلٌ عليكم لأمنعكم من التكذيب، ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾: خبر من أخبار الله، ﴿مُسْتَقَرًّا﴾: وقت وقوع، ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: إمَّا في الدنيا أو في العقبى أو مُبْعَضًا^(٦)، ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيءِ آيَاتِنَا﴾: بنحو الطَّعْنِ ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ﴾: بترك مجالستهم، ﴿حَتَّىٰ

(١) كما في سورة الرعد: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ﴾ وستأتي.

(٢) في (ن): لأعمالهم.

(٣) في (د): فضله.

(٤) سورة محمد.

(٥) تفسير الطبري (٣/٣١٠)، ورواه الحاكم في المستدرک (٢/٤٠٢)، وأبو نعيم في الحلية (٤/٢٣٢).

(٦) بعضه في الدنيا وبعضه في الآخرة.

يَخُوضُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ: ﴿غَيْرِ الْخَوْضِ﴾ وَإِنَّمَا يُنْسِنُكَ الشَّيْطَانُ: ﴿هُوَ الَّذِي يوسوسه﴾، ﴿فَلَا تَقْعُدُوا بَعْدَ الذِّكْرِ﴾: التذكرة ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾: أي معهم ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ﴾: مما يحاسبون عليه ﴿مَنْ شَاءَ﴾: من الإثم إن قعدوا معهم ﴿وَلَا كُنْ﴾: عليهم، ﴿ذِكْرِي﴾: وعظهم، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: الخوض أو نحوه، قيل نسخت بآية النساء^(١)، ﴿وَدَّرِي﴾: أعرض عن ﴿الَّذِينَ أَخَذُوا بِئْمَانِهِمْ لِعِبَادٍ وَلَهُوًّا﴾: كعبادة الحجر، وتحريم البحائر، وكذا من جعل طريقته الخمر والزمر والرِّقْص ونحوه، ﴿وَعَرَّزَهُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ﴾: بالقرآن، مخافة ﴿أَنْ تُبْسَلَ﴾: تسلم إلى الهلكة، ﴿نَفْسٌ﴾: للعموم، أي: كل نفسٍ ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾: من سوء العمل ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا سَفِيحٌ﴾: يدفع عذابها، ﴿وَإِنْ تَعَدَّلْ﴾: تفتد النفس، ﴿كُلَّ عَدَلٍ﴾: فداء يتصور، ﴿لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا﴾: سُلِّمُوا للعذاب ﴿بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾: ماء مغلي يقطع الأمعاء، ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾: قُلْ أَدْعُوا: نعبدُ ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾: كالأصنام ﴿وَتُرْذَعُ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا﴾: نرجعُ إلى الشُّرْكَ ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ كَالَّذِي﴾: كرر الذي، ﴿أَسْتَهْوَتْهُ﴾: أذهبتهُ ﴿الشَّيْطَانُ﴾: عن الطريق المستقيم في مهامه^(٢) الأرض، ﴿فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾: مُتَحِيرًا ضَالًّا عن الطريق ﴿لَهُ؛ أَصْحَابٌ﴾: رفقاء ﴿يَدْعُونَهُ إِلَىٰ الْهُدَىٰ﴾: الطريق المستقيم، قائلين: ﴿أَتَيْنَا﴾ ولا تلتفت إليهم، ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾: فيجازيكم، ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾: بالحكمة لا عبثًا، ﴿وَالْيَوْمِ﴾: حين، ﴿يَقُولُ﴾: لما أراد تكوينه ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾: فسَّر مرة، أو يوم ظرف ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾: النافذ في الكائنات، ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾: قَرْنٌ يسع أهل السموات والأرض ينفخ فيه إسرافيل، خصَّه بالذكر لظهور تفرده به فيه، هو ﴿عَلَيْهِمُ الْغَيْبُ﴾: ما غاب، ﴿وَالشَّهَادَةُ﴾: ما حضر ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾: في خلقه،

(١) يعني: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ﴾.

(٢) جمع مهمه وهي الصحراء الففرة.

﴿الْخَيْرُ﴾: بيوطن الأشياء، ﴿و﴾: اذكر، ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَارَ﴾: لقب تارخ
﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَدْتُكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ وكذلك: التَّبَصِيرِ، ﴿زُرِّي﴾
نصر هذا حكاية عن الماضي، ﴿إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ﴾: رُبُوبِيَّتِهِ، أي: عرفناه دلائل ربوبيته،
﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أو عجائبهما ليستدل، ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ فلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ: ﴿
ستره بالظلمة، ﴿أَيْلُ رِءَاكُوكِبًا﴾: الزهرة أو المشتري^(١)، ﴿قَالَ﴾: حجة على قومه،
﴿هَذَا رَبِّي﴾: قول من ينصف خصمه عالمًا ببطلانه، ثم يكر عليه فيطله بالحُجَّة،
فقوله هذا للاستدلال والحجة بقرينة: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا﴾ إلى آخره، و﴿يَقُومُ إِنِّي
بِرِيءٍ﴾، وكان قومه عابدي تمثال الكواكب، ﴿فَلَمَّا أَفَلَّ﴾: غاب، ﴿قَالَ لَا أُحِبُّ﴾:
عبادة، ﴿الْأَفْلَاقِ﴾: لتغيرهم، واحتج بالأفول لا البزوغ لتعدد دلالاته؛ لأنه^(٢) انتقال
مع احتجاب بالأستار، ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا﴾: طالعا ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَّ قَالَ لَيْنَ لَمْ
يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾: تعريض لقومه بضلالتهم، ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ
بَازِعَةً قَالَ هَذَا﴾: ذكره^(٣) لتذكيره ﴿رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ﴾: جرماً^(٤) وضوءاً، ﴿فَلَمَّا أَفَلَّتْ قَالَ
يَقُومُ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا دُشِرْتُ كُونَ﴾: من الأجرام المفتقرة إلى مُحدث، ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾:
أخلصت ديني، ﴿لِلَّذِي فَطَرَ﴾: أبدع بلا سبوق مثالِ ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: حَال
كوني، ﴿حَنِيفًا﴾: مائلا عن الباطل، ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: أي: منكم،
﴿وَحَاجَّهُ﴾: جادله، ﴿قَوْمُهُ﴾: في التوحيد وخوفوه من آلهتهم، ﴿قَالَ أَنَحُّ جُوتِي فِي﴾:
وحدانيَّةِ ﴿اللَّهِ وَقَدْ هَدَّنِي﴾: إليها، ﴿وَلَا أَخَافُ مَا دُشِرْتُ كُونَ بِهِ﴾: بالله في وقت، ﴿إِلَّا أَن
يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾: من المكروه يصيبني من جهتها، ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا
تَتَذَكَّرُونَ﴾: فتركوا الشُّرك ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾: مع أنه جماد، ﴿وَلَا
تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ﴾: الحقيق بالخوف عنه، ﴿مَا لَمْ يُبْرَزْ بِهِ عَلَيْكُمْ﴾:

(١) غرر التبيان (٢٥٤)، زاد المسير لابن الجوزي (٣/٧٣)، الوسيط (٢/٢٩٠).

(٢) في (ن): أَنَّهُ.

(٣) يعني لم يقل: هذه.

(٤) جسماً وحجماً.

ياشراكه ﴿سُلْطَنًا﴾: حُجَّةٌ ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ﴾: من الموحد والمشارك، ﴿أَحَىٰ بِالْأَمْنِ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: ما يجب الخوف عنه ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا﴾: لم يخلطوا ﴿إِيمَانَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: أي: بشرك، كذا في الحديث^(١)، أو هو خلط باعتقاد فاسد، ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْآمَنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ وَتِلْكَ: المذكورات من قوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ﴾ ﴿حُجَّتْنَا ءَاتَيْنَهَا﴾: ألهمناها، ﴿إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾: متعلق ﴿حُجَّتْنَا﴾ ﴿نَزَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾: بالرفع والخفض^(٢)، ﴿عَلِيمٌ﴾: بمن يستحقه، ﴿و﴾: من رفع درجاته أنا ﴿وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾: خصَّه بالذكر دون إسماعيل مع أنه أكبر؛ لأنه من عجوزٍ عقيم فالمنة فيه أظهر، ﴿كُلًّا﴾: منهما، ﴿هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ﴾: قبل إبراهيم وشرف الوالد شرف الولد، ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾: أي: إبراهيم وقيل: أي: نوح بقربينه يونس ولوط، ﴿دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ﴾: الجزاء، ﴿بَجَرَى الْمُحْسِنِينَ﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ: وولد البنت من الذرية ﴿وَأِيلَاسَ﴾: سبط هارون أخي موسى، ﴿كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾: الكاملين في الصلاح، ﴿وَأِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوشَعَ وَثُوطًا﴾: ابني هاران أخي إبراهيم، أدخل تغليبا، ولأنه هاجر معه، ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا﴾: بالنبوة، ﴿عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾ وَ: فَضَّلْنَا، ﴿مِنْ ءَابَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ ومنهم سيد العالمين - عليهم الصلاة والسلام - ﴿وَإِخْوَانِهِمْ وَأَجْنِبَتِهِمْ﴾: اخترناهم، ﴿وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ذَلِكَ: أي: صراطهم ودينهم، ﴿هُدَىٰ اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا﴾: مع جلالتهم ﴿لَحَبِطَ﴾: بطل ﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: بكفرهم، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾: جنسه ﴿وَالْحُكْمَ﴾: الحكمة أي: العلم والعمل به ﴿وَالنَّبُوءَةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا﴾: بالنبوة أو بالثلاثة، ﴿هُؤُلَاءِ﴾: أهل مكة ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا﴾: بمراعاتها، ﴿قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾:

(١) يشير إلى حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: لما نزلت: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ شق ذلك على أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: يا رسول الله! وأينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ألا ترون إلى قول لقمان لابنه: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾». رواه مسلم في صحيحه (١/٦٤). وفي رواية: «ليس ذلك، إنما هو الشرك» رواه البخاري (١/١٥) و(٢/٢٣٥) و(٣/١٢٨)، ومسلم (١/٦٤). (٢) يرفع أقواما ويضع آخرين.

هم الصَّحابة وتابعوهم، أو الفرس^(١)، ﴿أُولَئِكَ﴾: الأنبياء، ﴿الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْهُمْ أَقْتَدَ﴾: الهاء للاستراحة للوقف، أي: فيما اتفقوا عليه في الأصول^(٢) أو في التوحيد والأخلاق: الجهة لتجتمع فضائل كل منهم فيه، فلم يدل على تعبه بشرعهم، إلا أن يقال من الفروع ما اتفقوا عليه، ثم المراد: الأخذ بهديهم من حيث إنه طريق العقل والشرع، فلا يرد أن الواجب في العقائد انتزاع الدليل من العقل والسمع، لا الاقتداء، ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على التبليغ، ﴿أَجْرًا إِنْ هُوَ﴾: ما القرآن، ﴿إِلَّا ذِكْرًا﴾: تذكرة، ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ وما قدرُوا: وما عرف اليهود أو المشركون ﴿اللَّهُ حَقٌّ قَدْرُهُ﴾: معرفته، ﴿إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾: من الكتب، ﴿قُلْ﴾: لهم، ﴿مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ لِيَجْعَلُوهُ﴾: يا يهود أو جعل المشركين كاليهود لتصديقهم له، وكذا كانوا يقولون: ﴿لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾^(٣)، ﴿قِرَاطِيسَ﴾: تجزؤها جزءًا جزءًا، ﴿بُتْدُونَهَا﴾: أي: بعضها ﴿وَتَحْفُونَ﴾: بعضها، ﴿كَثِيرًا﴾: جعلوها ورفات كثيرة ليتمكنوا من إبداء بعض وإخفاء بعض، ﴿وَعَلَّمْتُمْ﴾: بالقرآن ﴿مَا لَمْ تَقْلَمُوا أَسْمَ وَلَا آبَاءَكُمْ﴾: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَنْقُضُ﴾^(٤) إلخ، ﴿قُلِ اللَّهُ﴾: أنزله فإنه متعين في الجواب، ﴿ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي حَوْضِهِمْ﴾: أباطيلهم، ﴿يَلْعَبُونَ﴾: لاعبين ولا عليك بعد التبليغ، ﴿وَهَذَا﴾: القرآن، ﴿كُتِبَ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ﴾: كثير النفع، ﴿مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: من الكتب السماوية للبركات، ﴿وَلِنُنذِرَ﴾: به، ﴿أُمَّ الْقُرَى﴾ أهل مكة، فإن الأرض دُحِيتْ مِنْ تَحْتِهَا ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أهل المشرق والمغرب^(٥)، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾: إيمانًا يعتد به بخلاف بعض أهل الكتاب، ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾: بالقرآن، ﴿وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾: فإن خوف الآخرة يحمله على التدبر حتى يؤمن بالنبي والكتاب ويحافظ

(١) درج المؤلف - رحمه الله - على الاحتفاء بالفرس، وسبق الرد على ذلك وأن بلاد فارس منبع الكفر ورأسه وأساسه وكيف لا، والدجال يخرج منهم، وحماته من الرفضة والزنادقة يملؤون بلادها. اهـ.

(٢) كما في الحديث: «والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد».

(٣) ستأتي في هذه السورة في آخرها.

(٤) سورة القصص.

(٥) في نسخة (د): الشرق والغرب.

على ما هو عماد الدين^(١)، ﴿وَمَنْ﴾ لا ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: بافتراء الأحكام، ﴿أَوْ قَالَ أُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾: كمسيلمه، ﴿وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾: وهذا تخصيص بعد تعميم، ﴿وَ﴾ لمزيد قباحتها، ﴿مَنْ قَالَ سَأَزِلُّ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾: كمن قال: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾^(٢)، ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ﴾: كلهم، ﴿فِي غَمْرَاتٍ﴾: شدائد، ﴿الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةَ بَاسِطُوْا أَيْدِيَهُمْ﴾: قبض أرواحهم كمتقاض ملط^(٣)، قائلين زجرًا ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ﴾: في الحديث: «أرواح الكفار تأبى الخروج فتضربهم الملائكة حتى تخرج»^(٤) ﴿الْيَوْمَ﴾: يوم^(٥) الموت، ﴿تُجْرَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ الذل ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ﴾: قولاً، ﴿غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾: فما أمتم بها، ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى﴾ جمع فريد^(٦) منفردين عن الشفعاء والأهل والمال مجيئاً، ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُمُ مَا حَوَّلْنَاكُمْ﴾: تفضلنا عليكم من المال، ﴿وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ﴾: فيما بينكم، ﴿شُرَكَؤُا﴾: الله، ﴿لَقَدْ نَقَطَ بَيْنَكُمْ﴾: وصلكم، وبالفتح^(٧) ظرف لما المحذوفة ﴿وَصَلَّ﴾ ضَاعَ ﴿عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾: أنه شريك وشفيع، ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ﴾: شاق، ﴿الْحَبِّ﴾: بإنبات الزرع، ﴿وَالنَّوَى﴾: بإنبات الشجر، ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ﴾: كالنبات النامي الغاذي والحيوان، ﴿مِنَ الْمَيِّتِ﴾: كالحب والنطفة، ﴿وَيُخْرِجُ﴾: عطف على ﴿فَالِقُ﴾ لأن يخرج كمتبين لفالق إلى آخره، ومخرج لا يصلح لبيانه، ولذا غير

(١) يشير إلى حديث: «الصلاة عماد الدين» رواه البيهقي في شعب الإيمان (٢٨٠٧/٣)، والدليمي في الفردوس (٣٧٩٥)، وضعفه العلامة الألباني في ضعيف الجامع (٣٥٦١) وله شواهد.

(٢) سورة الأنفال.

(٣) مُلَّح، وفي (ن): مُسَلَّط.

(٤) تفسير ابن كثير (١٥٧/٢).

(٥) في (د): بعد.

(٦) نحو أسارى وأسير.

وقال الفراء: قوم فرادى وفراد، لا يجرونها، أي: لا يصرفونها، قال: تشبيهاً بـ«ثلاث» و«رباع»، قال: وواحداهما فرد وفرد وفردان. * عمدة الحفاظ (٢١٢/٣).

(٧) قرأ ابن كثير وأبو عمرو، وابن عامر وحمزة وعاصم ومجاهد (بينكم) بضم النون.

* السبعة (٢٦٣)، غيث النفع (٢١٢)، والنشر (٢٦٠/٢).

الأسلوب بخلاف غير هذا الموضع ﴿الْمَيْتِ﴾: كالحبِّ والنطف ﴿مِنَ الْحَيِّ﴾: كالنبات والحيوان إن، ﴿ذَلِكُمْ﴾: الفاعل ﴿اللَّهُ فَآيُنْ﴾: كيف، ﴿تُوقَفُونَ﴾: تصرفون عن توحيدهِ ﴿فَالِقُ﴾: شاق، ﴿الإصباح﴾: عمود الصبح عن ظلمة الليل، أو شاق ظلم الإصباح أو خالق الإصباح، وهو القَبَسُ ﴿وَ﴾ هو ﴿جَعَلَ أَيْلَ سَكَنًا﴾: مسكونا فيه للاستراحة من تعب النَّهَارِ، وقراءة (جاعل)^(١) نُصِبَ بمعنى الدوام التجديدي، ﴿وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ للأوقات تعرف بدورها، مصدر «حسب» بالفتح، كما أن «حِسْبَان» بالكسر مصدر «حَسَب» وقيل: جمع حساب ﴿ذَلِكَ﴾: المذكور، ﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾: الغالب، ﴿الْعَلِيمِ﴾: بما قدره ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ﴾: خلق، ﴿لَكُمْ النُّجُومَ﴾: غير النيرين^(٢) ﴿لِيَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتٍ﴾: الليالي في ﴿الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَضَّلْنَا﴾: بينا ﴿الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: فإنهم ينتفعون بها، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾: آدم، ﴿فَمُسْتَقَرًّا﴾: فلکم مستقرًّا كالأرحام ﴿وَمُسْتَوْدَعًا﴾: كالأصلاب، واعلم أن الأصلاب والأرحام والدينا والقبر والمحشر إلى الجنة أو النار، كل منها مستقر ومستودع بالنسبة، ﴿قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُفْقَهُونَ﴾: خصّه بالفقه، وهو تدقيق النظر؛ لأن الاستدلال بالأنفس أدق^(٣) من الاستدلال بالنجوم بالآفاق؛ لظهوره، قال تعالى: ﴿لَخَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾: بسبب الماء، ﴿نباتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾: ينبت أو رزق كل ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾: من النبات، ﴿خَضْرَاءً﴾: شيئاً أخضر، ﴿مُخْرِجٌ مِنْهُ﴾: من الخضر، ﴿حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾: بعضه يركب بعضاً، وهو السنبل ﴿وَ﴾: أخرجنا، ﴿مِنَ النَّخْلِ﴾: نخلاً ﴿مِنَ طَلْعِهَا﴾: أكمامها، ﴿قَتَوَانٌ﴾: جمع قنو، عنقود، ﴿دَانِيَةً﴾: سهلة المجتنى لقصر النخل، خص القرية بالذكر لزيادة النعمة فيها، وذكر الطلع مع النخل؛ لأنه طعام وإدام دون سائر

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو، وابن عامر: (وجاعل الليل).

* السبعة (٢٦٣)، غيث النفع (٢١٣)، والنشر (٢/٢٦٠).

(٢) الشمس والقمر.

(٣) في (س): أقوى.

الأكمام وتقديم النبات لتقديم^(١) القوت على الفاكهة، ﴿و﴾: أخرجنا به، ﴿جَنَاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا﴾: أوراقها، ﴿وَعَيْرٌ مُّتَشَبِهٍ﴾: ثمارها، أو كلاهما في الثمرة كالرمان الحلو الأبيض الكبير، وبضدها، ﴿انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ﴾: ثمر كل منها ﴿إِذَا أَمَرَ﴾: أخرج ثمره ﴿وَيَعْوَهُ﴾: نضجه مستدلين به على قدرته ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾: على كمال قدرته ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: إلا المعاندين، ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾: الملائكة المجتنة: أي: المختفية أو الشياطين لأنهم أطاعوهم كإطاعة الله، ﴿و﴾: الحال أنه، ﴿خَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا﴾: افتروا ﴿لَهُ بَيْنَ﴾ كعزير ومسيح ﴿وَبَنَاتٍ﴾: كالملائكة، ﴿بَعِيرٍ عَلِيمٍ﴾ وفكر ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيهه ﴿وَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُصِفُونَ﴾: يصفونه به، ﴿بَدِيعٌ﴾: مُبدع، ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: مرَّ بيانه، أي: هو خالق الأجسام والتوالد فيها فقط، ﴿أَنْ﴾: كيف ﴿يَكُونُ لَهُ، وَلَدًا وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً﴾: وإنما الولد من متجانسين، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: لم يقل به^(٢) لتطرق التخصيص إلى الأول، ﴿ذَلِكَ﴾: الموصوف، ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾: مُتوليه فكلوا الأمر إليه، ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾: في الدنيا؛ لأن فيها لا يرى إلا ما في جهة والله خالقها، لكن إذا تجلّى بوجهه يُمكن رؤيته تدرکه الأبصار كما صح في الأخبار^(٣)، والتغير للرائي لا للجبار، والنفي لا يعم الأوقات ولا الأشخاص، لأنه سالبة^(٤) جزئيه كقولنا: ليس كل بصر يدرکه، فيمكن تخصيصه على أن النفي لا يوجب الامتناع، فزعم المعتزلة في غاية الاندفاع، ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾: لأنه خالقها وتخصيصها للمقام، ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾: فلا تدرکه الأبصار ﴿الْحَيُّ﴾: فيدرکهها، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ﴾: آياتُ القرآن هي ﴿بَصَائِرُ﴾: البصيرة للقلب كالبصر للعين ﴿مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ

(١) كذا.

(٢) وإنما قال: «بكل».

(٣) أحاديث رؤية الله - تعالى - في الآخرة كثيرة جدا بلغت مبلغ التواتر، بل أفردت بتأليف للدارقطني والنحاس وغيرهما. اهـ.

(٤) قضية منطقية.

أَبْصَرَ ﴿: وَأَمَّنْ بِهَا، ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾: نفعه ﴿وَمَنْ عَمِيَ﴾: عنها ﴿فَعَلَيْهَا﴾: ضرها، ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾: إن أنا إلا رسول ﴿وَكَذَلِكَ﴾: التبيين، ﴿نُصِرْفُ﴾: نُبِّينُ وَنَكَرَّرُ ﴿الْآيَاتِ وَ﴾: نُصِرْفُهَا ﴿لِيَقُولُوا﴾ المشركون واللام للعاقبة ﴿دَرَسَتْ﴾: تعلمت من اليهود أو العجم، ﴿وَلِنُبَيِّنَهُ﴾: القرآن، ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: مضمونه: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾^(١)، ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾: بالعمل به، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: فيجب اتباع أمره، ﴿وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾: قيل نسخت^(٢) بالسيف، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾: لكن له حكمة^(٣) في إضلالهم، ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾: تحفظ أعمالهم ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾: تقوم بأمرهم ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾: يعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: أصنامهم، وهذا من الإعراض عنهم، ﴿فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا﴾: ظلماً، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: جاهلين، دَلَّ^(٤) على النهي عن طاعة تورث معصية راجحة بخلاف المعصية الموجودة ﴿كَذَلِكَ﴾: التزيين، ﴿زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾: كافرة، ﴿عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: بالمجازاة ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ﴾: أغلظ، ﴿أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ آيَةٌ﴾: كآيات موسى وعيسى، ﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهَا قُلُوبُنَا إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾: لا عندي، ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾: استفهام إنكاري أي: لا يشعرون ﴿أَنَّهُآ إِذَا جَاءَتْ﴾: الآية ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: والله يعلم ذلك، ﴿وَنُقَلِّبُ أَفئِدَتَهُمْ﴾: عن الحق لو جئنا بما اقترحوا فلا يفقهونه، ﴿وَأَبْصَرُهُمْ﴾: فلا يبصرونه، ﴿كَمَا لَرِئُومُنَا بِهِ﴾: بما جئنا به من الآيات كشق القمر وغيره، ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ﴾: ضلالتهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾: يتحIRON، ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَةَ﴾: فرأوهم عيانا ﴿وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتُ﴾: في حقيقة القرآن، ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾: مقابلة ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ في حال، ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾: بتبديل طباعهم،

(١) سورة البقرة.

(٢) في (د)، و(ن): نسخ.

(٣) في (د): حكم.

(٤) يعني: دل الكلام.

(٥) في هامش (ن): الجزء (٨).

﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾: أنهم إن أوتوا بها لم يؤمنوا فيقسمون كذلك، ﴿وَكَذَلِكَ﴾: كما جعلنا لك عدواً ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِينَ﴾: مردة، ﴿الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي﴾: يلقي^(١) ويوسوس، ﴿بَعْضُهُمْ إِنْ بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ﴾: بأباطيله المزينة، ﴿غُرُورًا﴾: للغرور، فمردة الجن يُوحون إلى مردة الإنس يغرونهم أو بعض الإنس إلى بعض، وبعض الجن إلى بعض، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾: الإيحاء، ﴿فَذَرَهُمْ وَمَا بَعَثُوا﴾: من تكذبيك، ﴿وَلِيَصَّحَى﴾: لتميل: عطف على غرور ﴿إِلَيْهِ﴾: إلى زُخْرَفِ الْقَوْلِ ﴿أَفَعِدَّةٌ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلَيْرِضْوَهُ﴾: ليحبوه، ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا﴾: ليكتسبوا ﴿مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ من الآثام وكل منهما مسبب عما قبله فما أحسن ترتيبه، قل يا محمد: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي﴾: أطلب، ﴿حَكْمًا﴾: بيني وبينكم، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ﴾: القرآن، ﴿مُفَصَّلًا﴾: مبينا يغنيكم عن حكم آخر، ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾: علماءهم، ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾: لما بين في كتبهم، ﴿فَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُعْتَرِينَ﴾: في علمهم به ﴿وَتَمَّتْ﴾: بلغت الغاية، ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: القرآن، ﴿صِدْقًا﴾: في الأخبار والمواعيد، ﴿وَعَدْلًا﴾: في أحكامه، ﴿لَا مَبْدَلَ﴾: مُغَيِّرَ ﴿لِكَلِمَتِهِ﴾: بالتحريف والنسخ ونحوه، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾: لأقوالهم، ﴿الْعَلِيمُ﴾: بضمائرهم، فلا يمهلهم، ﴿وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ﴾: وهم الجهال يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ: لأنَّ الضَّالَّ لا يأمر إلا بالضلال، ﴿إِنْ﴾: ما، ﴿يَتَّبِعُونَ﴾: في عقائدهم، ﴿إِلَّا الظَّنَّ﴾: ظن هداية آباءهم ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: يكذبون، ﴿إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ﴾: بمن، ﴿يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ وهو أعلم بالمهتدين ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾: لا غيره عليه عند ذبحه، ﴿إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِنَا مُؤْمِنِينَ﴾: فإن الإيمان يقتضي استحلال ما أحله فقط، ﴿وَمَا﴾: أي غرض لكم، ﴿فِي﴾: ﴿أَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾: وتأكلوا من غيره، ﴿وَقَدْ فَضَّلْنَا لَكُمُ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ في قوله: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ إلى آخره، ﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾: ممَّا حُرِّمَ ﴿وَإِنْ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ﴾: بالتحريم والتحليل^(٢)، ﴿بِأَهْوَاءِهِمْ﴾: بتشبههم ﴿بِغَيْرِ

(١) كذا في (ن)، و(د).

(٢) في نسخة (د)، و(ن): بالتحليل والتحريم. والمثبت من (ح)، و(س)، و(ع).

عَلِمَ ﴿: دليل ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿: المتجاوزين الحق، ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِنْمِرِ ﴿: ما يُعلن منه ﴿وَبَاطِنَهُ ﴿: خفيته، أو ما بالجوارح والقلب، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِنْمِرَ سَيُجْرُونَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿: يكتسبون، ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴿ وهو ما أهل به لغير الله بقرينة: ﴿وَإِنَّهُ ﴿: ما لم يذكر.. إلخ، ﴿لَفَسْقٌ ﴿: أي: ما أهل لغير الله به، والجملة حالية، وإن واللام لإنكارهم فسقيته وصرحوا بجوازه في نحو: لقيته وإنك لراكب فلا ينافيان الحالية، فما لم يذكر عليه ولو عمدا حلال عند الشافعي ومالك وابن عباس^(١)، وأيضاً في الحديث: «كُلُوا، فَإِنَّ تَسْمِيَةَ اللَّهِ فِي قَلْبِ^(٢) كُلِّ مُؤْمِنٍ^(٣)»، حين سئل عن متروك التسمية، وفي الحديث أيضاً: «ذبيحة المسلم حلال، وإن لم يذكر اسم الله عليه»^(٤)، ولرجوع: ﴿وَقَدْ فَضَّلَ ﴿ إلى آية: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ﴿، ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ ﴿: يوسوسون، ﴿إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ ﴿: الكفار، ﴿لِيُجَدِّدُواكُمْ ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ ﴿: في استحلال الحرام والله، ﴿إِنَّكُمْ لَشُرِكُونَ ﴿ أَوْ مَن كَانَ مِيثًا ﴿: بجهله وضلالته ﴿فَأَحْيَيْنَهُ ﴿: بالهداية، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا ﴿: القرآن ﴿يَمْتَشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴿: يهتدي كيف يسلك مع مجرميها كعمر وحزمة وعمار^(٥)، ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ ﴿: صفته أنه، ﴿فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴿: كأبي جهل ﴿كَذَلِكَ ﴿: كما زُينَ الإيمان للمؤمنين، ﴿زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ وَكَذَلِكَ ﴿: كما ﴿جَعَلْنَا ﴿: في مكة ﴿أَكْثَرَ مُجْرِمِيهَا ﴿ كأبي جهل، ﴿جَعَلْنَا ﴿: صَيْرْنَا، ﴿فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْثَرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ﴿: بإضلال الناس، ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ ﴿: وباله عليهم، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿: ذلك، ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ ﴿: مصدقة لمحمد عليه الصلاة والسلام، ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ﴿: بأن يأتينا وحى كما يأتيه، ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ ﴿: أي: عالم ﴿حَيْثُ ﴿: مكانا، ﴿يَجْعَلُ رِسَالَاتَهُ ﴿:

(١) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٧٤).

(٢) كذا في (ح)، و(د)، و(ع)، وفي (ن)، و(س): فَم.

(٣) رواه بنحوه: الدارقطني (٤/ ٢٩٥)، والبيهقي (٩/ ٢٤٠) وسنده باطل.

(٤) رواه الحارث ابن أبي أسامة (١/ ٤٧٨/ ٤١٠) وهو ضعيف.

(٥) تفسير الطبري (٨/ ١٧)، والوسيط (٢/ ٣١٩)، ابن كثير (٢/ ١٧٢)، الدر المشور (٣/ ٤٣)، فتح

فيه، أعلم أن أفعل لكل إلا لام^(١) وإضافة ومن يجوز كونه بمعنى اسم الفاعل أو الصفة المشبهة نحو: ﴿ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ ﴾ بمعنى: هين، فمعناه: الله عالم مكانا فلا يحتاج إلى تكلفات بعض في جعل الظرف الغير المتصرف هنا^(٢) مفعولا به لأفعل التفضيل والله تعالى أعلم، ﴿ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ ﴾ ذل، ﴿ عِنْدَ اللَّهِ ﴾: يوم القيامة، ﴿ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴾ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ ﴾: يوسع صدره، ﴿ وَقَلْبُهُ ﴾: للإسلام، يجعله قابلا للتوحيد، ﴿ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾: زائد الضيق بحيث لا يدخله الحق، ﴿ كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾: فإنه ممتنع، ﴿ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ ﴾: العذاب، ﴿ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ وهذا: الإسلام ﴿ صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ﴾: حال مؤكدة عن معنى الإشارة بلا عوج، ﴿ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾: بالتدبر، ﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ ﴾: الجنة وإضافة تشريفية، أو السلام: السلامة خبره، ﴿ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ ﴾: مولاهم^(٣)، ﴿ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾: بأعمالهم، ﴿ وَ ﴾: اذكر، ﴿ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ﴾: قائلين، ﴿ يَمْعَشَرُ الْجِنِّ قَدْ اسْتَكْرَثُوا مِنْ ﴾: إغواء ﴿ الْإِنْسِ ﴾: أو مثل: استكثر الأمير جنده ﴿ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ ﴾: مطيعوهم، ﴿ مِنَ الْإِنْسِ ﴾: في الجواب، ﴿ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ ﴾: انتفع، ﴿ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ﴾: فانتفاع الإنس ووصولهم بسببهم إلى مشترياتهم، وانتفاع الجن بقول إغوائهم، ﴿ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا ﴾: القيامة والبعث ﴿ قَالَ ﴾: الله، ﴿ أَنَارُ مَثُوبَكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾: الله أعلم بشنيه، أو المستثنى: الفساق، ﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ ﴾: في أفعاله، ﴿ عَلِيمٌ ﴾: بأعمالكم، ﴿ وَكَذَلِكَ ﴾: الإشقاء بالاستمتاع، ﴿ نُؤْتِي ﴾: نكل أو نسلط ﴿ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا ﴾: إليهم أو عليهم، أو نجعله وليهم، ﴿ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾: من المعاصي ﴿ يَمْعَشَرُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾: والصحيح أن الرسل من الإنس والجن أتبع، أو الرسل رسل^(٤) من الجن

(١) كذا. وفي هامش (ع): المستعمل بلا لام.

(٢) في (ع): هذا.

(٣) في (ن): مواليتهم.

(٤) دعاة مبلغون لا يوحي إليهم؛ لأن الجن لا يتحمل رؤية الملك.

إِلَيْهِمْ ﴿يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ عَذَابِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾: القيامة، ﴿قَالُوا﴾: جواباً ﴿شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا﴾: بإنذارهم، أي: بلى ثم قال تعالى: ﴿وَعَرَّضَهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾: وهذا في غير موقف يقولون فيه: ﴿وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، ﴿ذَلِكَ﴾: الإرسال، ﴿أَنْ﴾: لأن، ﴿لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ﴾: أهل، ﴿الْقُرَىٰ﴾: ملتبسين، ﴿يُظَلِّمُوا أَهْلَهَا غُفْلُونَ﴾: لم يُنبهوا برسولٍ ﴿وَلِكُلِّ﴾: من القائلين، ﴿دَرَجَتٌ﴾: ناشئات، ﴿مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾: وَرَبُّكَ الْغَفِيُّ: عن خلقه، ﴿ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَاءُ يُذْهِبْكُمْ﴾: أيها العصاة إذا عصيتم، ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾: من المطيعين، ﴿كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾: فأهلكهم، ﴿إِنَّ مَاتُوا عَدُونَ لَاتٍ﴾: كائن البتة ﴿وَمَا أَنْشَأَ بِمُعْجِزِينَ﴾: فائتين الله، ﴿قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا﴾: أمر تهديد، ﴿عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ﴾: مكانكم الذي أنتم عليه من الكفر، أي: دوموا عليه، ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾: على ما أنا عليه، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ﴾: أينا ﴿تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ﴾: العاقبة المحمودة التي خلق لها هذه الدار، ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾: الميتون على الكفر، ﴿وَجَعَلُوا﴾: مشركوا العرب، ﴿لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾: خلق ﴿مِنَ الْحَرَابِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾: وللأصنام نصيباً، ﴿فَقَالُوا﴾: هَذَا لِلَّهِ بِرِزْقِهِمْ: أصل الزعم: حكاية قول يكون مظنة الكذب، ﴿وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾: فجعلوا مصرف نصيب الله الضيف، ومصرف نصيب الأوثان خدمها، فإن سقط من ثمار نصيب الأوثان شيء رُدُّوه إليه، وإن هلك منه شيء جعلوا مكانه من نصيب الله، وإن هلك من نصيب الله شيء أو سقط منه في نصيب الأوثان خلُّوه، وقالوا: الله غنيٌّ وهي فقير خدمها محتاجون، وهذا قوله: ﴿فَمَا كَانَتْ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَتْ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾: حكمهم هذا، ﴿وَكَذَلِكَ﴾: التزيين، ﴿زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ﴾: الشياطين؛ فإنهم يعبدونهم حقيقة كما مر، ﴿لِيُرَدُّوهُمْ﴾:

ليهلكوهم، ﴿وَلَيْسُوا﴾: ليخطوا، ﴿عَلَيْهِمْ دِينُهُمْ﴾: إذ كانوا على دين إسماعيل^(١) فرجعوا، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾: على الله، ﴿وَقَالُوا هَذِهِ﴾: أي: ما جعل لآلهتهم، ﴿أَنْعَمُ وَحَرَّتْ حَجْرٌ﴾: حرامٌ ﴿لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ﴾: طعمته وهم السدنة^(٢)، ﴿بِرَعْمِهِمْ﴾: لا بأمر الله، ﴿وَأَنْعَمُ حَرِمَتْ ظُهُورُهَا﴾: كالسائبة ونحوها، ﴿وَأَنْعَمُ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾: في ذبحها بل يسمون آلهتهم ﴿أَفْتَرَاءَ عَلَيْهِ﴾: على الله، ﴿سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَمِ﴾: جنين البحائر والسوائب إن ولد حيا، ﴿خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَرْوَاجِنَا﴾: نسائنا، ﴿وَإِنْ يَكُنْ مَيِّتَةً فَهُمْ﴾: فالذكور والإناث، ﴿فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ﴾: الله، ﴿وَصَفَّهُمْ﴾: الكذب جراءة عليه، ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾: في فعله، ﴿عَلِيمٌ﴾: بأعمالنا، ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ﴾: بناتهم بالوآد^(٣)؛ لثلا تأكل رزقهم، ﴿سَفَهَاءٌ﴾ سفهاء ﴿بِعَيْرِ عِلْمٍ﴾: حجة، ﴿وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾: كالبحائر، ﴿أَفْتَرَاءَ عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾: إلى الحق بعد ضلالهم، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ﴾: أبداع، ﴿جَنَّتِ﴾: بساتين الكرم، ﴿مَعْرُوشَتِي﴾: مرفوعات على ما يحملها وجه، أو مبسوطات على كالبطيخ ﴿وَعَيْرِ مَعْرُوشَتِي﴾: متروكات على وجه الأرض أو مرتفعات على الساق كالنخل، ﴿و﴾: أنشأ، ﴿التَّخْلُ وَالزَّرْعُ مُخْتَلِفًا أُكْلُهُ﴾: أي: ثمر كل واحد منها طعاما ولونا وشكلاً ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا﴾: في الشجر والمنظر ﴿وَعَيْرِ مُتَشَابِهٍ﴾: في الثمر أو الطعم^(٤)، وقد مر بيانه، ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾: ولو قبل النضج، ﴿وَمَاتُوا حَقًّا﴾: حق الله أي: صدقته، ﴿يَوْمَ حَصَادِهِ﴾: وهذا كان قبل وجوب زكاته عند الأكثر، ﴿وَلَا تَسْرِفُوا﴾: في التصدق أو الأكل ليقى حركم، ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾: أنشأ، ﴿مِنَ الْأَنْعَمِ حَمُولَةً﴾: تحمل الأثقال ﴿وَفَرَّشًا﴾: تفرش

(١) يعني العرب؛ لأن إسماعيل أبوهم.

(٢) الخدام.

(٣) الوسيط - للواحد (٢/٣٢٩).

(٤) في (د): المطعم.

للذبح صغار، ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾: من الثمار والزروع والأنعام ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ﴾: سُبُل ﴿الشَّيْطَانِ﴾: في التحريم والتحليل من عندهم ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ﴿ثَمَنِيَّةَ﴾: بدلٌ من حمولة وفرشا ﴿أَزْوَاجَ﴾: والزوج: ما معه ما يزاوجه من جنسه، ﴿وَمِنَ الصَّخَانِ اثْنَيْنِ﴾: الكبش والنعجة، ﴿وَمِنَ الْمَعَزِ اثْنَيْنِ﴾: التيس^(١) والعنز، ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿الذَّكَرَيْنِ﴾: منهما، ﴿حَرَّمَ﴾: الله، ﴿أَمِ الْأُنثَيَيْنِ﴾: منهما ﴿أَمَّا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ﴾: أي: ما حملته أثناهما ﴿نَيْغُونِ بَيْعَلٍ﴾: بدليل على الحرمة ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ﴾ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ﴿فكيف يحرمون الذكر تارةً والأنثى تارةً، والولد تارةً، ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾: حاضرين، ﴿إِذْ وَصَّيْتُكُمْ اللَّهُ بِهِذَا﴾: التحريم أي: لا دليل لكم عقليا ولا حسيا^(٢)، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ بلا دليل ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ﴾: إلى تلك الغاية مما كانوا يستحلونه ﴿مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَبْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾: سائلا لا كالكبد أو الطحال، وما يتلخخ باللحم ﴿أَوْ لَحْمِ خَيْزُرٍ فَإِنَّهُ﴾ الخنزير ﴿رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا﴾: فُسْرٌ مَرَّةً، ﴿أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾: صفة موصحة، ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ﴾: إلى أكل شيء منها ﴿غَيْرِ بَاطِلٍ﴾: على مضطر مثله، ﴿وَلَا عَادٍ﴾: يتجاوز قدر الضرورة، ومربى بيانه ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: به لا يؤاخذه، والآية لا تنافي تحريم غيرها بعد ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾: ما ليس مشقوق القدم، كالإبل والنعامة والبط، وأظفار الإبل مناسم أخفافها، وأظفار السباع: برائنها، ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْفَنَرِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا﴾: جميعا، ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾: شحم علق على الظهر ﴿أَوْ﴾: حملته، ﴿الْحَوَائِيَّ﴾ جمع حاوية، أو حاوية^(٣)، أي: الأمعاء ﴿أَوْ مَا﴾: أي: شحم، ﴿أَخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾: هو الآلية، ﴿ذَلِكَ﴾: التحريم

(١) الجدي.

(٢) كذا، ولو قال: عقلا ولا حسا، لكان أحسن.

(٣) أو: حاوية، كسفيئة وسفائين.

والتضييق، ﴿حَزَبْتَهُمْ بِعَيْبِهِمْ﴾: ظلمهم، وفي النساء بين حكمه ﴿وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾: فيه كما قالوا: حرما إسرائيل بلا ذنبٍ منا ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾: فيمهلكم، ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ﴾: عذابه، ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾: حين نزوله فلا تفتروا، ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾: إظهارا لأنهم على الحق لا اعتذارا ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ خلاف ذلك ﴿مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاءُنَا وَلَا حَرَمًا مِنْ شَيْءٍ﴾: فإن ما شاء فهو مرضي له بزعمهم، فلم يفرقوا بين المشيئة وبين الأمور المرضي كالمعتزلة، والحاصل أن لهم مقدمتين: أن الشرك بمشيئة الله، فدعوة النبي مندفة وإنما ذمهم على الثانية بقوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ التكذيب بهذه الشبهة، ﴿كَذَّبَ﴾: الرسل، ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: ولو كان ذمًا على الأولى لقال: كذب بالتخفيف، فينهض دليلا للمعتزلة، وأيضا لو قالوا اعتذارا لكان الرد سندا لهم، ﴿حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾: فعلموا أنهم على دين غير مرضي لنا، ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ﴾: دليل على زعمكم، ﴿فَتُخْرِجُوهُ﴾: تظهروه، ﴿لِنَأْنِ﴾: ما ﴿تَنبَعُوتَ إِلَّا الظَّنَّ﴾: فيه لا العلم، ﴿وَإِنْ﴾: ما، ﴿أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾: تكذبون على الله ﴿قُلْ﴾: إن ظهر أن لا حجة لكم ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ﴾: غاية المتانة^(١) والوضوح ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: لكن شاء إضلال بعض لحكم، ﴿قُلْ هَلُمَّ﴾: أحضروا، ﴿شُهَدَاءَ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾: وهم قدوتكم لتلزمهم، ﴿فَإِنْ شَهِدُوا﴾: عنادا، ﴿فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾: أي: لا تسلم، أقيم اللازم مقام الملزوم ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: أي: أهل الكتاب، ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾: المشركون، ﴿وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾: يجعلون له عديلا ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ﴾: أقرأ، ﴿مَا حَرَّمَ رَبِّي كُفْرُكُمْ﴾: متعلق^(٢): ﴿أَتْلُ﴾، ﴿أَنْ﴾: أي: ﴿لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ﴾: أحسنوا، ﴿إِحْسَنًا﴾: بمعنى لا تؤذوهما، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ خشية ﴿وَمَنْ﴾: أجل، ﴿إِلا مَلَقَ﴾: فقر أنتم فيه ﴿تَحْنُ نَزْفُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾: خاطب هنا الفقراء، وكذا لم يقل: خشية، وقدم:

(١) في (ن): المصابة.

(٢) يعني الجار والمجرور، وقيل: «عليكم» اسم فعل أمرٍ بمعنى: الزموا كقوله: «كتب الله عليكم»، وفي الحديث: «فعلبك خاصة نفسك».

نرزقكم، وفي الإسراء الأغنياء، فقيدته بها وعكس ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾: كباثر الذنوب ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾: علانيتها، ﴿وَمَا بَطَّنَ﴾: سرها ﴿وَلَا تَقْسُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾: قتلها بوجهه، ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: الشرعي ﴿ذَلِكُمْ﴾: المذكور ﴿وَصَنَّكُمْ بِهِ﴾: بحفظه، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: ترشدون، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي﴾: بالطريقة^(١) التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾: وهي ما فيه صلاحه، وتخصيصه مع أن مال البالغ كذلك؛ لأن طمع الطامعين فيه أكثر لضعفهم ولعظم إثمهم ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾: جمع شدة كأنعم جمع نعمة، وقيل: لا واحد له بمعنى بلوغه، أي: ثم سلّموه إليه ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل بمعنى لا تبخسوا، ﴿لَا تُكَلِّفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾: أي: ما يسعها، وفوقه معفو عنه، ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾: تكلمتم في شيء، ﴿فَاعْدِلُوا﴾: في القول بمعنى: لا تتركوه، أفهم أنه في الفعل أولى، ﴿وَلَوْ كَانَ﴾: المقول له أو عليه ﴿ذَاقِرَيْنِ﴾ من قرابتكم ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾: أي: لا تنكثوا، ﴿ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: خصّها بالذكر؛ لأنها خفية تحتاج إلى اجتهاد وتذكر بخلاف الخمسة الأول، فإنها يكفي فيها العقل لظهورها ﴿وَأَنَّ﴾: بالكسر استئناف وبالفتح^(٢) علة لقوله: فاتبعوه، ﴿هَذَا﴾ ما في الآيتين ﴿صِرَاطِي﴾: ديني، ﴿مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ التي غيره ﴿فَنَفَرَقَ بِكُمْ﴾: فتزيلكم، ﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾: المستقيم، ﴿ذَلِكُمْ﴾: الاتباع، ﴿وَصَنَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: الضلال، ﴿ثُمَّ﴾: للتراخي في الأخبار عطف على وَصَّكُمْ ﴿ءَايَاتِنَا مُوسَىٰ أَلَكُنْتَبَ تَمَامًا﴾: للنعمة، ﴿عَلَىٰ الَّذِي أَحْسَنَ﴾: القيام به ﴿وَنَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾: محتاج إليه، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَالَمِهِ﴾: بني إسرائيل ﴿بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾: بالبعث، ﴿يَوْمَتُونَ﴾: وهذا: القرآن، ﴿كُنْتَبَ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكًا﴾: كثير النفع،

(١) في (ن): بالطريق.

(٢) قرأ حمزة والكسائي والأعمش وخلف «وإن» بكسر الهمزة - وتشديد النون.

* السبعة (٢٧٣)، غيث النفع (٢٢٠)، البحر المحيط (٤/٢٥٣).

* وقرأ ابن عامر، وعبد الله بن إسحاق البصري، ويعقوب: «وأن» بفتح الهمزة وسكون النون.

* السبعة (٢٧٣)، غيث النفع (٢٢٠).

﴿فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا﴾: مخالفته، ﴿لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾: باتباعه وأنزلناه كراهة ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ﴾: اليهود والنصارى، ﴿مَنْ قَبَلْنَا وَإِنْ﴾ إنه ﴿كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ﴾: قراءتهم، ﴿لَعَفْلِينَ﴾: ما فهمنا؛ لأنه ليس بلغتنا ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ﴾: إن صدقتم فيه ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ﴾: [حجة واضحة] ^(١) تبين الحلال والحرام، ﴿مَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْ رَحْمَتِنَا﴾: لمن عمل بها، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بَيِّنَاتٍ مِنَ اللَّهِ﴾: بعد معرفته صحتها، ﴿وَصَدَفَ﴾: صدَّ أو أعرض ﴿عَنْهَا سَنَجَرِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾: بصددهم أو إعراضهم، ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾: ما ينتظرون، ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾: لقبض أرواحهم، ﴿أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ﴾: يوم القيامة للفصل إتيانا يليق بجلاله، أو أمره ^(٢) بالعذاب، ﴿أَوْ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾: أشرط الساعة ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾: كطلوع الشمس من مغربها والاحتضار، ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا﴾: ولا كسبها خيرا فيه ﴿لَمْ تَكُنْ﴾: صفة نفسا ﴿ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ﴾: لم تكن، ﴿كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا﴾: السابق، ﴿خَيْرًا﴾: فهو من اللّف التقديري، يعني يومئذ لا يفيد إيمان الكافر وتوبة الفاسق، وهذا أولى من تفسيرها بما يشعر بدخول العمل ^(٣) في الإيمان لحديث: «من قال لا إله إلا الله» إلى آخره، ولنزولها فيمن كذب بآيات الله وصدف عنها ^(٤)، ﴿قُلْ أَنْظِرُوا﴾: إحدى الثلاث، ﴿إِنَّا مُنظِرُونَ﴾: لها، ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ﴾: آمنوا ببعض وكفروا ببعض، كأهل الكتاب وملحدي هذه الأمة، ﴿وَكَانُوا شِيَعًا﴾: فرقا تتبع كل فرقة إماما، ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ﴾: من السؤال عنهم وعن تفرقهم ﴿فِي شَيْءٍ﴾: أو أنت بريء منهم، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ يُخَيَّرُكُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾: بالجزاء ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾: وهذا أقل الموعود، ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾:

(١) من البيضاوي.

(٢) لا والله فإن هذا من التأويل الممجوج والرأي الفاسد، فكن منه على حذر، ومذهب السلف إثبات الإتيان وتفويض معناه إلى الله .هـ.

(٣) المذهب الصحيح أن الإيمان قول وعمل .هـ.

(٤) الوسيط (٢/ ٣٤١).

لا تضاعف، ﴿وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾: بنقص ثواب وزيادة عقاب، ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي﴾: بالوحي، ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: أعني، ﴿دِينًا قِيمًا﴾: ثابتا قائما، ﴿مَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾: حال كونه، ﴿حَنِيفًا﴾: مائلا عن الباطل ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: كما زعموا، ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾: ذبائحي والضحج^(١) والعمرة، إذ ذبائحهم كانت باسم أصنامهم، أو عبادتي، ﴿وَمَحْيَايَ﴾: حياتي، ﴿وَمَمَاتِي﴾: موتي أي: ما فيهما من كل أعمال خالصة، ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لا شريك له، ﴿وَبِذَلِكَ﴾: الطريق ﴿أُمرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾: كما مر، ﴿قُلْ أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾: أطلب ﴿رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ إثمًا ﴿إِلَّا عَلَيْهَا﴾: إثمها، ﴿وَلَا تَزِرُ﴾: نفس، ﴿وَأَزْرَهُ﴾: آثمة ﴿وَزَرَ﴾ إثم ﴿أُخْرَى﴾: أي: التحمل الاختياري، جواب لقولهم: ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾^(٢) الآية، فإذا كان الوزر مضافا إليها مباشرة أو تسببا فعليها، كما قال: ﴿وَلِيَحْمِلُوا أَثْقَالَهُمْ﴾^(٣) - إلخ، ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ﴾، وكذا ما ورد من حمل سيئات المظلوم والغريم ونحوه على الظالم والمديون ونحوه، ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ﴾: يوم القيامة، ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيه تَخْتَلِفُونَ﴾: بمجازاة كل بعمله، ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خَلْقَكُمْ﴾: خلفاء الأمم، أو خلفاء الله في ﴿الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾: في الغنى والشرف ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾: ليختبركم، ﴿فِي مَاءٍ أَنْتُمْ﴾: من المال والجاه والفقير، أيكم يشكر وأيكم يصبر، ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾: للعصاة، لأن ما هو آتٍ قريب، ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: وصف ذاته بالمغفرة الكثيرة المؤكدة، ووصف عقابه بلا إضافة إلى نفسه تنبيها على أنه غفور بالذات معاقب بالعرض مبالغ في الأول مسامح في الثاني.



(١) في (ن): في الضحج.

(٢) سورة العنكبوت.

(٣) سورة العنكبوت.

«سورة الأعراف»: مكية^(١)، إلهيات:

﴿ وَسَأَلَهُمْ ﴾ إلى: ﴿ وَإِذْ نَقْنَا ﴾، وقيل: إلى: ﴿ وَأَعْرَضَ عَنِ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ .
 ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْمَصَّ ﴾: بين مرة، هذا: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ فَلَا يَكُنْ ﴾: بعد إنزاله
 ﴿ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ ﴾: ضيقٌ ﴿ مِنْهُ ﴾: أي: لا تضيق من تبليغه مخافة التكذيب، ﴿ لِنُنذِرَ
 بِهِ ﴾: الكافرين، ﴿ وَذَكَرَى ﴾: موعظة، ﴿ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِنَ رَّبِّكُمْ ﴾: على
 لسان نبيكم كتابًا وسنة، ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾: فيضلوكم، ﴿ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾:
 تتعظون اتعاضًا قليلًا ﴿ وَكَمْ ﴾: كثيرًا، ﴿ مِنْ قَرِيْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ﴾: أردنا إهلاكها^(٢)، ﴿ فَجَاءَهَا
 بِأَسْنًا ﴾: عذابنا، ﴿ بَيِّنَاتًا ﴾: بائتين كقوم لوط، ﴿ أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾: في القيلولة استراحة
 نصف النهار ولو بلا نوم كقوم شعيب وهما^(٣) وقتا الاستراحة فعذابهما أقطع، ﴿ فَمَا
 كَانَ دَعْوَاهُمْ ﴾: دعاؤهم ﴿ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنًا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾: أي: إلا الإقرار بحقيقة
 العذاب، ﴿ فَلَنَسْتَكْفُرَ الَّذِيكَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ ﴾: عن إجابتهم الرسل، ﴿ وَلَنَسْتَلَكَّ الْوَارِثِينَ ﴾:
 عن تبليغهم، وقوله: ﴿ وَلَا يُسْتَلُ عَنْ دُنُوْبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾^(٤)، ليس للاستعلام أو هو
 في موقف آخر، ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَنْهُمْ ﴾: على الرسل والأمم أعمالهم كلها، ﴿ بِعِلْمٍ ﴾: عالمين
 بكلها، ﴿ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴾: عنهم فيخفى علينا، ﴿ وَأَلْوَزْنَا ﴾: للأعمال، ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾: يوم
 السؤال، ﴿ الْحَقُّ ﴾: العدل، فيوزن صحائفها بميزان له لسان وكفتان، إظهارًا للمعدلة
 وقطعًا للمعذرة على كيفية يعلمها الله، وقيل: تجسم الأعمال بصور حسنة أو قبيحة،
 ﴿ فَمَنْ نُقِلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾: بالحسنات، جمع مؤزونٍ أو ميزان، وجمعه لتعداد أجزائه،

(١) في هامش نسخة (د): سورة الأعراف مكية مائتان وست آيات وعند البصريين خمس إلا خمس آيات:

﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ ﴾ إلى آخرهن ثم سورة الجن، كلماتها (٣٣٢٥) حروفها (١٤٣١٠).

* عدد سور القرآن - لابن عبد الكافي (٢٣٤، ٢٣٥).

(٢) الصحيح في تفسيرها: أهلكنها أهلها، فحذف المضاف. * الوسيط (٢/٣٤٨).

(٣) البيات والقيلولة.

(٤) سورة القصص.

كتوب أخلاق؛ لقيامه مقام الموازين، ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: في الحديث: «السيئة خفيفة وإن كثرت والحسنة الصالحة^(١) ثقيلة وإن قلت»، ﴿وَمَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾: بالسيئة، ﴿فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾: بتضييع الفطرة السليمة، ﴿بِمَا كَانُوا يَٰعَايِنَتَا يَظْلِمُونَ﴾: بإنكارها، ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ﴾: من التصرف، ﴿فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ﴾: أسباباً تعيشون بها، ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾: أي: أباكم آدم، ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾: بتصويره أو على ظاهره وهذا ما صحَّحه الحاكم، وثم لتأخير الأخبار، ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّٰجِدِينَ﴾: فسر مرة ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ﴾: عن، ﴿الَّا﴾: صلة فهو كما في «ص» ﴿تَسْجُدْ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ خَلْقِنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾: أي: منعني أشرفية عنصري، عمي عن تشریف خلقه بيده، ونفخ روحه فيه، وسن^(٢) القول بالحسن والقيح العقليين، ﴿قَالَ﴾: الله بلسان الملك ﴿فَأَهْبِطْ مِنْهَا﴾: الجنة أو السماء ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾: نبه بالقيد على أن المتكبر بعيد من مكان المقربين فلا مفهوم له ﴿فَأَخْرَجْنَاكَ مِنَ الصُّغْرَيْنِ﴾: الدليلين، ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي﴾: أمهلني من الموت ﴿إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾: الخلق أو الصَّاغرون ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ﴾: جملة ﴿الْمُنظَرِينَ﴾: كالملائكة إلى النفخة الأولى، قيل: ليس إجابة؛ لأنها كرامة، بل بيان لسابق التقدير، وقيل: يجوز استصلاحاً وعموماً لتفضل الدنيا، ﴿قَالَ فِيمَا آغْوَيْتَنِي﴾: أقسم ياغوائك: أي: إضلالك أو تخييبك إياي، فهو قسم بفعل الله، ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾: كما تقعد القطاع^(٣) للسَّابِلَة^(٤)، ﴿صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: أي: على طريق الإسلام، ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾: أراد كمال اجتهاده في إغوائهم، وترك الفوق؛ لأنه منزل الرحمة، والتَّحْت؛ لأن الإتيان منه يُوحش^(٥)، ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾: لك بالطاعة،

(١) في نسخة (د): الخالصة.

(٢) يعني إبليس - لعنه الله - قلت: وقد أخطأ الملعون جهلاً وكفراً، فالطين خير من النار من أكثر من ألفي وجه.

(٣) قطاع الطريق - حفظنا الله.

(٤) المسافرين السالكين السبل - أي الطرق.

(٥) أو لأنَّ الفوق محلَّ إجابة الدعاء، والتحت: محلَّ السجود.

قاله ظناً ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾^(١) ﴿قَالَ﴾: الله، ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْمُومًا﴾: الذمُّ أشد العيب ﴿مَذْمُورًا﴾: مطروداً، والله ﴿لَمَنْ يَتَعَبَكْ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: وغلب المخاطب ﴿وَ﴾ قلنا: ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾: فُسِّر مرة، وترك رَعْدًا اكتفاء بما مضى ﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾: وسوسته وحديثه يلقيه في القلب وأصلها^(٢): الصوت الخفي والحمهمة والحشحشة ﴿لِيُبْدِيَ﴾: ليظهر، اللام للعاقبة، ﴿لَهُمَا مَا وُورِيَ﴾ ستر، ﴿عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَ تَيْهَمَا﴾: كان عليهما نور يسترهما فانقشع بالأكل، دل على أن كشف العورة عند الزوج^(٣) مذموم، ﴿وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ﴾: أكل، ﴿هَذِهِ الشَّجَرَةَ إِلَّا﴾: كراهة، ﴿أَنْ تَكُونَا مَلَائِكِينَ﴾: في القوة والاستغناء من نحو الأكل، ولا يدل على تفضيل المَلَك^(٤)؛ لأن عدم انقلاب الحقائق كان معلوماً، ورغباً في أن يحصل لهما ما للمَلَك من الكمال الفطرية ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾: في الجنة، ﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾: أقسم لهما ﴿إِنِّي لَكُمَا لَئِنِ التَّصَحَّيْتُمْ﴾: والقسم تأكيد الخبر بما سبيله أن يُعْظَم أي: حق الخبر كحق المحلوف به، ﴿فَدَلَّهُمَا﴾: فنزلهما عن منزلتهما أو جرَّأهما على الأكل، ﴿بِغُرُورٍ﴾: منه، ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ﴾: أي: ثمرتها، ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَ تَيْهَمَا﴾: بتهافت لباسهما ﴿وَطَفِقَا﴾: أخذَا ﴿يَخْتَصِمَانِ﴾: يلزقان، ﴿عَلَيْهِمَا﴾: على عوراتهما ورقة فوق ورقة، ﴿مِنْ وَرَقٍ﴾: شجر، ﴿الْجَنَّةِ وَنَادَيْتُهُمَا رَبُّهُمَا﴾: قائلاً، ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ﴾: دلَّ على أن مُطلق النهي للتحريم ﴿وَأَقْبَلَ لَكُمَا إِنْ الشَّيْطَانُ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾: حيث قال: ﴿إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ﴾^(٥).. إلى آخره، ﴿فَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾: هي التي تلقى آدم من ربه على الأصح^(٦)، ﴿قَالَ﴾:

(١) سورة سبأ.

(٢) أي: الوسوسة.

(٣) يعني لغير حاجة.

(٤) بل عموم الملائكة أفضل؛ لأنهم لا يعصون الله ما أمرهم وأما التخصيص ففيه تفصيل، والأولى ترك هذه المسائل المبتدعة المخترعة التي أولع بها أهل الكلام والرأي. اهـ.

(٥) سورة طه.

(٦) الوسيط (٢/٣٥٧) وهناك روايات أخرى غير صحيحة. اهـ.

الله، ﴿أَهْطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾: أي: متعادين كما مرَّ، ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾: موضع قرار، ﴿وَمَتَّعٌ﴾: تمتَّع ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾: أجل معلوم، كما مرَّ ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾: للجزاء، ﴿يَبْنِيٰ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا﴾: بأسباب من السماء كالمطر، ﴿عَلَيْكُمْ لِيَأْسَؤُورِي﴾: يستر، ﴿سَوَاءٌ لَكُمْ﴾: فأغناكم عن خصف الورق، ﴿وَرِيثًا﴾: لباساً يتجملون به، وأصله الجمال والمال من «تَرَيْش»: تمول، ﴿وَلِيَأْسُ النَّقْوَىٰ﴾: العمل الصالح الذي يقيكم العذاب^(١)، ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾: فإنه يستر عن فضائح الآخرة، ﴿ذَٰلِكَ﴾: الإنزال، ﴿مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾: دلائل رحمته، ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾: يتعظون، ﴿يَبْنِيٰ آدَمَ لَا يَفْنَدَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ﴾: بالإضلال ﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾: بفتنته ﴿بِزَعِ عَنْهُمَا لِيَأْسَؤُهُمَا﴾: إذ هو بسببه، ﴿لِيُرِيَهُمَا سَوَاءَ تِيمَا﴾: فإن كلا منهما ما رأى عورة صاحبه^(٢) قط، ﴿إِنَّهُ يُرِيدُكُمْ هُوًّا وَقَبِيلُهُ﴾: جنوده ﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾: فاحذروا من عدو يراكم ولا ترونه، وهذا لا ينافي إمكان تمثيلهم لنا على أنه تواتر وصحَّ في الأخبار^(٣)، ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ﴾: أَحْبَاءَ ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: لتناسبهم، ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً﴾: ككشفهم عوراتهم في الطواف، ﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾: إذ زعموا أنهم على دين إسماعيل ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾: كما تقولون ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: من أنه أمره به، ﴿قُلْ أَمَرَ﴾: ني، ﴿رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل، ﴿وَأَن﴾: بأن، ﴿أَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ﴾: نحو القبلة، ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾: وقت سجوده أو موضعه، ولا تؤخروا الصلاة إلى مسجدكم كاليهود، كذا فسره ابن عباس^(٤) ﴿وَأَدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾: الطاعة، ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾: بالاختراع أوَّلاً ﴿تَعُودُونَ﴾: بإعادته فتجزون، فالتشبيه في مجرد الخلق بلا كيفية ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾: إلى الإيمان، ﴿وَفَرِيقًا﴾: نصب بنحو خذل الذي^(٥) يفسره ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾: أي: خذلهم ﴿إِنَّهُمْ أَخَذُوا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ

(١) في (ن): العقاب.

(٢) لا دليل على هذا الكلام.

(٣) كحديث أبي هريرة في الصدقة، وغير ذلك.

(٤) تفسير الطبري (١٢/٣٨٢/١٤٤٨٥)، معالم التنزيل - للبغوي (٢/١٥٦).

(٥) في (ن): الهدى.

اللَّهِ ﴿: فَيَتَعَوَّنَهُمْ ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿يَبْنِي ءَادَمَ خُدُوًا زَيْنَتَكُمْ ﴿: ثِيَابًا تَسْتُرُ عَوْرَاتِكُمْ ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴿: كصلاة وطواف ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴿: بالتعدي إلى الحرام أو الإفراط، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كُلُّ مَا شِئْتَ وَالْبَسَ مَا شِئْتَ مَا أَخْطَأْتَكَ خَصْلَتَانِ: سَرْفٌ أَوْ مَخِيلَةٌ»^(١). أو بتحريم الحلال، إذ كانوا يطوفون عُرَاءً وَلَا يَأْكُلُونَ دَسْمًا فِي حَجَّتِهِمْ^(٢)، ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ ﴿: من النبات والحيوان والمعادن ﴿لِعِبَادِهِمْ وَالطَّيِّبَاتِ ﴿: المستلذات، ﴿مِنَ الرِّزْقِ ﴿: حيث حرّمتم زينتته في الطواف ورزقه في الحج ﴿قُلْ هِيَ ﴿: الطيبات مخلوقة، ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿: أصالة وللكفار تبعًا، ﴿خَالِصَةً ﴿: فهي حال والعامل اللّام، للمؤمنين ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿: أو من له التنغيصات كما في الدنيا، ﴿كَذَلِكَ ﴿: التفصيل، ﴿نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ ﴿: ما تزايد قبحه كالكبائر، ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴿: جهرها ﴿وَمَا بَطَّنَ ﴿: سرّها ﴿وَالْإِثْمَ ﴿: كله تعميمٌ بعد تخصيص، ﴿وَالْبَغْيَ ﴿: الظلم ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴿: تأكيد للبغي، أو البغي: الكبر، ﴿وَأَن تَشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ ءِيَاتٍ ﴿: بإشراكه ﴿سُلْطَنًا ﴿: برهانًا ﴿وَأَن تَقُولُوا ﴿: تفتروا ﴿عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ ﴿: مكذبة للرّسل كأهل مكة، ﴿أَجَلٌ ﴿: لنزول عذابهم ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿: استئناف؛ لأن «إذا» الشرطية لا يترتب عليها إلا مستقبل ﴿يَبْنِي ءَادَمَ إِمَامًا يَتَّبِعُكُمْ ﴿: بين مرّة ﴿رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتٍ فَمَنْ أَتَقَى ﴿: الشرك، ﴿وَأَصْلَحَ ﴿: العمل، ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴿: عند الفرع الأكبر ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿: على ما فات من دنياهم، ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴿: منكم ﴿وَأَسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿: بقوله عليه ما لا يعلمه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ءُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكُذِّبِ ﴿: مما كتب لهم من العمر والرزق والعمل، ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا ﴿: ملك الموت وأعوانه ﴿يَتَوَقَّوْنَهُمْ ﴿: أي: أرواحهم، ﴿قَالُوا ﴿: توبيخًا، ﴿أَيْنَ مَا ﴿: أي: الآلهة التي ﴿كُنْتُمْ تَدْعُونَ ﴿: تعبدونها ﴿مِن دُونِ اللَّهِ

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٨/ ٤٠٥)، وعبد بن حميد في تفسيره (٣/ ٤٤٣) الدر المشهور، والنسائي

(١/ ٢٩٢/ ٢٥٦٠)، وابن ماجه (٢/ ١١٩٢/ ٣٦٠٥)، وأحمد (٢/ ١٨١)، والحاكم (٤/ ١٣٥).

(٢) الوسيط (٢/ ٣٦٣).

قَالُوا صَلُّوا: ﴿عَابُوا﴾: ﴿عَنَا﴾: فلا نتفح بهم، ﴿وَشَهِدُوا عَلَيَّ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾: وقولهم: ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، بعد الحشر، ﴿قَالَ﴾: الله لهم يوم^(١) القيامة، ﴿أَدْخُلُوا﴾: كائنين، ﴿فِي﴾: زمرة، ﴿أَمْرٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ﴾: كُفَّار، ﴿الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ﴾: متعلق ادخلوا، ﴿كَلِمًا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾: في النار ﴿لَعَنَتْ أَخْهَا﴾: في الدين التي ضلت بالافتداء بها، ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدَارَكُوا﴾: تلاحقوا واجتمعوا ﴿فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أَخْرَجْتُهُمْ﴾: دخولا، هي تأنيث آخر بكسر الخاء ﴿لَأُولَئِهِمْ﴾: لأجلها مخاطبا مع الله، ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا﴾: سنوا لنا الضلال فافتدينا بهم، ﴿فَعَاتِهِمْ عَذَابًا ضَعْفًا﴾: مضاعفا، ﴿مِنَ النَّارِ قَالَ﴾: الله، ﴿لِكُلِّ﴾: منكما عذابٌ ﴿ضَعْفٌ﴾: إلى غير النهاية، أو للقيادة ضعف التابع للكفر والإضلال وعكسه للكفر والتقليد أو لكل ضعف ما يرى للآخر، فإن من العذاب ظاهرا وباطنا، وهما يدركان الظاهر فقط، ويؤيده، ﴿وَلَنْ كُنَّا لَأَنْفَلَمُونَ﴾: ذلك، ﴿وَقَالَتْ أُولَئِهِمْ لِأَخْرَجْتُهُمْ﴾ اللام للتبليغ نحو قلت لك^(٢) ﴿فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾: رتبوه على قول الله تعالى، أي: فنحن متساوون في العذاب والضلال ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾: تنمة مقالتهم، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ﴾: لأرواحهم أو لأدعيتهم وأعمالهم، ﴿أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾: بل يهوى بها إلى السجين^(٣) ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ﴾: ثقب ﴿الْحَيَاطِ﴾: الإبرة، رتب دخولهم على محال^(٤)، ﴿وَكَذَلِكَ﴾: الجزاء، ﴿نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾: فراش ﴿وَمِنْ فَوْقِهِمْ عَوَاشٍ﴾: لحاف جمع غاشية، ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾: ذكر الجرم في حرمان الجنة، والظلم في دخول النار تنبيها على أنه أعظم الإجرام، ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾: معترضة^(٥) أفهم أنه يمكن الوصول إلى تلك

(١) في (ن)، و(د): في القيامة.

(٢) أي: مبلغا أو: أبلغتك.

(٣) سياقي تفسيره في المطففين.

(٤) يعني: لن يدخلوها أبدا.

(٥) يعني جملة اعتراضية، وهي: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

المرتبة بسهولة، ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿وَنَزَعْنَا﴾: أخرجنا ﴿مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ﴾: حقدٍ وحسدٍ كان بينهم في الدنيا ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا﴾ لما رأوا كرامتنا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا﴾: وفقنا ﴿لِهَذَا﴾: لتحصيله، ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَن هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ ولنا هذه النعمة بإرشادهم، ﴿وَنُودُوا﴾: بعد دخول الجنة ﴿أَن تَلْكُمُ الْجَنَّةَ أُورِثْتُمُوهَا﴾: من أهل النار ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: أو حصلت لكم بلا تعب^(١) كالميراث، ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾: شماتة^(٢) بهم ﴿أَن قَدْ جَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبَّنَا﴾: بلسان رسله، ﴿حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾: من العذاب ﴿حَقًّا قَالُوا نَعَمْ قَادَن﴾: نادى ﴿مُؤَذِّنٌ﴾: مُنَادٍ ﴿بَيْنَهُمْ أَن لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ ﴿يَمْنَعُونَ النَّاسَ﴾: عن سبيل اللَّهِ ﴿: دِينَهُ، ﴿وَيَتَّبِعُونَهَا﴾: يطلبون لدينه، ﴿عِوَجًا﴾: ميلاً، بنسبتها إليه لئلا يتبعها^(٣) أحد أو بإلقاء الشبه^(٤) فيه، أو مصدر أي: يطلبونها طلب العوج، أو يريدون غيرها ديناً ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾ وَبَيْنَهُمَا﴾: بين الجنة والنار، ﴿حِجَابٌ﴾: يمنع وصول أثر إحداهما إلى الأخرى ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ﴾: أعرافُ الحجاب أي: أعاليه، ونؤمن^(٥) به وإن كانت الجنة في الكرسي، والنار في أسفل السافلين، ﴿رِجَالٌ﴾: استوت حسناتهم وسيئاتهم، ﴿يَعْرِفُونَ كَلًّا﴾: من أهل الجنة والنار ﴿بِسِيمَتِهِمْ﴾: بعلامتهم، كيباض الوجه وسواده، ﴿وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلِّمُوا عَلَيْنَا لَنَدْخُلُنَّاهُمْ وَهُمْ يَظْمَعُونَ﴾: في دخولها، وعن حذيفة: أنهم في الآخرة يدخلونها ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا﴾: نعوذ بالله^(٦) ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾: فيها، ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا﴾: من رؤساء الكفرة ﴿يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ قَالُوا﴾:

(١) يعني: بفضل الله ورحمته.

(٢) تبع الكازروني البيضاوي - رحمهما الله تعالى - في ذلك، وهذا لا يُقال عن أهل الجنة، بل يقولونه تحديقاً بنعمة الله وفضله عليهم، أمَّا الشَّماتةُ ونحو ذلك فقد صرفها الله عنهم، بل إنه تعالى نزح الغل من قلوبهم وصدورهم.

(٣) وهذا كحال الملاحة وأعاونهم في زماننا.

(٤) في (ن): الشبهة.

(٥) في (ن): يؤمن.

(٦) في (ن): تعوذوا بالله، وفي (س): تعوذًا بالله.

لهم ﴿مَا أَغْنَىٰ﴾: دفع ﴿عَنْكُمْ﴾: العذاب، ﴿جَمَعَكُمْ﴾: المال، أو كثرتمكم، ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾: عن الحق، ثم يشيرون إلى ضعفاء المؤمنين، ويقولون للكفرة: ﴿أَهْوَلَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾: يقولون للضعفاء: ﴿أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا ﴿صَبَّوْا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾: من الأشربة غير الماء أو الطعام ﴿قَالُوا إِنْ أَلَّفْنَا الْكُفْرَانَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ﴾: الحق، ﴿لَهُوَ وَلِعْبًا﴾: كما مر، أو عادتهم، ﴿وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾: فسوا الآخرة، ﴿فَالْيَوْمَ نَنسَهُمْ﴾: نعالمهم معاملة الناسي، فنخليهم في العذاب، ﴿كَمَا سُئِلَ لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾: بإنكاره، ﴿وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾: «ما» فيهما مصدرية، ﴿وَلَقَدْ جَحَّتْهُمْ يَكْتَبِ﴾: القرآن، ﴿فَصَلَّنَهُ﴾: بينا أحكامه، ﴿عَلَىٰ عَالِي﴾: منا بما فصل فيه حال كونه، ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ هل يظنون: ينتظرون، ﴿لَا تَأْوِيلُ لَهُ﴾ ما يؤول إليه من تبين صدقه ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾: وهو يوم القيامة، ﴿يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ﴾: تركوا الإيمان والعمل به، ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: قبل ذلك اليوم، ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلًا مِنَّا بِالْحَقِّ﴾: وكذبناهم ﴿فَهَلْ لَنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾: اليوم، ﴿أَوْ﴾: هل، ﴿نُرَدُّ﴾: إلى الدنيا ﴿فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرْنَا أَنفُسَهُمْ﴾: بصرف عمرهم في الكفر ﴿وَضَلَّ﴾: بطل ﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: من نفع آلهتهم ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي﴾: مقدار، ﴿سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾: للدنيا إذ لم يكن حينئذ يوم أو ستة أوقات مثل: ﴿وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾^(١)، والمكث للحث على الثاني، ولتشاهد الملائكة شيئاً بعد شيء فيعتبرون، ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾: كما يليق بجلاله بلا كيف، أو بمعنى: استولى^(٢)، والعرش هو الجسم المحيط بسائر الأجسام، وقيل: الملك، ﴿يُعْشَىٰ﴾: يلبس ويغطي، ﴿أَيْتِلُ النَّهَارَ﴾: وحذف عكسه للعلم به، أو لأن اللفظ يحتملها، ﴿يَطْلُبُهُ﴾: يعقبه، ﴿حَيْثُ مَا﴾: سريعا، كالتالي له بلا فصل بينهما، ﴿وَ﴾: خلق ﴿السَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾: بقضائه، ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ﴾: المذكور في خلق

(١) سورة الأنفال.

(٢) هذا كلام المتأولة الذين يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله فاحذر منهم. اهـ.

السموات ﴿وَالْأَمْرُ﴾ بالتسخير المذكور ﴿بَارَكَ﴾: تعالى وتعظم، ﴿اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾
﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾: ذوي تذلل، ﴿وُخْفِيَّةً﴾: والأصح أن الصياح في الدعاء
مكروه^(١)، ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾: المتجاوزين ما أمروا به كطلب ما ليس في
رتبتهم، وكإطنا به^(٢)، يؤيده الحديث، وكالصياح فيه، ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾:
بالمعاصي، ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾: بشرع الأحكام أو بعد خلقها على الوجه الأصلاح،
﴿وَأَدْعُوهُ خَوْفًا﴾: من عقابه ﴿وَطَمَعًا﴾: في ثوابه ﴿إِنْ رَحِمْتَ اللَّهُ﴾: ثوابه، أمر ﴿قَرِيبٌ﴾
مِنَ الْمُحْسِنِينَ: المطيعين، ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا﴾: بالباء، جمع بشير:
المطر وبنون مضمومة^(٣) جمع نُشور بمعنى: ناشر وافتحها^(٤) مصدر بمعنى ناشرات
للسحاب، ﴿بَيْنَ يَدَيْ﴾: قُدَّام، ﴿رَحْمَتِهِ﴾: المطر، فإن الصَّبا^(٥) تثير السحاب،
والشمال تجمععه، والجنوب تدره، والدبور تفرقه^(٦)، ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ﴾: حملت الرياح

(١) بل هو من سوء الأدب مع الله تعالى، قال ابن المبرد في أدب المرتعي (٢٠٣):

ولا يجهر بالدعاء؛ لقول الله - عز وجل - : ﴿وَلَا يَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتَ بِهَا﴾ (الإسراء / ١١٠).

قال البخاري عن عائشة: ﴿وَلَا يَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتَ بِهَا﴾، قالت: أنزل ذلك في الدعاء. رواه البخاري (٥٩٦٨)، ومسلم (٤٤٧).

وقال ابن مفلح في «الأداب الشرعية»: ويكره رفع الصوت بالدعاء مطلقاً.

قال المروزي: سمعت أبا عبد الله يقول: ينبغي أن يسر دعاءه؛ لقوله: ﴿وَلَا يَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتَ بِهَا﴾، قال: هذا في الدعاء.

(٢) تطويله وتفصيله.

(٣) بنون وشين مضمومتين: (نشرا) وهي قراءة نافع وأبي عمرو وابن كثير وأبي جعفر.

* السبعة (٢٨٣)، غيث النفع (٢٢٤)، إتحاف فضلاء البشر (٢٢٦).

وبنون مضمومة وشين ساكنة قراءة ابنا عباس ومسعود، والأعمش وابن عامر.

* إتحاف (٢٢٦)، السبعة (٢٨٣)، غيث النفع (٢٢٤).

(٤) قرأ مسروق: (نشرا) بفتح النون والشين. * الكشاف (٦٦/٢)، والبحر المحيط (٣١٦/٤).

وقرأ حمزة والكسائي وعبد الله والأعمش وخلف (نشرا) بفتح النون وسكون الشين - السبعة (٢٨٣)

وقرأ عاصم وابن عباس والسلمي وابن أبي عبله ﴿بُشْرًا﴾ بضم الباء والشين - الحجة لأبي زرعة

(١٥٧)، البحر المحيط (٣١٦/٤).

(٥) ضُرْبٌ من الرياح، وكذا ما بعده.

(٦) أنوار التنزيل - للبيضاوي (٢٠٩).

﴿سَحَابًا﴾: سحاب، ﴿ثِقَالًا﴾: بالماء ﴿سُقْنَهُ﴾: أي: السحاب التفت؛ تنبيهًا على ما فيه من دلالة كمال قدرته وحكمته، وكذا في نظائره ﴿لِبَلَدٍ﴾: لأجل بلد، ﴿مَيِّتٍ﴾: غير منتفع، ﴿فَأَنْزَلْنَاهُ﴾: أي: فيه، ﴿أَلْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾: بالماء أو بالبلد ﴿مِنْ كُلِّ﴾: أنواع، ﴿الشَّمْرَاتِ كَذَلِكَ﴾: الإخراج والإحياء، ﴿يُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾: من قبورهم، أحياء بمطر كالمني^(١)، ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: أن القادر عليه قادرٌ على ذلك، ﴿وَأَلْبَدُ الطَّيِّبُ﴾: الكريم التربة ﴿يَخْرُجُ بِنَاتِهِ بِإِذْنِ﴾: بمشيئته، ﴿رَبِّهِ﴾: سريعًا حسنًا كثيرًا، وهذا مثل المؤمن في انتفاعه بالوعظ، ﴿وَالَّذِي خَبِثَ﴾: ترابه وهذا مثل الكافر لا ينتفع به، ﴿لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾: قليلًا عديم النفع والكل بإذن الله، فالتفصيل لتعليم الأدب، ﴿كَذَلِكَ نَصْرَفُ﴾: نبين ونكرر، ﴿الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾: نعمه بالتفكر فيها، ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾: أوّل نبيّ بعد إدريس بعثه الله وهو ابن خمسين أو أربعين ﴿إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا﴾: وحرّسوا ﴿اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾: إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ: القيامة، ﴿قَالَ الْمَلَأُ﴾: الأشراف، ﴿مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَبُكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾: بتركك ملة آبائك ﴿قَالَ يَتَقَوَّمُوا لَيْسَ فِي ضَلَالَةٍ﴾: أقل قليل من الضلال فضلًا عن سنّه^(٢)، ﴿وَلَا كُنِّي﴾:

(١) يشير إلى حديث عبد الله بن مسعود - ر - موقوفًا: «ثم يرسل الله ماءً من تحت العرش مني كمني الرجال، فتنبت لحمانهم وأجسامهم من ذلك الماء، كما تنبت الأرض من الثرى» رواه حنبل في كتاب الفتن (١٥٩/ البشائر الإسلامية) وسنده صحيح.

* وفي حديث لقيط بن عامر عن النبي ﷺ: «فأرسل ربك السماء تهضب من عند العرش، فلعمر إلهك ما يدع على الأرض من مصرع قتيل ولا مدفن ميت إلا شقت القبر عنه حتى يخلقه من قبل رأسه». أخرجه أحمد (٤/١٣/١٦٢٥١)، والطبراني (١٩/٢١٢/٤٧٧) وسنده ضعيف.

وفي حديث أبي هريرة: «ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل» رواه البخاري (٤٨١٤)، (٤٦٣٥)، ومسلم (٤/٢٢٧١/١٤١/٢٩٥٥).

وفي رواية: «فيمطر الله في تلك الأربعين مطرًا فينبتون من الأرض، كما ينبت البقل» رواه ابن أبي داود في البعث (٥٩، ٦٠، ٦١/٤٢) وابن مردويه (٥/٣٣٧/الدر المثور).

وفي رواية: «ويرسل الله ماء الحياة، فينبتون منه نبات الخضير» رواه ابن أبي عاصم في السنة (٢/٤٣٢)، (٤٣٣/٨٩١) وسنده جيد.

(٢) كذا في (ح)، و(د)، و(ن)، و(ع)، وفي (س): نفسه.

على الهدى لأني، ﴿رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنْ﴾: جهة ﴿اللَّهِ﴾: بالوحي، ﴿مَا لَا نَعْمُونَ﴾: من صفات لطفه وقهره، ﴿أ﴾: كذبتهم، ﴿وَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ﴾: موعظة ﴿مِن رَّبِّكُمْ عَلَيَّ﴾: لسان، ﴿رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾: عاقبة المعاصي، ﴿وَلِنُنقُوا﴾: المعصية، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾: بالتقوى ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ﴾: من الغرق ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ﴾: هم ثمانون^(١) أو تسعة ﴿وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ عُمِّي قلوبهم عن فهم الآيات، ﴿و﴾: أرسلنا، ﴿إِلَى﴾: قوم، ﴿عَادِ أَخَاهُمْ﴾: نسبا أو واحداً منهم ﴿هُودًا﴾: بيانه ﴿قَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: الله، ﴿قَالَ الْمَلَأُ﴾: الأشراف، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾: نبه على أن بعضهم آمنوا، ﴿إِنَّا لَنَرَنَّكَ﴾: راسخاً ﴿فِي سَفَاهَةٍ﴾: خفة عقل ﴿وإِنَّا لَنَنْظُنُّكَ﴾: نعلمك ﴿مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ﴿قَالَ يَتَقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي﴾: كامل العقل؛ لأني ﴿رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾: على الرسالة، ﴿أ﴾: كذبتهم، ﴿وَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَيَّ﴾: لسان، ﴿رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا﴾ ﴿إِنْعَامًا﴾ ﴿إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾: في الأرض أو مساكنهم، ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً﴾: قامته وقوة ومالا ﴿فَأَذْكُرُوا آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: بذكرها ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا﴾: قصدتنا، ﴿لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ﴾: نترك، ﴿مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾: من الأصنام، ﴿فَأَنبَأْنَا بِمَا نَعِدُنَا﴾: من العذاب المفهوم من، ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، ﴿إِن كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾: فيه، ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ﴾: وجب، ﴿عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ﴾: عذاب، ﴿وَعَصَبٌ أَتُجَدِّدُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ﴾: خالية عن المعاني، ﴿سَمَّيْتُمُوهَا﴾: الآهة، ﴿أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا﴾: بهذه التسمية أو عبادتها، ﴿مِن سُلْطَانٍ﴾: حجة ﴿فَأَنْظِرُوا﴾: العذاب، ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ﴾: الدابر: هو الكائن خلف الشيء^(٢)،

(١) هذا هو المشهور - رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس (٥/١٥٠٦/٨٦٣٥، ٨٦٣٦).

(٢) والدابر: يقال للمتأخر وللتابع، إما باعتبار المكان أو باعتبار الزمان أو باعتبار المرتبة.

* عمدة الحفاظ (٢/٤/دبر).

أي: أستاذنا^(١) ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ و﴿أرسلنا، ﴿إِلَى﴾: قبيلة، ﴿ثَمُودَ أَخَاهُمْ﴾: نَسَبًا ﴿صَلِحًا قَالَ يَفُورَ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ عِذَّةٌ قَدْ جَاءَ نَكْمٌ بَيْنَهُ﴾: معجزة ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾: على صدقي ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ﴾ الإضافة تشريفية، خرجت^(٢) يوم العيد من الصخرة بمحضرهم حين سألوا ذلك ليومنوا، ﴿لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ﴾: أذى ﴿فِي أَخَذَكُمْ عَذَابٌ﴾ يوم، ﴿الْيَوْمِ﴾ و﴿أَذْكُرُوا﴾: نعمه ﴿إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ﴾: في مساكنهم، ﴿وَبَوَّأَكُمْ﴾: أسكنكم ﴿فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ﴾: تبنون، ﴿مِن﴾: في، ﴿سُهُولِهَا قُصُورًا﴾: لسكنى الصيف ﴿وَنَجْحُونَ الْجِبَالَ﴾ أي: منها، ﴿يُوتَا﴾: لسكنى الشتاء، ﴿فَأَذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا﴾: لا تبالغوا في الفساد ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: حال كونكم، ﴿مُفْسِدِينَ﴾: قد مر بيانه، ﴿قَالَ الْمَلَأُ﴾: الأشراف ﴿الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان ﴿مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا﴾: الرعايا ﴿لَمَن آَمَن﴾: بدل البعض من الذين، ﴿مِنْهُمْ﴾ أي: من الذين استضعفوا: ﴿اتَّعَلَمُونَ أَنَّ صَلِحًا مَّرَّسَلٌ مِّن رَّبِّهِ﴾: استفهام استهزاء، ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾: عدلوا عن نعم^(٣)؛ تنبيهًا على أنه^(٤) أظهر من أن يسأل^(٥)، ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ ﴿فَعَقَرُوا﴾ ﴿نَحَرُوا﴾ ﴿النَّاقَةَ﴾: برضا^(٦) الجميع، ﴿وَعَتُوا﴾: استكبروا عن امتثال ﴿أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾: هو^(٧): ﴿فَذَرُوهَا﴾ إلى آخره ﴿وَقَالُوا يَنْصَلِحُ اتِّدْنَا يَمَا تَعِدُنَا﴾: أي: بقولك: ولا تمسوها... إلى آخره، ﴿إِن كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةَ﴾: الزلزلة أولاً ثم الصيحة، لقوله: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ﴾ فتقطعت قلوبهم في صدورهم ﴿فَأَصْبَحُوا فِي

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٥/١٥١١/٨٦٦٢) مقطوعاً.

(٢) يعني الناقة.

(٣) يعني: لم يجيبوا بـ «نعم».

(٤) يعني: إرساله.

(٥) كذا في جميع النسخ، وفي البيضاوي: يَشْكُ فيه عاقل.

(٦) ولذا أسند الفعل إليهم؛ لأنهم رضوا الفعلة من الفاعل.

(٧) يعني أمر ربهم هو فذروها إلخ.

دَارِهِمْ: ﴿أَرْضِهِمْ﴾: ﴿جَنَّتَيْنِ﴾: خامدين ميتين ﴿فَتَوَلَّى﴾: أعرض ﴿عَنْهُمْ وَقَالَ﴾ بعد هلاكهم: ﴿يَنْقُورُ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَةَ﴾: كخطاب نبينا عليه الصلاة والسلام^(١) أهل قليب بدر^(٢)، أو قاله تحسرا ﴿و﴾: أرسلنا، ﴿لَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ﴾: كنى بها عن اللواطه، ﴿مَا سَبَقْتُكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾: إذ هم أول من فعلها، ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ﴾: لتغشون ﴿الرِّجَالَ شَهْوَةً﴾ للشهوة، نبه على أن داعي المباشرة يجب أن يكون طلباً للولد لا الشهوة^{(٣)(٤)}، ﴿مِنْ دُونِ الْبَسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾: وإسرافكم دعاكم إليها ﴿وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ﴾: لوطاً وأتباعه ﴿مِنْ قَرَبَاتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْظَهُرُونَ﴾: من هذه الفعله ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ مَن آمن به ﴿إِلَّا أَمْرَاتَهُ﴾: الكافرة اسمها: واهله ﴿كَانَتْ مِنْ آلِ الْعَرَبِيِّينَ﴾: الباقيين في الديار فأهلكت ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾: من الحجارة، ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾: فاعتبروا، ﴿و﴾: أرسلنا، ﴿إِلَى﴾: آل، ﴿مَدْيَنَ﴾: ابن إبراهيم، ﴿أَخَاهُمْ﴾: نسباً، ﴿شُعَيْبًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ﴾: معجزة ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾: ما عيَّنها^(٥) في القرآن، وما روي من محاربة عصا موسى ^{عليه السلام} الثنين، وولادة الغنم التي دفعها إليه الدرع خاصة، وما اسود رأسه وأبيض باقي بدنه، وكانت الموعودة له من أولادها، فالأولى

(١) في (ن)، و(س)، و(ع): عليه السلام.

(٢) لما قتل صناديد الكفر بـ «بدر» قام النبي ﷺ على شفا الركبة التي دفنوا بها فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: «يا فلان بن فلان! ويا فلان بن فلان، أيسركم أنكم أطعمتم الله ورسوله؟ فيأنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟» فقال عمر: يا رسول الله! ما تكلم من أجساد لا أرواح لها، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده، ما أتمم بأسمع لما أقول منهم».

رواه البخاري (١٥/١٦٧، ١٦٨، ٣٩٧٦/فتح)، ومسلم (٤/٢٢٠٤/٢٨٧٥)، وأحمد (١/٢٣٢).

(٣) بل كلاهما؛ لأن المقصد من النكاح قضاء اللذة في الحلال، وطلب الولد كما في حديث: «وفي بضع أحدكم صدقة».

(٤) في (ن)، و(د): طلب الولد لا الشهوة.

(٥) يعني لم يبينها الله في كتابه.

كونها كرامة لموسى لنبوته لكونها بعد تقرر نبوة شعيب^(١)، ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾: ما يكال به، ﴿وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا﴾: لا تنقصوا، ﴿النَّاسَ أَشْيَاءَ هُمْ﴾: حقوقهم، قيل: كانوا مكاسين في كل شيء ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾: بالمعاصي، ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾: مربيانه ﴿ذَلِكَ﴾: العمل المأمور^(٢)، ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: وأما الكافر فلا خير فيه ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ﴾: في كل ﴿صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾: من أتى شعيباً لاتبعه ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِهِ وَتَبْجُوهَا﴾: تطلبون بها، ﴿عَوجًا﴾: ميلاً، كما مرَّ ﴿وَأذْكُرُوا﴾: نعمه، ﴿إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا﴾: في العدد وغيره، ﴿فَكَثَّرَكُمُ﴾: مالا وأولاداً، ﴿وَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾: فاعتبروا ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِأَلَيْحِي أُرْسِلْتُ بِهِمْ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾: بعذاب الكافرين ونصرتنا ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ قَالَ^(٣) أَلَمَلًا الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ﴾: لتصيرن، أو من باب التغليب، إذ شعيب ما كان على دينهم قط ﴿فِي مِلَّتِنَا قَالَ﴾ شعيب: ﴿أُ﴾ نصبر فيها ﴿وَلَوْ كُنَّا كَاهِنِينَ﴾: لها، ﴿قَدْ أَقْرَبْنَا﴾: الآن، ﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا﴾: هممنا بالعود، ﴿فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ بَخَّسْنَا اللَّهُ مِنهَا وَمَا يَكُونُ﴾: يصح ﴿لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾: ارتدادنا، ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾: في تأييدنا، ﴿رَبُّنَا أَفْتَحَ﴾: افض، ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾: أي: أنزل على كل منا ما يستحقه ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْجِينَ﴾: الحاكمين، ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَسِرُونَ﴾: لفوات مالكم من التطفيف، ﴿فَأَخَذْتُمُ الرَّجْفَةَ﴾: الزلزلة ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِيمِينَ﴾: ميتين بأنواع العذاب، وهي سحابة فيها شرر النار، وصيحة من السماء، ورجفة من الأرض، ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَعْنُوا فِيهَا﴾: في دارهم ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾: لا كما زعموا ﴿فَنَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾: كما مر في قصة صالح،

(١) أنوار التنزيل (٢١٣).

(٢) في (ن)، و(د): المذكور.

(٣) في هامش (ن): الجزء (٩).

﴿ وَقَالَ ﴾: تحسراً، ﴿ يَقَوْمٍ لَقَدْ أَتَيْنُكُمْ رَسُولَنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيِّ ﴾: فكذبه أهلها، ﴿ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْأَسَاءِ ﴾: الجوع ﴿ وَالضَّرَاءِ ﴾: الأمراض ﴿ لَعَلَّهُمْ يَصَّرَعُونَ ﴾: أي: ليتضرعوا ولا يتكبروا^(١)، ﴿ ثُمَّ بَدَلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ ﴾: البلاء والشدة، ﴿ الْحَسَنَةَ ﴾: السَّلامَةَ والسَّعة، ﴿ حَتَّىٰ عَفَوْا ﴾: كثروا مالاً وعدداً ﴿ وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ ﴾: فنحن مثلهم، ﴿ فَأَخَذْنَهُمْ بِغَنَّةٍ ﴾: فجأة ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾: بنزول العذاب، ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ﴾: المرسل إليهم ﴿ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا ﴾: المعاصي ﴿ لَفَنَحْنًا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾: أي: من كل جانب ﴿ وَلَكِنْ كَذَّبُوا ﴾: رسلنا ﴿ فَأَخَذْنَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾: أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ﴿: عذابنا ﴾: وقت بيتوته ﴿ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾: أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى ﴿: في ضحوة النهار ﴾: وهم يلعبون ﴿: لأن اشتغالهم بديناهم حيثئذ، ﴿ أفأمنوا مكر الله ﴾: هو استعارة^(٢) لأخذه العبد من حيث لا يشعر ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾: فطرتهم، ﴿ أُولَئِكَ يَهْدِي ﴾: يتبين، ﴿ لِلَّذِينَ يَرْتُوبُونَ الْأَرْضَ ﴾: ديارهم ممن قبلهم ﴿ مِنْ بَعْدِ ﴾: هلاك، ﴿ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَهُمْ ﴾: بالبلاء، ﴿ يَذُوبُهُمْ ﴾: بسببها كمن قبلهم ﴿ وَ ﴾: نحن، ﴿ نَطْبَعُ ﴾: نختم ﴿ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾: الموعدة قبولا، ﴿ تِلْكَ الْقُرَىٰ ﴾: المذكورة ﴿ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ ﴾: بعض، ﴿ أَنْبِيَآئِهَا ﴾: أخبارها، ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾: المعجزات الواضحات ﴿ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ﴾: عند مجيئهم بها ﴿ بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ ﴾: بل استمروا على كفرهم ﴿ كَذَلِكَ ﴾: الطبع ﴿ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴾: الوارثين والموروثين، ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ ﴾: أكثر الأمم الماضية ﴿ مَن ﴾: وفاء ﴿ عَهْدٍ ﴾: كان بينهم وبين الله أو رسله، ﴿ وَإِنْ ﴾: إنه، ﴿ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴾: خارجين عن طاعتنا، ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾: بعد الرُّسُل ﴿ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا ﴾: معجزاته ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ﴾: أشرف قومه، فإنهم إن أسلموا اتبعهم الرعايا، ﴿ فَظَلَمُوا ﴾: بالآيات لكفرهم

(١) في (ن)، و(د) يستكبروا.

(٢) قوله: استعارة... إلخ هذا كلام الأشاعرة - ونحوهم، فكن منه على حذر. اهـ.

﴿بِهَا﴾ ﴿فَأَنْظِرْ﴾: يَا مُحَمَّدُ ﴿كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿وَقَالَ مُوسَى يَنْفِرُونَ إِلَيَّ رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ﴾: أي: بأن بتشديد الياء^(١)، أي: حقيق بالرسالة على أن، ﴿لَا أَقُولُ عَلَى اللَّهِ﴾: لا أنسب إليه، ﴿إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ﴾: مُعْجِزَةٌ، ﴿مِن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: لنروح إلى الأرض المقدسة؛ فإنَّ فرعون كان استخدمهم بالأعمال الشاقة ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا﴾: أحضرها، ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿فَأَلْفَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ﴾: حية عظيمة، ﴿مُتَبِّئٌ﴾: قيل: كان أشعر^(٢) فاغزأ فاه، بين لحييه ثمانون ذراعًا، فقصد فرعون فازدحم مع قومه، فمات منهم خمسة وعشرون ألفًا^(٣)، ﴿وَنَزَعَ﴾: أخرج، ﴿يَدَهُ﴾: من جيبه بعدما أدخلها فيه ﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ﴾: بحيث غلب شعاعها نور الشمس ﴿لِلنَّظِيرِينَ﴾: أي: لا في جبلتها^(٤)؛ لأنه كان آدم^(٥)، ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾: مُوَافِقِينَ لقوله كما في الشعراء: ﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمُ﴾: يا معشر القبط ﴿مِنَ أَرْضِكُمْ﴾: مصر، ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾: تشيرون في أمره من المؤامرة، ﴿قَالُوا﴾: بعد اتفاهم: ﴿أَرْجِهْ﴾: أخر أمره، أصله: أرجئه، ﴿وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ﴾: مدائن صعيد مصر^(٦)، رجالًا ﴿حَاشِرِينَ﴾: جامعين سحرتها، ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ﴾ ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾: بعد طلبهم، ﴿قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْعَالِينَ﴾: على موسى، ﴿قَالَ نَعَمْ﴾ ﴿إِنْ لَكُمْ أَجْرًا وَإِنَّا لَكُمُ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ ﴿قَالُوا﴾: اعتمادًا على غلبتهم أو أدبًا كأهل

(١) قرأ نافع والحسن: (حقيق عليّ) بفتح الياء المشددة.

* السبعة (٢٨٧) إتحاف فضلاء البشر (٢٢٧)، النشر (٢/٢٧٠).

(٢) في (ن): أشقر.

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٧/١٦٤)، روح المعاني (٩/١٩)، الرازي (١٤/١٥٩)، الوسيط (٢/٣٩٢)، معالم

التنزيل (٢/١٨٥)، البحر المحيط (٤/٣٥٧)، إرشاد العقل السليم (٣/٢٥٨)، تفسير الطبري (١٣/١٥)،

١٦، تفسير ابن كثير (٣/٤٥١) وسنده باطل موضوع؛ لأنه من خرافات الكلبى الوضاع الكذاب.

(٤) طبيعتها.

(٥) أسمر، وهي صفة سيدنا موسى - ﷺ -.

(٦) هذا كلام الخبر ابن عباس - رضيهما - معالم التنزيل (٢/١٨٦).

الصنائع^(١): ﴿يَمْسُو سَيْئِمًا أَن تُلْفَى﴾: عصاك أولاً، ﴿وَمَا أَن تَكُونَ تَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾: آلات سحرنا، ﴿قَالَ﴾: موسى كرمًا أو ازدراء بهم^(٢)، ﴿الْقَوَا فَلَمَّا الْقَوَا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾: أي: خيلوا إلى أعينهم ما لا حقيقة له، ﴿وَأَسْتَرْهَبُوهُمْ﴾: خوَّفوهم، كانوا خمسة عشر ألفاً^(٣) مع كلِّ واحد عصا وحبال فجعلوها حيات، وبيئاً في البقرة أنه من السحر ﴿وَجَاءَهُ وَسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنَّ أَلْقِ عَصَاكَ﴾: فألقاها، ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾: تتلعب، ﴿مَا يَأْكُفُونَ﴾: يزورونه ﴿فَوَقَّعَ﴾: ثبت ﴿الْحَقُّ وَبَطَلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: فَعَلِبُوا﴾: فرعون وقومه، ﴿هُنَالِكَ وَأَنْقَلَبُوا﴾: صاروا، ﴿صَغِيرِينَ﴾: ذليلين مغلوبين، ﴿وَأَلْفَى السَّحْرَةَ سَجِدِينَ﴾: وهذا لا ينافي سجودهم طوعاً، فإن المراد أن معجزة النبي ألجأتهم إلى السجود طوعاً ﴿قَالُوا ءَأَمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾: لا رب القبط بزعمهم، واعلم أنه يجوز نبيان^(٤) في زمان لا إمامان^(٥)؛ لأن قيامهما بالاجتهاد قد يؤدي إلى اختلاف الكلمة في بعض الأمور ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَأْذَنَ﴾: أَرْخِصَ ﴿لَكَوْنًا هَذَا لَمَكْرٌ﴾: حيلة ﴿مَكَرْتُمُوهُ﴾: أنتم وموسى ﴿فِي الْمَدِينَةِ﴾: قبل الخروج منها، ﴿لِنُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا﴾: القبط لتختص مصر بكم، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: عاقبة أمركم وهي إني ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ﴾: مختلفات اليد اليمنى، والرجل اليسرى ﴿ثُمَّ لَأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: قَالُوا إِنَّا﴾: بالموت، ﴿إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾: فلا نخاف وعيدكم، ﴿وَمَا نَنْقِمُ﴾: تنكر ﴿مِنَّا إِلَّا أَنَّا﴾: رَبَّنَا أَفْرِغْ﴾: أفض ﴿عَلَيْنَا صَبْرًا﴾: لنثبت على دينك ﴿وَقَوَّفْنَا مُسْلِمِينَ﴾: وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾: إغراء^(٦) له، ﴿أَنْذَرْتُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾:

(١) أنوار التنزيل (٢١٧).

(٢) ووثوقاً على شأنه - أنوار التنزيل (٢١٧).

(٣) أقول: في هذه الأعداد التي يذكرها المفسرون المتلقاة عن أهل الكتاب مبالغة كبيرة، ولا معمول في ذلك. اهـ.

(٤) بل رسولان كـ «إبراهيم» و«لوط».

(٥) أما إمامان أو رئيسان فلا يجوز قطعاً؛ لحديث: «إذا بويح لخليفتين؛ فاقتلوا الآخر منهما» رواه مسلم

والأحاديث في ذلك كثيرة.

(٦) تحريضاً.

بدعوتهم إلى عبادة غيرك ﴿وَيَذْرَكَ وَاَلِهَتِكَ﴾: هي أصنام صنعها لهم ليعبدوها تقرباً إليه وفي التوراة ما يدل على أنه كان له أمراء على كل قبيلة تُسمى آلهتهم ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿سَنُقْبِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي﴾: نترك أحياءً ﴿نِسَاءَهُمْ﴾: للخدمة كما فعلنا بهم أولاً، ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾: نغلبهم، ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾: بعد تضجُّرهم لمقالة فرعون، ﴿أَسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّا الْأَرْضُ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ﴾:

الحسنى، ﴿الْمُتَّقِينَ﴾ قَالُوا: قومه، ﴿أُوذِينَا﴾: بالقتل والاستحياء، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا﴾: بالرسالة، ﴿وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ﴾ موسى: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: في ملكهم، ﴿فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾: من الإصلاح والإفساد، ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾: بالجُدوب^(١) والقحط، ﴿وَنَقْصٍ﴾: عظيم ﴿مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾: ينتهون، ﴿فَإِذَا جَاءَهُمُ الْحَسَنَةُ﴾: كالسعة، ﴿قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾: لا من فضل الله ﴿وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: بلاء، عرَّف الحسنة مع أداة التحقيق؛ لكثرتها، وإرادتها بالذات بخلاف السيئة، ﴿يَطَّيَّرُوا﴾: يتشاءموا ﴿بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾: إِلَّا إِنَّمَا طَّيَّرْتَهُمْ: شؤمهم ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾: من عنده، والطائر اسم للجمع، أي: ما يجري به الطير من شقاء وسعادة ونفع وضرر ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: ذلك، ﴿وَقَالُوا﴾: لموسى، ﴿مَهْمَا﴾: أي شيء ﴿تَأْتَانَا بِهِ مِنْ آيَةٍ﴾: على زعمك، ﴿لِنَسْحَرَنَّ﴾: أي: أعيننا، ﴿بِهَا﴾: ذَكَرَ اللفظ وأنث المعنى^(٢)، ﴿فَمَا تَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾: فدعا عليهم، ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾: ما طاف بهم من سيل، غشي بيوتهم وأشجارهم فقط مع سلامة غيرهم سبعة أيام، ﴿وَالْجُرَادَ﴾: فأكل مالهم حتى مسامير باهم ﴿وَالْقُمَّلَ﴾: كبار القردان^(٣)، وأولاد الجراد قبل الجناح^(٤) أو السوس، أو القمل ﴿وَالضَّفَادِعَ﴾: امتلاً منها بيوتهم وقدورهم، فلم يقدرُوا على الأكل،

(١) في نسخة (ن)، و(د): بالجذب.

(٢) ذكر قبل التبيين باعتبار اللفظ وأنه بعده باعتبار المعنى. * أنوار التنزيل للبيضاوي (٢١٩).

(٣) حشرة يُقال لها: القراد، وهي مؤذية تمص دماء الأنعام.

(٤) يعني قبل إنباته وظهوره.

﴿وَالدَّمَ﴾: فصار حصّتهم من الماء دمًا، وإن كانوا يشربون مع المسلمين من إناء واحد، ﴿آيَاتٍ مَّفْصَلَاتٍ﴾: مُبَيِّنَاتٍ ﴿فَأَسْتَكْبَرُوا﴾: عن الإيمان ﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾: كل واحد من الآيات والطاعون فهو سادسها ﴿قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ﴾: بحقّ عهده ﴿عِنْدَكَ﴾: أي (١): النبوة وإجابة دعوتك، والله، ﴿لَيْسَ كَشَفْتِ عَنَّا الرِّجْزَ لِنُؤْمِنَ لَكَ وَلِنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ﴾: كائنًا، ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَلَغُوهُ﴾: فمعذبون فيه، أو هو موتهم، ﴿إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾: فَأَجَاؤُا النِّكَثَ (٢)، ﴿فَأَنْتَقَمْنَا﴾: أردنا الانتقام ﴿مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾: البحر العميق (٣)، ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ﴾: أي: ذرية القوم، ﴿الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ﴾: بقتل الأنبياء وغيره ﴿مَشْرُوقَ الْأَرْضِ﴾: الشام ﴿وَمَغْرِبَهَا أَلْتِي بَنَرَكْنَا فِيهَا﴾: بالسعة ﴿وَوَقَّعْتِ﴾: قُرْنَتْ (٤) بالإنجاز، ﴿كَلِمَتِ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ﴾: بوعد النصر ﴿عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾: على شدائد القبط، ﴿وَوَدَّعْنَا﴾: استأصلنا، ﴿مَا كَانَتْ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾: من العمارات ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾: من الجنات، وهذا لا ينافي إيراثها لبني إسرائيل؛ لإمكان التدمير بعده ﴿وَجَوَازِنًا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾: وأغرقنا أعداءهم ﴿فَأَتَوْا﴾: مَرُّوا ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ﴾: يقيمون، ﴿عَلَىٰ﴾: عبادة ﴿أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾: هم بقية العمالقة التي (٥) أمير موسى بقتالهم ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا آلِهَةً﴾: مثلاً نعبده ﴿كَمَا لَهُمُ الْهَيْهَاتَ قَالَ﴾: موسى، ﴿إِنَّا كُنَّا قَوْمٌ جَاهِلُونَ﴾: عادتكم تجدد طريقة الجهل (٦) فيكم ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾: العابدين، ﴿مُتَّبِعُونَ﴾: هالك، ﴿مَا هُمْ فِيهِ﴾: أي: دينهم ﴿وَيَنْظِلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ﴾: أطلب لكم، ﴿إِلَهُهَا﴾: معبودًا ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ﴿وَوَدَّعْنَا﴾: اذكروا، ﴿إِذْ

(١) في (ن): أعني.

(٢) الكشاف (١٤٨/٢) ومعنى: أجاؤا: بادروا.

(٣) الذي لا يدرك قعره. * الكشاف (١٤٨/٢).

(٤) في (ن): قربت.

(٥) في البيضاوي (٢٢٠): الذين.

(٦) يعني وصفهم بالجهل المطلق.

أَجْنَحَكُمْ مِّنْ أَلٍ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ ﴿١﴾: يبغيونكم، ﴿سُوءٌ﴾: شدة ﴿الْعَذَابِ يُقْتَلُونَ﴾
 أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴿٢﴾ للخدمة ﴿وَفِي ذَلِكُمْ﴾: الإنجاء، ﴿بَلَاءٌ﴾: نِقْمَةٌ^(١)
 ﴿مِن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾: فُسْرٌ مرة ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى﴾: مُضِيٌّ ﴿ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾: ذا القعدة
 لإرسال التوراة، فصام الشهر، واستاك في آخره فزال^(٢) خلوفه ﴿وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ﴾: لذي
 الحجة^(٣) ليصومه ويكون لغمه خلوف، ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ﴾: بالغاً ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾: أو
 الإنزال والتكليم^(٤) كان في العشر، وذكر ﴿فَتَمَّ﴾، إلى آخره إما للتأكيد أو لرفع وهم
 كون العشر من الساعات أو كون العشر داخلة في الثلاثين كقوله في حَم: ﴿فِي أَرْبَعَةٍ
 أَيَّامٍ﴾^(٥)، ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي﴾: كن خليفتي ﴿فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾: ارفق في
 حثهم على الطاعة ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾: الذي وقتناه له
 وهو يوم عرفة، ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾: واشتاق إلى لقاءه، ﴿قَالَ رَبِّ ارْنِي﴾: نفسك بتمكيني^(٦)
 من رؤيتك، ﴿أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾: فيه دليل جواز رؤيته تعالى، لأن طلب المستحيل مُحَالٌ
 من الأنبياء، لا سيما فيما يقتضي الجهل بالله تعالى، والجواب بأنه قال تَبَكُّيًّا لمن
 قال: ﴿أَرْنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ خطأ إذ حينئذ كان واجباً عليه أن يجهلهم ولا يسيء الأدب،
 واعلم أن الرأي^(٧) رسين^(٨) العضو المخصوص ولا قوة فيه كما يظهر بأدنى نظر
 فيمكن أن يجعله الله مستعداً لرؤيته، فحينئذ فلا نزاع إذ المنكر ينكر رؤيته بهذه العين،
 فالصلح خير ﴿قَالَ لَنْ تَرِنِي﴾: أي: في الدنيا للحديث، وقد مرَّ بيانه في الأنعام، ﴿وَلَكِنْ
 أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾: مع شدته ﴿فَإِنْ أَسْتَقَرَّ مَكَانَهُ﴾: عند رؤيتي ﴿فَسَوْفَ تَرِنِي﴾: أفهم
 إمكانها لتعليقها على الاستقرار الممكن، وعلى فرض إحالته؛ لأنه جمع بين الحركة

(١) كذا- ولو قال: ابتلاء، أو: امتحان، أو: اختبار؛ لكان أولى.

(٢) رائحة فمه المتغيرة.

(٣) تفسير الطبري (١٣/٨٦)، معالم التنزيل (٢/١٩٥).

(٤) في (ن): والتكلم.

(٥) سورة فصلت.

(٦) في (ن)، و(د): فتمكني.

(٧) النظر.

(٨) لازم، ولصيق.

والسكون، وهو استقرار حال الدرك لا يضرنا^(١)؛ إذ لا يدل على التعميم، ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾: ظهر نوره له قدر نصف أنملة الخنصر^(٢)، ﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾: مَدَكُوًّا: مفتتًا، وبالمد^(٣) أي: أرضًا مستوية، ﴿وَحَرَّ﴾: سقط ﴿مُوسَى صَوْعًا﴾: مغشيًا عليه ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ﴾: أنزهك عما لا يليق بك ﴿بُتُّ إِلَيْكَ﴾: عن المسألة بلا إذن، ﴿وَأَنَا أَوْلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾: من قومي، أو بأنك لا تُرى في الدنيا ﴿قَالَ يَمُوسَى إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ﴾: اخترتك ﴿عَلَى النَّاسِ﴾: ناس زمانك، وهارون ما كان كليما ولا ذا شرع، ﴿بِرِسَالَتِي﴾: وحيي ﴿وَبِكَلِمِي﴾ بلا واسطة ﴿فَخَذَ مَاءَ آتَيْنِكَ﴾: من الرسالة، ﴿وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾: عليه وأعطاه يوم النحر ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ﴾: ألواح التوراة، ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾: احتاجوا إليه في الدين، ﴿مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا﴾: تبيينًا، ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾: من الأحكام وغيرها قائلين: ﴿فَخَذَهَا﴾ الألواح ﴿بِقُوَّةٍ﴾: وعزيمة، ﴿وَأَمُرَ قَوْمَكَ﴾: ندبًا ﴿يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾: بأحسن ما فيها كالعفو والصبر أو مثل: الصيف أحر من الشتاء، ﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَسِقِينَ﴾: بمصر^(٤) لتعتبروا، ﴿سَأَصْرِفُ﴾: أمنع عن فهم ﴿عَنْ آيَاتِي﴾: الآفاقية والآنفسية^(٥)، ﴿الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: حال كونهم ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾: بخلاف تكبر المسلم على الكافر ﴿وَإِنْ يَرَوْا كَلَّآيَةً﴾: منزلة، ﴿لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾: عنادًا، ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ﴾ الهدى ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ﴾: الضلال ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ﴾: الصرف ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾: ما تدبروا فيها، ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ﴾: الدار، ﴿الْآخِرَةِ حِطَّتْ﴾: بطلت، ﴿أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْرَوْنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى: أي: السامري

(١) كذا.

(٢) عن أنس أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ (الأعراف/ ١٤٣).

قال حماد بن سلمة: هكذا، وأمسك سليمان بطرف إبهامه على أنملة إصبعه اليمنى، قال: فساخ الجبل ﴿وَحَرَّ مُوسَى صَوْعًا﴾. * رواه أحمد (١٢٢٦٠)، الترمذي (٣٣٢٨/٥).

(٣) دَكَّآ.

(٤) دار فرعون وقومه بمصر خاوية على عروشها، أو منازل عاد وثمود وأضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا، أو دارهم في الآخرة وهي جهنم - أنوار التنزيل (٢٢٢).

(٥) المنصوبة في الآفاق والآنفس - أنوار التنزيل (٢٢٢).

بإعانتهم، ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾: بعد ذهابه إلى الجبل ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾: المستعار من القبط وكان معهم بعد هلاكهم، ﴿عِجَلًا جَسَدًا﴾: بدنًا ذا لحم ودم، أو من ^(١) الذهب، ﴿لَمْ يُخَوَّرْ﴾: صوت البقر أو شبيهه صوته لدخول الريح في دبره وخروجها من فمه كذا عن ابن عباس، فحينئذ رمى تراب إثر فرس جبريل للحياة ^(٢)، ﴿الَّذِيرُوا﴾: حين اتخذوه إلهًا ﴿أَنَّهُ لَا يَكْفُرُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا أَخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ ﴿وَلَمَّا سَقَطْ﴾ أي: وقع العُضُّ ﴿فِي أَيْدِيهِمْ﴾: كناية عن ندامة توجب عضها، أي: ندموا، ﴿وَرَأَوْا﴾: علموا علم الرأي، ﴿أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا﴾: بقبول توبتنا، ﴿وَيَغْفِرَ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ عَلَيْهِمْ﴾: حزينًا لما أعلمه الله تعالى كما في طه ^(٣)، ﴿قَالَ﴾: لهم، ﴿بِسْمَا خَلَقْتُنِي﴾: فعلتم أو أقمتم مقامي من عبادته ﴿مِنْ بَعْدِي أَعَجَلْتُمْ﴾: سبقتم، ﴿أَمَرَ﴾: وعد ﴿رَبِّكُمْ﴾: وهو الأربعين أو وعد بسخطه، اعلم ^(٤) أن العجلة طلب الشيء قبل أوانه، وهي مذمومة، وحيث تحمد في الخير، فالمراد بها: السرعة ^(٥)، وهي عمل الشيء في أول أوقاته، ﴿وَأَلْقَى﴾:

(١) جسدا من الذهب خاليا عن الروح - أنوار التنزيل (٢٢٢).

(٢) معالم التنزيل (٢/٢٠١).

(٣) سيأتي.

(٤) في (ن): واعلم.

(٥) يشير إلى حديث: «التؤدة في كل شيء خير إلا في عمل الآخرة». أخرجه أبو داود (٢/٤٨١٠)، والحاكم (١/٦٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/٨٤١١)، وأبو يعلى في مسنده (٢/٧٩٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/٣٠٠٩)، والصحيحة (١٧٩٤).

* وقال ﷺ: «التؤدة والاقتصاد والسمت الحسن جزء من أربعة وعشرين جزءا من النبوة». رواه الطبراني في الأوسط (١٠٢١)، والخطيب في تاريخه (٣/٦٦)، والدليمي في الفردوس (٢/٢٢٤٦)، وابن عدي في الكامل (٢/٥٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/٣٠١٠)، والمشكاة (٥٠٥٩).

* قال العلامة المناوي - رحمه الله -: وقال الطيبي: معناه أن الأمور الدنيوية لا يعلم أنها محمودة العواقب حتى يتعجل فيها أو مذمومة حتى يتأخر عنها بخلاف الأمور الآخورية؛ لقوله سبحانه: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْحَيَاةَ﴾ (البقرة / ١٤٨)، و﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَعْفُورٍ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾ (الحديد / ٢١).

* فيض القدير (٣/٣٦٥).

* وقال ﷺ: «التأني من الله والعجلة من الشيطان». أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤/٤٣٦٧)، والدليمي في الفردوس (٢/٢٢٥٩)، وأبو يعلى في مسنده (٧/٤٢٥٦)، والبيهقي في الشعب أيضا

طرح، ﴿الْأَلْوَابِ وَأَخَذَ بِرَأْسِ﴾: شعر، ﴿أَخِيهِ يُجْرُهُ إِلَيْهِ﴾: لظنه تقصيره في نهيهم ﴿قَالَ﴾ هارون استعطافاً: ﴿ابْنَ أُمِّ﴾: كانا شقيقين، وهارون أكبر بثلاث سنين، ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي﴾: وجدوني ضعيفاً، ﴿وَكَاذِبًا يُقْتَلُونَنِي﴾: حين نهيتهم، ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ﴾: بأذيتي^(١)، ﴿وَلَا تَجْعَلْنِي﴾: معدوداً ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾: في العقوبة، فلما علم براءته، ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ ما صنعتُ بالألواح ﴿وَلَاخِي﴾: إن قصّر ﴿وَأَدْخَلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾: ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَخَذُوا الْعِجْلَ﴾ إلهاً ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾: بأمرهم^(٢) بقتل أنفسهم ﴿وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: كاستمرار انقطاعهم من ديارهم، وحرمة أولادهم ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾: أي: فرية فوق قولهم: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَانصِبْ﴾^(٣)، ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ﴾: بالشرك والمعاصي، ﴿ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا﴾: أخلصوا إيمانهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾: بعد التوبة والإخلاص، ﴿لِغَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ ﴿وَلَمَّا سَكَتَ﴾: سكن وانقطع ﴿عَنْ مُوسَىٰ الْغَضَبِ أَخَذَ الْأَلْوَابَ﴾ وفي سُخْتِهَا: منسوخها ومكتوبها، ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ يخافون ﴿وَأَخْبَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ﴾: من قومه، ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا﴾: ليعتذروا عن عبادة العجل أو طلب الرؤية، إذ قالوا: خُذْ مِنَّا من يشهد بأن الله يكلمك، فلما سمعوه يكلمة قالوا: أرنا الله جهرة فأخذتهم الصَّاعِقَةُ ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾: الصاعقة فماتوا، ﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ﴾: ما تصدق^(٤)، أو قبل أن نرى ما نرى، ﴿وَإِنِّي﴾: فلو للتمني، ﴿أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾: من عبادة العجل، أو طلب الرؤية ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾: ابتلاؤك حيث خلقت حُور العجل، وأسمعتهم كلامك فطمعوا في الرؤية ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي﴾ بها ﴿مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا﴾: القائم بأمرنا، ﴿فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾: تبدل السيئة بالحسنة، ﴿وَاصْكُتْ﴾ أثبت ﴿لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا

= (٢/ ١٢٣٠) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٠١١)، والصحيحة (١٧٩٥).

(١) في (ن): بأذى.

(٢) في (ن): من أمرهم.

(٣) سورة طه.

(٤) في (س)، و(ع): تفرق.

حَسَنَةً ﴿: عَافِيَةٌ، ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾: حسنة بقربك^(١)، ﴿إِنَّا هُدْنَا﴾ رجعنا ﴿إِلَيْكَ﴾: رجعنا إليك، ﴿قَالَ﴾: الله مجيباً لقوله: ﴿إِن هِيَ﴾ - إلخ، ﴿عَذَابِي أَصِيبُ بِهِ مَن أَشَاءُ﴾: تعذيبه ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾: في الدنيا حتى الجماد ﴿فَسَاكُتِبَهَا﴾: أثبت رحمتي في الآخرة، ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾: المعاصي، ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾: خصصها؛ لأنها كانت أشق عليهم^(٢)، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا﴾: كلها، ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ هم ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ﴾: بالإضافة إلى الله، ﴿النَّبِيِّ﴾: بالإضافة إلينا، ﴿الْأُمَمِ﴾: لا يقرأ ولا يكتب بخلاف كل الرُّسُل، ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ﴾: باسمه وصفته، ﴿مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَإِنَّا نَجِئُ بِأَمْرِهِمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾: المستلذات المحرمة عليهم، ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ﴾: ما تستخبثه الطباع السليمة، ﴿وَيَضَعُ﴾: يخفف، ﴿عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾: ثقلهم ﴿وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾: التكاليف الشاقة التي كانت كالغل على أعناقهم كتعيين القصاص في العمد والخطأ وقطع الأعضاء الخاطئة، وقرض^(٣) موضع النجاسة، ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ﴾: عظموه^(٤)، ﴿وَنَصَرُوهُ وَأَتَّبَعُوا النُّورَ﴾: القرآن، ﴿الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ﴾: مع نبوته، أي: القرآن أو مع اتباعه عليه الصلاة والسلام، أي: سنته، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: الفائزون بالسعادة، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾: جميع كتبه، ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: ومن قور موسى أمة^(٥): جماعة من أهل زمانه كابن سلام^(٥)، ﴿يَهْتَدُونَ﴾: الناس، ﴿بِالْحَقِّ﴾: إليه، ﴿وَبِهِ﴾: بالحق، ﴿يَعْدِلُونَ﴾: في الحكم، ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ﴾: فرقنا بني إسرائيل، ﴿أَثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾: فرقة، ﴿أَسْبَاطًا﴾: أو بدل، ﴿أُمَّمًا﴾:

(١) في (ن): بقربتك.

(٢) لأن اليهود بخلاء ممسكون.

(٣) بالمقراض وهو المقص.

(٤) وقروه - الوسيط - للواحد (٤١٧/٢).

(٥) الوسيط (٤١٩/٢)، البحر المحيط (٤٠٦/٤)، الرازي (٢٧/١٥)، معالم التنزيل (٢٠٦/٢)، فتح

القدير (٢٥٥/٢).

اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولدًا من أولاد يعقوب ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَنَهُ﴾: في التيه ﴿قَوْمُهُ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾: فاضرب ﴿فَأَنبَجَسَتْ﴾: انفجرت^(١)، ﴿وَمِنهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾: سبط ﴿مَشْرَبُهُمْ﴾ وظللنا عليهم الغم ﴿لَدَفَعَ الشَّمْسُ﴾، ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّانَ وَالسَّلْوَى﴾: قائلين، ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾: فلم يشكروا، ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾: بكفرانه ﴿وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ و: اذكر، ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾: بيت المقدس ﴿وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا﴾ مسألتنا ﴿حِطَّةٌ﴾ مغفرة، ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ سَرَّيْدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ ثوابا، والاستئناف يدل^(٢) على أنه تفضل محض ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا﴾: عذابا، ﴿مِنَ السَّمَاءِ يَمَا كَانُوا يُظْلِمُونَ﴾: مضى تفسير الآيات ﴿وَسَأَلَهُمْ﴾: أي: اليهود توبيخا، ﴿عَنِ﴾: أهل ﴿الْقَرْيَةِ﴾: أيلة^(٣)، ﴿الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةً﴾: قريبة، ﴿الْبَحْرِ﴾: قلزم^(٤)، ﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾: يتجاوزون حدود الله، ﴿فِي السَّبْتِ إِذ تَأْتِيهِمْ حِيَتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا﴾: ظاهرة على الماء ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْئُرُونَ﴾: لا يعظمون

(١) الانبجاس: قريب من الانفجار، والحرث والانبجاس والانفجار والافتق والتفتق والانشقاق والتشققتقاريات، إلا أن الانبجاس أكثر ما يقال في الخارج من ضيق، والانفجار أعم، ولذلك جاء اللفظان في الآيتين؛ لأن المكان ضيق. * عمدة الحفاظ - للحلي (١/ ١٦٠ / بجس).

(٢) في (ن): ليدل، وسقطت من (س)، والمثبت من (ح)، و(د)، و(ع).

(٣) غرر التبيان (٢٦٤)، زاد الميسر (٣/ ٢٧٦)، الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٣٠٥)، الوسيط (٢/ ٤١٩).

وأيلة - بفتح الهمزة وسكون الياء المشاة التحتية بعدها لام مفتوحة - وتسمى الآن «إيلات» وهي مدينة على ساحل البحر الأحمر - مصرية الأصل، وكانت ملتقى الحاج الشامي والمصري وهي الآن تحت سيطرة عصابات اليهود. * معجم بلدان فلسطين (١٣٦)، تقويم البلدان (٨٦)، المسالك والممالك - لابن خرداذبة (٨١)، البلدان - لليقوي (٣٢٩)، الأعلام النفيسة - لابن رسته (١٨٣)، صفة جزيرة العرب - للهمداني (٢٧٣)، صورة العرب - لابن حوقل (١٨)، أحسن التقاسيم

- للمقدسي (١١)، معجم البلدان (١/ ٢٩٢).

(٤) هو الأحمر ومعنى «قلزم» الداهية؛ لكثرة ما به من الأهوال اه.

السبت وهو غير يوم السبت^(١)، ﴿لَا تَأْتِيهِمْ﴾ شُرْعًا ﴿كَذَلِكَ﴾: الاختبار، ﴿نَبَلُوهُمْ﴾: نختبرهم بإظهار السمك يوم حرمة صيده وإخفائه يوم حله ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾: يخرجون عن طاعة الله، ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ﴾: جماعة منهم لجماعة نهوهم عن ذلك: ﴿مَنْهُمْ لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾: لأنهم لا يتعظون، ﴿قَالُوا﴾ الناهون: موعظتنا ﴿مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾: وبالنصب أي: وعظناهم معذرة لئلا يؤاخذنا بترك النهي، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: عن الاصطیاد فيه.

فكانوا ثلاث فرق، فاعلًا وناهيًا وساكتًا، ﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾: تركوا ترك الناسي، ﴿مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ أُنْجِنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ: لنهيههم عن المنكر، ﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾: شديد، ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾: والأصح أن الفرقة الساكئة نجوا^(٢)، ﴿فَلَمَّا عَتَوْا﴾: تكبروا ﴿عَنْ مَا﴾: عن ترك، ﴿نُهِوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ﴾: بحيث سمعوا مناديا قال: ﴿كُونُوا﴾: أمر تكوين، ﴿قَرَدَةً خَاسِئِينَ﴾: ذليلين، فصاروا قردهً صورةً ومعنى، ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾: أعلم ﴿رَبُّكَ لِيَعْلَمَنَّ عَلَيْهِمْ﴾: على اليهود، ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ﴾: يعذبهم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾: بأنواع الإذلال^(٣)، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾: للمصر على المعاصي، أي: إذا جاء وقت عقابه، فلا ينافي حلمه ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: لمن تاب، ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ﴾: فرققاهم ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ حال كونهم ﴿أُمَّمًا﴾: لا تجتمع كلمتهم، ﴿مَنْهُمْ الْأَصْلِحُونَ وَمَنْهُمْ﴾: ناسٌ ﴿دُونَ ذَلِكَ﴾ مُخْطِئُونَ عَنِ الصَّلَاحِ، ﴿وَيَبْلُونَهُمْ﴾: امتحناهم ﴿بِالْحَسَنَاتِ﴾: النعم، ﴿وَالسَّيِّئَاتِ﴾: النقم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: إلى الطاعة، ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: بعد هذين القسمين، ﴿خَلْفٌ﴾: بدل سوء^(٤)، ﴿وَوَرِثُوا

(١) بل هو إجماعاً - انظر: الكشاف (١٧٠/٢)، تفسير ابن أبي حاتم (١٥٩٨/٥)، (٨٤٤٩، ٨٤٤٨).

تفسير الطبري (١٨٣/١٣، ١٨٤)، تفسير ابن كثير (٤٩٢/٣)، الجامع - للقرطبي (١٩٤/٧).

(٢) أخرجه الطبري (١٨٨/١٣، ١٩٠/١٥٢٧٢) عن ابن عباس.

وقال الحسن: نجت فرقتان وهلكت فرقة - الجامع - للقرطبي (١٩٥/٧)، معالم التنزيل (٢٠٩/٢).

(٣) من اليونان والرومان والنصارى وغيرهم. اهـ.

(٤) بفتح الخاء المعجمة وسكون اللام - الردى من كل شيء ومنه قولهم: «سكت ألفًا ونطق خلفًا» أي:

ردبًا من الكلام، وفرقوا بين الصالح والطالح بفتحة، فقالوا: خلف خير.

الْكِتَابِ ﴿: التوراة، ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا﴾: الشيء، ﴿الْأَدْنَى﴾: حطام الدنيا رشوة في
تبديل حكم الله، ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَ﴾ الحال أنهم، ﴿إِنَّ يَأْتِيهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ، يَأْخُذُوهُ﴾: أي:
يرجون المغفرة مع الإصرار على الذنوب ﴿الَّذِي يُؤْخَذُ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ﴾: أي: في
الكتاب، يعني التوراة ﴿أَنْ﴾ بأن ﴿لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾: فهم ذاكرون
الميثاق وتركوه ﴿وَالذَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّالَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾: المعاصي ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾:
فينزجروا^(١)، ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ﴾: يعتصمون، ﴿بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾: خصهما
للاهتمام ﴿إِنَّا لَنُنْصِغُ أُجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾: أي: أجرهم ﴿وَإِذْ نَقْنَا﴾: رفعنا، ﴿الْجِبَلِ فَوْقَهُمْ
كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ﴾ هي كل ما أظلك ﴿وَوَطَّنَا إِنَّهُ، وَاقِعٌ بِهِمْ﴾: ساقط عليهم قائلين: ﴿خُذُوا مَا
ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾: بجد في العمل، ﴿وَأذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾: فلا تنسوه، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ القبائح
﴿و﴾: اذكر ﴿إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ^(٢)﴾: أخرج ذريته بعضهم من
ظهور بعض على ترتيب توالدهم ﴿وَأَشْهَدُهُمْ﴾: كل واحدٍ ﴿عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾: قائلًا،
﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾: وإنما أنشأنا ليصح الإخبار وفائدته علم آدم ومسرتة بكثرة ذريته،
وأكثر المفسرين على أن المراد بإشهادهم واعترافهم تمكنهم من معرفته وتمكينهم
منها على طريقة التمثيل كما في: ﴿أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ﴾^(٣)، ﴿فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ﴾^(٤)، لأن إلف
العامة بالمحسوس أتم ﴿قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾: بذلك كراهة ﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا
عَن هَذَا﴾: عن أنك ربنا ﴿عَنفَلِينَ﴾: وعلى الثاني، أي: لم ننبه بدليل.

* تنبيه: قيل: كلام أكثر المفسرين يناهض ظاهر الحديث، وأجيب بأن التحقيق

أن الله تعالى ميثاقين معنى أحدهما: ما تهتدي إليه العقول من نصب الأدلة الباعثة على
الاعتراف الحالي، والآية تبين هذا كما قرره أئمة المتأخرين.

== * عمدة الحفاظ (١/٥٢٢/خلف).

(١) على قراءة: «يعقلون» وهي قراءة أبي عمرو وابن كثير وعاصم وحزمة والكسائي وأبي جعفر.

* إتحاف فضلاء البشر (٢٣٢)، غيث النفع (٢٣٠)، الكشاف (١٠٢/٢).

(٢) في (ن): «ذُرِّيَّاتِهِمْ، وكتب في الهامش: «ذُرِّيَّتَهُمْ» حفص.

(٣) سورة النحل.

(٤) سورة فصلت.

وثانيهما: المقالي الذي لا يُهتدى إليه إلا بتوقيف، وهو ما صحَّ أنه سئل عليه الصلاة والسلام عن هذه الآية فقال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذَرِيَّتَهُ، فَقَالَ: خَلَقْتَ هَؤُلَاءَ لِلْجَنَّةِ، وَبِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَعْمَلُونَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِشِمَالِهِ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذَرِيَّتَهُ، فَقَالَ: خَلَقْتَ هَؤُلَاءَ لِلنَّارِ»- إلى آخر الحديث^(١)، فيكون هذا الجواب من أُسْلُوبِ الْحَكِيمِ^(٢) إِذْ سُئِلَ عَنِ الْمِثَاقِ الْحَالِيِّ، فَأَجَابَ عَنِ الْمَقَالِيِّ وَضَمَّنَ فِيهِ الْحَالِيَّ عَلَى الطَّفِّ وَجِهٍ، فَلَا إِشْكَالَ إِذِ الْحَدِيثُ قَرَّرَ الْآيَةَ، وَأَخْبَرَ عَمَّا سَكَتَ عَنْهُ، وَلَا يَرُدُّ أَيْضًا أَنَّ الْوَاجِبَ أَنْ لَا يُنْسَبَهُمُ الْعَهْدُ حَتَّى لَا يَكُونَ لَهُمْ حِجَّةٌ^(٣)، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ، ﴿أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾: قَبْلَ زَمَانِنَا، ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: فَقَلَدْنَا هُمْ، ﴿أَفَنُحْيِيكَمْنَا﴾: تُعَذِّبُنَا ﴿بِمَا فَعَلْنَا﴾: الْآبَاءُ ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾: فَتَأْتِيرُ الشَّرْكَ وَالتَّقْلِيدَ مَعَ التَّمَكُّنِ مِنْ تَحْصِيلِ الْعِلْمِ لَيْسَ بِعَذْرٍ ﴿وَكَذَلِكَ﴾: التَّبْيِينُ، ﴿فَنُفِصِلُ الْآيَاتِ﴾: لِفَوَائِدِ كَثِيرَةٍ، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: عَنِ الْبَاطِلِ، ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا﴾: كِتَابِ السَّمَاءِ وَالْإِسْمِ الْأَعْظَمِ.

هُوَ بِلُغَامٍ^(٤)، سُئِلَ أَنْ يَدْعُوَ عَلَى مُوسَى فَأَبَى، ثُمَّ رُشِيَ فَدَعَا عَلَيْهِ، فَابْتَلَى مُوسَى فِي التِّيهِ^(٥) فَلَمَّا عَلِمَ دَعَا عَلَيْهِ فَنَزَعَ الْإِيمَانَ^(١)، ﴿فَأَنسَلَخَ﴾: بِكَفْرِهِ، ﴿مِنْهَا﴾: مِنْ

(١) عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - سئل عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ الآية. فقال عمر بن الخطاب: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عنها فقال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذَرِيَّتَهُ، فَقَالَ: خَلَقْتَ هَؤُلَاءَ لِلْجَنَّةِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَعْمَلُونَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِشِمَالِهِ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذَرِيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتَ هَؤُلَاءَ لِلنَّارِ وَيَعْمَلُ أَهْلُ النَّارِ يَعْمَلُونَ... الْحَدِيثُ». أخرجه مالك (٢/٨٩٨)، الحاكم (١/٢٧)، (٢/٣٢٤)، (٥٤٤)، وأبو داود (٤٧٠٣، ٤٧٠٤)، الترمذي (٣٠٧٥)، وأحمد (١/٤٤، ٤٥)، وابن أبي عاصم في السنة (١٩٦، ٢٠١).

(٢) أُسْلُوبِ الْحَكِيمِ: ذَكَرَ الْأَهَمُّ تَعْنِيْفًا لِلْمَتَكَلِّمِ عَلَى تَرْكِهِ الْأَهَمُّ تَعْرِيفَاتِ الْجُرْجَانِيِّ (٢٣)، تَعْرِيفَاتِ ابْنِ الْكَمَالِ (١٤)، الْكَلِيَّاتِ (١/١٦٨)، التَّوْقِيفِ (٦٢).

(٣) سَقَطَتْ مِنْ (ن).

(٤) ابْنُ بَاعُورَاءَ - غَرَّرَ التَّبْيَانَ (٢٦٥)، زَادَ الْمَسِيرَ (٣/٢٨٧)، الْوَسِيْطَ (٢/٤٢٧)، تَفْسِيرَ الْبَغْوِيِّ (٢/٢١٣)، فَتَحَ الْقَدِيرَ (٢/٢٦٥)، تَفْسِيرَ الْفَخْرِ الرَّازِيِّ (٧/٤٥)، رُوحَ الْمَعَانِي (٩/١١١، ١١٢).

(٥) مَا هَذَا الْهَرَاءُ ؟؟؟!!!! هل بلعام هذا أفضل من موسى - صلى الله عليه وسلم - وهذه الإسرائيليات وتلك الخرافات =

الآيات ﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾: جعله تابعاً أو لحقه فأغواه ﴿فَكَانَ﴾: فصار، ﴿مِنَ الْعَاوِيكِ﴾ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ﴾ إلى الدرجات العلى ﴿بِهَا﴾ بالآيات ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ﴾: مال أو سكن، ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ زخارفها ﴿وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ﴾: في إثارها على الآخرة فحططناه^(٢)، ويدل على ذلك ﴿فَمَثَلُهُ﴾ فصفته في انهماكه في الدنيا سواء وعظته أو تركته ﴿كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾: في أخسِّ أحواله، وهو اللهث بالسكون أي: إدلاع^(٣) اللسان، وبالفتح^(٤): العطش ﴿إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ﴾: بالزجر والطرْد، ﴿يَلْهَثُ أَوْ تَتْرَكُهُ﴾: بلا زجرٍ ﴿يَلْهَثُ﴾: روي أنه صار لاهثاً كالكلب ﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ﴾: المذكورة على الكفرة، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾: فيعتبروا^(٥)، ﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ﴾: أي: مثل القوم ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾: ما ظلموا إلا أنفسهم ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ﴾: وحَد الأول، وجمع الثاني الوحده الهداية، وكثرة طرق الضلالة ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾: خَلَقْنَا لِيَجْهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾: وعلامتهم أنهم ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾: الحق ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾: اعتباراً ﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾: المواعظ، ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ﴾: في قصرهم مشاعرهم على الشهوات، ﴿بَلْ هُمْ أَصْلٌ﴾: فإنها تفعل ما خُلقت له طبعاً أو تسخيراً ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْغٰفِلُونَ﴾: أشد غفلة، ﴿رَبِّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ لدلالاتها على أحسن المعاني، وهي الألفاظ أو الصفات، وغير منحصرة في عدد^(٦)،

= متلقة عن أهل الكتاب فاحذر منها. اهـ.

(١) في (ن): بنزع الآيات.

(٢) أنقصناه ووضعنا قدره.

(٣) في (ن): أي: إدلاع.

(٤) يعني: يفتح الهاء.

(٥) في (ن): فيعتدروا.

(٦) لحديث: ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أصاب أحد قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني

عبدك، ابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك

سميت به نفسك أو علمته أحدا من خلقك أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل

القرآن ربيع قلبي.. الحديث». أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/٢٥٣)، وأحمد (٣٧١٢، ٤٣١٨)، وأبو يعلى

(٥٢٩٧) وابن حبان (٩٧٢)، والطبراني (١٠/١٠٣٥٢)، والحاكم (١/٥٠٩)، والبيهقي في الأسماء

﴿فَادْعُوهُ﴾: سَمُوهُ ﴿بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾: يَزِيغُونَ، ﴿فِي أَسْمَائِهِ﴾: بتسميتهم إياه بما لا توقيف^(١) فيه أو بلفظ لا يعرف معناه أو بتسمية أصنامهم بها مع تغيير كالعزى من العزيز ﴿سَيَجْرُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: من الإلحاد، ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا﴾: أشار إلى قلتهم، ﴿أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾: إليه، ﴿وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾: يعملون، في الحديث: «أنهم هذه الأمة»^(٢)، وفيها دليل صحة الإجماع؛ لأنَّ المُراد في كل قرن كما في حديث: «لا يزال من أمتي» إلى آخره^(٣)، ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾: سنستدريجهم إلى الهلاك قليلاً قليلاً أو من درج بمعنى: هلك، ﴿مَنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾: فكلما جددوا معصية زيدوا نعمة، ونسوا الشكر، وعطف على سنستدرجهم ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾: أمهلهم، ﴿إِنِّي كَيْدِي﴾: أخذى، ﴿مَتِينٌ﴾: شديد، سماه كَيْدًا؛ لأن ظاهره إحسان وباطنه خذلان، ﴿أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾: ليعلموا، ﴿مَا بِصَاحِبِهِمْ﴾: محمد ﷺ، ﴿مِنْ جِنَّةٍ﴾: جنون، ﴿إِنِّي﴾: ما، ﴿هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾: إنذاره ﴿أَوْلَمْ يَنْظُرُوا﴾: استدلالاً على التوحيد ﴿فِي مَلَكُوتِ﴾: عظيم ملك، ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أو عجائبهما ﴿و﴾: في، ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَ﴾: في، ﴿أَنْ﴾: أنه، ﴿عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾: فيسارعوا إلى ما ينجيهم ﴿فِي أَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾: بعد القرآن، ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: إن لم يؤمنوا به، ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ﴾: ويذرهم في طغيانهم يعمهون ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾: القيامة، سميت بها لسرعة حسابها ﴿أَيَّانَ﴾: متى، ﴿مُرْسِنَهَا﴾: إتيانها، ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لا يُحِيطُ بِهَا﴾: يُظهر أمرها ﴿لَوْ قَنَّا﴾: في وقتها، ﴿إِلَّا هُوَ﴾: أي: خفاؤها علينا مستمر إلى قيامها، ﴿نُقُلْتُ﴾: عظمت وشدت ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: على أهلها لهولها، ﴿لا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾: فجأة حين اشتغالكم بالعمارة والتجارة، ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ خَفِيٌّ﴾: شفيق لهم أو عالم بها ﴿عَنَّا﴾ متعلق بيسألونك، ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾: أنه مختص به، ﴿قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا﴾:

= والصفات (١/ ٢٧، ٢٨)، وفي الدعوات الكبير (١/ ٢٦٩/ ١٨٤)، وابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة (٤٩)، وكذا التنوخي (١/ ١٣٧) وسنده صحيح.

(١) دليل نقلتي.

(٢) أخرجه ابن جرير (١٣/ ٢٨٦/ ١٥٤٦٠).

(٣) رواه مسلم، (١٩٢٤) وله طرق كثيرة.

أي: حيلة، ﴿وَلَا ضَرَّ﴾: أي: دفعه، فُسِّرَ مَرَّةً ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾: تملكي منهما ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾: فكنت رابحاً وغالباً دائماً ﴿وَمَا مَسْنِي السُّوءُ﴾: لم أكن في بعض الأوقات خاسراً مغلوباً، ﴿إِنْ﴾: مَا ﴿أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ﴾: كتب في الأزل أنهم ﴿تُؤْمِنُونَ﴾: فإنهم المنتفعون، ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾: آدم، ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا﴾: من ضلعها، ﴿زَوْجَهَا﴾: حواء، ﴿لِيَسْكُنَ﴾: لتطمئن النفس باعتبار المعنى، ﴿إِلَيْهَا﴾: للجنسية والبعضية، ﴿فَلَمَّا تَعَشَّيْنَاهَا﴾: جامعها ﴿حَمَلَتْ حَمَلاً خَفِيئاً﴾: عليها أي: النطفة، ﴿فَمَرَّتْ﴾: فاستمرت، ﴿رَبِّهٖ﴾: إلى وقت ولادته بلا إذلاق^(١)، ﴿فَلَمَّا أَتَقَاتْ﴾: صارت ذات ثقل لكبر الولد، ﴿دَعَا اللَّهَ رَبِّهَا لِيْنَءَاتِيَنَّا﴾: ولداً ﴿صَالِحاً﴾: سويّاً صلح بدنه، ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لك ﴿فَلَمَّا ءَاتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ﴾: ذا شرك، ﴿فِيمَا ءَاتَاهُمَا﴾: كتسمية ولدهما عبد الحارث بأمر إبليس^(٢) جاهلاً بأن الحارث اسمه، ولا شك أنه ليس بشرك حقيقة، إذ الأعلام لا تفيد مفهومها اللغوية فأطلقه عليه تغليظاً ولأن الأعلام المضافة تلاحظ فيها المعاني الأصلية، وقرئ: (شركاء)^(٣) بالجمع، فإن من جوز شريكاً جوز عقد شركاء ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: جلياً أو خفياً، ﴿أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ﴾: الأصنام ﴿يُخَلِّقُونَ﴾: أتى بضمير العقلاء بناء على اعتقادهم، ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ﴾: لعبدتهم، ﴿نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَصُورُونَ﴾: إن قُصِدُوا بمكروه ﴿وَإِنْ نَدَعُوهُمْ﴾: الشركاء، ﴿إِلَى الْهُدَى﴾: إلى أن يهدوكم ﴿لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾: لا يجيبوكم ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَمُوتُونَ﴾: إِنْ الَّذِينَ تَدْعُونَ: تعبدونهم، ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ﴾: مملوكون مخلوقون، ﴿فَادْعُوهُمْ﴾: في نفع أو ضرر، ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: أنهم آلهة،

(١) يعني: إسقاط.

(٢) يشير إلى حديث سمرة بن جندب عن النبي ﷺ قال: «لما حملت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد، فقال: سميه عبد الحارث، فسمته عبد الحارث، فعاش، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره». أخرجه الترمذي في جامعه (٥/٣١٣/٣٣٣٢) والطبري في جامع البيان (١٥٥٢٦، ١٥٥٢٧)، (١٥٥٢٨) وإسناده ضعيف.

(٣) قرأ نافع وعاصم وأبو بكر وأبو جعفر وابن محيصة وابن عباس وشيبة وعكرمة ومجاهد وأبان بن تغلب والأعرج: «شركاً». * إتحاف فضلاء البشر (٢٣٤)، السبعة (٢٩٩)، النشر (٢/٢٧٣).

﴿الْهَمَّ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾: فأنتم أكمل منهم ﴿قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾: في عداوتي، ﴿ثُمَّ كِيدُونَ﴾: بالغوا في مكروهي، ﴿فَلَا تُنظِرُونِ﴾: تمهلوني فإني لا أعبأ بكم ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾: القرآن، ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى﴾: يلي أمر ﴿الصَّالِحِينَ﴾: فكيف برسله، ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَبْصُرُونَ﴾: وإن تدعوهم إلى الهدى: ما هو صلاحهم ﴿لَا يَسْمَعُوا وَتَرْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾: لأنهم مُصَوَّرُونَ بالعين والأنف والأذن، ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾: لأنهم جماد، ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾: من جملة الأخلاق بأن تعفو عن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾: ما يستحسنه الشرع، ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾: فلا تمارهم، ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ﴾: ينخسك مستعار من غرز السائق دابته، ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾: نخس أي: وسوسة تحملك على خلاف ذلك، ﴿فَأَسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: إن الذين اتفقوا إذا مسهم طائف ﴿لَمَّةٌ﴾^(١) ووسوسة، ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾: أمرنا ونهينا، ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾: مواقع الخطأ فيحترزون، ﴿وَإِخْوَانُهُمْ﴾: إخوان الشياطين يعني: الكفرة، ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾: يمدهم الشياطين ﴿فِي الْغَيِّ﴾: الضلال، ﴿ثُمَّ لَا يُفْصِرُونَ﴾: ثم لا يُمسكون عن إغوائهم ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ﴾: من القرآن اقترحوها، ﴿قَالُوا لَوْلَا آجْتَبَيْتَهُمَا﴾: اختلقتها من نفسك كسائر ما تقرأه^(٢)، ﴿قُلْ إِنَّمَا آتَيْتُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا﴾: القرآن، ﴿بَصَائِرُ﴾: للقلوب، ﴿مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: فلو لكم بصيرة لكفاكم ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾: نزلت في ترك التكلم في الصلاة^(٣)، ولا يفهم عدم وجوب القراءة على المأموم إذ لا منافاة

(١) يشير المصنف - رحمه الله - إلى حديث: «إن للشيطان لمة وللملك لمة، فأما لمة الشيطان، فيإبعاد بالشر، وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك، فيإبعاد بالخير، وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليحمد الله، ومن وجد الأخرى، فليتعوذ من الشيطان». أخرجه الترمذي (٢٩٨٨)، والطبري (٨٨/٣)، وابن حبان (٣/٢٧٨/٩٩٧/إحسان) وسنده مقبول.

(٢) في (ن)، و(د): تقرأوه.

(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: كانوا يتكلمون في الصلاة؛ فنزلت: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ﴾: أخرجه ابن أبي شيبه (٤٧٨/٢)، وابن المنذر في الأوسط (٣/١٠٥/١٣١٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٦٤٥/٨٧٢٨) والطبري في تفسيره (٩/١١٠)، والبيهقي في القراءة (١١٤/٢٧٤) وسنده =

بين وجوب الاستماع والإنصات ووجوب القراءة، فإن الإمام مأمور بالسكوت حين قراءة المأموم الفاتحة^(١)، ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ و﴿أَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾: كل ذكر وقراءة، أي: أسمع نفسك فقط أو أمر للمأموم بالقراءة سرًّا بعد فراغ الإمام عن قراءته^(٢)، ﴿تَضْرَعًا وَخِيفَةً﴾: خائفًا، ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾: بلا صياح ﴿بِالْغُدُوِّ﴾ جمع غَدَاهُ ﴿وَالْأَصَالِ﴾: العشايا جمع: أصيل، ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾: عن ذكرنا، ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾: الملائكة المقربون ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ﴾: يُنزهونه، ﴿وَلَهُ﴾: فقط، ﴿يَسْجُدُونَ﴾: مع أمنهم من سوء العاقبة، هذا تعريض بمن عداهم من المكلفين.



= صحيح.

- (١) تمسك بهذه الآية من منع القراءة خلف الإمام في الصلاة الجهرية، وبهذا قال مالك والشافعي في أحد قوليهِ، وذهب الحنابلة إلى أنه لا قراءة للمأموم فيما يجهر فيه الإمام، وذهب الحنفية إلى المنع من القراءة خلف الإمام مطلقًا. * الاستذكار (١/٤٦٢)، الأم (٧/٢٠٧)، الحاوي الكبير (٢/١٤١)، أحكام القرآن - للجصاص (٤/٢١٦)، المغني - لابن قدامة (١/٣٢٩).
- (٢) معالم التنزيل (٢/٢٢٦) الجامع - للقرطبي (٧/٢٢٥)، الوسيط (٢/٤٤٠).

«سورة الأنفال»: «مدنية»^(١)

قيل: إلا آية: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ حَسْبُكَ اللَّهُ﴾.

لَمَّا عَلَّمَهُ الْعَفْوُ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالْإِعْرَاضُ عَنِ الْجَاهِلِينَ وَطَرِيقَةُ دَفْعِ نَزْغِ الشَّيَاطِينِ مَا يَتَعَلَّقُ بِهَا عَقَبُهُ بِقِصَّةِ مَنْ جَادَلَهُ جَهْلًا، وَأَمْرُ لَهُمْ بِالْعُرْفِ وَعَفْوُهُ عَنْهُمْ فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿سَتَلُونَا عَنْ: ﴿حُكْمِ﴾ ﴿الْأَنْفَالِ﴾ ﴿الْغَنَائِمِ﴾ حِينَ اخْتِلَافِ الشَّبَابِ وَالشَّيْخِ فِي غَنَائِمِ بَدْرٍ، ﴿قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ﴾: ﴿حُكْمًا﴾ ﴿وَالرَّسُولِ﴾: تَبْيِينًا لِحُكْمِهِ، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: فِي مَخَالَفَتِهِ، ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ﴾: أَي: مَا فِي ﴿بَيْنِكُمْ﴾: مِنَ الْأَحْوَالِ بِالْمَوَاسَاةِ، ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: حَقًّا ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾: الْكَامِلُونَ فِي الْإِيمَانِ ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ﴾ خَافَتْ ﴿قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾: لَزِيَادَةِ الْمُؤْمِنِ بِهِ.

* **تنبيه**^(٢): قد عرفنا اختلافهم في حقيقة الإيمان، وهم لا يختلفون فيها اختلافوا في جواز زيادته ونقصانه^(٣)، فعند من يُدْخَلُ فِيهَا^(٤) العمل يَجُوزُ، وعند بعض الأشاعرة: لا يجوز؛ لأن الواجب اليقين، فإن حصل فينا في التفاوت وإلا فلا إيمان، والأصح جوازهما لا باعتبار العمل بل بزيادة المؤمن به ونقصانه^(٥)، أو برسوخ اليقين بتظاهر الأدلة وعدمه، ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: بِهِ يَثْقُونَ، ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾: يَدِيمُونَهَا ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾: فِي السَّرِّ ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾: بِبَلَاءِ شَكِّ، ثُمَّ رَتَّبَ عَلَى الْأَعْمَالِ الثَّلَاثَةِ الْقَلْبِيَّةِ وَالْبَدْنِيَّةِ وَالْمَالِيَّةِ، ثَلَاثَةَ فَقَالَ: ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ

(١) في هامش نسخة (د) سورة الأنفال مدنية خمس وسبعون آية وعند البصريين سبع إلا سبع آيات:

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ﴾ ... إِلَى آخِرِهِنَّ ثُمَّ آلُ عِمْرَانَ كَلِمَاتِهَا (١٢٣١) حُرُوفِهَا (٥٢٩٤).

* البيان (١٥٨)، القول الوجيز (١٩٦)، البصائر (٢٢٢/١)، عدد سورة القرآن (٢٤٣).

(٢) في هامش (ع): مطلب في بيان زيادة الإيمان ونقصانه.

(٣) الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية والأدلة على ذلك كثيرة جدًا.

(٤) حقيقته.

(٥) عجيب أمر هذا المصنف فالمعنى واحد.

عِنْدَرَبِيْهَمْ ﴿: فِي الْجَنَّةِ، ﴿وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: فِيهَا، وَمَا مَرَّ مِنْ حَكْمِ الْأَنْفَالِ
مَلْتَبِسِينَ بِالْحَقِّ، وَإِنْ كَانُوا كَارِهِينَ لَهُ ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ﴾: كَأَخْرَاجِكَ، ﴿رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ﴾:
بِالْمَدِينَةِ لِأَخْذِ عَيْرِ قَرِيْشٍ أَقْبَلْتَ مِنَ الشَّامِ وَتَأْيِيدِكَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ بِيَدْرِ مَلْتَبَسًا
﴿بِالْحَقِّ﴾: بِالْحِكْمَةِ وَالصَّوَابِ، ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ﴾: الْخُرُوجَ، لَمَا
أَقْبَلْتَ عَيْرَ قَرِيْشٍ مِنَ الشَّامِ، خَرَجَ ﷺ لِنَهْيِهِمْ^(١)، وَخَرَجَ الْمُشْرِكُونَ لِتَخْلِيصِهَا فَأَرَادَ
عَلَيْهِ الصَّلَاةَ السَّلَامَ الْقِتَالَ، وَتَرَكَ الْعَيْرَ^(٢) وَوَعَدَ بِالظَّفْرِ، فَقِيلَ لَهُ: هَلَّا ذَكَرْتَ لَنَا
الْقِتَالَ حِينَ نَتَأَهَبُ ثُمَّ تَلَاقُوا بِيَدْرِ فَظَفَرُوا، ﴿يُجِدُونَكَ فِي﴾: إِظْهَارِ ﴿الْحَقِّ﴾: الْجِهَادِ،
﴿بَعْدَ مَا بَيَّنَّ﴾: ظَفَرَهُمْ بِإِعْلَامِكَ، ﴿كَأَنَّمَا يُسَافِرُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَحْسَبُونَ﴾: إِلَى أَسْبَابِهِ
لِقَلَّةِ عَدَدِهِمْ وَعُدْدِهِمْ ﴿وَ﴾: أَذْكَرَ ﴿إِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ﴾: مِنَ الْعَيْرِ وَعَسْكَرِ
مَكَّةَ ﴿أَنَّهُمَا لَكُمْ وَتَوَدُّوْنَ أَنَّ عَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ﴾: الْعَيْرَ الْخَالِيَّ عَنِ الْعَسْكَرِ،
﴿تَكُوْنُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحْيِيَ﴾: يُثَبِّتَ ﴿الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾: بِأَمْرِهِ بِقِتَالِهِمْ، ﴿وَيَقْطَعُ
دَابِرَ﴾: يَسْتَأْصِلُ، ﴿الْكَافِرِينَ﴾: وَفَعَلَ مَا فَعَلَ، ﴿لِيُحْيِيَ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ
الْمُجْرِمُونَ﴾: وَلَا تَكَرَّرَ، إِذِ الْأَوَّلُ لِلْفَرْقِ بَيْنَ الْإِرَادَتَيْنِ، وَالثَّانِي: لِبَيَانِ الدَّاعِي إِلَى
حَمَلِهِ ﷺ^(٣) عَلَى اخْتِيَارِ ذَاتِ الشُّوْكَةِ وَنَصْرِهِ ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾: هُوَ دَعَاؤُهُ ﷺ^(٤)
حِينَ رَأَاهُمْ فِي أَلْفٍ وَصَحْبِهِ فِي ثَلَاثِمِائَةِ رَجَالَةٍ، فِيهِمْ فَارِسَانٌ^(٥) ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ

(١) هذا فيه سوء أدب مع رسول الله - ﷺ - فاحذر ذلك، والأصح أنه - ﷺ - خرج ليسترد للمسلمين

كرامتهم وأموالهم التي سرقها الكفرة اللصوص. اهـ.

(٢) القافلة.

(٣) في (ن): عليه الصلاة والسلام.

(٤) في (ن): عليه السلام والسلام!!!.

(٥) ثبت دعاء النبي ﷺ في غزوة بدر في عدة أحاديث، منها:

* اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد
في الأرض». رواه مسلم (٣/١٣٨٤/١٧٦٣).

* اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تشأ لا تعبد بعد اليوم». رواه البخاري
(١٨/٢٥٣/٤٨٧٥/فتح)، وأحمد (١٨/٥).

* اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها، تحادك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعده تنى،

أَنِّي ﴿: بَأْسِي، ﴿مُؤْمِدُكُمْ بِأَنْفِ مَنْ أَلْمَلْتِكُمْ مُرْدِفِينَ ﴿: متتابعين بعضهم على إثر بعض فأنزل «ألفا» فالفين فالفين كما مر أنفا، ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ ﴿: أي: الإمداد، ﴿إِلَّا لِبُشْرَى ﴿: بشارة، ﴿لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴿: لا الملائكة، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ﴿: غالب ﴿حَكِيمٌ ﴿: في أفعاله، اذكر، ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمْ ﴿: الله، ﴿النَّعَاسَ ﴿: في البدر كما كان في أحد، ﴿أَمَنَةً ﴿: لأمنٍ حاصل ﴿مَنَّةٌ ﴿: تعالى، ﴿وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يُطَهِّرُكُمْ بِهِ ﴿: من الحديثين^(١)، ﴿وَيَذْهَبَ عَنْكُمْ رِجْزٌ ﴿: وسوسة، ﴿الشَّيْطَانِ ﴿: بأنكم لو كنتم على الحق لما كنتم عطاشا محدثين، والمشركون على الماء ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ ﴿: بالوثوق به، ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ﴿: بهذا الربط أو المطر ﴿الْأَقْدَامَ ﴿: في المحاربة، ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَأِكَةِ أُنِّي مَعَكُمْ ﴿: بالعون ﴿فَتَبْتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴿: بالبشارة أو محاربة أعدائهم، والأصح أنهم قاتلوا، إذ ورد: أن جبريل نزل في خمسمائة على اليمين والصدئق وميكائيل في خمسمائة على اليسرة، وفيهم علي المرتضى وقاتلوا ﴿سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ﴿: الخوف، ﴿فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ ﴿: وهي المذابح أو الرؤوس، ﴿وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿: أصابع وبها كانوا يعرفون قتيل الملائكة، ﴿ذَلِكَ ﴿: الضرب ﴿بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ ﴿: خالفوه، ﴿وَرَسُولُهُ، وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿: له الأمر ﴿ذَلِكَ ﴿: أيها الكفرة، ﴿فَذُوقُوهُ ﴿: أي: العذاب، يعني معظمه بعده، ﴿وَأَنْتَ لِلْكَافِرِينَ ﴿: أي: لكم، ﴿عَذَابِ النَّارِ ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيْتَهُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا نَحْفًا ﴿: كثيرين، ﴿فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ ﴿: حُصِّصَتْ بآية: ﴿وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿^(٢)، ﴿وَمَنْ يُؤَلِّمِهِمْ يَوْمَئِذٍ ﴿: يوم اللقاء، ﴿دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِنَالٍ ﴿: بأن هزم ليري أنه خاف فيتبعه العدو فيكر عليه فيقتله، ﴿أَوْ

 = اللهم أرحمهم الغداة. * سيرة ابن هشام (٢/٣١٤).

(١) معالم التنزيل (٢/٣٢٤)، تفسير القرطبي (٧/٢٣٧)، تفسير الرازي (١٥/١٠٧)، فتح القدير

(٢/٢٩١)، تفسير الوسيط (٢/٤٤٧).

(٢) سورة الأنفال.

مُتَحَيِّزًا ﴿: منضمًا من فِئَةٍ ﴿: إِلَىٰ فِئَةٍ ﴿: من المسلمين يعاونونه، وأصله: متحيوز^(١)، ﴿فَقَدْ بَاءَ﴾: رجع، ﴿بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَنُهُ جَهَنَّمُ وَيُسَّكَ الْمَصِيرُ﴾: وحكم الآية مخصوصة ببدر، ولا يضر كون ما قبلها وما بعدها صريحين في النزول بعد بدر لإمكان نزولها قبلهما^(٢)، ثم قال: إن افتخرتم بقتلهم ببدر ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾: كما مرَّ ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾: يا محمد أعينهم ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾: أي: أتيت بصورة الرمي، لأن كفا من الحصار لا يملأ عيون عسكر كثير من كفَّ بشرٍ ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾: بإيصاله إليهم ليقهرهم ﴿وَلِيُسَبِّحَنَّ﴾: لينعم، ﴿الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ﴾: من الله، ﴿بِإِلَآءٍ﴾: نعمة، ﴿حَسَنَاتٍ لِّلَّهِ سَمِيْعٌ﴾: لدعائهم، ﴿عَلَيْكُمْ﴾: بضمائرهم والمحدثون على أن الرمي كان بحنين فقط، والمفسرون على أنه في الموضوعين الأمر، ﴿ذَلِكُمْ وَ﴾: والأمر، ﴿أَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ﴾: مبطل ﴿كَيْدٍ﴾: حيلة ﴿الْكَافِرِينَ﴾: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا﴾: أيها المشركون بقولكم: اللهم انصر أعلى^(٣) الجندين ونحوه^(٤)، ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾: هذا تهكم^(٥)، ﴿وَإِن تَنْهَوْا﴾: عن الشرك ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُدُّوْا﴾: لقتاله، ﴿نَعُدُّ﴾: لنصرته ﴿وَلَنْ تُغْنِيَ﴾: تدفع ﴿عَنْكُمْ فِتْنَتَكُمْ﴾: جماعتكم، ﴿شَيْئًا﴾: من المضار،

(١) في (ن): متحيزون. وهو اسم فاعل من الثلاثي المزيد «تحيز» على وزن: «متفعل» أصله «متحيوز»، اجتمعت الياء والواو في كلمة واحدة وسبقت الأولى بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت الياء في الياء.

* معجم مفردات الإبدال والإعلال في القرآن الكريم - أحمد محمد الخراط ص ٨٨.

(٢) الناسخ والمنسوخ - للنحاس (٤٦١)، تفسير الطبري (٢٠٣/٩)، منهاج الطالبين (١٣٧)، مغني المحتاج (٤/٢٢٥)، الروضة - للنووي (١٠/٢٤٧)، تيسير البيان (٣/٢٧٤، ٢٧٥).

(٣) في ابن أبي حاتم (٥/١٦٧٥/٨٩٢٠): أعز الفتتين وأكرم الفرقتين.

(٤) عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير؛ قال: كان المستفتح يوم بدر أبو جهل، وإنه قال حين التقى القوم: اللهم أينما كان أقطع للرحم وأتى لما لا نعرف، فافتح الغد، وكان ذلك استفتاحه؛ فأنزل الله تعالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾. أخرجه ابن أبي شيبة (١٤/٣٥٩، ٣٦٠/١٨٥٢١)، وأحمد (٥/٤٣١)، والطبري في جامعه (٩/١٣٨)، والنسائي (٦/٣٥٠/١١٢٠١)، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (١/٤٥٤، ٤٥٥/٦٣١، ٦٣٢)، والواحدى في أسباب النزول (١٥٧)، وابن أبي حاتم (٥/١٦٧٥/٨٩١٧) والحاكم (٢/٣٢٨)، والبيهقي في الدلائل (٣/٧٤) وسنده صحيح.

وانظر: أنوار التنزيل (٢٣٧).

(٥) في نسخة (ن)، و(د): هدايتكم.

﴿وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: بالنصر ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ﴾: كلُّ منهما، أو الرسول فطاعته طاعة الله، ﴿وَأَسْرَ تَسْمَعُونَ﴾: القرآن إطاعة، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾: إطاعة، ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ﴾: ما يذب في الأرض، ﴿عِنْدَ اللَّهِ أَلْضَمُّ﴾: عن الحق، ﴿الْبُكْمُ﴾: عنه، ﴿الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾: الحق، ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾: سماع تفهم، ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾: وقد علم أن لا خير فيهم، ﴿لَتَوَلَّوْا﴾: عنه عن القبول، أو هو إسماع قصي بن كلاب الذي طلبوا^(١) إحياءه ليشهد على نبوته، ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾: عاداتهم الإعراض، ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾: بالطاعة، ﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾: وحد الضمير لما مر، ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾: بالعلوم، أو الأعمال التي بها حياة القلب، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾: أي: نيته بفسح عزائمه، أو كناية عن غاية قربه، ﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: فيجازيكم، ﴿وَأَتَّقُوا فَتَنَةَ﴾: ذنبا، إن أصابتكم، ﴿لَا تُصِيبَنَّ﴾: أي: وبالها ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾: كظهور البدع والمداهنة^(٢) في الأمر بالمعروف كما دل عليه الحديث^(٣)، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: لمن لا يتقي، ﴿وَأَذْكُرُوا﴾: أيها المهاجرون^(٤) ﴿إِذْ أَنزَلْنَا قِيلَ لِمُتَّعِفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: مكة قبل الهجرة ﴿تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَفَكُمْ﴾: يذهب بكم بسرعة، ﴿النَّاسُ﴾: الكفار بالتعذيب، ﴿فَقَاوَنَكُمْ﴾: بالمدينة، ﴿وَأَيْدِيكُمْ بِنَصْرِهِ﴾: على الأعداء ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: الغنائم، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: نعمتي ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾: كأبي لبابة^(٥)، ﴿وَلَا﴾: لا، ﴿تَحُونُوا أُمَّنتَكُمْ﴾: بينكم، ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: خيانتكم، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾: اختبار لكم،

(١) أنوار التنزيل (٢٣٧) بلا سند ولا دليل.

(٢) التقصير والملاينة والمدارة.

(٣) سبق بيانه في سورة المائدة.

(٤) في (ن): المجاهدون، وفي (س)، و(ع): المهاجرين.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٤٦/٩)، وسعيد بن منصور في سننه (٩٨٧/٢٠٥/٥)، وابن أبي

حاتم في تفسيره (٨٩٧٥/١٦٨٤/٥)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٣٤٣٧/٦)، (٣٤٣٨/٧٨٢٨)

﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: خير منهما، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَشَاءُ اللَّهُ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾: هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل، ﴿وَيُكَفِّرُ﴾ يَسْتُرُ ﴿عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾: متفضل بذلك، ﴿و﴾: اذكر، ﴿إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: في دار الندوة ﴿لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾: من مكة فأمرناك بالهجرة ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾: برد مكرهم عليهم، ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ﴾: أعلمهم بالمكر، ﴿وَإِذَا تَنَادَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا قَالُوا﴾: عناداً والقائل: نضر بن الحارث^(١)، ﴿قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ﴾: ما، ﴿هَذَا إِلَّا أَسْطِيزُ الْأُولِينَ﴾: مسطورات أو أكاذيب من القصص، ﴿وَإِذْ قَالُوا﴾: والقائل النضر^(٢) استهزاء ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذَا﴾: القرآن، ﴿هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾: قيده به؛ لإمكان إبطارها من نحو الجبال، والأول أقطع ﴿أَوْ أَتَيْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ﴿: أي: مقيم بمكة، فلا يرد تعذيبهم ببدر، أو المراد عذاب الاستئصال ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾: أي: وفيهم من يستغفر ممن لم يستطع الهجرة من مكة، ﴿وَمَا لَهُمْ﴾: (أن) أي: كيف ﴿لَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ﴾: بعد خروجك مع المؤمنين، ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾: يمنعون المؤمنين ﴿عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: كعام الحديبية، ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾: مستحقين ولايته، ﴿إِنْ﴾: ما، ﴿أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّفُونَ﴾: الشرك، ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: عدم ولايتهم، ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً﴾: صفيراً ﴿وَتَصَدِيَةً﴾: تصفيقاً أو ضجاً، أي: جعلوهما مكانهما ﴿فَذَوْقُوا الْعَذَابَ﴾: ببدر، أو مطلقاً ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾: إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصُدُّوا عن سبيلِ اللَّهِ ﴿: هو استقراضهم لتجهيز غزوة أحد^(٣) ﴿فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ

(١) غرر التبيان (٢٦٩)، معالم التنزيل (٣/٢٣) جامع البيان (٩/١٥١، ١٥٢) وسنده ضعيف.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/١٥٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٦٨٩/٩٠٠١) بسند ضعيف والصحيح أن الآية نزلت في أبي جهل - أخرجه البخاري في صحيحه (٨/٣٠٨، ٣٠٩/٤٦٤٨، ٤٦٤٩) ومسلم (٤/٢١٥٤/٢٧٩٦).

(٣) رواه الطبري في جامع البيان (٩/١٥٩، ١٦٠) وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٦٩٧/٩٠٥٤) وسنده ضعيف.

عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ ﴿: لذهاب المال، وعدم نيل المراد ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾: آخِرًا، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾: ماتوا على الكفر ﴿إِلَّا جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ ﴿لِيَمِيزَ﴾: يفصل، ﴿اللَّهُ الْخَبِيثَ﴾^(١): الشَّقِيَّ، ﴿مِنَ الطَّيِّبِ﴾: السَّعِيدِ، ﴿وَيَجْعَلُ الْخَبِيثَ﴾: فِرَقَ^(٢) الْأَشْقِيَاءِ، ﴿بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ﴾: لآزدحامهم، ﴿فَيَرْكُمُهُ﴾: يضمه، ﴿جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أَوْلِيكَ﴾: الخبيثون، ﴿هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا﴾: عن الكفر والمعاداة، ﴿يُعَفِّرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾: من الذنوب، ﴿وَإِنْ يَبُودُوا﴾: إلى الكفر والقتال ﴿فَقَدْ مَضَّتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾: بنصر جُند الله كما في بدر، ﴿وَقَنَلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ﴾: توجد معهم، ﴿فِتْنَةٌ﴾: شرك، ﴿وَيَكُونُ الَّذِينَ كُفُّهُ لِلَّهِ﴾: لا يعبد غيره، ﴿فَإِنِ أَنْتَهُوا﴾: عن الكفر، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: فيجازيهم وإياكم^(٣)، ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: ولم ينتهوا، ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ﴾: ناصركم، ﴿نَعَمْ الْمَوْلَىٰ وَنَعَمْ النَّصِيرُ﴾: هو، ﴿وَاعْلَمُوا﴾^(٤) ﴿أَنَّمَا غَنِمْتُمْ﴾: أخذتم قَهْرًا من الكفار كما في بدر^(٥) ﴿مِن شَيْءٍ﴾: ولو حقيرا ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ حُمْسُهُ﴾: ذكره تعالى تبرُّكًا، ﴿وَاللرَّسُولِ﴾: ويصرف الآن إلى ما كان يصرفه ﷺ^(٦) فيه، ﴿وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾: منه وهم بنو هاشم وبنو المطلب ﴿وَأَيَّتَنَّى﴾: الفقراء من المسلمين ﴿وَالْمَسْكِينِ﴾: منهم الذين لا يجدون ما يكفيهم، ﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾: المسافرين والباقي من الخمس للمحاربين، امثلوا ذلك، ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا﴾: بما، ﴿أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾: محمد ﷺ من الآيات والنصر ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾: بدر، الفارق بين الحق والباطل، ﴿يَوْمَ النَّقْيِ الْجَمْعَانِ﴾: المسلمون والكفار ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: ومنه نصر القليل على الكثير، ﴿إِذْ أَنْتُمْ﴾: بدل من يوم ﴿بِالْعُدْوَةِ﴾: وسط الوادي ﴿الَّذِي﴾: القربى من المدينة ﴿وَهُمْ﴾ الكفار، ﴿بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ﴾: البعدى

(١) كذا، وكان يجب عليه تفسيرها مع ما قبلها لآمن اللبس.

(٢) كذا في (س)، و(ع)، و(ن).

(٣) في نسخة (د): فيجازيكم وإياهم.

(٤) في هامش (ن): الجزء (١٠).

(٥) وغيرها.

(٦) في (ن): عليه الصلاة والسلام.

منها، ﴿وَالرَّكْبُ﴾: الجائي من الشام بمكانٍ ﴿أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾: في ساحل البحر ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ﴾: أنتم والكفار للقتال بلا عون الله، ﴿لَا تَخْلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾: لقلتكم وكثرتهم، ﴿وَلَكِنْ﴾: تلاقيتم بلا ميعاد، ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾: في علمه من نصر حزبه ﴿لِيَهْلِكَ﴾: ليكفر، ﴿مَنْ هَلَكَ﴾: كفر، ﴿عَنْ﴾: وُضُوحٌ ﴿بَيْنَةٍ﴾: وهي نصر المؤمنين مع قلتهم، فلا يبقى له عذر، ﴿وَيَحْيَى﴾: يؤمن، ﴿مَنْ حَتَّ عَنْ بَيْنَةٍ﴾ بصيرة ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ﴾: بالأقوال، ﴿عَلِيمٌ﴾: بالنيات، ﴿إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكُمْ قَلِيلًا﴾: مع كثرتهم؛ تشجيعاً للمؤمنين والرؤيا تكون من رؤيا النبي أو من رؤيا الشيطان أو من غلبة الأخلاط ومن الأفكار، وهذه المخالفة لا تقدر في أن رؤياه حق إذ معناها أنها معتبرة لا أضغاث أحلام أو المنام محل النوم، أي: عينيك^(١) ﴿وَلَوْ أَرَدْتُمْ أَن تَسْبِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَوْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ﴾: أمر القتال معهم، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ سَكَمٌ﴾: حظه من التنازع ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: وإذ يُرِيكُمُ اللَّهُ إِذِ اتَّقَيْتُمْ﴾: قبل الالتحام ﴿فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾: حتى حسبتموهم ما بين سبعين إلى مائة، وكانوا ألفاً تشبباً لكم ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾: لئلا يستعدوا بعد الالتحام أراهم مثلهم، ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾: كما مرَّ ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾: يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ﴾: بالقتال، ﴿فِيكَ﴾: كفاراً ﴿فَاتَّبَعُوا وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾: في الحرب، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: تظفرون ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَزَوَّجُوا﴾: باختلاف الآراء، ﴿فَنَفْسُوتُمْ﴾: تجبنوا، ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾: دولتكم أو نصركم ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾: بالعناية، وأما المنازعة^(٢) بالحجة لإظهار الحق، فجائز بل مأمورٌ بشروط منها: قصد إظهار الحق على لسان أي الخصمين كان ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا﴾: فخرًا وطغيانًا، ﴿وَرِيَاءَ النَّاسِ﴾: ليشنوا على شجاعتهم كأبي جهل وأضرابه^(٣) إذ خرجوا إلى بدر، ﴿وَيَصُدُّونَ﴾: الناس، ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمَّا

(١) انظر: الفيوض الإلهية في شرح الألفية الوردية - للإمام المناوي بتحقيقي - ط/ دار الفتح.

(٢) هذه لا تسمى منازعة، وإنما مناظرة، أو محاجة - فانتبه.

(٣) تفسير الطبري (١٣/١٠) وسنده ضعيف.

يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١﴾: فيجازيهم، ﴿و﴾: اذكر، ﴿إِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ﴾: في صورة سراقه بن مالك^(٢) الكناني مع عسكر وراية ﴿أَعْمَلُهُمْ﴾ من معاداة الرسول بيدر ﴿وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ﴾: حاصل ﴿لَكُمْ﴾ من بني كنانة الذين يخافونهم ﴿الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنَّ جَارَ﴾: مُجِيرٌ ﴿لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتْ﴾: التقت ﴿الْفِئْتَانِ﴾: وكان^(٣) يده في يد حارث بن هشام، ﴿نَكَصَ﴾: رجع، ﴿عَلَى عَقْبَيْهِ﴾: هاربًا، فقال له الحارث: إلى أين فدفع في صدره ﴿وَقَالَ﴾: لهم، ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾: من الملائكة، ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾: أن يعذبني بهم، ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: فانهزم المشركون، اذكر ﴿إِذْ يَكْفُلُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾: هم قوم أسلموا بمكة وخرجوا مع قريش إلى بدر، فلما رأوا قلة المسلمين ارتدوا وقالوا: ﴿غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾: حتى تعرضوا كثرتنا^(٤)، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ينصره ﴿فَأَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غالب ﴿حَكِيمٌ﴾: في أفعاله، هذا جواب لهم، ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ﴾: بيدر لرأيت أمرا هائلا، ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ﴾: إذا أقبلوا، ﴿وَأَدْبَرَهُمْ﴾: إذا أدبروا ﴿و﴾ يقولون، ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ ذلك: العذاب، ﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ﴾: من المعاصي ﴿وَأَنَّ﴾: بأن ﴿اللَّهُ لَيْسَ بِظَلْمٍ﴾: ذي ظلم، ﴿لِلْعَبِيدِ﴾: بين في آل عمران، دأبهم ﴿كَدَّابٍ﴾: عادة ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾: الكفار، ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: ودأبهم، أنهم ﴿كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾: بالعذاب، ﴿بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ﴾: لا يغلبه أحد، ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ذلك: الأخذ ﴿بِأَنَّ﴾ الله لم يك مغيرًا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم: إلى حال أسوأ منه كقريش غيروا المجاورة والالتئام مع النبي ﷺ^(٥) وصحبه بقصد إهلاكهم، ﴿وَأَنَّ﴾ الله سميعٌ عليمٌ: ثم أكد بقوله، ﴿كَدَّابٍ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ

(١) في (ن)، و(د): حزيه. وفي (س): ضربه!! وكذا في (ع).

(٢) الوسيط - للواحد (٢/٤٦٥) ولا يصح.

(٣) كذا في جميع النسخ.

(٤) يعني اغتروا بدينهم حتى تعرضوا لعدونا وعدتنا.

(٥) في (ن): عليه الصلاة والسلام. وسقطت تمامًا من (س)، و(ع).

فَأَهْلَكْتَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ ﴿١﴾ معه ﴿وَكُلُّ﴾: من الأولين والآخرين ﴿كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿٢﴾: وأصروا على الكفر ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: لا يتوقع الإيمان منهم، ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ﴾: أخذت العهد ﴿مِنْهُمْ﴾: ألا يُعِينُوا المشركين، ﴿ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾: كقريظة^(١)، ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾: عاقبة الغدر، ﴿فَأَمَّا﴾ صلة ﴿تَتَّقَنَّهُمْ﴾: إن تظفر بهم ﴿فِي الْحَرْبِ فَشَرِدَ﴾: فرّق ﴿بِهِمْ﴾: بعقوبتهم، ﴿مَنْ خَلَفَهُمْ﴾: من المحاربين، ﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾: يتعظون ﴿وَأَمَّا تَخَافَتْ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً﴾: نقض عهد بأمانة^(٢)، ﴿فَأَنذِ﴾: فاطرح عهدهم، ﴿إِلَيْهِمْ عَلَى﴾ طريق ﴿سَوَاءٍ﴾: متوسط بأن تخبرهم بقطع العهد؛ لثلاث تنسب إلى الخيانة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا ﴿٣﴾: فاتونا كمن أفلت يوم بدر وبالغيبة^(٣) فاعله أحد و﴿الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾ مفعولاه، ﴿لأنهم لا يعجزون﴾: لا يفوتونا، ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ﴾: لقتالهم، ﴿مَا أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾: ما يتقوى به في الحرب، وفي الحديث: ﴿إنها^(٤) الرمي^(٥)﴾، ﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾: اسم خيل تربط في سبيل الله ﴿تُرْهَبُونَ﴾: تخوفون ﴿بِهِ﴾: بما استطعتم ﴿عَدُوا لِلَّهِ وَعَدُّوكُمْ﴾: كفار مكة، ﴿و﴾: كفارًا ﴿آخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾: جزاؤه، ﴿وَأَنْتُمْ لَا تظلمون﴾: بتضييع العمل^(٦) ﴿وَإِنْ جَنَحُوا﴾: مالوا ﴿لِلسَّلَامِ﴾: للصلح ﴿فَأَجْنَحْ﴾: مل ﴿لَهَا﴾: للمسالمة، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾: فيها ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا ﴿بِالصَّلَاحِ﴾: بالصلح ﴿أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ﴾: محسبك وكافيك، ﴿اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ

(١) الوسيط (٢/٤٦٧)، معالم التنزيل (٢/٢٥٧)، الجامع للقرطبي (٨/٢٠)، تفسير الرازي (١٥/١٤٦)، البحر المحيط (٤/٥٠٨).

(٢) بدليل.

(٣) يعني كما هنا «يحسبن» أي: لا يحسبن أحد.

(٤) أي: القوة.

(٥) يشير إلى حديث: «ألا إن القوة الرمي» أخرجه مسلم في صحيحه (٣/١٥٢٢) (١٦٧/١٩١٧)، وأبو داود في سننه (٢٥١٤)، والترمذي (٣٠٨٣)، وابن ماجه (٢٨١٣).

وانظر: القول التام في الرمي بالسهم - للسخاوي (٤٨/ بتحقيقي).

(٦) في (ن): العلم.

بَصْرِهِ. وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ وَالْأَفْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴿٢﴾: مع ضغائنهم ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾: على تألفهم، ﴿مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾: مع ضغائنهم، كما كان بين الأوس والخزرج ﴿وَلَا كَانَ اللَّهُ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ﴾: غالب ﴿حَكِيمٌ﴾: في أفعاله، ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضٌ﴾: بالغ في حث ﴿الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾: مع الكفار ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَبَرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾: شرط في معنى الأمر بمصابرة الواحد للعشرة، ﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: بمعنى حكم القليل كالكثير، إذ ربما لا تقاوم العشرة المائة، وتقاوم المائة الألف وهكذا ﴿يَأْتِيهِمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾: جاهلون بالله تعالى يقاتلون للدنيا فلا يثبتون في الشدة، ﴿أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾: نسخٌ للأول، ﴿وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ سَعَةً﴾: بدنيا، ﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾: بالنصر، لا يقال إن مائة من الكفار قد تغلب مائة بل مائتين منا، لأن الله تعالى شرط فيه الصبر وكذا الموافقة بيننا ظاهرًا وباطنًا على أنه يمكن كونه مخصوصًا بالصحابة^(١) ﴿مَا كَانَتْ﴾: ما صحح، ﴿لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى﴾: ولا يقتلهم، ﴿حَتَّى يُشْرَكَ﴾: يكثر القتل، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: وبعد ذلك خيره بينه وبين المن، إذ المقصود إذلال الكفر، ﴿تُرِيدُونَ﴾: تختارون، ﴿عَرَضٌ﴾: حطام، ﴿الدُّنْيَا﴾: بأخذ فدائهم، ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ﴾: يختار، ﴿الْآخِرَةَ﴾: أي: ثوابها، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾: غالب، ﴿حَكِيمٌ﴾: يعلم ما يليق بكل حال ﴿لَوْلَا كُنْتُ مِنَ اللَّهِ سَبَقُ﴾: في اللوح أنه لا يعاقب المخطئ في اجتهاده أو أهل بدر ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾: من الفداء ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿فَكُلُوا مِمَّا عَنِتُّمْ﴾: ومنه الفدية، أكلاً ﴿حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: في مخالفته ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾: لما أسلفتم ﴿رَحِيمٌ﴾: برحمته، أباح لكم الفداء، دلَّ على أن الأنبياء يجتهدون وقد يخطئون^(٢) ولكن لا يقرون عليه ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لَمِنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأُسْرَى﴾: كعباس ومن أسر معه^(٣)، ﴿إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾: إيمانًا وإخلاصًا،

(١) وهذا جائز دلالة التخصيص «منكم» لكن كرم الله لا حد له.

(٢) هذه مسألة خلافية، والأولى أن يقال فيها: إنه فعل خلاف الأولى؛ احترامًا لمقام النبوة.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/ ٣٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٧٣٧/ ٩١٧٨)، والبيهقي في

﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ﴾: من الفداء، ﴿وَعَفِّرْ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وإن يُرِيدُوا: ﴿الْأَسَارَى﴾ ﴿خِيَانَتِكَ﴾: بنقض العهد ﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ﴾: بخروجهم مع المشركين، ﴿فَأَمْكَنَ﴾: أمكنك، ﴿مِنْهُمْ﴾: يوم بدر، وإن يعودوا نعد، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بخيانتهم، ﴿حَكِيمٌ﴾: بتدبيرهم، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا﴾: أسكنوا المهاجرين منازلهم، ﴿وَنَصَرُوا﴾: هم ﴿أَوْلِيَاكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾: في الميراث دون أقاربهم ثم نسخ بالموارث^(١)، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يهاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَدَّعِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾: بالفتح في النسب والنصرة، كما أنه بالكسر^(٢) في الإمارة ولا يرثونكم ولا يشاركونكم في الغنيمة، ﴿حَتَّى يهاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرْتُمْ فِي الَّذِينَ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ﴾: نصرتهم على المشركين، ﴿إِلَّا عَلَى قَوْمٍ مَبْيَنَاتٍ وَمِنْهُمْ مِثْقُ﴾: فلا تنقضوه بنصرتهم، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: فيجازيكم به، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾: في الإرث والنصرة ﴿إِلَّا تَفَعَّلُوهُ﴾: أي: المأمور المذكور ﴿تَكُنْ﴾: تحصل ﴿فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾: في الدين بقوة الكفر، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أَوْلِيَاكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾: إيماناً، ﴿حَقًّا﴾: صدقاً، ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: في الجنة ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ﴾: بعد الهجرة الأولى، وهي ما قبل الحديبية، ﴿وَهَاجَرُوا﴾: بعدها، وقبل فتح مكة ﴿وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأَوْلِيَاكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ﴾: القرابات، ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾: في التوارث من الأجانب، ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾: القرآن، نسخ به حكم الآية السابقة والاستدلال به على توريث ذوي الأرحام ضعيف؛ لأنه قيده بما في القرآن، وليس فيه إلا أهل الفرائض والعصبات، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: ومنه إناطة^(٣) الإرث بنسبة الإسلام أولاً، وبالقرابة ثانياً. [والله أعلم

=====

= الدلائل (١٤٣/٣) وسنده حسن.

(١) المستدرک (٤/٣٤٤، ٣٤٥)، تفسير ابن أبي حاتم (٥/١٧٤٢، ١٧٤٣/١٧٤٣، ٩٢٠٦).

(٢) قرأ حمزة والأعمش وابن وثاب والأخفش: «ولايتهم» بكسر الواو.

* إتحاف الفضلاء (٢٣٩)، السبعة (٣٠٩)، غيث النفع (٢٣٥)، النشر (٢/٢٧٧).

(٣) رَظ. (٣)



(١) من (ن)، و(ح)، و(د)، وفي (ع): والله سبحانه وتعالى الموقِّف.

«سورة التوبة»^(١) مكية وقيل: مدنية^(٢)

الصواب أن النبي - ﷺ - أمر بوضعها بعد الأنفال وحذف^(٣) التسمية وحيها^(٤)، صرح به المحققون كالقاضي أبي بكر^(٥)، والإمام^(٦) وغيرهم، ولما حكم بموالة المؤمنين عقبه بالأمر بمعادة المشركين فقال: هذه ﴿بِرَاءَةٌ﴾: انقطاع عصمة، ﴿مَنْ أَلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: واصلة، ﴿إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: أي: هما بريئان من عهد عاهدتموه فانبدوه ولا عهد بعده، ﴿فَسِيحُوا﴾: سيروا أيها المشركون، ﴿فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾: من يوم النحر من سنة تسع إلى عاشر ربيع الآخر ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّهُمْ غَيْرُ مَعْرُوزِي﴾: فاتتي، ﴿اللَّهُ﴾: وإن أمهلكم، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي﴾: مُذَلُّ ﴿الْكَافِرِينَ﴾: في الدارين ﴿وَأَذَنٌ﴾: إعلام، أبلغ - ﷺ - أبا بكر وهو أمير الحاج بعلي ليقراها على الحاج وقال: «لا يُؤدِّي عَنِّي إِلَّا رَجُلٌ مَنِّي»^(٧)؛ لأن عادة العرب ألا يتولى العهد ونقضه إلا رجل منهم كما يفهمه بعض الروايات، ﴿مَنْ أَلَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾: النحر أو عرفة أو أيام الحج والأصغر العمرة.

* **تنبيه:** قد اشتهر وصف الحج بالأكبر إذا كان الوقفة يوم الجمعة^(٨)، ولعله

(١) في (ن): سورة براءة مدنية. وفي باقي النسخ: سورة التوبة: مدنية.

(٢) في نسخة (د): مائة وتسع وعشرون آية، وعند البصريين ثلاثون، وهي آخر سورة نزلت بالمدينة غير آيتين: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ .. إلى آخر السورة كلماتها (٢٤٩٧) وحروفها (١٠٨٨٧).

* عدد سور القرآن (٢٤٧)، التبيان (١٦٠)، القول الوجيز (١٩٩) البصائر (٢٢٧).

(٣) في (ن): حذف.

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه (٥/٢٥٤/٣٠٨٦) وابن حبان (١/١٢٥/إحسان) وأبو داود (١/٢٠٨)، (٧٨٦/٢٠٩) وأحمد (١/٥٧)، والحاكم (٢/٣٣٠) وصححه.

(٥) يعني: ابن العربي.

(٦) الفخر الرازي.

(٧) أخرجه الترمذي (٥/٣٥٧/٣٠٩١)، وأحمد (٣/٢٨٣)، والطبري في جامع البيان (١٤/١٠٧)، (١٠٨/١٦٣٧٧).

(٨) انظر: تثقيف الألسنة بتعريف الأزمنة - للعلامة الشبلي (١٤٦/بتحقيقي).

لحديث: «يوم الجمعة أفضل الأيام إلا يوم عرفة، وإن وافق يوم الجمعة فهو أفضل من سبعين حجة في غير يوم الجمعة»^(١) أخرجه رزين ولحديث: «إذا كان يوم الجمعة غفر الله لجميع أهل الموقف»^(٢)، ولأن في يوم الجمعة ساعة الاستجابة، ولأن فيها موافقة النبي، فإن وقفة حجة الوداع كانت في الجمعة، وقد يستشكل الحديث الثاني بأنه ورد مثله في مطلق الحج، ويمكن حمل ذلك على مغفرتهم بلا واسطة، وحمل هذا على أن يهب قوما لقوم، والله تعالى أعلم، ﴿أَنَّ﴾: بَأَنَّ، ﴿اللَّهُ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ﴾: عن الشرك ﴿فَهُوَ﴾ فالتوب، ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾: عن التوبة ﴿فَاعَلَمُوا أَنكُمْ عِزٌّ مُّعْجِزِي﴾: فاتني عقاب ﴿اللَّهُ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: إلا: لكن ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَهُمْ شَيْئًا﴾: من شروط العهد ﴿وَلَمْ يَظْهَرُوا﴾: يعاونوا ﴿عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾: من أعدائكم، ﴿فَاتَّبِعُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى﴾: تمام ﴿مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ في نقض العهد ﴿فَإِذَا أَنْسَلَخَ﴾: انقضى، ﴿الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾: هي مدة عهد غير الناقض وأربعة أشهر لغيره، ﴿فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾: كافة، ﴿حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾: من حل أو حرم ﴿وَخَذُواهُمْ﴾: وأسروهم^(٣)، ﴿وَاحْضَرُوهُمْ﴾: احبسوهم، ﴿وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾: ممر؛ لثلاثا ينسطوا في البلاد ﴿فَإِن تَابُوا﴾: عن الشرك ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾: دعوهم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: لمن تاب، ﴿وَإِن أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: بعد الانسلاخ، ﴿اسْتَجَارَكَ﴾: استأمنك من القتل، ﴿فَأَجْرُهُ﴾: أمنه، ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾: ويتدبر فيه ﴿ثُمَّ أَلْبَغْهُ مَأْمَنَهُ﴾: أي: هو مستمر الأمان إلى أن يرجع إلى بلاده إن لم يسلم، ﴿ذَلِكَ﴾: الأمان، ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾: ما الإسلام، فأمنوهم ليعرفوا ﴿كَيْفَ﴾: أي: لا ﴿يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: يوم الحديبية، هم المستثنون قبل ﴿فَمَا اسْتَقَمُّوا لَكُمْ﴾: بالوفاء ﴿فَأَسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾: بالوفاء ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾: كما مر ﴿كَيْفَ﴾: لهم عهد، ﴿وَإِن يَظْهَرُوا﴾: يظفروا، ﴿عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ﴾: لا

(١) لا يصح.

(٢) فضائل الشهور والأيام (٢٩٠).

(٣) والأخذ: الأسير.

يراعون في شأنكم، ﴿إِلَّا﴾: حلفاً وقرابة، ﴿وَلَا ذِمَّةَ﴾: عهداً، ﴿يُرْضَوْنَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ﴾: ما قالوا، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَسِيقُونَ﴾: متمردون ﴿أَشْتَرُوا﴾: استبدلوا، ﴿وَعَايَنْتَ اللَّهُ تَمَنَّا قَلِيلاً﴾: هو اتباع الشهوات ﴿فَصَدَّوْا﴾: الناس ﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾: دينه، ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ لا يَقُوبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا﴾: حلفاً^(١)، ﴿وَلَا ذِمَّةَ﴾: عهداً ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾: المتجاوزون الحد في الظلم ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ﴾: فهم إخوانكم ﴿فِي الدِّينِ وَنُقِضَ﴾: نبين ونكرر، ﴿الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: فيتأملون فيها ﴿وَإِنْ نَكَثُوا﴾: نقضوا ﴿أَيْمَانَهُمْ﴾: مواعيقهم، ﴿مَنْ بَعَدَ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَبَلْتُمُ أَيِّمَةَ الْكُفْرِ﴾: أي: قاتلوهم فإنهم أئمتهم، ﴿إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ﴾: عهدوا موثوقاً عليها، ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾: يرجعون، والاستدلال به على أن يمين الكافر ليس بيمين ضعفه ظاهر ﴿أَلَا تَقْبَلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ﴾: أهل مكة ﴿وَهُمْ يُخْرِجُونَ الرِّسُولَ﴾: كما مر، ﴿وَهُمْ بَدَّءُواكُمْ﴾: بالقتال، ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: يوم بدر بعد ما نجا غيرهم، ﴿أَتَخَشَوْنَهُمْ﴾: في قتالهم، ﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ﴾: بمقاتلتهم، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: فإن المؤمن لا يخشى غيره ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ﴾: يذلهم، ﴿وَيَضْرِبُكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾: الذين كانوا متأذين منهم، ﴿وَيُدْهِبُ غَيْظَ﴾: كَرَب ﴿قُلُوبِهِمْ﴾: لما لقوا منهم ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾: كأبي سفيان^(٢) وأضرابه ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بالكائنات ﴿حَكِيمٌ﴾: في أفعاله، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾: أيها المؤمنون، ﴿أَنْ تُتْرَكُوا﴾: مَهْمَلِينَ ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ﴾: بعد، علم ظهور ﴿الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ﴾: بطانة أولياء يفتشون إليهم أسرارهم، ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ما كان: ما صحح، ﴿لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا﴾: بالدخول والقيود ﴿مَسْجِدَ اللَّهِ﴾: فضلاً عن المسجد الحرام، ﴿شَهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ﴾: كقولهم في الطواف: لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك^(٣).

(١) أنوار التنزيل (٢٤٨) والإل: الحال الظاهرة من عهد وحلف وقرابة. * عمدة الحفاظ (١/١٠٣).

(٢) وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو، تاب الله عليهم وهداهم للإسلام. * الوسيط (٢/٤٨٢).

(٣) تلبية العرب - لقطرب (١١٦)، إغائة اللهفان (٢/٢٥٩)، المحبر (٣١١)، المفصل (٦/٢٦٦) وهي

مع قولهم: نحن نعبد اللات والعزى، ﴿أُولَئِكَ حِطَّتْ﴾: بطلت ﴿أَعْمَلُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ (١) اللَّهِ: بنحو البناء والتزيين بالفرش والسرج والعبادة وترك حديث الدنيا، ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: سكت عن الرسول لأنه لا يتم إلا به، ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ﴾: أحداً ﴿إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾: آيسهم وخوف المؤمنين بعسى ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: أي: أهلهما، ﴿كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوِينَ عِنْدَ اللَّهِ﴾: بل المجاهدون (٢) أفضل، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: بالشرك، ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْثَرُ دَرَجَةً﴾: رُتَبَةً ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾: ممن لم يستجمعهما، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾: بالنجاة الكلية، ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتْ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾: دَائِمٌ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: يستحقرُّ دونه كلُّ نعيم الدنيا ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءِآبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾: أصدقاء، ﴿إِنِ اسْتَحْبَبُوا﴾: اختاروا ﴿الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾: قُلْ إِنْ كَانَ ءِآبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ: أقاربكم، ﴿وَأَمْوَالٌ أَقْرَبْتُمُوهَا﴾: اكتسبتموها ﴿وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾: عدم نفاقها (٣)، ﴿وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا﴾: تستطيبنها، ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ﴾: حُبًّا اختياريًّا لا طبعيًّا إذ لا يكلف به ﴿مَنْ أَلَّهَ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾: عقابه، قيل هو فتح مكة (٤)، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾: فيه تشديد، قُلْ مَنْ يَتَخَلَّصَ عَنْهُ ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ﴾: أوقات الحرب، هذا

= تلبية قريش، وانظر: أديان العرب في الجاهلية - للعلامة محمد نعمان الجارم ص ٣٦.

وزاد بعده: أبو بنات في فذلك. اهـ.

(١) في هامش (ن): مَسَاجِدُ: حفص.

(٢) في نسخة (ن)، و(د): المجاهد.

(٣) رواجها.

(٤) الوسيط (٢/٤٨٧)، معالم التنزيل (٢/٢٧٧)، البحر المحيط (٥/٢٣)، تفسير القرطبي (٨/٦٢).

كقولك مقتل حسين^(١)، ﴿كَثِيرَوٌ﴾: نصركم، ﴿يَوْمٌ﴾: قتالكم في، ﴿حُنَيْنٍ﴾: مع هوازن بعد فتح مكة، وهو^(٢) واد بين مكة والطائف ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾: كانوا اثني عشر ألفا، والكفار أربعة آلاف، فقال أحدهم إعجابا: لن نغلب اليوم من قلة ﴿فَلَمْ تُغْنِ﴾: لم تدفع الكثرة ﴿عَنْكُمْ شَيْئًا﴾: من أمر العدو ﴿وَصَافَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ﴾: برحبها وسعتها خوفا ﴿ثُمَّ وَايَأْتُمْ﴾: فررتم ﴿مُدْرِبِينَ﴾: منهزمين ولم يبق مع النبي - ﷺ - إلا العباس وأبو سفيان بن الحارث^(٣)، وقيل: إلا عشرة منهم الشيخان^(٤) وعلي والعباس، ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾: رحمة سكنوا بها، ﴿عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾: فناداهم عباس بأمر النبي - ﷺ - فكروا عنقا^(٥) واحدا قائلين: لبيك لبيك، ﴿وَأَنْزَلَ﴾: من الملك، ﴿جُنُودًا لَوْ تَرَوْهَا﴾: لكن سمعوا أصواتا من السماء ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: بالقتل والسبي^(٦) فأسر ستة آلاف ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾: لمن أسلم منهم، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: لمن تاب، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾: باطنا ودينا، أو عينا ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾: أي: امنعوهم من الحرم، وظاهره تكليفهم بالفروع ﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾: السنة التاسعة، ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾: فقرا بانقطاع المتاجر بمنعهم ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾: عطائه ﴿إِنْ شَاءَ﴾: فعوضهم بالجزية وأموال البلدان، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾: بأحوالكم، ﴿حَكِيمٌ﴾: في أفعاله، ﴿فَتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: إيمانا كما ينبغي، ﴿وَلَا يُحْرِمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾: كالخمر والربا، ﴿وَلَا يَدِينُونَ﴾: يعتقدون، ﴿دِينَ الْحَقِّ﴾: الثابت الناسخ لغيره، ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ﴾: عن

(١) يعني: وقت مقتله.

(٢) يعني حنين.

(٣) رواه البخاري (٦/١٠٥/٢٨٦٤)، مسلم (٣/١٤٠٠/١٧٧٦).

(٤) أبو بكر وعمر.

(٥) طائفة أو جماعة.

(٦) الوسيط (٢/٤٨٨).

غني أوَّلاً بالإرسال أو يد قاهرة عليهم، أي: أذلاء، ﴿وَهُمْ صَغُرُونَ﴾: ذليلون، وتؤخذ ممن له شبهة كتاب أيضاً كالمَجُوس^(١) لعمل النبي - ﷺ - كذا عند الشافعي^(٢)، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾: أي: بعضهم مع سكوت الباقيين، ﴿عُزَيْرُ بْنُ اللَّهِ﴾: لأنه بعث بعد موته^(٣)، وأملى التوراة عليهم بعدما كانت منسية لكلهم، ﴿وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾: أي: مهممل لا معقول له أو تأكيد لنفي التجوز، ﴿يُضْكَهْتُونَ﴾: يشابهون به، ﴿قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾: أي: قُدماءهم فيقلدوهم، ﴿فَنَلَّهُمُ اللَّهُ﴾: أهلكتهم الله، تعجب من شناعة قولهم، ﴿أَنفُ﴾: كيف، ﴿يُؤْفَكُونَ﴾: يُصرفون عن الحق ﴿أَتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ﴾: علماء اليهود، ﴿وَرُهْبَانَهُمْ﴾: زُهَّاد النصارى ﴿أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: يطيعتهم دونه في التحريم والتحليل، أو كما مر في الأنعام، ﴿وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾: بأنه هو أو ابنه، ﴿وَمَا أُمِرُوا﴾: في كتبهم، ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾: هو الله، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ﴾: تنزيها له، ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يُريدون أن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ: دينه، ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾: بتكذيبهم أو شبههم بمن يريد إطفاء نُورٍ عظيم^(٤) بنفخة، ﴿وَيَأْتِي﴾: لا يرضى، ﴿اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ﴾: يظهر ﴿نُورَهُ﴾: دينه بإعلاء كلمته، ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾: إتمامه، ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى﴾: بالمعجزات، ﴿وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ﴾: لِيُغْلِبَهُ ﴿عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾: بنسخه، ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾: ذلك، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُفُونَ﴾: يأخذون، ﴿أَمْوَالَ

(١) رواه البخاري (٣/١١٥١/٢٩٨٧) كتاب الجزية والموادعة - باب: ما جاء في أخذ الجزية من اليهود والنصارى والمجوس والعجم.

(٢) الأم (٤/١٧٣)، سنن البيهقي (٩/١٨٨)، معرفة السنن والآثار (١٣/٣٦٧) الحاوي الكبير (٩/٢٢٣)، شرح مسلم (١٢/٣٩) وذهب مالك إلى قبول الجزية من كل مشرك واستثنى أبو حنيفة مشركي العرب.

* الكافي لابن عبد البر (٢١٧)، أحكام القرآن - للجصاص (٤/٢٨٣)، البحر الرائق (٥/١٢٠).

(٣) مائة عام.

(٤) كنور الشمس.

النَّاسِ بِالْبَطْلِ ﴿١﴾: بالرشوة، في تغيير الأحكام، ﴿وَيَصُدُّونَ﴾: الناس، ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾: كالأحبار والرهبان، والكنز مال لم تؤد زكاته للحديث^(١)، ﴿وَلَا يُفْقُونَهَا﴾: الكنوز أو الفضة فالذهب أولى ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: يَوْمَ يُحْمَى: يوقد، ﴿عَلَيْهَا﴾: على الكنوز ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى﴾: تُحْرَقُ ﴿بِهَا﴾: بالكنوز ﴿جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ﴾: خصها بالذكر؛ لاشتمالها على الأعضاء الرئيسة التي بها أصول الجهات الأربع ولعبوسهم عند السائل وميلهم وتوليتهم، فيوسع جلدهم حتى يسع الكل، يقال لهم: ﴿هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا﴾: وبال، ﴿مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾: والآية عامة، ﴿إِنَّ عَذَابَ﴾: مبلغ عدد، ﴿الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ﴾: أي: لا بابتداع الناس، ﴿أَشْأَعَشَرَ شَهْرًا﴾: كائِنْ^(٢)، ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾: اللوح، ثابت، ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾: رَجَب، وذو القعدة، وذو الحجة، ومحرم، ﴿ذَلِكَ﴾: التحريم، ﴿الَّذِينَ أَلْفَمُوا﴾: القويم، أي: الحساب المستقيم، لا ما يفعله العرب من نساء^(٣) الشهور ﴿فَلَا تَظْلَمُوا﴾: بالمعاصي، ﴿فِيهِنَّ أَنْفُسُكُمْ﴾: فَإِنَّ الْمَعَاصِيَ فِيهَا أَعْظَمُ وَزُرًّا، فهو مثل: ﴿فَلَا رَفَثَ﴾... إلى آخره^(٤)، والجمهور على أن تحريم ابتداء القتال فيها منسوخ^(٥)، ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾: جميعا في كل الشهور ﴿كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾: إِنَّمَا النَّسِيءُ: تأخير تحريم شهر إلى شهر آخر بالمحاربة في الأول، وتركها في الثاني، ﴿زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾: لزيادة ما يكفر به، فإنه تحليل حرام وعكسه،

(١) قال ابن عباس: لا يؤدون زكاتها، وما أدَّى زكاته فليس بكنز- رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٠٥٢٠) وعن ابن عمر مرفوعا: «كل مال أدى زكاته فليس بكنز وإن كان مدفونا تحت الأرض، وكل مال لا تؤدى زكاته فهو كنز وإن كان ظاهرا». رواه البيهقي في السنن (٨٢/٤)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٢٤٩)، والترغيب (١/٢٦٤).

(٢) كذا في (د)، و(ن).

(٣) التأخير.

(٤) سورة البقرة.

(٥) الجامع للقرطبي (٨/١٣٥).

﴿يُضَلُّ بِهِ﴾: بالنسيء، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ﴾: أي: النسيء من الأشهر الحرم، ﴿عَامًا﴾: فيقاتلون فيه، ويحرمون شهرا آخر بدله ﴿وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا﴾: بتركه على حرمة، ﴿لِيُؤَاطِفُوا﴾: ليوافقوا ﴿عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾: وهي أربعة أشهر في كل سنة من أي وقت يكون ﴿فِيحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لِهَمِّ سُوءِ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾: في علمه، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ﴾: والقائل^(١) النبي - ﷺ -، ﴿انْفِرُوا﴾: اخرجوا ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: كغزوة تبوك ﴿أَنَاقَلْتُمْ﴾: تباطأتم مائلين ﴿إِلَى﴾ إقامة ﴿الْأَرْضِ﴾، أرضكم، ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: بدلا ﴿مِنَ الْآخِرَةِ﴾ الجنة ﴿فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: التمتع بها، ﴿فِي﴾ جنب ﴿الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾: إِلَّا نَفِرُوا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: في الدارين ﴿وَيَسْتَبْدِلُ﴾: منكم، ﴿قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾: مُطِيعِينَ ﴿وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا﴾: بالتناقل، ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: ومنه تبدليكم ﴿إِلَّا نَضُرُّهُ﴾: النبي - ﷺ -، فينصره الله ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: من مكة، وإسناد الإخراج إليهم لهمم به، أو لأنه بسببهم، حال كونه، ﴿ثَاقِبٌ﴾: واحد، ﴿أَثْنَيْنِ﴾: هو وأبو بكر^(٢)، ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾: من جبل ثور ثلاثة أيام، ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾: أبي بكر حين طلع عليهم الكفار لطلبهما فأشفق على محمد - ﷺ -، ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾: بالعصمة، ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾: أمته، ﴿عَلَيْهِ﴾: على محمد أو صاحبه؛ لأنه حزن فاحتاج إليها^(٣)، ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾: الملائكة حرسوه في الغار وغيره، ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أي: دعوة الشرك، ﴿السُّفْلَى﴾: المغلوبة، ﴿وَكَالِمَةَ اللَّهِ﴾: التوحيد، ﴿هِيَ الْعُلْيَا﴾: الغالبة، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في أمره ﴿حَكِيمٌ﴾: في تدبيره، ﴿انْفِرُوا﴾: إلى تبوك ﴿خِفَافًا﴾: من السلاح أو ركبانا،

(١) الوسيط (٢/٤٩٥) وكان ذلك في غزوة تبوك - أنوار التنزيل (٢٥٤)، وتثقيف الألسنة - للشبلي (٧٩/ بتحقيقي).

(٢) على رغم أنف الروافض.

(٣) يعني السكينة.

﴿وَتَقَالَا﴾: مع السِّلَاحِ أَوْ مِشَاءً ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ لَكُمْ﴾
 الجهاد ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: من التَّشَاقُلِ ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أهل العلم فلا تتأقلوا، ثم لَمَّا
 شَقَّتْ عَلَيْهِمْ خَصَّتْ بِقَوْلِهِ ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ﴾ الآية، ونزل في المنافقين
 المخلفين: ﴿لَوْ كَانُوا﴾: مَا دُعُوا إِلَيْهِ، ﴿عَرَضًا﴾: نَفْعًا دُنْيَوِيًّا، ﴿قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾:
 مُتَوَسِّطًا، ﴿لَا تَبْعُوكُ﴾: المنافقون، ﴿وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾: المسافة التي تقطع
 بمشقة ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾: بعد الرجوع، ﴿لَوْ أَسْتَطَعْنَا﴾: بَدَأًا وَمَالًا، ﴿لَخَرَجْنَا
 مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾: بِالْحَلْفِ الْكَاذِبِ، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ عَفَا اللَّهُ
 عَنْكَ: فِي إِذْنِهِمُ لِلتَّخْلِيفِ عَفَا قَبْلَ بَيَانِ الْحَرَمِ كَمَا هُوَ دَأْبُ الْحَبِيبِ مَعَ حَبِيبِهِ، ﴿لَمْ
 أَذْنَتْ لَهُمْ﴾: فِي الْقَعُودِ، وَمَا تَوَقَّعْتَ، ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾: فِي الْعُدْرِ،
 ﴿وَتَعْلَمُ الْكَاذِبِينَ﴾: فِيهِ، ﴿لَا يَسْتَنْدِثُكَ﴾: بِمَعْنَى النَّهْيِ، كَلَّا رَفَثَ، ﴿الَّذِينَ
 يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: فِي التَّخْلِيفِ كِرَاهَةً ﴿أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ
 عَلَيْهِمُ بِالْمُتَّقِينَ﴾: فَمِثْلِهِمْ ﴿إِنَّمَا يَسْتَنْدِثُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَرَاتَبَتْ
 قُلُوبَهُمْ﴾: فِي الدِّينِ ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾: يَتَحَيَّرُونَ ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ﴾:
 مَعَكَ ﴿لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾: مِنَ الزَّادِ وَالْمَرْكَبِ، فَإِنَّهُمْ مَتَمُولُونَ، ﴿وَلَكِنْ﴾: تَتَبَطَّأُوا؛ لِأَنَّهُ
 ﴿كَرِهَ اللَّهُ أَنْبِعَاءَهُمْ﴾: نَهَضَهُمْ لِلخُرُوجِ وَعَلَى هَذَا الْحَمْلِ لَا يُرَادُ عَلَى
 الْاسْتِدْرَاكِ، ﴿فَتَبَطَّأَهُمْ﴾: حَبَسَهُمْ عَنِ الْخُرُوجِ ﴿وَقِيلَ﴾: لَهُمْ، وَالْقَائِلُ: الشَّيْطَانُ
 بِوَسْوَاسَتِهِ أَوْ بَعْضُهُمْ، ﴿أَقْعُدُوا﴾: أَمْرٌ تَهْدِيدٌ ﴿مَعَ الْقَتْلِ عِدَّةٍ﴾: مِنْ نَحْوِ النِّسَاءِ
 ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾: فَسَادًا عَلَى فَسَادِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ مَعَكُمْ
 ﴿وَلَا وَضَعُوا﴾: أَسْرَعُوا رُكَابَهُمْ مَجَازًا عَنْ نَمَائِمِهِمْ^(١)، ﴿خَلَلَكُمْ﴾: بَيْنَكُمْ،
 ﴿رَبَعُونَكُمْ﴾: يَرِيدُونَ لَكُمْ، ﴿الْفِتْنَةَ﴾: فَأَمْرُهُمْ بِالخُرُوجِ لِقَطْعِ الْحِجَّةِ، وَإِظْهَارِ
 نِفَاقِهِمْ ﴿وَفِيكُمْ سَمْعُونَ﴾: مُطِيعُونَ، ﴿لَهُمْ﴾: لِحَدِيثِهِمْ، ﴿وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ بِالظَّالِمِينَ﴾:
 فِي جَازِيهِمْ، ﴿لَقَدْ اسْتَعَاذَ الْفِتْنَةَ﴾: بِتَشْبِيْطِ^(٢) أَمْرِكَ، ﴿مِنْ قَبْلِ﴾: كَيَوْمِ أَحَدٍ، حِينَ^(١)

(١) جمع نَمِيمَة.

(٢) فِي نَسْخَةِ (ن)، وَ (د): بِتَشْبِيْطِ.

رجع ابن أبي وصحبه، ﴿وَقَلَّبُوا﴾: دَبَّرُوا ﴿لَكَ الْأُمُورَ﴾: الحيل في كيدك، ﴿حَقًّا جَاءَ الْحَقُّ﴾: النصر الإلهي ﴿وَوَظَهَرَ﴾: غلب ﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾: دينه، ﴿وَهُمْ كَرِهُوا﴾: وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَتَذَّنَ لِي: ﴿فِي الْقَعُودِ، وَهُوَ الْجَدُّ^(٢) بِنِ قَيْسٍ، ﴿وَلَا نَفْتَيْ﴾: بِنَاتِ الْأَصْفَرِ^(٣) وَهُوَ اسْمُ جِنْسِ مَلِكِ الرُّومِ ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾: بتخلفهم^(٤)، ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾: الآن لإحاطة أسبابها ﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ﴾: كظفر وغنيمة ﴿تَسُوهُمُ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ﴾: كما في أحد ﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا﴾: مِنَ الْحَزْمِ بِالتَّخْلِيفِ ﴿وَمِن قَبْلِ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُوا﴾: بما أصابكم ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ﴾: فِي اللَّوْحِ ﴿لَنَا هُوَ مَوْلَانَا﴾: متولي أمرنا، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فليتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾: لا غير ﴿قُلْ هَلْ تَرْتَضُونَ﴾: تنتظرون، ﴿بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾: النَّصْرَ أَوْ الشَّهَادَةَ ﴿وَمَنْ تَرْتَبِصْ بِيكُمُ﴾: أَحَدَ السُّوْئِيْنَ، ﴿أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ﴾: مِنَ السَّمَاءِ، ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾: بِالْإِذْنِ فِي قِتَالِكُمْ، ﴿فَتَرْتَبِصُوا﴾: عَاقِبْنَا، ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرْتَبِصُونَ﴾: عَاقِبْتُمْ، ﴿قُلْ﴾: لِمَنْ قَالَ: ائِذْنَ، ﴿أَنْفِقُوا طَوْعًا﴾: طَائِعِينَ، ﴿أَوْ كَرْهًا﴾: كَارِهِينَ، ﴿لَنْ يُنْقَلَ مِنْكُمْ إِتِّكُمُ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾: خَارِجِينَ عَنِ الدِّينِ، ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ﴾: أَي: قَبُولَهَا، ﴿إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: أَي: إِلَّا كَفَرَهُمْ بِهِمَا، ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كَسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ﴾: فَلَا تُعْجِبُكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ: فَإِنَّهَا اسْتِدْرَاجٌ، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾: أَنْ يُعَذِّبَهُمْ، ﴿بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: بِالتَّعَبِ فِي جَمْعِهَا وَحَفْظِهَا ثُمَّ تَلْفِئُهَا بِلَا تَمْتَعَهُمْ، ﴿وَتَرْهَقَ﴾: تَخْرُجُ بِالصَّعُوبَةِ، ﴿أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾: سِيَئَاتِي بَيَانَهَا فِي آيَةِ ﴿وَلَا تُعْجِبُكَ﴾، ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ بِمِنْكُمْ﴾: لِنِفَاقِهِمْ ﴿وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ

(١) فِي (ن): يَوْمٌ.

(٢) فِي (ن): الْحَزْمُ.

(٣) وَهُوَ يُطْلَقُ عَلَى أَهْلِ أَوْرَبَا، فَيُقَالُ لَهُمْ: بَنُو الْأَصْفَرِ.

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ (٦/١٨٠٩/١٨٠٩)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ (٢/٣٠٨/٢١٥٤)، وَ

(١٢/١٢٢/١٢٩٥٤) وَالْأَوْسَطُ (٥/٣٧٥/٥٦٠٤)، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ

(٢/٦٤٤/١٧٢٠) وَسَنَدُهُ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

يَفْرُقُونَ ﴿ يَخَافُونَ الْفَرِيقَيْنِ ﴾ ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأًا ﴾ ﴿ كَحَصْنٍ ﴾ ﴿ أَوْ مَغْرَبَاتٍ ﴾ :
 سرايب، ﴿ أَوْ مَدْخَلًا ﴾ : نفقًا يدخلونه، ﴿ لَوْلَوْ ﴾ : أقبلوا، ﴿ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴾ : يسرعون
 كالفرس الجموح^(١)، فرارا لضيقهم في أيديكم ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ ﴾ : يعيبك ﴿ فِي ﴾ :
 قسم^(٢)، ﴿ الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَاهُمْ يَسَخُطُونَ ﴾ : يعييون
 ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ : من الغنيمة والصدقة ﴿ وَقَالُوا حَسْبُنَا ﴾
 ﴿ كَافِينَا ﴾ ﴿ اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ ﴾ ﴿ غَنِيمَةً أَوْ صَدَقَةً أُخْرَى ﴾ ، ﴿ إِنَّا إِلَى اللَّهِ ﴾
 ﴿ رَازِعُونَ ﴾ : في إغنائنا لكان خيرًا لهم، ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ ﴾ : الزكوات مصروفة،
 ﴿ لِلْفُقَرَاءِ ﴾ : من لا مال له، ولا كسب يقع موقعًا من حاجته كأنه أصيب فقاره،
 ﴿ وَالْمَسْكِينِ ﴾ : من له مال أو كسب لا يكفياه كأن العجز أسكنه، ﴿ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا ﴾ :
 الساعين في تحصيلها كالجابي والقاسم والقيم والكاتب والحاسب، ﴿ وَالْمَوْلَفَةَ ﴾
 ﴿ فُلُوقِهِمْ ﴾ : من يعطى ليحسن إسلامه، أو ليسلم نظراؤه، ﴿ وَفِي ﴾ : فك ﴿ الرِّقَابِ ﴾ :
 بإعانة المكاتب، دل بفي على أن الاستحقاق للجهة، وتكرير العامل في الكل لتأكيد
 الحاجة ﴿ وَالْعَظِيمِينَ ﴾ : المديونين الذين استدانوا غير معصية، أولها^(٣) وتابوا، وليس
 لهم وفاء، أو لإصلاح ذات البين^(٤)، ﴿ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ : غزاة لا حق لهم في الديوان
 ﴿ وَأَبْنِ السَّبِيلِ ﴾ : المسافر المتقطع عن مال فرض لهم، ﴿ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ :
 بأعمالكم، ﴿ حَكِيمٌ ﴾ : فيما أمر.

* **تنبيه:** ظاهر الآية تخصيص استحقاقها بالثمانية ووجوب صرفها إلى^(٥) كل
 صنفٍ وُجِدَ منهم، والاشتراك يقتضي التسوية، وهو مذهب الشافعي لكن عن عمر
 وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين جواز صرفها إلى صنف واحد،

(١) شديد السرعة.

(٢) بفتح القاف المثناة: تقسيم.

(٣) يعني استدان لمعصية ثم تاب.

(٤) بين متخاصمين.

(٥) في (ن)، و(د): في كل صنف.

وعليه الأئمة الثلاثة وبعض أصحابنا^(١)، ويؤيدهم وجوب كون الآية هنا لبيان قصر جنسها على الثمانية مثل: «إنما الخلافة لقريش»^(٢)، أي: لا تتعداهم، لا تعلق كل فرد من أفراد الصدقة بكل فرد من أفراد المستحقين، وهو ظاهر، وظاهر الآية يؤيد الشافعي، إذ الشائع في المصنف تعلق الحكم بكل فرد من أفراد الواحد لكن دلالتها على وجوب إعطاء ثلاثة من كل صنف غير ظاهر، والله تعالى أعلم.

﴿ وَمَنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ ﴾: بقولهم ما لا ينبغي في شأنه، ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ حين نهوا عنه، ﴿ هُوَ أَذُنٌ ﴾: سَمَاعٌ لكل كلام إن أنكرنا وحلفنا يصدقنا سمي بالجارحة مبالغة ﴿ قُلْ ﴾ نعم وهو ﴿ أَذُنٌ ﴾ سَمَاعٌ ﴿ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾: ويقبله، لا أذن شر كما بينه، ﴿ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ ﴾: يصدق وينقاد، ﴿ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾: لعلمه بخلوصهم، واللام للفرق بين الإيمان التسليمي والأمني، ﴿ وَ ﴾: هو ﴿ رَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾: لمن أظهر الإيمان ﴿ مِنْكُمْ ﴾: حيث لا يكشف عن ستره، ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ ﴾: على معاذيرهم ﴿ لِيَرْضَوْكُمْ ﴾ بيمينهم ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ ﴾: بالطاعة، وحَدَّ الضمير لوحدة رضاهما، ﴿ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾: صدقاً ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدُ ﴾: يُخَالِفُ ﴿ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾: بالكفر ﴿ فَأَنْتَ لَهُ تَارَ جَهَنَّمَ خَلِيدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخَيْرِيُّ ﴾: الفضيحة، ﴿ الْعَظِيمُ ﴾ يَحْذَرُ: يخاف، ﴿ أَلَمْ نَنْفِقُوا أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ ﴾: فيهم نحو: على مُلْكِ اليمن، أو مثل قوله تعالى: ﴿ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ أي: فيه، على المؤمنين ﴿ سُورَةٌ نُنَبِّئُهُمْ ﴾: تخبرهم إخباراً مفضحاً ﴿ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾: من الكفر ﴿ قُلْ ﴾: تهديداً^(٣)، ﴿ اسْتَهْزِءُوا بِآيَاتِ اللَّهِ مُخْرِجِينَ ﴾: مظهرٌ ﴿ مَا تَحْذَرُونَ ﴾: ظهوره ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ ﴾ عن استهزائهم حيث قالوا في طريق تبوك: هذا رجل يريد فتح قصور الشام:

(١) يعني الشافعية.

وانظر: الجامع - للقرطبي (٨/ ١٧٥)، الأم (٢/ ٧٨، ٧٩)، الحاوي الكبير (٨/ ٤٨١).

(٢) لهذا الحديث طرق كثيرة جمعها الحافظ ابن حجر في جزء كبير سماه: «لذة العيش بطرق حديث الأئمة من قريش» وطبع بدار البشائر الإسلامية - ضمن لقاء العشرة الأواخر بتحقيق المحدث الفهامة تفاحة الكويت أبي ناصر محمد بن ناصر العجمي الصالحي - حفظه الله ووفقه.

(٣) فالأمر هنا في «استهزاءوا» للتهديد.

هيهات^(١)! ﴿لِقَوْلِكَ إِنَّمَا كُنَّا نَحْوُضٌ﴾: فيما يخوض فيه الركب، ﴿وَنَلْعَبُ﴾: لقطع الطريق به، ﴿قُلْ﴾ توبيخاً ﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ، وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ نَسْتَهْزِءُونَ﴾: فإنهم كاذبون فيه ﴿لَا تَعْتَدِرُوا﴾: عنه، ﴿فَدَكَّرْتُمْ﴾: ظهر كفركم بهذا الطعن ﴿بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفَ عَنْ طَآئِفَةٍ مِّنْكُمْ﴾: لتوبتهم، ﴿تَعَدَّتْ طَآئِفَةٌ مِّنْكُمْ﴾: منكم، ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾: مُصرين على النفاق ﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ﴾: مقارب، ﴿مِّنْ بَعْضِ﴾: مشابهة في الكفر كأبعض شيء واحد، خصهم بمن دون المؤمنين رداً لحلفهم: ﴿إِنَّهُمْ لِمِنْكُمْ﴾، ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ﴾: الكفر، ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾: الإيمان، ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾: عن البر لشحهم ﴿سُئِلُوا اللَّهَ﴾، بترك طاعته، ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾: تركهم من لطفه ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾: الكاملون في التمرد ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ الْخُلُصَ﴾ نار جهنم خالدين فيها هي: النار ﴿حَسِبُهُمْ﴾: كما فيهم جزاءً ﴿وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ ولهم عذاب مُّقيمٌ ﴿: دائم فلا يعتادون عليه كما زعم بعض، أنتم أيها المنافقون ﴿كَالَّذِينَ﴾ من قبلكم كانوا أشد منكم قوةً وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا بخَلْقِهِمْ ﴿: بنصيبهم من لذات الدنيا، ﴿فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ﴾: لا تكرر، إذ الأول لتمهيد التشبيه وتقييحهم، والثاني: للتشبيه مع ضميمة قوله، ﴿وَخُضِّمْتُمْ﴾: في أباطيلكم، ﴿كَالَّذِي﴾: مخفف الذين، أو كالفوج الذي خاضوا، ﴿أَوْلَيْتِكَ حِطَّتْ﴾: بطلت، ﴿أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾: بعدم قبولها وخلوها عن أجر معجل من نحو حسن الثناء وإلقاء محبتهم في القلوب، ﴿وَالْآخِرَةَ وَأَوْلَيْتِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾: فأنتم مثلهم ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ﴾: أهلكوا بالطوفان، ﴿وَعَادٍ﴾: بالريح، ﴿وَتَمُودَ﴾: بالصيحة، ﴿وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ﴾: هلك سلطانهم ومعبودهم^(٢) ببعوض^(١)، ﴿وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ﴾: بنار الظلمة، ﴿وَالْقُرْيَاتِ،

(١) النمرود - لعنه الله - .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/١١٩)، وعبد الرزاق (١/٢/٢٨٢)، وابن أبي حاتم (٦/١٨٣٠)

﴿الْمُؤْتَفِكَاتِ﴾: المنقلبات بقوم لوط، ﴿أَنْتَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: المعجزات الظاهرات فكذبوهم فأخذوا، ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾: أي: ما شأنه ظلمكم من العقاب بلا جرم، ﴿وَلَنْ كُنَّا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: بالتكذيب، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾: يتناصرون، ومـرر بيان ترك الأسلوب الأول، ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾: السين للتأكيد (٢)، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غالب، ﴿حَكِيمٌ﴾: في أفعاله، ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ﴾: تستطيها النفس، ﴿فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾: إقامة، أو أعلى درجاتها، والعطف لتعدد الموعود لكل واحد، أو للجمع على سبيل التوزيع أو لتغاير الصفة، ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾: من كلها ﴿ذَلِكَ﴾: المذكور، ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾: يتأيها النبي جَهْدِ الْكُفَّارِ: باللسان، ﴿وَالْمُنْفِقِينَ﴾: باللسان (٣)، ﴿وَأَغْلَطَ عَلَيْهِمْ﴾: بالمقت، ﴿وَمَا وَهَمُ جَهَنَّمَ وَبَسَّ الْمَصِيرُ﴾: هي، ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾: ما قالوا من سبك، ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾: بتكذيبك، ﴿وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ أُولُوا بِمَا لَمْ يَنْتَلُوا﴾: من قتلك في طريق تبوك حيث دفعهم عمار ﴿وَمَا نَقَمُوا﴾: أنكروا ﴿إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ حاصله: ما له ذنبٌ عندهم إلا أن الله أغناهم ببركته، ﴿فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ التَّوْبِ﴾: خَيْرًا لَهُمْ: روي أن قائله (٤) تاب (٥)، ﴿وَإِنْ يَتَوَلَّوْا﴾: عن التَّوْبِ ﴿يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ﴾: بهم ﴿فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا

(١) معالم التنزيل (٢/٣١٠)، الجامع - للقرطبي (٨/١٢٨)، البحر المحيط (٥/٦٩) تفسير الفخر الرازي (١٦/١٠٣)، تفسير ابن كثير (٥/١١٤).

(٢) يعني: رحمتهم فضلا وتكرما.

(٣) فلم يسئل رسول الله - ﷺ - سيفاً على المنافقين حتى لا يقال: إن محمداً يقتل أصحابه.

وانظر: الحكم الجديرة بالإذاعة - للحافظ ابن رجب الحنبلي ص ٧٠.

(٤) الجلاس بن سويد.

(٥) أخرجه الطبري (١٤/٣٦٢، ٣٦٨) وفيه الكلبي - كذاب ورواه عبد الرزاق في المصنف (١٠/٤٦)،

٤٧/١٨٣٠٣) وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/١٨٤٦/١٠٤٠٣) وسنده ضعيف.

نَصِيرٍ ﴿: يَنْجِيهِمْ فَكَيْفَ بِالْآخِرَةِ، ﴿وَمَنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ ﴿: هُوَ ثَعْلَبَةُ بْنُ حَاطِبٍ (١)، ﴿لَيْتَ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لِنَصَّدَّقَنَّ ﴿: نَتَصَدَّقَنَّ، ﴿وَلَنْكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿: فَلَمَّا آتَاهُم مِّنْ فَضْلِهِ ﴿: بِدَعَاءِ النَّبِيِّ - ﷺ - بِحَيْثُ ضَاقَتْ بِنِعْمَتِهِ الْمَدِينَةُ، ﴿بِجُلُوءِ يَدَيْهِ ﴿: بِمَنْعِ الزَّكَاةِ، ﴿وَتَوَلَّوْا ﴿: عَنِ الطَّاعَةِ، ﴿وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿: فَاعْقَبَهُمْ ﴿: جَعَلَ عَاقِبَتَهُمْ، ﴿نِفَاقًا ﴿: مَتَمَكَّنَّا، ﴿فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ، ﴿: تَعَالَى بِالمَوْتِ، ﴿بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ ﴿: مِنَ التَّصَدُقِ وَالصَّلَاحِ، ﴿وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿: ثُمَّ بَعْدَ نَزْوِلِهَا جَاءَ بِزَكَاتِهِ إِلَيْهِ - ﷺ - فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ ثُمَّ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ فَلَمْ يَقْبَلَا، وَمَاتَ فِي زَمَنِ عِثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢)، ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ ﴿: مِنَ النِّفَاقِ ﴿وَنَجْوَاهُمْ ﴿: مَا يَتَنَاجَوْنَ بِهِ مِنَ الطَّعْنِ فِي الدِّينِ، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبِ ﴿: الَّذِي يَلْمِزُونَ ﴿: يَعْيَبُونَ، ﴿الْمُطَّوِّعِينَ ﴿: الْمُتَنَفِّلِينَ، ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ ﴿: يَقُولُونَ فِي مَنْ أَكْثَرَ مِنْهَا: هُوَ مُرَاءٍ كَابِنِ عَوْفٍ، وَفِي مَنْ أَقَلَّ مِنْهَا لِفَقْرِهِ: هُوَ يَذْكُرُ بِنَفْسِهِ لِيُعْطُوهُ ﴿و﴾: يَلْمِزُونَ، ﴿الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ﴿: طَاقَتَهُمْ كَأَبِي عَقِيلِ الْأَنْصَارِيِّ جَاءَ بِصَاعٍ تَمْرٍ ﴿فَيَسْحَرُونَ مِنْهُمْ سِحْرَ اللَّهِ مِنْهُمْ ﴿: جَازَاهُمْ عَلَى سِخْرِيَتِهِمْ، ﴿وَهُمْ عَدَاؤُ الْإِيمِ ﴿: وَنَزَلَتْ فِي ابْنِ أَبِي (٣) إِذَا مَاتَ: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴿: فَهَمَا سَيَانٌ فِي عَدَمِ النِّفْعِ، ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ﴿: أَي: كَثِيرًا مِنْ سَبْعٍ إِذَا كَثُرَ.

* **تنبيه:** شاع استعمال السبعة، والسبعين، والسبعمائة ونحوها في التكثير (٤)،

(١) كيف يكون ثعلبة وقد شهد ثعلبة - ﷺ - بدرًا - أسد الغابة (١/٢٨٣).

والقصة إسناده باطل باتفاق أئمة الحديث، أخرجها: الطبري في تفسيره (١٠/١٣٠، ١٣١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/١٨٤٧، ١٨٤٩)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٣/٢٧١، ١٣٧٥)، والطبراني (٨/٢١٨، ٢١٩، ٧٨٧٣)، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (٤/٢٥٠، ٢٢٥٣)، وابن قانع في معجم الصحابة (١/١٢٤، ١٢٧)، والبيهقي في الدلائل (١/١٢٤، ١٢٧)، وفي الشعب (٤/٧٩، ٨٠/٤٣٥٧) وسندها لا يصح، والصحيح أنها في المتأخرين.

(٢) هذه خرافة كبرى، وكم من أناس ارتدوا بعد رسول الله ﷺ ثم عادوا للإسلام وتاب الله عليهم. اهـ.

(٣) رأس الكفر والنفاق.

(٤) فالعدد لا مفهوم له. اهـ.

لاشتمال السبعة على أكثر أقسام العدد كالزوج والفرد، والأول أي: ما لا بعده إلا الواحد والمركب، أي: ما بعده غيره، والفرد الأول كالثلاثة، والفرد المركب كالخمسة، والزوج الأول والمركب والمجدور وحاصل المضروب في نفسه والجذر المضروب في الأصم بمعنى غير المجدور مثله كالسته، وبمعنى الأول أيضًا، والمنطق بمعنى مقابلهما كالأربعة، والتام: ما أجزاءه مثله كالسته، والناقص ما تنقص أجزاءه كالأربعة، قيل: والزائد ما زادت أجزاءه عليه لاشتمالها على الثلاثة والأربعة الحاصل من ضربهما اثنا عشر ثم السبعين غاية الغاية، إذ الأحاد غايتها العشرات فكأنَّ المعنى: لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَبَدًا، ﴿فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ﴾: التأييس، ﴿يَأْتَهُمْ كَفَرُوا يَا لَئِلَهِ رَبِّكَ﴾: لا يبخل منا أو قصور فيك، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾: المتمردين بكفرهم إلى النجاة، قيل: لَمَّا نَزَلَتْ حَمَلَهُ ﷺ عَلَى الْعَدَدِ فَقَالَ: «رَخِّصْ لِي رَبِّي فَسَازِيدُ عَلَى السَّبْعِينَ»^(١)، فنزلت: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ .. إِلَى آخِرِهِ، فَنَسَخْتَ بِهَا.

* **تنبيه:** اعلم أن جعله من باب أسلوب الحكيم، والمغالطة كقول القبعثري^(٢): مثل الأمير^(٣) يحمل على الأدهم^(٤) والأشهب^(٥)، في جواب: لأحملنك على الأدهم^(٦)، لا يخلو من سوء أدب^(٧)؛ لأنه للتنبيه على أن هذا المعنى هو الأولى بالقصد، وهذا مما تأباه آداب الأنبياء معه تعالى، على أن الحديث يأباه.

فإن قيل: كيف خفي عليه وهو أفصح الفصحاء؟ أجيب بأنها دلت على عدم

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٣٨/١٠)، وابن أبي حاتم (١٨٥٤/٦) وسنده ضعيف، وفي لفظ: «لو أعلم أني إن استغفرت له إحدى وسبعين مرة غفر له؛ لفعلت». * الدر المنثور (٢٥٥/٤).

(٢) هو الغضبان بن القبعثري الشيباني البصري كان فصيحًا - تاريخ دمشق (٥١/٤٤/٥٦٦٤)، التاريخ الكبير (٧/١٠٨)، الجرح والتعديل (٧/٥٦) والقبعثري: الجمل العظيم.

(٣) هو الحجاج بن يوسف الثقفي.

(٤) الخيل الأسود.

(٥) الأبيض من الخيل.

(٦) يريد به القيد - والعياذ بالله.

(٧) لأنه غير مُراد والأسلوب الحكيم: إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر.

المغفرة لا ترك الاستغفار واستغفاره وإن لم يترتب عليه مغفرتهم يترتب عليه مصلحة أخرى، وهو (١) إظهار غاية رحمته بمن بعث إليهم (٢)، وحشا على التراحم، وقوله: «لَوْ رَخَّصَ لِي رَبِّي فَسَأَزِيدُ عَلَى السَّبْعِينَ إِنْ لَمْ أُنَّهُ» (٣) والله أعلم، ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ﴾: أي: عن تبوك، ﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾: بقعودهم ﴿خَلَفَ﴾ خلف ﴿رَسُولِ اللَّهِ وَكَرَهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا﴾ للمؤمنين: ﴿لَا نَنْفِرُوا﴾ لغزوة تبوك ﴿فِي الْحَرْقِ قُلْنَا جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ وقد اخترتموها بالمخالفة، ﴿لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾: ذلك لما تخلفوا ﴿فَلْيَصْحِكُوا قَلِيلًا﴾ أي: أيام الدنيا ﴿وَلْيَسْكُوا كَثِيرًا﴾: أي: في الآخرة، ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: من النفاق ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ﴾: من المخلفين ﴿فَأَسْتَدْتُواكَ لِلْخُرُوجِ﴾: إلى غزوة تبوك ﴿فَقُلْ لَنْ﴾ لا ﴿تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ﴾ لا ﴿تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: في غزوة تبوك ﴿فَأَقْعُدُوا مَعَ الْخَلْفَيْنِ﴾ المتأخرين من النساء ونحوهن، أو المفسدين ﴿وَلَا تَصَلِّ عَلَيَّ﴾: جنازة، ﴿أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾: كابن أبي، أو لا تدع له، ﴿مَاتَ أَبَدًا﴾: أي: موتًا أبدًا؛ لأن إحياءه للتعذيب كعدمه يعني: مات كافرًا، وقيل: أي: لا تصل أبدًا ﴿وَلَا تَقُمْ﴾: لنحو زيارة، ﴿عَلَى قَبْرِهٖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ﴾ ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وترهق: ﴿تخرج﴾ أنفسهم وهم كفرون: ﴿فسر مرة، وكررها للتأكيد، أو هي في غير الأولين، وترك (٤) الفاء لارتباط الأولى بكرهاتهم الإنفاق إعجابًا بكثرة أموالهم بخلاف هذا وترك: «لا» في: «ولا أولادهم» دفعًا لما يتوهم من تركيب الأولى، وهو أن إعجابهم بأولادهم فوق إعجابهم بأموالهم، وبدل «أن» (٥) باللام (٦) ليعلم أن فعله تعالى لا يُعَلِّلُ، وترك الحياة؛ تنبيهاً على أن الحياة الدنيا بلغت مبلغاً لا يذكر حسنه (٧)،

(١) كذا في جميع النسخ.

(٢) في (ن): إليه.

(٣) من النهي.

(٤) في (ن): وتركت الفاء.

(٥) في (ن): (أن يعذبهم).

(٦) في (ن): (ليُعذبهم).

(٧) في نسخة (ن): حسنة، وفي (س): خمسته.

بل يقتصر عنها على ذكر الدنيا، ﴿وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ﴾: بعض من القرآن ﴿أَنْ﴾ بأن ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذِنَكَ أُولَئِكَ الِّطُّولُ﴾ الغنى ﴿مِنْهُمْ وَقَالُوا لَوْ دَرْنَا كُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾: بعدر، ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ﴾ النساء ﴿الْحَوَالِفِ﴾: في البيوت، ﴿وَطِيعَ﴾: ختم ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُوْنَ﴾: مصالحيهم، ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾: قارن إيمانهم إيمانه، ﴿جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾: أي: إن تخلفوا فقد توجه إليه خير منهم، ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ﴾: لا يعلمها إلا الله، ﴿رَأُوْلَاتِكُمْ هُنَّ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ﴾: من عذر: قَصَرَ، أو: أظهر العذر أو اعتذر: مهَّد العذر ﴿مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ المسلمين، ﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾: في القعود فأذن لهم ﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: في ادعاء الإيمان عن المجيء للاعتذار، ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ: كالمشايع، ﴿وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ مَا يُفْقُونَ﴾: في الجهاد، ﴿حَرَجٌ﴾: إثم في التأخر، ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: بالطاعة سرًّا وجهرًا ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾: أي: إلى معاتبتهم، ﴿مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ﴾: لتفريطهم، ﴿رَحِيمٌ﴾: بهم، ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا آتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾: هم سبعة من الفقراء^(١)، ﴿قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ﴾: تسيل، ﴿مِنَ الدَّمَعِ﴾: دمعها، فيه تجور للبالغة ﴿حَرَنًا﴾: للحزن، ﴿أَلَا﴾: لئلا، ﴿يَحْدُوا مَا يُفْقُونَ﴾: في الغزو، ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ^(٢)﴾: بالمعاتبه، ﴿عَلَى الَّذِينَ اسْتَأْذَنُوا مِنْكُمْ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ﴾: النساء، ﴿الْحَوَالِفِ وَطِيعَ﴾: ختم، ﴿اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: لئلا يتعضوا، ﴿فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: كالمجانين، ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾: في التخلف ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ﴾: لن صدقكم؛ لأنه ﴿قَدْ نَبَأْنَا اللَّهَ مِنْ﴾: بعض ﴿أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾: أتوبون أم تصرون؟ ﴿ثُمَّ تَرُدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنسَبُ لَكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: بمجازاتهم، ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾: على عذر التخلف، ﴿لَتَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾: فلا تعاتبوهم، ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ﴾: دعوهم، ﴿إِنَّهُمْ

(١) أخرجه الطبري (١٠/١٤٦) وسنده ضعيف.

(٢) في هامش (ن): الجزء (١١).

رَجَسٌ ﴿: نجس، لا يتطهرون من النفاق، ﴿وَمَا وَنَهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿: يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾: بتصديقهم، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾: أي: عنهم إذ لا يلبس عليه هؤلاء المنافقون، كانوا ثمانين، منع المسلمون من مجالستهم ومكالمتهم، قاله ابن عباس ﴿الْأَعْرَابُ﴾: البدويون، ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾: من الحضريين لقساوتهم وعدم مخالطتهم العلماء، في الحديث: «من سكن البادية جفا»^(١)، ﴿وَأَجْدَرُ﴾: وأولى ﴿أَنْ﴾ بأن، ﴿الْأَيَّامُ حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بقلوبهم، ﴿حَكِيمٌ﴾: فيما صنع بهم، ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ﴾: في الجهاد ﴿مَعْرَمًا﴾: غرامة لا يرجوا بها ثوابًا ﴿وَيَتَرَبَّصُّ بِنُكْحِ الدُّوَابِّ﴾: انقلاب أمركم ليخلص منكم، ﴿عَلَيْهِمْ دَايِرَةٌ﴾ دوران ﴿السَّوَاءِ﴾ وهي اسم لعقوبة الزمان ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾: لأقوالهم، ﴿عَلِيمٌ﴾: بضمائرهم، ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ﴾: سبب، ﴿فُرُبْتُ﴾^(٢) عند الله وصلوات: دعوات، ﴿الرَّسُولِ﴾: فإنه كان يدعو للمصدقين، ﴿الْآيَاتِ﴾: نفقتهم ﴿فُرْبَةً لَهُمْ سَيَدْخِلُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾: السين للتأكيد، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وَالسَّيْفُوتِ الْأُولُونَ مَنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾: من صلى إلى القبليين، أو من حضر بدرًا أو أسلم قبل الهجرة أو الصحابة، ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾: بالإيمان والطاعة إلى القيامة أو بالترضي والثناء عليهم ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾: بما نالوا من نعم الدارين ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: قيل: الفرق بينه وبين المقيد بـ«مِنْ»^(٣) إفهامه أن منبعها منه ﴿خَلِيدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُمُ: يا أهل المدينة، ﴿مِنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾: قوم، ﴿مَرْدُوا﴾: تمهروا، واستصروا، ﴿عَلَىٰ النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ﴾: يا محمد بأعيانهم ﴿تَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَعَدَ لَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾: بفضيحة الدنيا وعذاب

(١) كذا وهي رواية فيه: «من سكن البادية جفا، ومن اتبع الصيد غفل، ومن أتى السلطان افتتن» أخرجه أحمد (٣٥٧/١)، وأبو داود (٢٨٥٩/٣)، والترمذي (٢٢٥٦/٤)، والنسائي (٤٣٢٠/٧) وصححه الألباني

في صحيح الجامع (٩٢٩٦/٢)، والمشكاة (٣٧٠١) والأشهر منها: «من بدا جفا».

(٢) في هامش (ن): قربات - حفص.

(٣) يعني: لم يقل: من تحتها.

القبر^(١) أو مرة بعد مرة، أي: كثيراً ﴿ثُمَّ يَرُدُّوكَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾: في جهنم ﴿وَأَخْرُونَ﴾: منهم ﴿اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾: بتخلفهم عن تبوك بلا عذر ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا﴾: كالندم والاعتراف بالذنب ﴿وَأَخْرَجَ﴾: أي: بعمل آخر، ﴿سَيِّئًا﴾: كتخلفهم، فهذا كبعث الشاء شاةً ودرهماً، أي: بدرهم، أو تدل على أن كلا منهما مخلوط بالآخر ﴿عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾: يقبل توبتهم أتى بعسى ليأملوا ولا يتكلوا، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿حُدِّثُوا أَنْبَاءَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذْ يَخْرَوْنَ﴾: أي: المخلفين التائبين كأبي لُبابة وأحزابه ﴿صَدَقَةٌ تَطْهَرُ لَهُمْ﴾: عن الذنوب، ﴿وَتُزَكِّيهِمْ﴾: تنمي حسناتهم، ﴿بِهَا﴾: فأخذ ثلثها وتصدق به، ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾: ادع لهم، ﴿إِنَّ صَلَاتَكَ﴾^(٢) ﴿سَكَنٌ﴾: رحمة أو طمأنينة ﴿لَهُمْ﴾ ﴿بِقَبُولِ تَوْبَتِهِمْ﴾ ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾: لدعائك، ﴿عَلَيْهِمْ﴾: بأهله، ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾ استنفهام للتحضيض ﴿أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ﴾: يقبل، ﴿الصَّدَقَاتِ﴾: بل تقع في يده قبل يد السائل^(٣)، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا﴾: ما شئتم أيها الحالفون ﴿فَسِيرَىٰ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾: بأن يطلعهم الله عليه ﴿وَسَرُّدُونَ إِلَىٰ عَلِيٍّ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنشِرُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: بالمجازاة ﴿وَأَخْرُونَ﴾: من المتخلفين، ﴿مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾: لحكمه في شأنهم، ﴿إِنَّمَا يَعِدُهُمْ وَإِنَّمَا يُؤْتِيهِمْ﴾: هم الثلاثة الذين خلفوا، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بأحوالهم، ﴿حَكِيمٌ﴾: فيما يفعل بهم، ﴿وَقَدْ كَفَرَ﴾: منهم، ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا﴾ ﴿بَنُو مَسْجِدًا ضَرَارًا﴾: مضارة لأهل قباء ﴿وَكُفْرًا﴾: لتقويته، ﴿وَتَقَرَّبًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: من مسجد قباء، ﴿وَإِرْصَادًا﴾: ترقباً، ﴿لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾: في بدر، هو أبو عامر الراهب، وفد بعد البدر إلى الشام؛ ليأتي بجنود قيصر^(٤) وبنوه له بأمره إرصاداً، لرجوعه، ﴿وَلِيَخْلِفَنَّ إِنْ﴾: ما، ﴿أَرَدْنَا﴾: بنيائه، ﴿إِلَّا﴾: الخصلة، ﴿الْحُسْنَى﴾: كالصلاة،

(١) وهي أحد الآيات الدالة على عذاب القبر - عياداً بك اللهم.

(٢) في هامش (ن): صلاتك: حفص.

(٣) لحديث أبي هريرة قال: سمعت أبا القاسم عليه السلام يقول: «الذي نفسي بيده ما من عبد يتصدق بصدقة من

كسب طيب ولا يقبل الله إلا طيباً إلا كأنما يضعها في يد الرحمن».. الحديث.

* أخرجه البخاري (٣/٣٢٦/١٤١٠) ومسلم (٢/٧٠٢/٦٣، ٦٤/١٠١٤).

(٤) أخرجه الطبري (١١/١٨، ١٩) وابن أبي حاتم (٦/١٨٧٨، ١٨٧٩) والبيهقي في الدلائل (٥/٢٦٢،

٢٦٣) وسنده ضعيف.

﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾: في حلفهم ﴿لَا نَقُومَ﴾: للصلاة ﴿فِيهِ﴾: في مسجدهم، ﴿أَبَدًا﴾: فأمر بهدمه ثم صار مطرح الجيف ﴿لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾: من أيام وجوده ﴿أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾: هو مسجد قباء كما في البخاري^(١)، ويؤيده نسق القصة وحديث في ابن ماجه^(٢)، أو مسجد المدينة كما في مسلم^(٣) وغيره والتحقيق أن رواية نزولها في مسجد قباء لا يعارض تنصيبه - ﷺ^(٤) - أنه مسجد المدينة فإنها لا تدل على اختصاص أهل قباء بذلك، ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا﴾: بالجمع بين الاستجمار والماء في الاستنجاء كأهل قباء كما رواه ابن ماجه^(٥) وغيره أو من المعاصي ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾: ظاهراً وباطناً، ﴿أَقَمْنَا أُسُسَ بُيُوتِنَا﴾: مبنيته ﴿عَلَى﴾ قاعدة ﴿تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ﴾: طلب مرضاته، ﴿خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُيُوتَهُ عَلَى شَفَا﴾: طرف، ﴿جُرْفٍ﴾: جانب وادي من جهنم، ﴿هَارٍ﴾: متصدع مشرف على السقوط، ﴿فَأَنْهَارٍ﴾: طاح، ﴿بِهِ﴾: مع بنائه أو بانيه، ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾: صح أنهم رأوا الدخان حين حفروه^(٦)، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: إلى ما ينجيهم ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً﴾: شكاً ونفاقاً ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾: إذ بتخريبه ازدادوا حسداً، ﴿إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾: في القبر بحيث لا يبقى لها قابلية الإضممار، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بنياتهم، ﴿حَكِيمٌ﴾: في الأمر بهدمه، ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾: تمثيل لإثابتهم، ﴿يُقَدِّنُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾: استئناف

(١) صحيح البخاري (٢٣٨/٧، ٢٣٩/٢٣٩، ٣٩٠٦).

(٢) (١٤١١).

(٣) (١٣٩٨).

(٤) بل هو مسجد رسول الله ﷺ لحديث أبي سعيد الخدري ﷺ: «تَمَارَى رِجْلَانِ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: هُوَ مَسْجِدُ قَبَاءَ، وَقَالَ الْآخَرُ: هُوَ مَسْجِدُ الرَّسُولِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هُوَ مَسْجِدِي هَذَا» رواه الترمذي (٣٢٣/١٤٤/٢) وأصله في الصحيح.

(٥) في عزوه لابن ماجه فقط قصور، والحديث المشار إليه، قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الأنصار! إن الله قد أثنى عليكم خيراً في الطهور فما طهوركم هذا؟ قالوا: يا رسول الله! نتوضأ ونغتسل من الجنابة... الحديث». رواه الترمذي (٢٦٢/٥)، وأبو داود (١١/١)، وابن ماجه (١٢٧/١) وسنده ضعيف، لكن صح من غير وجه.

(٦) رواه الطبري (١٩/١١)، وانظر تفسير ابن كثير (٣٩١/٢).

ليبان الشري، ﴿وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا﴾: مصدران مؤكِّدان لنفسه ولغيره، أي: ثابتا، ﴿فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ﴾: لا أحد ﴿أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا﴾: افرحوا غاية، ﴿يَبْعَثُكُمْ إِلَيْهِ بِإِعْتَمَادِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾: هم، ﴿التَّيْبُوتُ الْعَكِيدُوتُ﴾: بالإخلاص، ﴿الْحَمْدُوتُ﴾: لله، ﴿السَّكِينُوتُ﴾: الصائمون، أو طلبه العلم ﴿الرَّكْعُوتُ السَّجْدُوتُ﴾: المصلون ﴿الْأَمْرُوتُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُوتُ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾: والواو بجعلهما مع ما يليهما كخصلة هو وقيل للثمانية؛ لأنَّ التعداد تمَّ بالسبعة؛ لأنها تمامٌ عند العرب كالعشرة عندنا، والثامن ابتداء، وهذا لا أصل^(١) له، ﴿وَالْحَفِظُوتُ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾: شرائعه ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: بشرهم، ﴿مَا كَانَتْ﴾: ما صح، ﴿لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾: كآمنة أو أبي طالب^(٢)، ﴿وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَحْصَابُ الْجَحِيمِ﴾: بموتهم على الكفر، ﴿وَمَا كَانَتْ أَسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا﴾: إبراهيم ﴿يَأْتِيهِ﴾: إن أسلم، بقوله: ﴿لَا تَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾^(٣) ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ﴾: بموته على الكفر ﴿أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ﴾: متضرع كثير التأوه ﴿حَلِيمٌ﴾: صبورٌ على الأذى ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ يُضِلُّ قَوْمًا﴾: ليأخذهم أحد الضالين ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ﴾: للإسلام ﴿حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمَ مَا يَتَّقُونَ﴾: ما يجبُ إتقاهو فلا يؤاخذكم بالاستغفار لهم قبل ذلك، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: إنَّ الله له، مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾: فتوجهوا إليه معرضين عنهم ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾: أي: برأهم^(٤) عن عُلقة الذنوب، مثل: ﴿يَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾^(٥) ﴿فِي سَاعَةٍ﴾: وقت، ﴿الْعُسْرَةَ﴾: أي: غزوة تبوك في شدة الحر^(٦) والضيق، ﴿مِنْ بَعْدِ

(١) كذا في (ح)، و(د)، و(ع)، وفي (س): صلة، وسقطت من (ن).

(٢) لو رُود النصوص الصحيحة الصريحة فيهما.

(٣) سورة الممتحنة.

(٤) في (د): إبراهيم.

(٥) سورة الفتح.

(٦) عسرة الظهر، وعسرة الماء، وعسرة الزاد. * الوسيط (٢/٥٢٩).

مَا كَادَ يَرِيحُ ﴿: يَمِيلُ، ﴿قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾: عن اتباعه، ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾: تأكيد لما مر، ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: ﴿و﴾: تاب، ﴿عَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾: خَلَفَ اللهُ أمرهم عن أمر الذين ربطوا أنفسهم بالسواري^(١)، وعمّن اعتذر بالأكاذيب ﴿حَتَّىٰ إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾: بسعتها مثل لشدة الحيرة ﴿وَصَافَتْ عَلَيْهِمُ أَنْفُسُهُمْ﴾: لكثرة الهم، ﴿وَوَطَّئُوا﴾: علموا، ﴿أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ﴾: من سخطه ﴿إِلَّا إِلَيْهِ﴾: بالتضرع ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾: وفقهم للتوبة ﴿لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾: يقبل التوبة برحمته، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ في إيمانهم وعهودهم، ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا أَنْ يَرْتَغُوا بِأَنْفُسِهِمْ﴾: أي: لا يجعلوا أنفسهم راغبة، ﴿عَنْ نَفْسِهِ﴾: فليكونوا معه في البأساء والضراء، ﴿ذَلِكَ﴾: النهي ﴿بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾: عطش، ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾: تعب ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾: جُوعٌ ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَقِطُونَ مَوْطِنًا﴾: مكانًا، ﴿غَيِطٌ﴾: يغضب ﴿الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا﴾: من قتل وغيره، ﴿إِلَّا كَيْبَ لَهُم بِهِ﴾: بكل ممّا ذكر ﴿عَمَلٌ صَالِحٌ﴾: استوجبوا به ثوابًا جزيلًا، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ وَلَا يُنْفِقُونَ ﴿: في سبيل الله، ﴿نَفَقَةٌ صَغِيرَةً﴾: قليلًا ﴿وَلَا كَبِيرَةً﴾: كثيرًا، ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾: بالسير، ﴿إِلَّا كُتِبَ﴾: ثوابهما، ﴿لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ﴾: جزاء، ﴿أَحْسَنَ﴾: من، ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: بمعنى حسن ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ﴾: ما من شأنهم، ﴿لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾: جميعًا لغزو؛ إذ كانوا ينفرون جميعًا حذرًا ممّا نزل في المتخلفين، وهذا في السرايا وما قبلها فيمن خرج معه - ﷺ - ﴿فَلَوْلَا﴾: هَلَّا ﴿نَفَرْنَا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ﴾: جماعة كثيرة، ﴿مِنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾: جمع قليل ﴿لِيَنْفَقَهُوا﴾: القاعدون، ﴿فِي الَّذِينَ وَلِيْتَدِرُوا قَوْمَهُمْ﴾: بما نزل وأحكامه، ﴿إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾: من الغزو، ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾: منه، دَلَّ عَلَىٰ أَنْ خَبَرَ الْأَحَادَ^(٢) حُجَّةً عَنْهُ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَتَلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾: الأقرب فالأقرب، ﴿وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾: شِدَّةً، أي: اغلظوا عليهم، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾: بالإعانة، ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ﴾: من المنافقين ﴿مَنْ

(١) الأعمدة.

(٢) وهو مذهب أهل الحديث والأثر - والحمد لله.

يَقُولُ ﴿لِبَعْضِهِمْ أَوْ لَضِعْفَاءِ الْمُؤْمِنِينَ اسْتِهْزَاءً﴾ ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَلَذَةُ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾: تصديقًا، بزيادة المؤمن به، ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾: بنزولها ﴿وَأَمَّا
 الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: نفاق، ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا﴾ كُفْرًا ﴿إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ كُفْرِهِمْ
 ﴿وَمَا تَوَأَوْا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ ﴿أَوْ لَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾: يتلون بالقحط وغيره، ﴿فِي
 كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾: ليتنبهوا، ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ﴾:
 يعتبرون، ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾: تدبيرًا للفرار، قائلين: ﴿هَلْ
 يَرِنُكُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾: من المسلمين، فإن رآهم أقاموا وإلا قاموا، ﴿ثُمَّ أَنْصَرَفُوا﴾: عن
 النبي - ﷺ - ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾: عن الإيمان، ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾: لا يتدبرون،
 ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ﴾: شديد، ﴿عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾: عنتكم، أو
 ما أثمتم به ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾: على صلاحكم ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ﴾: شديد
 الرحمة، ﴿رَجِيمٌ﴾: لهم، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: عن الإيمان بك، ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ﴾: كافي
 ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾: به فقط وثقت ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾: المحيط
 على جميع المخلوقات.



«سورة يونس»: مكية^(١)

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿الر﴾: مرَّ بيانه، ﴿تِلْكَ﴾ السُّورَةُ ﴿ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾: المشتمل على الحكمة^(٢)، أو الغير المنسوخ^(٣) بكتاب ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ﴾: قُريش ﴿عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ﴾: الكفار، ﴿وَنَبِّئِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ﴾: بأن، ﴿لَهُمْ قَدَمٌ﴾: سابقة، ﴿صِدْقٍ﴾: أي: ثواب ما قدّموا، والعرب تقول إذا مدحت شيئاً تضيف إلى صدق كما سيجيء ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالِ الْكٰفِرُونَ إِنِ هٰذَا إِلَّا الْقُرْآنُ أَوْ الرَّسُولُ﴾: ﴿لَسَنَجُرُّ مِثْلَهُ﴾: بَسِين^(٤) ﴿إِن رَّبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ فِي﴾: قدر، ﴿سِتَّةَ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾: فسّر في الأعراف ﴿يُدِيرُ﴾: يقدر، ﴿الْأَمْرَ﴾: كله بحكمته ﴿مَا مِنْ﴾: صلة ﴿شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذٰلِكُمْ﴾: الموصوف ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ﴾: وحدوه ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: تتعظون ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾: بالموت ﴿وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا﴾: مصدران مؤكدان لنفسه ولغيره ﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحٰتِ بِالْقِسْطِ﴾: بعد له، أو بعد التهم ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾: ماء حار وتُغلي قطرة منه بحرًا^(٥)، ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ يَمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾: غير الأسلوب مبالغة في استحقاقهم له، وخصّ الأولين بالعدل مع أن الكل عدل؛ لمزيد عنايته ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً﴾: ذات ضياء جمع ضوء، وهو ما يبصر به الأشياء ﴿وَالْقَمَرَ نُورًا﴾: ذا نور وهو ما يبصر به ذو النور.

(١) في هامش (د): مائة وتسع آيات بالاتفاق إلا ثلاث آيات: ﴿فَإِن كُنْتَ فِي شَكٍّ﴾ .. إلى آخر. ثم نزلت هود كلماتها (١٨٣٢)، وفي هامش (ن): بلغ مقابلة.

وعدد سورة القرآن (٢٥٣)، البصائر (٢٣٨/١) وفيه (١٤٩٩)، البيان (١٦٣)، القول الوجيز (٢٠٣)، وحروفها (٧٥٦٧)، وعدد سور القرآن (٢٥٣)، البصائر (٢٠٨/١)، القول الوجيز (٢٠٣).

(٢) في (ن)، و(د): الحكم.

(٣) أنوار التنزيل (٢٧٢).

(٤) هذا على قراءة: (سخر)، وفي هامش (ن): لساجر: حفص.

(٥) أو هو ما يسيل من صديدهم والعياذ بالله.

* **تنبيه:** الضوء يطلق على الشعاع المنبسط والنور على ما للشيء في نفسه فالضوء فرعه، ولكنه أبلغ؛ لأن الإبصار إنما يتأتى به والنور يُبصر به ذو النور فقط، ولذا جعل الشمس سراجًا فإنه يبصر به الأشياء، وجعل القمر نورًا ليبصر ويهتدى به، ﴿وَقَدَرَهُ﴾: كُلاًّ منهما أو القمر؛ لأنّ المنازل تنسب إليه وحسابُ العامة بالشهور الهلالية ذا ﴿مَنَازِلٍ لِّتَعْلَمُوا عَدَدَ اللَّيْلِ وَالنَّجْمَاتِ﴾: شهرًا ويومًا لمعاملاتكم، ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا﴾: مُتَبَسِّئًا ﴿بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: أي: هم ينتفعون بها ﴿إِنَّ فِي آخِذَاتِ الْأَيْتِ وَالنَّهَارِ﴾: طَوَّلًا وَنُورًا وَضِدَّهُمَا ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَأَيِّتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: العواقب، فإنه يحملهم على التفكير ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ﴾: لا يتوقعون ﴿لِقَاءَنَا﴾: لإنكار البعث ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: من الآخرة^(١)، ﴿وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا﴾: سكنوا إليها ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا﴾: الكونية والشرعية ﴿عَنفِلُونَ﴾: بترك النظر فيهما، ﴿أُولَئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ يَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: من المعاصي، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾: إلى ما يؤدي إلى الجنة، ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾: دَعْوَتُهُمْ ﴿: دَعَاؤُهُمْ لَمَّا يَشْتَهُونَ^(٢)﴾ ﴿فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾: فإذا مطلوبهم عندهم ﴿وَقِيَّتُهُمْ﴾ ﴿بَيْنَهُمْ﴾ ﴿فِيهَا سَلَامٌ﴾: إذ ملكهم سالم من الزوال ﴿وَمَا أَجْرُ دَعْوَتِهِمْ﴾: حين أكلوا ﴿إِنْ﴾: أنه، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ﴾: حين دعوا على أنفسهم نحو: ﴿إِنْ كَانَتْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ﴾^(٣).. إلى آخره، ﴿أَسْتَعِجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ﴾: حين دعوه، ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾: فيذهب طعامهم لكن يمهلهم ﴿فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾: استندراجًا لهم، ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾: يتحIRON غايةً ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا﴾: لدفعه مضطجعًا، ﴿لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾: أي: في كل حالاته، ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ صُورَهُ مَرَّ﴾: مضى على

(١) فالباء بمعنى بدل.

(٢) في (ن): يشتهونه.

(٣) سورة الأنفال.

طريقته قبل الضر، ﴿كَأَنَّ﴾: كأنه، ﴿لَمْ يَدْعُنَا إِلَى﴾: كشف، ﴿صُرِّمَسَّهُ كَذَلِكَ﴾: من تزيين الحالتين له، ﴿زَيْنَ الْمُسْرِفِينَ﴾: بالكفر، ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: يا أهل مكة، ﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾: بتكذيب رسلكم ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: على صدقهم، ﴿وَمَا كَانُوا يُوْمِنُونَ﴾: أي: في صدقهم أن يؤمنوا، ﴿كَذَلِكَ﴾: الإهلاك ﴿بِحِزْيِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾: فاحذروهم، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ﴾: منهم ﴿فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾: فيجازيكم، ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾: بالبعث ﴿إِنِّي بِقُرْعَانٍ غَيْرِ هَذَا﴾: المذكور فيه التوحيد ﴿أَوْ يَدَّٰلَهُ﴾: بإزالة ما نكرهه عنه، ﴿قُلْ مَا يَكُونُ﴾: يصح ﴿لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي﴾: قبل ﴿نَفْسِي إِنْ﴾: مَا ﴿أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾: إِنْ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾: بالتبديل، ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: القيامة، ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾: أَنْ لَا أَتْلُوهُ عَلَيْكُمْ، ﴿مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ﴾: أعلمكم الله، ﴿بِهِ﴾: على لساني، و«لأدراكم»^(١) أي: لأعلمكم على لسان غيري، ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾: أربعين سنة، ﴿مَنْ قَبْلِهِ﴾: وَكُنْتُ أُمِّيًّا مَا شَهِدْتُ عَالَمًا، ولا أنشأت خطبة، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: أنه من الله، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: بالإشراك، ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾: إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾: بالشرك، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾: بتركه، ﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾: بعبادته، ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ﴾: الأصنام، ﴿شُفَعَاتُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾: في الدنيا وفي الآخرة، إن كان بعث، ﴿قُلْ أَتُنشِئُونَ﴾: تخبرون، ﴿اللَّهُ يَمَا لَا يَعْلَمُ﴾: وهو أن له شريكًا حالة كونه لا ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾: وما لا يعلمه لا يثبت، ونبّه بالتخصيص على أن شركائهم إما سماوي أو أرضي وعلى التقديرين مقهورة حادثة مثلهم، ﴿سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: عن إشراكهم، ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ﴾: بين آدم ونوح^(٢)، ﴿إِلَّا

(١) وهي قراءة ابن كثير وقنبل والبرقي - غيث النفع (٢٤٠)، البحر المحيط (١٣٢/٥).

(٢) وقال الواحدي في الوسيط (٥٤٢/٢): يعني من لدن إبراهيم - عليه السلام - إلى أن غيّر الدّين عمرو

أُمَّةً وَجِدَّةً ﴿: على الإسلام، ﴿فَأَخْتَكِفُوا﴾: بالإشراك، ﴿وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾: بأن لكل أمة أجلاً معيناً، ﴿لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ﴾: عاجلاً، ﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: بإهلاك المبطل، ﴿وَيَقُولُونَ﴾: المشركون، ﴿لَوْلَا﴾: هلاً، ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ﴾: على محمد، ﴿ءَايَةً مِنْ رَبِّهِ﴾: مما اقترحنا، ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾: فلعله يعلم في إنزاله مفاسد، ﴿فَأَنْتَظِرُوا﴾: إنزاله، ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنَظِّرِينَ﴾: ما يفعل الله بكم، ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾: كالرخاء، ﴿مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتهم﴾: كشدّة، ﴿إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ﴾: بالطعن، ﴿فِيءَايَاتِنَا قُلْ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾: فيمكر إذ دبر عقابكم قبل، ﴿إِن رُسُلَنَا﴾: الحفظة، ﴿يَكْتُوبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾: للمجازاة، ﴿هُوَ الَّذِي يُسِرُّكُمْ﴾: يمكنكم من السير، ﴿فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ﴾: في السفن والغاية كأنه قيل: سيركم حتى إذا وقعت هذه الحادثة في مخرج الرياح وتراكم الأمواج وظنّ الهلاك والدعاء جاءتها ريح.. إلى آخره جميع ما في حيز إذا، فلا يرد أن الكون فيها ليست غاية التسيير، ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾: فيه التفات ﴿بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا﴾: السفن، ﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾: ذات عصفٍ وشدّة والتذكير؛ لأنه من السبب، ﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾: ظرف، ﴿وَوَلَّتُّوْا أَنَّهُمْ أَحْيَطَ بِهِمْ﴾: أي: أهلكوا، ﴿دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ﴾: الله، ﴿الَّذِينَ﴾: بترك الشرك قائلين: ﴿لَئِن أُجِبتْنَا مِنْ هَذِهِ﴾: الشدة، ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾: فلما أجنّهم إذا هم يبعون ﴿يُفْسِدُونَ﴾: في الأرض بغير الحق ﴿احتراز عن نحو تخريب ديار الكفرة^(١)، ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيِكُمْ﴾: يحصل وباله ﴿عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾: هذا ﴿مَتَّعَ﴾: منفعة بالنصب، أي: تمتعوا متاع ﴿الْحَيَوةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: بالجزاء ﴿إِنَّمَا مِثْلُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾: في سرعة تقضيها واطراركم بها، ﴿كَلِمَةٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ﴾: اشتبك وتخالط، ﴿بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ﴾: كالزرع، ﴿وَالْأَنْعَامُ﴾: كالحشيش ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾: زيتها، ﴿وَأَزَيَّنَّتْ﴾: تزيتت بأصناف النبات، ﴿وَوَطَّنَ أَهْلَهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا﴾: على منفعتها ﴿أَتْنَهَا أَمْرًا﴾: عذابنا، ﴿لَيْلًا أَوْ

(١) فإنه بحق، لا سيما في هذا الزمان فاللهم خرب ديار الكفرة.

نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا ﴿١﴾: أي: زرعها، ﴿حَصِيدًا﴾: شبيهاً به في طرحه على الأرض، ﴿كَانَ﴾: كأنها، ﴿لَمْ تَعْنِ﴾: لم تلبث، أي: زرعها، ﴿بِالْأَمْسِ﴾: أي: قبيل ﴿كَذَلِكَ﴾: التبيين، ﴿فُضِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ ﴿٢﴾ كما مرَّ ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا ﴿٣﴾ الْعَمَلِ ﴿الْحُسْنَى﴾: الجنة، ﴿وَزِيَادَةٌ﴾: النظر إلى وجه الله، كذا صحَّ في الحديث^(١)، ﴿وَلَا يَرْهَقُ﴾: يغشى، ﴿وَجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾: غبار، ﴿وَلَا دَلَّةٌ﴾: هوان، ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ وَالَّذِينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ ﴿٥﴾ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمْثِلُهَا وَيَتَرَهَّقُهَا ﴿٦﴾: تغشاهم، ﴿ذَلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾: عذابه، ﴿مَنْ عَاصَرَ كَانَمَا أَغْشَيْتَ وَجُوهَهُمْ﴾: لكمال سوادها، ﴿وَقَطْعًا﴾: لغة في قطع كضلع ﴿مَنْ أَلِيلٌ﴾: ولو كان جمعاً فقوله: ﴿مُظْلَمًا﴾: حَالٌ مِنَ اللَّيْلِ ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ و﴿٧﴾: اذكر، ﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾: الزموا ﴿مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ﴾: لتجاوزوا وقفاً غير موقف لا يكلمهم الله، ﴿فَرَيْنَا﴾: فرقنا، ﴿بَيْنَهُمْ﴾: توأصلهم ﴿وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِِنَّا نَعْبُدُونَ﴾ ﴿فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنَّا﴾ إِنَّمَا ﴿كُنَّا عِبَادَتِكُمْ لَغْفِيلِينَ﴾: لَأَنَا كُنَّا جَمَادًا، ﴿هُنَالِكَ﴾: في ذلك المقام، ﴿تَبَلَّوْا﴾: تخبر ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾: من العمل أضرار أم نافع، ﴿وَرُدُّوْا﴾ أمرهم ﴿إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ﴾ متولي أمرهم ﴿الْحَقِّ﴾: لا شركائهم الباطل، ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: أنه إلههم، ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ﴾: بالمطر، ﴿وَالْأَرْضِ﴾: بالنبات، ﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ﴾: أي: خلقهما ﴿وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾: كالنطفة ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ﴾: كالنطفة ﴿مِنْ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾: أمر العالم، ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾: لوضوحه، ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: من الشرك مع هذا الإقرار، ﴿فَذَلِكُمْ﴾: الموصوفُ ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ﴾ الثابت ربوبيته ﴿فَمَاذَا﴾ ليس ﴿بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى﴾: كيف، ﴿تُصْرَفُونَ﴾: عن عبادته، ﴿كَذَلِكَ﴾: كما حقت الربوبية، ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ﴾: حكم، ﴿رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾: تمردوا وخرجوا عن الاستصلاح بدل من كلمة حقت أي: حقت ﴿أَنَّهُمْ﴾: بأنهم، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾:

(١) والأحاديث في ذلك كثيرة، بل أفردها الدارقطني والنحاس، والفريابي.

جعل الإعادة كالإبداء وإن أنكروها؛ لظهور برهانها ﴿قُلِ اللَّهُ يَسْبُدُّ وَالْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾^(١) فإنهم ينكرونه، ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾: تصرفون عن الحق، ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي﴾: يهتدي ﴿إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ﴾: هذا حال أشرافهم كالمسيح، فكيف بحجارة؟ أو هدى بمعنى: نقل أي: يهدي الخلق إلى مرادهم أحق أو من لا ينتقل من مكان إلا بإمداد الخلق، ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾: بما يبطل بديهة، ﴿وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ﴾: أي: كلهم، ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾: مستندًا إلى أقيسة فاسدة كقياس الخالق على المخلوق بمشاركة موهومة^(١)، ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ العِلْمِ﴾: من الإغناء، دل على أن علم الأصول^(٢) بلا تقليد واجب، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾: فيجازيهم، ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى﴾ افتراء ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كَانَ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: من الكتاب، ﴿وَتَفْصِيلَ﴾: تبيين، ﴿الْكِتَابِ﴾: ما كتب وأثبت من الشرائع، ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: مُنَزَّلٌ، ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أم: بل، أ ﴿يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ﴾: محمد ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾: في البلاغة افتراء ﴿وَادْعُوا﴾: إلى معاونتكم ﴿مَنْ اسْتَظَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: أنه افتراه، فإنكم أشعر منه وأكتب ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾: وهو ما في القرآن مما لم يعرفوا حقيقتها، والمرء عدو لما جهل، ﴿وَلَمَّا﴾: لم، ﴿يَأْتِيهِمْ﴾: بعد، ﴿تَأْوِيلُهُ﴾: مآل ما فيه من الوعيد، حاصله: فأحبوا إنكاره قبل التدبر فيه ومعرفة صدقه، ﴿كَذَلِكَ﴾: التكذيب ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: رسلهم ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾: وقِسْهُمْ عَلَيْهِمْ ﴿وَمِنْهُمْ﴾: من المكذبين، ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾: بعد ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾: المعاندين، ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾: أصروا على تكذيبك ﴿فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾: أي: تبرأ منهم، ﴿أَنْتُمْ بَرِيضُونَ مِمَّا أَعْمَلُ﴾: من الطاعة، ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾: من المعصية، نُسَخَتْ

(١) لأن القياس مُرَكَّبٌ من عدة قضايا إن سلمت أنتجت، وإن فسدت، فسدت نتائجه، فصار قياسًا فاسدًا.

(٢) يعني العقيدة.

بِالسَّيْفِ^(١)، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَعْمُونَ إِلَيْكَ﴾: إذا قرأت القرآن بلا قبول، ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾: أتقدر على إسماعهم؟ ﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يَتَعْقِلُونَ﴾: مع صممهم، نبه على أن حقيقة استماع الكلام فهم معناه ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾: ويعاين دلائل صدقك ﴿أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْأَعْمَى وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾: أي: ولو انضم إلى العمى عدم البصيرة، فهما تعليل للتبري، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾: بسلب حواسهم وعقولهم، دل على أن للعبد كسبًا واختيارًا، خلافًا للمجبرة، ﴿وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: بتضييعها، ﴿وَإِذْ ذَكَرْنَا يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنَّهُمْ كَانُوا يَلْبَثُونَ إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ﴾: في الدنيا أو القبر لهول المحشر ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾: يعرف بعضهم بعضًا، كأنهم لم يتعارفوا ﴿إِلَّا سَاعَةً﴾: قليلاً ثم ينقطع التعارف، ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾: بالبعث، ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾: لمصالح هذه التجارة، ﴿وَإِنَّمَا﴾: صلة، ﴿رُتِبْنَا بِبَعْضِ الَّذِي نَعُدُّهُمْ﴾: من العقوبة فذاك، ﴿أَوْ نَوَفِّئُكَ﴾: قبل ﴿فَالْيَوْمَ نَجْعَلُهُمْ﴾: فعاقبهم، فعقوبتهم متعينة على كل حال ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾: أراد نتيجة الشهادة من الجزاء، ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ﴾: يدعوهم إلى الحق، ﴿فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ مع أنبياءهم ﴿بِالْقِسْطِ﴾: بإهلاك مكذبيه وإنجاء متبعيه، ﴿وَهُمْ لَا يَظْلِمُونَ﴾ في تعذيبهم، فلا تكرر ﴿وَيَقُولُونَ﴾ المشركون استبعادًا: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾: من العذاب، ﴿إِنْ كُنْتُمْ﴾: أي: الرسول وأتباعه، ﴿صَادِقِينَ﴾ قل لا أملك لنفسي ضرًا ولا نفعًا: فكيف أملك لكم استعجاله؟ ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾: أن أملكه ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾: لهلاكهم ﴿وَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾: فسّر مرة ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾: أخبروني، ﴿إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُهُ بَيْنَنَا﴾ وقته ﴿أَوْ نَهَارًا﴾: حاصله وقت غفلتكم بالنوم أو طلب المعاش، ولم يذكر ليلاً؛ لأن العذاب إذا فاجأ بلا شعور يكون أشد لأنه لا يبات في كله، ﴿مَاذَا﴾: أي: شيء، ﴿يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ﴾: من العذاب، ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾: إذ كله مكروه ﴿أَمْ كَفَرْتُمْ﴾ ثم إذا ما ﴿أَي﴾: إن وقع آمنتم به؟ وقيل لكم: ﴿ءَأَلْتَنَ﴾ آمنتم به، ﴿وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾: استهزاء ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا

(١) يعني بأية السيف.

عَذَابَ الْخَالِدِ هَلْ تُجَزُونَ إِلَّا يَمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿١﴾ وَيَسْتَعِزُّونَكَ ﴿٢﴾ يَسْتَخْبِرُونَكَ، ﴿أَحَقُّ هُوَ﴾: ما يقول من البعث وغيره، ﴿قُلْ إِي﴾: نعم، ﴿وَرَبِّيَ إِنَّهُ لَحَقُّ﴾: ثابت، ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾: فائتيه، ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾: غيره أو نفسه بالشرك، ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾: من الخزائن، ﴿لَأَفْتَدَتْ بِهِ﴾: من العذاب ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾: أخفوا حذرا من التعبير لو أظهر والشدة الأمر، ﴿وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾: مع أنبيائهم، ﴿بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ في تعذيبهم، فلا تكرر ﴿الْآنَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: فيقدر على الكل، ﴿الْآنَ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لغفلتهم، ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: بالموت، ﴿يَتَأَيَّمُوا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: تبين محاسن الأعمال ومقابحها، وهو الحكمة العملية، ﴿وَشَفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾: من الشكوك، وهو الحكمة النظرية، ﴿وَهُدًى﴾: إلى الحق ﴿وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: بإنجائهم من الضلال، نزل بالعطف تغيير الصفات منزلة تغيير الذات، نحو:

إلى السيد القرم وابن الهمام^(١)

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ﴾: كالإسلام ﴿وَبِرَحْمَتِهِ﴾: كالقرآن، فليفرحوا، دل عليه: ﴿فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾: والفاء للربط والدلالة على أن مجيء الكتاب الموصوف موجه وكررها تأكيدا ﴿هُوَ﴾ الفرح بهما ﴿حَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾: من المال، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾: أخبروني، ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾: بأسباب سماوية، ﴿فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا﴾: كالبحائر^(٢)، ﴿وَحَلَالًا﴾: كالميتة، ﴿قُلْ أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾: في هذا الجعل، ﴿أَمْرٌ﴾: بل، ﴿عَلَى اللَّهِ تَفَتَّرُونَ﴾: في نسبه إليه، كفى به زاجرا لمن أفتى بغير إتيان كبعض فقهاء هذا الزمان^(٣)، ﴿وَمَا﴾: أي شيء، ﴿ظَنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: أيحسبون عدم مجازاتهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى

(١) صدر بيت من المتقارب، وعجزه:

* وليث الكتيبة في المزدحم *

والشاهد فيه عطف الصفات على بعض لما كان الموصوف بها واحدا.

* الإنصاف (٢/٤٦٩)، خزانة الأدب (١/٤٥١)، (٥/١٠٧)، (٦/٩١)، شرح قطر الندى (٢٩٥).

ويروى: * إلى الملك القرم وابن الهمام *

(٢) جمع بحيرة، سبق الكلام عليها في سورة النساء.

(٣) هذا يدل على تقوى المؤلف وورعه - رحمه الله - اهـ.

النَّاسِ ﴿: يَا مِهَالِهِمْ وَغَيْرِهِ، ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾: نِعْمَتِهِ، ﴿وَمَا تَكُونُ﴾: يَا مُحَمَّد ﴿فِي شَأْنٍ﴾: أَمْرٍ وَقَصْدٍ ﴿وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ﴾: أَي: لِأَجْلِ هَذَا الشَّأْنِ، ﴿مِنْ﴾: صَلَاةٍ أَوْ بَعْضِ، ﴿قُرْآنٍ﴾: أَي: مَا تَتْلُوا مِنَ الْقُرْآنِ، بَعْضُهُ، أَضْمَرَ قَبْلَ الذِّكْرِ تَفْخِيمًا، ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ﴾: أَنْتَ مَعَ أُمَّتِكَ، ﴿مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾: مُطَّلَعِينَ ﴿ذُنُوبَكُمْ﴾: تَخَوْضُونَ، ﴿فِيهِ وَمَا بَعَزْتُ﴾: يَبْعِدُ وَيَغِيبُ ﴿عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾: نَمْلَةٌ صَغِيرَةٌ أَوْ هَبَاءٌ، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: قَدَمُهَا؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ فِي حَالِ أَهْلِهَا بِخِلَافِ مَا فِي سَبَابٍ^(١)، ﴿وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾: أَي: فِي الْوُجُودِ، خَصَمَهَا بِالذِّكْرِ لِعَدَمِ تَجَاوُزِ حَسَبِهِمَا، ﴿وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾: الْمِثْقَالِ، ﴿وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابِ مُبِينٍ﴾: أَي: اللَّوْحِ، ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ﴾: الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ طَاعَةً وَيَتَوَلَّاهُمْ كِرَامَةً، ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: عِنْدَ الْفِرْعَاقِ الْأَكْبَرِ، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: لِفَوَاتِ مَأْمُولٍ، ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾: الْمَعَاصِي، ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: كَالرُّؤْيَا الصَّالِحَةِ يَرَوْنَهَا وَتَرَى لَهُمْ، أَوْ يَرَى الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ النَّزْعِ، ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾: بِنَحْوِ الْجَنَّةِ، ﴿لَا نَبْدِلُ إِكْرَامَتِ اللَّهِ﴾: مَوَاعِيدهُ ﴿ذَلِكَ﴾: الْمَبْشُرُ بِهِ ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ ﴿: تَهْدِيدُهُمْ، ﴿إِنَّ﴾: اسْتِثْنَاءُ ﴿الْعِزَّةِ﴾، أَي: الْغَلْبَةُ وَالْقُدْرَةُ، ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ وَهُوَ مَعْرُكٌ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢) بِمَعْنَى الْقُدْرَةِ وَظُهُورِ الدِّينِ وَالنَّصْرِ عَلَى الْأَعْدَاءِ ﴿هُوَ السَّمِيعُ﴾: لِأَقْوَالِهِمْ، ﴿الْعَلِيمُ﴾: بِقَصْدِهِمْ، ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾: فَلَهُ الْعِزَّةُ، خَصَّ أَوْلِيَا الْعَقْلِ لِيَعْلَمَ غَيْرَهُمْ مِنْ بَابِ الْأَوْلَى ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَكَ﴾: يَعْبُدُونَ، ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ﴾: حَقِيقَةٌ وَإِنْ سَمَّوْهَا «شُرَكَاءَ» ﴿أَنْ﴾ مَا يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ﴿: بِأَنَّهُمْ آلِهَةٌ، ﴿وَإِنْ﴾: مَا، ﴿هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: يَكْذِبُونَ ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ آيَاتٍ لِتَسْكُنُوا﴾: لِتَسْتَرِيحُوا، ﴿فِيهِ﴾: مِنْ تَعَبِ النَّهَارِ ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾: تَبْصُرُونَ فِيهِ مَكَاسِبَكُمْ، ذَكَرَ عَلَّةَ خَلْقِ اللَّيْلِ وَوَصَفَ النَّهَارَ؛ لِيَدُلَّ كُلٌّ عَلَى مَحْذُوفٍ مِقَابِلِهِ، وَتَرَكَ: لِتَبْصُرُوا؛ تَفْرِقَةً بَيْنَ الظَّرْفِ الْمَجْرُودِ وَالسَّبَبِ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمِعُونَ﴾: تَدَبَّرُوا، ﴿قَالُوا أَتَّخَذَ اللَّهُ

(١) حيث قدم السماء، وستأتي.

(٢) سورة المنافقون.

وَلَدًا: كالملائكة، ﴿سُبْحٰنَهُ﴾: تنزيهاً له عن التنبى ﴿هُوَ الْعَنَى﴾: والتنبى للحاجة، ﴿لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ﴾ مَا عِنْدَكُمْ مِّنْ سُلْطٰنٍ: دليل، ﴿بِهٰذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ قُلْ إِيَّاكَ الَّذِينَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكٰذِبَ لَا يُفْلِحُونَ: في الدارين، لهم ﴿مَتَّعٌ﴾: قليل ﴿فِي الدُّنْيَا﴾: كافترائهم لحفظ رياستهم ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾: بالموت ﴿ثُمَّ نُنذِرُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ وَأَتَلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ: ليعتبروا ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يٰقَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾: إقامتي بينكم، ﴿وَتَذَكِّرِي﴾: إِيَّاكُمْ ﴿بِآيٰتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ﴾: اعزموا عليه، ﴿وَشُرَكَاءَكُمُ﴾: مع شركائكم ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرِكُمْ﴾: في قصدي، ﴿عَلَيْكُمْ غُمَّةٌ﴾: مستورا، بل أظهِرُوهُ غَايَةً ﴿ثُمَّ أَقْضُوا﴾: أدوا ﴿إِلَيْكُمْ﴾ إلى ما تريدون بي، ﴿وَلَا تُنظِرُونَ﴾: تمهلون، فيني لا أبالي بكم ثقة بالله^(١)، ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن تذكيري ﴿فَمَا سَأَلْتُمْ مِّنْ آجْرٍ﴾: يفوت بتوليكم فينصرني، ﴿إِنْ﴾: ما ﴿أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾: المنقادين لأمر الله ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: أصروا على تكذيبه، ﴿فَجَنَيْنَهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ﴾: من الغرق ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ حٰلَتِفَ﴾: من المغرقين، ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيٰتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُذْرِبِينَ﴾: المكذبين، ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد نوح ﴿رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنٰتِ﴾: من المعجزات ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾: ما استقام لهم أن يؤمنوا، ﴿بِمَا كَذَّبُوا بِهِ﴾ من الحق ﴿مِن قَبْلُ﴾: قبل بعثة الرسل وهو تعودهم بتكذيب الحق ﴿كَذٰلِكَ نَنْطَعُ﴾: نختم، ﴿عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾: المجاوزين حدود الله، ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: بعد هؤلاء الرسل ﴿مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾: أشراف قومه، إذ سفلتهم تبع ﴿بِآيٰتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾: عاداتهم الإجماع، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾: معجزاته، ﴿مِن عِنْدِنَا قَالُوا إِنْ هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾^(٢): واضح ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾: إنه أي: إن هذا إلى آخره لسحر يدل على حذفه ما قبله، أو أتعيبونه من المقالة بمعنى

(١) في (د): من الله.

(٢) في هامش (ن): حفص: لساجر.

الطعن ولا يجوز كون المقول، ﴿أَسْحَرُ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّحَرُونَ﴾: كلام (١) موسى إلا أن يكون استفهام تقرير، ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِنَا﴾: لتصرفنا، ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آيَاتِنَا﴾: من عبادة الأصنام، ﴿وَتَكُونُ لَكُمْ الْكِبْرِيَاءَ﴾: العظمة، ﴿فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾: مصدقين ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ﴾: حاذق يعارضه، ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلقُونَ﴾: لعدم مبالاته بهم، ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ﴾: هؤلاء ﴿السَّحَرُ﴾ لا ما جئت به، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَيُطِيلُهُ﴾: يمحقه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ﴾: لا يقوى ﴿عَمَلُ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿وَحُجُّ﴾: يثبت، ﴿اللَّهُ الْحَقُّ بِكَلِمَاتِهِ﴾: بأمره ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾: ذلك، ﴿فَمَاءٌ آمِنٌ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِيَّتُهُ﴾: نحو أولاد شبان، ﴿مِنْ قَوْمِهِ﴾: موسى من قبل الأم أو فرعون من قبل الأب (٢)، ﴿عَلَى﴾: مع ﴿خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ﴾: أشرف قومه جمع؛ لأنه ذو صحب يأترون له، لا للفظه؛ إذ هو في التكلم فقط، وقيل: مطلقاً، ﴿أَنْ يَفْنَهُمْ﴾: يعذبهم، ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ﴾ غالب ﴿فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾: في الكبر، ﴿وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ بِنِعْمِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ أَنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾: منقادين لأمره، فالإيمان شرط لوجوبه والإسلام لحصوله فليس من تعليق الحكم بشرطين، كإن دخلتها فأنت طالق إن كلمت، بل مثل: إن دخلتها فأنت طالق إن كنت زوجتي (٣)، ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾: بتسليطهم فيفتنوننا في ديننا فيظن بنا الضلال، نَبَّهَ عَلَى أَنْ تَقْدِيمِ التَّوَكُّلِ عَلَى الدَّعَاءِ يُوْجِبُ الإِجَابَةَ، ﴿وَجَنَابِ رَحْمَتِكَ مِنْ﴾: كيد، ﴿الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا﴾: اتخذنا مباءةً موضع إقامة (٤)، ﴿لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ يُبُوتَا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾: مُصَلَّى، كانوا لا يصلون إلا في كنائسهم، وخافوا من فرعون ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: فيها، ﴿وَبَشِّرِ﴾: يا موسى ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾: بالنصر،

(١) في (ن)، و(د): بل هي تنمة كلام موسى.

(٢) أنوار التنزيل (٢٨٦).

(٣) ونحوه: إن دعاك زيد فأجبه إن قدرت.

(٤) عمدة الحفاظ (٢/٢٣٩/بوا).

ثنى^(١) أولاً؛ لأن التبوئة للرئيس، ثم جمع^(٢)؛ لأن تحصيل مواضع الصلاة يجب على الكل ثم وحده؛ لأن البشارة لصاحب الشريعة، ﴿وَقَالَكَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً﴾: ما يتزين به، ﴿وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾: أي: استدرجتهم بإيتائها، ﴿رَبَّنَا أَطْمَسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ﴾: أذهب نورها وبهجتها فصارت معادنهم مطموسة ودرامهمم حجارة منقوشة ﴿وَأَسَدَّدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: أقسها ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ﴾: جواب الدعاء، ﴿حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾: دعا به غضباً لله ولدينه بعد يأسه من إيمانهم، كلعتنا^(٣) على إبليس، ثم الرضا بالكفر من حيث إنه كُفِرَ لا يكفر شخص معين بعقوبته، أو عطف على: ليضلوا، وقيل: بمعنى: فلا آمنوا، ﴿قَالَ﴾: الله، ﴿قَدْ أُجِيبَتِ دَعْوَتُكُمَا﴾ لأن هارون آمن على دعائه، ﴿فَأَسْتَقِيمَا﴾: على الدعوة إليّ ﴿وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: في الاستعجال، ثم حصل بعد أربعين سنة، ﴿وَجَوْرْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾: في أرضه، ﴿فَأَلْبَعَهُمْ﴾: لحقهم، ﴿فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ بَغِيًّا﴾: باغين، ﴿وَعَدَوًّا﴾: ظالمين، ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ﴾: بأنه، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾: فدس جبريل في فمه الحماة^(٤)؛ مخافة قبوله فقال الله أو جبريل: ﴿ءَأَلْتَنَ﴾: حين يأسك تؤمن: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ﴾^(٥) ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾: مدة عمرك ﴿وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾: المضلين ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾: نبعذك عن قعر البحر فنجعلك طافيا، ولم ير من الغرقاء غير فرعون ﴿بِيَدِكَ﴾: بلا روح أو بدرعك أو نلقيه على نجوة^(٦) من الأرض^(٧)، قال ابن عباس - رضي الله عنه - : كان له درع من ذهب يعرف به ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ﴾: بعدك من القرون، ﴿ءَايَةً﴾: عبرة ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ

(١) في قوله: «تبوءا».

(٢) في قوله: «واجعلوا»، «وأقيموا».

(٣) في البيضاوي: كلعتنا الله إبليس.

(٤) الطين الأسود، الموجود في قاع البحر الأحمر، عند بركة الغرندل.

(٥) سورة غافر.

(٦) مُرتفع.

(٧) في قراءة: (نُنَجِّيكَ) بالحاء المهملة.

النَّاسَ عَنْ آيَاتِنَا لَعْنُفُلُونَ ﴿١﴾: لا يتفكرون فيها ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا﴾: أنزلنا ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأً﴾: منزل، ﴿صِدْقٍ﴾: الشَّام ومصر، وبين في: «قدم صدق»، ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: اللذائذ، ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾: في دينهم، ﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾: التوراة، فصار سبب اتفاقهم سبب شقاقهم، ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: بإقامة المحق، ومعاقة المبطل ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾: هذا لتهيجه، أو على الفرض، أو لتوبيخ^(١) الشاكين، كقوله لعيسى: ﴿ءَأَنْتَ قُلْتَ﴾^(٢) إلى آخره ﴿فَسَلِّ الَّذِينَ يَقْرءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾: كابن سَلام؛ فإنه محقق عندهم، فقال عليه الصلاة والسلام: «لا أشك ولا أسأل»^(٣)، ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾: بالترزل عن يقينك، ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾: إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُكَ: ثبتت، ﴿عَلَيْهِمْ كَلِمَتُكَ﴾: قضاء ﴿رَبِّكَ﴾: بموتهم على الكفر ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: وَلَوْ جَاءَهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾: وحيث لا ينفعهم إيمانهم، ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ﴾: تحضيض^(٤) يتضمن النفي، أي: ليست، ﴿قَرْيَةً ءَأَمَّنَتْ﴾: أي: أهلها بعد معاينة العذاب، ﴿فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾: أهل نينوى^(٥) من موصل^(٦)، ﴿لَمَّا ءَأَمَّنُوا﴾: بعد ما عينوه ففرقوا بين كل حيوان وولده، ولبسوا المسوح^(٧)، وتضرعوا إلى الله تائبين، ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ﴾: دخان أسود غشيهم، ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾: وقت موتهم، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا﴾: مجتمعين على

(١) في (ن): التوبيخ.

(٢) سورة المائدة.

(٣) تفسير ابن كثير (٢/٤٣٢).

(٤) يعني: «لولا» بمعنى: هَذَا.

(٥) شمال العراق حالياً وهي بكسر النون الأولى وسكون الأولى وسكون الياء المثناة التحتية بعدها نون مفتوحة. * معجم البلدان (٥/٣٣٩)، تقويم البلدان (٢٨٥)، المسالك والممالك - للبكري

(١/٢٦٨).

(٦) شمال العراق حالياً - حرس الله أهل السنة فيها بعينه التي لا تنام، وكفه الذي لا يُضام أمين.

(٧) الثياب الخشنة.

الإيمان، فيه رد على القدرية ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ﴾ بما لم يشأ ﴿حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ومآلات لنفيس أن تؤمن إلا بإذن الله ﴿: بإرادة الله﴾ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ ﴿: الخذلان﴾ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿: حُجج الله﴾ قُلْ أَنْظِرُوا ﴿: تفكروا﴾ مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿: من الصنائع﴾ وَمَا ﴿: لا﴾ تَعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ ﴿: الإنذارات﴾ عَن قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿: أي: لا تنفعهم﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ حَلَوْا ﴿: مضوا﴾ مِن قَبْلِهِمْ ﴿: فإنهم بارتكاب موجباته كمتظريه﴾ قُلْ فَانظُرُوا إِلَىٰ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿: ثم نتجى رسلنا﴾: حكاية عن الماضي، وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ ﴿: الإنجاء﴾ حَقًّا عَلَيْنَا ﴿: أي: بحسب وعدنا﴾ نَتِجَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿: قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ صِحَّةِ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَقَّعُكُمْ﴾: بقبض أرواحكم، خص التوفي إرهاباً لهم عن الإشراك، ﴿وَأَمْرُتُ أَنْ﴾: بأن، ﴿أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: بالله ﴿وَأَنْ﴾: بأن، ﴿أَقْرَبَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾: أي: بالاستقامة فيه، ﴿حَنِيفًا﴾: مائلاً عن الشرك، ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ ﴿: إن عبدته﴾ وَلَا يَضُرُّكَ ﴿: إن تركته﴾ فَإِن فَعَلْتَ ﴿: ذلك﴾ فَإِنَّكَ إِذَا مِن الظَّالِمِينَ ﴿: وَإِن يَمَسُّكَ﴾: يصبك، ﴿اللَّهُ يَصْرِفْ فَلَكَ آسِفٌ لَهُ ۖ الْإِلَهُ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَ لِفَضْلِهِ﴾: ذكر الإرادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازمهما؛ ليفهم أن الخير مراد بالذات، والضر^(١) ليس بالقصد الأول، وعدل عن الإرادة التي في الأنعام^(٢)؛ لأن الخير له فلا راد، وإنما الرد فيما يقع، والمسُّ فيما وقع وما استثنى؛ لأن مراده لا يمكن رده ووضع لفضله موضع له^(٣)؛ ليفهم أنه متفضل بلا استحقاق منَّا، ﴿يُصِيبُ بِهِ﴾: بالخير، ﴿مَنْ يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ ۗ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾: فتعرضوا لرحمته^(٤) بالطاعة، ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ﴾: القرآن ﴿مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَهْتَدَى﴾: به، ﴿فَأِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾: نفعه لها، ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾:

(١) في (س): الضرر.

(٢) في قوله: ﴿وَإِن يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

(٣) يعني: ما قال: فلا راد له.

(٤) في (د): للرحمة.

بالكفر به ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ﴾: وبأل ضلاله ﴿عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾: موكول إليّ أمركم
﴿وَأَتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾: امتثالاً وتبليغاً، ﴿وَأَصْبِرْ﴾: على أذاهم، ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ﴾:
بجهادهم أو الهجرة ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾: لا يُخْطِئُ^(١) في حكمه؛ لاطلاعه على السرائر
كالظواهر جَلَّ وَعَلَا - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.



(١) في (ن): لخطأ.

«سورة هود» مكية^(١)

لما قال^(٢): ﴿قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ﴾، أي: القرآن، ثم قال: و﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ أتبعه بمزيد وصفه فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ الر: هذا، ﴿كَتَبْنَا الْحِكْمَةَ آيَاتِهِ﴾: نظماً بلا إخلالٍ لفظاً ومعنى، أو ما نسخت^(٣)، أو الكتاب آيات السورة فليس فيها منسوخ، ﴿ثُمَّ﴾: للتفاوت في الحكم ﴿فُصِّلَتْ﴾: لخص فيها ما يحتاج إليه، مُنَزَّلٌ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ: تقرير لأحكامها، ﴿خَيْرٍ﴾: تقوية لتفصيلها ﴿أَنْ﴾ بأن، ﴿لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُرْمَةٌ﴾: من الله، ﴿نَذِيرٌ﴾: للمعاصي، ﴿وَنَشِيرٌ﴾: للمطيع ﴿وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ﴾ من الذنوب ﴿ثُمَّ تَوْبُوا﴾: ارجعوا ﴿إِلَيْهِ﴾: بالطاعة، أو ثم للتفاوت بينهما، أو ثم توصلوا إليه بها أو الأول من السالفة^(٤) والثانية من الآنفة^(٥)، ﴿يَمْنَعَكُمْ مَنَعًا حَسَنًا﴾: يعيشكم في طاعة وقناعة أوسع، وعلى هذا فلا يرد تمتيع العاصي المصير، ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: موتكم، ﴿وَيُؤْتِي كُلَّ ذِي فَضْلٍ﴾: حسنة ﴿فَضْلَهُ﴾ جزاء فضله في الدارين ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ يتولوا ﴿فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾: القيامة، ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: ومنه عذاب المعرض ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ﴾: يخفون، ﴿صُدُّوهُمْ﴾ أي: ما فيها من الشني الإخفاء يقال: ثنى يثني أي: أخفى ﴿لَيْسَتْ خَفُوا مِنْهُ﴾: من الله بسرهم، ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَعْتُونَ يَبْأَهُمْ﴾: يتغطون بها في فراشهم، ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ في قلوبهم ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: بأفواههم، ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ﴾: بما في، ﴿الصُّدُورِ﴾: القلوب، ﴿وَمَا مِنْ﴾^(٦): صلة، ﴿دَابَّةٍ﴾: خصصها

(١) في (د): مائة وثلاث وعشرون آية غير ﴿وَأَقْرَبَ الصَّلَاةَ﴾ وعند البصريين: أحد وعشرون، ثم نزلت يوسف، كلماتها (١٩١٥) القول الوجيز (٢٠٥) البيان (١٦٥) البصائر (٢٤٦/١)، وحروفها (٧٥٦٦) عدد سور القرآن (٢٥٨).

(٢) في هامش (ن): بلغ مُقَابِلَة.

(٣) يعني آياته.

(٤) الذنوب الماضية.

(٥) المستقبلية.

(٦) في هامش (ن): الجزء (١٢).

بالذكر؛ لأنها أكثر من الطير ﴿فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾: ومن ليس فيها فمستغن عن الرزق، أتى بصيغة الوجوب؛ حثاً على التوكل، وقيل: بمعنى «من» نحو: ﴿أَكْأَلُوا عَلَى النَّاسِ﴾ (١)، ﴿وَيَعْلَمُ مَسْنَقَهَا﴾: في الحياة، ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾: في الممات، أو كما في الأنعام، ﴿كُلُّ﴾: منها مع أحوالها، ﴿فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾: اللوح، فهو عالمٌ بالكلِّ ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾: مرَّ بيانه ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾: أي: لم يكن بينهما خلق حائل، دل على إمكان الخلاء، وأن الماء أول حادثٍ بعده ﴿لِيَسْبُلُوكُمْ﴾: ليعاملكم معاملة المختبر، ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: بالقلب والجوارح، وإحسانه: الإخلاص فيه، أتى بأفعل مع شموله الكفرة حثاً على أحاسن المحاسن، وحاصله: ليظهر أفضليتكم لأفضلكم، ﴿وَلَئِن قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ: مَا هَذَا﴾ القرآن الناطق بالبعث ﴿الْأَسْحَرُ مُبِينٌ﴾: وَلَئِن أَخْرَأْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَيْنَا: مجيء، ﴿أُمَّةٍ﴾: جماعة من الأوقات والسنين، ﴿مَعْدُودَةٍ﴾: قليلة، ﴿لَيَقُولَنَّ: اسْتَهْزَأُوا، مَا يَحْسِبُهُ﴾: عن الوقوع قال تعالى: ﴿الْأَيُّومَ يَأْتِيهِمْ﴾: العذاب، ﴿لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ﴾ أحاط ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾: أي: العذاب ﴿وَلَئِن أَدَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾: أعطيناه نعمة يجد لذتها، ﴿ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُونُ﴾: لا يرجو بعده فرجاً ﴿كَفُورٌ﴾: مبالغ في كفران نعمه السابقة ﴿وَلَئِن أَدَقْنَاهُ نِعْمَةً بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَّتَهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ﴾: المصائب ﴿عَنِّي﴾: لا يتالني سوء بعده، نبه باختلاف الفعلين على أن النعمة مقصودة بالقصد الأول، بخلاف الضر، على مراعاة الأدب، ﴿إِنَّهُ لَفَرِحٌ﴾: بَطْرٌ، ﴿فَخُورٌ﴾: على الناس بما أوتي ﴿إِلَّا﴾: لكن، ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾: على الضراء، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: شكرًا، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾: لذنوبهم ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾: فله الجنة، ﴿فَلَعَلَّكَ﴾: لكثرة تخليطهم عليك يتوهم أنك ﴿تَارِكٌ بَعْضٌ﴾: أي: تبليغ بعض، ﴿مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾: وهو ما فيه سبُّ آلهتهم، وطعن دينهم فتركه مخافة زيادة كفرهم على ظاهره، ولا يلزم من توقعه لوجود ما يدعوه إليه وقوعه؛ لجواز صارف كعصمته منه، ﴿وَصَاحِقٌ بِهٖ صَدْرُكَ﴾: أي: عارضٌ لك أحياناً

بتبليغه ضيق صدر مخافة، ﴿أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا﴾: هَلَا، ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِمَامًا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾: إنما عليك الإنذار، ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾: فتوكل عليه، ﴿أَمْ﴾: بل، ﴿يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ﴾: بلاغة، ﴿مُفْتَرِيَتٍ﴾: مُخْتَلَقَاتٍ، فإنكم أشعرُّ وأكتب مني، ثم لما عجزوا تحداهم بسورة كما مرَّ^(١) من كَوْنِ الْقُرْآنِ غَيْرِ مُفْتَرِيٍّ لَا يَضُرُّ بِالْمُمَاثَلَةِ إِذْ^(٢) الْكَلَامُ عَلَى زَعْمِهِمْ، ﴿وَأَدْعُوا﴾: إلى معاونتكم، ﴿مَنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: أنه مفترى، ﴿فَالَّذِي يَسْتَجِيبُ لَكُمْ﴾: مَنْ دَعَا تَمُوَهُمْ لِمَعَاوَنَتِكُمْ هُنَا أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ، ﴿فَاعَلِمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ﴾: ملتبسا ﴿بِعِلْمِ اللَّهِ﴾: بما لا يعلمه إلا الله، أي: لا يعلم بمواقع تأليفه في علو طبقته إلا الله - تعالى - فلا يقدر عليه سواه ﴿وَ﴾ اعلموا، ﴿أَنَّ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ لظهور عجز آهتكم، ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾: داخلون في الإسلام بعد قيام الحجة، ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ﴾: بإحسانه، ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرِزْقَهَا﴾: فقط، ﴿نُوفِ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ﴾: أي: جزاءها، ﴿فِيهَا﴾: في الدنيا بالرخاء، ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَبْخُسُونَ﴾ لا ينقصون ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ﴾: بطل أو فسد، ﴿مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾: لفقدهم ثواب الآخرة، ﴿وَوَبَّطِلُ﴾: في نفسه، ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: لأنه ليس كما ينبغي، ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَنْبَغٍ﴾: برهان، ﴿مَنْ رَبِّهِ﴾: يهديه إلى الحق كالفطرة السليمة والعقل، وخبره محذوف أي: مثل هؤلاء، ﴿وَيَتْلُوهُ﴾: يتبع البرهان، ﴿شَاهِدٌ مِنْهُ﴾: من الله بصحته وهو القرآن، ﴿وَمَنْ قَبْلِهِ﴾: قبل القرآن، ﴿كُتِبَ مُوسَى﴾: التوراة، ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾: من الله لهم، ﴿أُولَئِكَ﴾: الذين هم على بينة، ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾: القرآن ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ﴾: بالقرآن ﴿مِنَ الْأَحْزَابِ﴾: أصناف الكفار، ﴿فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾: من الموعد أو القرآن، ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: به، ﴿وَمَنْ﴾: لا، ﴿أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: كالمشرك ونافي القرآن^(٣)، ﴿أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ﴾: في القيامة، ﴿وَيَقُولُ

(١) في سورة يونس.

(٢) كذا في جميع النسخ.

(٣) لأن نافي القرآن كافر.

الْأَشْهَدُ: ﴿جمع شاهد وهم الحفظة أو جوارحهم، أو هم أمة محمد - ﷺ﴾: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾: الناس، ﴿عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: دينه، ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾: يريدونها، ﴿عَوَجًا﴾: معوجة كما هم عليه، وبيِّن في الأعراف، ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ﴾: فاتتين الله ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: الدنيا فتأخير عقوبتهم لحكمة، ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ﴾: يمنعونهم عذابه، ﴿يُضَعَّفُ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾: لضلالهم وإضلالهم، أو لأنهم ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾: للحق ﴿وَمَا كَانُوا يَبْصُرُونَ﴾: فهم لفرط كراحتهم للحق كغير المستطيع، ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾: أي: سعادتهم باشتراء أسباب العذاب، ﴿وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: من الآلهة وشفاعتها، ﴿لَا جَرَمَ﴾: بمعنى حق وفاعله، ﴿أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْآخِسُونَ﴾: لا أخسر منهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا﴾: اطمأنوا، ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: بلا شك في ربوبيته ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ مَثَلُ﴾: صفة، ﴿الْفَرِيقَيْنِ﴾: الكافر والمؤمن، ﴿كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ﴾: بآيات الله معتبرا، ﴿وَالسَّمِيعِ﴾: للحق، ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾، تمثيلاً ﴿أَفَلَا نَذَكَّرُونَ﴾: فتنفروا بينهما، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي﴾: بأني أو قائلين ﴿لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَن﴾: مفسرة، ﴿لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ أَلِيمٍ﴾: وصف اليوم به مبالغة، ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ﴾: الأشراف، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ﴾: بيِّن في الأعراف: ﴿مَا نَرْنَكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرْنَكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا﴾: سفلتنا اتبعوك، ﴿بَادِيَ الرَّأْيِ﴾: أوله بلا فكر أو ظاهره بلا تعمق، ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾: مطلقاً، ﴿بَلْ نُنَظِّقُكُمْ كَذِبِينَ﴾: في دعواكم ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ﴾: أخبروني، ﴿إِن كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: حجة واضحة، ﴿مِّن رَّبِّي﴾: على صدقي، ﴿وَأَنْتَنِي رَحْمَةً﴾: نبوة، ﴿مِّن عِنْدِهِ فَعَمَّيْتُ﴾: فخفيت البينة، ﴿عَلَيْكُمْ أَنْزَلْنَاهُمْ مِّمَّا هِيَ﴾: الاهتداء بها، ﴿وَأَنْتُمْ هُنَا﴾: للبينة، ﴿كُدْرَهُونَ﴾: نافون، ﴿وَيَقَوْمِ لَا أَشْكُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على التبليغ، ﴿مَا لَإِن آجَرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: فلا تطلبوا مني طردهم، ﴿إِنَّهُمْ مُّلكُوا رَبِّهِمْ﴾: فيخاصمون طاردهم، ﴿وَلِكَيْ تَرَوُنَّ قَوْمًا يَجْهَلُونَ﴾: بمراتبهم، ﴿وَيَقَوْمِ مَن يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ﴾: بدفع انتقامه،

﴿إِنْ طَرَفْتُمْ﴾: ظَلَمْنَا، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾: حتى تجحدوا فضلى لفقري، ﴿وَلَا﴾ أقول: ﴿أَعَلِمُ الْغَيْبُ﴾: حتى تكذبوني استبعادا، ﴿وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾: حتى تقولوا: ما نراك إلا بشرا، ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي﴾: تستصغرهم، ﴿أَعْيُنُكُمْ﴾: لفقيرهم، ﴿لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾: مما أتاكم، ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾: من الكمالات، ﴿إِنِّي إِذَا﴾: إن قلت ﴿لِمَنِ الظَّالِمِينَ﴾ قالوا يَنُوحُ قَدْ جَدَدْتَنَا فَأَكْثَرْتَ: أطلت ﴿جَدَدْنَا فَإِنَّا بِمَا تَعِدُنَا﴾: من العذاب، ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ قال إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ: فائتين عذابه، ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾: يضلكم، تقريره: إن أراد الله أغواءكم فإن أردت نصحكم لا ينفعكم كقولك: أنت طالق إن دخلت الدار إن كلمت زيدا، فلو دخلت ثم كلمت لم تطلق؛ لأن وقوع الطلاق مُعلق بدخول الدار عقب تكليم زيد ولكن دخلت أولا ثم كلمت، ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾: المتصرف فيكم ﴿وَالَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: فيجازيكم، ﴿أَمْرٌ﴾: بل، ﴿يَقُولُونَ أَفَرَّغَهُ﴾: نوح، أي: ما أخبره عن الله^(١)، ﴿قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ﴾ وبأل ﴿إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا يُجْرِمُونَ﴾ بتكذيبي، ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوْحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِرَكَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَتَّبِعِ﴾ لا تحزن، ﴿بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾: من تكذيبك، ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلَكَ﴾: ملتبسا، ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾: بحفظنا حفظ من يعاين، ﴿وَوَحِينَا﴾: إليك كيفية صنعته، ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي﴾: بالدعاء، ﴿فِي﴾: شأن، ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ﴾: بالطوفان، ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلَكَ﴾: حكاية عن الماضي ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾: كقولهم: كان نبياً فصار نجاراً، ﴿قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنِّي فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ﴾: عند نزول عذابكم ﴿كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ منا ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾: يهينه في الدنيا، ﴿وَيَحْمِلُ﴾ حلول الدين أو ينزل ﴿عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ دائم في الآخرة، وكان يصنعه ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ﴾: فار الماء من مكان النار مُعْجِزَةً وَغَضَبًا ﴿النُّورُ﴾: نبع الماء منه وارتفع كقدر تفور، ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهَا فِيهَا﴾: في السفينة، ﴿مِنْ كَلْبٍ﴾: من الحيوانات إلا المتولد من الطين كالبق ونحوه، ﴿زَوْجَيْنِ﴾: صنفين ذكر أو أنثى ﴿اثنَيْنِ﴾: تأكيد وبالإضافة ظاهر ﴿وَ﴾: احمل،

(١) أي: الذي أقوله إنما هو عن الله.

﴿أَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾: بهلاكه أي: امرأته وأهله وابنه كنعان، ﴿و﴾: احمل، ﴿مَنْ أَمِنَ وَمَاءَ مَنْ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾: اثنا عشر أو ثمانون^(١)، ﴿وَقَالَ﴾: نوح لهم، ﴿أَرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَحْرُنَهَا﴾: يحتمل المصدر والوقت والمكان، ﴿وَمُرْسِنَهَا﴾: أي: مُسَمِّينَ فيها ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: برحمته نجانا، ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾: كلُّ موجة كجبل ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾: كنعان^(٢) قبل جريها، ﴿وَكَانَ فِي مَعَزِلٍ﴾: مكان مُنْقَطِعٍ من السفينة ﴿يَبْتغِي أَرْكَبَ مَعَنَا﴾: في السفينة قبل جريها، ﴿وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكٰفِرِينَ﴾: في البُعدِ عَنَّا، والظاهر أن معنى الآية: أسلم لتستحق الركوب معنا ولا تكن معهم في الكُفْر فتغرق، فلا يُشكَل قول نوح: ﴿وَعَدَّكَ الْحَقُّ﴾، وجواب الله بأنه ليس من أهلِكَ بأن الولد قَصَرَ؛ لأنه ما ركب حين أُمِرَ والله أعلم ﴿قَالَ سَتَأْتِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ﴾: عذاب، ﴿اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾: أي: الراحم أو إلَّا مكان من رحمته، وهو السفينة أو بمعنى ذي عصمة كما مرّ، أو معصوم كدائن^(٣) ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا﴾: نوحٌ وولده ﴿الْمَوْجُ فَكَانَ﴾: صار، ﴿مِنَ الْمُعْرَقِينَ وَ﴾ بعد تناهي الطوفان ﴿قِيلَ يَأْتِزُّ أْبْلَعِي مَاءَ كِ﴾: النابح منك، ﴿وَيَسْمَأَهُ أَقْلَعِي﴾: أمسكي عن المطر أمر إيجاد، ﴿وَعِضْ﴾: نقص ﴿الْمَاءِ وَقُضِيَ﴾: تم الأمر الموعود ﴿وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾: جبل شامخ بموصل^(٤)، روي أنهم لما خرجوا من السفينة بنوا قرية تدعى اليوم قرية «الثمانين»^(٥) بناحية موصل^(٦) أو الشام، ﴿وَقِيلَ بَعْدًا﴾: هلاكًا ﴿لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ونادى نوحُ رَبَّهُ: ﴿أَرَادَ نِدَاءَهُ﴾ ﴿فَقَالَ رَبِّ﴾: وفي مريم^(٧) النداء بمعناه فلا فاء ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ

(١) سبق.

(٢) الدر المنثور (٣/٣٣٢)، غرر التبيان (٢٨٢)، زاد المسير (٤/١٠٩)، الكشاف (٢/٢٧٠)، وقيل: اسمه يام.

(٣) بمعنى: مديون.

(٤) جنوب تركيا - غرر التبيان (٢٨٢) تفسير ابن أبي حاتم (٦/٢٠٣٧/٢٠٩١٥).

(٥) وهي بالعراق - الوسيط (٢/٥٧٥) ومنها الإمام الثمانيني النحوي وهي من بلاد الجزيرة.

* معجم البلدان (٢/٨٤)، تقويم البلدان (٢٧٥)، معجم ما استعجم (١/٣٤٤)، الروض المعطار (١٥٠).

(٦) صانها الله عن أيدي المجوس والملاحدة - آمين.

(٧) يعني في قوله: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ، نِدَاءً خَفِيًّا﴾.

الْحَقُّ ﴿: بإنجاءهم المفهوم من الأمر بحملهم ﴿الْحَقُّ﴾ فلم لم ينج؟ ﴿وَأَنْتَ أَحْكَمُ﴾: أعدل ﴿الْحَكِيمِينَ﴾ قَالَ يَنْبُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴿: لقطع الموالاة بين المسلم والكافر ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ﴾: ذو عمل، أو هذا سؤال^(١) ﴿عَبْرُ صِلِحٍ فَلَا تَسْتَلِنَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ﴾ بصوابه ﴿عَلِمٌ﴾ سَمَاهُ سؤالا باعتبار استنجاهه الوعيد في شأن ولده ﴿إِنِّي أَعْطُكَ﴾ أَنهَاكَ ﴿أَنْ تَكُونَ مِنْ الْجَاهِلِينَ﴾: وسمي سؤاله جهلا؛ لأن حب الولد أشغله عن تذكر استثناء من سبق إلى آخره، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ﴾: بعد ذلك، ﴿مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾: بصحته ﴿وَالْأَلَا﴾: إن لم، ﴿تَعْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾: أعمالا، ﴿قِيلَ﴾: بعد استقرارها على الجودي: ﴿يَنْبُوحُ أَهْطُ﴾: من السفينة مصحوبا ﴿سَلِمٌ﴾: بأمن ﴿مِنَّا وَبَرَكَاتٍ﴾: خيرات تامات، ﴿عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ﴾: ناشئة، ﴿مِمَّنْ مَعَكَ﴾: من المؤمنين إلى يوم^(٢) القيامة، ﴿وَأُمَّمٌ﴾ مِمَّنْ مَعَكَ ﴿سَمِعْتَهُمْ﴾: في الدنيا ﴿ثُمَّ يَمْسَهُمْ مَنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: هم الكافرون، ﴿تِلْكَ﴾: القصة، ﴿مِنْ أَنْبَاءٍ﴾: أخبار، ﴿الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾: يا محمد ﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ﴾: مثل نوح، ﴿إِنَّ الْعُقُوبَةَ﴾ الْحُسْنَى ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾: عن المخالفة ﴿وَ﴾: أرسلنا، ﴿إِلَى عَادٍ آخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾: وَحْدَهُ ﴿مَا لَكُمْ مِنَ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾: ما، ﴿أَنْتُمْ إِلَّا مَفْتَرُونَ﴾ في إشراكه، ﴿يَنْقُورِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على التبليغ ﴿أَجْرًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾ خلقني ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: فتعرفوا الْمُحَقُّ من المبطل ﴿وَيَنْقُورِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ عمَّا سلفَ ﴿ثُمَّ تَوْبُوا﴾: ارجعوا، ﴿إِلَيْهِ﴾: بالطاعة ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾: كثير الدَّرُّ ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى﴾: مع ﴿قُوَّتِكُمْ﴾ بالمال والولد وشدة الأعضاء، عن الحسن رحمه الله^(٣): «من كَثُرَ اسْتِغْفَارُهُ كَثُرَ نَسْلُهُ» ﴿وَلَا تُنْوَلُوا تُجْرِمِينَ﴾: مُصْرِينَ على إجرامكم، ﴿قَالُوا﴾: عنادا، ﴿يَهُودُ مَا جِئْنَا بِبَيِّنَةٍ﴾: حُجَّةٍ واضحة على صدقك، وما كان محتاجا إلى معجزة، لكونه على شريعة غيره، وكان يأمرهم بالعقليات^(٤)، وقيل: بل معجزته

(١) يعني لا يصلح أن تسألني هذا السؤال.

(٢) سقطت من (ن).

(٣) في (ن)، و(د): ﴿وَاللَّهِ﴾.

(٤) في (س)، و(ع): بالفعليات.

تسخير الريح الصرصر، ﴿وَمَا تَحْنُ بِتَارِكٍ﴾: عبادة، ﴿ءَالِهَتِنَا﴾ صَادِرِينَ ﴿عَنْ قَوْلِكَ﴾: بقولك، ﴿وَمَا تَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾: بمُصدقين^(١)، ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا أَعْرَبْنَاكَ﴾: أصابك ﴿بَعْضُ ءَالِهَتِنَا يُسْوِءُ﴾: بجنون؛ لأنك تسبهم ﴿قَالَ إِنْ أَشْهَدُ اللَّهَ﴾ على نفسي ﴿وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ من دُونِهِ: به، ﴿فَكِيدُونِي﴾: أنتم مع كمال قوتكم وآلهتكم ﴿جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ﴾ لا تُمهلون وهذا من معجزاته، ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ تمثيل لقدرته عليهم وتصريفهم على ما يريد، ومن لطائفه أنه مادة اسم قائله على قاعدة^(٢) المعمى^(٣)، ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: على العدل، فيجازي كُلًّا بعمله أو: يدل عليه^(٤) ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: فتتولوا فلا شيء عليّ ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَىٰ الْكَوْكُورِ﴾: وما عليّ إِلَّا البلاغ، ﴿وَيَسْخَطُونَ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾: بعد استئصالكم، ﴿وَلَا تَضُرُّوهُمْ﴾: بإعراضكم ﴿شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾: فلا تخفى عليه أعمالكم ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾: بهلاك عاد، ﴿وَجَعَلْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾: من عذاب الدنيا، وهو سموم^(٥) دخل في أنوفهم وخرج من أدبارهم، وقطعهم عُضْوًا عُضْوًا، ﴿بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾: لا بأعمالهم، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾: عذاب الآخرة ﴿وَتِلْكَ﴾: القبيلة، ﴿عَادٌ جَحَدُوا﴾: كفروا ﴿بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾: جمع لأن من عصى أحدهم فقد عصى كلهم

(١) في (ن)، و(د): مصدقين.

(٢) يعني «الدال» في «دابة» وكذلك قوله: «هو» فيكون «هود»، وللحافظ مُرتضى الزبيدي كتاب نافع في المعمى. اهـ.

(٣) «المعمى» فن شبيهه بالإلغاز والأحجية، وقد ألف فيه الخليل، وذكره الثعالبي - والحريري أول من اخترع المعمى واستعار له اسم «الأحجية» في مقامه الثانية والثلاثين، وإنما اخترعها؛ لامتحان الألفية والذكاء، وقال: وشرطها أن تكون ذات مماثلة حقيقية وألفاظ معنوية لطيفة أدبية.

وهو رياضة ذهنية، ولابن الحنبلي كتاب: «كنز من حاجي وعمى»، كقول الوطواط في البرق:
حُذِ الْقُرْبُ ثُمَّ اقْلِبْ جَمِيعَ حُرُوفِهِ فَذَلِكَ اسْمٌ مِنْ أَقْصَى مُنَى الْقَلْبِ قَرَبَهُ

* المعجم المفصل في الأدب (٢/٨٠٩، ٨١٠).

وقوله «ومن لطائفه... إلخ، يعني في قوله: «مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌ» ف«هو» حرفان من «هود».

(٤) يعني أن الله يدلُّ على الصراط المستقيم.

(٥) يعني الريح العقيم - والعياذ بالله. اهـ.

﴿وَاتَّبِعُوا﴾: أي: سفلتهم، ﴿أَمْرُ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾: طاغ أي: كبراءهم ﴿وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾: لعنوا على السنة كل نبي بعدهم، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بَعْدًا﴾: هلاكاً ﴿لِعَادٍ﴾: هذا بعد هلاكهم للتسجيل على استحقاقهم ﴿قَوْمِ هُودٍ﴾: هم الأولى^(١)، ميزهم عن عاد الإرم وهم الثانية، وأوماً إلى سبب استحقاقهم ﴿وَ﴾: أرسلنا ﴿إِلَى﴾: قبيلة، ﴿ثَمُودَ أَخَاهُمْ﴾: واحداً منهم ﴿صَالِحًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ ﴿أَبَاكُمْ﴾ مِّنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَعْمَرَكُمْ﴾: أقدركم على عمارتها، دل على أنه - تعالى - يريد عمارتها لا التبتل، أو أطال عمركم ﴿فِيهَا﴾ إذ فيهم من له ألف سنة ﴿فَأَسْتَعْفِرُوهُ﴾: عمّا^(٢) مضى، ﴿ثُمَّ تَوَبُّوا﴾: ارجعوا، ﴿إِلَيْهِ﴾: بالطاعة، ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ﴾: بالرحمة، ﴿مُجِيبٌ﴾ لداعيه ﴿قَالُوا يَصْلِحْ فَذَكُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا﴾: في الرشد والسداد، ﴿قَبْلَ هَذَا﴾: الأمر، ﴿أَنْتَهِنَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾: حكاية عن الماضي ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾: من ترك الأصنام، ﴿مُرِيبٌ﴾: موقع في الريبة، فيه مبالغة، ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ﴾: أخبروني، ﴿إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: حجة ﴿مِّنْ رَبِّي وَءَاتَنِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾: نبوة، ﴿فَمَنْ يَصُرْفِي﴾: يمني، ﴿مِنَ اللَّهِ﴾: من عذابه، ﴿إِنْ عَصَيْتُهُ﴾: في التبليغ، ﴿فَمَا تَرِيدُونِي﴾: إذن باستتباعكم إياي، ﴿غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾: في حسناتي أو أنسبكم إلى الخسارة، ﴿وَيَقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾: فسر في الأعراف ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾: عاجل، ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ﴾: لهم صالح، ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾: من العقر: الأربعاء، والخميس، والجمعة، ثم تهلكون ﴿ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرِ مَكْدُوبٍ﴾: فيه أو مصدر كالمخلود، ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾: بإهلاكهم ﴿بِحِجَّتِنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾: لا بطاعتهم، ﴿وَ﴾: نجيناهم، ﴿مِنَ حِزْبِ يَوْمِئِذٍ﴾: يوم هلاكهم بالصيحة، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ﴾: القادر، ﴿الْعَزِيزُ﴾: الغالب، ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾: مع زلزلة فتقطعت قلوبهم كما مرّ ﴿فَأَصْحَابُ فِي دِيَارِهِمْ جَثْمِينَ﴾: خامدين ميتين ﴿كَانَ﴾: كأنهم، ﴿لَمْ يَعْنُوا﴾: يقيموا، ﴿فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودًا

(١) في هامش (ن): عاد أولى.

(٢) في (ن): ممّا.

كَفَرُوا بِهِمْ أَأَبْدًا: ﴿هَلَاكًا﴾، ﴿لَتَمُودَ﴾: فسر في عاد وصرفه باعتبار أنه اسم جدهم وعدمه باعتبار القبيلة، ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا﴾: اثنا عشر ملكًا، ﴿إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى﴾: بالولد والخلة ^(١) وإنجاء لوط، ﴿قَالُوا﴾: سلمنا عليك ﴿سَلَمًا قَالَ﴾: إبراهيم عليكم، ﴿سَلَّمٌ فَمَا لَبِثَ﴾ في ﴿أَنْ جَاءَ بِعِجْلِ حَنِيزٍ﴾: مشويٍّ على الحجارة المحمّاة أو يقطر ودكه ﴿فَلَمَّارًا﴾: إبراهيم، ﴿أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾: أنكروا ذلك منهم، ﴿وَأَوْجَسَ﴾: أضمر ﴿مِنْهُمْ خِيفَةً﴾: لأن من أتى بشرًّا لا يأكل ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾: بالعذاب، ﴿وَأَمْرًا تُهً﴾: ابنة عمته ^(٢) سارة، ﴿قَابِئَةً﴾: لخدمتهم، ﴿فَضَحَكْتَ﴾: سرورا بالأمن ^(٣) أو إنجاء لوط، أو حاضت لتوقن بالولد ﴿فَبَشَّرْنَاهَا﴾: بلسانهم، ﴿بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾: نُصب بحذف الباء ورفع بالابتداء، والبشارة إما باسمهما كيحيى أو بـشّر بهما. ثم سمّاهما بعدما سمّيا حكاية، ﴿قَالَتْ يَوَيْلَئِي﴾: يا عجبا، ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾: ابنة [تسعين] أو تسع وتسعين ﴿وَهَذَا بَعْلِي﴾: زوجي، ﴿شَيْحًا﴾: ابن مائة وعشرين، ﴿إِن هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ ﴿قَالُوا أُنْعَجِينَ مِنْ أَمْرِ﴾: قدرة، ﴿اللَّهُ رَحِمْتَ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ﴾: يا، ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ دُعاءً أو تذكيرًا فلا عجب من تخصيصكم به، ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ﴾: محمود، ﴿مَجِيدٌ﴾: كثير الخير، ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾: الخيفة، ﴿وَجَاءَتْهُ الْبَشْرَى﴾: أخذ ﴿مُجِدِلُنَا﴾: أي: رسلنا ﴿فِي﴾: تخلص، ﴿قَوْمِ لُوطٍ﴾: من العذاب، ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ﴾: كثير التّأوّه للذنوب وللناس ﴿مُنِيبٌ﴾: راجع إلى الله، قالت الملائكة: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾: الجدال، ﴿إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ عذابه ﴿وَإِنَّهُمْ لَأَتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾: بشفاعته ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا﴾: بعد خروجهم من قرية إبراهيم، ﴿لُوطًا سَيِّئًا﴾ حَزَنَ ﴿بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ﴾: بمكانهم، ﴿ذَرَعًا﴾: ضيقة، مثل في العجز كما أن رحبة مثل في القدرة، لأن ^(٤) الطويل الذراع ينال ما لا يناله

(١) يعني أن الله اتخذته خليلا.

(٢) كذا، وقيل: هي سارة بنت هاران بن ناحور بنت عمه. * الوسيط (٢/ ٥٨١).

(٣) يعني في قولهم: «لا تخف».

(٤) سقط من (س).

القصير، وهم جاءوا في أحسن صور^(١) الغلمان، فخاف عليهم من قومه، ﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾: شديدٌ وامراته أخبرت القوم^(٢) به، ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ﴾: يسرعون إليه: ﴿لَطَلَبَ الْفَاحِشَةَ مَعَهُمْ﴾: ومن قتل كانوا يعملون السيئات: الفواحش، فصارت عادتهم، ولذا أسرعوا مجاهرين فأغلق الباب دون ضيفه وقام وراء الباب يدفعهم^(٣)، ﴿قَالَ يَنْقُورُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾: تزوجوهن واطركوهم، إذ كانوا يطلبوهن فلم يجبهن لخبثتهم، ﴿هُنَّ أَطْهَرُ﴾ حالاً ﴿لَكُمْ﴾: من نكاح الرجال أو مثل الميتة أطيب من المغصوب، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾: لا تفضحوني، ﴿فِي﴾: شأن، ﴿صَيْفِي﴾: إذ إخراج ضيفه إخراجاً ﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾: يعرف الحق، ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَمَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾: حاجة ﴿وَإِنَّكَ لَلْعَلَمَ مَا تُرِيدُ﴾: من إتيانهم فلما تسوروا، ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ﴾: بدفعكم لا تتخلف^(٤)، ﴿قُوَّةَ أَوْ أَوْى﴾: أستند ﴿إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾: أي: قوي أتمنع به عنكم لدفعتمكم، قالوا الأضياف: ﴿يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ﴾ إلى إضرارك بإضرارنا ﴿فَأَسِرْ بِأَهْلِكَ يَقِطْعُ﴾: في طائفة ﴿مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْنَفِتْ﴾ لا يتخلف ﴿مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ أو: لا يلتفت لما وراءه من متاعه؛ لئلاً يتأخر^(٥) عن الخروج ﴿إِلَّا أَمْرًا نَكَّ﴾: فلا تسر بها ﴿إِنَّهُ﴾: الشأن، ﴿مُصِيبًا مَّا أَصَابَهُمْ﴾: من العذاب، ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمْ﴾: موعد عذابهم ﴿الصُّبْحِ﴾: فاستعجل فقالوا: ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾: فخرج بابنتيه عند الفجر وطويت له الأرض ونجاً ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾: بعدابهم، ﴿جَعَلْنَا عَلَيْهَا﴾: عالي مدائن^(٦)، ﴿سَاقِلَهَا﴾: أدخل جبريل جناحه تحتها ورفعها حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب ثم قلبها، وكانوا أربعة آلاف ألف^(٧)، ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾ حين الصَّعِيدِ ﴿حِجَارَةً مِّنَ

(١) في (ن): صورة.

(٢) وهذا من خيانتها مع كفرها.

(٣) في نسخة (د): ذكر هذا التفسير بعد قوله «معهم».

(٤) كذا في (ح) فقط.

(٥) في (ن): يأخر.

(٦) كذا- ولعلها: عالي مدائنهم، أو: عالي المدائن، أو: عالي مدائن لوط.

(٧) الطبري (١٥/٤٤٢)، معالم التنزيل (٢/٣٩٦)، الرازي (١٨/٣١)، الوسيط (٢/٥٨٤).

سَجِيلٍ ﴿: أصله سنكل (١) حجر وطنين فَعُرَّبَ، أو هو السماء الدنيا كما أن السجين الأرض السفلى ﴿مَنْضُودٍ﴾: متتابع أو نضد بعضها على بعض ﴿مُسَوَّمَةٌ﴾: مُعَلِّمَةٌ مكتوباً فيها اسم من يقتل بها (٢)، ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾: في خزائنه ﴿وَمَا هِيَ﴾: هذه النعمة، ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾: ظالمي هذه الأمة (٣) كما في الحديث (٤)، ﴿بِعَبِيدٍ﴾: ﴿وَأَرْسَلْنَا﴾: إِلَى مَدِينٍ أَخَاهُمْ﴾: من أشرفهم (٥) نسبا ﴿شُعَيْبًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾: كانوا عبدة الأصنام معتادين البخس، ﴿مَا لَكُمْ مِّنَ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَبُّكُمْ بِحَيْرٍ﴾: موسرين فلم تطففون، ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ تُحِيطُ﴾: لا يفلت منه أحد، وصف اليوم به مجازاً، ﴿وَيَقَوْمًا أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل، صرح به بعد النهي عن ضده ليبين وجوب الإيفاء ولو بزيادة لا يتأتى دونه، ﴿وَلَا تَبْخَسُوا﴾: تنقصوا، ﴿النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا﴾: تبالغوا في الفساد (٦)، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: بقطع الطريق، حال كونكم ﴿مُفْسِدِينَ﴾: في الدين، بُيِّنَ في البقرة ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ﴾: ما أبقاءه من الحلال بعد إيفاء الكيل والوزن ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: من التطفيف، ﴿إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: إذ لا خير في حلال بلا إيمان، ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾: بل ناصح، ﴿قَالُوا﴾ تهكمًا: ﴿يَسْخَعِبُ أَصْلُوكَ تَأْمُرُكَ﴾: بتكليف، ﴿أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ﴾: نترك، ﴿أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشْتَوُا﴾: من البخس أو تقطيع الدراهم، ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾: تهكموا به ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: حجة وبصيرة، ﴿مِنَ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ﴾: بلا كدٍ مِنِّي (٧) ﴿رِزْقًا حَسَنًا﴾: حلالاً، فهل لي مخالفته، ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكُمْ﴾: أسبقكم، ﴿إِلَىٰ مَا﴾: أي: عملكم الذي، ﴿أَنْهَيْتُمْ عَنْهُ إِنْ﴾: ما،

(١) كذا، وقيل: هو معرب عن «سنك» و«كل». * الوسيط (٢/ ٥٨٤).

(٢) معاني القرآن - للزجاج (٣/ ٧٢)، الوسيط (٢/ ٥٨٥)، ابن كثير (٤/ ٢٧١).

(٣) يعني في حكم اللاتط - ابن كثير (٢/ ٤٥٥).

(٤) يشير إلى حديث: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط، فاقتلوا الفاعل والمفعول به» أخرجه أبو داود

(٤٤٦٢) والترمذي (١٥٢٣)، وابن ماجه (٢٥٦١) وسنده ضعيف.

(٥) في (ن): أشرفهم.

(٦) من العتة التي تلحس الصوف ونحوه فتنسده، والعامه في مصر يسمونها: «عتة» بالياء المشناة.

(٧) في (ن): كدي.

﴿أُرِيدُ﴾: بنصحكم، ﴿إِلَّا الْإِضْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي﴾: لإصابة الحق، ﴿إِلَّا بِاللَّهِ﴾: بإعانتة، ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾: أرجع بعد الموت ﴿وَيَقَوْمٌ لَا يَعْرِمَنَّكُمْ﴾: لا يكسبنكم، ﴿شِقَاقِي﴾: مُعاداتي، ﴿أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾: من الغرق، ﴿أَوْ قَوْمَ هُودٍ﴾: من الريح، ﴿أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ﴾: من الصيحة، ﴿وَمَا قَوْمٌ لُوطٍ﴾: مهلكهم ﴿مِنْكُمْ بِعِيدٍ﴾: زماناً^(١) ومكاناً فتذكروا، ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾: عمّا سلف، ﴿ثُمَّ تَوْبُوا﴾: ارجعوا، ﴿إِلَيْهِ﴾ بالطاعة ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ﴾: للتائبين، ﴿وَدُودٌ﴾: بليغ المودة بهم ﴿قَالُوا﴾: استهانة: ﴿يَسْتَعِيبُ مَا نَفَعَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرُّكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾: لأنك أعمى^(٢) بلا خدم، ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾: أي: عزّتهم؛ لأنهم على ديننا، وهو^(٣) من ثلاثة إلى عشرة، ﴿لَرَجَمْنَاكَ﴾: لقتلناك برمي الأحجار، ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِيزٌ﴾: فتمنعنا عزتك عن الرّجم ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخِذُوهُ﴾: تعالى ﴿وَرَأَى كُمْ ظَهْرِيًّا﴾: ذليلاً كشيء ملقى وراء الظهر ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾: فيجازيكم، ﴿وَيَقَوْمِ أَعْمَلُوا﴾: قارين ﴿عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾: حالكم التي أنتم عليها كالشرك، ﴿إِنِّي عَمِلٌ﴾: على ما أنا عليه، ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾: يفضحه ﴿وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا﴾: انتظروا ما أقول ﴿إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾: منتظر، ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾: عذابنا، ﴿نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾: لا بأعمالهم، ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾: صاح بهم جبريل فهلكوا ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِينِهِمْ جَثِيمِينَ﴾: ميتين وأصله^(٤) لزوم المكان ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا﴾: يُقيموا ﴿فِيهَا أَلْبَعْدَا﴾: هلاكاً، ﴿لَمَّذِينَ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ﴾: فإنهم أهلكوا بالصيحة أيضاً لكن صيحتهم من تحتهم وصيحة هؤلاء من فوقهم مع رجفة وظلمة، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾: مُعجزاته ﴿وَسُلْطَانٍ﴾: حجة ﴿مُتِينٍ﴾: واضح، ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾: فَانْبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ ﴿: بتكذيب موسى ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾: مُرشد إلى الخير، وإنه، ﴿بِقَدْمٍ﴾ يتقدّم ﴿قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأُورَدَهُمْ﴾: جعلهم واردين،

(١) الوسيط (٢/٥٨٧)، الرازي (١٨/٣٩)، معالم التنزيل (٢/٣٩٩)، فتح القدير (٢/٥٢٠).

(٢) البحر المحيط (٥/٢٥٦)، الوسيط (٢/٥٨٧).

(٣) يعني: الرهط.

(٤) الجثوم.

﴿النَّارُ وَيَبْسُ الْوَرْدُ الْمَوْزُودُ﴾: الذي وردوه؛ لأنه ^(١) لتبريد الكبد، والنار بضده،
 ﴿وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَبْسُ الرِّقْدُ﴾ العطاء ﴿الْمَرْفُودُ﴾: المعطى رفاهم ^(٢)
 وهو اللعْنُ ﴿ذَلِكَ﴾: النبأ، ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى﴾: المهلكة، ﴿نَقَضُهُ عَلَيْكَ﴾: يا محمد،
 ﴿مِنْهَا قَائِمٌ﴾: آثاره، كحيطانه، ﴿وَ﴾ منها ﴿حَصِيدٌ﴾: عافي الأثر، ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾:
 بإهلاكهم، ﴿وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: فاستحقوه، ﴿فَمَا أَغْنَتْ﴾ دفعت ﴿عَنْهُمْ﴾ الهمهم
 الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾: شيئا من عذابه ﴿لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾: عذابه، ﴿وَمَا
 زَادُوهُمْ﴾: أي: الآلهة، إياهم، ﴿غَيْرَ تَنْبِيهِ﴾: هلاك، ﴿وَكَذَلِكَ﴾: الأخذ، ﴿أَخَذُ رَبِّيكَ
 إِذَا أَخَذَ﴾ أهل ﴿الْقُرَى﴾ وَهِيَ ظَلِمَةٌ﴾: تعليل لأخذه، ﴿إِنَّ أَخَذَهُ الْيَمُّ شَدِيدٌ﴾: غير مرجو
 الخلاص ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ إهلاكهم ﴿لَايَةً﴾: لعبرة، ﴿لَمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ﴾: اليوم
 الآخر، ﴿يَوْمٌ يَجْمَعُ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾: فيه الخلائق، ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ﴾: اليوم،
 ﴿إِلَّا لِأَجَلٍ﴾: لوقت، ﴿مَعْدُودٍ﴾: معلوم متناهٍ، ﴿يَوْمٍ﴾: حين ﴿يَأْتِ﴾ اليوم أو هو
 تعالى، ﴿لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾: هذا في موقف، وفي موقف آخر ﴿لَا يَنْطِقُونَ﴾ ^(٣)
 فتقسيمه لا ينافي الأعراف ^(٤)، ﴿فَمِنْهُمْ﴾: من أهل الموقف، ﴿شَقِيٌّ﴾: باستحقاق
 النار، ﴿وَ﴾: منهم ﴿سَعِيدٌ﴾: باستحقاق الجنة، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ﴾: في ذلك
 اليوم، ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾: إخراج نفس، أو صوت في الحلق، أو أول نهيق ^(٥) الحمار،
 ﴿وَشَهيقٌ﴾: ردها ^(٦) أو صوت في الصدر أو آخر نهيقه ^(٧)، ﴿خَلِيدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
 السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾: سموات الآخرة وأرضها، أي: ما يظلمهم ويقلهم إذ وجودهما
 معلوم من الحديث وداوامهما معلوم من دوام الجنة والنار، أو عبر بذلك عن الدوام

(١) أي الورد، وهو مكان الشرب.

(٢) المخصوص بالذم.

(٣) سورة المرسلات.

(٤) يعني التقسيمة الثنائية: شقي، وسعيد. لا تنافي الثلاثية: شقي، وسعيد، ومن أصحاب الأعراف.

(٥) في (س): شهيق!!.

(٦) يعني: رد النفس.

(٧) في (س): شهيقه.

كما هو دأب العرب، ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾: استثناء من الخلود، فإن الفساق لا يخلدون أو لخروجهم من النار إلى الزمهرير وغيره، أو الله عالم بشيئه وقيل: من قوله: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ .. إلى آخره» وقيل: كقولك: والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك، مع جزم عزمك على ذلك ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾: بلا اعتراض عليه، ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا﴾ مجهول^(١) بمعنى أسعدوا، أو من محذوف الزائد ﴿فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾: هو مدة اتصالهم بجناب القدس، أو مدة عذاب الفساق ويؤيده: ﴿عَطَاءٌ غَيْرٌ مَّجْدُوزٍ﴾: مقطوع، أو إلا فيهما بمعنى سوى، نحو: له علي ألف إلا الألفان القديمان، أي: مدة بقائهما سوى ما شاء ربك، أو هو زمان موقفهم للحساب أو «ما» فيهما بمعنى من وحيثذ ففي الثاني تعليل^(٢)، بل في الكل تكليف، وهو استثناء لا يفعله تنبيها على أنه إن شاء إلا يخلدهم لما أخلدهم، ﴿فَلَا تُكُ فِي مَرِيَةٍ﴾: شك، ﴿مَمَّا يَعْبُدُونَ﴾: من عبادة، ﴿هَؤُلَاءِ﴾: المشركين أي: في أنها كفر مؤد إلى ما حل بسلفهم، ﴿مَا يَعْبُدُونَ﴾: عبادة ﴿إِلَّا كَمَا﴾: كان ﴿يَعْبُدُونَ آبَاءَهُمْ مِنْ قَبْلُ﴾: فسيلحقهم ما لحقهم ﴿وَإِنَّا لَمَوْفُوهُمْ نَصِيبُهُمْ﴾: من الجزاء، ﴿غَيْرَ مَقْصُوصٍ﴾: للتأكيد، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَأَخْلَفَ فِيهِ﴾: آمن به بعض وكفر به بعض، كهؤلاء في القرآن، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾: بإنظارهم إلى القيامة، ﴿لَقَضَى بَيْنَهُمْ﴾: لفرغ من جزائهم، ﴿وَإِنَّمْ لَفِي شَكِّ مَنَّةٍ﴾: من كتابك ﴿مُرِيبٍ﴾: موقع في الريبة ﴿وَإِنْ كَلَّا﴾: كل مؤمن وكافر، ﴿لَمَّا﴾: بالتشديد، أصله لمن ما، أي: لمن الذين، وبالتخفيف ما صلة، أو بمعنى «من» مخففة عاملة أي: والله، ﴿لِيُؤْفِقَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾: أي: جزاءها، ﴿إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ﴿فَأَسْتَقِيمَ كَمَا﴾: أي: مثل الاستقامة التي، ﴿أُمِرْتَ﴾: بها بلا إفراط وتفريط، ﴿وَمَنْ تَابَ﴾: من الكفر وآمن، ﴿مَعَكَ وَلَا تَطَّعُوا﴾: لا تتجاوزوا ما^(٣) أمرتم، ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: دل على وجوب اتباع النصوص بلا تصرف بنحو قياس

(١) يعني الفعل الماضي مبني للمجهول «سعدوا».

(٢) في (ن): نظر.

(٣) في (ن): عمًا.

واستحسان، ﴿وَلَا تَرْكَبُوا﴾: لا تميلوا أدنى ميل ﴿إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: كالتزبي بزيهم وتعظيم ذكرهم، ﴿فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾: بذلك، ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾: أعوان يمنعونكم من عذابه، ﴿ثُمَّ لَا تَنْصُرُونَ﴾: لا ينصركم الله بشؤم الركون إليهم، ﴿وَأَقْبِرِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ﴾: الصبح وبعد الزوال والعصر، ﴿و﴾: ساعات، ﴿زُلْفَا﴾: قريبة من النهار، ﴿مِنْ أَيْلٍ﴾: المغرب والعشاء وفي الكل خلاف، ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ﴾: كلها، ﴿يُدْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ﴾: القرآن ﴿ذَكَرَى﴾: عظة، ﴿لِلذَّاكِرِينَ﴾: للمتعطين^(١)، ﴿وَأَصْبِرْ﴾: على الطاعة، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾: فكلوا: هلا للتعجب والتوبيخ، ﴿كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا﴾: ذوو ﴿بَقِيَّةٍ﴾ خير ﴿يَتَّبِعُونَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾: لكن، ﴿قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾: نهوا عنه، ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: بترك النهي، ﴿مَا أَتَرَفُوا﴾: أنعموا، ﴿فِيهِ﴾: من الشهوات، معرضين عن غيرها، ﴿وَكَانُوا جُرْمِيَّةٍ﴾: فيه استؤصلوا، وقيل: معناه اتبعهم آثارهم وديارهم في الهلاك، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ﴾: ما صحَّ له ﴿لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ﴾: بشرك، ﴿وَأَهْلَهَا مُصْلِحُونَ﴾: فيما بينهم بالاتباع لفرط مسامحته في حقوقه، ولذا تقدم حقوق العباد على حقه عند تراحم الحقوق، وقيل: أي بظلم تفريع ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: مسلمين، ﴿وَلَا يُزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾: في فوasd العقائد، ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾: فاجتمعوا على الحق، ﴿وَلِذَلِكَ﴾: الاختلاف، ﴿خَلَقَهُمْ﴾: اللام للعاقبة أو للتمكين نحو: ﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾^(٢)، أو بمعنى على، نحو ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾^(٣) أو كذلك الرحمة والضمير لـ «من» ﴿وَوَمَّتْ كَلِمَةُ﴾ قضاء ﴿رَبِّكَ لِأَمَلَانَ جَهَنَّمَ مَنْ﴾ مُتمردي ﴿الْحِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾: أي: منهما لا من أحدهما، ﴿وَكُلًّا﴾: كل نبأ، ﴿تَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ﴾: هو ﴿مَا نُنشِئُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾: بزيادة يقينك، ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ﴾: الأنباء ﴿الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا: قارين^(٤) ﴿عَلَى مَكَاتِكُمْ﴾: حالتمك من التجرد ﴿وَإِنَّا عَمِلُونَ﴾: على حالنا،

(١) في (ن): المتعطين.

(٢) سورة غافر.

(٣) سورة الصافات.

(٤) في (س): قادرين.

﴿وَأَنْظُرُوا﴾: بنا الدوائر، ﴿إِنَّا مُنظِرُونَ﴾: عقابكم ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: لا يخفي عليه ما فيهما، ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ﴾: الأمور ﴿كُلُّهُ فَاَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: فيجازي كلًّا بما يستحقه جل وعلا سبحانه تعالى - والله أعلم.



«سورة يوسف»^(١): مكية^(٢)

لما قال: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ ... إلى آخره أتبعه بأحسن القصص فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ الرَّتَلْكَ: الآيات التي في السورة، ﴿ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾: الواضح إعجازه ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾: الكتاب، ﴿قُرْءَانًا﴾: مجموعاً أو مقروءاً، ﴿عَرَبِيًّا﴾: بلغتكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: تفهمون، ﴿تَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾: فصاحةً أو: أحسن المقصوص حكماً ونكتاً والظاهر: أحسنها في بابه لا من سائرهما حتى قصة حبيب الله ﷺ أو: نُبِئْنَا أَحْسَنَ الْبَيَانِ ﴿بِمَا أَوْحَيْنَا﴾: بإيحاءنا، ﴿إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْءَانُ وَإِن كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾: عن هذه القصص، اذكر ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾: يعقوب، ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ﴾: من الرؤيا وهي انطباع الصورة المنحدرة^(٣) عن أفق المتخيلة إلى الحس المشترك وصدقها باتصال النفس عند أدنى فراغه من تدبير البدن إلى الملكوت فيتصور بمعان فيه ثم تحاكيه المتخيلة بصورة تناسبه فيرسلها إلى الحس المشترك فتشاهد، فإن كانت شديدة المناسبة استغنت عن التعبير وإلا فتعبر، ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾: عدل عن: ثلاثة عشر، وعطف لتفضيلهما، ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾: جمع كالعقلاء؛ لأن السجود من خواصهم^(٤)، ﴿قَالَ يَبْنَئُ﴾: صُغِّرَ لِلشَّفَقَةِ ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ﴾ لإهلاكك ﴿كَيْدًا﴾: لحسدهم لو علموا تأويلها وهو النبوة والغلبة عليهم، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ وكذلك: الاجتباء بهذه الرؤيا، ﴿بِحَبْنِيكَ﴾ يصطفيك ﴿رَبُّكَ﴾: بالنبوة والملك، ﴿وَيَعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾: الرؤيا؛ لأن صادقها حديث الملك، وكاذبها حديث الشيطان، أو الكتب، ﴿وَيُتَرِّقُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ

(١) في (ن): سورة يوسف - عليه السلام - مكية.

(٢) في هامش نسخة (د): سورة يوسف مكية مائة وإحدى عشر آية بالاتفاق بشير اليسر (١٠٧)، البيان

(١٦٧) كلماتها (١٩٩٦) عدد سور القرآن (٢٦٣)، البيان (١٦٧)، القول الوجيز (٢٠٩) وحروفها

(٧١٧٦) في عدد سور القرآن (٢٦٣): (٧١٦٦) ثم الحجر.

(٣) انظر: الفيوض الإلهية شرح الألفية الوردية - للإمام المناوي (٩٥/ بتحقيقي - ط دار الفتح).

(٤) بل يسجد لله ما في السماوات وما في الأرض من دابة أ.هـ.

وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ ﴿١﴾: بنيه، استدل بَصُوءِ الْكَوَاكِبِ عَلَى نُبُوتِهِمْ ﴿كَمَا أَتَمَّهَا عَلَيَّ أَبُو يَك﴾: الجدُّ وأبي الجدِّ ﴿مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ابْنَيْ رَبِّكَ عَلِيمٌ﴾: بمن يستحق، ﴿حَكِيمٌ﴾: في إعطائه، ﴿لَقَدْ كَانَ فِي﴾: قِصَّةِ، ﴿يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ﴾: الْعَلَاتِ ﴿آيَاتٍ﴾: عِظَمًا، ﴿لِلنَّاسِ الْإِيلِينَ﴾: للمستخبرين، ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾: مِنَ الْأَبْوِينَ ^(١) ﴿أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾: جماعة أقوياء نرافقه فنحن أحقُّ ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾: بترك التعديل، ولا تجب عصمة الأنبياء عن مثله ^(٢)، ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾: فتكون بعيدة ﴿يُخْلَى﴾ يخلص ﴿لَكُمْ وَجْهٌ أَيْكُمْ﴾: عن إقباله إليه، ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ﴾: بعد قتله ﴿قَوْمًا صَالِحِينَ﴾: بالتوبة عنه، ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ﴾: يهوذا ^(٣)، ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ﴾: قَعْرِ ﴿الْجُبِّ﴾: البئر، ﴿يَلْقَظُ﴾: يأخذه، ﴿بَعْضَ السَّيَّارَةِ﴾: المُسَافِرِينَ ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَعِلِينَ﴾: بمشورتي فافعلوا، ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا﴾: تخافنا، ﴿عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصْحُونُ﴾: نشفق عليه، ﴿أَرْسَلَهُ مَعَنَا﴾: إِلَى الصَّحْرَاءِ، ﴿عَدَا يَرْتَعُ﴾: يَتَسَعُّ فِي الْمَلَادِّ، ﴿وَيَلْعَبُ﴾: بمثل الاستباق، سماه لعبًا لشبهه له، ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾: قَالَ: يعقوب ﴿إِنِّي لِيَحْزُنُنِي أَنَّ تَذْهَبُوا بِهِ﴾: لقلعة صبري عنه، ﴿وَإِخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾: لِأَنَّ أَرْضَهُمْ مَذْبَهٌ ^(٤)، ﴿وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾: بلعبكم، ﴿قَالُوا﴾: وَاللَّهِ، ﴿لَيْنَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾: جماعة أقوياء، ﴿إِنَّا إِذَا لَخَسِرُونَ﴾: لمغبونون، أعرضوا عن جواب العذر الأول؛ لأنه ^(٥) الذي أغضبهم ثم أرسله معهم، ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ﴾: جوابه محذوف يدل عليه: ﴿وَأَجْمَعُوا﴾: اتفقوا، ﴿أَنْ يَجْعَلُوهُ﴾: يلقوه، ﴿فِي غَيَابَتِ﴾: قَعْرِ ﴿الْجُبِّ﴾: بيت المقدس ^(٦) أو غيره، ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾: فِي الْجَبِّ صَغِيرًا كَعِيسَى وَيَحْيَى، وَاللَّهِ ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُمْ﴾: لتخبرن إخوانك، ﴿بِأَمْرِهِمْ﴾: بصنيعهم، ﴿هَذَا﴾: بيشارة بنصرته عليهم، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: أنك يوسف لعلوك ﴿وَجَاءَ وَآبَاهُمْ عِشَاءً﴾: آخر النهار،

(١) في (ن): للأبوين.

(٢) يعني الغيرة والغبطة.

(٣) غرر التبيان (٢٨٤)، زاد المسير (٤/١٨٥) الوسيط (٢/٦٠١).

(٤) مليئة بالذئاب.

(٥) في (د) لأمر.

(٦) غرر التبيان (٢٨٤)، زاد المسير (٤/١٨٥).

﴿بَكُورٌ قَالُوا يَا بَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَقِي﴾: نتسابق في ^(١) الرمي والعدو ﴿وَتَرَكَنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَعِنَا﴾: ثيابنا، ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ﴾: مُصَدِّقٌ ﴿لَنَا﴾: فيه ﴿وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾: لسوء ظنك بنا، ﴿وَجَاءَ وَعَلَى﴾: فوق ﴿فَمِصْبِهِ﴾: حال من، ﴿يَدْمٍ﴾: ذي، ﴿كَذِبٍ قَالِ﴾: ما أكله الذئب، ﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾: زَيَّنَتْ ﴿لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾: عظيماً، ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾: أجمل وهو ما لا شكوى فيه إلى الخلق ^(٢)، ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَيَّ﴾ تحمّل ﴿مَا تَصِفُونَ﴾: من هلاكه ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾: مسافرون من مدين إلى مصر، ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾: الذي يرد الماء ليستقي للقوم ﴿فَأَدْرَى﴾: أرسل، ﴿دَلُوهُ﴾: في الجُبِّ، فتدلى يوسف بالحبل فخرج، فلما رآه، ﴿قَالَ يَبْنَشْرَى﴾: تعالي فهذا أوانك أو اسم صاحبه، ﴿هَذَا غُلْمٌ﴾: وكان ابن سبعة عشر، ﴿وَأَسْرُوهُ﴾: أخفى الواردون من أصحابهم لئلا يشاركوهم، ﴿بِضْعَةٍ﴾: متاعاً للتجارة أو أخفى إخوته أنه أخوهم وباعوه منهم، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ وَشَرُّهُ﴾: باعه الواردون أو الإخوة، ﴿بِشْرِبٍ بَخْسٍ﴾: مبخوس زيف أو ظلم ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾: عشرين، ﴿وَكَاثُوا﴾: البائعون، ﴿فِيهِ﴾: في يوسف، ﴿مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾: الراغبين عنه، لآباعوه مخافة الانتزاع عنهم، ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ﴾: قطفير ^(٣) العزيز، ﴿لَا مَرَأَتَهُ﴾: زُلَيْخَا ^(٤)، ﴿أَكْرَمِي﴾: أحسني ﴿مَثْوَاهُ﴾: بحسن التعهد ﴿عَسَى أَنْ يَفْعَنَا أَوْ نَنُجِّدَهُ، وَلَدَا﴾: إذ كان عقيماً، ﴿وَكَذَلِكَ﴾: التمكين، ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾: أرض مصر لمصالح، ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾: الرؤيا، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾: لا رادَّ لما أراد ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أن الأمر كله بيده، ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾: منتهى اشتداد قوته وهو سن الوقوف من ثلاثين إلى أربعين ^(٥)، وَبَيَّنَّ فِي الْأَنْعَامِ ^(٦)، وقيد في قصة موسى بقوله ﴿وَأَسْتَوَى﴾، وهو البلوغ إلى أربعين لبعثته بعده، ﴿ءَايَاتُهُ حُكْمًا﴾: نبوة، ﴿وَعِلْمًا﴾:

(١) في (ن): إلى.

(٢) الوسيط (٢/٦٠٤).

(٣) غرر التبيان (٢٨٥).

(٤) غرر التبيان (٢٨٥)، فتح القدير (٣/١٥).

(٥) زاد المسير (٤/٢٠٠).

(٦) في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾.

بالدين والتعبير^(١)، ﴿وَكَذَلِكَ﴾: الجزاء، ﴿بِحَزْرٍ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿وَرَوَدَتْهُ﴾: طلبته بهوى، أو كنى بها عن المخادعة، ﴿الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾: زليخا ﴿عَنْ نَفْسِهِ﴾: بطلب موافقتها ﴿وَعَلَّقَتِ الْأَثْوَابَ﴾: السبعة وتبيات ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ﴾: تبيات، أو: أقبل ﴿لَكَ﴾: لأمه للتبيين، ﴿قَالَ﴾: يوسف، ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾: أعوذ به معاذاً لله ﴿إِنَّهُ﴾: تعالى، ﴿رَبِّ أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾: منزلتي فكيف أعصيه، أو الضمير للشأن، وربي أي: سيدي، ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾: بكفران النعمة، ﴿وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِهِ﴾: قصدت مخالطته ﴿وَهُمْ بِهَا﴾: قصد مخالطتها أي: قصداً طبعياً لا يؤاخذ به لا إرادياً، ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾: في قبح الزنا أو جبريل أو يعقوب عاصماً على أصبعه ضارباً صدره فخرجت شهوته من أصبعه، قاله ابن عباس - رضي الله عنه^(٢) - أريناه ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ﴾: الخيانة، ﴿وَالْفَحْشَاءَ﴾: الزنا، ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾: أخلصناه لعبادتنا ﴿وَأَسْتَبَقَا﴾: يوسف للهرب وزليخا لمنعه ﴿الْبَابَ﴾: أي: إليه، ﴿وَقَدَّتْ﴾: شقت، ﴿قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ﴾: خلف؛ لأنها اجتذبتة ﴿وَالْقَبِيحَا﴾: صادقاً ﴿سَيْدَهَا﴾: زوجها، ﴿لَدَا الْبَابِ قَالَتْ﴾: إنيها ما بأنها فررت منه: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾: زنا ﴿إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قال: يوسف: ﴿هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِيَّ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾: صبي في المهد، وهو من أربعة تكلموا صغاراً^(٣)، فقال، ﴿إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾: لأنه تبعها وقَدَّتْ، بدفعها إياه أو نحو ذلك، ﴿وَإِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾: فإنها تبعته وجذبت ثوبه ﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ﴾: أي: قولها: ما جزاء من أراد - إلى آخره، ﴿مَنْ كَيْدُكُمْ﴾: يا نسوة، ﴿إِنْ كَيْدُكُمْ عَظِيمٌ﴾: إشارة إلى تلك الفعلة عادة كلهن، ثم قال: يا ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾: اكنمه ﴿وَأَسْتَغْفِرِي﴾ يا زليخا ﴿لِذُنُوبِكِ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾: كان قليل الغيرة بل قال في البحر^(٤): إن تربة مصر تقتضي^(٥) هذا، ولذا لا ينشأ منها الأسد^(١)، ولو

(١) يعني تفسير الأحلام.

(٢) الوسيط (٢/٦٠٨)، معالم التنزيل (٢/٤٢٠) وهذا لا يصح.

(٣) تفسير ابن كثير (٢/٤٧٥) وسنده ضعيف.

(٤) البحر المحيط (٥/٢٩٧).

(٥) أقول: هذا من تحامل أبي حيان - رحمه الله - وكم في تفسيره من مخالفات ورمي الملك بعدم الغيرة باطل؛ لأنه ثبت عنده بقرائن حالية وكلامية وشواهد قاطعة أن يوسف - عليه السلام - لم يعمل شيئاً

دخل فيها لا يبقى^(٢)، ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾: مِصْرٌ، ﴿أَمْرَاتُ الْعَزِيزِ تَرْوُدُ فَدَنَاهَا﴾: عبدها، ﴿عَنْ نَفْسِهِ﴾: تطلب منه الفاحشة، ﴿قَدْ شَغَفَهَا﴾: دخل في شغاف قلبها، أي: غلافه، ﴿حُبًّا﴾: من جهة الحب، ﴿إِنَّا لَنَرْنَهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾: غيبتهن في الخفية كالمكر، ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾: دعتهن، ﴿وَأَعْتَدَتْ﴾: أعدت، ﴿لَهُنَّ مُكْكَا﴾: ما يتكأ عليه أو مجلسًا فيه مفارش أو أظعمة تقطع بالسكين^(٣)، ﴿وَأَتَتْ كُلَّ وَجْدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا﴾: لقطع ما يقطع، ﴿وَقَالَتْ﴾: بعد أخذهن السكاكين، ﴿أَخْرَجَ﴾: يا يوسف، ﴿عَلَيْهِنَّ﴾: والخروج يستعمل بعلی في نحو غلبة أو ريبة أو آية، ﴿فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أَكْبَرْتَهُ﴾: هبن حُسنه لتلألؤ^(٤) وجهه على الجدران، أو حِضْن^(٥) شَبَقًا^(٦)، ﴿وَقَطَعْنَ﴾: جرحن، ﴿أَيْدِيَهُنَّ﴾: حيرة، ﴿وَقُلْنَ حَاشَ﴾: تنزيهاً، ﴿لِلَّهِ﴾: من العجز، ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ﴾: ما هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾: في الحسن، إذ ركز في الطباع تناهي حسن الملك كتناهي قبح الشياطين، ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ زَادْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعَصَمَ﴾: بالغ في عصمته لما بان عذرها اعترفت، ﴿وَلَكِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَاءَ أَمْرِهِ﴾: به، ﴿لَيْسَ جَنًّا وَلَكِنْ كُنَّا مِنْ الضَّعِيفِينَ﴾: الأذلاء، ولما قلن: أطع مولاتك، ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾: أشر عندي ﴿مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾: من إطاعتها، ﴿وَالْأَلَا﴾: لم، ﴿تَصْرَفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ﴾: أمل ﴿إِلَيْهِنَّ﴾: لأنهن دعونه إلى أنفسهن أيضًا، ﴿وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾: بارتكاب القبائح ﴿فَاسْتَجَابَ﴾: فأجاب، ﴿لَهُ رَبُّهُ﴾: دُعاءه، المفهوم من كلامه، ﴿فَصْرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾: بالعصمة^(٧)، ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾: للدعوات، ﴿الْعَلِيمُ﴾: بالحالات، ﴿ثُمَّ بَدَأَ﴾: ظهر ﴿لَهُمْ﴾: للعزیز وأصحابه، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا

= مما يعملها البطالون، ولذا كان حريصا على أن يستر الأمر وأن يكتمه؛ لدقة مركزه ا.هـ.

(١) تأثر المصنف هنا بالطبيب علي بن رضوان البغدادي في كتابه «دفع مضار الأغذية».

(٢) لأن الله قال: ﴿أَدْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ يعني من نحو سُبُع، أو ثعبان.. إلخ ولذا كان النبي صصص

حينما ينزل بأرض يستعيد بالله من شرِّ الأسد، والأسود- الثعبان. ثم كم دخل مصر من أسدٍ دافع عن دين الله

وكسر رأس الكفر كأحمد بن طولون، وصلاح الدين، وقطر، وبيبرس، وقلاوون... إلخ.

(٣) الوسيط (٢/ ٦١٠).

(٤) في (ن): لتلالي.

(٥) لأن الكابر من أسماء الحيض.

(٦) الشبُّ: شدَّة الشهوة.

(٧) في (ن): بالمعصية.

الْآيَاتِ ﴿: الدالة على براءته أن يسجنوه يدل عليه: ﴿لَيْسَ جُنُودُهُ سَجَى حِينَ﴾: إلى زمان، ليحسب الناس أنه المجرم لا امرأته، فسجنوه ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ﴾: ساقى الملك وخبازه^(١) لذنب وهو قصدهما إهلاك الملك بالسِّمِّ ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا﴾: الساقى، ﴿إِنِّي أَرِنِي﴾: في النوم، ﴿أَعَصِرُ خَمْرًا﴾: عنبا، ﴿وَقَالَ الْآخَرُ﴾: الخباز، ﴿إِنِّي أَرِنِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبْتَنَا﴾: أخبرنا، ﴿بِتَأْوِيلِهِ﴾ إِنَّا نُرِيدُكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُزْفَقَاهُ إِلَّا نَبَاتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾: بتأويل^(٢) ما ذكرتما، أو بتأويل الطعام الذي يأتیکما، ﴿قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾: بما يؤول إليه مما غاب فهو كمعجزة عيسى: ﴿وَأَنْبِئْكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ﴾^(٣) - إلى آخره وأصل التأويل الخبر عما مضى أي: بيان هيئته وكيفيته، وأراد به دعوتهما إلى الإسلام، ولذا قال: ﴿ذَلِكُمْ﴾: العلم، ﴿مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾: لا من نحو كهانة^(٤)، ﴿إِنِّي﴾: لاني، ﴿تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾: أي: أهل مصر، وأراد بالترك ترك إعراض لا ترك انتقال وكذا في نظائره، ﴿وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي ابْرَهِيمَ وَاسْحَقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَتْ﴾: ما صحَّ، ﴿لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ﴾: التوحيد، ﴿مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا﴾: بالوحي، ﴿وَعَلَى النَّاسِ﴾: بإرسالنا إليهم لإرشادهم، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾: ذلك فيعرضون عنه، ﴿يَصْصَجِي﴾: ساكني، ﴿السِّجْنِ﴾: أزياب متفرقت ﴿متعددة، ﴿خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ﴾: الغالب الذي لا يعادله أحد، ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ﴾: بلا معان، ﴿سَمِعْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا﴾: بعبادتها، ﴿مِنْ سُلْطَانٍ﴾: حُجَّة، ﴿إِنْ﴾ ما ﴿الْحُكْمُ﴾: في أمر العباد، ﴿إِلَّا لِلَّهِ أَمْرٌ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾: أي: وحدوه ﴿ذَلِكَ الَّذِي نَقَمْتُمْ﴾: المستقيم، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: فيشركون، ﴿يَصْصَجِي السِّجْنِ أَمَا أَحَدُكُمْ﴾: الساقى، فيخرج بعد ثلاث، ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾: يعود إلى منصبه^(٥)، ﴿وَأَمَّا الْآخَرُ﴾: الخباز، فيخرج بعد ثلاث،

(١) غرر التبيان (٢٨٦).

(٢) في (ن): تأويل.

(٣) سورة آل عمران.

(٤) الإخبار بالمستقبل.

(٥) كذا في (ن)، و(د).

﴿فِيضَلُّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾: فقالوا: كذبتنا، فقال، ﴿قُضِيَ﴾ ﴿قُطِعَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسَنَّفَتِيَانِ﴾ وَقَالَ: ﴿يُوسُفُ﴾ ﴿لِلَّذِي ظَنَّ﴾: أيقن؛ لقوله: قُضِيَ - إلى آخره، ﴿أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾: أي: الساقى^(١)، ﴿أَذْكُرُنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾: الملك الأعظم رِيَّانُ بن الوليد^(٢) ليخلصني من العزيز، ﴿فَأَنسَاهُ﴾: الساقى، ﴿الشَّيْطَانُ ذَكَرَ﴾: أي: ذكره عند، ﴿رَبِّهِ﴾: أو أنسى يوسف ذكر الله فاستعان بغيره، ﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ﴾: ما بين ثلاث إلى^(٣) تسع، ﴿سِنِينَ﴾: كان لبثه سبعا، ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾: الأعظم، ﴿إِنِّي أَرَى فِي مَنَامِي﴾^(٤)، ﴿سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ﴾: خرجن من نهر يابس، ﴿يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ﴾ من البقر ﴿عِجَافٌ﴾ في غاية الهزال، ﴿وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ﴾: انعقد حبها، ﴿خُضْرٍ وَ﴾: سبعا، ﴿أُخَرَ يَابِسَتٍ﴾: استحصدت والتوت اليابسات على الخضر حتى غلبت عليها، اكتفى بذكر أحوال البقرات عن ذكرها، ﴿يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ﴾: الأشراف، ﴿أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ﴾: عبروها، ﴿إِن كَثُرَ اللَّزْءُ يَتَعَبَّرُونَ﴾: عالمين بعبارتها، وهي الانتقال من الصورة الخيالية إلى المعاني النفسانية التي هي مثالها، ﴿قَالُوا﴾: هذه، ﴿أَضَعْتُ﴾: تخاليط، ﴿أَحْلِيحُ﴾: جمع ضِعْثٍ، وأصله ما اختلط من الأمور وما حزم من أخلاط النبات، مستعار للرؤيا الكاذبة، جمع مبالغة في بطلانه، ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعِلْمِينَ﴾ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا: الساقى، ﴿وَأَذْكُرُ﴾: تذكر يوسف ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾: جماعة كثيرة من الزمان، ﴿أَنَا أَنْبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾: إلى عالم التأويل، فأرسله فجاء، وقال يا ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾: الكثير الصدق، ﴿أَفْتِنَا فِي﴾: رُؤْيَا ﴿سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ﴾: الملك وأهله، ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: تأويلها، ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا﴾: دائمين مستمرين على عادتكم، هذا تأويل السبع السمان والسنبلات الخضر، ﴿فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُّوهُ فِي سُنبُلِهِ﴾: لئلا يفسد، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا نَأْكُلُونَ﴾:

(١) غرر التبيان ص ٢٨٦.

(٢) غرر التبيان (٢٨٧)، حسن المحاضرة (١/١٨).

(٣) في (د): أو.

(٤) في (د): نومي.

تلك السنة وهذا نصح^(١)، ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: السبع، ﴿سَبْعٌ﴾: سنين، ﴿شِدَادًا يَأْكُنْ﴾: يؤكل فيها ﴿مَا قَدَّمْتُمْ﴾: أدخرتم ﴿هُنَّ﴾: بواسطة القحط، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَخْتَصِنُونَ﴾: تحرزون للبذر، وهذا تأويل العجاف واليابسات، ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾: من القحط أو بمطر، ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾: ما يعصر كالعنب والزيتون أو ينجون أو يمطرون، وهذا إعلام بالغيب ولعله علمه بالوحي، ثم رجع الساقى بالتعبير، ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِي بِهَذَا﴾: من السجن، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ﴾: من الملك ﴿قَالَ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَالُ اللَّيْسُوَّةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾: ليعلم الملك براءته وسكت عن زليخا احترامًا، فيه أنه ينبغي الاجتهاد في نفي التهم، ﴿إِنَّ رَبِّي يَبْعِدُ عَنْ عِلْمِي﴾: حيث قلن: أطع مولاتك، ﴿قَالَ﴾ الملك: ﴿مَا خَطْبُكُنَّ﴾: شأنكن، ﴿إِذْ رَوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ﴾: هل وجدتن فيه سوءًا، ﴿قُلْنَ حَاشَ﴾: تنزيها، ﴿لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾: ثم لما أقبلن إلى زليخا ليقررنها، ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْفَن حَصْحَصَ﴾: ظهر أو ثبت ﴿الْحَقُّ﴾: أقرت مخافة شهادتهن، ﴿أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾: فيما نسبه إليّ، فرجع وأخبر به يوسف فقال: ﴿ذَلِكَ﴾: أي: رد الرسول قبل، ﴿لِيَعْلَمَ﴾ العزيز ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾: بظهر الغيب، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ﴾: ثم قال له جبريل: ولا حين هممت فقال^(٢): ﴿وَمَا أُبْرِيٓءُ نَفْسِيٓ إِنَّ النَّفْسَ﴾: بطبعها ﴿لَأَمَّارَةٌ﴾: صاحبها، ﴿بِالسُّوٓءِ إِلَّا مَا﴾ من ﴿رَجِمَ رَبِّي﴾: من النفوس، أو لكن رحمة ربي تصرفه، ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: يتجاوز عن همها ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِي بِهَذَا اسْتَخِضُّهُ﴾: أجعله خالصًا، ﴿لِنَفْسِي﴾: بلا شريك، ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ﴾: بعدما أتوا به، ﴿قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ﴾: ذو مكانة ومنزلة، ﴿أَمِينٌ﴾: مؤتمن ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي﴾: ولنسي ﴿عَلَى﴾: أمر، ﴿حَرَائِبِ الْأَرْضِ﴾: أرض مصر، ﴿إِنِّي خَشِيتُ﴾: لها، ﴿عَلِيمٌ﴾: بوجوه التصرف فيها، دل على جواز طلب التولية وإظهار أنه مستعد لها وتولي المسلم من الكافر حيث لا سبيل إلى إقامة الحق إلا به، وطلبه لا ينافي نهاية

(١) وإرشاد وتعليم للمصريين كيفية الزراعة والتخزين؛ لأن مصر دولة زراعية وصناعية وكلاهما مكمل

للآخر مساعده فاللهم أصلح شأن مصر والطف بأهلها واهدهم إلى ما فيه صالحهم آمين.

(٢) الوسيط - للواحد (٢/٦١٧).

(٣) في هامش (ن): الجزء (١٣).

زهّد الأنبياء؛ لأنه لإمضاء حدود الله مع علمه بتعيينه لذلك، ﴿وَكَذَلِكَ﴾: التمكين، ﴿مَكَانًا يُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾: أرض مصر؛ إذ توجه الملك بتاجه وعزل العزيز وولاه مكانه فمات العزيز وتزوج يوسف بزوجه فوجدها عذراء^(١)، ﴿يَتَّبِعُونَ﴾: ينزل، ﴿مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾: أراد استيلاءه على جميعها، ﴿فَصِيبٌ بِرَحْمَتِنَا مِنْ نَشَاءٍ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾: عاجلاً وأجلاً، ﴿وَلَا نُجْرُ الْأَخْرَجُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ﴾: كيوسف فحال آخرته خير من دنياه، ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾: غير بنيامين بعد أربعين^(٢) سنة في سنة القحط ليشتروا منه الطعام، ﴿فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾: لا يعرفونه، ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ﴾: أصلحهم، ﴿بِجَهَازِهِمْ﴾: بعدتهم وأصله ما يعد للسفر ولزفاف المرأة، أي: أوقر حمولاتهم بعد أن قال لهم حين الدخول: لعلكم جواسيس فقالوا: معاذ الله نحن بنو نبيِّ صديق، كُنَّا اثني عشر فهلك أصغرنا وبقي أخوه عند أبيه بدله، ﴿قَالَ أَتُونِي بِأَجْرٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ﴾: إن صدقتم، ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِيَّ﴾ أتمُّ ﴿الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾: للضيف، ﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي﴾ ما لكم عندي طعام أكله لكم بعد ذلك، ﴿وَلَا تَقْرَبُون﴾ لا تدخلوا بلادي ﴿قَالُوا سَنُرَوِّدُ﴾: نخادع ﴿عَنْهُ أَبَاهُ﴾: نلح في طلبه من أبيه ﴿وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾: ذلك، ﴿وَقَالَ﴾: يوسف، ﴿لِفَتْيَانِهِ﴾^(٣): غلمانه الكياليين ﴿أَجْعَلُوا بِضَعَتَهُمْ﴾: ثمن طعامهم وكانت ورقاً^(٤)، ﴿فِي رِحَالِهِمْ﴾: أوعيتهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا﴾: ليعرفوا حق ردها، ﴿إِذَا أَنْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إذا عرفوا ذلك فخلوا شمعون عنده رهناً وخرجوا بالطعام ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾: بعد ذلك إن لم نذهب بأخينا ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَكَتَلُ﴾: نحن وهو وإلا فلا كيل لنا ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ﴾: يوسف ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: إذ قلت في ذلك، ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا﴾^(٥): فاعتمد عليه، ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ

(١) الوسيط (٢/٦١٩)، معالم التنزيل (٢/٤٣٢) ولا يصح.

(٢) الوسيط (٢/٦٢٠)، الجامع للقرطبي (٨/٣٤٤٩)، معالم التنزيل (٢/٤٣٤).

(٣) في هامش (ن): لفتيانه - حفص.

(٤) الورق: الفضة. * الجامع (٨/٣٤٥٢)، الوسيط (٢/٦٢٠).

(٥) في هامش (ن): حافظاً. حفص.

الرَّحِيمِينَ ﴿: أسأله أن يرحمني بحفظه ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا بَأْسَآ مَا مَا ﴿: أي شيء، ﴿بَنِي﴾: نطلب فوق هذه الكرامة، ﴿هَذِهِ بِضْعُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾: فنستظهر بها ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾: نحمل إليهم الميرة أي: الطعام، ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾: عن المكاره ﴿وَنَزِدَادُ كَيْلٍ﴾: حمل، ﴿بَعِيرٍ﴾: من الطعام؛ لأنه كان يعطي لكل واحد وقرًا ﴿ذَلِكَ﴾: الذي جنبنا به، ﴿كَيْلٍ﴾ مكيل ﴿يَسِيرٍ﴾: قليل، ﴿قَالَ﴾: يعقوب، ﴿لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ﴾: تعطوني، ﴿مَوْثِقًا﴾: أثق به، ﴿بَرَكَ اللَّهُ﴾: من عنده أي: عهدًا مؤكدًا بذكره، ﴿لَتَأْتُنِي بِهِ﴾: في كل حال، ﴿إِلَّا﴾: حال، ﴿أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾: من كل جهة، فلا تقدروا^(١)، ﴿فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ﴾: يعقوب، ﴿اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ﴾: من الموثق، ﴿وَكَيْلٍ﴾: مطلع ﴿وَقَالَ بَنِي لَا تَدْخُلُوا﴾: مصر، ﴿مِنْ بَابٍ وَحِيدٍ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾: مخافة العين وما وصّاهم أولًا؛ لأنهم كانوا مجهولين حينئذ، أو بلا بنيامين ﴿وَمَا أُغْنِي﴾: أَدْفَعُ ﴿عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾: مما قضى عليكم، ﴿إِنْ﴾: ما، ﴿الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ﴾: من أبواب متفرقة، ﴿مَا كَانَتْ﴾: دخولهم متفرقين ﴿يُغْنِي﴾: يدفع، ﴿عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾: قضائه، ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾: فقد أصيبوا بنسبتهم إلى السرقة وأخذ أخيهم، ﴿إِلَّا﴾: لكن ﴿حَاجَةٌ﴾: شفقة^(٢)، ﴿فِي نَفْسٍ يَعْذُوبُ قَضَلَهَا﴾: أظهرها، وهي إرادة دفع العين، ﴿وَإِنَّهُ لَدُوْعٌ عَلِيمٌ لِمَا عَلَّمَنَّهُ﴾ ﴿بِالْوَحْيِ﴾؛ ولذا قال: وما أغني - إلى آخره، ﴿وَلَا كُنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أي: أنه لا ينفع الحذر، ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ أَوْسَتْ﴾: ضمَّ ﴿إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾: من أبويه إذ جعل كل اثنين في بيت على حده على مائدة واجلسه على مائدته وعانقه و﴿قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ تحزن ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: فينا ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ﴾: أصلحهم، ﴿بِجَهَّازِهِمْ﴾: بعدتهم، ﴿جَعَلَ السِّقَايَةَ﴾: مشربة الملك من ذهب^(٣) أو

(١) وقال مجاهد: إلا أن تموتوا كلكم. * تفسير الطبري (١٦/١٦٣/١٩٤٨٢)، معالم التنزيل

(٢/٤٣٧)، البحر المحيط (٥/٣٢٤)، الوسيط (٢/٦٢١).

(٢) عليهم وخوفا من العين.

(٣) تفسير الطبري (١٦/١٧٢/١٩٥١٩)، البحر المحيط (٥/٣٢٩)، معالم التنزيل (٢/٤٣٩).

زبرجد^(١) كالوا بها الطعام، والسقاية، والصُّوع، والصَّاع: إناء يشرب فيه ويكأل أيضًا، ﴿فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾: بنيامين، ﴿ثُمَّ أَدَّٰنَ﴾: نادى، ﴿مُؤَدَّنٌ﴾: مُنَادٍ ﴿أَيَّتَهَا أَلْعَبِرُ﴾: القافلة، ﴿إِنَّكُمْ لَسَّرِقُونَ﴾: لا يقال: كيف أمرهم بيهتان؛ لِإِمْكَانِ نَدَائِهِمْ بِلَا إِذْنِهِ، أَوْ هُوَ مِنَ الْحِيلِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي يَتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى حَقُوقِ شَرْعِيَّةٍ، أَوْ أَرَادَ سَرَقَتَهُمْ يُوَسِّفُ مِنْ أَبِيهِ ﴿قَالُوا﴾: إِخْوَةَ يَوْسُفَ ﴿وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ﴾: عَلَى طَالِبِي السَّقَايَةِ: ﴿مَاذَا تَفْقُدُونَ﴾: أَي: شَيْءٌ ضَاعَ عَنْكُمْ؟ ﴿قَالُوا نَفَقْدُ صُوعًا﴾: صَاعٌ، ﴿أَلَمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾: مِنَ الطَّعَامِ، ﴿وَأَنَابِهِ﴾: بِالْحَمَلِ، ﴿رَعِيْمٌ﴾: كَفَيْلٌ، دَلَّ عَلَى جَوَازِ الْجَعَالَةِ^(٢) وَضَمَانِ الْجُعْلِ قَبْلَ الْعَمَلِ^(٣)، ﴿قَالُوا﴾ تَعَجُّبًا: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾: بِأَعْمَالِنَا الصَّالِحَةِ وَسَدًّا^(٤) أَفْوَاهِ الدُّوَابِ الصَّالِحَةِ كَرَدِّ بَضَاعَةِ جُعَلْتِ فِي رِحَالِنَا ﴿مَا جِئْنَا لِنُقْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ قَالُوا: ﴿الْمُؤَدَّنُونَ﴾، ﴿فَمَا جَزَاؤُهُ؟﴾: السَّارِقُ ﴿إِنْ كُنْتُمْ كَادِبِينَ﴾: فِي الْبِرَاءَةِ، ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ﴾: أَي: اسْتَرْقَاقًا، ﴿فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾: فَقَطْ كَمَا هُوَ شَرَعٌ يَعْقُوبُ، فَهُوَ لِتَقْرِيرِ الْحُكْمِ، يَعْنِي أَخَذَ السَّارِقَ جَزَاؤَهُ لَا غَيْرَ نَحْوِ: حَقِّ زَيْدٍ أَنْ يُطْعَمَ وَيَكْسَى، فَهَذَا حَقُّهُ لَا غَيْرَ ﴿كَذَلِكَ﴾: الْجَزَاءُ، ﴿نَجَزِي الظَّالِمِينَ﴾: بِالسَّرْقَةِ، ﴿فَبَدَأَ﴾: الْمُؤَدَّنُونَ، ﴿بِأَوْعِيَّتِهِمْ﴾: بِتَفْتِيشِهَا قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ مِنْ أَبِيهِ؛ لِغَيْبِ التَّهْمَةِ ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ﴾: الْكَيْدُ ﴿كَذْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ﴾: مَا صَحَّ أَخَذَ السَّارِقَ، ﴿فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾: إِذْ جَزَاؤُهُ عِنْدَهُمُ الضَّرْبُ وَالتَّغْرِيمُ مِثْلَ الْمَسْرُوقِ، ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾: إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ اسْتَرْقَاقَهُ عَلَى دِينِ يَعْقُوبَ عَلَى أَلْسِنَةِ إِخْوَتِهِ إِنْ جَزَاؤُهُ الْاسْتَرْقَاقُ ﴿نَرَفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ﴾: بِالْعِلْمِ، كَرَفَعُ يَوْسُفَ، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾: اسْتَوْسَنَسَ بِهِ بِأَنَّ عِلْمَهُ تَعَالَى غَيْرَ زَائِلٍ^(٥)، وَرَدَّ بِأَنَّ

(١) الوسيط (٢/٦٢٣).

(٢) وجيمها مثلثة كما قال ابن مالك - رحمه الله - النجم الوهاج - للعلامة الدميري (٦/٨٩)، الإقناع (٢/٩٥).

(٣) الوسيط في المذهب - للغزالي (٣/٢٣٨)، روضة الطالبين - للنووي (٤/٥٥)، (٤/٢٥٠)، المغني

- لابن قدامة (٤/٣٤٥، ٣٤٦).

(٤) في البيضاوي: وكَعْمٌ، وهو بمعنى سَدٍّ.

(٥) في (ن)، و(د): غير زائد، ومعنى: غير زائد، يعني: بذاته - وهذا كلام الأشاعرة ونحوهم.

المراد ذي علم من الخلق، وبأن العليم من له العلم البالغ^(١)، وهو الله تعالى، ﴿قَالُوا
 إِنَّ يَسْرُقَ﴾: بنيامين فلا بدع^(٢)، ﴿فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾: أي: يوسف، فإن عمته
 لفرط محبته أرادت اختصاصه بها في صغره فعمدت إلى منطقة إبراهيم التي ورثتها
 فشدتها تحت ثيابه، ثم صاحت على منطقتها وفتشت فوجدتها على يوسف فقالت:
 هو سارقي فأخذته على دينهم^(٣)، وقيل: سرق صنم أبي أمه فكسره، وقيل: أخذ
 عناقاً^(٤) أو دجاجة من البيت وأعطى السائل، وقيل: سرق صنم أبي أمه فكسره^(٥)،
 ﴿فَأَسْرَهَا﴾: أي: الكراهة المفهومة من السياق، ﴿يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ، وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ﴾
 سرّاً: ﴿أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا﴾: منزلة في السرقة بسرقتكم^(٦) أخاكم وظلمكم له ﴿وَاللَّهُ
 أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾: في شأن أخيه، ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ﴾: اسم نائب السلطان بمصر،
 ﴿إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾: سنناً أو قدراً يستأنس به، ﴿فَخَذَ أَحَدُنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرْنَكَ مِنْ
 الْمُحْسِنِينَ﴾: إلينا، فأتتم^(٧)، ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾: من ﴿أَنْ نَأْخُذَ﴾: أحداً، ﴿إِلَّا مَنْ
 وَجَدْنَا مَتَعِنَا عِنْدَهُ﴾: لم يقل: من سرق خوف الكذب، ﴿إِنَّا إِذَا الظَّالِمُونَ﴾: إن أخذنا
 غيره ﴿فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا﴾: يسوا منه ومن إجابته، ﴿خَلَصُوا﴾: انفردوا ﴿بِغِيَا﴾: مُتَنَاجِينَ
 ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾: سنناً، روييل، أو رأياً يهوذا أو رياسة شمعون^(٨) ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ
 آبَاءَكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مِيثَاقًا مِنَ اللَّهِ﴾: عهداً وثيقاً بذكره، ﴿وَمِنْ قَبْلُ مَا﴾: صلة ﴿فَرَطْتُمْ﴾
 قصرتم ﴿فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ﴾: أفارق، ﴿الْأَرْضَ﴾ مصر ﴿حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾ في الرجوع
 ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾: بخلاص أخي، ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾: لأنه إنما يحكم بالحق
 ﴿أَرْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّكَ أَبْنُكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا﴾: إذ خرج

(١) في (د): من له المانع.

(٢) ليس غريباً ولا جديداً.

(٣) الوسيط (٢/٦٢٤)، الجامع - للقرظبي (٨/٣٤٦٩)، البحر المحيط (٥/٣٣٣).

(٤) بفتح العين المهملة والنون -: أنشئ المعز الصغيرة.

(٥) وألقاه أخرج الطبري (١٦/١٩٥/١٩٦٠٠)، معالم التنزيل (٢/٤٤١).

(٦) في (ن)، و(د): لسرقتكم.

(٧) يعني: أتمم إحسانك علينا وإلينا.

(٨) فتح القدير (٢/٤٧)، الوسيط (٢/٦٢٥).

الصاع من رحله، ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾: أنه سرق أو دُست في رحله ﴿وَسَلِّ﴾: عن القصة ﴿الْقَرِيَةَ﴾: أهل مصر^(١)، ﴿الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ﴾: القافلة، ﴿الَّتِي أَقْلَنَّا﴾: توجهنا، ﴿فِيهَا وَإِنَّا﴾: والله، ﴿لَصَدِيقُونَ﴾: فلما قالوا: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾: زينت ﴿لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾: عظيماً، ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾: أجمل، ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ﴾: بيوسف وإخوته، ﴿جَمِيعاً﴾: مجتمعين، ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾: بحالي، ﴿الْحَكِيمُ﴾: في أفعاله، ﴿وَتَوَلَّى﴾: أعرض، ﴿عَنَّهُمْ﴾: كراهة، ﴿وَقَالَ يَا سَفَى﴾: شدة حزني ﴿عَلَى يُوسُفَ﴾: تعالي^(٢) فهذا أوانك، ﴿وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾: كناية عن كثرة البكاء من الحزن، ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾: مملوء من الغيظ على أولاده كاتمًا وما استرجع، لأنه مخصوص بهذه الأمة، كما في الحديث: «لم تعط أمة إنا لله وإنا إليه راجعون إلا أمة محمد - ﷺ - إلا ترى إلى يعقوب حين أصابه ما أصابه لم يسترجع قال: «يا أسفى»^(٣)، وتأسف عليه دون أخويه مع حدوث رزئهما^(٤)؛ لأن رزئه كان قاعدة المصيبات وأعظمها، على أنه كان واثقًا بحياتهما دونه، ﴿قَالُوا﴾: أولاده، ﴿تَاللَّهِ﴾: لا، ﴿تَفْتَوُأُ﴾: لا تزال، ﴿تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَصًا﴾: مشرفًا على الهلاك ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ قال إنما أشكوا بني ﴿هَمِّي الَّذِي لَا صَبْرَ عَلَيْهِ﴾ وحزني إلى الله ﴿فخلوني وشكائتي﴾، ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: من حياته لخبر الملك^(٥)، ورؤياه سجود الكواكب له، ﴿يَبْنِي أَذْهَبُوا﴾: إلى مصر، ﴿فَتَحَسَّسُوا﴾: تفحصوا، ﴿مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا﴾: تقنطوا، ﴿مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾: رحمته، ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾: والمؤمن لا يزال يطمع في رحمته، ثم رجعوا إلى مصر، ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾: على العزيز، ﴿قَالُوا

(١) فهو على حذف مضاف تقديره: أهل القرية.

(٢) يعني: يا أسفى تعالي.

(٣) يروي مرفوعاً إلى ابن عباس عن النبي - ﷺ - رواه الثعلبي في تفسيره بسند ضعيف، ورواه الطبراني في الدعاء (١٣/٦) بسند ضعيف أيضاً.

ويروي من كلام سعيد بن جبير - رواه عبد الرزاق (١٢٩٨/٦٣) والطبري (٣٩/١٣) والبيهقي

(٣/٢٧٨) في الشعب، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/٢١٨٥/١١٨٨١) وسنده حسن.

(٤) الرزء: المصيبة.

(٥) يعني ملك الموت، كما ورد في الإسرائيليات.

يَتَأْتِيهَا الْعَزِيزُ مَسْنَأً وَأَهْلَنَا الضُّرُّ: شدة الجوع، ﴿وَجِئْنَا بِضَعَّةٍ مُرْجَلَةٍ﴾: مدفوعة يدفعها كل أحد لردائها وفي تعيينها خلاف، ﴿فَأَوْفٍ﴾: أتم لنا، ﴿الْكَيْلَ وَنَصَدَقَ عَلَيْنَا﴾: بردٌ أحياناً ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ فلما رأى عجزهم، ﴿قَالَ﴾ شفقةً وحناناً على التوبة: ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ﴾: قبح ﴿مَا فَعَلْتُمْ يُونُسَ وَأَخِيهِ﴾: إذ فرقتم بينهما وذللتموه ﴿إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾: قبحه للصبى، وذرفت عيناه رقةً ﴿قَالُوا أَيْنَ نَتَّكُ لَأَنْتَ يُونُسَ﴾: عرفوه؛ لأنه وضع التاج وكانت في جبهته شامة بيضاء، كما كانت ليعقوب وسارة، ﴿قَالَ أَنَا يُونُسَ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾: بالاجتماع ﴿إِنَّهُ مِنْ بَنِي﴾: الله، ﴿وَيَصِيرُ﴾: على مصائبه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: أجره ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكُ﴾: اختارك، ﴿اللَّهُ عَلَيْنَا﴾: بالعلم والصبر والملك، ﴿وَإِنْ﴾: إنه، ﴿كُنَّا لَخَطِئِينَ﴾: قال لا تتريبٌ تغيير ﴿عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ﴾: فكيف بما بعده، ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾: يغفر الصغائر والكبائر ﴿أَذْهَبُوا بِمِصْبِي﴾ ملبوسي ﴿هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ﴾: يأتي، ﴿بَصِيرًا﴾: كان من نسج الجنة، ألبس إبراهيم حين ألقى في النار، ما وقع على سقيم إلا عوفي، وعلقه عليه يعقوب في التعويد^(١)، ﴿وَأَتَوْفٍ بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: نساتكم وذرياتكم^(٢)، ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ﴾: خرجت ﴿الْعِيرُ﴾: من مصر^(٣) إلى جانب يعقوب، ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾: لمن حضره: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُونُسَ﴾: وكانت مسيرة ثمانية أيام ﴿لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾: تنسبوني إلى الفند^(٤)، حدوث^(٥) فساد عقل للهرم، ولا يجوز: عجوزة مفندة^(٦)، وجوابه: لصدقتموني، ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾: من حبه، ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ﴾: يهوذا الذي بقميص الدم، ﴿أَلْقَنَهُ﴾: الثوب، ﴿عَلَى وَجْهِهِ، فَأَرْتَدَّ﴾: عاد، ﴿بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ

(١) أنوار التنزيل (٣٢٣).

(٢) في (ن): ذراريكم.

(٣) والعير - بكسر العين - القافلة، وبفتحها: الحمائر.

(٤) الفند: الفساد والخبل وضعف الرأي، وقيل: معناه: تلو موني، وقيل: معناه: تخرفون أي: تقولون: قد خرفت.

* عمدة الحفاظ (٣/٢٥٣).

(٥) في (ن): وحدث.

(٦) لأن نقصان عقلها ذاتي.

إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ ﴿: بتعليمه، ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا أَسْتَغْفِرُ لَنَا ﴿: من ربنا، ﴿ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ﴿: أَخْرَهُ إِلَى السَّحَرِ أَوْ سِحْرِ الْجُمُعَةِ (١) أَوْ الاستحلال من يوسف، ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ﴿: حين استقبلهم مع أربعة آلاف من عظماء مصر (٢)، ﴿ءَأَوَىٰ﴾: ضَمَّ، ﴿إِلَيْهِ أَبُوَيْهِ﴾: أباه وأمه أو خالته، ﴿وَقَالَ أَدْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾: من المكاره والمشيمة متعلقة بالدخول مع الأمن فجلس على سريرهِ ﴿وَرَفَعَ أَبُوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾: سريره، ﴿وَوَخَّرُوا﴾: أبواه وإخوته، ﴿لَهُ سُجْدًا﴾: للتواضع لجوازها في دينهم، ﴿وَقَالَ يَا بَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾: الشمس والقمر لأبويه وأحد عشر كوكبًا لإخوته، ﴿فَدَجَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ صدقًا، كان بينهما أربعون أو ثمانون سنة، وقيل: خمس وأربعون ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾: سَكَتَ عَنِ الْجُبِّ (٣) لقوله: لا تثرِب ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾: إذ كانوا أهل بادية ومواشي، ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ تَنَزَّغَ﴾ أفسد ﴿الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ ﴿: تدبيره، ﴿لَمَّا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾: بالمصالح ﴿الْحَكِيمُ﴾: في الأفعال، فبقي يعقوب عنده أربعًا وعشرين سنة، فمات ونقلوه إلى الشام (٤)، فبقي يوسف ثلاثًا وعشرين سنة ثم اشتاق إلى الملك المخلد وقال: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنْ بَعْضِ الْمُلْكِ﴾ أي: مصر ﴿وَعَلَّمَنِي مِنْ بَعْضِ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾: الرؤيا، ﴿فَاطْرَ﴾: مبدع، ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ لِي﴾: نصري، ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي﴾: اقبضني، ﴿مُسْلِمًا﴾: ودعاؤه هذا لإظهار العبودية وتعليم الأمة هو تمنى الموت على الإسلام (٥)، لا تمنى الموت، ﴿وَالْحَقِّي بِالصَّدِيقِينَ﴾: من آبائي فمات بعد أسبوع وله مائة وعشرون سنة، فتخاصموا في مدفنه ثم تصالحوها على جعله في صندوقٍ مرمر (٦) ودفنه (١) في أعلى

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦ / ٢٦١) مرفوعا - وسنده ضعيف.

(٢) الوسيط (٢ / ٦٣٤)، معالم التنزيل (٢ / ٤٤٩، ٤٥٠)، تفسير الرازي (١٨ / ١٦٧، ١٦٨).

(٣) الوسيط (٢ / ٦٣٥).

(٤) في مدينة الخليل.

(٥) تفسير الطبري (١٦ / ٢٧٨)، معالم التنزيل (٢ / ٤٥١)، تفسير الرازي (١٨ / ١٧٥)، الوسيط

(٢ / ٦٣٦).

(٦) في الوسيط (٢ / ٦٣٦): رخام.

النيل لتعم بركته، ففعلوا ثم نقله موسى - عليه السلام - إلى مدفن آبائه، ﴿ذَلِكَ﴾: نيا يوسف، ﴿مِنَ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾: يا محمد ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾: إخوة يوسف، ﴿إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ﴾: عزموا على أمرهم ﴿وَهُمْ يَتَكْرَهُونَ﴾: فإنما ذلك بالوحي، إذ قال في موضع آخر: ﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا﴾^(٢).. إلى آخره، ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ﴾: على إيمانهم، ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾: لشقاوتهم الأزلية، ﴿وَمَا تَشَاءُهُمْ عَلَيْهِ﴾: على تبليغ الوحي، ﴿مَنْ أَجْرٌ﴾: جعل ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾: عظة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾: عامة ﴿وَكَايْنٍ﴾: كم ﴿مِنْ آيَةٍ﴾: دليل على وحدانيته وصفاته الحسنى، ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾: يرونها، ﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾: لا يتفكرون فيها، ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ﴾: حين إقرارهم بأنه خالق الكل، ﴿إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾: بإشراكهم، فالمراد إيمان المشركين أو بالنظر إلى الأسباب وقيل: منه قول الرجل: لولا الله وفلان لهلكت^(٣)، ﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ﴾: عقوبة تغشاهم ﴿مِنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾: في الدنيا، ﴿أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾: فجأة، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: فلا يستعدون لها، ﴿قُلْ هَذِهِ﴾: الدعوة، ﴿سَبِيلِي﴾: وهو أني، ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾: حجة واضحة، ﴿أَنَا وَمَنْ أَتَّبَعَنِي﴾: فهم يدعون إلى الله ﴿وَسُبْحَانَ﴾: تنزيهه، ﴿اللَّهِ﴾: عن الشرك ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً ﴿رد لقولهم: ﴿لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾^(٤) ﴿نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾: مثلك ﴿مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾: فإنهم أذكى من أهل البدو، ودل على منع نبوة النساء^(٥) ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: من المكذبين فيعتبروا، ﴿وَلَدَارُ﴾: الحياة، ﴿الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾: الشرك ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: أفلا تستعملون عقولكم فتعرفوا ذلك، ثم هؤلاء الأمم استمروا على التكذيب، ﴿حَقًّا إِذَا سَأَلْتَهُمْ﴾: أيس، ﴿الرُّسُلُ﴾: عن إيمانهم أو النصر، ﴿وَطَنُوا﴾: القوم أن الرسل ﴿أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا﴾: بالتخفيف، وعلى

(١) في (ن): ودفن.

(٢) سورة هود.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٧/٢٢٠٨/١٢٠٣٩) عن الباقر.

(٤) سورة فصلت.

(٥) لأن النبوة في الرجال.

التشديد^(١) أي: ظن الرسل بمعنى تيقنوا، أو ظنوا الرسل أنهم قد كذبوا بالتخفيف أي: في وعد النصر، ﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ﴾: أتباع الرسل ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا﴾: عذابنا، ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ: الأنبياء وقومهم، أو يوسف وإخوته، ﴿عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾: العقول السليمة ﴿مَا كَانَ﴾: القرآن، ﴿حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ نَصَدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: من الكتاب، ﴿وَقَفَّيِلَ﴾: تبين، ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾: ديني بواسطة أو بغير واسطة، ﴿وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: يصدقونه - والله أعلم.



(١) قرأ ابن كثير وابن عامر، ونافع، وأبو عمرو، والحسن وابن مسعود: «كذبوا».
* إتخاف فضلاء البشر (٢٦٨)، والسبعة (٣٥١)، النشر (٢٩٦/٢).

«سورة الرعد»^(١): مدنية وقيل: مكية^(٢)

إِلَّا: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ﴾ إلى آخر السورة.
 لما قال: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ ... إلخ، بين أنه الحق وقال:
 ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْمَرَّ﴾ فُسِّرَ مَرَّةً ﴿تِلْكَ آيَاتُ﴾: السورة آيات، ﴿الْكِتَابِ﴾:
 القرآن ﴿وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾: صريحًا أو ضمناً فيشمل نحو القياس والإجماع
 ﴿الْحَقُّ﴾: أو معناه أن له وصف الحقيقة لا البطلان، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾:
 لجهلهم، ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾: جمع عمادٍ ﴿تَرَوْنَهَا﴾: بلا عمد، ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى
 الْعَرْشِ﴾: كما مر، ﴿وَسَخَّرَ﴾: ذلل ﴿الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾: لما أراد، ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ﴾ مدة
 ﴿مُسَمًّى﴾: ينقطع دونها سَيْرُهُ، ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾: أمر ملكه من الإيجاد والإعدام ونحوه،
 ﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾: القرآنية، ﴿لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾: قياسًا للإعادة على البدء، ﴿وَهُوَ
 الَّذِي مَدَّ﴾: بسط، ﴿الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا﴾: جبلاً، ﴿رُوسٍ﴾: ثوابت، ﴿وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرَاتِ
 جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ﴾: نوعين ﴿أَثْنَيْنِ﴾: كالحلو والحامض والأسود والأبيض والنافع
 والضار، ﴿يَغْشَى﴾: يلبس ﴿الَّيْلَ النَّهَارَ﴾: يجعل الجو مظلمًا بعد إضاءتها ﴿إِن فِي ذَلِكَ
 لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾: في أن تخصصها بوجه دون وجه يدل على الصانع، ﴿وَفِي
 الْأَرْضِ قِطْعٌ﴾: بقاع مختلفة، طيبة وسبخة وغيرهما، ﴿مُتَجَوِّزَاتٌ﴾: متلاصقة،
 ﴿وَجَنَّاتٌ﴾: بساتين، ﴿مِنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٍ وَنَخِيلٍ صِنَوَانٌ﴾: ذوات رأسين أو مجتمعة
 متشاكلة^(٣)، ﴿وَعَيْرٌ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَحِدٍ﴾: بل قد كثرت من أصل واحد، ﴿وَنُقُضَلُ

(١) في هامش (ن): بلغ مقابلة.

(٢) في هامش نسخة (د): سورة الرعد مدنية ثلاث وأربعون آية غير آيتين ﴿وَلَا يَرَأَى الَّذِينَ﴾ فإنها نزلت بمكة ثم الرحمن، كلماتها (٨٠٥٥) عدد سور القرآن (٢٧٠)، البصائر (٢٦٢/١)، البيان (١٦٩)، القول الوجيز (٢١٢)، وحرورها (٣٥٠٦)، البصائر (٢٦٢/١).

(٣) وهو أن يكون الأصل واحداً وتتفرع منه النخلتان والثلاث فأكثر، وقيل: هو الغصن الخارج من أصل الشجرة، يقال: هما صنوا دوحه، والظاهر اختصاص ذلك بالنخل والبقل.

بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ ﴿١﴾: فِي الثَّمَرِ طَعْمًا وَغَيْرِهِ، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يَسْتَعْمَلُونَ عَقُولَهُمْ بِالتَّفَكُّرِ فِيهَا، خَصَّهُ بِالْعَقْلِ وَالْأَوَّلُ بِالفِكْرِ؛ لِأَنَّ الِاسْتِدْلَالَ بِاخْتِلَافِ الثَّمَارِ أَسْهَلُ ﴿وَإِنْ تَعَجَّبْ﴾: مِنْ إِنْكَارِهِمُ البَعْثِ، ﴿فَعَجَبٌ﴾: فَحَقِيقٌ بِالتَّعَجُّبِ ﴿قَوْلُهُمْ أَكْ﴾ نَحْشُرُ ﴿إِذَا كُنَّا تُرَابًا أَوْ إِنَّا لَنَحْنُ خَلْقٌ جَدِيدٌ﴾: فَإِنْ مِنْ قَدْرِ عَلَى إِنْشَاءِ مَا ذَكَرَ فَعَلَى إِعَادَتِهِ أَقْدَرُ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: الْكَاْمِلُونَ فِي الْكُفْرِ، ﴿بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَعْدَلُ فِي أَعْتَابِهِمْ﴾: يَسْحَبُونَ بِهَا إِلَى جَهَنَّمَ، ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ وَسَتَعَجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ ﴿بِالعَذَابِ﴾، ﴿بِقَبْلِ الْحَسَنَةِ﴾: الْعَافِيَةُ اسْتِهْزَاءً بِوَعِيدِكَ ﴿وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلُتُ﴾: عَقُوبَاتُ أَمْثَالِهِمُ المَثَلَةُ - بِفَتْحِ الشَّاءِ وَضَمِّهَا -: الْعَقُوبَةُ؛ لِأَنَّهَا مِثْلُ الْعَافِيَةِ، وَمِنْهُ: المَثَالُ لِلْقِصَاصِ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرٍ لِّلنَّاسِ عَلِيٌّ مَّعَ ظُلْمِهِمْ﴾: فَيَجُوزُ العَفْوُ قَبْلَ التَّوْبَةِ؛ لِأَنَّ التَّائِبَ لَيْسَ عَلَى ظَلْمِهِ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: لِمَنْ يَشَاءُ ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا﴾ هَلَّا ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةً مِنْ رَبِّهِ﴾: مِمَّا نَشْتَهِيهَا ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾: لَا الْآتِي بِمَشْتَهَاتِهِمْ ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ﴾: نَبِيٌّ ﴿هَادٍ﴾: فَلَسْتُ بِأَوْحَدِي ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾: أَي: حَقِيقَتَهُ وَصِفَتَهُ، ﴿وَمَا تَقِيضُ﴾: وَمَا تَنْقُصُ ﴿الْأَرْحَامُ﴾ مِنْ نَحْوِ جُثَّةِ الحَمَلِ ^(١) وَمُدَّتَهُ وَعَدَدَهُ وَلا حَدَّ لَهُ ^(٢) عِنْدَ الشَّافِعِيِّ، وَكِلَاتِمَا الحَمَلِ وَأَقْصَاهَا أَرْبَعُ سَنِينَ عِنْدَهُ، وَعَنْ مَالِكٍ خَمْسَ، وَعِنْدَ الحَنْفِيَّةِ سِتَانِ ﴿وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾: تَقْتَضِيهِ الحِكْمَةُ لَا يَتَجَاوِزُهُ فَهُوَ عَالِمٌ بِكَمِيَّتِهِ، ﴿عَلِمُوا الْغَيْبِ﴾: مَا غَابَ عَنِ الحَسَنِ، ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾: مَا حَضَرَ ﴿الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾: عَمَّا لَا يَلِيْقُ بِكَمَالِهِ، ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ﴾: فِي عِلْمِهِ، ﴿مَنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ﴾: مُسْتَرٌ ﴿بِالْيَلِ وَسَارِبٌ﴾: ظَاهِرٌ ﴿بِالنَّهَارِ﴾ لَهُ: ضَمِيرُهُ لِمَنْ ﴿مُعَقَّبَةٌ﴾: مَلَائِكَةُ يَعْقُبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ^(٣)، وَهُمْ غَيْرُ الكِرَامِ الْكَاتِبِينَ أَوْ يَعْقُبُونَ أَحْوَالَهُ فَيَكْتُبُونَهَا

= * عمدة الحفاظ (٢/٣٥٦/صنو).

(١) يعني: الجنين.

(٢) يعني: الحمل.

(٣) قال الواحدي: وهم الملائكة الحفظة في قول عامة المفسرين.

﴿مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: قدامه، ﴿وَمَنْ خَلْفَهُ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ﴾: بأس، ﴿اللَّهِ﴾ أو بأمره ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾: نعمة أو نقمة، ﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾: خيراً أو شراً، ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ، وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾: يلي دفعه عنكم^(١)، ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ أَلْبَرَقَ خَوْفًا﴾: تخويفاً من أذاه، ﴿وَطَمَعًا﴾: تطمיעاً في المطر، ﴿وَيُنشِئُ﴾: يخلق، ﴿السَّحَابَ الْإِنْفَالِ﴾: من كثرة الماء، ﴿وَيَسْخِجُ الرِّعْدَ﴾: «ملك معه مخاريق»^(٢) من النار يسوق بها السحاب^(٣) «ملتبساً، ﴿مَحْمُودُهُ﴾ أي: يقول: سبحان الله وبحمده، ﴿وَالْمَلَائِكَةَ مِنْ خِيفَتِهِ﴾: تعالى، أو الرعد، ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾: نار^(٤) تنزل من السحاب، ﴿فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾: فيحرقه، ﴿وَهُمْ﴾: حالة كونهم ﴿يَجْتَدِلُونَ فِي﴾: صفات، ﴿اللَّهِ﴾: ككافر قال: مم ربك؟ من ذهب أو من فضة^(٥)، ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾:

= * الوسيط (٧/٣)، تفسير الطبري (٣٦٩/١٦) معالم التنزيل (٩/٣) تفسير الرازي (١٦/١٨)، تفسير ابن كثير (٣٥٩/٤)، فتح القدير (٧١/٣).

(١) سقطت من: (ن).

(٢) جمع مِخْرَاق وهو آلة معروفة.

(٣) يشير إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: أقبلت يهود إلى النبي ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم! أخبرنا عن الرعد ما هو؟ قال: ملك من الملائكة موكل بالسحاب، معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله... الحديث. أخرجه الترمذي (٣٣٨٠/٥)، والنسائي (٩٠٧٢)، وأحمد (٢٤٨٣).

(٤) في (ن): بان ينزل.

(٥) يشير إلى حديث أنس رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ رجلاً من أصحابه إلى رجل من عظماء الجاهلية يدعوه إلى الله - تبارك وتعالى - فقال المشرك: أيش ربك الذي تدعوني إليه؟ من حديد هو؟ من نحاس هو؟ من فضة هو؟ من ذهب هو؟ فتعاطم مقاتله، فأتي النبي ﷺ فأخبره فأعادته النبي ﷺ الثانية، فقال مثل ذلك، فأتى النبي ﷺ فأخبره، فأرسله الثالثة، فقال مثل ذلك، فأتى النبي ﷺ فأخبره؛ فأرسله الله - تبارك وتعالى - عليه صاعقة فأحرقته، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله - تبارك وتعالى - قد أرسل على صاحبك صاعقة فأحرقته؛ فنزلت هذه الآية: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجْتَدِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾. أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/٣٠٤/٦٩٢)، والبزار (٣/٥٤/٢٢٢١/كشف) وأبو يعلى (٦/٨٧، ٨٨/٣٣٤١)، والدينوري في المجالسة (٣/١١٤٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/٣٧/٦٠٥)، ودلائل النبوة (٦/٢٨٣)، والهروي في ذم الكلام (٣/٢٠٥، ٢٠٦/٦٤٤)، والضياء المقدسي في المختارة (٥/٨٨، ٨٩/١٧١٠، ١٧١١) وسنده صحيح.

الحول أو القوة أو المماحلة أي: مكايدة^(١)، ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ يحقُّ أن يُعبد، أو الدعاء
 المجاب، فمن دعاه أجاب^(٢)، ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾: الأصنام، ﴿مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ﴾:
 الأصنام، ﴿لَهُمْ بَشَىٰ إِلَّا كَبْسِطٌ﴾: كاستجابة باسط، ﴿كَفَيْتِهِ إِلَى الْمَاءِ﴾: يدعوه ﴿لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾:
 بارتفاعه من البئر، ﴿وَمَا هُوَ بِبَلِغِهِ﴾؛ لأنَّ الماء جماد لا يشعر به أو كناشر أصابعه ولا
 يبقى الماء حينئذ في كفه فلا يبلغ فاه، ﴿وَمَا دَعَا الْكُفْرِينَ﴾: أي: عبادتهم لأصنامهم، ﴿إِلَّا
 فِي ضَلَالٍ﴾: ضياع لا يجدي نفعًا، ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ﴾: حقيقة، ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا﴾:
 كالمؤمنين، ﴿وَكُرْهًا﴾: كالكفرة في الشدة أو ينقادون لإحداث ما أراد فيهم ﴿وَوَضَّلَهُمْ﴾
 بالعرض أو بتصرفها مدًا وتقليصها ﴿بِالْغُدُوِّ﴾: الغدو: جمع غداة، كفتى وفتاة^(٣): أول
 النهار، ﴿وَالْأَصَالِ﴾: جمع أصيل، وهو بين العَصْرِ والمغرب، و«الغدو» أول النهار
 والأصال آخره^(٤) أي: دائمًا. وخصَّهم؛ لأن المد والتقليص فيهما أظهر ولا ستر
 فيهما ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾: فإنهم معترفون به، ﴿قُلْ﴾: إلزامًا لهم:
 ﴿أَفَاتَّخَذْتُمْ﴾ مع هذا الإقرار، ﴿مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾: فكيف لكم،
 ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى﴾: إله غافل عنكم، ﴿وَالْبَصِيرُ﴾: إله مطلع عليكم، ﴿أَمْ هَلْ نَسْتَوِي
 الظُّلُمَاتُ﴾: الكفر، ﴿وَالنُّورُ﴾: الإيمان، ﴿أَمْ﴾: بل أ ﴿جَعَلُوا﴾: أي: ما جعلوا ﴿لِلَّهِ شُرَكَاءَ
 خَلَقُوا كَخَلْقِهِ﴾: تعالى، ﴿فَنَشَبَهُ الْخَلْقُ﴾: خلقها، ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بخلقها فيقولوا: خلقوا كخلقها
 فاستحقوا العبادة مثله، ﴿قُلِ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾: فأى شيء تعبدونه؟ ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ﴾:
 المتوحد بالألوهية، ﴿الْفَهْرُ﴾: الغالب على الكل ﴿أَنْزَلَ مِنَ﴾: جانب، ﴿السَّمَاءِ مَاءً
 فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ﴾: أنهار كبار، ﴿بِقَدَرِهَا﴾: الذي^(٥) علم الله أنه نافع، ﴿فَأَحْتَمَلَ﴾: حمل،
 ﴿السَّيْلُ زَبَدًا﴾: رغوَّة ﴿رَابِيًا﴾: مرتفعًا على السيل ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾: من

(١) المكايدة للأعداء.

(٢) قال البيضاوي: ويؤيده ما بعده.

(٣) في أنوار التنزيل (٣٢٩): كفتى جمع فتاة.

(٤) جمع أصيل.

(٥) في (ن): أي: علم الله... إلخ.

جواهر الأرض، ﴿ابْتِغَاءً﴾: لطلب، ﴿حِيلَةٍ﴾: للنساء، ﴿أَوْ مَتَعٍ﴾: كالأواني يكون ﴿زَيْدٌ مِّثْلُهُ﴾: مثل زيد الماء في الوسخ وهو خبثها ﴿كَذَلِكَ﴾: المذكور، ﴿يَضْرِبُ﴾: يمثل، ﴿اللَّهُ الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ فَأَمَّا الزَّبَدُ﴾: منها، ﴿فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾: كائناً^(١) بجفاء السيل أي: رميته، ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾: من صافيهما، ﴿فَيَمَكْتُ فِي الْأَرْضِ﴾: لينتفع به ﴿كَذَلِكَ﴾: المثل ﴿يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلتَّبِيِّينَ﴾: للذين استجابوا لربهم ﴿: حِينَ دَعَاهُمْ لِلتُّوبَةِ﴾: ﴿الْحُسْنَى﴾: الجنة، ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾: حين دعاهم، ﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾: الدنيا، ﴿جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ﴾: للتخلص من عذابه ﴿أُولَئِكَ هُمْ سُوءَ الْحِسَابِ﴾: بأن يحاسب ولا يغفر بشيء من ذنبه، ﴿وَمَا أُوْنَهُمْ﴾: مرجعهم، ﴿جَهَنَّمَ وَيَسَّ لِلْهَادِ﴾: المقر هي، ﴿أَفَنَنْعَاهُمْ إِنَّمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾: فيستجيب كحزمة ﴿وَاللَّهِ﴾: ﴿ك﴾: صُنْعٌ ﴿مَنْ هُوَ أَعْمَى﴾: قلباً كأبي جهل ﴿إِنَّمَا يَذْكُرُ أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ﴾: الذين يؤفون بعهده الله: حين قالوا: بلى، ﴿وَلَا يَنْقُضُونَ الْعَيْثُقَ﴾: مطلقاً، ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾: كالرحم، ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾: وعيده، ﴿وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾: والذين صبروا: على مخالفة الهوى، أتى بالماضي فيه فقط، وكذا حيث وقع في القرآن إشارة إلى تقدمه على سائر التكاليف ﴿ابْتِغَاءً﴾: طلب مرضاة ﴿وَجَوْ رَبِّهِمْ﴾: بلا رياء ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤُونَ﴾: يدفعون، ﴿بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾: فتمحوها أو يجازونها بها، ﴿أُولَئِكَ هُمْ﴾: ما ينبغي أن يكون ﴿عُقْبَى الدَّارِ﴾: هي، ﴿جَنَّتُ عَدْنٍ﴾: إقامة، ﴿يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾: تبعاً وإن لم يبلغوا مراتبهم، وأفهم بـ«صَلَحَ» أن مجرد النسب لا يكفي، وأن الدرجة تعلق بالشفاعة، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾: لمنازلهم معهم هداية من الله تعالى قائلين: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾: هذا، ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾: على الطاعة ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾: جنة عدن^(٢)، ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾: بعدما أو ثقوه، ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ اللَّعْنَةُ وَهُمْ سُوءٌ﴾: عاقبة، ﴿الدَّارِ﴾: أي: جهنم، ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ﴾: يوسع ﴿الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾: يضيقه، فليس بالكفر والإيمان كما

(١) فهو منصوبٌ على الحال.

(٢) كذا - وهو جائز.

ظنوا ﴿وَفَرِحُوا﴾: مشركوا مكة، ﴿بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: بما بسط لهم فيها، ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي﴾: جنب، ﴿الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ﴾: متعة لا تدوم كعجالة الراكب وزاد الراعي، ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا﴾: هلاً ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾: مما نشتهي، ﴿قُلْ إِنْ أَلَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾: كما أضلكم وإن أنزلت كل آية، ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ﴾: إلى دينه، ﴿مَنْ أَنْابَ﴾: رجع عن العناد ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ﴾: تسكن ﴿قُلُوبُهُمْ﴾: أنسا ﴿بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ أو هو اطمئنانك بحلف أخيك فيما تشك ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾: عن القلق ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: لهم، ﴿طُوبَى﴾: فرح مصدر طاب أو مؤنث أطيب وشجرة في الجنة ﴿لَهُمْ وَحُسْنُ مَتَابٍ﴾: منقلب، ﴿كَذَلِكَ﴾: كإرسال الرسل قبلك، ﴿أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ﴾: مضت ﴿مِنْ قَبْلِهَا أُمَّةٌ لِنَسْتَلْهُمْ عَلَىٰ مَا الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنْسَاجُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾^(١) ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ﴾: مرجعي، ولما سأله تسيير جبال مكة وتفجير الأنهار فيها والإحياء، نزل^(٢): ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾: عن مقارها ﴿أَوْ قُطِعَتْ﴾: شققت ﴿بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُفِيَ بِهِ الْمَوْتُ﴾: فتسمع أو تجيب؛ لكان هذا القرآن أو لما آمنوا ﴿بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ﴾: من الهداية والإضلال، ﴿جَمِيعًا﴾: ولما طمع الصحابة حصول مقترحهم طمعا في إيمانهم، نزل: ﴿أَفَلَمْ يَأْتِسَّ﴾: يعلم، ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ﴾: أنه، ﴿لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا﴾: من سوء الأعمال، ﴿فَارِعَةً﴾: داهية تفرعهم ﴿أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّنْ دَارِهِمْ﴾: ليتعظوا ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾: الموت، أو القيامة، أو الفتح ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ وَلَقَدْ أَهْنَتْ رِيسُ لِي مِنْ قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أطلت مدتهم ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ بالعقوبة ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ أَفَمَنْ﴾: أي: فالله الذي هذه أفعاله، ﴿هُوَ قَائِمٌ﴾: رقيب، ﴿عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾: فيجازي، وحذف خبره وهو: لم يوحده وعطف عليه: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ﴾ أي: له ﴿شُرَكَاءَ قُلُوبَهُمْ﴾: صفوهم

(١) سورة الفرقان.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/٨٥/١٢٦١٧) والضياء المقدسي في المختارة (٩/٥٥٦)،

فانظروا هل يستحقونها وعلى طريق الكناية الإيمانية نبه على أن لا أسماء لهم فضلاً عن المسمى ﴿أَمْ﴾: بل، أ ﴿تَدْتَبُونَهُ بِمَا﴾: شركاء، ﴿لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ﴾: وما لا يعلم لا يكون، ﴿أَمْ﴾: بل أتسموهم شركاء، ﴿يُظَاهِرُ مِنَ الْقَوْلِ﴾: بلا اعتبار معنى كتسمية الظلمة نوراً، وقد يقال: هذا إلزام تقسيمي معناه: أتنبئونه بباطن لا يعلم، أم بظاهر يعلم، فإن قالوا بالأول أحالوا، وإن قالوا بالثاني يقول سموهم ليعلموا أن لا سمِّي ولا شريك له، ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ﴾: تمويههم هذا ﴿وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾: الحق، ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: بالقتل^(١) وغيره، ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ﴾: لهم ﴿أَشَقُّ وَمَأْلُومٌ مِنَ اللَّهِ﴾: من عذابه أو رحمته، ﴿مِنْ وَاقٍ﴾: حافظ، ﴿مَثَلٌ﴾: صفة ﴿الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ﴾ مبتدأ خبره محذوف نحو «فيما يتلى» ومثل: صفة زيد أحمر^(٢) ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا﴾: ثمرها ومأكولها، ﴿دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾: كذلك، ﴿تِلْكَ عُقْبَى﴾: مآل، ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾: مؤمنوهم، ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾: لموافقته لكتبهم^(٣)، ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ﴾: الكفرة منهم ﴿مَنْ يَنْكَرُ بَعْضَهُ﴾: مما يخالف دينهم، ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَا أُزِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ﴾: وإنكاركم بعضه ترك لعبادته ﴿إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابٌ﴾: مرجعي^(٤)، ﴿وَكَذَلِكَ﴾: الإنزال على الرسل بلغتهم ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ القرآن حال كونه ﴿حُكْمًا﴾: يحكم بما يقتضيه الحكم، ﴿عَرَبِيًّا وَلَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾: بكتمان ما ينكرونه، ﴿بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾: بحقيقته^(٥)، ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾: ينصرك، ﴿وَلَا وَاقٍ﴾: من عذابه، فيه تهديد لمزالتق^(٦) العلماء، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾: فلم يقولون: لو

(١) في (ن): القتل وغيره.

(٢) في البيضاوي: أسمر.

(٣) في (ن): لموافقة كتبهم.

(٤) على قراءة: «مآبي» وهي قراءة يعقوب - النشر (٢/٢٩٨)، إتحاف فضلاء البشر (٢٧٠).

(٥) في (ن): تحقيقه.

(٦) في (ن): لمذهب، وفي (س)، و(ع): مدايق.

كان نبياً لشغلته النبوة عن النساء^(١)، ﴿وَمَا كَانَ﴾: ما صح، ﴿لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِطَايَةِ﴾: تطلب منه، ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ﴾: وقت، ﴿كِتَابٍ﴾: حكم يكتب على العباد ما يقتضيه إصلاحهم^(٢)، ﴿يَمْحُوا﴾: ينسخ، ﴿اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾: يديم ما يشاء، ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾: الذي لا يغير، وهو اللوح، أو علم الله تعالى، ويؤيده قول ابن عباس: الكتاب اثنان، كتاب يمحو ما يشاء فيه، وكتاب لا يغير وهو علم الله جلَّ وعلاً والقضاء المبرم^(٣)، والجمهور ومنهم ابن عباس على أن السعادة والشقاوة ومدة الحياة لا تغير، وظواهر الأخبار تنازعه ﴿وَإِنْ مَا﴾ صلة ﴿نُرِيَنَّكَ بَعْضَ﴾: العذاب، ﴿الَّذِي نَعُدُّهُمْ أَوْتَوْفَيْتَكَ﴾: قبل ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ﴾: لا غير ﴿وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾: فلا تستعجل بعدايمهم والجزاء، ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي﴾: نقصد، ﴿الْأَرْضَ﴾: أرض الكفرة، ﴿نَنْقُضُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾: ممَّا^(٤) يفتح على المسلمين، ويزيد في دارهم وهو الموعود في: وإما نرينك، ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ﴾: رادّ ﴿لِحُكْمِهِ﴾ وهو سريع الحساب: سيحاسبهم قريباً، ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: بأنبيائهم كهؤلاء، ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾: كُلُّ مَكْرٍ عِنْدَ مَكْرِهِ كَلَّا مَكْرٍ، ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَ﴾ بعد جزاءه، ﴿سَيَعْلَمُ الْكَفُورُ^(٥) لِمَنْ عُنِيَ الدَّارِ﴾: أي: العاقبة الحسنى ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾: السماوي فإنهم يعرفونه كابن سلام^(٦) وسلمان وغيرهما - والله أعلم بالصواب.



(١) الوسيط (١٩/٣)، أسباب النزول - للواحدى (٢٧٩) من طريق الكلبي - وهو متروك.

(٢) في (س): استصلاحهم.

(٣) الوسيط (٢٠/٣) وانظر بالتفصيل: إفادة الخبر بنصه - للجلال الأسيوطي.

(٤) في (ن): ما يفتح.

(٥) في (ن): الكافر، وهي قراءة. وكتب في الهامش: الكفار: حفص - يعني قرأها حفص: «الكفار».

(٦) عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: قد أنزل الله في القرآن: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ

عِلْمٌ﴾. أخرجه الطبري في جامع البيان (١١٨/١٣) وسنده ضعيف.

«سورة إبراهيم» عليه الصلاة والسلام^(١): مكية^(٢)

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾: الر: هذا، ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِنُخْرِجَ النَّاسَ﴾: بدعوتهم إلى مضمونه^(٣) ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾: الضلالات، ﴿إِلَى النُّورِ﴾: الهدى، ﴿بِإِذْنِ﴾: بتوفيق، ﴿رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ﴾: بدل من: إلى النور، ﴿الْعَزِيزِ﴾: الغالب، ﴿الْحَمِيدِ﴾: المستحق للحمد، أفهم بتخصيص الوصفين أنه لا يذل سالكه، ولا يخيب سائله، ﴿الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾: هم، ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ﴾: يختارون ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ﴾: الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: دينه، ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾: يطلبون لها، ﴿عِوَجًا﴾: ليقدحوا فيه، ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾: عن الحق ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ لُغَةٍ قَوْمِهِ﴾: الذين هو منهم ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾: ما أمروا فيفهموا^(٤) فيترجموا لغيرهم، ﴿فِيضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ﴾: بعد البيان ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾: باتباعه، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: الغالب فيما أراد^(٥) ﴿الْحَكِيمُ﴾: فيما فعل^(٦)، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْتَ﴾: بأن، ﴿أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾: الضلالة ﴿إِلَى النُّورِ﴾: الهدى ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيْمَنِ اللَّهِ﴾: وقائعه على الأمم من النعم والنقم أو عليهم من نحو فلق البحر ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: التذكير، ﴿لَايَتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾: على بلائه، ﴿شَكُورٍ﴾: على نعمائه ﴿وَ﴾: اذكر، ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ

(١) كذا في (ح)، و(ن)، وفي (س): عليه السلام، وكذا في (ع).

(٢) في هامش (د): سورة إبراهيم - مكية، اثنتان وخمسون آية، غير آيتين: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا - الآية﴾ وعند البصريين أحد وخمسون ثم الأنبياء كلماتها (٨٣١) في عدد سور القرآن (٢٧٥): (٨٨١)، البيان

(١٧١)، البصائر (١/٢٦٨) وحروفها (٣٤٣٤) عدد السور القرآن (٢٧٥)، البيان (١٧١).

(٣) يعني مضمون الكتاب.

(٤) في (ن): ليفهموا.

(٥) في (ن): أراداه.

(٦) في (ن): يفعل.

إِذْ أَحْبَبْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ ﴿١﴾: يَبْغُونَكُمْ، ﴿سُوءَ﴾: أَفْطَعُ ^(١) ﴿الْعَذَابِ وَيُدْحِكُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾: أَفَادَ بِالْوَاوِ أَنَّ الْعَذَابَ هُنَا غَيْرُ الذَّبْحِ، وَهُوَ الْاسْتِعْبَادُ وَنَحْوُهُ، بِخِلَافِ الْبَقْرَةِ وَالْأَعْرَافِ، إِذْ فَسَّرَهُ بِهِ، وَبِالتَّقْتِيلِ، ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾: فَسَّرَ مَرَّةً ^(٢) ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾: أَعْلَمَ، ﴿رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ﴾: بِطَاعَتِي ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾: نِعْمَتِي، ﴿وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ﴾: نِعْمَتِي، ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾: لَمَنْ كَفَرَهَا ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ فَضَرَّرُ كُفْرَكُمْ عَلَيْكُمْ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ﴾: عَنِ الْعَالَمِينَ، ﴿حَمِيدٌ﴾: يَسْتَحِقُّ الْحَمْدَ فِي ذَاتِهِ وَإِنْ لَمْ يَحْمَدْ ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: مِنَ الْأُمَّمِ الْمَكْذِبَةِ، ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾: لَكَثْرَتِهِمْ ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بِالْمَعْجَزَاتِ الْوَاضِحَاتِ، ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾: أَنْفُسَهُمْ أَوْ أَفْوَاهِ الرُّسُلِ، عَلَى سَبِيلِ الْمَثَلِ فِي عَدَمِ إِجَابَتِهِمْ أَوْ إِسْكَاتِهِمْ أَوْ غَضُوهَا غِيظًا ﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾: عَلَى زَعْمِكُمْ، ﴿وَإِنَّا لَنَلِي شَكًّا مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ﴾: فَسَّرَ مَرَّةً، ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي تَفَرُّدِ اللَّهِ﴾: بِالْعُبُودِيَّةِ، ﴿شَكُّ فَاطِرٍ﴾: مُبْذَعٌ ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ﴾: إِلَى عِبَادَتِهِ ﴿لِيُغْفَرَ لَكُمْ مِنْ﴾: بَعْضِ، ﴿ذُنُوبِكُمْ﴾: وَهُوَ مَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ لَا الْمِظَالِمَ، وَإِنَّمَا جَاءَ بِ﴿مِنْ﴾ أَيْنَمَا خَاطَبَ الْكُفْرَةَ بِخِلَافِ الْمُؤْمِنِينَ إِبْقَاءَ لِلْبَعْضِ عَلَى الْإِحْتِمَالِ؛ لِئَلَّا يَتَكَلَّمُوا عَلَى مَجْرَدِ الْإِيمَانِ؛ لِأَنَّ الْمَغْفِرَةَ إِنَّمَا جَاءَتْ فِي خِطَابِهِمْ مَرْتَبَةً عَلَى الْإِيمَانِ، وَفِي خِطَابِ الْمُؤْمِنِينَ مَشْفُوعَةً بِالطَّاعَةِ وَتَرْكِ الْمَعَاصِي، فَيَتَنَاوَلُ الْمِظَالِمَ، وَجَوَّزَ ابْنَ الْحَاجِبِ كَوْنَ مَعْنَى مَغْفِرَةِ كُلِّ الذُّنُوبِ مِنْ خَوَاصِّ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَحِينَئِذٍ فَلَا إِشْكَالَ، ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: فَلَا يَعْجَلُكُمْ بِالْعُقُوبَةِ، ﴿قَالُوا إِنْ﴾: مَا، ﴿أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ﴾ دَلِيلٍ ﴿مُّبِينٍ﴾: عَلَى فَضْلِكُمْ عَلَيْنَا، ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ﴾: مَا ﴿نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾: جَنْسًا وَصُورَةً ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾: كَمَا مَنْ عَلَيْنَا بِالنَّبُوءَةِ، أَفْهَمَ أَنَّ النَّبُوءَةَ

(١) فِي (س)، وَ(ع): أَفْضَحَ.

(٢) فِي سُورَةِ الْبَقْرَةِ.

عطائية، ﴿وَمَا كَانَتْ لَنَا﴾: لا نستطيع، ﴿أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: مشيئته، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلَئِن تَوَكَّلَ الْمُؤْمِنُونَ﴾: فتوكل عليه في الصبر على [معاندتكم و] [معاداتكم]، ﴿وَمَا﴾: أي عذر، ﴿لَنَا﴾: في، ﴿أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾: طرق الرشاد ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَاءٍ أَذْيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلَئِن تَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾: أي: ليشتوا على توكلهم المسبب عن إيمانهم فالأول^(١) للاستحداث، والثاني للتثبيت، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّسُلُ هُمْ أَنْخَرِحَكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ﴾: لتصيرن^(٢)، ﴿فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ﴾: إلى رسالهم، ﴿رَبُّهُمْ لَهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ وَلَنُسَكِنَنَّكُمْ الْأَرْضَ﴾: أرضهم ﴿مِن بَعْدِهِمْ ذَلِكَ﴾: الوعد، ﴿لَمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾: موقفه عندي في القيامة، ﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾: تخويفي^(٣)، ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا﴾: طلب الرسل الفتح على أعدائهم ﴿وَحَابَّ﴾: خسر ﴿كُلُّ جَبَّارٍ﴾ متكبر ﴿عَنِيدٍ﴾: معاند للحق ﴿مِنْ وَرَائِهِ﴾: قدامه، ﴿جَهَنَّمَ﴾: يلقى فيها ﴿وَسُقَى مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾: ماء يسيل من جلود أهل النار من القيح والدم أو من فروج الزناة^(٤)، ﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾: يتكلف جرعه ﴿وَلَا يَكَادُ﴾: لا يقارب، ﴿يُسِغُّهُ﴾: يجوز على حلقة بسهولة ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ﴾: أي: أسبابه ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ من جسده، ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾: ليستريح، ﴿وَمِنْ وَرَائِهِ﴾: قدامه بعد ذلك العذاب، ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾: آخر، أي: لا نهاية لأنواع عذابه، ﴿مَثَلُ﴾: صفة ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾: فيما يتلى عليكم، ﴿أَعْمَلُهُمْ﴾: من نحو إعتاق وصلة^(٥)، ﴿كِرَامًا أَشَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾: شديد الريح، فلا يتتفعون بأعمالهم كما لا تبقى ذرة من الرماد، وحينئذ ﴿لَا يَقْدَرُونَ﴾: في القيامة، ﴿مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ﴾: أي:

(١) يعني: الأمر الأول بالتوكل.

(٢) فالعود بمعنى الصيرورة؛ لأنهم لم يكونوا على ملتهم قط - تفسير البيضاوي ص ٣٣٨.

(٣) على قراءة: (وعيدى) وهي قراءة ورش عن نافع وصلا، ويعقوب وصلا ووقفاً - النشر (٢/٣٠١)، السبعة (٣٦٤)، إتحاف فضلاء البشر (٢٧١)، غيث النفع (٢٦٥).

(٤) الوسيط (٣/٢٦)، تفسير الطبري (١٦/٥٤٨)، معالم التنزيل (٣/٢٩)، تفسير ابن كثير (٤/٤٠١).

(٥) وصدقة وغير ذلك مما ظاهره فعل بر وخير، فلا يقبل منهم أبداً، لكن يخفف عنهم العذاب يوم القيامة في النار ا.هـ.

ضلالهم مع حسابهم أنهم على شيء، ﴿هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾: عن الحق ﴿الْمُتَرَّ﴾: يا محمد، ﴿أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ بما يحق أن يخلق عليه ﴿إِنْ يَشَأْ يُدْهِبِكُمْ﴾: يعدمكم^(١) ﴿وَيَأْتِي بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ إذ من قدر على خلقها قدر على ذلك، ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾: بمتعسر ﴿وَبَرَزُوا﴾: خرجوا من قبورهم، أتى بالماضي للتحقيق، ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعِفَتَاؤُا﴾: الأتباع، ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾: عن عبادة الله من رؤسائهم، ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾: في الدين، ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَدُونَ﴾: دافعون، ﴿عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا﴾: الرؤساء اعتذاراً، ﴿لَوْ هَدَيْنَا اللَّهُ﴾: طريق النجاة ﴿لَهَدَيْنَاكُمْ﴾: طريقها، لكن سُدَّ علينا طريقها، ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرٌ أَمْ صَبْرًا﴾: هما مستويان ﴿مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾: مهرب، فلا ينفع جزعكم هذا ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ ودخل كل منزله من الجنة أو النار، يقوله خطيباً في الأشقياء: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ﴾ بنفيها ﴿وَعَدَّ الْحَقُّ﴾: المنجز، من البعث وغيره، ﴿وَوَعَدْتُمْ فَآخَفْتُمْ﴾: تبين خلفه، ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾: تسلط، ﴿إِلَّا﴾: لكن، ﴿أَنْ دَعَوْتُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ جعل الدعوة من جنس التسلط مبالغة فاستثنى منه، ﴿فَلَا تُلْمُوا نِيَّ وَتُلْمُوا أَنْفُسَكُمْ﴾: بإطاعتي ومخالفتي، ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾: مغيثكم، ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي﴾: بمغيثي، ﴿إِنِّي كَفَرْتُ﴾: اليوم، ﴿بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ﴾: بإشراككم إياي لله بإطاعتي، ﴿مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ تنمة كلامه ﴿وَأَدْخِلِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ والمدخل الملائكة ﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾: من الملائكة ﴿فِيهَا سَلَامٌ﴾ ألم تَرَ كَيْفَ صَرَبَ ﴿وَضَعُ اللَّهُ﴾ مثلاً: بأن جعل، ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ التوحيد ونحوه ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾: النخلة^(٢)، ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾: في الأرض، هي قلب المؤمن ﴿وَفَرَعُهَا﴾: غصنها وهو صوالح أعماله^(٣)، ﴿فِي السَّكَمَاءِ﴾ إليه يصعد الكلم الطيب ﴿تُؤْتِي أُكْلَهَا﴾: ثمرها وهي ثواب الله في الدارين

(١) في (ن)، و(د): يعذبكم.

(٢) الوسيط (٢٩/٣).

(٣) في نسخة (ن)، و(د): وهو صوالح الأعمال.

﴿كُلِّ حِينَ﴾: دَائِمًا، ﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾: بإرادته، ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: إذ فيه زيادة الإفهام، ﴿وَمَثَلُ كَثْمَةٍ حَيْثِيَّةٍ﴾: الشرك، ﴿كَشَجَرَةٍ حَيْثِيَّةٍ﴾: كالحنظلة، ﴿اجْتُنَّتْ﴾: استوصلت، ﴿مِنَ فَوْقِ الْأَرْضِ﴾: لقرب عروقها، ﴿مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾: كالكفر لا أصل له ولا فرع ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾: الإيمان في قلوبهم كالشجرة الطيبة، ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾: يلقنهم في قبرهم جواب المنكر^(١) والنكير، ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾: فلا يلقنهم جوابهما، ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾: من الثبوت والاضلال، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ﴾: هم كفار قريش كبنو المغيرة وبنو أمية^(٢) ﴿بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾: أي: شكر نعمته كمحمد وما جاء به، ﴿كُفْرًا﴾: فسلبت عنهم وقحطوا وأسروا وقتلوا ﴿وَأَحْلَوْا قَوْمَهُمْ﴾: تابعيهم، ﴿دَارَ الْبُورِ﴾: الهلاك ﴿جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا﴾: داخلين فيها، ﴿وَيَبْسُ الْفَرَارِ﴾: المقر هي، ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾: أمثالا، ﴿لِيُضِلُّوا﴾: الناس ﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾: دينه، واللام للعاقبة، ﴿قُلْ تَمَعُوا﴾: بدنياكم ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا﴾: ليقيموا أو هو جواب لقل^(٣) ﴿الصَّلَاةَ وَيُفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾: إنفاقا، ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾: والأحب إعلان الفرض^(٤) وإخفاء السنة ﴿مَنْ قَبِلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لَا بَيْعَ فِيهِ﴾ فيشتري المتروك ﴿وَلَا خَلْلٌ﴾: مودة طبيعية، لكن محبة المتقين المصلين المزكين تنفعهم، ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ سَمَاءٍ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ

(١) كذا.

(٢) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: هم كفار أهل مكة رواه البخاري في صحيحه (٣٩٧٧، ٤٧٠٠).وعن علي رضي الله عنه قال: هم كفار قريش يوم بدر. أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٤٢/٢/١)، والنسائي

(١/٦٢٢/٦٨٧/تفسيره)، والطبري (١٤٦/١٣)، والحاكم (٣٥٢/٢)، وابن أبي حاتم (٢٢٤٦/٧)

وسنده صحيح.

وعن عمر رضي الله عنه قال: هما الأفجران من قريش: بنو المغيرة وبنو أمية، فأما بنو المغيرة، فكفيتهم يوم

بدر، وأما بنو أمية فتمتعوا إلى حين. أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٣٧٣/٨)، والطبري

(١٤٦/١٣)، ورواه الواحدي في الوسيط (٣١/٣) من كلام علي رضي الله عنه وسنده ضعيف.

(٣) في (ن)، و(د): قل.

(٤) للتأسي والقدوة.

الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ: ﴿يَارَادَتَهُ﴾: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ﴾: لانتفاعكم، ﴿الْأَنْهَرَ وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ﴾: دائمين في السير لمصالحنا بلا اختيار منهما كالمسخر لنا، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الْيَلَّ﴾: لسباتكم، ﴿وَالنَّهَارَ﴾: لمعاشكم، ﴿وَأَتَانَكُمْ﴾: أعطاكم، ﴿مِنْ﴾: بعض ﴿كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾: فإن الموجود من كل صنف بعض ما في قدرة الله تعالى، ولكنه أصلح، والمراد السؤال الحالي أي: ما شأنه أن تسأله لاحتياجكم، ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾: لا تحصرها، فضلاً عن شكرها، دل على أن المفرد بالإضافة يستغرق ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ﴾: بترك شكرها، ﴿كَفَّارٌ﴾: شديد الكفران، ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ﴾: مكة، ﴿ءَامِنًا﴾: ذا أمن، ﴿وَاجْتَنِبْنِي﴾: بعدي، ﴿وَيَتْنِي﴾: من صُلبي، ﴿أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾: دعا لنفسه في مقام الخوف أو قصد به الجمع بينه وبين بنيه ليستجاب ببركته، يا ﴿رَبِّ إِنِّي﴾: الأصنام، جعل السبب مكان المسبب كسيف قاطع، ﴿أَضَلَّنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَن تَبِعَنِي﴾: ديناً، ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: تقدر على مغفرته، دل على إمكان مغفرة كل ذنب حتى الشرك، إلا أن الوعد فرق، ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ﴾: بعض، ﴿ذُرِّيَّتِي﴾: إسماعيل ﴿بُؤَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾: لعدم الماء فيها، فهذا دعاء بحصول الماء، ﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾: الذي حرمت التهاون به ﴿رَبَّنَا لِيقْسِمُوا الصَّلَاةَ﴾: عنده، ﴿فَأَجْعَلْ آفِئدةً﴾: جمع وفد، أو فؤاد ﴿مِنْ﴾: آفئدة ﴿النَّاسِ تَهْوِي﴾: تسرع ﴿إِلَيْهِمْ﴾: شوقاً، ولو قال: آفئدة الناس لا زدحم كلهم^(١)، ﴿وَأَرْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾: نعمتك ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمَ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ﴾: فدعنا إظهار لعبوديتك، ﴿وَمَا يُخْفِي عَلَى اللَّهِ مِنْ﴾ للاستغراق ﴿شَيْءٍ﴾: كائن ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾: لاستواء نسبته تعالى إلى الكل، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ﴾: في تسع وتسعين سنة، ﴿وَإِسْحَاقَ﴾ في

(١) قال مجاهد: لو قال: آفئدة الناس؛ لازدحم عليه فارس والروم والترك والهند. * الوسيط (٣/ ٣٤)،

معالم التنزيل (٣/ ٣٨)، تفسير الرازي (١٩/ ١٠٨).

وقال سعيد بن جبير: لو قال: آفئدة الناس؛ لحجت اليهود والنصارى والمجوس ولكنه قال: آفئدة من

الناس، فهم المسلمون. * الوسيط (٣/ ٣٤).

مائة واثني عشرة، دل على أن دعاءه بعد البناء وزمان الدعاء والحمد مختلف، فإن الدعاء في طفولية إسماعيل، ولم يكن إسحاق حينئذ ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعٌ﴾: مجيب ﴿الدُّعَاءَ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ﴾: مواظباً على، ﴿الصَّلَاةِ وَاجْعَلْ﴾: ﴿مَنْ ذُرِّيَّتِي﴾ مقيماً بعض لعلمه بكفر بعض بإعلام الله أو استقراء عادته في الأمم، ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ﴾ كله أو عبادتي^(١)، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾: كانت أمه مؤمنة وأبوه مرجو الإسلام ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾: استعارة من توبته، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ﴾: بإمهاله الظالمين، ﴿غَافِلًا عَمَّا يَظُنُّونَ﴾: أراد تثبيته عليه الصلاة والسلام على عقيدته، أو أراد بالغفلة تركهم سدى ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾: أي: عقوبتهم، ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ﴾: ترتفع، ﴿فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾: لا تقرر في أماكنها من هولته، ﴿مُهْطِعِينَ﴾: مسرعين إلى الحشر، ﴿مُقِنِّي﴾: رافعي ﴿رُءُوسِهِمْ﴾: إلى السماء، ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾: يديمون النظر بلا تحريك الأجناف، ﴿وَأَفْقِدَتُّمْ هَوَاءً﴾: خالية عن الفهم أو كالهواء في الاضطراب، ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: بالشرك ﴿رَبَّنَا أَخْرِنَا﴾: أمهلنا وردنا ﴿إِلَى﴾: الدنيا إلى، ﴿أَجَلٍ﴾: حد من الزمان، ﴿قَرِيبٍ يُجِيبُ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعُ الرُّسُلَ﴾: فتقول الملائكة لهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ﴾ حلفتم ﴿مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ وَسَكَنتُمْ فِي مَسْكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفر ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا﴾ بينا ﴿لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾: من أحوالهم وإنكم^(٢) مثلهم، فما اعتبرتم، ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ﴾: غاية لإبطال الحق، ﴿وَعِنْدَ اللَّهِ﴾: مكتوب، ﴿مَكْرُهُمْ﴾: فيجازيهم ﴿وَلِإِنْ كَانَتْ مَكْرُهُمْ﴾: في الشدة مهيباً، ﴿لَتَرْوُلَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ على حقيقته أو مجاز عن الدين الثابت، ويفتح اللام و «إن» مخففة، ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلَّفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾: من نصرهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غالب، ﴿ذُو أَنْتِقَارٍ﴾: لأوليائه، ﴿يَوْمَ يَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾: فتكون من فضة، ﴿وَالسَّمَوَاتِ﴾: غير السموات

(١) قرأ أبو عمرو وحمزة وابن كثير ونافع وعاصم وورش وأبو جعفر وقنبل وحفص «دعائي».

* إتحاف (٢٧٣)، السبعة (٣٦٣)، غيث النفع (٢٦٦)، النشر (٣٠١/٢).

(٢) في (ن): فإنكم.

فتكون من ذهب^(١) هذا قول علي - رضي الله عنه - وفي مسلم^(٢): «أن الخلق يومئذ على الصراط» قيل: هي تلك الأرض، وإنما تتغير صفتها^(٣)، وقيل: تصير خبزة بيضاء يأكلها المؤمن من تحت قدمه^(٤)، «وَبَرَزُوا» من قبورهم، «لِلَّهِ الْوَحْدُ الْقَهَّارِ»: الغلاب الغير المغلوب^(٥) «وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ»: مع شركائهم في العمل والعقيدة، أو شياطينهم، «فِي الْأَصْفَادِ»: الأغلال، لمقارنتهم في الضلال «سَرَابِيهُمُ»: قمصهم «مَنْ قَطَرَانٍ» ما يتحلب^(٦) من الأبهل^(٧)، وهو أسود متتن يطلى به الإبل الجربى^(٨) فيحرق الجلد بحدته، «وَتَغْشَى»: تعلقو «وُجُوهُهُمْ النَّارُ» لِيَجْرِيَ اللَّهُ: متعلق ببرزوا «كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنْ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ»: لأنه لا يشغله حساب عن حساب «هَذَا»: القرآن، «بَلَّغْ»: كفاية في الوعظ، أنزل «لِلنَّاسِ»: ليتعظوا «وَلِيُنذِرُوا بِهِ» وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ»: بالتأمل في الآيات، «وَلِيَذَكَّرَ أُولُوا

(١) تفسير الطبري (١٣/٢٥٤)، معالم التنزيل (٣/٤١)، زاد المسير (٤/٣٧٦) تفسير ابن كثير (٤/٤٣٩)، الوسيط (٣/٣٧).

(٢) يشير إلى حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله! رأيت قول الله: «يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ» أين الناس يومئذ؟ قال: على الصراط. أخرجه مسلم (٤/٢١٥٠/٢٩/٢٧٩١)، الترمذي (٥/٢٩٦/٣١٢١) و (٥/٣٧٢/٣٢٤٢)، وابن ماجه (٢/١٤٣٠/٤٢٧٩)، والدارمي (٢/٤٢٣)، وأحمد (٦/٤٠/٢٤١٢٤)، والحاكم (٢/٣٥٢).

(٣) في (ن): صفتها.

(٤) يشير إلى حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة، يكفؤها الجبار بيده كما يكفؤ أحدكم خبزته في السفر نزل لأهل الجنة». أخرجه البخاري (١١/٣٧٩/٦٥٢٠)، ومسلم (٤/٢١٥١/٣٠/٢٧٩٢).

وعن سعيد بن جبير قال: «تكون الأرض خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه». أخرجه الطبري (١٣/٢٥٤)، معالم التنزيل (٣/٤١)، تفسير ابن كثير (٤/٤٣٩)، زاد المسير (٤/٣٧٦).

أقول: ولا مانع من ذلك؛ تخفيفا على المسلمين في هذا الموقف.

(٥) في (ن): مغلوب.

(٦) يسيل.

(٧) شجر الأرز.

(٨) التي أصابها الجرب - والعياذ بالله.

الْأَلْبَنِي ❖: العقول السليمة فينزجروا.



«سورة الحجر» (١): مكية (٢)(٣)

لما قال: ﴿ هَذَا بَلَّغٌ ﴾ إلى آخره، بيّن أنه المكتوب في اللوح المحفوظ فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الرَّ تِلْكَ آيَاتُ﴾: السورة، آيات ﴿الْكِتَابِ﴾: اللوح الجامع لجميع الكائنات، ﴿وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ﴾: للرشد من الغي، قدّم الكتاب هنا باعتبار الوجود الخارجي، وأخر القرآن في النمل (٤) باعتبار علمنا به ﴿رُيُمًا﴾: للكثرة من استعارة أحد الضدين للآخر مبالغة، ﴿يُودُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: حين يجتمعون مع العصاة في النار فيقولون لهم: ما أغنى عنكم الإسلام، فيغضب الله عليهم ويخرج العصاة (٥)، ﴿لَوْ﴾: أن، ﴿كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ ذرهم يأكلوا ويتمتعوا: بديانهم، ﴿وَيُلْهِمُهُمْ﴾: يشغلهم ﴿الْأَمَلُ﴾: عن الاستعداد للمعاد، ﴿فَسَوْفَ يَعْمَلُونَ﴾: سوء صنيعهم، نسخت بالقتال ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ إِلَّا﴾: ﴿وَوَ هِيَ﴾، ﴿لَهَا كِتَابٌ﴾: أجل، ﴿مَعْلُومٌ﴾: مؤقت لإهلاكها، ﴿مَا نَسِيقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ﴾: عنه، فسر مرة، ذكر وجمع للمعنى ﴿وَقَالُوا﴾ استهزاء: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾: القرآن، ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ (٦) ﴿لَوْ مَا﴾:

(١) في هامش (ن): الجزء (١٤).

(٢) في قولهم جميعاً- عدد سور القرآن (٢٧٧).

(٣) في هامش نسخة (د): سورة الحجر مكية، تسع وتسعون آية بالاتفاق ثم الأنعام، كلماتها (٦٥٤) عدد سور القرآن (٢٧٧)، والبيان (١٧٣)، القول الوجيز (٢١٨)، البصائر (١/ ٢٧٢) وحرورها (٢٧٧١) البيان (١٧٣).

(٤) القرآن وكتاب.

(٥) يشير إلى حديث أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: «إذا اجتمع أهل النار في النار، ومعهم من شاء الله من أهل القبلة، قال الكفار للمسلمين: ألم تكونوا مسلمين؟ قالوا: بلى، قالوا: فما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا في النار؟ قالوا: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها، فسمع الله ما قالوا «فأمر الله من كان في النار من أهل القبلة فأخرجوا، فلما رأى الكفار قالوا: يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج من النار كما أخرجوا، قال: ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ﴾ (١) ﴿رُيُمًا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾. * أخرجه الحاكم (٢/ ٢٤٢)، والطبري (٣/ ١٤)، والنسائي (٦/ ٣٧٣) وسنده ضعيف.

هَلَّا، ﴿تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ﴾: ليصدقوك، ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾: فأجاب الله عنه ﴿مَا نَزَّلَ الْمَلَكَةَ إِلَّا﴾: ملتبساً ﴿بِالْحَقِّ﴾: بالحكمة، ولا حكمة فيه^(١)؛ لأنكم تستأصلون، وفي أصلابكم من حكم بإيمانه ﴿وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ﴾: مؤخرين ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾: عن التغيير، فجعلناه معجزة، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾: رسلاً، ﴿فِي شَيْعٍ﴾: فرق، ﴿الْأُولَىٰ﴾ وما: كان، ﴿يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾: كقومك، ﴿كَذَلِكَ﴾: كإدخال الاستهزاء في قلوب هؤلاء، ﴿نَسَلُكُهُ﴾: ندخل الاستهزاء، ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ لا يؤمنون به: بالرسول، ﴿وَقَدْ خَلَّتْ سُنَّةُ﴾: الله في، ﴿الْأُولَىٰ﴾: بإهلاك المكذبين، ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾: فينظروا إلى الملائكة طول النهار ﴿لَقَالُوا﴾: عناداً، ﴿إِنَّمَا سَكِرَاتٌ﴾: سُدَّتْ بِالسَّحَرِ ﴿أَبْصَرْنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾: سحر محمد عقولنا كما قالوه في غيره من المعجزات ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا﴾: خلقنا، ﴿فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾: اثني عشر، مختلفة الهيئات والخواص^(٢) مع وحدة حقيقة السماء، ﴿وَرَبَّيْنَاهَا﴾: بالنجوم، ﴿لِلنَّظِيرِ﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾: فلا يقدر أن يطلع على أحوالها ﴿إِلَّا مَنْ أَسْرَقَ السَّمْعَ﴾: اختلس سرّاً منها، ﴿فَاتَّبَعَهُ﴾: لحقه ﴿شَهَابٌ﴾: شعلة نار ساطعة، ﴿مُبِينٌ﴾: ظاهر للمبصرين، وما ورد أنها بولادة^(٣) محمد - ﷺ^(٤) - لا يقدر بكونها قبله لجواز كونها بأسباب أخر، وورد أنهم منعوا بولادة عيسى عن ثلاث، وبولادة نبينا - ﷺ^(٥) - عن البواقي^(٥)، ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾: بسطناها، ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا﴾: جبلاً، ﴿رُوسَى﴾: ثوابت، ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا﴾: في

(١) يعني في نزول الملائكة عياناً؛ لأنها لو نزلت ستنزل على صورة بشر مما يزيدكم لبساً.

(٢) على ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء. * أنوار التنزيل (٣٤٥).

(٣) أرسلت على الشياطين لما ولد النبي ﷺ.

(٤) الوسيط (٤١/٣).

(٥) هذا مروى عن ابن عباس. * الوسيط (٤١/٣)، معالم التنزيل (٤٥/٣)، الجامع للقرطبي

(١٠/٨/٩)، إرشاد العقل السليم (٧١/٥) تفسير الرازي (١٣٤/١٩) زاد المسير (٣٨٩/٤).

الأرض، ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾: مُقَدَّرٌ بِمُقْتَضَى^(١) الحكمة، ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ﴾: ما تعيشون به، ﴿وَ﴾: جعلنا لكم، ﴿مِنْ لَشْتُمْ لَهُمْ رِزْقِينَ﴾: من نحو العيال الذين تظنون أنكم ترزقونهم ﴿وَإِنْ﴾: ما، ﴿مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾: تمثيل لكمال قدرته، شبه قدرته على كل شيء بالخزائن المودعة فيها الأشياء المعدة لإخراج كل شيء بحسب المصلحة، ﴿وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾: اقتضته حكمتنا ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ﴾: حوامل بالماء من السحاب، ثم نُجْرِيهَا فِي السَّحَابِ حَتَّى تَدْرُكُدَّرَ اللَّقْحَةَ^(٢) أو بمعنى الملاقيح، أي: للشجر، ﴿فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾: جعلناه لكم سُقْيَا، ﴿وَمَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾: بل هو في خزائنا، ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِيهِ وَنُمِيتُهُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾: الباقون بعد فناء الخلق ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ﴾: من لَدُنْ آدَمَ، ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِرِينَ﴾: من سيأتي إلى آخر الدنيا، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾: للجزاء، ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾: في أفعاله، ﴿عَلِيمٌ﴾: بالكلِّ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾: آدَمَ، ﴿مِنْ صَلْصَلٍ﴾: طين يابس يُصَوِّتُ إِذَا نُفِرَ، أو طين متين كائن ﴿مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾: مُصَوَّرٌ أو مصبوب أو منتن، ﴿وَالْجَانَّ﴾: أبا الجن أو أبلّيس أو الشياطين، ﴿خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ﴾: قبل آدَمَ، ﴿مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾: الحر الشديد، أو نار بلا دخان، وهي بالإضافة إلى نارنا هذه كالجمد إلى الماء، والحجر إلى التراب، ﴿وَ﴾: اذكر، ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾: عدلت خلقه، ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوْحِي﴾: إضافة تشريف، والنفخ تمثيل لتحصيل^(٣) ما يحيى به فيه، ﴿فَفَقَعُوا﴾: اسقطوا ﴿لَهُ سَجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾: تأكيد آخر لزيادة تمكين المعنى أو يفيد معنى الاجتماع، ﴿إِلَّا﴾: لكن، ﴿إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾: فسر مرة ﴿قَالَ يَتَابِلِيسُ مَا﴾: أي غرض،

(١) كذا في (ن)، و(د).

(٢) اللقحة - بكسر اللام وسكون القاف المثناة - الناقة ذات اللبن، والملاقيح: التي في بطونها أولادها، ومعنى لواقح: التي تلقح النخل، أي: تحمل ريح الذكر إلى الأنثى فتطلع، وضدها العقيم. * عمدة الحفاظ (٤/٣٥).

(٣) في (ن): ليحصل.

﴿لَكَ﴾ في ﴿أَلَا تَكُونُ مَعَ السَّاجِدِينَ قَالَ لَمْ أَكُنْ﴾: ما صحَّ لي، ﴿لَأَسْجُدَ لِشَرِّ خَلْقَتَهُ مِنْ صَاصِلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ﴾: ولما تكبر ﴿قَالَ فَأَخْرَجَ مِنْهَا﴾: من منزلتك، فسر مرة ﴿فَأَنكَ رَجِيمٌ﴾: مطرود من الخير، ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ﴾: تلك، ﴿اللَّعْنَةَ﴾ المتصلة ﴿إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ حدَّه به؛ لأنه يناسب أيام التكليف، وأما قوله: ﴿فَأَذَنٌ مُؤَدَّنٌ بَيْنَهُمْ﴾ - الآية (١) - فبمعنى آخر ينسى عندها هذه؛ لأنه أبعد غاية يضرُّها (٢) الناس ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي﴾: أَخْرُ أَجَلِي، ﴿إِلَى يَوْمٍ يُعْتَوْنَ﴾: أراد به أن لا يموت، ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾: فيه أجلك وهو النفحة فيموت أربعين سنة، ﴿قَالَ رَبِّ﴾: أقسم ﴿بِمَا أَغْوَيْنَنِي﴾: فسر مرة، ﴿لَأُرْزِقَنَّ﴾: المعاصي، ﴿لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: الدنيا، ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ إلا عبادك منهم المخلصين ﴿: أَخْلَصْتَهُمْ لَطَاعَتِكَ﴾: قال هذا ﴿أي: تخليصهم عنك﴾ صِرَاطٌ عَلَيَّ ﴿: رعايته، ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾: لا انحراف عنه، أو هذا الإخلاص طريق عليّ بلا عوج، وقُدِّم (٣) أن المخاطبة بواسطة الملك أو نحوه، ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾: كلهم، ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ تصديق له، والاستثناء يدفعان اشتراط أقلية المستثني من الثاني للزوم التناقض، إلا أن يجعل الثاني منقطعاً ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ﴾: الغاوين، ﴿أَجْمَعِينَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾: لأنها سبعة أطباق (٤) جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية لكل طبقة باب، وسر حصره انحصار المهلكات في الركون إلى المحسوسات والشهوية والغضببية ﴿لِكُلِّ﴾: طبقة باب لكل، ﴿بَابٍ﴾: منها، ﴿مِنْهُمْ﴾: من أتباعه، ﴿جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ له، لأعلاها عصاة الموحدين ثم اليهود ثم النصارى ثم الصابئون ثم المجوس ثم المشركون ثم المنافقون (٥)، ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ﴾: يقال لهم:

(١) سورة الأعراف.

(٢) يُسَافِرُ إِلَيْهَا.

(٣) يعني: تقدم قبل ذلك.

(٤) الوسيط (٤٦/٣).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/٢٢٦٥/١٢٣٩٥) عن الضحاك.

﴿ ادخلوها سَلْمًا ﴾: سالمين أو مُسَلَّمًا عليكم ﴿ ءَامِنِينَ ﴾ من الزوال، ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ ﴾: حقدٍ دنيوي، أو تحاسد على درجات الجنة، ﴿ اِحْوَانًا ﴾: في المودة، ﴿ عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾: لا ينظر بعضهم قفا الآخر لدوران الأسرة بهم، ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ ﴾: تعَبٌ، ﴿ وَمَا هُمْ بِمُنْحَرَجِينَ ﴾ نَجَى عِبَادِي آتَى أَنَا الْعَفْوَ الرَّحِيمُ ﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾ لم يقل: أني أنا المعذب؛ لرجحان رحمته، ونبه بذكر المغفرة أنه لم يرد بالمتقين من يتقى كل ذنب^(١) ﴿ وَنَبِّئُهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا ﴿ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ ﴾ سَلَمًا قَالَ ﴿ إِبْرَاهِيمَ بَعْدَ رَدِّ سَلَامِهِمْ ﴾: ﴿ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴾، خائفون، وفسر في هود، ﴿ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾: إسحاق، ﴿ قَالَ أَبَشْرْتُمُونِي ﴾: بالولد، ﴿ عَلَيَّ ﴾: مع، ﴿ أَن مَسَّيَ الْكَبِيرُ ﴾: وهو محال، ﴿ فَبِعَمْرٍ تَبَشِّرُونَ ﴾: فإنه كبشارة بغير شيء، ﴿ قَالُوا بَشِّرْنَا بِالْحَقِّ ﴾: بما يكون لا محالة، ﴿ فَلَا تَكُن مِّنَ الْفٰنِطِينَ ﴾: الآيسين، ﴿ قَالَ ﴾: إبراهيم، ﴿ وَمَنْ ﴾: لا، ﴿ يَقْنَطُ مِن رَّحْمَتِ رَبِّهِ ﴾ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿: أي: هذا مني لم يكن قنوطًا بل استبعادًا عاديًا، ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ ﴾: شأنكم الذي أرسلتم له ﴿ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾: علم أن إرسالهم ليس لمجردها^(٢)؛ إذ يكفيها واحد كما في عيسى ويحيى، ولأنهم ذكروها في أثناء كلامهم لإزالة الوجع، ﴿ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾: قوم لوط، ﴿ إِلَّا ﴾: لكن، ﴿ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ إِلَّا أَمْرَاتُهُ، قَدَرْنَا إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿: الباقيين مع الكفرة لتهلك معهم، ﴿ فَلَمَّا جَاءَ ءَالَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّكَرُّونَ ﴿: أنكركم مخافة شركم، قالوا: ما جئناك بالشر، ﴿ بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا ﴾: أصحابك، ﴿ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾: يشكون من العذاب، ﴿ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ ﴾: باليقين من عذابهم، ﴿ وَإِنَّا لَصٰدِقُونَ ﴾ فَأَسْرٍ اذهب في الليل^(٣)، ﴿ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ ﴾: في طائفة، ﴿ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبَعْتَ أَذْبَنَهُمْ ﴾: سر خلفهم، ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ

(١) في (ن): كل الذنوب.

(٢) البشارة.

(٣) من السرى وهو السير ليلاً.

أَحَدٌ ﴿: إِلَى وِرَاءِهِ إِذَا سَمِعَ الصَّيْحَةَ، ﴿وَأَمْضُوا﴾: إِلَى، ﴿حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾: وَهُوَ الشَّامُ^(١)،
﴿وَقَضَيْنَا﴾: أَوْ حِينَا، ﴿إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرُ﴾: مُبْتَهَمٌ يُبَيِّنُهُ: ﴿أَنْ دَابِرَ هَتُولَاءِ مَقْطُوعٍ﴾: أَي:
يَسْتَأْصِلُونَ ﴿مُضْهِجِينَ﴾ دَاخِلِينَ فِي الصَّبْحِ ﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ﴾ سُدُومُ^(٢) قَرْيَةٌ لُوطَ،
﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾: بِأَضْيَافِهِ طَمَعًا فِيهِمْ، ذَكَرَ الْقِصَّةَ فِي هُودٍ بِتَرْتِيبِ الْوُقُوعِ وَهَنَا آخِرَ ذِكْرِهِمْ
عَنْ قَوْلِ الرَّسْلِ: بَلْ جَنَّاتِكَ، مَعَ تَقْدِيمِهِ لِيَسْتَقِلَّ الْأَوَّلُ بَيَانِ كَيْفِيَّةِ^(٣) نَصْرَةِ الصَّابِرِينَ،
وَالثَّانِي: بِمَسَاوِي الْأُمَمِ ﴿قَالَ﴾ لُوطُ: ﴿إِنَّ هَتُولَاءِ صَيَّفِي فَلَا نَفْضَحُونَ﴾: بِفَضْحِهِمْ ﴿وَأَنْفُوا
اللَّهَ وَلَا تَخْزُونَ﴾: لَا تَخْجَلُونَ ﴿قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ﴾: أَنْ تَخْبِرَ أَحَدًا مِنْ ﴿الْعَالَمِينَ﴾
﴿قَالَ هَتُولَاءِ بَنَاتِي﴾: تَزَوَّجُوهُنَّ ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَعَالِينَ﴾: قِضَاءَ وَطَرَكُمْ، فَسَّرَ مَرَّةً، ﴿لَعَمْرُكَ﴾:
حَيَاتِكَ يَا مُحَمَّدَ قَسَمِي ﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾: يَتَحَيَّرُونَ، الْمَضَارِعَ لِاسْتِحْضَارِ
عَمَهُمْ، أَوْ هَذِهِ مَعْرُضَةٌ فِي قَرِيشٍ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾: الْهَائِلَةُ مِنْ جَبْرِيلَ، ﴿مُشْرِقِينَ﴾:
دَاخِلِينَ فِي وَقْتِ شُرُوقِ الشَّمْسِ أَي: طُلُوعِهَا، وَالْإِشْرَاقَ: إِضَاءَةً فِيهَا فَامْتَدَّ^(٤) مِنْ
طُلُوعِ الصَّبْحِ إِلَيْهِ، ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا﴾: عَالِي قَرَاهِمِ ﴿سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِنْ
سِجِّيلٍ﴾: فَسَّرَ مَرَّةً، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾ الْمُتَفَرِّسِينَ^(٥) ﴿وَلِأَنَّهَا﴾: تِلْكَ الْمَدِينَةَ،
﴿لَيْسِيلٍ﴾: طَرِيقٍ، ﴿مُغْمِرٍ﴾: تَسْلُكُونَهُ وَتَرُونَهُ، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَإِنْ﴾: إِنَّهُ،
﴿كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾: شَجَرَةٌ بِقَرْبِ مَدِينٍ، وَهُمْ قَوْمُ شَعِيبِ^(٦)، أَهْلُكَ اللَّهُ أَهْلُ الْأَيْكَةِ
بِالظَّلَّةِ، وَأَهْلُ مَدِينٍ بِالصَّيْحَةِ، ﴿لَطَّالِمِينَ فَانْتَفَعْنَا مِنْهُمْ﴾: كَمَا مَرَّ ﴿وَأَنَّهُمَا﴾ سُدُومُ
وَالْأَيْكَةُ، ﴿لِيَا مَأْرٍ﴾: طَرِيقٍ، ﴿مُؤْمِنِينَ﴾: وَاضِحٌ، تَسْلُكُونَهَا، ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجْرِ﴾:

(١) وهو مروى عن ابن عباس. * الوسيط (٤٨/٣)، معالم التنزيل (٤٨/٣)، معالم التنزيل (٥٤/٣)،
الجامع للقرطبي (٢٦/١٠)، تفسير الرازي (١٦٠/١٩)، روح المعاني (٦٩/١٤).

(٢) الوسيط (٤٨/٣)، غرر التبيان (٢٩٨).

(٣) في (د): بيانه كبقية.

(٤) كذا في (ح)، و(س)، و(ع). وغير واضحة في (ن).

(٥) سقطت من: (ع).

(٦) غرر التبيان (٢٩٨)، المعارف (٤٢)، معالم التنزيل (٥٥/٣)، الجامع القرطبي (٣١/١٠)، روح

المعاني (٧٥/١٤)، تفسير الرازي (١٦٢/١٩)، فتح القدير (١٤٠/٣).

واد بين المدينة والشام، وهم ثمود، كذبوا صالحا فكأنهم كذبوا المرسلين كما مر، ﴿وَأَيْنَهُمْ آيَاتُنَا﴾: كالناقة ﴿فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾: فاستدلوا^(١) على صدقهم ﴿وَكَانُوا يَنْجِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾: من عذاب الله، ظانين أنها تمنع، ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾: داخلين في الصباح، ﴿فَمَا أَغْنَىٰ﴾: دفع عنهم العذاب، ﴿مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: من البيوت^(٢) وغيرها، ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا﴾: خلقا ملتبسا، ﴿بِالْحَقِّ﴾: فما يدووم الشرور^(٣) [والفساد]^(٤) ﴿وَأِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّمٌ﴾: فننتقم من المكذبين، ﴿فَأَصْفَحْ﴾: أعرض عنهم، ﴿الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾: بلا جزع، نُسخت بالقتال، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلْقُ﴾: لكل شيء، ﴿الْعَلِيمُ﴾: بكل حال، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْآيَاتِ الْفَاتِحَةِ﴾: بيان للسمع من التشية أو الشاء^(٥) كما مرَّ في الفاتحة، ﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾: عطف الكل على البعض ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾: لا تنظر نظر راغبٍ ﴿إِلَّا مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا﴾: أصنافا، ﴿مِّنْهُمْ﴾: من الكفار واستغن بالقرآن، ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾: إن لم يؤمنوا ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾: تواضع، ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: كناية عن حسن التدبير والإشفاق من خفض الطائر جناحه على الفروخ وضمها إليه، ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾: البين بعذاب، ﴿كَمَا﴾: كعذاب، ﴿أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾: الإثنا^(٦) عشر الذين اقتسموا مداخل مكة في الموسم ينفرون الناس عن محمد - ﷺ - فأهلكوا يوم بدر وفيه نظر^(٧)؛ لأن السورة مكية، فالأولى أن يجعل المقتسمين المتقاسمين على إهلاك صالح والمتخالفين^(٨) مع الأنبياء يجعل مفعول التدبير: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾

(١) في (ن): ما استدلوا.

(٢) في (ن): الذنوب.

(٣) في (ن)، و(س)، و(ع): فما يديم الشرور.

(٤) ما بين المعكوفتين من تفسير البيضاوي.

(٥) في (د): والتشي.

(٦) في (د): الإثني.

(٧) بل لا يصح؛ لأنه من تفسير مقاتل وهو متروك - الوسيط (٣/٥٢).

(٨) كذا.

أجزاء كهانة وسحر أو نحوه والله تعالى أعلم، ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْفَعْنَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: ومنه اقتسامهم، وأما قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ﴾ إلى آخره، ففي موقفٍ آخر، وهو الاستعلام، وهذا للتوبيخ، ﴿فَأَصْدَعْ﴾: اجهر ﴿بِمَا تُوْمَرُ﴾: به من الشرائع، ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾: خمسة^(١) كانوا يؤذون النبي - ﷺ - فأهلكوا سريعاً، ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾: عاقبتهم ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾: من الطعن في دينك، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: قُل: سبحان الله وبحمده، أي: نزهه عن مقالتهم حامدا على ما أعطاك، ﴿وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾: المُصلين ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ﴾: دائما، ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾: الموت المتيقن اللُّحوق لكل. والله أعلم بالصَّواب، وإليه المرجع والمآب.



(١) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن المستهزئين « الوليد بن المغيرة، وأبو زمعة - وهو الأسود بن عبد المطلب -، والأسود بن عبد يغوث، والعاص بن وائل، قال: كلهم قتل ببدر بموت أو بمرض، والحارث بن قيس وهو من العياطل. * أخرجه الطبري (١٤/٥١)، والطبراني (١١/٩٣)، (١١٢١٥/٩٤).

«سورة النحل»^(١) : مكية^(٢)

لَمَّا مَنَعَهُ عَنِ ضَيْقِ الصَّدْرِ، اسْتَعْجَلَ لِلنَّصْرِ وَعَذَابِهِمُ الْمَوْعُودِ قَالَ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ آتَى﴾: تَحَقَّقَ وَقَوَّعًا ﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾: وَعَدَهُ مِنَ الْقِيَامَةِ وَغَيْرِهَا، ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾: أَيُّهَا الْمَشْرِكُونَ، فَإِنَّهُ وَقَعَ، ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَنِّي﴾ مَشَارَكَةٌ ﴿مَا يُشْرِكُونَ يُزِيلُ الْمَلَأِيكَةَ﴾: جَبْرِيْلُ، ﴿وَالرُّوحِ﴾: بِالْوَحْيِ الْمَحْيِ لِلْقُلُوبِ، ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾: بِأَمْرِهِ، ﴿عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ﴾: بِأَنْ، ﴿أَنْذِرُوا﴾: اْعْلَمُوا، ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾: بِالْحِكْمَةِ، ﴿تَعَالَىٰ عَنِّي﴾ مَشَارَكَةٌ ﴿مَا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ﴾: حِينَ اسْتَقَلَّ، ﴿خَصِيمٌ﴾ لِرَبِّهِ ﴿ثُمَّ يَنْ﴾: ظَاهِرُ الْخِصُومَةِ، ﴿وَاللَّعْنَةُ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دَفءٌ﴾: مَا يُدْفَىٰ وَيَقِي مِنَ الْبَرْدِ، ﴿وَمَنْفَعٌ﴾: بِالنَّسْلِ وَغَيْرِهِ، ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾: أَفَادَ بِالتَّقْدِيمِ أَنَّ الْأَكْلَ مِنَ الصَّيْدِ وَالطَّيْرِ كَالْتَفَكُّهِ مَعَ مِرَاعَاةِ الْفَاصِلَةِ، ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾: زِينَةٌ، ﴿حِينَ تَرْجِعُونَ﴾: تَرْدُونَهَا إِلَىٰ مَرَاحِهَا ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾: تَخْرُجُونَهَا إِلَىٰ الْمَرْعَىٰ، قَدَّمَ الْإِرَاحَةَ؛ لِأَنَّ الْجَمَالَ فِيهَا أَظْهَرَ لِمَلءِ بَطْنِهَا، وَدَرَّ ضَرْعَهَا، ﴿وَتَحْمِلُ أُنْفَالَكُمْ﴾: أَحْمَالَكُمْ، ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ لَّئِمَّ تَكُونُوا فِيهِ﴾: بِبَلَاءِ أَنْعَامِ، ﴿وَالْأَبْشِقِ﴾: بِمَشْقَةٍ ﴿الْأَنْفُسِ﴾: فَضْلًا عَنِ أَنْ تَحْمِلُوهَا عَلَىٰ ظُهُورِكُمْ إِلَيْهِ، ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾: بِرَحْمَتِهِ خَلَقَهَا لَكُمْ، ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾: اللَّامُ لِلتَّمَكِينِ نَحْوُ: ﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾^(٣) ﴿وَزِينَةً﴾: لِلزَّيْنَةِ، غَيْرَ الْأَسْلُوبِ لِسَعْتِهَا.

* تَنْبِيْهِه: الْاسْتِدْلَالُ عَلَىٰ حَرَمَتِهَا^(٤) بِتَرْكِ ذِكْرِ أَكْلِهَا فِي مَعْرُضِ الْاِمْتِنَانِ مَعَ ذِكْرِ

(١) فِي هَامِشِ (ن): بَلِغُ مَقَابِلَةٍ.

(٢) فِي هَامِشِ نَسْخَةِ (د): سُورَةُ النَّحْلِ - مَكِّيَّةٌ، مِائَةٌ وَثَمَانُ وَعِشْرُونَ آيَةً بِالِاتِّفَاقِ غَيْرِ أَرْبَعِ آيَاتٍ ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلذَّيْبِ﴾، وَ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ إِلَىٰ آخِرِ السُّورَةِ كَلِمَاتِهَا (١٨٤١) الْبَيَانُ (١٧٥)، وَالْقَوْلُ الْوَجِيزُ (٢٢٠) وَحَرْفُهُمَا (٧٧٠٧) الْبَصَائِرُ (١/ ٢٧٨).

(٣) سُورَةُ يُونُسَ.

(٤) يَعْنِي الْخَيْلَ.

أدنى النعمتين مدفوع بأنها معظم منافعها عُرفاً لا أكلها بخلاف النعم، وذكر أغلب المنافع دأب^(١) اختصارات القرآن، على أنه صَحَّحَ في الصحيحين حل الخيل وأن الآية مكية، وحرمة الحمير الأهلية عام خيبر^(٢)، ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ﴾: بيان المستقيم من جنس، ﴿السَّبِيلِ وَمِنْهَا﴾: بعض السبيل ﴿جَايِزٌ﴾: مائل عن الحق، ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: إلى قصد السبيل، ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ﴾: إذ العيون منه، ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾: قيل: هو كل نبات ﴿فِيهِ شَيْمُوكٌ﴾: ترعون أنعامكم، قدمه على الزيتون وما بعده؛ لصيرورته غذاء حيوانياً، وهو أشرف الأغذية، ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ﴾: بالماء، ﴿الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ﴾: بعض، ﴿كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾: إذ كلها إنما توجد في الجنة ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾: على كمال قدرته، ﴿لِقَوْمٍ يَفْكُرُونَ وَسَخَّرَ لَكُمْ﴾: هياً لمنافعكم ﴿أَيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ﴾: أي: نفعكم بها حال^(٣) كونها ﴿مُسَخَّرَاتٌ﴾ أو تسخيرات أو أنواعا من التسخير، ﴿وَأَمْرٍ﴾: بتقديره، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ﴾: ﴿مَا ذَرَأَ﴾ خلق ﴿لَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: من الحيوان والجماد، ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾: أشكاله، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ﴾: أن اختلاف طباعه وأشكاله مع اتحاد مواده إنما هو بصنع حكيم عليم، أفرد آية هنا ليطابق ما ذرأ وإن كثر ما صدقه، وكذا في الأول؛ لأن الاستدلال بإنبات الماء واحد، وجمع في الثاني؛ لأن الاستدلال فيه متعدد، وجعل العقل فيه والفكر في الأول؛ لأن دلالات العلويات ظاهرة، ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِنَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾: السمك، خصه به؛ لأنه أرطب^(٤) اللحوم، واستدل به مالك على حنث من حلف لا يأكل اللحم فأكله^(٥)، ورد بأن مبنى

(١) عادة.

(٢) عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى يوم خيبر عن لحوم الحمير الأهلية، وأذن في لحوم الخيل «أخرجه البخاري (٥٥٢٠) ومسلم، (١٩٤١)، وأبو داود (٣٧٨٨) وللعلائي: «توفية الكيل لمن حرم لحوم الخيل» ١هـ.

(٣) في (ن)، و(د): حين.

(٤) في (ن): رطب.

(٥) الجامع - للقرطبي (٥٧/١٠).

اليمين على العرف، وإطلاقه لا يفهمه فيه كركوب الكافر فيمن يحلف لا يركب دابة مع تسمية الله إياه بها، ﴿وَتَسْتَخْرِجُومِنهُ حِلْيَةً﴾ اللؤلؤ والمرجان ﴿تَلْبَسُونَهَا﴾ تلبسها^(١) نساؤكم لكم ﴿وَتَرَى الْفَلَكَ مَوَاجِرَ﴾: تمخر الماء أي: تشقه بصدرها أو المخر صوت جريها^(٢) أو مواقر ﴿فِيهِ﴾ أي: مثقلات فيه ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾: سعة رزقه، حيث تركبونها للتجارة، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: نعمه، ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ﴾: جبلاً ﴿رَوَاسِيَ﴾: ثوابت كراهة، ﴿أَنْ تَمِيدَ﴾ تميل ﴿بِكُمْ﴾: جعل فيها، ﴿أَنْهَارٌ وَسُبُلٌ﴾: طُرُقًا، ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: إلى مقاصدكم، ﴿وَعَلَّمَتِ﴾: تستدل^(٣) بها السابلة^(٤) كالجبال والتلال، ﴿وَيَا تَجْمِيمَ﴾ بجنسه ﴿هُمْ يَهْتَدُونَ﴾: في البر والبحر، ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾: من شركائكم، وأصله عكسه لكن شنع به على أن^(٥) جعلوه تعالى كمخلوق عاجز ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: فتعرفون فساده، ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا يِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾: فكيف بشكرها؟ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: لا يعاقبكم بتقصيركم في شكرها ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تَعْلِنُونَ﴾، ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ﴾: تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾: أمواتٌ عِدْرٌ أَحْيَاءٍ: دفع بالوصف وهم المجاز والمآل إليه كالنطفة، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾: وقت بعثهم، والإله حيٌّ علام الغيوب ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾: تنتجه^(٦) الحجج^(٧)، ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ﴾: لا تتأمل في الحجج ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾: عن اتباع الرسل، ﴿لَا جَرَمَ لَهُ﴾: حقًا، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: فيجازيهم، ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾: مُطلقًا فضلًا عنهم، ونزل في نضر بن الحارث^(٨)، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾

(١) في (ن): يلبسها.

(٢) عمدة الحفاظ (٧٧/٤).

(٣) في (ن): يستدل.

(٤) المسافرون في السبل وهي الطرق.

(٥) في (ن): أنهم.

(٦) في (ن): نتيجة.

(٧) الأدلة العقلية والنقلية ا.هـ.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/٢٢٨١/١٢٥٠٤) عن قتادة قال: إن أناسا من مشركي العرب

سألهم الحجاج الواردون: ﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾: على محمد ﴿قَالُوا﴾: ما زعم نزوله، ﴿أَسْطِيرُ الْأُولِينَ﴾: لا مُنْزَلٌ مِنَ اللَّهِ ﴿لِيُحْمَلُوا﴾: اللام العاقبة، ﴿أَوَزَارَهُمْ كَامِلَةَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَمِنْ﴾: بعض، ﴿أَوَزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: حال من المفعول أي: جاهلين بأنه ضلال، نبه بالقييد على وجوب البحث والتمييز بين المحق والمبطل ثم الاقتداء به، ﴿الْأَسَاءَ مَا يَرْزُقُونَ﴾: فعلهم ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: لهدم بناء دين الله ﴿فَأَنفَأَ اللَّهُ﴾: أي: أمره^(١) ﴿بُنَيْتَهُمْ مِنْ﴾: جِهَةٌ ﴿الْفَوَاعِدِ﴾: التي بنوا عليها، ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾: هذا مثل لتدميرهم أو في صرح نمرود وانهدامه عليهم عن ابن عباس - رضي الله عنه - : أن نمرود إذ بنى الصرح ليصعد إلى السماء^(٢) طولها^(٣) خمسة آلاف ذراع، فألقت الريح رأسها في البحر وخر عليهم الباقي وهم تحته^(٤) ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يُخْزِيهِمْ﴾: بالنار، ﴿وَيَقُولُ﴾: توبيخًا، ﴿أَيْنَ شُرَكَاءِى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْفِقُونَ﴾: تخالفون المؤمنين، ﴿فِيهِمْ﴾: في سبيلهم، ﴿قَالَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْعِلْمَ﴾: ممن كان يدعوهم إلى الهدى شماتة، ﴿إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ﴾: العقاب ﴿عَلَى الْكٰفِرِينَ الَّذِينَ تَنَفَّوْهُمْ الْمَلٰٓئِكَةُ ظٰلِمِىٓ اَنْفُسِهِمْ قَالُوا لَسَلٰمٌ﴾: انقادوا بملائكة العذاب قائلين، ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾: كفر، فتقول الملائكة: ﴿بَلَى﴾: عملتم، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: فيجازيكم، ﴿فَادْخُلُوا ابْوَابَ جَهَنَّمَ﴾: كل صنف لبابه، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا فَلَيْسَ مَثْوًى لَكُمْ﴾ منزل ﴿الْمُتَكَبِّرِينَ﴾: عن عبادته جهنم، ﴿وَقِيلَ﴾: القائل الحجاج^(٥) ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا﴾: أنزل، ﴿خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾: حياة طيبة، ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾: لهم، ﴿وَلَنِعَمَ دَارَ الْمُتَّقِينَ

= كانوا يقعدون بطريق من أتى نبي الله ﷺ فإذا مروا سألوهم فأخبروهم بما سمعوا من النبي ﷺ فقالوا:

إنما هو أساطير الأولين.

(١) تأويل، والمعنى ظاهر.

(٢) ويحارب أهلها بزعمه.

(٣) يعني المسافة.

(٤) الوسيط (٣/٦٠)، معالم التنزيل (٣/٦٦)، تفسير القرطبي (١٠/٦٥)، روح المعاني (١٤/١٢٥).

(٥) جمع حاج - تفسير ابن أبي حاتم (٧/٢٢٨٢/١٢٥١٠)، تفسير الرازي (٢٠/٢٠)، الوسيط

(٣/٦١)، تفسير القرطبي (١٠/٦٦).

جَنَّتْ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ ﴿١﴾: ويشتون، ﴿كَذَلِكَ﴾: الجزاء، ﴿يَجْزِي اللَّهُ الْمُنْقِبِينَ الَّذِينَ نَفَقْتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾: طاهرين من الظلم أو فرحين، ﴿يَقُولُونَ﴾: الملائكة، ﴿سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ﴾: لا يلحقكم بعد مكروهه، ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾: حين تبعثون أو الآن، كذا صح في الحديث^(١)، ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ هَلْ يَنْظُرُونَ﴾: ما ينتظر الكفار، ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾: لقبض أرواحهم، ﴿أَوْ يَأْتِي أَمْرٌ رَبِّكَ﴾: القيامة أو العذاب المستأصل ﴿كَذَلِكَ﴾: الفعل من التكذيب، ﴿فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾: بتعذيبهم، ﴿وَلَكِنْ﴾: جزاء ما، ﴿كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بعملهم ما استحقوه به ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا عَمِلُوا﴾ أي: وبالها ﴿وَحَاقَ﴾ أحاط ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾: استهزاء؛ لأنهم لم يعتقدوا قبح أعمالهم ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾: أن لا نعبد غيره، ﴿مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾: من نحو البحائر، ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: فسّر مرة في الأنعام، ﴿فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾: الظاهر لا هتدائهم ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾: الأوثان^(٢)، ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ﴾: إلى الإيمان، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾: إن لم يوفقه، ﴿فَسِيرُوا﴾: يا قريش، ﴿فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ مَمَّنْ قَبْلِكُمْ ﴿إِنْ تَحَرَّصَ﴾: يا محمد، ﴿عَلَىٰ هُدًىٰ لَهُمْ﴾: فلا نفع فيه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾: يريد ضلاله، ﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ نَاصِرِينَ﴾: بإنجائهم، ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَعْلَىٰ﴾: أغلظ، ﴿أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَىٰ﴾: يبعثهم ﴿وَعَدًّا عَلَيْهِ﴾: إنجازه، ﴿حَقًّا﴾: مصدر إن مؤكّد لنفسه ولغيره، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أنهم يبعثون ببعثهم، ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾: لمن يبعث، ﴿الَّذِي

(١) يعني أن الجنة والنار مخلوقتان الآن، وقد سبق بيان هذا.

(٢) بل كل ما عبد من دون الله فهو طاغوت قال المسلمون: وليس هذا تفسير لموضوع اللفظ، بل أطلق عليه مبالغة، وأصل الطاغوت مصدر بني على «فعلوت» مبالغة كالملكوت والرغبوت، وأصله: طغوت أو طغيوت، فقلبت الكلمة بأن أخرت عينها إلى موضع لامها، ولا مها إلى موضع عينها فصارت طغيوتا أو طيغوتا فتحرك حرف العلة وانفتح ما قبله فقلبت الفاء، فوزنه بعد القلب: «فعلوت» وقيل: هو فعلوت. * عمدة الحفاظ (٢/٤٠٧/٤٠٧) (طغوت).

يَخْتَفُونَ فِيهِ ﴿: وهو الحق، ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ ﴿: في حلفهم: «لا يعث الله»، ثم بين وضوح إمكانه بقوله، ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ ﴿: أي: إيجاده، ﴿أَن نَّقُولَ لَهُ يُكُنْ ﴿: اُحْدُثْ ﴿فَيَكُونُ ﴿: فيحدث بلا حاجة إلى مادة ومدة، فكيف وله مادة؟ ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ ﴿: لوجهه، ﴿مِن بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ﴿: بالإيذاء وغيره، ﴿لِنُبَيِّنَهُمْ ﴿: لنزلنهم ﴿فِي الدُّنْيَا ﴿: تبوئة، ﴿حَسَنَةً ﴿: بتمكينهم في البلاد حاكمين على العباد ﴿وَلَا جُزْءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ﴿: منه لهم ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿: الكفار لو افقوهم ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا ﴿: على الأذى ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا ﴿: فكيف يقولون: الله أكبر من أن يكون رسوله بشرًا، وأفهم أنه لم يُبعث امرأة ولا ملك يوحى إليهم، ﴿فَسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴿: الكتابين، ﴿إِن كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿: دَلَّ على وجوب مراجعة العلماء فيما لا يعلم، أرسلناهم ﴿بِالْبَيِّنَاتِ ﴿: المعجزات الظاهرات، ﴿وَالزُّبُرِ ﴿: الكتب، ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ ﴿ القرآن ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴿: فيه برسالتك ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿: فيه فيهدوا، ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا ﴿ المكرات ﴿السَّيِّئَاتِ ﴿: في صد الصحابة عن الإيمان ﴿أَن يَخْشَفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ ﴿: كقارون ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِن حَيْثُ ﴿: جهة، ﴿لَا يَشْعُرُونَ ﴿: بمجيئه منه، كقتلهم في بدر^(١)، ﴿أَوْ يَأْخُذُهُمْ فِي تَقْلِيهِمْ ﴿: في المعاش ﴿فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿: الله، ﴿أَوْ يَأْخُذُهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ ﴿: تنقُصُ، بأن ينقصهم شيئًا فشيئًا حتى يستأصلوا، ﴿فَإِن رَّجِمَكُم لِرءُوفٍ رَّحِيمٍ ﴿: لا يعاجلهم بعقوبته، ﴿أَوْلَعَرَبُوا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴿: بيان ما ﴿يَنْفَعِيوُنَا ﴿: يتميل ويدور ﴿ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ ﴿: يمين الفلك، أي: شرقيه كما في أول النهار والتوحيد^(٢) للفظ ما، والجمع لمعناه كتوحيد ضمير ظلاله والجمع في ﴿وَالشَّمَالِ ﴿: وما بعده غريبه ويعني بها كما في آخر النهار، أو هما جانبًا كل شيء استعارة من يمين الإنسان وشماله، ﴿سُجَّدًا ﴿: متقادين، ﴿لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿: ذليلون تحت قدرته ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ ﴿: ينقاد ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ ﴿: والديب: الحركة الجسمانية فيشملهما وغلب بما لا يعقل لكثرتيه،

(١) في (ن)، و(د): بيدر.

(٢) يعني قوله: «ظلاله»، فقد قرئ: «ظلاله».

﴿وَالْمَلَكُ﴾: أسند بعطفه من يجعلهم مُجَرَّدِينَ^(١)، وردَّ بأنه خصهم تعظيمًا، ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾: عن عبادته ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ﴾: أن ينزل عليهم عذابًا^(٢) (من فوقهم)، أو وهو فوقهم بالقهر، ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾: به، ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾: وصفه به تنبيهًا على أن مساق النهي إليه أو أن الإثنية تنافي الإلهية كما نبّه بقوله: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾: على أن المقصود إثبات وحدته أو أن الوحدة من لوازمها وإنما الله الإله الواحد، ﴿فَإِنِّي فَازَهُونٌ﴾: لا غير، ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ﴾: الطاعة^(٣)، ﴿وَاصِبًا﴾: دائما؛ فإنه المستحق للعبادة، ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ نُنْقُونَ وَمَا﴾: أي شيء اتَّصَلَ ﴿بِكُمْ مِّنْ نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ﴾: ترفعون أصواتكم بالدعاء، ﴿ثُمَّ إِذَا كَسَفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا﴾: واللام للعاقبه أو أمر تهديد، ﴿بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ﴾: من النعم ﴿فَتَمَعَّرُوا فُسُوفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبتكم ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا﴾: لآلهتهم الذين، ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾: لأنهم جماد، ﴿نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾: فيقولون: هذا لله بزعمهم - إلى آخره كما مر، ﴿تَاللَّهِ لَنَسْتَلَنَّ﴾ توبيخًا ﴿عَمَّا كُتُمُ تَفْتَرُونَ﴾: من إشراكها، ﴿وَيَجْعَلُونَ﴾: يشتون يعني: كنانة وخزاعة، ﴿لِلَّهِ الْبَنَاتُ﴾: أي: الملائكة مع كراهتهم البنات، ﴿سُبْحٰنَهُ﴾: تنزيهه منها، ﴿وَلَهُمْ﴾: خير، ﴿مَا يَشْتَهُونَ﴾: أي: البنون أو تقديره: ويجعلون لهم ولا يلزم ذكر النفس إذ الفعل ما وقع على الجاعلين نحو: ﴿وَهَرَيَ إِلَيْكَ﴾، و: ﴿وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ﴾ ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ﴾: صار، ﴿وَجْهَهُ مُسْوَدًّا﴾: كناية عن شدة الغم ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾: مملوءٌ من الغيظ على المرأة ﴿يَنْوَرِي﴾: يختفي، ﴿مِنَ الْقُبُورِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾: مُحدثًا نفسه ﴿أَيْمِسْكُهُ عَلَىٰ هُونٍ﴾: ذل، ﴿أَمْ يَدُسُّهُ﴾: يخفيه، ﴿فِي التَّرَابِ إِلَّا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾: في هذه النسبة إليه تعالى، ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلٌ﴾: صفة ﴿السَّوَاءِ﴾: النقص ﴿وَاللَّهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾: فهو المتعالي عن كل نقص ﴿وَهُوَ

(١) يعني: أرواح مجردة، وهذا من فاسد الكلام.

(٢) هذا تأويل غير سديد، والصحيح علو الله على خلقه.

(٣) قال السمين: والدين: الشريعة، والدين: الملة، لكن الدين يقال اعتبارا بالطاعة والانقياد للشريعة،

وقوله: «وله الدين واصبا» أي: الطاعة. * عمدة الحفاظ (٢/٣٥)، تفسير ابن كثير (٢/٥٩٣).

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿: المنفرد بكمال الحكمة والقدرة (١)﴾ ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾: على الأرض بقريئة ﴿من دَابَّةٍ﴾: بشؤمهم، أضاف الظلم إليهم باعتبار الأكثر، فلا يلزم دخول الأنبياء ولا بُعد في إهلاك البرئ مع الظالم بشؤمه كما وقع في كثير من الأمم، أو المراد: دابة ظالمة أو لأنه لو أهلك الآباء بكفرهم لم يكن الأبناء ﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: وقت موتهم ليتوالدوا ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَعْرِضُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾: فسر مرة، ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾: لأنفسهم، كالبنات وشركاء الرئاسة (٢)، ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذِبَ﴾: وهو ﴿أَنْتَ لَهُمُ الْحَسَنُ﴾: الجنة هو قولهم: و«لئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى (٣)﴾ ﴿لَا جِزْمَ﴾: حقاً، ﴿أَنْ لَهُمُ النَّارُ وَالنَّارُ لَهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾: مقدمون إليها، ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَرَيْنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾: فأصروا عليها، ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾: ناصرهم، ﴿الْيَوْمَ﴾: في الدنيا، أو يوم القيامة، لا ناصر لهم، ﴿وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: في الآخرة، ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ﴾: للناس، ﴿الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾: فترشدهم إلى الحق، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴿: فسر مرة، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾: سماع تدبر، ﴿وَإِنَّ لِكُلِّ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾: اعتباراً، ﴿شَفِيكَرٌ مَّتَّىٰ بِطُونِهِ﴾: ذكره وأفرده للفظه، فإنه اسم جمع وأثنه (٤) في المؤمنين (٥) للمعنى أي: جمع لصحة وقوع الجنس مقام الجمع، ﴿مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ﴾ ثفل في الكرش ﴿وَدَمٍ لِّبْنَا خَالِصًا﴾: من لون الدم ورائحة الفرث، ﴿سَائِعًا﴾: سهل المرور في الحلق، ﴿لِلشَّارِبِينَ﴾: والبيئمة مجازية؛ لأن ما في المعدة: ثفل الفرث وصفوه يهضمه الكبد ثانياً فيحدث أخلاطاً أربعة معها: مائية، فالقوة (٦)

(١) في (ن)، و(د): القدرة والحكمة.

(٢) في (ن): الرياسة.

(٣) سورة فصلت.

(٤) بطونها.

(٥) سورة المؤمنون.

(٦) في (ن): بالقوة.

برودتها ورطوبتها فيندفع الزائد أولاً إلى الرحم للجنين فإذا انفصل انصب ذلك الزائد أو بعضه إلى الضروع، فيبيضُ بمجاورة لحومها الغددية البيض فتصير لبناً^(١)، ﴿قَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ ﴿وَمِنْ﴾ أي: بعض، ﴿ثَمَرَتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَبِ لَنُخَذُونَ مِنْهُ﴾: من ذلك البعض أو من جنسها كما مر ﴿سَكْرًا﴾: خَمْرًا، وهذا نزل قبل تحريمها^(٢)، ﴿وَرَزَقًا حَسَنًا﴾: كالدبس^(٣)، وقيل: السكر ما شربت، والرزق: ما أكلت، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يستعملون عقولهم في النظر فيهما ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّعْلِ﴾ إلهامًا ﴿أَنْ تَحْذَى﴾: التأنيث لمعنى الجمع أو بلغة الحجاز، ﴿مِنَ الْجِبَالِ يُوْتَا﴾: عجز عنها حذاق المهندسين إلا بالآت وأنظار دقيقة^(٤)، ﴿وَمِنْ﴾: بعض، ﴿الشَّجَرِ﴾: بيوتا ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾: يبنون لها، ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾: التي تشتهيها، ﴿فَأَسْلِكِي﴾: ادخلي، ﴿سُبُلَ رَبِّكِ﴾: التي ألهمك في عمَل العسل، أو الرعي حال كون السبل أو كونك، ﴿ذُلًّا﴾: مُنْقَادَةً لك أو لأمره، جمع ذَلُول، ولذا يُقَسَّمُ يعسوبها^(٥) أعمالها بينها، فبعض يعمل الشمع، وبعض يعمل العسل، وبعض يبني البيوت، وبعض يستقي الماء ويصبه في البيت، فسبحان من أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾: على^(٦) هذا يؤيد القول بأنه قيئه، وأما من قال إنه أجزاء طلية تلتقطها بالفم وتدخرها فيؤول^(٧) البطن بالفم ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾: بياضاً^(٨) وغيره، ﴿فِيهِ شِفَاءٌ﴾: عظيم، ﴿لِلنَّاسِ﴾ في البلغمي بنفسه وفي غيره مع ضمّه أو تكبيره للبعضية ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾: في صنَع الله^(٩)، ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَوَفِّقُكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلٍ﴾ آخر ﴿العُمُرِ﴾: الهرم والخرف،

(١) أنوار التنزيل (٣٦٠).

(٢) أحد مراحل تحريمها.

(٣) عسل التمر.

(٤) في (ن)، و(د): وأنظارها.

(٥) الذكر من النحل - وانظر: نحل عبر النحل - للعلامة المقريري ص ١٢ فهو من أمتع الكتب في ذلك اهـ.

(٦) في (ح) عسل.

(٧) وهو الصحيح - والله أعلم.

(٨) فللعسل أنواع وألوان مختلفة.

(٩) انظر: البرهان في دلالة خلق الإنسان والحيوان على وجود الصانع الرحمن - للعلامة المناوي

روي أن قاريء القرآن لا يرد إليه^(١)، وقيل: هو في الكافر ويؤيده آخر التين^(٢)، ﴿لَكِنِّي لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾: فيصير كالطفل في الفهم، أفهم أن تفاوت الآجال ليس إلا بتقدير [قادر حكيم] ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾: بصنعه، ﴿قَدِيرٌ﴾: على ما يشاء، ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾: لحكمة^(٣) ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا﴾: في الرزق، ﴿بِرَازِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾: أي: لا يعطون رزقهم مما ليكهم، ﴿فَهُمْ﴾: المماليك والموالي، ﴿فِيهِ﴾: في الرزق، ﴿سَوَاءٌ أَفْنَعَمَ اللَّهُ بِمُحَدَّثَاتٍ﴾: بإنكار أمثال هذه الحجج بعدما أنعم بإيضاحها، ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ جِنْسٍ﴾: أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين﴾: ترك البنات؛ لكرهتهم^(٤) لها والمقام للامتنان، ﴿وَحَفَدَةً﴾: أولاد أولاد، أو البنات، وقيل: الرئائب؛ لسرعة خدمتهن، إذ الحافد المسرع في الخدمة، ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: المستلذات، ﴿أَفِيَا بَاطِلٍ﴾: الأصنام، ﴿يُؤْمِنُونَ وَيَنْعَمَتِ اللَّهُ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾: بإضافتها إلى غيره، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾: تملكه، أفرد^(٥) ثم جمع^(٦) للفظ والمعنى ﴿فَلَا تَضْرِبُوا﴾: لا تجعلوا، ﴿لِلَّهِ الْأَمْثَالُ﴾ فتفيسوه عليها؛ فإن ضرب المثل تشبيه حال بحال أو: لا تضربوا له المثل بحال^(٧) ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾: فساد ضربكم أو ضربها ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: ذلك، وعلى الثاني: فيه إشارة إلى أن الأسماء توقيفية^(٨) فضرب مثلاً لمن عبد دونه ومثلاً لنفسه فقال، ﴿ضَرَبَ﴾: جعل، ﴿اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا﴾: لآخر^(٩) ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى

= (٤٨/ بتحقيقي).

(١) قال عكرمة: من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر حتى لا يعلم بعد علم شيئاً.

* الوسيط (٧٣/٣) روح المعاني (١٤/١٨٨)، زاد المسير (٤/٤٦٨)، فتح القدير (٣/١٧٩).

(٢) ثم رددناه أسفل سافلين.

(٣) في (ن): والحكم، وفي (د): والحكمة.

(٤) الأولى أن يقال: قدّم البنين؛ لأنهم الأصل.

(٥) يملك لهم.

(٦) يستطيعون.

(٧) يعني: مطلقاً.

(٨) أسماء الله وصفاته توقيفية على الصحيح، فلا يشتق لله أسماء وصفات إلا ما أخبر هو عن نفسه سبحانه أ.هـ.

(٩) في (س): كالأجير!!!

شَيْءٍ ﴿١﴾: من التصرف، لا كالمأذون، هذا مثل الأصنام، وقيل: مثل كافر لم يقدم^(١) خيراً، ﴿وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾: مثل له تعالى، وقيل: للمؤمن^(٢) فإنه كالحر يعمل بنفسه لله تعالى، ﴿هَلْ يَسْتَوِي﴾: جنسهما، أي: العبيد والأحرار، ﴿الْحَمْدُ﴾ كَلَهُ ﴿اللَّهُ﴾: فقط ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: ذلك، فيعبدون غيره، ﴿وَضَرَبَ﴾: جعل، ﴿اللَّهُ مَثَلًا لِّرَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ﴾: وُلِدَ أَخْرَسَ، ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾: من الصنائع، ﴿وَهُوَ كَلٌّ﴾: ثَقِيلٌ، ﴿عَلَى مَوْلَاهُ﴾: أفهم أنه مملوك، ﴿أَيْنَمَا يُوجِّهُهُ﴾: سيده، ﴿لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ﴾: هذا مثل الأصنام أو الكفار، ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يُوجِّهُهُ﴾: هو منطوقٌ رشيد، ﴿يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ﴾ نفسه ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: أينما توجه بلغه، هذا مثله تعالى أو للمؤمنين ﴿وَلِلَّهِ غَيْبٌ﴾: عِلْمٌ مَا غَابَ فِي ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرٌ﴾: قيام، ﴿السَّاعَةِ﴾: سرعة وسهولة، ﴿إِلَّا﴾: كما يقولون فيه هو^(٣)، ﴿كَلَّمَجِ الْبَصَرِ﴾: كرجع الطرف من أعلى الحدقة إلى أسفله، ثم قال تعالى: ﴿أَوْ﴾ بل ﴿هُوَ أَقْرَبُ﴾ في السرعة، وعلى هذا لا يردُّ أن (أو) للشك، و«بل» للرجوع عن الإخبار وهما محال على الله تعالى، وكذا نظائره، نحو «مائة ألف أو يزيدون^(٤)»، «أو أشد قسوة^(٥)» أي: كونوا فيها على هذا الظن ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: ومنه بعثهم ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ﴾: أنشأ، ﴿لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾: أي: أدوات معارفكم الجزئية والكلية، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: بصرفها في المعارف كما بيَّنه بقوله: ﴿الْمُرِيرُوا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ﴾: مُذَلَّلَاتٍ لِلطَّيْرَانِ بِمَا خُلِقَ لَهُ مِنَ الْأَجْنَحَةِ، ﴿فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾: هذا العلو، ﴿مَا يُمَسِّكُهُنَّ﴾: فيه، ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾: فإن ثقلها بلا علاقة ودعامة يقتضى سقوطها، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: الخلق والتسخير والإمساك، ﴿لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾: مسكوناً موضعاً تسكنونه

(١) في نسخة (د): يقدر.

(٢) في (ن)، و(د): للمؤمنين.

(٣) في (ن): حزرًا.

(٤) سورة الصافات.

(٥) سورة البقرة.

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ﴾: وما عليها من الشعر، ﴿يَوْمًا﴾: كما لأكثر العرب،
 ﴿تَسْتَخْفُونَهَا﴾: تجدونها خفيفة، ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾: ترحالكم^(١)، ﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾:
 حَضْرِكُمْ، أو وقت نزولكم ﴿وَمِنْ أَصْوَابِهَا﴾ للضَّان، ﴿وَأَوْبَارِهَا﴾: للإبل
 ﴿وَأَشْعَارِهَا﴾: للمعز ﴿أَتْنًا﴾: أمتعة لبيوتكم كالفرش ﴿وَمَتْنًا﴾: ما يتجر به، ﴿إِلَى
 حِينٍ﴾: مُدَّةٌ مديدة ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ﴾: من الشجر ونحوه ﴿ظِلَالًا﴾:
 تستظلون بها ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾: جمع كِنٍ^(٢)، ما يستكنُّ فيه كالغار
 ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ﴾: ثيابًا^(٣)، ﴿تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾: اكتفى بأحد الصَّديين^(٤)؛ لأهميته
 عندهم ﴿وَسَرَابِيلَ﴾: للحرب كالدرع، ﴿تَقِيكُمْ بِأَسْكُمْ﴾: حربكم من الطَّعْنِ
 ونحوه ﴿كَذَلِكَ﴾: الخلق، ﴿يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾: بخلق ما تحتاجون إليه،
 ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: تنظرون فيها و﴿تُسَلِّمُونَ﴾: تنقادون لحكمه ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: عن الإسلام
 (ف) أنت معذورٌ، ﴿إِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمُبِينُ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾: بأنها منه، ﴿ثُمَّ
 يُنَكِّرُونَهَا﴾: بالإشراك، ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾: وأقلهم الجاهلون بأنها منه،
 ﴿وَ﴾: اذكر ﴿يَوْمَ نَبَعْتُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾: رَسُولُهَا الشاهد عليهم، ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذِنُ لِلَّذِينَ
 كَفَرُوا﴾: في الاعتذار، ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: لا يُطَلَّبُ منهم إرضاء الله؛ لأنه ليس يوم
 عمل ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ﴾: في جهنم، ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾:
 يمهلون ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا﴾: غِيظًا على الهتهم ودنياهم ﴿رَبَّنَا
 هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا﴾: نعبدهم ﴿مِنْ دُونِكَ فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ﴾: أي: قالوا
 لهم: ﴿إِنَّكُمْ لَكَذِبُونَ﴾ بل عبدتم أهواءكم، ﴿وَأَلْقُوا﴾: الكفار ﴿إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ
 السَّلَامَ﴾: استسلموا لحكمه، ﴿وَضَلَّ﴾: ضاع، ﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: من نصرة
 الهتهم، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا﴾: الناس، ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: دينه، ﴿زَرَدْتَهُمْ عَذَابًا فَوْقَ

(١) سفركم، وفي (س): مرحًا لكم.

(٢) بكسر الكاف وتشديد النون الموحدة.

(٣) في (د): تقايا.

(٤) إذ كان معلوماً أي: والبرد.

الْعَذَابِ ﴿:﴾ الذي استحقوه بكفرهم، وهو عقاربُ أنيابها كالنخل الطوال^(١)، ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ﴾: بضلالهم وإضلالهم، ﴿وَ﴾: اذكر ﴿يَوْمَ نَبَعْتُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾: نبينهم، ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا﴾: يا محمد ﴿عَلَى هَؤُلَاءِ﴾: أمتك، ﴿وَ﴾: قَدْ ﴿نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا بَيِّنَاتًا﴾: بيانًا بليغًا، ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾: يحتاجون إليه في الدين، ﴿وَهُدَىٰ وَرَحْمَةً﴾: للجميع، وإنما يُحرم من فِرَاطٍ ﴿وَيُشْرَىٰ﴾: بشارة، ﴿لِلْمُسْلِمِينَ﴾: فقط هذه الآية كبيان لكون القرآن تبيانًا تفصيليًا أو إجمالًا بالإحالة إلى السُّنَّةِ أو القياس ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾: بالتوسط في الاعتقاد، كالتوحيد لا التعطيل والتشريك وفي العمل كالتعبد لا البطالة والترهب وفي الخلق كالجود لا البخل والتبذير، ﴿وَالْإِحْسَانَ﴾: في العمل، أو إلى كلِّ الخلق، ﴿وَالِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾: صلة الرَّحِمِ ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾: ما غلظ من المعاصي كالزنا والمنكر شرعًا، ﴿وَالْبَغْيِ﴾: الظلم، خصه اهتمامًا، أو الأول الإفراط في متابعة القوة الشهوية، والثاني: إثارة القوة الغضبية، والثالث: الاستعلاء على الناس، وهو مقتضى الوهمية ولا شرَّ فيها^(٢) إلا بواسطة أحد منها^(٣)، ﴿يَعْظُمُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: تتبهون، ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ﴾: ببيعة^(٤) الإسلام أو مطلقًا، ﴿إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾: بذكر الله، ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾: شاهدًا حيث حلفتُم به، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾: من النقض، ﴿وَلَا تَكُونُوا﴾: في نقضها، ﴿كَالَّذِي نَقَضَتْ﴾: أفسدت ﴿عَزْلَهَا﴾: ما غزلته، ﴿مَنْ بَعْدَ قُوَّةٍ﴾: إحكامها له وقيل: حال كون غزلها، ﴿أَنْكَثًا﴾: جمع نَكَثَ^(٥) أي: طاقات من نكث^(٦) أي: حل فتلها، وهي مكية حمقاء قيل: اسمها ربطة بنت سعد القرشية كانت تغزل طول يومها ثم تنقضه^(٧)،

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه (٢/ ٣٥٥) موقوفًا على عبد الله بن مسعود وسنده ضعيف.

(٢) في النفس.

(٣) أي: لا يوجد من الإنسان شرًّا إلا وهو مندرج في هذه الأقسام. * البيضاوي (٣٦٤).

(٤) في (ن)، و(د): بيعة الإسلام.

(٥) بكسر النون الفوقية الموحدة وسكون الكاف، كـ «جَمَل»، و«أحمال».

(٦) كذا في جميع النسخ.

(٧) غرر التبيان (٣٠٤)، مقحّمات الأقران (٢٨)، تفسير الطبري (١٤/ ١٦٦)، المحرر الوجيز

﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا﴾ دَعَلًا^(١) وغرورًا ﴿بَيْنَكُمْ﴾: وأصله ما يدخل الشيء ولم يكن منه بسبب، ﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ﴾: جماعةٌ ﴿هِيَ أَرْبَى﴾: أكثر عددًا، ﴿مَنْ أُمَّةٌ﴾: أخرى كانوا إذا حالفوا قبيلة أو وجدوا قبيلة أخرى أقوى حالفوها وغدروا الأضعف، ﴿إِنَّمَا يَلْبُوكُكُمْ﴾: يختبركم، ﴿اللَّهُ بِهِ﴾: بالأمر بالإيفاء أو بكونهم أربى لينظر: أَتَقُونَ أم لا، ﴿وَلَيَبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾: في الدنيا بالمجازاة، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: متفقة في الدين، ﴿وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾: لحكمة، ﴿وَلَتَسْلُتُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: للمجازاة، ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا﴾: مكرًا، ﴿بَيْنَكُمْ﴾: في كل حال ﴿فَنَزَلَ قَدَمُ﴾: أي: أقدامكم عن محجة الإسلام، ﴿بَعْدَ بُوتِهَا﴾: عليها، وَحَدَّ الْقَدَمَ ليدل على الأقدام من باب أولى، ﴿وَتَذُقُوا أَلْسُوَةَ﴾: عذاب الدنيا، ﴿يَمَا صَدَدْتُمْ﴾: غيركم ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: فَإِنَّ مِنْ نَقْضِ الْبَيْعَةِ وَارْتِدَّ جَعَلَ ذَلِكَ سُنَّةً لغيره ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: في الآخرة، ﴿وَلَا تَشْتَرُوا﴾: لا تستبدلوا، ﴿بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ كَلَهُ ﴿ثُمَّنَا﴾: عرضًا^(٢) من أعراض الدنيا ﴿فَلْيَلَّا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾: من الأجر، ﴿هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾: منه، ﴿إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: من أعراض الدنيا، ﴿يَفْقَدُ﴾: ينقضي، ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾: دائم، ﴿وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا﴾: على طاعته، ﴿أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ﴾ بجزء أحسن من ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: أو أرجى كالواجبات أو بمعنى حسن، ﴿مَنْ عَمِلَ﴾: عَمَلًا ﴿صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾: برزقٍ حلالٍ، أو قناعة، أو الجنة، ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾: لنعطينهم، ﴿أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: كما مرَّ ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾ أَرَدْتَ قِرَاءَتَهُ ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ﴾ وسوسة ﴿الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ أمر ندب، يدل على استحباب تكرارها في الركعات، أي: قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بهذه الصيغة، رَوَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عن جبريل - عليه السلام

= (١٠/٢٢٦)، ترويح أولي الدماء (١/٢٧٦)، الكشاف (٢/٤٢٦) زاد المسير (٤/٤٨٥)، القرطبي (١٠/١٧١).

(١) فسادا.

(٢) في (س)، و(ن): عوضًا.

عن القلم عن اللوح^(١) والمراد: قلم نسخ به من اللوح ونزل به جبريل إلى السماء الدنيا، فإن القلم الأعلى مقدم الرتبة على اللوح ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَنٌ﴾: تسلط، ﴿عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَنُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾: يطيعونه، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ﴾: بالله، ﴿مُشْرِكُونَ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾: بالنسخ ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزَكُّ﴾: من الصالح ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾: على الله، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: حُكْمَ الأحكام ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾: جبريل، ﴿مِنَ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾: بالحكمة^(٢)، ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: على إيمانهم، فإنهم يعلمون أن في النسخ مصالح ﴿وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ وَلَقَدْ﴾: للتحقيق، ﴿تَعَلَّمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾: أى جبر الرومي^(٣) غلامُ عامر بن الحضرمي، ﴿لِسَانٌ﴾: لغة، ﴿الَّذِي يُلْحَدُونَ﴾: يميلون^(٤)، ﴿إِلَيْهِ﴾: أنه يعلمه، ﴿أَعْجَبِي وَهَذَا﴾: القرآن، ﴿لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾: ذو بيان وفصاحة، ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: أى: في علمه ﴿لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ﴾: فيتفوهون بأمثاله، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: في الآخرة، ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾: حقيقة أكد بالترار وإن وغيره مقابلة لـ «إنما أنت» ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ﴾: على كلمة الكفر ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾: خبر من محذوف دل عليه ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا﴾: نَفْسًا، ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ذَلِكَ﴾: الكفر أو^(٥) الغضب،

(١) رواه مسلسلا بقراءة البسملة بالاستعادة:

السخاوي في الجواهر المكلمة (٣٦/١٩٩/الكتانية)، و(٣٦/٣٠٠، ٣٠١/الفتح)، والواحدى في الوسيط (٣/٨٣، ٨٤)، واللنكاتى في الآيات المفضلات (٤١/١٤٩)، والأيوبي في المناهل السلسلة (٥٤/١٤٣) والسندى في حصر الشارد (٢/٥٦٩/١٢١٥) ولا يصح مسلسلا.

(٢) في (ن): بالحكم.

(٣) أخرجه الطبرى في جامع البيان (١٤/١٢٠)، وبحشل في تاريخ واسط (٤٩، ٥٠، ٩٩)، والواحدى في أسباب النزول (١٩٠)، وفي الوسيط (٣/٨٥)، والبيهقى في شعب الإيمان (١/١٥٩، ١٦٠/١٣٨)، وسنده صحيح.

(٤) في (ن): تميلون، وهو مبني على قراءة: «تلحدون».

(٥) في (ن)، و(د): و.

﴿يَأْتِيهِمْ أَصْحَابُ السُّورِ﴾: اختاروا، ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنْتَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾: في علمه تعالى، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ﴾: ختم، ﴿اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ﴾: عن فهم الحق وسماعه وإبصاره، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾: حقيقة، ﴿لَا جَرَمَ﴾: حقاً، ﴿أَنْهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾: لتضييعهم^(١) فطرتهم، ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا﴾: أي: لهم لاعليهم، أو خبره محذوف دل عليه خبر إن الثانية، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا فَتِنُوا﴾: عذبوا ليرتدوا كعمار^(٢)، ﴿ثُمَّ جَهَدُوا وَاصْبِرُوا﴾: على المشاق لله، ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾: بعد الثلاثة، ﴿لَعَفُورٌ﴾: ذنوبهم، ﴿رَحِيمٌ﴾: بهم، ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ مُجْدِلَةً عَنْ نَفْسِهَا﴾: ذاتها لخلاصها، فالنفس الأولى لمجموع الذات وصاحبها، ﴿وَتُوفَى كُلُّ نَفْسٍ﴾: جزاء، ﴿بِمَا عَمِلَتْ وَهِيَ لَا يَظْلُمُونَ﴾: في أجرهم، ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً﴾: جعلها مثلاً لمن أنعم عليه فكفر بنعمته^(٣) فنزل^(٤) به نقمة، ﴿كَانَتْ أَمْنَةً﴾: كمكة، ﴿مُطْمَئِنَّةً﴾: لا يزعج أهلها الخوف^(٥) ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا﴾: قوتها، ﴿رَعْدًا﴾: واسعاً ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾: من نواحيها، ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ﴾: بترك طاعته، ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ﴾: فقحطوا سبع سنين بدعاء النبي^(٦) ﷺ، ﴿وَالْخَوْفِ﴾: من سطوة سرايا المسلمين، فالذوق مستعار لإدراك أثر الضرر^(٧) واللباس لما غشيهم من الجوع والخوف وأوقع الإذاقة عليه بالنظر إلى المستعار له، ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾: ولقد جاءهم رسولٌ منهم: ﴿نَسِيًّا﴾، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾: المذكور، ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾: فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً وأشكروا نعمت الله إن كنتم إياه تعبدون: ﴿تطيعون﴾، ﴿إِنَّمَا

(١) في (ن)، و(د): بتضييعهم.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/٢٤٨) من طريق الواقدي والواقدي متروك، وأخرجه الطبري في جامع البيان (١٤/١٢٤) وسنده ضعيف.

(٣) في (د): نعمته.

(٤) في (ن): فبدل.

(٥) في (د): خوف.

(٦) قال فيهم النبي ﷺ: «اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف» وفي رواية: «اللهم اشدد وطأتك على مضر».

(٧) في (د): الضرورة.

حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ﴿١﴾ أَي: الْآن ﴿الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾: وَبِوَاقِي
 الْمُحَرَّمَاتِ حَرَمَتْ بَعْدَهَا بِالسَّنَةِ (١)، ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ
 رَحِيمٌ﴾: (٢) بَيْنَ مَرَّةٍ، ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ﴾: أَي: لَا تَقُولُوا، ﴿هَذَا
 حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾: بِقَوْلِكُمْ: «مَا فِي بَطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ (٣) ... إلخ»، لَوْصَفِ أَلْسِنَتِكُمْ
 الْكَذِبَ، وَهَذَا مِبَالِغَةٌ فِي كَذِبِهِمْ، كَأَنَّ حَقِيقَةَ الْكَذِبِ مَجْهُولَةٌ تُوصَفُ وَتَعْرِفُ
 بِكَلَامِهِمْ، ﴿لِنُفِّتُوا﴾: السَّلَامُ لِلْعَاقِبَةِ، ﴿عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا
 يُفْلِحُونَ﴾: لَا يَنْجُونَ، ﴿مَتَّعٌ قَلِيلٌ﴾: فِي الدُّنْيَا، ﴿وَهُمْ﴾: فِي الْآخِرَةِ، ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ وَعَلَى الَّذِينَ
 هَادُوا حَرَمًا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾: فِي الْأَنْعَامِ، ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾: بِالتَّضْيِيقِ بِتَحْرِيمِهِ،
 ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: فَاسْتَحَقُّوه مَرَّ بِيَانِهِ، ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوْءَ
 بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾: حَالِهِمْ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾: بَعْدَ التَّوْبَةِ،
 ﴿لَعَفُورٌ﴾: لِلذُّنُوبِ، ﴿رَحِيمٌ﴾: بِهِمْ، ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾: مَأْمُومًا (٤) مَقْصُودًا لِلنَّاسِ
 بِالتَّحِيَّةِ مُؤْتَمًّا أَوْ لكَثْرَةِ فَضَائِلِهِ، كَأَنَّهُ أُمَّةٌ، ﴿فَأَنتَ﴾: مُطِيعًا، ﴿لِلَّهِ حَنِيفًا﴾: وَإِنَّمَا جَازَ
 اتِّبَاعَ الْأَفْضَلِ الْمَفْضُولِ لِسَبْقِهِ الْقَوْلَ بِالْحَقِّ وَالْعَمَلَ بِهِ مَائِلًا عَنِ الْبَاطِلِ، ﴿وَلَرَبُّكَ مِنَ
 الْمُشْرِكِينَ﴾: كَمَا زَعَمَتِ قَرِيشٌ (٥)، ﴿شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ﴾: الْقَلَائِلُ (٦) فَكَيْفَ بِكَثِيرِهَا،
 ﴿أَحْبَبْنَاهُ﴾: بِالنَّبُوَّةِ، ﴿وَهَدَيْنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: فِي السَّدْعَةِ إِلَيْهِ، ﴿وَأَعْيَنَاهُ فِي الدُّنْيَا
 حَسَنَةً﴾: بِنَحْوِ نَبُوَّةِ أَوْلَادِهِ وَتَحْبِيئِهِ إِلَى الْخَلْقِ، ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِمِنَ الصَّالِحِينَ﴾: أَي:
 الْكَامِلِينَ فِي الصَّلَاحِ؛ اعْتِنَاءً بِهِ فِي الصَّلَاحِ ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ: بِأَنْ، ﴿اتَّبِعْ مِلَّةَ
 إِبْرَاهِيمَ﴾: فِي الْمَنَاسِكِ وَالْعَقَائِدِ، وَأَكْثَرَ الْفُرُوعِ كَمَا هُوَ حَالُ كُونِهِ ﴿حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنْ

(١) بل وبالقرآن أيضًا اهـ.

(٢) في (د): فسر مرة.

(٣) سورة الأنعام.

(٤) في (ن): مأمومًا.

(٥) وكذا اليهود والنصاري وكانت قريش تزعم أن إبراهيم - عليه السلام - يستقسم بالأزلام ولما دخل
 النبي ﷺ الكعبة عام الفتح فوجد المشركين قد رسموا إبراهيم وإسماعيل يستقسمان بالأزلام فقال
 ﷺ: «كذبوا، والله ما استقسما بالأزلام قط».

(٦) ف«أنعم» جمع قلّة ل«نعمة».

الْمُشْرِكِينَ ﴿: كما زعمت^(١) قريش، ﴿ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ ﴾: فَرَضَ تَعْظِيمَهُ، ﴿ عَلَى الَّذِينَ ائْتَلَفُوا فِيهِ ﴾: أي: اليهود، إذ أمروا بتعظيم الجمعة كما هو ملة إبراهيم فقال أكثرهم: نريد السبت؛ إذ فرغ الله فيه من الخلق وأطاع شردمة منهم فلما أمروا بالسبت ما أطاع إلا تلك الشردمة ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾: بالمجازاة، ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾: دينه، ﴿ بِالْحِكْمَةِ ﴾: بالدليل الموضح للحق أو القرآن، ﴿ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾: القول اللين، أو مواعظ القرآن، ﴿ وَحَدِّثْ لَهُم بِالَّتِي ﴾ بالطريقة^(٢) التي ﴿ هِيَ أَحْسَنُ ﴾: رفقًا، فالأول لخواص الأمة والثاني لعوامها، والثالث للمعاندين، ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾: فما عليك إلا البلاغ، وهذا قبل أمر القتال، ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ﴾: فإنه من الحكمة والمجادلة الحسنة، ﴿ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ ﴾: وعفوتهم، ﴿ لَهُمْ ﴾: للصبر، ﴿ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾: من الانتقام، ﴿ وَأَصْبِرْ ﴾: يا محمد على المشاق، ﴿ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾: بتوفيقه، ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾: على الكفرة، أو على المؤمنين بما فعل بهم، ﴿ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ ﴾: ضيق صدر، ﴿ مِمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللَّهَ ﴾: بالمعونة، ﴿ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾: المعاصي، ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾: في أعمالهم معك - والله أعلم بالصواب وإليه المرجع.



(١) في (ن): زعم.

(٢) في (ن): بالطريق.

«سورة بني إسرائيل (١): مكية (٢) (٣)»

قيل إلا قوله: ﴿وَلِنْ كَادُوا لِيَفْتَنُونَكَ﴾ ... إلى ثمان آيات.
 لما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ ... إلى آخره «بين قرب سيد المتقين
 والمحسنين فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾: أَسْبَحُ ﴿سُبْحَانَ﴾: أي: تسيبًا وهو
 التقديس والتنزيه والتباعد من السوء في الذات والصفات والأفعال والأسماء
 والأحكام من سَبَّحَ في الماء وَقَدَّسَ في الأرض إذا ذهب فيها وأبعد، يصدر به لتنزيه
 فاعل ما بعده عن النقائص وحاصله: ما أبعد الذي له هذه القدرة عن جميع النقائص
 ولذا لا يستعمل إلا فيه (٤) - تعالى - ﴿الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾: الباء للتعديدية لأنه بمعنى
 سرى، وذَكَرَ، ﴿لَيْلًا﴾: المفهوم من أسرى ليفهم بتنكيره تقليله، أي: في بعضه، ﴿مَنْ
 الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: في الحِجْر ببدنه (٥) في اليقظة بعد البعثة، وكان قبلها في المنام كما أنه
 رأى فتح مكة في سنة ست (٦)، وتحقق سنة ثمان، ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾: بيت المقدس،
 إذ لم يكن يومئذ وراءه مسجد، وهو مسافة ثلاثين يوما عادة، ﴿الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾:

(١) كذا في جميع النسخ عدا (ع) ففيها: سورة الإسراء، وفي هامش (ن): بلغ مقابلة، ثم: الجزء (١٥).
 (٢) وقال الحسن: إنها مكية إلا خمس آيات: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ﴾، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى﴾، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ
 يَبْغُونَ﴾، ﴿أَقْرَبُ الصَّلَاةِ﴾، ﴿وَأَتَى ذَا الْقُرْبَى﴾، وعن ابن عباس وقتادة: غير ثمان آيات نزلن بالمدينة في
 خبر وفد ثقيف وفي اليهود حيث جاءت إلى النبي ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿وَلِنْ كَادُوا لِيَفْتَنُونَكَ﴾ إلى آخر
 الآيات الثمان. * روح المعاني (١٥/٢)، النكت والعيون (٣/٢٢٣)، زاد المسير (٥/٣)، عدد سور
 القرآن (٢٨٧).

(٣) في هامش (د): سورة الإسراء مكية - مائة وإحدى عشر آية، وعشر عند البصريين إلا ثمان آيات ﴿وَلِنْ
 كَادُوا﴾ ... الخ - ثم يونس كلماتها (١٥٣٥) في عدد سور القرآن (٢٨٩): ١٥٣٣، البصائر
 (١/٢٨٨): ١٥٦٣، البيان (١٧٧)، القول الوجيز (٢٢٣) وحروفها (٦٤٦٠) عدد سور القرآن
 (١/٢٨٨)، البيان (١٧٧)، القول الوجيز (٢٢٣)، البصائر (١/٢٨٨).

(٤) يعني في حقه تعالى.

(٥) أما الإسراء فوقع مرة واحدة بروحه وجسده ﷺ وأما المعراج فمرة بروحه وجسده، وما لا يحصى

بروحه كما يدل عليه مجموع الأحاديث.

(٦) لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق.

ببركات الدين والدنيا، ثم منه إلى سِدْرَةِ الْمُتَهَيِّ كَمَا صَحَّ فِي الْحَدِيثِ (١)، وَإِنَّمَا نَقَلَهُ إِلَيْهِ أَوْلاً لِيُخْبِرَ النَّاسَ مِنْ صِفَاتِهِ فَيُصَدِّقُوهُ فِي الْبَاقِي، وَلِأَنَّهُ مَجْمَعُ أَرْوَاحِ الْأَنْبِيَاءِ وَمَحْشَرُ الْخَلَائِقِ فَيَحْصِلُ (٢) لَهُمْ وَلَهُ بَرَكَتُهُ، وَإِنَّمَا قَالَ: حَوْلَهُ؛ لِأَنَّ الْأَشْجَارَ وَالْأَنْهَارَ لَيْسَ إِلَّا حَوْلَهُ أَوْ؛ لِأَنَّهُ الْأَصْلُ فِيهِ أَوْلَى وَعَكْسُهُ لَا يَفِيدُ بَرَكَاتٍ مَا حَوْلَهُ ﴿لِزِيَرَتِهِ مَنْ عَائِنُنَا﴾: عَجَائِبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، قَالَ ﷺ (٣): «رَأَيْتَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ» (٤) رَوَاهُ الْحَاكِمُ، ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾: لِأَقْوَالِ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُكَذِّبِينَ، ﴿الْبَصِيرُ﴾ بِهِمْ فَيَجَازِيهِمْ ﴿وَعَائِنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ﴾: الْكِتَابَ، ﴿هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ لَنْ﴾ بِأَنَّ ﴿لَا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكَيْلًا﴾: تَكْلُونَ أُمُورَكُمْ إِلَيْهِ (٥)، ﴿ذُرِّيَّةً مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾: كَثِيرَ الْحَمْدِ فَاقْتَدُوا بِهِ، ﴿وَقَضَيْنَا﴾: أَوْ حِينَا، ﴿إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾: التَّوْرَةِ، ﴿لِنُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ﴾: الشَّامَ بِالْمَعَاصِي، ﴿مَرَّتَيْنِ﴾: أَوْلَهُمَا (٦) قَتَلَ زَكَرِيَّا، أَوْ شِعْيَا، وَأَخْرَهُمَا حَبْسَ أَرْمِيَا، أَوْ قَتَلَ زَكَرِيَّا وَيَحْيَى، ﴿وَلِنَعْلَنَ﴾: لِنَسْتَكْبِرَنَّ أَوْ لِنَتَّظِلَّ مِنْ عُلُوِّ كَبِيرًا فَإِذَا جَاءَ وَعَدُّ: عِقَابُ، ﴿أَوْلَهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا﴾: بِخَتْنِصْرَ بِتَشْدِيدِ الصَّادِ (٧) عَامِلٍ لِهَرِاسِفِ (٨) عَلَى بَابِلَ مَعَ جُنُودِهِ أَوْ جَالُوتَ وَجُنُودِهِ، ﴿أُولَى بَأْسٍ﴾: قُوَّةٌ ﴿شَدِيدٍ فَجَاسُوا﴾: تَرَدَّدُوا لَطَلْبِكُمْ، ﴿خَلَلٌ﴾: وَسَطٌ ﴿الْدِّيَارِ﴾: لِلْقَتْلِ وَالسَّيِّئِ ﴿وَكَانَ وَعَدًّا مَفْعُولًا﴾: لِأَنَّهُ قَضَاءُ مَبْرَمٍ، ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ﴾: الدَّوْلَةَ وَالْغَلْبَةَ، ﴿عَلَيْهِمْ﴾: بَعْدَ مِائَةِ سَنَةٍ، بِتَسْلِيطِ دَانِيَالَ عَلَى جُنُودِ بَخْتِ نَصْرٍ، أَوْ دَاوُدَ عَلَى جَالُوتَ،

(١) انظر: الابتهاج - للنجم الغيطي (٤٥) ففيه معظم الروايات.

(٢) في (ن): فيصّل.

(٣) في (ن): عليه الصلوة والسلام.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (١/٢٨٥)، و (١/٢٩٠)، وابن أبي عاصم في السنة (٤٣٣/٢٠٠)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/٩٣٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/٣٤٦٦)، والسنة (٤٣٣).

(٥) في (ن)، و(د): يكلون أمورهم إليه.

(٦) كذا في (ن)، و(د).

(٧) بخت نصر: بسكون الصاد وفتح النون الموحدة، وأما تشديد الصاد فخطأ، ويُدعى: نابوخذنصر - لعنه الله -.

(٨) في (د): لهراسم، وفي (ن): لفراسف، وفي (س): لهم آسف!!!.

﴿وَأَمَدَدْنَكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾: حتى عدتم كما كنتم، ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾: جمع نفر، أو: هو من ينفر معك من قومك، ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ﴾: بالطاعة، ﴿أَحْسَنْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾ بالفساد ﴿فَلَهَا﴾: عليها، ذكر اللام ازدواجاً أو مثل ﴿لِلَّذْقَانِ﴾، و﴿لِلْجَيْنِ﴾ ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ﴾ عِقُوبَةِ الْمَرَّةِ ﴿الْآخِرَةِ﴾: بعثناهم، ﴿لِيَسْتَوْفُوا وُجُوهَكُمْ﴾: ليهينوكم بالقتل والسبي، أو سادتكم، ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾: الأقصى^(١) ويخربوه^(٢)، ﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: وخربوه، ﴿وَلِيَسْتَرْوُوا﴾: يهلكوا، ﴿مَاعِلُونَ﴾: ما استولوا عليه، أو مُدَّة عُلُومِهِمْ ﴿تَبْيِيرًا﴾: فسلط عليهم جوذر^(٣) ملكٌ من ملوك الفرس، أو بخت نصر، فعملوا بهم كالأول، ﴿عَسَى رَبُّكُمْ﴾: يا بني إسرائيل، ﴿أَنْ يَرْحَمَكُمُ﴾: بردُّ الدولة إليكم ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ﴾: إلى المعصية، ﴿عُدْنَا﴾: إلى العقوبة، فعادوا بتكذيب محمد ﷺ، فسُلِّطَ عليهم بالقتل وغيره، ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾: محبساً أو بساطاً، ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي﴾: للطريقة التي، ﴿هِيَ أَقْوَمُ﴾: أَسَدُّ الطَّرِيقِ ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ﴾: بأن، ﴿لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا ﴿أَعْدَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ وَيَدْعُ: ﴿اللَّهُ﴾، ﴿الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ﴾: عليه وعلى أهله في غضبه، أو يدعوه بما يحسبه خيراً وهو شرٌّ ﴿دُعَاءُهُ﴾: كدعائه، ﴿بِالْحَيِّرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ مُجْتَوِلاً﴾: بالدعاء بلا ملاحظة ما له، ﴿وَجَعَلْنَا أَيْلَ وَالتَّهَارَةَ أَيِّنِينَ﴾: تدلان^(٤) على قدرتنا ﴿فَحَوَّنَا آيَةَ الْآيِلِ﴾: هو المحو^(٥) الذي على القمر أو انتقاص نوره إلى المحاق ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ التَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾: مضيئة أو بينة، ﴿لِتَبْتَغُوا﴾: فيه، ﴿فَضْلًا﴾: أسباب معاشكم، ﴿مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا﴾ بهما، أو بآية الليل، ﴿عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾: ولا تكرر إذ العدد موضوع الحساب، ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾: تحتاجون إليه، ﴿فَصَلَّنَاهُ﴾: بيناه بلا التباس ﴿فَفَصِيلًا﴾ ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ﴾: عمله، أو ما قُدِّر له ﴿فِي عُنُقِهِ﴾: كلزوم الطوق لا ينفك

(١) انظر: نور المسرى في شرح آية الإسراء - لأبي شامة (٨٠)، وزوال العسرى من تألفي (١٢٣/١).

(٢) في (ن): ويخربونه.

(٣) وقيل: حردوش أو خردوس - أنوار التنزيل (٣٧١). وفي (ن): جوذر.

(٤) في (د): يدلان.

(٥) في (د): المحق.

عنه، ﴿وَنُخْرِجْ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا لَقَدْ مَنَشُورًا﴾ يقال له: ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ﴾ ذكر بتأويله شَخْصُكَ ﴿الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾، مُحَاسِبًا، وهذا في غير موقف يحاسبهم بنفسه^(١)، حيث قال: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ﴾^(٢) ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾: نفعه، وضره لا يتعديانه، ﴿وَلَا نُزِرُ﴾ تحمل نفس ﴿وَازِرَةً﴾: حاملة، ﴿وَزَرَ﴾: نفس، ﴿أُخْرَى﴾: بَيْنَ فِي الْأَنْعَامِ، ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾: فلا يؤمن به، فمن نشأ حيث لم يسمع برسول فمعذور ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا﴾: أَمْرًا قَدَرِيًّا، ﴿مُتَرَفِّهَا﴾: مُتَعَمِّهَا^(٣) بالفسق أو كثرتناهم، أو جعلناهم أمراء^(٤)، أو أمرناهم بالطاعة، فلا ينافي إن الله لا يأمر بالفحشاء وتخصيصهم على الأول؛ لأنهم أسرع إلى الحماقة والفجور وغيرهم يتبعهم ﴿فَنَسْفُقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾: كلمة العذاب ﴿فَدَمَرْنَاهَا﴾: استأصلناها، ﴿تَدْمِيرًا﴾: ومضى حكم الساكيتين عن نهيهم في قوله: ﴿وَأَتَّقُوا فِتْنَةً﴾...^(٥) الخ، ﴿وَكَمْ﴾: كثيرا، ﴿أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾: هو أول من كذبه، ﴿وَكَفَىٰ رَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾: ببواطنها، ﴿بَصِيرًا﴾: بظواهرها، ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ﴾: بطاعته، ﴿الْعَاجِلَةَ﴾: الدنيا فقط كالمنافقين، فلا يفهم أن من لم يزهدها فيها يكون من أهل النار، ﴿عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾: تعجيله له، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا﴾: مهانا، ﴿مَذْحُورًا﴾: مطرودا، ﴿وَمَنْ أَرَادَ﴾: اختار ﴿الْآخِرَةَ﴾ على الدنيا، ﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعِيهَا﴾: حق سعيها، ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ﴾: الجامعون للثلاثة ﴿كَانَ سَعِيَهُمْ مَشْكُورًا﴾: مُثَابَا عَلَيْهِ ﴿كُلًّا نُمِدُّ﴾: بنحو الرزق والعافية، أعني، ﴿هَتُؤُلَاءِ﴾: المريدين للدنيا، ﴿وَهَتُؤُلَاءِ﴾: المريدين للآخرة، ﴿مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾: في الدنيا، ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾: مَمْنوعًا عن الكل في الدنيا، أي: قدر الرزق لا مقادير الأملاك، ﴿أُنظِرْ كَيْفَ

(١) في (د): لنفسه.

(٢) سورة الأنبياء.

(٣) في (ن)، و(د): متعممها.

(٤) بتشديد الميم المفتوحة «أَمَرْنَا» وهي قراءة عاصم وأبي عمرو والسدي، وابن عباس وأبي عثمان

النهدي وغيرهم. * الحجة لأبي زرعة (٢١٤)، الكشاف (٤٤٢/٢).

(٥) سورة الأنفال.

فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴿١﴾: غَنَى وَصَحَّةٌ وَغَيْرُهُمَا، ﴿وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾: فاعتنوا بها، ﴿لَا تَجْعَلْ﴾ أراد به أمته ﴿مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعُدْ﴾: فتصير، ﴿مَدْمُومًا﴾: من الخلق، ﴿مُخَذُّوْلًا﴾: من الله تعالى، أفهم أن المُوَحَّدَ مَمْدُوحٌ منصور^(١) ﴿وَقَضَى﴾: أمر ﴿رَبِّكَ﴾: أمرًا قطعياً ﴿أَنْ﴾ بأن، ﴿لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَ﴾: أن تحسنوا، ﴿بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا﴾: صلة، ﴿يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ﴾: قَيْدٌ^(٢) به؛ لأنه الغالب، ولأن الكلية فيه أظهر، ﴿الْكِبَرِ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ﴾: مصدر للتضجر بمعنى: قبحاً، أي: فكيف بما فوَّقه ولذا نهى النبي ﷺ حذيفة عن قتل أبيه وهو في صف المشركين^(٣) ﴿وَلَا تَنْهَرُهُمَا﴾ لا تَزُجْرُهُمَا ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾: جميلاً ﴿وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ﴾: تذلل لهما وضمهما إليك ضم الطير فرخه بجناحه، والإضافة بيانية، أي: جناحك الذليل، ﴿مِنْ﴾: فرط ﴿الرَّحْمَةِ﴾: عليهما، ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا﴾: رحماني، حين ﴿رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ ﴿رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾: من قصد البر، ﴿إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾: قاصدين الصلاح ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ﴾ التوابين أو الرجاعين إلى طاعته، ﴿عَفُورًا﴾: ما فرط عنهم، ﴿وَأَتَى﴾: أعطى من الصلوة والبر ﴿ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يُبْدِرْ تَبْدِيرًا﴾: هو^(٤) تفريق المال في غير حق شرعي، والفرق بينه وبين الإسراف أنه تجاوز في الكمية، وهذه تجاوز في موقع الحق والمراد هنا المعنيان ﴿إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ﴾: أمثال أو أتباع، ﴿الشَّيَاطِينِ﴾^(٥): شرارة ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾: كثير الكفر فلا تتبعوه، ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ﴾: أي: أن تعرض عن المستحقين المذكورين، ﴿ابْتِغَاءً﴾:

(١) والكافر والمشرک مخذول مهزوم مذموم ملعون فاللهم انصرتنا على المشركين وأتباعهم في مصر وخارجها دفعا وطلباً آمين.

(٢) في (ن): قيده.

(٣) رواه مسلم (١٧٧٨) كتاب الجهاد - باب: الوفاء بالعهد، وأحمد (٣٩٥/٥) والمستدرک (٣٧٩/٣) وقيل اليمان والد حذيفة شهيدا في أحد، قتله بعض الصحابة غلطا - رواه البخاري (٢٧٩/٧) وابن سعد (٤٥/٢).

(٤) التبذير: التفريق، ومنه بَدَرْتُ الحب في الأرض، أي: فرقته فيها، وأصله من إلقاء البذر في الأرض وطرحه فيها فاستعير لكل مضيع ماله، والتبذير في العرف: السفه، وقوله: ﴿وَلَا يُبْدِرْ﴾ النهي في الحقيقة لأمته، وإنما خاطبه؛ لأنه هو سيد خلقه. * عمدة الحفاظ (١/١٧١/بذر).

(٥) أي: أمثالهم في الشر.

لانتظار، ﴿رَحْمَةً﴾: رزق، ﴿مَنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا﴾: أن يأتيك فتعطيهم ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾: لينا بالدعاء أو ^(١) الوعد لهم، ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾: عن ^(٢) غاية الإمساك، ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا﴾: بالبذل، ﴿كُلُّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ﴾: تصير، ﴿مَلُومًا﴾: بالبخل في الأول، ﴿تَحْسُورًا﴾: مكسورًا نادماً في الثاني، ويستثنى المتوكل حق التوكل كما يدل عليه سَوْقُ الكلام، ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾: يضيقه لمن يشاء، ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾: يعلم سرهم وعلنهم واستحقاقهم وعدمه ^(٣)، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾: فآفة، قد مرَّ بسطه في الأنعام ﴿تَحْنُ تَرْزُقُهُمْ وَإِنَّا كُنَّا لِنَقْتُلُهُمْ﴾: مطلقاً، ﴿كَانَ خِطَاءً﴾: ذنباً كبيراً ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ﴾: قيده بالقرب؛ ليدخل مقدماته ﴿إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾: سييله، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾: قتله، ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ وهو أحد ثلاث كما في الحديث ^(٤)، والمراد ما يقصد به القتل فلا يرد دفع الصائل ^(٥)؛ لأنه يقصد به الدفع ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا﴾: غير مستوجب للقتل، ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لُولِيئِهِ﴾: وارثه ﴿سُلْطَانًا﴾: تسلطاً على القاتل بالقتل والدية والعفو، ﴿فَلَا يُسْرِفَ﴾: الوليُّ ﴿فِي الْقَتْلِ﴾: بارتكاب ما لا يجوز في المكافأة، ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾: نصره الله تعالى حيث ^(٦) أمر بإعانتة، أو ^(٧) المقتول منصور بقصاص قاتله والثواب، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾: فضلاً عن التصرف فيه ﴿إِلَّا بِالَّتِي﴾: بالطريقة ^(٨) التي، ﴿هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾: بلوغه وبيِّن في الأنعام، ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾: مطلقاً، ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾: عنه فيعاقب ناكثه، ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كُنتُمْ﴾: بلا بخس، أفهم أن الكيل على البائع، ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ﴾:

(١) في (ن)، و(د): و.

(٢) في (ن): مِنْ.

(٣) ليست في (ن).

(٤) يشير إلى حديث: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، و التارك لدينه المفارق للجماعة». أخرجه البخاري (٦/٩)، ومسلم (٣/١٣٠٢).

(٥) المتعدي على الأموال والأعراض.

(٦) في (ن)، و(د): حين.

(٧) في (د): و.

(٨) في (د) بالطريق.

الميزان، ﴿الْمُسْتَقِيمَ﴾: العدل، ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾: عاقبة، ﴿وَلَا تَنْفُذُ﴾: لا تتبع بنحو التقليد والرجم بالغيب ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾: اعتقاد راجح من سند قطعي أو ظني فلا يدل على منع اتباع الظني^(١) ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ﴾ كل هذه الأعضاء ﴿كَانَ عَنْهُ﴾: عن نفسه أي: عما فعل به، ﴿مَسْئُولًا﴾ ولا تمش في الأرض مرحاً: اختيالاً ﴿إِنَّكَ لَنْ تَحْرِقَ الْأَرْضَ﴾: لشدة وطأتك، ﴿وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾: بتناولك ورفع رأسك ونصب عنقك، فكيف تختال وهذا تهكُّمٌ ﴿كُلُّ ذَلِكَ﴾ المذكور من قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ﴾: وهم خمس وعشرون خصلة أمراً ونهياً (كَانَ سَيِّئَةً) من سيئاته^(٢)، وقرئ ﴿سَيِّئُهُ﴾ خبر كان، بإرادة منهياته ﴿عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ مبعوضاً غير مرضي وإن كان مراده ﴿ذَلِكَ﴾ الأحكام ﴿مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمِ﴾ معرفة الحق لذاته والخير للعمل به ﴿وَلَا تَجْعَلْ﴾ أراد أمته، ﴿مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَنَلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا﴾: من الحق والخلق، ﴿مَدْحُورًا﴾: مطروداً، ﴿أَفَأَصْفَكَ﴾: خصصكم، يَا مَنْ تصفونه تعالى باتخاذ البنات، ﴿رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا﴾ بناتا ﴿إِنَّكُمْ لَقَائِلُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ ولقد صرفنا: بيننا مكرراً هذا المعنى، ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذْكُرُوا﴾: ليتعظوا ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ﴾: التصريف^(٣) ﴿الْأَنْفُورًا﴾: عن الحق، ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَأَبْنَعُوا﴾: لطلبوا ﴿إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾: بالمغالبة كما للملوك، أو بطاعته لعلمهم بقدرته، ﴿سُبْحٰنَهُ﴾: تنزيهاً له ﴿وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ وصف العلو بالكبر مبالغة في النزاهة ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ﴾ مضت نكتة أفرادها ﴿وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ﴾: ملتبسا، ﴿بِحَمْدِهِ﴾: فيقول: سبحان الله وبحمده، فلا يسمعها إلا الكمّل كالنبيّ وبعض الصحابة، وجمهور السلف على أنه على ظاهره^(٤) وقيل: الظاهر جعل التسييح أعم

(١) الظن: الاعتقاد الراجح مع استعمال النقيض ويستعمل في اليقين والشك.

* التوقيف (٤٩٢)، المفردات (٤٧٢)، تعريفات ابن الكمال (١١١).

(٢) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو، وأبو جعفر، والأعرج: «سَيِّئَةً».

* إتحاف فضلاء البشر (٢٨٣)، السبعة (٣٨٠)، غيث النفع (٢٧٣)، النشر (٣٠٧/٢).

(٣) في (ن)، و(د): التصرف.

(٤) وهو الصحيح وانظر: تحفة الأحياب في منطق الطير والدواب - لابن طولون (٥/٢٩٠) بتحقيقى -

ضمن مجموعة).

من الحالي والمقالي؛ لإسناده إلى ما يتصوّر منه وإلى ما لا يتصوّر، وعند المتأخرين: لكل شيء تسبيح بلسان الحال وهو دلالة على صانع واحد، ﴿وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ﴾: أيها المشركون، ﴿تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا﴾: لا يعاجل بعقوبتكم، ﴿غَفُورًا﴾: لمن تاب، ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾: مطلقًا أو ثلاث آيات مشهورات من النَّحْل والكهف والجاثية، ﴿جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا﴾: لا يرونك^(١) ﴿مَسْتُورًا﴾: عن الحس وبعد نزولها كان المؤذون يمرّون عليه ولا يرونه عند القراءة، ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾: أغطية كراهة، ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾: يفهموه ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾: يمنعهم عن استماعه، ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ﴾: بلا ذكر الهتهم، ﴿وَلَوْ أَعْلَمَ الَّذِينَ نَفُورًا﴾: نفرة من التوحيد، ﴿تَخُنْ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ﴾: إليك، ﴿بِهِ﴾: بسببه، وهو الهزؤ والتكذيب، ﴿وَإِذَا يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ﴾: ذوو ﴿تَجَوَّيْ﴾: يتناجون بالتكذيب، ﴿وَإِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ﴾: أي: يقولون، ﴿إِنْ﴾: ما ﴿تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾: سُحْرَ فُجْنٍ ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ صَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾: مثلوك بمسحور ومجنون وغير ذلك ﴿فَضَلُّوا﴾: عن الحق، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾: إلى طعن بوجه، ﴿وَقَالُوا﴾: دليلا على جنونك، ﴿أَيُّدَا كُنَّا﴾: بعد الموت، ﴿عِظْمًا وَرَفْنَا أَمْ نَأْمَبُوعُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾: كما تزعم^(٢)، ﴿قُلْ كُونُوا﴾: أمر استهانة أو تسخير، ﴿حِجَارَةً أَوْ حديدًا﴾: في الصلابة ﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ﴾: يعظم، ﴿فِي صُدُورِكُمْ﴾: إحياءه فإنه يحييكم بقدرته، ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا﴾ إذا كنا حجارة أو حديدًا ﴿قُلْ الَّذِي فَطَرَكُمْ﴾: خلقكم، ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: وهو أعظم، ﴿فَسَيَغْضُوبُونَ﴾ يحركون ﴿إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾: تكديبا، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾: فإن ما هو آت قريب، اذكر ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾: ربكم من قبوركم، ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ﴾: دعوته أي: تبعثون^(٣)، ﴿بِحَمْدِهِ﴾: بأمره أو حامدين ولا ينفعكم بل ينفع المؤمنين، ﴿وَتَقْتُلُونَ﴾: للهلول، ﴿إِنْ﴾ ما ﴿لَيْتُمْ﴾: في الدنيا أو البرزخ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي﴾: المؤمنين، ﴿يَقُولُوا﴾: ليقولوا في محاوراتهم الكلمة ﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: بلا غلظة، كقولهم للكفار: أنتم أهل النار ﴿إِنَّ

(١) في (د): يرونكم.

(٢) كذا في (ن)، و(د).

(٣) كذا في (ن)، و(د).

الشَّيْطَانُ يَنْزِعُ ﴿ يُفْسِدُ ﴿ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴾: ظاهر العداوة ﴿ زَيَّكُمُ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ شَأْنَ يَرْحَمَكُمُ ﴾: بإنجائكم من أذى الكفار، ﴿ أَوْ إِن شَأْ يُعَذِّبَكُم ﴾: بتسليطهم، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾: موكولا إليك أمرهم، ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾: فيختار من يشاء لما يشاء فلا تستبعدوا من اصطفاء يتيم أبي طالب ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّنَ عَلَى بَعْضٍ ﴾: بالفضائل النفسانية فقط كمحمد عليه - ﷺ - كما أشار إليه بقوله: ﴿ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾: المكتوب فيه: ﴿ أَنْتَ الْأَرْضُ يَرْثُهَا عِبَادِي الصَّالِحُونَ ﴾^(١)، أي: أمة محمد ﷺ، ونهي التفضيل محمول على مجرد العصبية، فإن محمداً أفضل، ثم إبراهيم ثم موسى عليهم الصلاة والسلام - ﴿ قُلْ أَدْعُوا ﴾: لكشف، ﴿ الَّذِينَ رَعَمْتُمْ ﴾: ألوهيتهم، كعيسى والملائكة، ﴿ مَن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ ﴾: لا يستطيعون، ﴿ كَشَفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ ﴾: بالكلية، ﴿ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾: تبديلا من حَوَّلْتُ القميص قباء؛ فإن كشف الضر تبديله بالعافية، فلا يرد أن تحويلا مستدرك، فإن من لا يملك كشفه لا يملك تحويله عنه إلى غيره، ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ ﴾: أي: يتغى الذي هو، ﴿ أَقْرَبُ ﴾: منهم إليه الوسيلة بالطاعة فكيف بغيره، ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾: فكيف يستحقون الألوهية، ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾: حقيقا بأن يحذر عنه، ﴿ وَإِن ﴾: ما، ﴿ مِّن قَرَبَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ أَلْقِيَمَةِ ﴾: بالموت ﴿ أَوْ مَعَذِبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ﴾: إن بقيت إلى يوم القيامة^(٢) الأول في قرى المؤمنين، والثاني في قرى الكافرين، كذا عن بعض السلف^(٣) ﴿ كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ ﴾ اللُّوحِ ﴿ مَسْطُورًا ﴾ في الأزل ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُنزِّلَ ﴾: مجازاً عن ترك إرسال الرسول، ﴿ بِالآيَاتِ ﴾ المقترحة لهم بجعل الصفا ذهباً^(٤)، ﴿ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا ﴾:

(١) سورة الأنبياء.

(٢) في (ن)، و(د): إلى القيامة.

(٣) هو مقاتل - الوسيط (٣/١١٣)، معالم التنزيل (٣/١٢٠)، تفسير الرازي (٢٠/١٨٦) ومقاتل متروك.

(٤) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً، وأن ينحي عنهم الجبال فيزدرعوا، قال الله عز وجل: «إن شئت آتيناكم ما سألوها، فإن كفروا؛ أهلكوا كما أهلكت من قبلك، وإن شئت نستأني بهم لعلنا نتج منهم» فقال: لا، بل استأني بهم، فأنزل الله هذه الآية: ﴿ وَمَا

بالآيات المقترحة لا هذه ﴿الْأَوَّلُونَ﴾: وقومك مثلهم طبعاً، فلو أرسلنا لاستؤصلوا بتكذيبها لما مر بيانه وفي أصلابهم من يُؤْمِنُ ﴿وَأَيُّنَا ثُمُودَ النَّاقَةِ﴾: بسؤالهم آية، ﴿مُبْصِرَةٌ﴾: بينة، ﴿فَظَلَمُوا﴾: كفروا، ﴿بِهَا﴾: فعاجلناهم بالعقوبة، ﴿وَمَا تُرْسِلُ﴾: الرسول، ﴿بِالْآيَاتِ﴾ القرآنية و^(١) المعجزات، ﴿إِلَّا تَخَوِّفًا﴾: من عذابنا، ﴿و﴾: اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾: فهم تحت تصرفه فَخَوْفُهُمْ ولا تخف منهم، ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرِّيَاءَ﴾: في المعراج وعلى اليقظة فهي بمعنى الرؤية، ﴿الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً﴾: اختباراً، ﴿لِلنَّاسِ﴾: إذ ارتد كثير بإنكاره وزاد إيمان آخرين، ﴿و﴾: ما جعلنا ﴿الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ﴾: المؤذبة أو المبعدة عن مكان الرحمة أو المذمومة، وهي شجرة الزقوم^(٢)، ﴿فِي الْقُرْآنِ﴾: إلا فتنه للناس، فقال بعضهم: نار وقودها الناس والحجارة كيف تنبت فيها شجرة رطبة^(٣)؟ ﴿وَنُحُوفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾: التخويف، ﴿إِلَّا طُغْيَانًا﴾: عتوا، ﴿كَبِيرًا﴾: ﴿و﴾: اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾: فسر مرة، ﴿قَالَ اسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾: من طين ﴿قَالَ﴾ إبليس: ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَخْبَرْتَنِي عَنْ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ﴾: فضلتُهُ ﴿عَلَى﴾: والله، ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ﴾: أخرت مماتي، ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ﴾: لأستأصلنَّ ﴿ذُرِّيَّتَهُ﴾: بإغوائهم، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ علم سهولته من قول الملائكة^(٤): ﴿أَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ إلى آخره^(٥)، أو من خلقه ذأوهم في شهوة وغضب ﴿قَالَ أَذْهَبَ﴾: امض لما قصدت، ﴿فَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ﴾: أنت معهم حال كونه ﴿جَزَاءً مَوْفُورًا﴾: مكملاً، ﴿وَأَسْتَفْزِرُ﴾: استخفَّ ﴿مَنْ

= مَعْنَى أَنْ تُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَءَايَاتُنَا ثُمُودَ النَّاقَةِ مُبْصِرَةٌ. أخرجه أحمد (١/٢٥٨)، والنسائي (١/٦٥٥/٣١٠)، والبخاري (٣/٥٦/٢٢٥/كشف) والطبري (١٥/٧٤)، والحاكم (٢/٣٦٢)، والبيهقي في الدلائل (٢/٢٧١)، والضياء في المختارة (١٠/٧٨، ٨٠/٧١، ٧٢) وسنده صحيح.

(١) سقطت الواو من (ن).

(٢) الوسيط (٣/١١٤)، غرر التبيان (٣١٠).

(٣) الوسيط (٣/١١٤)، معالم التنزيل (٣/١٢٢)، تفسير القرطبي (١٠/١٨٤)، روح المعاني (١٥/١٠٦)، البحر المحيط (٦/٥٥).

(٤) في (ن)، و(د): الملك.

(٥) سورة البقرة.

أَسْتَطَعْتُمْ مِنْهُمْ ﴿١﴾: أن تستفزه، ﴿بِصَوْتِكَ﴾: بدعائك بنحو الغناء وكل داع إلى المعصية، ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ﴾: صَحَّ^(١) عليهم لسوقهم ﴿بِحَيْلِكَ﴾: فرسانك في المعاصي، ﴿وَرَجِلِكَ﴾: ورجالك فيها، حاصله: تصرف فيهم بكل ما تقدر، والأمر تهديدي أو قدر، ﴿وَشَارِكَهُمْ فِي الْأَمْوَالِ﴾: بجمع الحرام والإنفاق فيه، ﴿وَالْأَوْلَادِ﴾: ببعثهم على الزنا وقبائحهم وإضلالهم ونحوه، ﴿وَعَدَّهُمْ﴾: الأباطيل كالاتكال على كرامة الآباء، ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾: هو تزيين الخطأ بما يوهم الصواب، ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾: المخلصين ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ﴾: تسلط، ﴿وَكَفَىٰ بَرِيكَ وَكَيْلًا﴾ لهم ﴿رَبِّكُمْ الَّذِي يُزْجِي﴾: يُجْرِي ﴿لَكُمْ الْفَلَكَ فِي الْبَحْرِ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾: من الرزق وغيره، ﴿إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾: برحمته سخرها لكم ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ﴾: خوف الغرق، ﴿ضَلَّ﴾: عن خاطركم كل ﴿مَنْ نَدَعُونَ إِلَّا آيَاتِهِ﴾: تعالى، ﴿فَلَمَّا تَخَنَّكَ﴾: من الغرق، ﴿إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾: عنه، ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ﴾ بالسجية ﴿كَفُورًا﴾: للنعمة^(٢)، ﴿أَنْ﴾: نجوتم من البحر ﴿فَأَمِنتُمْ أَنْ يُخْصِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾: أي: تقلبه وأنتم عليه، إذ البحر والبر عند قدرته سواء ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾: مطرا فيه الحجارة، أو ريحا ترمي بالحصباء ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكَيْلًا﴾: ينجيكم ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾: في البحر، ﴿تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا﴾ كاسيرا ﴿مِّنَ الرِّيحِ﴾: يكسر كل ما يمر عليه، ﴿فَيَغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾: بكفركم، ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾: تابعا^(٣) يطالبنا بانتصار أو صرف ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾: بحسن الصورة والعقل والنطق وغيره ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ﴾: على الدواب ﴿وَالْبَحْرِ﴾: على الفلك، ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: المستلذات، ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾: كثيرا، والمستثنى خواص الملك^(٤)، ولا يلزم من عدم تفضيل جنس الإنسان عليهم عدم تفضيل خواصهم كتفضيل امرأة على رجل مع تفضيل جنسه على جنسها.

(١) من الصياح وهو الصوت العالي.

(٢) في (ن): للنعمة.

(٣) في البيضاوي: مُطَالِبًا بَانْتِصَارٍ أَوْ صَرْفٍ.

(٤) الملائكة.

* **تنبيه:** اختلف أهل السُّنَّة في تفضيلهم، فابن عباس يفضل الملائكة، وعن أصحاب أبي حنيفة وكثير من الشافعية والأشعرية تفضيل رسل البشر مُطلقاً ثم رسل الملائكة على من سواهم من البشر والملك، ثم عموم الملك على عموم البشر، وقيل: كَمَّلُ الْإِنْسَانِ أَفْضَلُ^(١).

وقال الإمام الرازي: الكَرُوبِيُّونَ أَفْضَلُ مُطْلَقاً، ثم رسل البشر ثم الكَمَّلُ منهم، ثم عموم الملائكة على عموم البشر، وبه يشعر كلامُ الغزالي في مواضع.

اذكر، ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْعَانِهِمْ﴾: مقتداهم أو كتاب أعمالهم، وكونه جمع^(٢) أم فيه تعظيم عيسى وغيره، ودفع فضيحة أولاد الزنا ليس بشيء، ﴿فَمَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ﴾: كتاب عمله، ﴿بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ﴾: مسرورين، ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ﴾: لا ينقصون أجرهم، ﴿فَتَيْلًا﴾: قدر خطُّ شق النواة، أي: أدنى شيء، أفهم أن من أوتي كتابه بشماله لا يقرأ خجلاً وحيرةً وعمى يدل عليه: ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا أَعْمَى﴾: عمى القلب لم ير رُشدَهُ ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾: لا يرى طريق النجاة أو أكثر عمى بمعنى فقد البصيرة، ولذا لا يميله أبو عمرو فإن ألفه^(٣) كمتوسط بينه^(٤) وبين من ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾: منه في الدنيا، لفقد الآلة والمهلة والاستعداد، ﴿وَإِنْ﴾: إنه، ﴿كَادُوا﴾: قاربوا لمبالغتهم، ﴿لَيَفْتِنُونَكَ﴾: يوقعونك في الفتنة وهم ثقيف وقريش^(٥)، ﴿عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾: من الأحكام، ﴿لِنَقْرَى عَلَيْكَ غَيْرَهُ وَإِذَا﴾: إن اتبعتم، ﴿لَا تَخْذُوكَ خَلِيلًا﴾ * وَلَوْلَا أَنْ نُبَيِّنَنَّكَ لَقَدَّكِدْتَ: قاربت، ﴿تَرَكْنُ﴾: تميل، ﴿إِلَيْهِمْ﴾

(١) الأولى السكوت عن ذلك فهذا لا يتوقف عليه اعتقاد ولا ينبي عليه شيء، وهو علم لا ينفع وجهل لا يضر.

(٢) وعليه يكون «بأمهاتهم» أنوار التنزيل (٣٨٠).

(٣) فإن أفعال التفضيل تمامه بـ «من».

(٤) أمال أبو عمرو «أعمى» الأولى. * إتحاف (٢٨٥)، السبعة (٣٨٣)، غيث النفع (٢٧٥)، النشر (٥٤/٢).

ولم يمل «أعمى» الثانية، وإنما أمالها عاصم وحمزة والكسائي وشعبة وخلف وورش. * السبعة (٣٨٣)، غيث النفع (٢٧٥)، إتحاف (٢٨٥).

(٥) أخرجه الطبري (١٣٠/١٥)، والواحدي (٢٩٧) بسند ضعيف.

شَيْئًا قَلِيلًا ﴿ لَكِنْ عَصَمْنَاكَ عَنْ مِقَارِبَتِهِ ﴾ ﴿ إِذْنٌ ﴾ ﴿ لَوْ قَارَبْتَ ﴾ ﴿ لَأَذَقْنَاكَ ﴾ ﴿ لِنَذِيقِكَ ﴾ عَذَابًا ﴿ ضِعْفَ الْحَيَاةِ ﴾ ﴿ أَي: عَذَابِ الدُّنْيَا ﴾ ﴿ وَضِعْفَ آلَمَاتِ ﴾ ﴿ عَذَابِ الْآخِرَةِ ﴾، أَي: ضِعْفٌ مَا يَعْذِبُ بِهِ غَيْرُكَ فِيهِمَا أَنْ خَطَرَ الْخَطِيرَ أَخْطَرَ ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ يَدْفَعُ عَنْكَ عَذَابَنَا وَلَمَّا نَزَلَتْ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ»^(١).

﴿ وَإِنْ ﴾ ﴿ إِنَّهُ ﴾ ﴿ كَادُوا ﴾ ﴿ الْكُفَّارَ ﴾ ﴿ لَيَسْتَفْرِزُونَكَ ﴾ ﴿ يَسْتَخَفُونَكَ إِزْعَاجًا ﴾ ﴿ مِنْ أَلْأَرْضِ ﴾ ﴿ أَرْضِ الْعَرَبِ ﴾، إِذْ قَالَتْ الْيَهُودُ: الْحَقُّ إِلَى الشَّامِ فَإِنَّهَا أَرْضُ الْأَنْبِيَاءِ^(٢) ﴿ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا ﴾ ﴿ لَوْ خَرَجْتَ ﴾ ﴿ لَا يَلْبَثُونَ خِلْفَكَ ﴾ ﴿ خَلْفَ إِخْرَاجِكَ ﴾ ﴿ إِلَّا ﴾ ﴿ زَمَانًا قَلِيلًا ﴾ ﴿ مِنْ اللَّهِ ﴾، ذَلِكَ ﴿ سُنَّةٌ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا ﴾: وَهِيَ إِهْلَاكُ كُلِّ أُمَّةٍ أَخْرَجُوا رَسُولَهُمْ ﴿ وَلَا يَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾: تَغْيِيرًا، ﴿ أَقِرَّ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ ﴾: اللَّامُ لِلتَّائِقِ، أَي فِي زَوَالِ، ﴿ الشَّمْسِ ﴾ وَأَصْلُهُ الْإِنْتِقَالُ، وَكَذَا كُلُّ مَا تَرَكِبُ مِنَ الدَّالِ وَاللَّامِ كَدَلْحٍ وَدَلَجٍ وَدَلَفٍ ﴿ إِلَى عَسَقٍ ﴾: ظُلْمَةٌ، ﴿ أَلَيْلٍ ﴾: دَخَلَ صَلَاةَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ وَالْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ وَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْوَقْتَ يَمْتَدُّ إِلَى غُرُوبِ الشَّفَقِ ﴿ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ ﴾: صَلَاتُهُ سَمِيَ الشَّيْءَ بِاسْمِ رُكْنِهِ، لَا يَدُلُّ عَلَى وَجُوبِ الْقِرَاءَةِ فِيهَا لِجَوَازِ كَوْنِ التَّجَوُّزِ لِنَدْبِهَا فِيهَا ﴿ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَتْ مَشْهُودًا ﴾: يَشْهَدُهُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، ﴿ وَمَنْ ﴾: بَعْضٌ، ﴿ أَلَيْلٍ فَتَهَجَّدَ ﴾: أَتَرَكَ الْهَجُودَ أَي: النَّوْمَ، أَوْ صَلَّى ﴿ بِهِ ﴾، بِالْقُرْآنِ فَرِيضَةً ﴿ نَافِلَةً ﴾: زَائِدَةٌ، ﴿ لَكَ ﴾: دُونَ أَمْتِكَ ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾: أَي: فِي مَقَامِ الشَّفَاعَةِ الْعَامَّةِ، فَيُحْمَدُكَ الْأَوْلُونَ وَالْآخِرُونَ ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾: إِدْخَالًا مَرْضِيًّا، ﴿ وَأَخْرِجْنِي ﴾: مِنْهُ، ﴿ مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾: إِخْرَاجًا مَرْضِيًّا، ﴿ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا ﴾: حُجَّةً أَوْ قُوَّةً ﴿ نَصِيرًا ﴾: لِي عَلَى مَنْ خَالَفَنِي، ﴿ وَقُلْ ﴾: بِبَشَارَةٍ ﴿ جَاءَ الْحَقُّ ﴾: الْإِسْلَامُ، ﴿ وَرَهَقَ ﴾ ﴿ ذَهَبَ ﴾ ﴿ الْبَطْلُ ﴾: الْكُفْرُ ﴿ إِنَّ الْبَطْلَ كَانَ زُهُوقًا ﴾: مَضْمُوحًا ﴿ وَنَزَلَ مِنْ ﴾ ﴿ اللَّيْلِ ﴾، ﴿ الْقُرْءَانَ مَا هُوَ شِفَاءٌ ﴾: مِنَ الْعِلْلِ الدِّينِيَّةِ وَالْبَدْنِيَّةِ، ﴿ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾: فَيَحْصُلُ لَهُمُ الْمَعَارِفُ وَالْحُكْمُ، ﴿ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾:

(١) لا يصح، لكن الدعاء صحيح.

(٢) سورة النبأ.

لكفرهم به، ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَىٰ﴾: جنس، ﴿الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ﴾: عن الشكر، ﴿وَنَنَا بِحَابِنِهِ﴾: لوى عطفه وولّى ظهره عن منعمه، أو كناية عن الاستكبار ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾: كمرض وفقر، ﴿كَانَ يَتُوسَّأُ﴾: شديد اليأس عنّا، وأما قوله: فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ، ففي فرقة أخرى، فهنا لصنف وهناك لآخر، ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾: طريقته التي تُشَاكِلُ مَا جُبِلَ عَلَيْهِ، وهي الطبيعة العادة أو الدين، ﴿فَرَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾: فيثبه، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾: قريش^(١) بتعليم اليهود، ﴿عَنِ﴾: هيثة، ﴿الرُّوحِ﴾: الذي به حياة البدن، ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾: مما استأثر بعلمه أو معناه أنه موجود محدث بأمره بلا مادة، فهو مثل: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ﴾ إلى آخره في جواب: وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ، ﴿وَمَا أُوْتِيْتُمْ﴾: كلكم، ﴿مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾: تستفيدونه بحواسكم، ولعل أكثر الأشياء مما لا يدركه الحسُّ ﴿وَلَيْنَ شِئْنَا لَنذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾: بمحو القرآن عن مصاحفكم وصدوركم، ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُكَ بِهِ﴾: باسترداده، ﴿عَلَيْنَا وَكَيْلًا﴾: تتوكّل عليه ﴿الْأَرْحَمَةَ مِن رَّبِّكَ﴾: فلعلها^(٢) تسترده عليك، ﴿إِنَّ فَضْلَهُ كَأَن يَنْزِلَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾: ومنه إنزاله وإبقاؤه، ﴿قُلْ لِيِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ﴾: بلاغةً وغيرها ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾: لعجزهم، ﴿وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾: معينا، ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾: كررنا وبيّنا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾: كل معني هو كالمثل غرابية وحسنا، ﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾: جحودا، فعجزوا عن الإتيان، ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ﴾: أرض مكة، ﴿وَيَبُوعًا﴾: عينا لا تنقطع يفعل من: ينبع، أي: يفور ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ﴾: بستان، ﴿مِن مَّخِيلٍ وَعَيْنَبٍ فَتَفْجُرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا﴾: وسطها، ﴿تَفْجِيرًا أَوْ

(١) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: قالت قريش ليهود: أعطونا شيئا نسأل هذا الرجل، فقال: سلوه عن الروح، قال: فسألوه عن الروح، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ... الآية﴾ أخرجه أحمد (٢٥٥/١) والترمذي في جامعه (٣٠٤/٥/٣١٤٠) والنسائي (٣٩٢/٦/٣٩٣، ١١٣١٤)، ابن حبان (٣٠١/١/٩٩/إحسان) والحاكم (٥٣١/٢) والبيهقي في الدلائل (٤٦/٢)، وأبو الشيخ في العظمة (٣/٨٦٣/٤٠٣) وأبو يعلي (٤/٣٨٠، ٣٨١/٣٨١) وسنده صحيح.

(٢) أي: الرحمة.

تَشُقُطُ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا ﴿١﴾: قطعاً أرادوا قوله تعالى: ﴿أَوْ نَسْقُطْ عَلَيْهِمْ كِسْفًا... إلى آخره، ﴿أَوْ تَأْتِي بِلَهُنَّ وَالْمَلَائِكَةَ قِيلاً﴾: مقابلاً معانينا، ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرَفٍ﴾: ذهب، ﴿أَوْ تَرْفَى فِي السَّمَاءِ﴾: بسلم ﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرِيقِكَ﴾: وحده ﴿حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا﴾: واحداً واحداً، ﴿كِنْبًا﴾: باسمه فيه تصديقك، ﴿نَنْقَرُوهُ قُلُوبًا مِّمَّاتٍ﴾: نقره قلوباً مميماً، تعجباً من اقتراحهم، ﴿هَلْ﴾: ما، ﴿كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾: فالرسول إنما يأتي بإذن الله، ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا﴾: بعد، ﴿إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾: القرآن المعجز ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾: أي: ما لهم شبهة إلا في إرسال بشرٍ ﴿قُلْ لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً يَّعْشُرُونَ﴾: كما تمشون، ﴿مُطْمَئِنِّينَ﴾: ساكنين فيها، ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾: لتمكنهم من التلقي منه للتجانس بخلاف البشر، ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾: على صدقي، ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضِلِّ فَلَن تَجِدَ لَهُم أُولِيَاءَ مِن دُونِهِ﴾: يهودونهم، ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: يمشون أو يسحبون، ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾: إلى النار، ﴿عُمِيًّا﴾: عما يقرُّ أعينهم ﴿وَبِكُمَا﴾: عن العذر، ﴿وَصَمًّا﴾: عما يلد مسامعهم، ﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ﴾: سكن لها بأن أكلت أجسادهم، ﴿زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾: تلهبها بتبديل لحومهم وجلودهم، ﴿ذَلِكَ﴾: العذاب، ﴿جَزَاءُ هُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾: مطلقاً، ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفَاتًا﴾: تراباً ﴿أَنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾: جوزوا بكثرة الإعادة بعد الإفناء؛ لإنكارهم الإعادة ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: يعلموا، ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾: بدءاً وإعادة ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ﴾: لإعادتهم ﴿أَجَلاً لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ﴾: بعد قيام الحجَّة، ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾: جُحوداً ﴿قُلْ لَوْ أَنَّكُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَسْتَكْتُم﴾: لبخلتم، ﴿خَشِيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾: النفاذ به فلا ينفعكم تفجُّر^(١) الأنهار ونحوه، ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ﴾: جنسه بالطبع، ﴿قَتُورًا﴾: بخيلاً ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾: السنين، ونقص من الثمرات، والظوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، واليد، والعصا، وقال

(١) في (ن)، و(د): تفجير.

رسول الله ﷺ حين سأله يهوديان عن الآيات: «إِنَّهَا النَّهْيُ عَنِ الشَّرِكِ وَالسَّرْقَةِ^(١) وَالزَّوْنِ وَالقَتْلِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَالسَّحْرِ وَأَكَلَ الرِّبَا وَالْمَشْيُ بِالْبُرَى إِلَى سُلْطَانٍ لِيَقْتُلَهُ وَقَدْفَ الْمُحَصَّنَاتِ، وَالْفِرَارُ مِنَ الزَّحْفِ» ثم قال: «وعليكم خاصة اليهود: أن لا تعتدوا في السبت»^(٢).

فعلى هذا المراد بالآيات الأحكام العامة للملل، وقيل: لعلهما سألاه عن العشر كلمات فاشتبه على الراوي بالتسع وهو ابن سلام رضي الله عنه ﴿فَسَأَلَ﴾: يا محمد ﴿بِئْسَ إِسْرَاءٌ يَلُ﴾: عنها، تقريراً للمشركين على صدقك، ﴿إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾: متخبط العقل بالسحر، ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾: بالحجج ﴿مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾ عبراً، فكيف تعاندي، وبضمير المتكلم^(٣) ظاهر ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ﴾: أعلمك، أتى بالظنّ ازدواجاً^(٤)، ﴿يَنْفِرْعَوْنُ مَشْهُورًا﴾: مصروفاً^(٥) من «شبر» أي: صرف عن الخير ﴿فَأَرَادَ﴾: فرعون، ﴿أَنْ يَسْتَفْزَهُمْ﴾: موسى وقومه، ﴿مَنْ أَلْأَرْضِ﴾ مصر ﴿فَاعْرِفْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ﴾: بعد إغراقه، ﴿لَبِئْسَ إِسْرَاءٌ يَلُ اسْكُنُوا أَلْأَرْضِ﴾ مصر ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ﴾: الدار، ﴿الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾: إلى الموقف، واللفيف: الجماعات من قبائل شتى، ﴿وَيَالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ﴾: القرآن، ﴿وَيَالْحَقِّ نَزَلَ﴾: أي: ما أنزلناه، وما نزل إلا بالحق، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا﴾: للمطيع، ﴿وَنَذِيرًا﴾: للعاصي، ﴿وَقَرَأْنَا مَا فَرَقْنَاهُ﴾: نزلناه مفرقا في ثلاث وعشرين سنة، ﴿لِنُقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مَكَّةٍ﴾: مهل، لتيسير حفظه، ﴿وَنَزَلْنَاهُ نَزِيلًا﴾: نجما^(٦) نجما على الوقائع، ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾: فإن ذلك لا يرفع القرآن ولا يضعه، ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ﴾: قبل نزول القرآن هم مؤمنوا أهل

(١) في (ن): السرقة.

(٢) أخرجه الترمذي (٥/٢٨٦/٣١٤٤) والحاكم في المستدرک (٩/١) وصححه ووافقه الذهبي وأحمد (٤/٢٣٩).

(٣) يعني بفتح تاء «علمت».

(٤) الازدواج: انضمام الشيء إلى نظيره.

(٥) بل: هالكا من الثبور وهو الهلاك، وهو أيضا: اللعن والطرده.

(٦) يعني: منجما، منجما - يعني: مفرقا.

الكتاب، ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾: القرآن، ﴿يَخِرُّونَ﴾: يسقطون، ﴿لِلَّذَقَانِ﴾: أي: على وجوههم بحيث تتعقر لحاهم ﴿سُجَّدًا﴾: شكرا لإنجاز وعده، ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾: عن خلف الوعد، ﴿إِنْ﴾ إنه ﴿كَانَ وَعْدَ رَبِّنَا﴾: في كتبه بنزوله ﴿لِمَفْعُولًا﴾: كائنا ﴿وَيَخِرُّونَ لِلَّذَقَانِ يَبْكُونَ﴾: لتأثرهم عن مواعظة، فالخُرور الأول للسجود، والثاني لشدة البكاء ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾: سماعه، ﴿خُشُوعًا﴾: خضوعا، ﴿قُلْ﴾: لهم حين يقولون أتنهانا عن دعوة إلهين وأنت تدعوا الله والرحمن، ﴿ادْعُوا﴾: اسمعوا، معبودكم، ﴿اللَّهُ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُونَ﴾: منهما، فهو حسن يدل عليه، ﴿فَلَهُ﴾: فلمُسَمَّاهما، ﴿الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾: وهما منها، ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾: بقراءتها أو الدعاء بحيث يسمع المشركون فيسبون إلهك ﴿وَلَا تُخَافَتْ بِهَا﴾: لا تخفها عمن خلفك من صحبتك ﴿وَأَبْتَعُ بَيْنَ ذَلِكَ﴾: من الجهر والمخافته، ﴿سَيِّلًا﴾ وسطا ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾: ردا لليهود والمشركين، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ﴾: الألوهية، رد للنصارى والمشركين ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ﴾ ناصر ﴿مِّنْ أَجْلِ﴾ الدَّلِ: رد للنصارى والمجوس ﴿وَكِبْرَهُ﴾: عظمه عن كل ما لا يليق به ﴿تَكْبِيرًا﴾: تعظيما تاما. والله أعلم



سورة الكهف: مكية^(١) الآية^(٢): «واصبر نفسك»^(٣)

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾: القرآن، رَبَّ الحمد عليه إشارة إلى إنزاله من أعظم نعمائه، ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَّهُ﴾: لعبده، ﴿عِوَجًا﴾: شيئا من العوج عن الحق ﴿قِيَمًا﴾: مستقيماً فيما أمر ظاهراً، ﴿يُنذِرَ﴾: الكافرين، ﴿بِأَسَاءٍ﴾: عذاباً، ﴿شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ﴾: من عنده، ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا مَّا كُنْتُمْ فِيهِ﴾: في الأجر^(٤)، ﴿أَبَدًا وَيُنذِرَ﴾: كرهه لعظم ذنب، ﴿الَّذِينَ قَالُوا أَخَذَ اللَّهُ وِلْدَانًا﴾: خصهم استعظاما لكفرهم، ﴿مَّا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾: لأنه محال بل يُقلدون فيه آبائهم، ﴿وَلَا لِآبَائِهِمْ﴾: الذين قالوه، ﴿كِبْرًا﴾: عظمت مقاتلهم هذه ﴿كَلِمَةً﴾ تمييز ﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾: نبه^(٥) به على أن^(٦) شأنها ألا تتصف بقصد قلبي والخارج: حقيقة الهواء الحامل لها؛ لأن الحروف كيفيات تعرض للصوت، فالإسناد مجازي ﴿إِنْ﴾: ما ﴿يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا فَلَعَلَّكَ بِخُجٍّ﴾: قاتل، ﴿نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ﴾: إذا ولو اعن الإيمان، ﴿إِنْ لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾: القرآن، ﴿أَسَفًا﴾: لفرط الحزن، ثم علل النهي بقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ﴾: من الأموال ﴿زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوهُمْ﴾: لنختبرهم ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: بالزهد فيها من غيره، ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا﴾ فتاتا ﴿جُرُزًا﴾: يابسا لا ينبت ولما تعجبت قريش من قصة أهل الكهف

(١) في هامش (د): سورة الكهف مكية مائة وعشر آيات، وإحدى عشر عند البصريين، غير آية: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ ثم النحل كلماتها (١٥٧٧) عدد سور القرآن (٢٩٦)، البصائر (١/٢٩٧)، البيان (١٧٩)،

القول الوجيز (٢٢٥) وحروفها (٦٣٦٠) عدد سور القرآن (٢٩٦)، البصائر (١/٢٩٧).

(٢) سقطت من (ع).

(٣) عدد سور القرآن (٢٩٢)، تفسير الطبري (١٥/١٥٦)، شعب الإيمان (٧/٣٣٦).

(٤) في (ن): في الآخرة.

(٥) في (ن)، و(د): تنبيه.

(٦) ليست في (د).

وسألوا النبي ﷺ امتحانا نزل^(١): ﴿أَمْرٌ﴾: بل أ ﴿حَصِيبٌ﴾: يا إنسان، ﴿أَنْ أَصْحَبَ
 الْكَهْفِ﴾: الغار في حياتهم نياما مدةً مديدةً ﴿وَالرَّقِيبِ﴾: جبل كهفهم أو لوح على بابه
 كتب فيه أنسابهم، أو هم ثلاثة دخلوا^(٢) كهفا؛ حذراً من المطر فانحطت صخرة على
 بابهم^(٣) فتوسل كلُّ منهم^(٤) بحسنه عملها، ففرج عنهم، وحديثهم^(٥) مشهور ﴿كَانُوا مِنْ
 ءَايَتِنَا﴾ آيةٌ ﴿عَجَبًا إِذْ أَوْى﴾: سكن، ﴿الْفِتْيَةَ﴾: الشبان السبعة والمختلفون فيها: إما
 أنفسهم كما ذكر في: «قال قائل منهم... إلى آخره» وإما أصل قريتهم حين هربوا من
 دقيانوس إذ أكرههم بالشرك، ﴿إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا ءَاتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾: تسترنا عنهم،
 ﴿وَهَيِّئْ﴾: يسر ﴿لَنَا مِنْ أَمْرِنَا﴾: الذي نحن فيه، ﴿رَشْدًا﴾: هداية، ﴿فَضَرَيْنَا عَلَى
 ءَأْدَانِهِمْ﴾: حجاباً يمنع السَّماع، أي: أنماهم شديداً من ضربت على يده إذا منعته
 عن التصرف ﴿فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾: معدودة ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾: أيقظناهم،
 ﴿لِنَعْلَمَ﴾: مشاهدة، ﴿أَيُّ الْحَزِينِ﴾: من المختلفين في مدة لبثهم، ﴿أَحْصَى﴾ أضبط ﴿لِمَا
 لَبِثُوا أَمْدًا﴾ غاية حاصله ضبط أمد زمان لبثهم ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾:
 بالصدق ﴿إِنَّهُمْ فَتْيَةٌ﴾: شبان ﴿ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ﴾: بالتشيت، ﴿هُدًى وَرَبَطْنَا عَلَى
 قُلُوبِهِمْ﴾: قويناهم^(٦) بالصبر على المخوفات ﴿إِذْ قَامُوا﴾: عند دقيانوس إذ
 أوعدهم^(٧) بسبب ترك الأصنام، ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا
 لَقَدْ قُلْنَا إِذًا﴾: لو دعونا غيره قولاً ﴿شَطَطًا﴾: ذا شطط، أي: إفراطٍ في الكفر ﴿هَتُوْلَاءَ﴾

(١) الدر المثور (٥/٣٧٦).

(٢) في (ن)، و (د): أدخلوا.

(٣) يعني: باب الكهف.

(٤) في (د): منهما.

(٥) في (ن): وحديثه.

والحديث صحيح، والاستدلال واه جدا، فالثلاثة الذين أوامهم المبيت إلى الغار غير هؤلاء قطعاً
 وبقينا.

(٦) في (ن): قويناها.

(٧) هددهم.

قَوْمًا أَخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلهَةً لَوْلَا هَلَّا يَا تُوتَ عَلَيْهِمْ: على عبادتهم،
 ﴿سُلْطَنِينَ﴾: بُرْهَانَ، ﴿بَيْنَ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: بالإشراك ﴿و﴾: قال
 بعضهم لبعض: ﴿إِذْ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾: إذ كانوا يعبدون الأصنام مع الله
 تعالى، ﴿فَأَوْرَأُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرُ﴾: يبسط ﴿لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾: في الدارين،
 ﴿وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ﴾: الذي أنتم فيه، ﴿مَرْفَقًا﴾: ترتفقون أي: تتفعون به من الغذاء
 ونحوه، ﴿فَأَوْرَأُوا﴾ إليه وناموا، وأجيب دُعاؤهم ﴿وَتَرَى﴾: لو رأيتمهم^(١)، ﴿الشمس إذا
 طلعت تَرْوَرُ﴾: تميل، ﴿عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾: جهة يمين الكهف ﴿وَإِذَا غَرَبَتْ
 تَقَرَّضُهُمْ﴾: تتجاوز عنهم ﴿ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ جهة شماله فلا يقع عليهم شعاعها لئلا
 يحترقوا، والكهف جنوبي، أعني بابه إلى بنات نعش^(٢)، ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ﴾: متسع،
 ﴿مِنْهُ﴾: من الكهف ليتروحووا بالهواء ﴿ذَلِكَ﴾: المذكور، ﴿مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ
 فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا وَنَحْسِبُهُمْ أَنْفِكَاطًا﴾: متبهمين لانفتاح
 أعينهم لروح الهواء ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾: نيامٌ ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾: أي:
 جهتهما كل سنة مرة لحفظ جسداهم من الأرض^(٣)، ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾: يديه
 نائم مثلهم، ﴿بِالْوَيْصِدِ﴾: بفناء الكهف، وهو كلب صيد لأحدهم طردوه فقال: أنا

(١) في (ن): لو رأيتم.

(٢) مجموعة من الكواكب معروفة عند العرب يقال: بنات نعش الكبرى، وبنات نعش الصغرى.

وأصحاب النجوم يسمون الكبرى: الدب الأكبر، والصغرى: الدب الأصغر.

* فالكبرى سبعة كواكب: أربعة منها النعش، وثلاثة منها البنات، فالأول منها يسمى القائد، والأوسط
 يسمى عناق بوزن قطام، وإلى جانبه كوكب صغير هو السها، والثالث يسمى: الحور - بحاء مهملة
 مفتوحة، بعدها او مفتوحة، بعدها راء مهملة.* وأما الصغرى فعلى تأليف الكبرى، ثلاثة بناتها: أحدها الجدي الذي تعرف به القبلة، وأربعة نعشها،
 واثنان منها الفرقدان.ويقال للواحد من بنات نعش: ابن نعش؛ لأن النجم مذكر، فإذا جمع قيل: بنات نعش، كما يقال: ابن
 عرس، وبنات عرس، وابن آوي وبنات آوي.

* ما يعول عليه - للإمام المحبى (١/٤٢٤/٢٣٥٦)، المرصع (٣٣٠)، المزهر (١/٥٢٥).

(٣) حتى لا يصابوا بقرحة الفراش أو النوم اهـ.

أَحَبُّ أَحْبَاءِ^(١) اللَّهِ، نَامُوا وَأَنَا أَحْرَسُكُمْ^(٢)، ﴿لَوْ أَطَّلَعْتَ﴾: رُؤْيَةً، ﴿عَلَيْهِمْ لَوْلَيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلَيْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا﴾: خَوْفًا مَنَعَ اللَّهُ بِهَذَا دُخُولَ النَّاسِ عَلَيْهِمْ وَأَمْرَ مَعَاوِيَةَ حِينَ غَزَا الرُّومَ^(٣) فَفَتَحُوا^(٤) لِيْرَاهِمَ فَمَنَعَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٥) مُسْتَدَلًّا بِهَذِهِ الْآيَةِ، فَأَرْسَلَ جَمَاعَةً فَلَمَّا دَخَلُوا جَاءَتْهُمْ رِيحٌ فَأَحْرَقَتْهُمْ^(٦) ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِنِسَاءِ لَوْأَ بَيْنَهُمْ﴾: مَدَّةَ لَبِثِهِمْ فَيَزِدَادُ يَقِينَهُمْ، وَاللَّامُ لِلصِّيْرُورَةِ وَالْعَاقِبَةُ ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمَّ﴾: يَوْمًا، ﴿لَيْثُهُ﴾: نَائِمِينَ، ﴿قَالُوا لَيْثًا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾: فَإِنَّهُ غَالِبُ مَدَّةِ النَّوْمِ، أَوْ لِدُخُولِهِمْ صُبْحًا وَتَنْهَبُهُمْ مَغْرِبًا، فَلَمَّا تَرَدَدُوا فِي طَوْلِ الْمَدَّةِ لَطُولِ أَظْفَارِهِمْ وَنَحْوِهِ، ﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَيْثُهُ فَأَبَعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ﴾: فَضَّتْكُمْ ﴿هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾: الَّتِي خَرَجْتُمْ مِنْهَا اسْمُهَا طَرْسُوسٌ وَفِي الْجَاهِلِيَّةِ: أَفْسُوسٌ^(٧)، ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا﴾: أَيُّ أَهْلِ الْقَرْيَةِ، ﴿أَزْكَى﴾: أَحْلَى، ﴿طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ﴾: دَلَّ عَلَى أَنَّ التَّرْوُدَ دَابُّ الْمُتَوَكِّلِينَ، ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾: فِي الْمَعَامَلَةِ أَوْ^(٨) الْإِخْتِفَاءِ، ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ﴾: لَا يَفْعَلَنَّ مَا يُؤَدِّي إِلَى أَنْ

(١) أولياء.

(٢) الوسيط (٣/١٣٩) معالم التنزيل (٣/١٥٤)، الجامع - للقرطبي (١٠/٢٤١).

(٣) غزوة المضيق.

(٤) في (ن): ففتحوها.

(٥) قال له: ليس لك ذلك قد منع الله ذلك من هو خير منك فقال: ﴿لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوْلَيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَكَلَمَلَيْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا﴾، فقال معاوية: لا أنتهى حتى أعلم علمهم، فبعث رجالا فقال: اذهبوا فادخلوا الكهف.

(٦) أخرجه الواحدى في الوسيط (٣/١٤٠) وفيه: فأخرجتهم، بدل فأحرقتهم وسنده صحيح.

(٧) الوسيط (٣/١٤١)، ترويح أولى المائة (٢/٥)، غرر التبيان (٣١٧).

وطرسوس - بفتح الطاء المهملة والراء المهملة وضم السين المهملة - بين سوريا وتركيا.

* تقويم البلدان (٢٤٨)، المسالك والممالك (٩٩)، معجم ما استعجم (٢/٨٩٠)، نزهة المشتاق

(١/٦٥٢، ٨٠٨)، معجم البلدان (٤/٢٨)، آثار البلاد (٢١٩)، الجغرافيا - لابن سعيد (١٥٠)،

مراصد الاطلاع (٢/٨٨٣) الروض المعطار (٣٨٨)، اللباب (٢/٢٧٩).

و«أفسوس» بضم الهمزة وسكون الفاء وضم السين: بلد بثمر طرسوس. * مراصد الاطلاع

(١/١٠١)، معجم البلدان (١/٢٣١)، آثار البلاد (٤٩٨، ٥٠١)، الروض المعطار (٤٩).

(٨) في (ن) و(د): و.

يشعر ﴿بِكُمْ أَحَدًا إِنَّهُمْ﴾: أهل المدينة ﴿إِنْ يَظْهَرُوا﴾: يظفروا، ﴿عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾: يقتلوكم بالرجم، ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ﴾: يصيروكم، ﴿فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا﴾: إن كفرتم، ﴿أَبَدًا وَكَذَلِكَ﴾: البعث ﴿أَعْتَرْنَا﴾: اطلعنا، ﴿عَلَيْهِمْ﴾: أهل المدينة، ﴿لِيَعْلَمُوا﴾: أهلها، ﴿أَنْتَ وَعَدَّ اللَّهُ﴾: بالبعث، ﴿حَقًّا﴾: كما في تلك^(١) الرقدة ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ لَأَرِيبٌ فِيهَا إِذْ﴾ أعتَرنا حين ﴿يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ أمر دينهم في بعث الروح فقط أو مع الجسد، ﴿فَقَالُوا أَبْنَاؤُا عَلَيْهِمْ بُنِينًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ﴾: ملكهم ومؤمنوهم، ﴿لَنْتَخِذَنَّكَ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾: نُصلي^(٢) فيه، ثم لما دخل المبعوث بالدرهم الدقيانوسي اتمموه بالعثور على الكنز، فأخبر بأن عهدي بهذه المدينة عشية أمس، فتعجبوا منه وأخذته^(٣) الملك النصراني وصدقه جمع سمعوا بتوار يخهم فجاءهم الملك مع أهل البلدة وكلموهم بما جرى، ثم ودع الفتية الملك وماتوا ودفنهم الملك وبنى عليهم^(٤)، ﴿سَيَقُولُونَ﴾: اليهود في زمانكم، هم ﴿ثَلَاثَةٌ رَأَيْعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ والكلب ما كان لهم بل لراع تبعهم في الطريق ﴿وَيَقُولُونَ﴾: النصراني ﴿خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾: يرمون في القولين ﴿رَجْمًا﴾ رميًا ﴿بِالْغَيْبِ﴾: بالخبر الخفي عنهم، ﴿وَيَقُولُونَ﴾: المسلمون ﴿سَبْعَةٌ﴾ ويقولون: ﴿ثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾: فكانهم^(٥) أخبروا به مرتين لعلمهم به، وهذا القول مرضي بقريته وصف الأولين بالرجم بالغيب «قالوا» وليست للثمانية، والمشهور أنها التي تدخل على جملة صفة للنكرة^(٦) كدخولها على الواقعة حالا من المعرفة، فهي لتأكيد لُصُوقِ الصِّفَةِ بالموصوف، وقيل

(١) ليست في (ن)، و(د).

(٢) في (ن)، و(د): يُصَلِّي فِيهِ.

(٣) في (س): فأخذه.

(٤) وقد نهي الإسلام عن هذا الصنيع الوثني اليهودي النصراني، فلا بناء على القبور لا مساجد ولا متاحف ولا غيرها، هـ.

(٥) في (س): فكانوا، وفي (ن): فكانه.

(٦) في (ن)، و(د): النكرة.

غير ذلك وهم يملixa^(١) مكثلينيا^(٢)، ومرنوش وبيرنوش وشاذنوقش وكفشطيطوش،
 و^(٣)هم أصحاب يمين الملك وأصحاب يساره راعيهم وقطمير كلبهم، ﴿قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ
 بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾: قال ابن عباس: أنا من القليل، هم سبعة^(٤) وكذا عن علي
 ﷺ^(٥) ﴿فَلَا تُمَارِ﴾: تجادل ﴿فِيهِمْ﴾: في شأنهم ﴿إِلَّا مِرَاءَ ظَهْرًا﴾: غير مُتعمق فيه^(٦)
 فأخبرهم بذلك ولا تجهلهم، ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ﴾: في قصتهم ﴿مَنْهُمْ أَحَدًا﴾: لا نعتنا
 ولا استرشادًا ﴿وَلَا نَقُولَنَّ لِشَايٍ﴾: لأجل شيء تعزم عليه، ﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ﴾: الشيء
 ﴿عَدًّا﴾: أي: فيما يستقبل (إلا أن) أي: ملتبسا بأن، ﴿يَشَاءَ اللَّهُ﴾: بأن تقول: إن شاء
 الله، إذ لما سألوه عنهم قال: أخبركم غداً بلا استثناء فأبطأ الوحي بضعة عشر يوماً
 وكذوبه، والاستثناء من النهي لا من ﴿فَاعِلٌ﴾؛ لعدم مناسبة المقصود ﴿وَأَذْكُرُ رَبَّكَ﴾:
 أي: مشيئته، ﴿إِذَا نَسِيتَ﴾: الاستثناء ثم تذكرت، فلما نزلت قال ﷺ: «إِنْ شَاءَ

(١) ويقال: إمليخا، أو تمليخا.

(٢) ويقال: مكسلمينا، أو: مكشلمينا وبالجملة ففي اللفظ بأسمائهم خلاف كبير.

* تاريخ الطبري (٦/٢)، المحرر الوجيز (٣٦٨/١٠)، الجامع - للقرطبي (٣٦٠/١٠)، عرائس
 المجالس (٤٢٦).

وقد نظم أسماءهم العلامة محمد مرتضى الزبيدي - رحمه الله - على الخلاف الوارد فيهم، فقال:

بتمليخ مكسلمين مشلين بعده	بدبرنوش مرنوش أشداء للكهف
وخذ شاذنوشا سادس الصحب ذاكرا	كفشطيطوش في رواية ذي العرف
نوانس سانينوس مع بطنوشهم	مكرطونش تلك الروايات فاستوف
وكشفوط كند سلطونوس هكذا	روينا وأرنوس على حسب الخلف
وبينونس كشفيطط أربطانس	ومركوش عند الأجلة في الصحف
وكلبهم قطمير سبع سبعة	فخذ وتمهل يا أخوا الكرب والرجف

عجائب الآثار - للجبرتي (٣١٠/٢) بتصرف.

(٣) الواو ليست في (ن).

(٤) أخرجه الواحدي في الوسيط (١٤٣/٣)، تفسير القرطبي (٢٤٩/١٠).

(٥) وكذا ابن مسعود - رواه ابن أبي حاتم (١٢٧٥٤/٧).

(٦) وهو من العلم الذي لا ينفع والجهل الذي لا يضُرُّ.

الله^(١)، واستدل به ابن عباس على أن للحالف الاستثناء ولو بعد سنة، وخالفه الجمهور؛ لظهور فساده، وأوله ابن خزيمة بأنه لأداء السنة، ورُوي^(٢) عن ابن عباس أن عدم الحنث بعد نحو سنة مخصوص بالنبي ﷺ^(٣) ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا﴾: الإخبار عن أصحاب الكهف، ﴿رَشَدًا﴾: هداية تدل على نبوتي، وقد هداه، وقيل: اذكر ربك إذا نسيت شيئاً ثم تذكرته، وإن لم تذكره، فقل عسى أن... إلى آخره^(٤) ﴿وَلَيْسُوا فِي كَهْفِهِمْ﴾: من رقادهم إلى بعثهم، ﴿ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ﴾: شمسية بحساب اليهود، ﴿وَأَزْدَادُوا﴾: بعضهم، ﴿تِسْعًا﴾: بحسابها قمرية إذا الشمسية ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وكسرا، والقمرية ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً وكسرا تفاوتهما في كل مائة سنة ثلاث سنين، و﴿سِنِينَ﴾ بدل لا عطف بيان كما مرَّ ﴿قُلْ﴾ حيث ينازعونك في هذا العدد ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لِيَتُؤَلَّهٖ غَيْبٌ﴾ عِلْمٌ غَيْبٌ ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصَرَ بِهِ﴾: ما أبصره، ﴿وَأَسْمَعُ﴾: به بما يعجب للعجب، فإن ادراكه خارج عن الإدراك، ﴿مَا لَهُمْ﴾: ما لأهل السماوات والأرض، ﴿مِنْ دُونِهِ مِنْ وَرَى﴾: يتولى أمورهم، ﴿وَلَا يُشْرِكُ﴾: الله ﴿فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾: منهم ﴿وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾: غيره، أو لا مغير لحكمه، فلا ينافي: وإذا بدلنا... الخ، ﴿وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ﴾: غيره، ﴿مُلْتَحَدًا﴾: ملجأ تعدل إليه إن لم تقل^(٥) ﴿وَأَصْبِرْ﴾: احبس، ﴿نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾: أي: كل أوقاتهم، ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾: رضاه وهم فقراء الصحابة؛ إذ طلب أشرف قريش أن يفرد لهم مجلسا دونهم، ﴿وَلَا تَعْدُ﴾ لا تصرف ﴿عَيْنَاكَ﴾ نظرك ﴿عَنْهُمْ﴾: إلى الأغنياء كعتبية وصحبه، ﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِيعُ﴾: في إبعادهم ﴿مَنْ أَعْفَلْنَا قَلْبَهُ، عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾: إسرافا، ﴿وَقُلِ الْحَقُّ﴾: كائن ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾: لا هواكم، ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ

(١) الدر المنثور (٥/٣٧٦).

(٢) في (ن): ويروي.

(٣) تفسير ابن كثير (٣/٧٨، ٧٩).

(٤) في (ن): إلخ.

(٥) يعني: إذا هممت به.

فَلْيَكْفُرْ ﴿: أمر تهديد، ولا يفهم استقلالنا إذ مشيقتنا ليست بمشيئة، ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا﴾: هيأنا، ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾: الكافرين ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهَا سُرَادِقُهَا﴾: ما أحاط بها مجاز عن الفسطاط ودخانها ولهبها، ﴿وَإِنْ يَسْتَعْجِلُوا﴾: من العطش ﴿يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَأَلْمُهْلِ﴾: مُذاب النحاس أو دردي الزيت^(١)، ﴿يَسْجُوا أَلْوَجُوهَ﴾: إذا قدم ليشرب ﴿بِئْسَ الشَّرَابُ﴾: المهمل ﴿وَسَاءَتْ﴾: النار، ﴿مُرْتَفَقًا﴾: متكأً، ذكره لمقابلة: ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾: منهم، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ﴾: جمع أسورة أو جمع سوار، ﴿مِنْ ذَهَبٍ﴾: كدأب ملوك العجم في الدنيا، ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ﴾: رقيق الديداج، ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾: غليظه، أفهم بجمعهما أن فيها ما تشتهي الأنفس، ﴿مُتَّكِنِينَ﴾: مضطجعين أو متربعين في الجلوس ﴿فِيهَا﴾ في الجنّات ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾: السرر في الحجلة وهي بيت يزين للعروس، ﴿نِعَمَ الثَّوَابِ﴾: ذلك، ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾: متكأً، ﴿وَأَضْرِبَ﴾: اجعل، ﴿لَهُمْ﴾: للكافر والمؤمن، ﴿مَثَلًا﴾: حال، ﴿رَجُلَيْنِ﴾: أخوين، مؤمنٌ اسمه يهوذا، وكافر اسمه قطروس^(٢) ورثا ما لا فأحدهما اشترى به النخل وأمتعة الدنيا، والآخر صرفه في الخير، ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا﴾: الكافر، ﴿جَنَّتَيْنِ﴾ بستانين ﴿مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْتَنَّهُمَا بِنَخْلٍ﴾: جعلنا النخل محيطًا^(٤) بهما ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا﴾: بين الكرم والنخل ﴿زُرْعًا كَثِيرًا﴾: مفرد يدل على التثنية ﴿الْجَنَّتَيْنِ ءَأَنْتَ أَكْلَهُمَا﴾: ثمرتها^(٥)، ﴿وَلَمْ تَظَلِمَا﴾: تنقص ﴿مِنْهُ﴾: من أكلها، ﴿شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا وَكَانَ لَهُمَا﴾: لصاحبها، ﴿ثَمَرٌ﴾: أموال ثمرة غير الجنتين، ﴿فَقَالَ لَصَنِحِهِ﴾: المؤمن، ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾: يراجعه في الكلام، في التفاخر، ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾: حشما وعشيرة، ﴿وَدَخَلَ

(١) اللون الذي يكون عليه من التعكير ونحوه.

(٢) ترويح أولي الدمامة (١٣/١)، غرر التبيان (٣١٩)، معالم التنزيل (٥/١٧١)، زاد المسير (٥/١٣٨، ١٣٩).

(٣) في (د): بطروس.

(٤) في (ن): محيطًا.

(٥) في (ن)، و(د): ثمرها.

جَنَّتَهُ ﴿: أخذ بيد صاحبه، أفردها؛ لأن المراد بها ما متع به تنبيها على أن ماله جنة غيرها مما^(١) وعد المتقون، أو لاتصالهما أو لدخوله في إحداهما، ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾: بكفره وعجبه، ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ يَبِيدَ﴾: تفتنى ﴿هَذِهِ﴾: الجنة، ﴿أَبَدًا﴾: لا غتراره وآماله، ولا شك أن أحوال أغنياء زماننا^(٢) كحاله، ولكن خوف سيف الشرع^(٣) أحرسهم عن مقاله، ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ﴾: القيامة، ﴿فَأَيَّمَةً﴾: كائنة، ﴿وَلَيْنَ رُودَتْ إِلَى رَبِّي﴾: فرضا، ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا﴾: من جنتي، ﴿مُنْقَلَبًا﴾: مرجعا، لأنه إنما أعطاني لاستئھالي^(٤) ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ﴾: المؤمن ﴿وَهُوَ مُحَاوِرُهُ أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ﴾: أي: أصل مادتك أو مادة أصلك، ﴿مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ﴾: عدلك ﴿رَجُلًا لَكِنَّا﴾: لكن أنا، ﴿هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾: تعريض بإشراكه ﴿وَلَوْلَا﴾: هلا ﴿إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾: كائن، ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾: اعترافا بالعجز ﴿إِنْ تَرَنَّ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَا لَا وَوَلَدًا فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا﴾: على جنتك، ﴿حُسْبَانًا﴾: صواعق ﴿مِّنَ السَّمَاءِ فَنُصِيعَ﴾: الجنة، ﴿صَعِيدًا زَلَقًا﴾: ملساء يزلق عليها ﴿أَوْ يُصِيعَ مَا وَهَّاءَ عَوْرًا﴾: غائرا في الأرض ﴿فَلَنْ نَسْتَطِيعَ لَهُ﴾: للماء، ﴿طَلْبًا وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ﴾: مجاز عن الإهلاك، ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾: يضرب إحداهما على الأخرى يتحسّر ﴿عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا﴾: في عمارتها، ﴿وَهِيَ﴾: الأشجار، ﴿حَاوِيَةٌ﴾: ساقطة ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾: دعائمها في الأرض ﴿وَيَقُولُ﴾: تأسفا عليها: ﴿يَلْبِثُنِي لِأَشْرِكِ بِرَبِّي أَحَدًا﴾: فلم يهلك بستاني، ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ﴾: جماعة، ﴿يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ﴾: أي: غير ﴿اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنْ نَصِيرًا﴾: بنفسه ﴿هُنَالِكَ﴾: أي: مقام نزول عذابه، ﴿الْوَالِكِيَّةُ﴾: بفتح الواو والنصرة وبكسرهما^(٥): الملك

(١) في (ن)، (د): كما.

(٢) يعني في زمن الكازروني - رحمه الله -.

(٣) اللهم أعده فينا هذا الزمان - آمين.

(٤) في (ن): لاسمهالي.

(٥) وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف والأعمش وابن وثاب وشيبة وطلحة.

* إتحاق فضلاء البشر (٢٩٠) السبعة (٣٩٢)، غيث النفع (٢٧٩)، النشر (٢/٢٧٧).

﴿لِلَّهِ الْحَقُّ﴾ صفة الله، وبالضم صفة للولاية^(١) ﴿هُوَ خَيْرٌ نُّوَابًا﴾: لمطيعيه، ﴿وَخَيْرٌ عَقْبًا﴾: عاقبة لهم ﴿وَأَضْرَبَ﴾: اجعل، ﴿لَهُمْ مَثَلٌ﴾: شبيهه زينة ﴿الْحَيَوَاتِ الدُّنْيَا﴾: في زهرتها وسيلانها وسرعة زوالها ﴿كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ﴾: التف وتكاثف ﴿بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾: يابساً مكسوراً، ﴿نَذَرُوهُ﴾: تفرقه، ﴿الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقَدِّرًا﴾: قادراً ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: فزوالها سريع، ﴿وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَاتُ﴾: الأعمال الصالحة الباقي أثرها، ومنه: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر^(٢)»، والصلوات^(٣) ونحوها أي: كالحج وصيام رمضان والكلمة الطيبة^(٤) وقد فسرت بكل واحدة منها ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ نُّوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً﴾: لأن صاحبها ينال ما يؤمل بها ﴿وَ﴾: اذكر ﴿يَوْمَ نُسِرُّ الْجِبَالَ﴾: في الجوب بعد قلعها، ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾: ظاهرة مستوية بلا تلال ووهاد^(٥) ويبرز ما فيها من الأموات والكنوز ﴿وَ﴾: قد ﴿حَشَرْنَهُمْ﴾ دل بالماضي على أن الحشر قبل تسييرها ليعاينوه، ﴿فَلَمْ نَعَاذِرْ﴾: نترك، ﴿وَمِنْهُمْ أَحَدًا وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ﴾ عرض الجند على السلطان ليقضي بينهم، ﴿صَفًّا﴾: مصطفين قائلين لهم: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: عراة بلا شيء أو أحياء ﴿بَلْ﴾: للخروج من قصة إلى أخرى، ﴿زَعَمْتُمْ أَنَّهُ﴾: لَنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾: للبعث، ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾: صحف الأعمال في الأيدي أو في الميزان، ﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُسْفِينِينَ﴾: خائفين ﴿مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا﴾: يا هلكتنا تعالي وتعجبي^(٦) ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ

(١) وهي قراءة أبي عمرو والكسائي واليزيدي وحميد والأعمش.

* إتحاف (٢٩٠، ٢٩١)، السبعة (٣٩٢)، غيث النفع (٢٧٩)، والنشر (٣١١/٢).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک (١/٥٤١)، والطبراني في الصغير (١/١٤٥)، والخطيب في التاريخ

(٣٣٦/٩)، وابن عدي في الكامل (٦/٢٠٨٥) والنسائي (٦/١٠٦٨٤) وصححه الألباني في صحيح

الجامع (٣٢١٩)، وآداب الزفاف (١٦٩)، والصحيحة (١٨٢٩) ولفظه: «خذوا جنتكم من النار قولوا:

سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر».

(٣) وهو تفسير ابن عباس - رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/٢٣٦٥/١٢٨٣٤) وسنده صحيح.

(٤) في ابن أبي حاتم (٧/٢٣٦٤/١٢٨٣٢): الكلام الطيب.

(٥) جمع وهذه وهي المنخفض في الأرض.

(٦) في (ع): للتعجبي!!!

صَغِيرَةً ﴿١﴾ من أعمالنا ﴿وَلَا كِبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾: عدها^(١)، وهذا لا ينافي إن تجتنبوا كبائر... الآية^(٢)، إذ لا يلزم من العد عدم التكفير ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾: في الصحف ﴿وَلَا يَظَلُمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾: فيكتب عليه ما لم يفعل، ﴿و﴾: اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾: فسر مرة، أفهم أن الملك^(٣) لا يعصى، وإنما^(٤) هو عصى؛ لأنه كان جنيا، لكن عن ابن عباس أنه كان من أشرف الملائكة خزان الجنان^(٥)، ﴿فَفَسَقَ﴾: خرج، ﴿عَنْ أَمْرِ﴾: طاعة، ﴿رَبِّهِ﴾: بترك السجود ﴿أَفَنَتَّخِذُونَهُ﴾: يا بني آدم، ﴿وَذُرِّيَّتَهُ﴾: أولاده، قيل: سُمي بها أتباعه مجازا، وقيل: يتوالدون كبني آدم^(٦) وقيل: يدخل ذنبه في دبره فيبيض^(٧) فتفلق البيضة عن جماعة من الشياطين ﴿أَوَّلِيَاءَ مِنْ دُونِي﴾: بإطاعتهم ومخالفتي ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ يَبْسُ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾: من الله تعالى إبليس وذريته، ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ﴾: أي: الشياطين، ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ﴾: بإحضار بعضهم خلق بعض، ﴿وَمَا كُنْتُ مَخْذُومًا لِلظَّالِمِينَ﴾: أي: متخذهم ﴿عَضُدًا﴾: أعوانا والمشاركة في الألوهية فرع^(٨) المشاركة في الخالقية ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾: الله، ﴿نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾: أنهم شركائي لإعانتكم^(٩) ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾: مهلكا يشتركون فيه وهو النار، أو بمنع تواصلهم ﴿وَرَاءَ﴾: عاين ﴿الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا﴾: تيقنوا، ﴿أَنَّهُمْ مُوَاعِعُوهَا﴾: مخالطوها واقعون

(١) في (ن): عدلًا.

(٢) سورة النساء.

(٣) وإبليس لم يكن من الملائكة قط.

(٤) في (ن): فأما.

(٥) أخرجه الطبري (٢٥٩/١٥) ولا يصح وإبليس من الجن ليس من الملائكة أبدا.

(٦) وهذا هو الصحيح.

(٧) من الشياطين نوع يبيض لحديث: «باض فيها الشيطان وفرخ»، لكن كون إدخال الشيطان لذنبه في دبره... الخ من الخرافات والواهيات.

(٨) في (ن): نوع.

(٩) في (ن): لأعاقبهم!! ويعني: أروني شركائي وادعوهم بجهدكم؛ ليخلصوكم ويعينوكم على خلاصكم من العذاب.

فيها من مسيرة أربعين سنة تعجيلا لغمهم ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرَفًا﴾: معدلا ﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَا﴾: بيئنا مكرراً ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾: أي: الكتاب، ﴿لِلنَّاسِ﴾: مثلاً، ﴿مِنْ﴾: جنس، ﴿كُلِّ مَثَلٍ﴾: ليتعضوا، ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ﴾: يتأتى منه الجدل^(١) ﴿جَدَلًا﴾: بالباطل إلا من عصم ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ﴾: قريش من، ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَى﴾: الرسول والقرآن، ﴿وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا﴾: انتظار^(٢) ﴿أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾: من العذاب، ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ﴾: عذاب الآخرة، ﴿قُبَلًا﴾: عيانا أو أنواعا ﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾: للمؤمنين، ﴿وَمُنذِرِينَ﴾: للكافرين، ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ﴾: نحو: «أبعث الله بشرا رسولا^(٣)» ﴿لِيُذِخُوا﴾: ليزيلوا، ﴿بِهِ﴾: بالباطل، ﴿الْحَقَّ﴾: القرآن، ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي﴾: القرآن، ﴿وَمَا أَنْذَرُوا﴾: به، ﴿هُزُوا﴾: استهزاء ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾: ولم يتدبرها، ﴿وَسَبَّى مَا قَدِمَتْ يَدَا﴾: من المعاصي ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾: أغطية كراهة، ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾: القرآن، ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾: ثقلا عن استماع الحق قبولا، ﴿وَإِنْ نَدَعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾: حقيقة ولا تقليدا ﴿وَرَبُّكَ الْعَفُورُ﴾: البليغ المغفرة، ﴿ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمْ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ﴾: تعالى في ذلك الموعد، ﴿مَوْيَلًا﴾: منجيا وملجأ ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى﴾: المجاورة لمكة كعاد ﴿أَهْلَكَنَّهُمْ﴾: أي: أصحابهم، ﴿لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ﴾: لهلاكهم^(٤) ﴿مَوْعِدًا﴾: أو لزمان هلاكهم موعدا^(٥) فاعتبروا، ﴿و﴾: اذكر، ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتْنَهُ﴾: يوشع بن نون بن إفرام بن يوسف^(٦) - عليه الصلاة والسلام - ﴿لَا أَبْرَحُ﴾: لا أزال أسير، ﴿حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾: ملتقى

(١) في (ن): الجدال.

(٢) في (س): الانتظار.

(٣) سورة الإسراء.

(٤) في (د): هلاكهم.

(٥) في (ن): وَعَدًا.

(٦) غرر التبيان (٣٢١)، مفحلمات الأقران (٣٠) تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٧٠ / ١٢٨٧٥).

بحري فارس والروم^(١) موعد لقائه مع خضر وفسر بهما فإن موسى كان بحر علم الظاهر، وخضر للباطن^(٢) ﴿أَوْ أَمْضَى﴾: أسير، ﴿حُفْبًا﴾: دهرًا طويلًا، أو سنةً، وقصته: أنه^(٣) خطب بعد هلاك القبط^(٤)، فسئل: هل أحد أعلم منك: فقال: لا، فأوحى إليه: بلى عبدنا خضر وهو بمجمع البحرين^(٥)، وهو الذي كان على مقدمة ذي القرنين الأكبر الذي لقي إبراهيم وبنى السد وطاف الدنيا لا الأصغر اليوناني^(٦) الذي طلب ماء الحياة وما وجد، فسار موسى وفتاه ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا﴾: بين البحرين رقد موسى عند صخرة فوثب الحوت المشوي في البحر من مكتلهما وهما لموسى أو الخضر، وقيل: كان حوتا مملحًا وصل إليه قطرة من ماء الحياة مما توضع به يوشع فحيى منه ﴿سَيِّحًا حُوتَهُمَا﴾: نسي موسى طلبه، ونسي يوشع ذكر ما رأى من حياته ﴿فَاتَّخَذَ﴾: جعل الحوت ﴿سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرِيًّا﴾: سعيًا^(٧) طويلًا لا منفذ له ككوة فجمد الماء حوله ولم يلتئم، وفي الآية تقديم وتأخير فلا عجب في نسيانه هذه المعجزة القرآنية؛ لأنه كان معتادا بمشاهدة معجزاته الغريبة، وصار إليها سببا لقللة اهتمامه بها، ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾: الصخرة وسارا الليلة والغداة إلى الظهر، ﴿قَالَ لِفَتَاهُ﴾: يوشع ﴿ءِإِنَّا عَدَاءُ نَا﴾: مأكول أول النهار، ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾: تعبًا بعد المجاوزة منها، ولم يع موسى في سفره غيره كما أشار إليه هذا، ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ﴾: ما جرى عليّ ﴿إِذْ أَوْتَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾: التي رقدت عندها ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾: أي: ذكر قصته، ﴿وَمَا أُنْسِينِي﴾: أي: ذكره، ﴿إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾: بدل من الضمير، ﴿وَاتَّخَذَ﴾: الحوت ﴿سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ﴾: سبيلًا ﴿عَجَبًا﴾: كما مرّ ﴿قَالَ﴾: موسى، ﴿ذَلِكَ﴾: فقد

(١) غرر التبيان (٣٢١)، فتح الباري (٤١٠/٨)، معالم التنزيل (١٨٠/٥).

(٢) الخضر نبي أيضًا، ولا دليل على ما ذكر المؤلف.

(٣) يعني سيدنا موسى.

(٤) آل فرعون.

(٥) رواه البخاري (٤٧٢٥/٢٦٢/٨)، ومسلم (٨٤٧/٤/١٧٠/٢٣٨٠).

(٦) وهو المقدوني الكافر المشرك المسمى الكساندر.

(٧) كذا، وفي (ن) غير واضحة.

الحوث ﴿مَا كُنَّا نَبْعُ﴾: نطلبه، لأنه أمانة^(١) المطلوب، ﴿فَارْتَدَّا﴾ رجعا ﴿عَلَىٰ آثَارِهِمَا﴾: يقصان، أي: يتبعان آثارهما ﴿قَصَصًا فَوْجَدًا﴾: عند الصخرة، ﴿عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا﴾: خضر بثوب مستلقيا على الأرض واسمه بليان بن ملكان^(٢) ﴿ءَأَيَّتُهُ رَحْمَةً﴾: نبوة أو ولاية وهو الأرجح^(٣)، وهو باق إلى الآن^(٤) ﴿مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا﴾: من قبلنا ممَّا لا يعلم إلا بتوفيقنا ﴿عَلِمَا﴾: بالمغيبات، ﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾: أصحبك على شرط ﴿أَنْ تَعْلَمَنَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُسُدًا﴾: للرُّشد ويجب كون الرسول أعلم من المرسل إليه في أصول دينه وفروعه، فلا نقص لموسى في ذلك إذا^(٥) لم يكن الخضر نبيا^(٦)، ثم قال: كفاك بالتوراة علما، فقال موسى: أمرني به ربي ﴿قَالَ﴾: الخضر ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾: لما ترى مني مخالفة شرعك ظاهرا ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾: ببواطنه، ﴿خَبْرًا﴾: أي: لم تخبر به وظاهره منكر، ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾: معك ﴿وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾: ما استثنى في المعصية^(٧) فعصى ﴿قَالَ فَإِنْ أَتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ﴾: أنكرته، ﴿حَتَّىٰ أَهْدِيَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾: أي: ابتدء بيانه، ﴿فَانطَلَقَا﴾: يطلبان سفينة ومعهما يوشع تبعًا ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ﴾: فأخذ قدومًا^(٨) وقطع لوحين منها حتى، ﴿خَرَقَهَا﴾: قيل: إن الماء لم يدخلها ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿أَخْرَقَهَا لِنَارِ اللَّهِ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾: عظيمًا، ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ قال ﴿موسى﴾: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا

(١) علامة.

(٢) غرر التبيان (٣٢٢)، زاد المسير (١٦٧/٥)، التعريف والإعلام (٧٣، ٧٤)، المعارف (٤٢) تفسير القرطبي (٣٤/١١).

(٣) بل النبوة الأرجح - وهو الذي عليه الجمهور. وانظر: الروض النضر في حال الخضر للإمام قطب الدين الخيصرى الشافعي، (ص ١٠٤، ١٦٢ - بتحقيقي/ ط دار الفتح).

(٤) هذه خرافة صوفية لا دليل عليها، والخضر مات؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِن قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَإِنَّ مِتَّ فَهُمْ لَمُتْلَدُونَ﴾.

(٥) في (د): إذ.

(٦) بل هو نبي؛ لقوله في آخر القصة: ﴿وَمَا فَعَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِ﴾ وهذا هو الصحيح.

(٧) يعني لم يقل: ولا أعصي لك إن شاء الله أمرًا.

(٨) هو الفأس الصغير.

نَسِيْتُ ﴿: بنسياني وصيتك، ﴿وَلَا تُرْهَقْنِي﴾: لا تكلفني، ﴿مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾: بالمؤاخذه على المشي، ﴿فَانْطَلَقَا﴾: بعد خُروجهما من السفينة، ﴿حَتَّى إِذَا لَقِيََا غُلَمًا﴾: صبيا غَضًّا^(١) يلعب مع الغلمان اسمه حيسون^(٢)، ﴿فَقَنَلَهُ﴾: قلع رأسه، دل بالفاء على عدم التراخي والتروي، بخلاف أمر السفينة ﴿قَالَ أَقْنَتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾: طاهرة قال أبو عمرو: الزاكية: التي لم تذب قط، والزكية: التي أذنبت ثم عُفرت^(٣)، قال بعض أئمة التفسير: لعله اختار الأول كذلك فإنه كان صغيرا، ويردُّ عليه ما مرَّ اختيار الملك^(٤) ﴿بِعَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾: منكرا^(٥)، قال في الأول: «إمرا»، أي: منكرا عظيما؛ لأن قتل جماعة أعظم من قتل واحد، روي أنه لما سمع^(٦) غضب واقتلع كتف الغلام الأيسر وقشره، وإذا مكتوب فيه: كافر لا يؤمن بالله أبدا^(٧) ﴿قَالَ الرَّأْفُلُ لَكَ﴾ زاد لك عقابا^(٨) على نقضه العهد مرتين، ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا ﴿: اعتراضا ﴿فَلَا نُصِجْتِي قَدْ بَلَغْتَ﴾: وجدت، ﴿مِنْ لَدُنِّي عُدْرًا﴾: لما خالفتك مرارا، ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَنْبَأَ أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾: أنطاكية^(٩)، ﴿اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا﴾: في الحديث: «كان يمشيان على مجالسهم يستطعمانهم»، وفيه تنبيه على هوان الدنيا على الله تعالى، ﴿فَأَبْوَأَانَ يُضَيِّقُوهُمَا فَوْجَدًا فِيهَا حِدَارًا﴾ قائما ارتفاعه مائة ذراع^(١٠) ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ﴾ يسقط، استعار

(١) طريا يانعا.

(٢) كذا- والصواب: جيسور- غرر التبيان (٣٢٣)، فتح الباري (٨/٤٢٠) وهو في الصحيح (٤٤٤٩/١٧٥٦/٤)، تفسير الطبري (١٥/٢٨٦).

(٣) يعني: عُفِرَ ذَنْبُهَا.

(٤) في (س)، و(ع): ما مرَّ في اختيار- أخبار- الملك.

(٥) في هامش (ع): ونصف القرآن بعد الحروف انتهى إلى النون من قوله: «نكرا»- ابن عطية.

(٦) يعني لما سمع الخضر كلام موسى- عليهما السلام.

(٧) معالم التنزيل (٣/١٧٦)، روح المعاني (١٦/١١)، تفسير الرازي (٢١/١٣٧).

(٨) كذا.

(٩) غرر التبيان (٣٢٢)، الجامع للقرطبي (١١/٢٤).

قلت: وهو بعيد جدا، لأن أنطاكية في بلاد الروم «تركيا حاليًا» وموسى والخضر- عليهما السلام-

التقيا بمجمع البحرين.

(١٠) هذه من مبالغات المفسرين والإخباريين.

الإرادة لمدانة سقوطها، فمسحه بيده كذا عن ابن عباس ﴿فَأَقَامَهُ. قَالَ لَوْ شِئْتَ﴾: أخذ شيء، ﴿لِنَخَذَتْ﴾ افتعال من «اتخذ» وكذا قرئ: (لتخذت)^(١) أي: أخذت ﴿عَلَيْهِ أَجْرًا﴾: إذ نحن جيع، ﴿قَالَ هَذَا﴾: السؤال، ﴿فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾: أضاف المصدر إلى الظرف اتساعا، وإنما فارقه في الثالث دون لا الأولين؛ لأنه كان لشهوة بطنه، وهما لفرط صلابته في الدين، ﴿سَأْنَيْتُكَ بِنَاوِيلٍ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا أَمَا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ﴾: مالا أو عجزا^(٢) عن دفع الظلم، ودلّ الأول على أن المسكين من يملك مالا يكفيه، ﴿يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرْدَتْ أَنْ أَعْيَبَهَا﴾: أجعلها ذات عيب ﴿وَكَانَ وِرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ صحيحة ﴿عَصَبًا﴾: خالف الظاهر يعني الظاهر تأخير قوله: فأردت أن أعيبها عن قوله: «وكان وراءهم ملك» تقديمًا بالنسبة في تقديم: فأردت للعناية ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا﴾: يكلفهما^(٣) ﴿طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾: أي: يحملهما حبه على متابعتة في الكفر، وفي الحديث: «إنه طبع كافرًا»^(٤) وقد مر^(٥) قصة كتفه ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رِجْمًا﴾: يرزقهما، بدله ﴿خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً﴾: طهارة من الذنوب ﴿وَأَقْرَبَ رِجْمًا﴾: رحمة على والديه، فأعطا جارية تزوجها نبيي، فولدت نبيًا هدى الله - تعالى - به أمة من الأمم ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي﴾: تلك، ﴿الْمَدِينَةِ﴾: اسمهما أصرم وصريم^(٦)، ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾: لوح من ذهب^(٧)، كتب فيه نصائح^(٨)، ﴿وَكَانَ

(١) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ويعقوب وابن محيصن. * إتحاف (٢٩٤)، السبعة (٣٩٦)، النشر (٣١٤/٢).

(٢) في (ن): وعجزًا.

(٣) في (ن)، و(د): أي: يغشيهما.

(٤) عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرًا» أخرجه مسلم (٤٧٠٥/٤)، وأبو داود (٤٧٠٥).

(٥) يعني: مر بك.

(٦) غرر التبيان (٣٢٣)، تفسير الطبري (٢٨٨/١٥)، (٥/١٦)، المحرر الوجيز (٤٣٨/١٠).

(٧) عن أم الدرداء، عن النبي ﷺ في قوله: «وكان تحته كنز لهما وكان» قال: «ذهب وفضة». أخرجه الترمذي (٥/٣٤٢٠/٣٧٦)، والحاكم (٣٦٩/٢)، والواحدي في الوسط (١٦٢/٣)، والبخاري في التاريخ الكبير (٣٦٩/٨)، وابن عدي في الكامل (٢٧٢٣/٧) بسند ضعيف وقال ابن عباس: «كان لوحًا من

أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴿: نَسَاجًا أَوْ سَبَاحًا اسْمُهُ: كَاشِحٌ، بَيْنَهُمَا وَبَيْنَهُ سَبْعَةُ آبَاءٍ (٢)﴾، ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ حلمهما وكمال رأيهما، ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَرْهُمَا﴾: ولو سقط الجدار لضاع ﴿رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ، عَنْ أَمْرِي﴾: بل بأمر الله تعالى وحيًا أو إلهامًا ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾: ومن فوائد القصة أن لا نعجب (٣) بعلمنا ولا نبادر إلى إنكار ما لا نستحسنه ونداوم على التعلم ونتدلل للمعلم، وننبه المجرم على جرمه حتى يتحقق إجرامه ثم نغفو (٤): ونهاجر عنه.

أسند الأول إلى نفسه؛ لأنه بمباشرة، والثاني؛ إلى الإثنين؛ لأن التبديل بإهلاكه وإيجاد الله بدله، والثالث إلى الله، إذ لا دخل له في بلوغه.

وأيضًا: الأول في نفسه شر، والثالث خير، والثاني خير، والثاني ممتزج وأيضًا: العارف في أوله ينظر إلى نفسه وأعماله، ثم إلى نفسه وخالقه، ثم لا يرى إلا الخالق ﴿وَسْتَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾: الأصح أنه إسكندر اليوناني (٥) الذي طاف بالبيت مع إبراهيم وكان وزيره الخضر (٦)، وصفحتا رأسه من النحاس (٧)، وبلغ قرني الدنيا (٨)، أي: طرفيها، وقيل: هو الرومي الذي قبل المسيح بثلاثمائة (٩) سنة، ووزيره

== ذهب «أخرجه الطبري (٦/١٦).

(١) قيل: مكتوب فيه: عجا لمن أيقن بالقدر ثم ينصب، عجا لمن أيقن بالنار ثم يضحك، عجا لمن يؤمن بالموت كيف يفرح، عجا لمن يوقن بالرزق كيف يتعب؟. * الوسيط (٣/١٦٢) وسنده ضعيف جدا.

(٢) غرر التبيان (٣٢٣)، المحرر الوجيز (٤٣٨/١٠)، الكشف (٤٩٦/٢)، زاد المسير (٦/١٨١)، الجامع للقرطبي (٣٨/١١).

(٣) في (ن): أن لا تعجب بعلمك، ولا تبادر... إلخ وفيها تقديم وتأخير.

(٤) إلا إذا كان حدا فيجب القصاص منه.

(٥) بل ذو القرنين نبي عربي من اليمن من الأذواء، وكان ملكا عادلا مسلما وإنما ينسبه مؤرخو الإفرنج إلى أنفسهم كذبا وزورا وهتانا وحسدا للعرب، والسعي لتجريدهم من أي: فضل أ.هـ.

(٦) تاريخ القضاعي (١٥٨، ١٥٩) ولا أظن ذلك صحيحا فبين إبراهيم وذو القرنين قرون كثيرة.

(٧) تاريخ القضاعي (١٦٠)، وضعفه ابن كثير في البداية والنهاية (١٠٣/٢).

(٨) فتوح مصر (٥٩)، مروج الذهب (١/٢٨٨).

(٩) هذا باطل؛ لأن ذا القرنين مسلم مؤحد، والمقدوني مشرك مُلحد - لعنه الله -.

أرسطو^(١)، ﴿قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ﴾: من ذي القرنين ﴿ذِكْرًا لِمَا مَكَّنَّا لَهُ﴾: أمره ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: بالتصرف^(٢) فيها كيف شاء، ﴿وَأَنبِئُهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾: أرادته، ﴿سَبِيًّا﴾: وصلة إليه من العلم والقدرة والآلة، ﴿فَأَنْبَعُ سَبِيًّا﴾: وصلة إلى المغرب أو طريقا ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي﴾: مطمح نظره لا حقيقة؛ فإنَّ الشمس في السماء الرابعة^(٣)، وهي مثل الأرض مائة وستين مرة^(٤)، ولذا ما قال: كانت تغرب، ﴿فِي عَيْنٍ﴾: ذات، ﴿جَمَشَةٍ﴾: طين أسود، وحامية أي: حارة، ﴿وَوَجَدَ عِنْدَهَا﴾: عند العين ﴿قَوْمًا﴾: كفارًا ﴿قُلْنَا﴾: له وحيا إليه أو إلى بني زمانه أو إلهاما: ﴿يَذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ﴾: بالقتل ونحوه ﴿وَإِمَّا أَنْ نَجْعَدَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾: يارشادهم، فاختر الحسن حيث قال: ﴿أَمَّا مَنْ ظَلَمَ﴾: بإصراره على الكفر، ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾: بالقتل ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا مُّكْرًا﴾: منكرًا لم يعهد مثله، ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ أي: الجنة والإضافة بيانية^(٥)، ونصبًا^(٦) حال، أي: فله الحسنى مجزيًا بها ﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا﴾: ما نأمر به أمرًا ﴿يُسْرًا﴾: عملاً لا شاقًا^(٧) ﴿ثُمَّ أَنْبَعُ سَبِيًّا﴾: وصلة إلى الشرق ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾: أول مكان طلوعها من المعمورات ﴿وَجَدَهَا تَطُّعُ عَلَىٰ قَوْمٍ﴾: هم الزنج، ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا﴾: دون الشمس، ﴿يُسْرًا﴾: من اللباس، أو من نحو الأبنية والأشجار، والمراد

(١) هو أرسطو أو أرسطا طاليس، أحد الفلاسفة الضالين، وهذا يوافق الكساندر المقدوني - لعنه الله - أما

ذو القرنين - عليه السلام - فبعيد كل البعد عن نجاسات هؤلاء.

(٢) في (ن)، و(د): يتصرف.

(٣) الأنواء (٨٤).

(٤) الشمس أحد الأجرام السماوية، وتبعد عن الأرض بنحو ٩٢.٥ مليون ميل، وهي جسم ناري يتكون من غازات مضغوطة تحتوي على ما لا يقل عن (٦٠) عنصرا من العناصر المعروفة ويقدر قطرها بنحو (٨٦٤) ألف ميل، وتبلغ درجة الحرارة على سطحها نحو (٧٠٠٠) درجة وتقدر درجة حرارتها الباطنة بنحو (٤٠.٠٠٠٠٠٠٠) أربعين مليون درجة، نصيب الأرض من هذه الحرارة لا يزيد على ٣٢٥ / ١ مليون من مجموع حرارتها. * دائرة المعارف - ص ٣٥٠ وانظر: الإعجاز العلمي (١ / ٣٨٠).

(٥) على قراءة: «جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ».

(٦) على قراءة: «جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ».

(٧) في (د): شقاقا.

دوام طلوعها عليهم في الصيف فوق الأرض، هذا وراء بربرة^(١) من تلقاء بلغار^(٢) تدور الشمس فيه بالصيف ظاهرة فوق الأرض لكن لا تسامته^(٣) رؤسهم أسس ذي القرنين، ﴿كَذَلِكَ﴾: المذكور في الملك، ﴿وَقَدْ أَحْطَيْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾: من كثرة الأسباب، ﴿خُبْرًا﴾: علما، ﴿ثُمَّ أَنْبَعَ سَبِيًّا﴾: وصلة بين المشرق والمغرب، ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾: جبلا أرمينية^(٤) من أذربيجان^(٥) المبني بينهما السد، ﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾: لقلة فطانتهم ﴿قَالُوا﴾: القوم ﴿يَبْدَأُ الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾: قبيلتين من ولد يافث، أو يأجوج من الترك، ومأجوج من الجبل ﴿مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: أرضنا، ﴿فَهَلْ يَجْعَلُ لَكَ حَرْمًا﴾: جعلاً ﴿عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾: يمنعهم عنا ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي﴾: من المال والملك، ﴿خَيْرٌ﴾: من خرجكم ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾: ما اتقوى به من الآلات، ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾: حاجزا حصينا، وهو أكبر من السد ﴿ءَأْتُونِي زُبَيْرَ﴾ قطع ﴿الْحَدِيدِ﴾: أي: ناولوني، فلا ينافي ردَّ الخرج فأتوا به، ﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ﴾: امتلا، ﴿بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾: جانبي الجبلين وازي رؤسهما بجعل الفحم والحطب في خلال^(٦) الزُّبَيْرِ ﴿قَالَ﴾: للعملة: ﴿انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا﴾: كالنار بالإحماء ﴿قَالَ ءَأْتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قَطْرًا﴾: نحاسا مذابا ليشند ﴿فَمَا اسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾: يعلوه لملاسته، ﴿وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نُقْبًا﴾: لشدته وثخنه ﴿قَالَ﴾ ذو القرنين: ﴿هَذَا﴾: السد، ﴿رَحْمَةً مِن رَّبِّي﴾: على عباده، ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ﴾: أي: وقت وَعْدِ رَبِّي ﴿بِخروجهم أو قرب الآخرة﴾ جَعَلَهُ دَكَّاءَ ﴿مَدًّا﴾: أرضا مستوية،

(١) بربرا: قاعدا بلاد الحبشة. * تقويم البلدان (١٥٨)، معجم ما استعجم (١/٢٣٩)، معجم البلدان (١/٣٦٩).

(٢) ويقال لها: بلاد بُلَّار، وهي بلغاريا حاليا. * تقويم البلدان (٢١٦)، معجم البلدان (١/٤٨٥، ٤٨٨)، مرصد الاطلاع (١/٢١٩).

(٣) توافقه وتساويه.

(٤) إرمينية: دولة معروفة بجانب أذربيجان. * تقويم البلدان (٣٨٦)، صورة الأرض (٣٣١).

(٥) أذربيجان: إقليم معروف وراء العراق. * معجم البلدان (١/١٢٨)، آثار البلاد - للقرظيني (٢٨٤)، الروض المعطار (٢٠)، أحسن التقاسيم (٣٧٥).

(٦) فوارق.

وقصرًا^(١): مذكوكًا، مستوٍ بالأرض، ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾: كائنا، تمت قصة ذي القرنين.
 قال تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ﴾ بعض يأجوج ومأجوج، ﴿يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾: كموج
 الماء لكثرتهم، ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ القرن كما مرَّ ﴿فَجَمَعْتَهُمْ جَمْعًا﴾: للمجازاة، ﴿وَعَرَضْنَا﴾:
 أظهرنا، ﴿جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ﴾: غشاوة ﴿عَنْ﴾ رؤية،
 ﴿ذَكَرِي﴾ آياتي اعتبارا، ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾: لكلامي لصممهم عن الحق،
 ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا﴾: أي: اتخاذهم، ﴿عِبَادِي مِنْ دُونِ أَوْلِيَاءٍ﴾: لا يغضبني؟!
 ﴿إِنَّا أَعْدَدْنَا﴾: أعددنا ﴿جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾: ما هيئاً للضيف أول نزوله^(٢)، فكيف بالضيافة؟
 ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾: جمع التمييز لتنوع الأعمال هم ﴿الَّذِينَ ضَلَّ﴾: بطل ﴿سَعْيُهُمْ﴾
 في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا: لعجبهم وجهلهم، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بَاتَتْ رِيبَهُمْ﴾
 ولقائه فحطت ﴿بطلت﴾ أعمالهم: لكفرهم، ﴿فَلَا نَقِيمُ﴾ نجعل ﴿لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾: قدرا،
 أو: لا نزن أعمالهم لا نجباطها، وأما قوله: «وأما من خفت موازينه^(٣)» ففي العصاة،
 الأمر ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ مَن جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُرُورًا﴾: لم يعتبروها، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا﴾
 الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ: أعلى الجنة ﴿نُزُلًا﴾: كما مرَّ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا﴾
 حوَلًا: تحوُّلاً ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ﴾: ماؤه، ﴿مِدَادًا﴾: ما يستمد به الكاتب الكلمات وهي
 الدالة على حكمه، ﴿لِنَفِدَ الْبَحْرُ﴾: ماؤه؛ لأنه متناه، ﴿قَبْلَ أَنْ نَقْدَكُمْتُ رَبِّي﴾: لأنها غير
 متناهية، ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ﴾: بمثل البحر الموجود، ﴿مِدَادًا﴾: معونة ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾
 يُوحَىٰ إِلَىٰ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَجِدُّهُ: خصصت بالوحي، ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾: يطمع في حسن
 لقائه ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾: موافقا للشرع، ﴿وَلَا يَشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ﴾: أي: فيها ﴿أَحَدًا﴾:
 بالرياء، أو طلب أجر، كمن يسره أن يطلع على عمله والمراد: الشرك الخفي، ودل

(١) وهي قراءة ابن عامر ونافع وابن كثير وأبي عمرو وعاصم ويعقوب وحفص.

* إتحاف فضلاء البشر (٢٩٦)، السبعة (٤٠٢)، غيث النفع (٢٨٣)، النشر (٢٧١/٢).

(٢) في (د): نزوله.

(٣) سورة القارعة.

عليه الحديث^(١).



(١) يشير إلى حديث: «الشرك الخفي أن يعمل الرجل لمكان الرجل». أخرجه الحاكم في مستدرکه (٣٢٩/٤). وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/٣٧٣٠)، وصحيح الترغيب (٢٧).

«سورة مريم»^(١): مكية^(٢) إلا آية السجدة^(٣)

لما نهى عن الشُّرك الخفيّ أعقبه بقصّة من كان يُخفي مناجاته؛ حدراً من ذلك، وذكر ما أنعم الله عليه بسبب ذلك فقال:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿كَهَيْعَصَ﴾: كما مرّ، هذا المتلوّ ﴿ذَكَرْ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ﴾: مفعول رحمة، ﴿زَكَرِيَّا﴾ ﴿إِذْ نَادَى﴾: دَعَا ﴿رَبَّهُ، نِدَاءً﴾: دُعَاءً ﴿خَفِيًّا﴾: للإخلاص ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ﴾: ضَعَفَ ﴿الْعَظْمُ مِنِّي﴾: وهو دعامة^(٤) البدن فغيره أولى ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ﴾: مَنِي ﴿شَيْبًا﴾: شبهه بالنار في بياضه وإنارته ثم باشتعالها^(٥) في انتشاره^(٦) في الشَّعر، وأسند إلى مكان الشعر مبالغة، ﴿وَلَمْ أَكُنْ﴾: قبل، ﴿يَدْعَايَكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾: خائبًا، بل كنت مجابًا، وهذا الذي أطمعني فيه، ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوْلَى﴾: عصبتي، أن لا يحسنوا الخلافة، ﴿مِنْ وَرَائِي﴾: بعد موتي، إذ كانوا من الشرار، ﴿وَكَأَنْتِ أَمْرَأَتِي عَاقِرًا﴾: لا تلدُ ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾: مخترعا منك بلا سبب، ﴿وَلِيًّا﴾: من صُلبي ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ بن إسحاق، أو أخي زكريا، أو عمران، يرث العلم والنبوة، إذ النبي لا يُورث، وأتى بـ«من» في الثاني لنبوة بعضهم ﴿وَأَجْعَلُهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾: مرضيا عند الكل فأجابه وقال: ﴿يَنْزَكِرِيًّا إِنَّا نَبِئُشْرُكٍ بِغُلَامٍ

(١) ترك ناسخ نسخة (د) بيان عدد الكلمات والحروف في كل سورة من هنا إلى آخر القرآن، وسأثبتها - إن شاء الله - من الكتب التي تعنى بذلك - فكللماتها: (٩٦٢) كلمة، وحروفها (٣٨٠٢) حرف.

* عدد سور القرآن (٣٠٠)، البصائر (١/ ٣٠٥) البيان (١٨١)، القول الوجيز (٢٢٩).

(٢) في (د): سورة مريم - عليها الصلاة والسلام - مكية.

(٣) في هامش (ن): بلغ مُقابلة.

(٤) بكسر الدال المهملة: عماد البيت الذي يقوم عليه، وقد أدمت إذا اتكأت عليها.

* لسان العرب (٧/ ١٨٤) دعم).

(٥) في (ن): باشتعالهما.

(٦) في (س): انتشاره.

أَسْمُهُ، يَحْيَى لَمْ يَجْعَلْ لَهُ، مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴿﴾: شبيها إذ ما هم بمعصية أو لم يُسَمَّ به أحد، ﴿﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى ﴿﴾: كيف، ﴿﴾ يَكُونُ لِي عَلْمٌ وَكَانَتْ أَمْرًا قِيًّا وَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿﴾: يبسا في المفاصل، يعني: أتهني مع الشيخوخة والفقر، أو تردنا إلى حالة أُخْرَى ﴿﴾ قَالَ ﴿﴾ المبشر: نهبك ﴿﴾ كَذَلِكَ ﴿﴾: بلا تغيير، ﴿﴾ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ ﴿﴾: يسير، ﴿﴾ وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿﴾: أفهم أن المعدوم ليس بشيء، ﴿﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي حَـ آيَةً ﴿﴾: علامة لوقوعه ﴿﴾ قَالَ آيَاتُكَ أَلا تُكَلِّمُ النَّاسَ تِلْكَ لِيَالٍ ﴿﴾: مع أيامها، ﴿﴾ سَوِيًّا ﴿﴾: في الخلق بلا نحو خرس أو: كاملات، فلمَّا حملت أصبح لا يقدر على التكلم مع قدرته على قراءة التوراة، ﴿﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ ﴿﴾: مصلاه أو غرفته، ﴿﴾ فَأَوْحَى ﴿﴾: أشار إليهم، ﴿﴾ أَنْ سَبِّحُوا ﴿﴾: صلُّوا ﴿﴾ بِكُرَّةٍ وَعَشِيًّا ﴿﴾: طرفي النهار، ولما وهب وبلغ الفهم قال الله تعالى له: ﴿﴾ يَبْيَحِيْ حُذِّ الْكِتَابِ ﴿﴾: التوراة، ﴿﴾ بِقُوَّةٍ ﴿﴾: بجهد، ﴿﴾ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ ﴿﴾: النبوة أو الحكمة وفهم التوراة، ﴿﴾ صَبِيًّا ﴿﴾: له سبع سنين أو ثلاث، ﴿﴾ وَ﴿﴾ آتِنَاهُ، ﴿﴾ حَنَانًا ﴿﴾: رحمة، ﴿﴾ مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكَاةً ﴿﴾: طهارة من المعاصي، ﴿﴾ وَكَانَتْ تَقِيًّا ﴿﴾: ما أذنب وما همَّ بذنب ﴿﴾ وَ﴿﴾: كان ﴿﴾ بَرًّا ﴿﴾: كثير البر، ﴿﴾ يُولَدِيهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَارًا ﴿﴾: متكبرًا ﴿﴾ عَصِيًّا ﴿﴾: عاصيا، ﴿﴾ وَسَلَامٌ ﴿﴾: من الله، ﴿﴾ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ ﴿﴾: من مس الشيطان، ﴿﴾ وَيَوْمَ يَمُوتُ ﴿﴾: من عذاب القبر، ﴿﴾ وَيَوْمَ يُبْعَثُ ﴿﴾: من أهوال القيامة، ﴿﴾ حَيًّا ﴿﴾: خصها لأنها أَوْحَشَ أحوالنا ﴿﴾ وَأَذْكَرَ فِي الْكِتَابِ ﴿﴾: القرآن، قصة ﴿﴾ مَرْيَمَ إِذْ أَنْبَدَتْ ﴿﴾: اعتزلت، ﴿﴾ مِّنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿﴾: من المسجد الأقصى للعبادة، ﴿﴾ فَأَخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ ﴿﴾: دون القوم ﴿﴾ حِمَابًا ﴿﴾: استترت منهم لتغتسل من الحيض، ﴿﴾ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴿﴾: جبريل ﴿﴾ فتمثل لها ﴿﴾: بعد لبسها ثيابها، ﴿﴾ بَشْرًا ﴿﴾: إنسانا، ﴿﴾ سَوِيًّا ﴿﴾: تامًّا تمثل شابًا أمرد لتستأنس به ﴿﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿﴾: فكيف إذا لم تتق، ﴿﴾ قَالَ ﴿﴾: جبريل، ﴿﴾ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ ﴿﴾: لأتسبب في هبة الله لك، ﴿﴾ عَلَّمَا زَكِيًّا ﴿﴾: طاهرا ولا يلزم منه نبوتها، فإنه ليس وحي رسالة فيمكن في غير النبي وكذا قال مقاتل في أم موسى إنها أوحى إليها جبريل ﴿﴾ قَالَتْ أَنَّى ﴿﴾: كيف، ﴿﴾ يَكُونُ لِي عَلْمٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي ﴿﴾: يباشرنى،

﴿بَشْرٌ﴾: نكاحا، ﴿وَلَمْ أَكُ بَعِيًّا﴾: زانية ولا تاء فيه؛ لأنه مبالغة أو نسبة، وفيه ما في قصة زكريا، ﴿قَالَ﴾: يهبك^(١) الولد ﴿كَذَلِكَ﴾: بلا مس بشر، ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ﴾: وهب^(٢) غلام بلا أب ﴿عَلَى هَيْنٍ﴾: يسير، ﴿وَ﴾: نهبك ﴿لِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ﴾: على كمال قدرتنا، ﴿وَرَحْمَةً مِنَّا﴾: على العباد بهدايته، ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾: في علم الله تعالى، فنفخ في جيبها بحيث وصلت^(٣) فرجها ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾: ثمانية أشهر إرهابا^(٤) لعيسى؛ إذ لا يعيش مولود ثمانية أشهر ﴿فَأَنْتَبَذَتْ﴾: اعتزلت به ملتبسة بالحمل، ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾: بعيدا، مخافة أن لا يعيش ﴿فَأَجَاءَهَا﴾: جاء لها أو ألقاها، ﴿الْمَخَاضُ﴾: وجع الولادة ﴿إِلَى جَنَعِ النَّخْلَةِ﴾: لتعتمد عليه في الولادة، ﴿قَالَتْ﴾: استحياء ومخافة ﴿بَلَيْتِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾: الأمر، ﴿وَكَنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا﴾: شيئا شأنه أن ينسى، أو ما يرمى به ﴿فَنَادَتْهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾: عيسى أو جبريل إذ كان كالقابلة^(٥) لها ﴿أَلَا تَحْزَنِي﴾: سلاها بظهور معجزتين يدلان على عصمتها ﴿فَدَجَعَلَ رَبُّكَ تَحَنُّكَ سِرِيًّا﴾: نهرا أو سيذا، ﴿وَهَزِي﴾: أميلي، ﴿إِلَيْكَ بِجَذَعٍ﴾: جذع^(٦) ﴿النَّخْلَةِ تَسْقُطُ﴾: تتساقط النخلة، ﴿عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا﴾: غضًا، كانت نخلة يابسة بلا رأس فلما هزتها أثمرت في غير أوانه، ﴿فَكُلِّي﴾: من الرطب، ﴿وَأَشْرِي﴾: من النهر أو عصيره، ﴿وَقَرِي عَيْنًا﴾: طيبى نفسك من القر برد، فإن دَمعة السرور باردة^(٧) ﴿فِيمَا تَرِينَ﴾: إن ترى ﴿مِنَ الْبَشْرِ أَحَدًا﴾: يسألك عن ولدك، ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾: وكان يجب الصَّمت فيه^(٨)، أو صمتا^(٩)

(١) في (د): نهبك.

(٢) يعني: هبة.

(٣) يعني النفخة.

(٤) علامة على نبوته.

(٥) يعني يسليها ويقوم بأمرها.

(٦) يعني: الباء في «بجذع» صلة.

(٧) عذبة، ودمعة الحزن حارة ملحة.

(٨) في صياهم.

(٩) وقرئ به.

﴿فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْشِيًّا﴾: أي: بعد ذلك، أو قولي بالإشارة، فإن ولدك يكفيهم جواباً، ﴿فَأْتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾: فلما رأوه، ﴿قَالُوا يَمْرَيْمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾: بديعاً^(١) منكرًا ﴿يَتَأَخَتَ هُرُونَ﴾: جدّها^(٢) فهو مثل: يا أختا تميم^(٣)، أو صالح من بني إسرائيل تبع جنازته أربعون ألفاً كلهم يُسمى هارون سوى سائر^(٤) الناس، أي: يا أخته صلاحاً، ﴿مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءًا﴾: زانياً، ﴿وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَغِيًّا﴾: زانية، ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾: إلى عيسى أن كلموه ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ﴾: وجد، ﴿فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾: قال: عيسى، ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ﴾: الإنجيل، قيل: درسه في بطن أمه^(٥) أو التوراة، ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾: وجعلني مباركًا: نفاعًا ﴿أَيْنَ﴾: حيث ﴿مَا كُنْتُ وَأَوْصِنِي﴾: أمرني، ﴿بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾: إن ملكت شيئاً أو تطهير النفس، ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾: وتأخير التكليف في غيره إلى البلوغ لترقب عقله، وهو ولد تام العقل، بل قيل: استنبى حينئذ (و) جعلني (برا) باراً (بوالدتي ولم يجعلني جباراً) متكبراً (شقياً) عاصياً (والسلام) عرفه للعهد، ولا يضر كون الأول من الله؛ لاتحادهما ماهية (عليّ يوم ولدت) من مسّ الشيطان (ويوم أموت) من سوء الخاتمة (ويوم أبعث حياً) من أهوال القيامة ﴿ذَلِكَ﴾: الموصوف، ﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾: لا كما يصفه النصارى^(٦) ﴿قَوْلِكَ﴾: كلمة، ﴿الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾: عند اليهود ساحر، وعند النصارى ابن الله، ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ﴾: تنزيهه عن ذلك، ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾: فلا يحتاج في اتخاذ ولد إلى إقبال أنثى، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا﴾ الطريق ﴿صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾: فسر مرة ﴿فَأَخْلَفَ الْأَخْرَابُ﴾:

(١) جديداً مُبتدعاً.

(٢) ليس صحيحاً والصحيح ما رواه مسلم في صحيحه (١٦٨٥) عن المغيرة بن شعبة أن أهل نجران سألوه: أستم تقرأون: يا أخت هارون، وقد علمتم ما كان بين موسى وعيسى؟! فلم أدرما أجيبهم فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم.

(٣) تفسير الطبري (٥٩/١٦)، الوسيط (١٨٢/٣).

(٤) باقي.

(٥) هذا لا يصح.

(٦) في (ن): كما لا تصف النصارى.

اليهود والنصارى، أو فرق النصارى كما مرَّ ﴿مِنْ بَيْنِهِمْ﴾: بين الناس، ﴿قَوْلٍ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدٍ﴾: شهود هول، ﴿يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: القيامة، ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ ما أسمعهم وما أبصرهم ﴿يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ ولا ينفعهم حينئذ ﴿لَكِنَّ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي﴾: الدنيا، ﴿ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾: لا يسمعون الحق ولا يبصرونه، ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾: للمسيء على الإساءة، والمحسن على الإحسان، ﴿إِذْ فُضِيَ الْأَمْرُ﴾: أمر القيامة، ﴿وَهُمْ﴾: الآن، ﴿فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ إِنْ أَنْحَرْنَا نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾: بفناء كلهم وبقائنا، ﴿وَالْيَنَابِرُ جُوعُونَ﴾: للجزء، ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ﴾: القرآن قصة ﴿إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا﴾: ملازما للصدق كثير التصديق ﴿نَبِيًّا إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ﴾: ما سماه استعطافا ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي﴾ يدفع ﴿عَنْكَ شَيْئًا﴾: من المكاره أو لا ينفعك، ﴿يَتَّابَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾: لم يصف نفسه بالعلم وأباه بالجهل رفقا ﴿فَاتَّبَعَنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾: مستقيما، ﴿يَتَّابَتِ لَا تَعْبُدْ﴾: لا تطع، ﴿الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾: وتابع العاصي عاص ﴿يَتَّابَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾: مع كثرة رحمته، ﴿فَتَكُونُ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾: قرينا في اللعن أو العذاب، ﴿قَالَ﴾ أبوه: ﴿أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ الْهَيْتِ يَا إِبْرَاهِيمُ لِمَ لَمْ تَتَنَّهُ﴾: عن مقاتلك فيها ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾: بالحجارة، أو لأشتمنك فاحذرنى، ﴿وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا﴾: زمانا طويلا ﴿قَالَ﴾ إبراهيم: ﴿سَلِّمْ عَلَيَّ﴾: سلام متاركة^(١)، ﴿سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي﴾: ليوفقك لموجب المغفرة، ﴿إِنَّهُ﴾: تعالى ﴿كَانَ بِي حَفِيًّا﴾: بليغ البر، ﴿وَأَعْتَرَلَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾: تعبدون (من دون الله وأدعوا): أعبد، ﴿رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾: خائبا كخبيتكم بدعاء آلهتكم ﴿فَلَمَّا أَعْتَرَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: وهاجروا إلى الشام ﴿وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ﴾: ابنه ﴿وَيَعْقُوبَ﴾: ابن ابنه، خصهما بالذكر ليعلم

(١) قال ابن العماد الإقفهسي: والسلام أنواع: سلام المودة، وهو سلام المؤانسة، وسلام المسالمة معناه: أنت سالم مني وأنا سالم منك، وسلام المفارقة: عند القيام من المجلس وهو سنة، وسلام المتاركة: مثل له العلماء بقوله تعالى: ﴿قَالَ سَلِّمْ عَلَيَّ﴾، وبقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلِّمُوا﴾ الفرقان (٦٣)، المعنى: تركوهم ومضوا سالمين. * تسهيل المقاصد (٢٩٧).

إسماعيل بفضلِه منفرداً، ﴿وَكَلًّا﴾: منهما، ﴿جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ و﴿وَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا﴾: النبوة وغيرها، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾: ثناء حسناً في كل الملل عني باللسان ما يوجد به، ﴿وَأَذْكَرَ فِي الْكِتَابِ﴾: قصّة ﴿مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾: اخلصناه لعبادتنا، وبالكسر ظاهر^(١)، ﴿وَكَانَ رَسُولًا﴾: هو من يأتيه الملكُ بوحى الرّسالة ﴿نَبِيًّا﴾: هو من أوحى إليه ولو في النوم، آخره مع أنه أعم؛ لإفادة إنباءه بكل ما أمر ﴿وَنَدَبْتَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾: الذي على يمين موسى أو من اليمين ﴿وَقَرَّبْتَهُ﴾: تقرب تشريف ﴿نَجِيًّا﴾: مُنَاجِيًّا بتكليمه^(٢) أو مرتفعاً، إذ رفع فوق السموات فسمع صرير الأقدام^(٣) ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ﴾: أي: مؤازرته إجابة لدعائه، ﴿نَبِيًّا﴾ و﴿وَأَذْكَرَ فِي الْكِتَابِ﴾: قصّة ﴿إِنَّمَعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ قال: ستجدني^(٤) الخ فوفى به ﴿وَكَانَ رَسُولًا﴾ إلى جُرْهُم ﴿نَبِيًّا﴾: مرّ بينهما^(٥) وعلى القول الأصح لا إنكار ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾: اشتغالا بالأهم فالأهم أو قومه، ﴿وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ و﴿وَأَذْكَرَ فِي الْكِتَابِ﴾: قصّة ﴿إِدْرِيسَ﴾: أوّل من خطّ وعلم النجوم والحساب، وخاط ولبس المخيط وأخذ السلاح وغزا^(٦) ﴿إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا﴾ و﴿رَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾: النبوة أو السماء أو الجنة بعد أن أذيق الموت وأحىي ﴿أُولَئِكَ﴾: المذكورون، ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ﴾: يعني إدريس^(٧) ﴿وَمِنْ﴾ ذرية ﴿مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾: في سفينته، يعني إبراهيم، فإنه من سام، ﴿وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ﴾: يعني إسماعيل وإسحاق، ﴿وَإِسْرَائِيلَ﴾: يعقوب، يعني موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى، ﴿وَمِنْ﴾: جملة، ﴿مَنْ هَدَيْنَا﴾: إلى الحق، ﴿وَأَجَبْنَا﴾: للنبوة، ﴿إِذَا نُنَادَى

(١) يعني «مُخْلَصًا» وهي قراءة ابن عامر وابن كثير وأبي عمرو ونافع وعاصم وشعبة وأبي جعفر ويعقوب.

* إتحاف (٢٩٩)، السبعة (٤١٠)، غيث النفع (٢٨٥)، النشر (٢/٢٩٥).

(٢) في (ن): بتكليم.

(٣) قال ابن عباس أدنى حتى سمع صريف القلم. * تفسير ابن كثير (٣/١٢٤).

(٤) سورة الصافات.

(٥) في (ن): بيانا.

(٦) انظر: فردوس الجنان. * للمناوي (١٧/بتحقيقي).

(٧) هذا خطأ وإدريس غير آدم.

عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ حَرُورًا ﴿١﴾: سقطوا ﴿سُجَّدًا وَبُكْيًا﴾: باكين، في الحديث: «اقرأوا^(١) القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا^(٢)»، ﴿فَخَلَفَ﴾: عقب وجاء، ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾: يعني العقب السوء وافتتح اللام^(٣) ضده ﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾: تركًا وتأخيرًا ﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾: شرًّا أو واديا في جهنم تستعيد منه أوديتها، ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ﴾: ينقصون ﴿شَيْئًا﴾: من ثوابهم، ﴿جَنَّتِ﴾: بدل من الجنة ﴿عَدَنِ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ﴾: جمع عابد، ﴿بِالْفَيْبِ﴾: غائبين عنه أو عنها ﴿إِنَّهُ﴾: تعالى ﴿كَانَ وَعْدُهُ﴾: موعوده ﴿مَأْنِيًّا﴾: مفعولا، أو آتيا، ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾: فضول الكلام، ﴿إِلَّا سَلَامًا﴾: دُعاءً بالسلامة من الملائكة فإنَّ ظاهره لغو، وحقيقته إكرام أو مثل:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم^(٤)..... إلى آخره.

أو بمعنى لكن، ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾: على التمثيل بعادة^(٥) الدنيا أو دائما، ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾: من الشرك يرثونها من الكفار، ولما أبطأ جبريل بعدها سئل ﷺ عن الروح وغيره كما مرَّ، اشتكى إليه فقرا، ﴿وَمَا نَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ

(١) في (ن)، و(د): اتلوا.

(٢) ذكره البيضاوي في أنوار التنزيل (٤٠٨) بلفظ: «اتلوا القرآن»، والصواب: «إن هذا القرآن نزل بحزن، فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا وتغنوا به فمن لم يتغن به فليس منا». أخرجه ابن ماجة (١٣٣٧)، وأبو يعلى (٦٨٩) والأجري في أخلاق أهل القرآن (٨٥)، والبيهقي (٢٣١/١٠) وفي الشعب (٣٢٣/٢/١) وسنده ضعيف.

(٣) خلف.

(٤) صدر بيت من الطويل وعجزه:

* بهن فلول من قراع الكتابات *

وقائله النابغة الذبياني - والشاهد فيه نصب «سلاما» على الاستثناء المنقطع، والشاهد هنا: تأكيد المدح. * ديوان النابغة (٤٤)، الأزهية (١٨٠)، إصلاح المنطق (٢٤)، خزنة الأدب (٣٢٧/٣)، ٣٣١، ٣٣٤، الدرر (١٧٣/٣)، شرح شواهد المغني (٣٤٩)، الكتاب (٣٢٦/٢)، معاهد التنصيص (١٠٧/٣)، همع الهوامع (٢٣٢/١).

(٥) في (د): لعادة.

رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا ﴿١﴾: أمر الدنيا أو الأرض ﴿وَمَا خَلَفْنَا﴾: أمر الآخرة أو السماء، ﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾: بين النفختين أو الهواء ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾: تاركاً لك، هو ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ﴾: اصبر، ﴿لِعِبَادَتِهِ﴾: ولا تتضيق ^(٢) من بطء الوحي، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾: مثلاً أو أحداً سُمِّيَ بالله فإنهم لم يسموا به ^(٣) أصنامهم قط، ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ﴾: إنكاراً كأبي بن خلف ﴿أَيُّ دَأْمًا﴾: صلة، ﴿مَتَّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾: من الأرض، ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ﴾: يتفكر، ﴿الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْتَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾: بإعادته أهون، ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾: كل مع شيطانه في سلسلة، ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾: قعوداً على الركب، و الظاهر أنهم يساقون جثياً في ^(٤) الموقف إليه؛ لقوله: «وترى كل أمة جاثية... الخ» ^(٥)، ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ﴾: لنخرجن، ﴿مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ﴾: أمة شاعت ديناً، ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾: جرأة ومعصية، أي: ينزع الأعمى فالأعمى فيطرح فيها، ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾: احتراقاً فلا نظلمهم، ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿مَعَكُمْ﴾ أحد ﴿إِلَّا وَارِدُهَا﴾: جهنم وورود مرور ويكون ^(٦) على المؤمن برذاً وسلاماً ويمر بها دون الكافر، وفسر بالصراط ^(٧)، ﴿كَانَ﴾: ورودهم ﴿عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا﴾: واجبا، ﴿مَقْضِيًّا﴾: عليكم، ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾: الكفر ﴿وَنَذُرُ الظَّالِمِينَ﴾: الكافرين، ﴿فِيهَا جِثِيًّا﴾: كما كانوا كيف لا، ﴿وَإِذَا نُنزِلُ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾: واضحات الإعجاز ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ﴾: منا ومنكم، ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا﴾: مكاناً،

(١) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟ فنزلت: ﴿وَمَا نُنزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾. أخرجه البخاري

في صحيحه (٣٢١٨، ٤٧٣١، ٧٤٥٥، ٣١٥٨).

(٢) في (ن): تضيق.

(٣) في (ن)، و(د): فإنهم ما سموا.

(٤) في (ن): من.

(٥) سورة الجاثية.

(٦) الورد.

(٧) أخرجه البخاري (١٤٦/٨)، ومسلم (١٨٧/١).

﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾: مَجَلَسًا تَفَاخَرُوا بِحِظْوِظِ الدُّنْيَا، ﴿وَكَرِيمًا﴾: كَثِيرًا، ﴿أَهْلَكَمَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنِهِمْ أَحْسَنُ أَثْنًا﴾: مَتَاعِ الْبَيْتِ، ﴿وَرِيًّا﴾: هَيْئَةً فَلَمْ يَنْفَعَهُمْ، ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ﴾: الْكُفْرَ ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ﴾: لِيَمَهْلَهُ بِالْمَتَمَتَّعَاتِ، ﴿الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾: لِقَطْعِ مَعَاذِيرِهِ، ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ﴾: فِي الدُّنْيَا ﴿وَأِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ﴾ حِينَئِذٍ ﴿مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾: فِيهِ، ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ أَحْتَدَوْا هُدًى﴾: وَهُوَ خَيْرٌ مِمَّا أُعْطِيَ الْكُفْرَةَ كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ، ﴿وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَاتُ﴾: فَسُرَّتْ مَرَّةً^(١)، ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾: مَرَجَعًا، هَذَا مِثْلُ: الصَّيْفِ أَحْرَمَ مِنَ الشِّتَاءِ، ﴿أَفْرَأَيْتَ﴾: أَخْبَرَ بِقِصَّةِ، ﴿الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾: عَاصِ^(٢) بَنِ وَائِلٍ إِذْ طَلَبَ خِيَابَ^(٣) حَقِّهِ مِنْهُ فَاسْتَهْزَأَ^(٤)، ﴿وَقَالَ لَا يُؤْتِيكَ﴾: حِينَ أُبْعِثَ، ﴿مَالًا وَوَلَدًا﴾: فَأَعْطَيْكَه، وَبِضْمِ الْوَائِلِ^(٥) جَمْعٌ أَوْ لُغَةٌ فِيهِ، ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ﴾ فَعَلِمَ أَنَّهُ يُؤْتَى ﴿أَوْرَ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ أَنْ يُؤْتِيَهُ حِينَئِذٍ ﴿كَلَّا﴾: لَيْسَ كَمَا تَصُورُ، ﴿سَنَكُنُّبُ﴾: سَنَنْتَقِمُ مِنْهُ انْتِقَامًا مِنْ يَكْتَبُ ﴿مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ﴾: نَطْوُلُ ﴿لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾: أَوْ مَضَاعِفَةً ﴿وَرِثُهُ﴾: بِمَوْتِهِ، ﴿مَا يَقُولُ﴾: مِنَ الْمَالِ وَالْوَالِدِ ﴿وَيَأْتِينَا﴾ ﴿فَرَدًّا﴾: فِي الْقِيَامَةِ بِلَا شَيْءٍ، ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهًا لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾: يَتَعَزَّزُونَ بِشَفَاعَتِهِمْ، ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ﴾: أَلْهَتَهُمْ، ﴿بِعِبَادَتِهِمْ﴾: يَجْحَدُونَهَا، ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾: أَعْدَاءٌ يَقُولُونَ رَبَّنَا عَذِبَ مَنْ عِبَدْنَا ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: لِلتَّعَجُّبِ، ﴿أَنَّا أَرْسَلْنَا﴾: سُلْطَنَا، ﴿الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾: أَي: خَلِينَاهُمْ وَإِيَاهُمْ، ﴿تَوَزُّؤُهُمْ﴾: تَحْرِكُهُمْ إِلَى الْمَعَاصِي ﴿أَزًّا﴾: فَلَا تَعَجَّلْ عَلَيْهِمْ: بِطَلْبِ عِقَابِهِمْ ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ﴾: أَيَّامَ آجَالِهِمْ، ﴿عَدًّا﴾: أَعْمَالَهُمْ لِلْجِزَاءِ أَوْ أَنْفُسَهُمْ لِلْفَنَاءِ، اذْكَرْ، ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًّا﴾: رَاكِبِينَ، ﴿وَسَوْقُ الْمُجْرِمِينَ﴾:

(١) فِي سُورَةِ الْكَهْفِ.

(٢) كَذَا - وَهُوَ الْعَاصِ بْنِ وَائِلِ السَّهْمِيِّ.

(٣) يَعْنِي ابْنَ الْأُرْتِ.

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ (٢٠٩١، ٢٢٧٥، ٢٤٢٥، ٤٧٣٢، ٤٧٣٣، ٤٧٣٤، ٤٧٣٥) وَمُسْلِمٌ

(٢٧٩٥).

(٥) يَعْنِي: وَوَلَدًا.

سوق البهائم ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ عطاشًا ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾: أطلق^(١) المدلول للقسمين، ﴿السَّفَلَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾: هو كلمة التوحيد ﴿وَقَالُوا﴾: المجرمون، ﴿اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾: عظيمًا مُنْكَرًا ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ﴾: يتشققن، ﴿مِنْهُ﴾: من هذا القول المجلب لغضب الله تعالى بتخريبهما^(٢) لولا جِلْمُهُ ﴿وَتَشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾: تهد، أي: تكسر مهدودة أي: مكسورة لأجل، ﴿أَنْ دَعَوْا﴾: نسبوا، ﴿لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾: أفاد بالرحمن أن كل ما عداه نعمة أو مُنعم عليه فلا تجانس فيتخذ منهم ولد ﴿إِنْ﴾: ما ﴿كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾: يأوي إليه بالعبودية والانقياد، وبُيِّنَ في الفاتحة (لَقَدْ أَحْصَاهُمْ) أَحَاطَ بِهِمْ عِلْمًا (وَعَدَّهُمْ) شَخْصًا وَنَفْسًا وَغَيْرَهُمَا ﴿عَدَا﴾ ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾: عن الاتباع، ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾: في القلوب بلا سعيهم والسين^(٣) لنزولها بمكة حين كانوا ممقوتين أو في القيامة ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ﴾: القرآن ملتبسا، ﴿بِلِسَانِكَ﴾: لغتك، ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾: أشد الخصومة، ﴿وَكَمْ﴾: كثيرًا، ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ﴾: أمة، ﴿هَلْ يُحِْسُّ﴾: تجدد، ﴿مِنْهُمْ مَّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾: صوتًا خفيا فليعتبروا، وتركيب ركز للخفاء^(٤) - والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.



(١) في (ن): الخلق.

(٢) في (ن): ثم لتخريبهما.

(٣) في «سيجعل».

(٤) تركيب مادة «ركز» ولدلالاته على الخفاء قيل: للمعدن: ركاز، ولدفين الجاهلية أيضا: ركاز.

* عمدة الحفاظ (٢/١٠٩/ركز).